



اهداءات ٢٠٠٠

مكتبة

د. محمد حسين ميكل
رئيس مجلس الوزراء السابق

بمجة المؤلف والترجمة والنشر سنة ١٩١٤

١٨
كتاب السلوك
سر محمد
لمعرفة دول الملوك

لنقى الدين أحمد بن علي المقرئ

صححه ووضع حواشيه

محمد مصطفى زيادة (Ph. D.)

مدرس بقسم التاريخ بكلية الآداب بالجامعة المصرية

الجزء الأول - القسم الأول

مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة

١٩٣٤

(ج)

تصدير

للقسم الأول من الجزء الأول من كتاب السلوك

يرجع تفكيرى في وجوب نشر هذا المؤلف المعروف إلى سنة ١٩٣٧، حين كنت أعد بحثا لنيل الدكتوراه، من جامعة لُقربُول. وقد كان موضوع ذلك البحث "العلاقات الخارجية للدولة المصرية في القرن الخامس عشر" (Foreign Relations of Egypt in the Fifteenth Century)، أى القرن التاسع الهجرى تقريبا، فَقَصَدْتُ إلى الإحاطة بمؤلفات المؤرخين المصريين في ذلك القرن. لهذا استوعبت معظم الموجود من مؤلفاتهم، في التاريخ وغيره، مطبوعة أو مخطوطة؛ وقرأت ما استطعت أيضا من مؤلفات كُتاب القرنين الثامن والعاشر الهجرين؛ وقد خرجت من ذلك الميدان الفسيح، معتقدا ومؤمنا، بأن صاحب الصدارة بين تلك المؤلفات جميعا، من الوجهة التاريخية، هو كتاب "السلوك لمعرفة دول الملوك"، لمؤلفه المقرئى، المولود بالقاهرة سنة ٧٦٦ هـ (١٣٦٤ م)، والمتوفى بها سنة ٨٤٥ هـ (١٤٤٢ م).

ثم كان أن تحدثت يوما مع الأستاذ ه. أ. ر. جيب (H. A. R. Gibb)، أستاذ اللغة العربية بمدرسة اللغات الشرقية بجامعة لندن، في مؤلفات المؤرخين المصريين، الذين عاشوا وكتبوا في القرن التاسع الهجرى، وفيما يعترض قارئ المخطوطات منها — وهى القسم الأكثر عددا — من العثرات والصعوبات. فمررتنى قوله إن من أولى تلك الكتب بالطبع والنشر، كتاب السلوك، إذ وافق قوله رأيي في ذلك المؤلف^(١).

حضرت بعدئذ إلى مصر، والتحقّت بوظيفة مدرّس للتاريخ، في كلية الآداب بالجامعة المصرية سنة ١٩٣٠، فطفقت أتلّس الوسائل وأتحنى الفرص، للعمل في نشر ذلك الكتاب، حتى علمتُ أن "لجنة التأليف والترجمة والنشر" تفكر في إخراجها، بمعاونة

(١) أنجز هذه القمرة لأشكر للأستاذ جيب، ما أسدها إلى من الاقتراحات إبان بدئى العمل في هذا الكتاب.

وزارة المعارف العمومية . ومن هذا نتج القسم الأول من الجزء الأول ، الذى تمخرجه اللجنة اليوم . وإنى مبادر هنا ، برجائى إلى العاملين على إحياء النصوص التاريخية المصرية ، أن يقولوا كلتهم فى هذا النحو الذى طبع عليه القسم الأول ، وأن يمدونى بتقديم وملاحظاتهم .

♦ ♦ ♦

ليس هذا التصدير مجال الترجمة للمقرئى ، أو الإفاضة فى تحليل كتابه السلوك ؛ وحسبى هنا التعريف بهما فى كلمات قليلة ، لأنفزع بعد ليان الطريق الذى سلكته فى إخراج هذا القسم .

أما أحمد بن على المقرئى ، فلا خلاف فى تبوئه صدارة المؤرخين المصريين ، فى النصف الأول من القرن التاسع الهجرى . ويكنى دليلا على هذا أن فطاحل ذلك الجيل من المؤرخين فى مصر ، كانوا تلاميذ المقرئى ، مثل أبى المحاسن يوسف بن تفرى بردى ، مؤلف كتاب النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة^(١) ، ومحمد بن عبد الرحمن السخاوى ، صاحب كتاب التبر المسبوك فى ذيل السلوك ، وأن أحمد بن حجر العسقلانى ، وبدر الدين محمود العيني ، لم يوجها كل عنايتهما إلى التاريخ ، كما فعل المقرئى ، بل كانا محدثين أكثر منهما مؤرخين .

ولا خلاف أيضا فى استحقاق كتاب السلوك أن يحل المحل الأول ، بين كتب التاريخ فى عصره . وقد كتبه المقرئى ليكون خاتمة مؤلفاته فى تاريخ مصر : إذ ألف "كتاب عقد جواهر الأسفاط من أخبار مدينة القسطنطينية" ، فى تاريخ مصر من الفتح العربى إلى قبيل تأسيس الدولة الفاطمية ؛ و "كتاب أتماط الحفا بأخبار الخلفاء" ، فى تاريخ مصر من الخلفاء الفاطميين ، (انظر ص ٩ ، حاشية ١ ، ٢) ؛ ثم رأى أن يصل "ذلك بذكر من ملك مصر بعدهم من الملوك الأكراد الأيوبية ، والسلطين المالك التركية والجركية" ، إلى زمنه ، فى مؤلف مستقل ، وسماه "كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك" . (انظر ص ٩ ، سطر ١ - ١٠) .

(١) أخرجت جامعة كاليفورنيا الأمريكية شطرا من هذا الكتاب ، فى سبعة أجزاء ، (انظر ثبت المراجع العربية ، تحت اسم ابن تفرى بردى ، صفحة ٥) ؛ وتداب داوالكتب المصرية ، منذ سنة ١٩٢٩ ، فى إخراج طبعة كاملة له ، ظهر منها حتى الآن الأجزاء الأربعة الأولى . (٢) طبع هذا الكتاب فى بولاق ، سنة ١٨٩٦ .



يقع هذا الكتاب، كما رتبته المقرري، في أربعة أجزاء، وتوجد منه نسخ خطية عديدة، كاملة وناقصة، بعضها مجلد في أربعة أجزاء، وبعضها في أكثر من ذلك. وأكبر هذه قيمة، النسخة الأصلية الأولى: التي خطها المؤلف بيده، ومن هذه يوجد الجزء الأول، من أربعة أجزاء، بمكتبة يكي جامع بالآستانة، تحت رقم (٨٨٧).

وتحوى مكاتب الآستانة عدة نسخ أخرى، متفاوتة في تاريخ كتابتها، وفي عدد أجزائها: ففي مكتبة الفاتح نسخة في إحدى عشرة مجلدة، تنقصها الأولى والعاشر، كتبت سنة ٨٨٠هـ، وأرقامها (٤٣٨١ - ٤٣٩٠)؛ وهي أقدم النسخ المعروفة، وتتلو النسخة الأصلية في القيمة. وبالمكتبة نفسها نسخة أخرى، في أربعة أجزاء كاملة، أرقامها (٤٣٧٧ - ٤٣٨٠). وفي مكتبة أيا صوفيا نسختان كاملتان، كل منهما في أربعة أجزاء، كتبت إحداهما سنة ٨٨٣ هـ، والثانية سنة ٨٩٤ هـ، وأرقامها (٣٣٦٩ - ٣٣٨٦). وفي مكتبة طاشر حفيد، الجزء الأقل من نسخة، ذات أربعة أجزاء، ورقها (٢٤٧). وفي مكتبة كوبرلي جزء واحد، من نسخة مختلفة في تقسيمها عن الصنفين الآنفين، ويرجح أنها كتبت في ثمانية أجزاء، ورقها (١١٣٧)^(١).

يوجد عدا ذلك، من مخطوطات السلوك، نسخ مبثورة في شتى المكاتب والمتاحف الأوروبية: منها بالمتحف البريطاني في لندن، الجزآن الثاني والرابع من نسخة ذات أربعة أجزاء، (British Museum Mss. Or. 2902, 9542)؛ وفي مكتبة بودليان بإكسفورد نسخة كاملة، (Bibliotheca Bodleiana, Codicum Manuscriptorum Orientalium... Catalogus a Joanne Uri confectus, Oxonii, DCLXXXIX, DCCXXIV, DCCXXIX et DCCLI). وفي مكتبة جامعة جوتا الجزء الأخير من نسخة ذات أربعة أجزاء،

(١) إلى مدبر هذه المعلومات، الخامة بجرائ الآستانة، إلى الدكتور ف. ه. رتر (Ph. H. Ritter)، وقد نقلتا من خطاب من رئيس وصديق الدكتور عبد الوهاب عزام، مدبري الفتنين الفارسية والتركية، بكلية الآداب بالجامعة المصرية. وأريد أن أذكر شكرى لكلهما هنا: فقد تولى الدكتور رتر تجهيز الصور الشمسية، التي احتجت إليها من هذه المخطوطات، وأرسلها مرفقة بتلك المعلومات المتقدمة؛ ومهدى الدكتور عزام السبيل للاتصال بالدكتور رتر، والاستقاء من علمه.

(Verzeichniss der für die orientalische Sammlung in Gotha von U. J. Steetzen, 1810, Leipzig, No. 1484). وفي المكتبة الأهلية بباريس نسخة كاملة في أربعة أجزاء ، ونسخة أخرى عبارة عن مجلدين من الجزء الثالث ، (Bibliothèque Nationale, Paris, Fonds Arabe No. 1726-1728) ويوجد بدار الكتب المصرية صور شمسية لهماين النسختين الباريسيتين (تاريخ ٤٥٥، ٤٦٤) ، ونسخة خطية ثالثة ، منقولة حديثا من النسخة الباريسية الكاملة .

♦ ♦ ♦

أول ما يلزم لنشر مخطوط ، الحصول على صور شمسية لأكبر عدد ممكن من النسخ المعروفة منه ، مع الإحاطة بأوصاف ما لم يتيسر منها . وقد وقَّفتُ إلى أكثر من هذا ، فيما يخص نشر الجزء الأول من السلوك ، إذ حصلتُ على صور شمسية من المخطوط الذي كتبه المقرئ بيده ، والموجود بمكتبة يكي جامع ، فلم تعد حاجة ماسة إلى الحصول على عدة من النسخ المعروفة . وهذه النسخة هي أصل القسم الأول المنشور هنا ، وعماد ما يتلوه من بقية الجزء الأول . على أني لم أطمئن إلى إخراج الكتاب من نسخة واحدة ، رغم اتساعها إلى المؤلف مباشرة ، لما حدثته فيها من الصعوبات عند أول نظرة . لذلك استعنت بالصور الشمسية للنسخة الباريسية الكاملة ، الموجودة بدار الكتب المصرية ، فاستهديتها في إبانة بعض ما غمضت قراءته من الألفاظ من مخطوطة يكي جامع ، واسترشدت بها في بعض العبارات والألفاظ الزائلة ، أو المحجوبة بورقة ملصقة فوقها ، (انظر ص ٧٠ ، حاشية ٣ ، ص ١٠١ ، حاشية ٤٣ ، ص ١٠٨ ، حاشية ٢ ، ص ١٩٦ ، حاشية ١ ، وغيرها كثير) .

♦ ♦ ♦

يتعين هنا ، قبل شرح الطريقة التي اتبعتها في إخراج هذا القسم الأول من السلوك ، أن أصف مخطوطة يكي جامع ، وقد سميتها س في الحواشي ، ونسخة باريس ، وقد سميتها ب ، وأن أذكر الشذرات المطبوعة فعلا من السلوك ، بلفتها أو مترجمة .

أما من سجلد ضخم ، غلافه من جلد قوى ، مطبوع في وسطه مستطيل للزينة ، غير مذهب . وخط هذا المجلد نسخ متوسط ، واضح القراءة ، وعدد أوراقه ٢٥٧ ، لونها أبيض ضارب إلى الصفرة ، ومقاس الورقة $\frac{1}{4} \times 25$ × $\frac{1}{4}$ ١٦ سم م ، أي أكبر بقليل من الصورة الشمسية المطبوعة هنا . (انظر ص ٢) .

يتبدئ متن كتاب السلوك في هذه المخطوطة من الورقة ١٣ ، ويتهى عند ورقة ٢٥٣ . أما ما قبل ذلك ، وما بعده ، من أوراق المجلد ، فيحتوى عبارات متنوعة ، ليس لثن علاقة ظاهرة بها ، على أنها مكتوبة بخط يشبه خط متن السلوك ، ما عدا الوارد في ص ١١٠ . ويوجد بتلك الصفحة الأولى رسم دائرة ، في نصفها الأعلى ، بخط نسخ كبير ، وقفية نصها : "وقف سلطان أحمد خان بن غازى سلطان محمد خان" ، وينصفها الأسفل طغراء ، يرجح أنها لهذا السلطان الثمانى ، الذى تولى من سنة ١٦٠٣ إلى ١٦٢٧ م . وعلى ص ١ ب فقرة في منشا الخوارج ، وفي أصل عادة خلق الرموس عندهم ، وتستغرق هذه إلى آخر ص ١٢ . وعلى الصفحة ٢ ب فذلكة في أصل الجبارة ، تنهى في منتصف الصفحة نفسها ، ويتلوها عبارة في أنساب بعض قبائل العرب ، التى سكنت حوف مصر .

أما العبارات التى تلى آخر الجزء الأول ، فأولها تعليقة في أنواع الطلاق ، تشغل ص ٢٥٣ ب ومنتصف ص ٢٥٤ ، ويتلوها قول في أصل القصيدة المشهورة ، التى مدح القرزق بها على بن الحسين بن على بن أبى طالب . ويتبدئ ص ٢٥٤ ب بقول آخر في أصل القصيدة المعروفة التى أنشأها ابن زريق البغدادى ، في زمن غربته بالأندلس ، ثم يتلو هذا القول ، إلى آخر الصفحة ، اقتباسات قصيرة من أقوال بعض المحدثين في أهمية الإسناد في الحديث ، ورأى في مدى ملكية المالك للفلام المملوك . ويتبدئ ص ٢٥٥ ب بفصل في الجرح والتعديل ، ويشغل هذا الفصل حذ ثلثي ص ٣٥٦ ب . وعلى بقية تلك الصفحة ، حتى ثلثي ص ٢٥٧ ، وهى الصفحة الأخيرة من المخطوط ، فصل في الترغيب في علم الأنساب ، يتلوه ذكر وفاة أبى عثمان إسماعيل الصابونى ، المتوفى سنة ٤٤٩ هـ ، وإشارة إلى أحد الأئمة الشافعية ، لم أستطع أن أقرأ من اسمه سوى لفظى "مهران الاسفراينى" ، ويتلو ذلك كله حديث نبوى .

ليس تمت شك في أن هذه النسخة من الجزء الأول هى الأصلية الأولى ، سطرها المفريزى لنفسه ، على حد قوله في صفحة العنوان ، وفي "حرد" المجلد (Colophon) (انظر

ص ٣، سطر ٦ هنا، وكذلك ص ٢٥٣ ١ في ص). وتوجد عدا هذا شواهد داخلية عدّة، للدلالة على أن المقرئ كتب هذا الجزء بيده، وتوضح هذه الشواهد من وصف خواص ترتيب المتن.

أول تلك الخواص أن كثيرا من صفحات هذا الجزء مرقوش بهوامش إضافية، مكتوبة أحيانا على جوانب الصفحات، وأحيانا على ورقة منفصلة بين صفحتين، وفي المتن عادة إشارة بعلامة إلى المكان المناسب لهذا أوزاك الهامش من المتن. وتلك الهوامش، بحسب ارتباطها بالمتن، على أربعة أنواع: إما فقرة منسقة مع المتن إقفاقا تماما، فهي عبارة عن سقطة كتابية، تداركها المؤلف عند المراجعة، فأثبتها حيث استطاع، وأشار إلى موضعها المناسب من صلب المتن، (انظر ص ٤، حاشية ١)؛ أو عبارة من عبارات المتن مكتوبة بأسلوب آخر، (انظر ص ٢٥٥، حاشية ١)؛ أو إضافة لا اتساق لها مع عبارة المتن، رغم علاقتها أحيانا بموضوعه، وأمثال هذه لا شك زيادات مقر المؤلف عليها، فبها بعد، فأثبتها حيث أراد، (انظر ص ٨، حاشية ٢؛ ص ٢٩ حاشية ٣، ص ٤٦، حاشية ٢، ص ٦١، حاشية ١؛ ص ٢٥٥، حاشية ١)؛ أو عبارة تفسيرية للفظ لغوي، (انظر ص ٨، حاشية ١؛ ص ١٧، حاشية ٢)؛ أو عبارة للتنبيه إلى ما في المتن من مواضع، وهذا النوع الأخير مكتوب بخط مخالف، (انظر ص ٧٩، حاشية ١؛ ص ٢٠٩، حاشية ٢؛ ص ٢١٧، حاشية ١؛ ص ٢٢٤، حاشية ١؛ ص ٢٤١، حاشية ٣).

تدل هذه الهوامش، ما عدا النوع الرابع منها، على أن المقرئ كتب هذه النسخة من الجزء الأول بيده، ثم راجعها بنفسه، فتدارك بالإثبات ما فاتته، وأضاف من الزيادات ما رأى أنه يضيف، وفسر من اللفظ ما ظن غريبا. غير أنه يلاحظ أحيانا خلاف لطيف بين خط المتن وخط تلك الهوامش، وهذا يرجح أن المقرئ راجع الكتاب بعد مضي عدّة سنين من تاريخ كتابته، بعد أن اعترى خطه شيء من الضعف والهرسة.

ومن خواص ص أيضا طريقة الرسم الإملائي، التي اتبعها المقرئ في سائر هذا الجزء، إذ أهمل الهمزات إملايا تماما، فسهّلها بالإبدال إلى ياء في أواسط الكلمات، وحذفها في أواخرها، وأمثال ذلك الطابع (الطائغ)، وساير (سائر)، وهولا (هؤلاء)، وعلا (علاء)، وخلفا (خلفاء). وفي هذا الجزء أيضا دأب المقرئ على إحلال الدال موضع الذال، مثل

دخاير(ذخائر)، وهمدان (همدان)، وتهان في التقط كثيرا، حتى أن بعض الألفاظ وارد بغير نقط البنية، ووقع في بعض أخطاء نحوية ولغوية؛ كما ضبط بعض الألفاظ ضبطا خطأ؛ وقد أشرتُ إلى أمثال ذلك كله في الحواشي . (انظر ص ٤، حاشية ٢؛ ص ٧، حاشية ٥، ٨؛ ص ١٠، حاشية ٢؛ ص ١٦، حاشية ٢) .



على س في القيمة العلمية، النسخة التي كتبت عام ٨٨٠ هـ، والموجودة بمكتبة الفاتح، لأنها أقدم النسخ الخطية المعروفة حتى الآن، وأقربها إلى زمن المقرئ والنسخة الأصلية الأولى . ويليهما ما كُتِب بعدها، وهكذا . أما نسخة باريس (ب) فتأخرت بالنسبة إلى غيرها من النسخ المعروفة، لأن الجزمين الأول والثاني منها بخط المدعو منصور الأزهرى، وقد فرغ من كتابتهما في أول سنة ١٠٤١ هـ (١٦٣١ م)، والجزمين الثالث والرابع بخط المدعو حسن العثاني، وقد فرغ من نسخهما بمكة، في أواخر سنة ٩٣٩ هـ (١٥٣٣ م) . (انظر فهرس الكتب العربية الموجودة بدار الكتب المصرية، ج ٥، ص ٢١٩) .

تشبه ب مخطوطة س في وضوح الخط، وفي الرسم الإملائي أيضا : من تسهيل الهمزات المتوسطة، وحذف الهمزات المتأخرة؛ كما تشبهها أيضا في الاقتصاد في النقط، وفي الأخطاء النحوية واللغوية . والواقع أنها نسخة طبق الأصل، لا تختلف عنه في الأسلوب أو العبارة أو ترتيب المحتويات، إلا ما نتج عن تصرف طفيف من النسخ، أو سهو أو إهمال، أو تقصيره في قراءة بعض الهوامش المزدحمة، أثناء النقل . ومن أمثلة ذلك صفحة العنوان، إذ ليس في ب شيء مما هو وارد بتلك الصفحة في س، بل يوجد بدلها الفقرة الآتية : ”الجزء الأول والثاني من السلوك لمعرفة دول الملوك للشيخ الإمام العلامة الهام الرحالة المقرئ رحمه الله تعالى وأعاد علينا من بركاته، وصل الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم“ . وثمت خلاف آخرين النسختين، في الصفحة الأولى، ففي ب بعد البسملة عبارة : ”وما توفيق إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب، قل اللهم مالك الملك ...“ (قارن هذا بالعبارة الاقتراحية في س) . هذا ولمعرفة أنواع الخلاف الأخرى بين النسختين، انظر (ص ٢٨، حاشية ٣؛ ص ٣٩، حاشية ١؛ ص ٦١، حاشية ١؛ ص ٩٠، حاشية ٤؛ ص ٩٨، حاشية ٢؛ ص ١٧٨، حاشية ٢) .

و يوجد بين النسختين خلاف من نوع آخر، لا مساس له بجوهر المتن، بل هو عرضي بحث : ذلك أن الهوامش التي في س عبارة عن سقطات كتابية، قد تداركها المقرئ بالإثبات عند المراجعة ، أو إضافة عثر عليها فكتبها حيث يريد كما تقدم ، أدبها كاتب نسخة ب — أو كاتب النسخة التي نقل منها — حيث تجب من المتن ، أو حيث مغلطة الصواب ؛ ولم يخطئ إلا قليلا في هذا المجهود المحمود، الذي صير ب ذات أهمية . (انظر ص ٢٨ ، حاشية ٣ ؛ ص ٦١ ، حاشية ٤١ ؛ ص ٩٠ ، حاشية ١ — ٤ ؛ ص ٩٨ ، حاشية ٢ ؛ ص ١٧٨ ، حاشية ٢) . أما ما عدا ذلك من الهوامش الواردة في س ، كالحواشي التفسيرية التي كتبها المقرئ ، وكالإشارات والتنبيهات الواردة بخط مخالف ، فليست موجودة في ب مطلقا . عل أن في ب هوامش من نوع آخر، تميزت بها هي أيضا ، وهذه عبارة عن إشارات باللغة الفرنسية لكبار أحداث الحروب الصليبية ، أو ترجمة إلى تلك اللغة لأسماء كبار الصليبيين ، قبالة ورود أسمائهم بالمتن . (انظر ص ٩٦ ، حاشية ٧) .



ليست الطبعة المعروضة اليوم ، أول محاولة لنشر كتاب السلوك ، فقد تناوبته مجهودات المستشرقين ، كل على قدر حاجته منه ، منذ أواسط القرن الثامن عشر ، أي قبل وصول الحملة الفرنسية إلى مصر بجعل قريبا . وأول المبكرين إلى هذا هو (Cardonne) ، إذ نشر منه في سنة ١٧٦١ م ، شذرات باللغة العربية ، في ذيل كتاب تاريخ حياة لويس التاسع ملك فرنسا (Joinville: Vie de St. Louis; ed. Cardonne. Paris, 1761) ؛ كما نشر منه فقرات أخرى سنة ١٨٤٤ ، ضمن مختارات عربية ، متعلقة بتاريخ فرنسا ، تحت عنوان (Cardonne: Extraits de MSS. Arabes) ، في المجموعة الفرنسية الممماة (Petitots: Collection des Mémoires; Vol III, Paris, 1824).

بعد ذلك بإحدى وعشرين سنة ، أتم المستشرق (Quatremère) ترجمة فرنسية في جزئين ، لسطر كبير من كتاب السلوك ، أوله سنة ١٦٤٨ هـ ، وآخره سنة ٧٠٨ هـ ، تحت عنوان (Quatremère: Histoire des Sultans Mamlouks etc, Paris, 1837 - 1845) .

وكان اعتماده في الترجمة على مخطوطة باريسية، كانت في أيامه بمكتبة الملك (Bibliothèque du Roi)، تحت أرقام ٦٧٢ - ٦٧٤؛ فبدأ ترجمته من ص ١١٥ منها، وانتهى عند ص ٣١٥.^(١)

ثم انتقلت تلك المخطوطة إلى (Bibliothèque Nationale)، وصارت أرقامها ١٧٢٦ - ١٧٢٨؛ ومنها ترجم (Blochet)، في سنة ١٩٠٨، ما فاته (Quatremère) من الجزء الأول، وسمى ترجمته (Blochet: Histoire d'Égypte de Makrizi)، ونشرها في (Revue de L'Orient Latin, Tomes VI, VIII-XI). وهذه المخطوطة، التي كانت عماد الترجمتين الفرنسيتين، ليست سوى ب هنا، والتي أشرتُ إلى مبلغ استعاضني بها في المقابلة والمقارنة.^(٢)

♦ ♦ ♦

أما محاولتي التي تخرج باكويتها في الصحائف التالية، فهي أول محاولة لإخراج الكتاب كاملاً، بلفته التي كُتِبَ بها. وقد اعتمدت على مخطوطة من اعتياد كليسا، واستعنت بنسخة ب، واسترشدت بترجمة (Blochet). على أني تناولت تلك الترجمة ببعض النقد، (انظر ص ٨٠، حاشية ٥، ص ٩٤، حاشية ١، ص ١١٢، حاشية ١، ص ١٣٥، حاشية ٤، ص ١٣٧، حاشية ١، ص ٢، ص ٢١٧، حاشية ٢)، وتبَّنت إلى عدد قليل من أخطائها، التي كانت منشؤها اعتياد المترجم على نسخة ب فقط، (انظر Blochet: Op. cit. Introd. P. 53). وقصصتُ بذلك إبراز قيمة مخطوطة من، لا النيل من نتيجة مجهود محمود، فضله مشهود به هنا، في كثير من الحواشي. (انظر ص ١٠، حاشية ١، ص ٢٤، حاشية ٦، ص ٣٦، حاشية ٦، ص ٤٦، حاشية ١، ص ٥٠، حاشية ٣، ص ٨٠، ص ٩٠، حاشية ١، وغيرها).

(١) يوافق بدء ترجمة (Quatremère) ص ٩٦ من مخطوطة من، وينتهي في أوائل الجزء الثاني منها. والسبب الذي حدا به إلى ذلك البدء، واستبعاد الصفحات الأولى من السلك، وهي القسم الخاص بدولة الأيوبيين في مصر، أنه كان قد فكر في شره في مجموعة فرنسية مستقلة، اسمها (Collection des Historiens des Croisades)، كان المرمم معقوداً على إنجازها، ولجميع المشروع. راجع (Quatremère: Op. cit. T. I. 1 Pref. P. XVIII).
(٢) توجد أيضاً قطعة صغيرة من كتاب السلك، منشورة في الجزء الثاني من كتاب تاريخ عمارة اليمن؛ (Derenbourg: Oumara du Yemen. Paris, 1897-1902. Tome II. PP. 650 - 652) تحت عنوان "نبذة من السلك". (انظر ص ٥٣، سطر ١٠ - ص ٥٤، سطر ١١).

وقد بدأت العمل بنسخ المتن المعد للطبع من ب ، وقابلته عليها ، تمهيدا لمقابلته على نسخة الآستانة . وكان اعتقادي أن النسخين ذاتا قيمة متكافئة ، بل ظننت أن نسخة باريس أهم من الأخرى ، لأن معظمها قد ترجم إلى الفرنسية ، فأصبحت ذات قيمة معروفة ، ونصها محترم . فلما رأيت بعد ذلك أن مخطوطة الآستانة بقلم المقرئ ، تضاهت أمامها نسخة باريس ، وصارت فرط ، ومخطوطة من أصلا .

ولم يكن البدء على هذا النحو المعكوس مضيعة لوقتي ، فإني استفدت من ب استفادة واسعة ، (انظر صحيفة و) ، واستطعت أن أدرك أوجه الشبه والخلاف بين المخطوطتين . غير أنني لم أدأب على إثبات نتيجة المقابلة في الحواشي ، لأن أهمية من طفت على كل الاعتبارات ، ولأنني توخيت ألا أحمل كموب صفحات المتن أكثر من اللازم .



كتب المقرئ كتابه على نظام الحواشي ، الشائع في مؤلفات المؤرخين الشرقيين في القرون الوسطى ، فسر تاريخ كل سنة على حدة ، ولم يحاول أن يصل بين سنة وأخرى أبدا ، ولم يستوقف القارئ في وسط السنين إلا عند حدوث عهد جديد . وقد سار المقرئ على هذا النحو فبدأ كل سنة في سطر جديد ، وعنونها بخط أكبر من خط المتن ، وبعداد أحمر ، وفعل مثل ذلك عند بدء عهد سلطان جديد . وللتوفيق بين هذا النظام ومقتضيات الطبع الحديث أبقيت عناوين السنين في مواضعها ، في أول سطر دائما ، وبحروف أكبر قليلا من حروف المتن ، ووضعت أوائل أسماء السلاطين في وسط السطر ، بحروف كبيرة أيضا . (انظر ص ٤١ ، حاشية ٦) .

وقد أخذت حريتي في قطع الألفاظ ، وفي الترقيم والتقسيم ، كما فعلت ذلك أيضا في الأخطاء الإملائية البحتة ، فاتبعت الرسم الإملائي الحديث . ولو كنت عمدت إلى الإشارة إلى جميع مواضع النقص الناقصة ، أو الغلطات الإملائية الشائعة ، لملأت أضعاف المساحات التي شغلها الهوامش . على أني نهيت دائما ، عند الحاجة ، إلى الألفاظ التي تقطعها من عندي ، وعلى مسئوليتي . ولما كان المقرئ قد ضبط بعض ألفاظ المتن دأبت على إثبات

ضبطه دائماً حيث كان ، بغير تنبيه إليه في الحواشي ، إلا إذا كان هناك ما يقتضى ذلك ، أو كان الضبط خطأ ، فقد أصلحته ، ونهت إلى أصله . على أنه كثيراً ما استلزم المتن ضبط كلمات أخرى ، لزيادة التوضيح . (انظر ص ٢٤ ، حاشية ٢) .

♦ ♦ ♦

والآن ، وقد بينت في هذا التصدير المختصر ، معالم الترتيب الذى سرت عليه ، فواجب أن أشكر لكل من عاوننى ، بالمساعدة أو بالتشجيع ، فى إخراج هذا القسم الأول من كتاب السلوك . وأبدأ بالذکر "لجنة التأليف والترجمة والنشر" ، وهيئتها الفنية ، لتكليفى القيام بنشره ، وإعطائى الحرية فى كيفية طبعه وتنظيمه ، وتواضعا بالصبر إزاء البطء الذى تطلبه نوع العمل . وأشكر أيضاً الأستاذ أحمد أمين ، الأستاذ المساعد بكلية الآداب بالجامعة المصرية ، ورئيس "لجنة التأليف والترجمة والنشر" ، لما رمقنى به من عنايته المستمرة ، إذ قرأ جميع صفحات القسم الأول ، قبل اعتمادها نهائياً للطبع ، وهدانى باقتراحاته ، مرة إلى مراجعة عبارة بالمتن ، ومرات لتعديل بعض الحواشى . وقد كان من حسن حظى أيضاً أن طلبتُ إلى صديق وزميلى أحمد الشايب ، أن يماوننى فى أدوار المقارنة والمقابلة ، قرأ معى النسخة التى أعدتها للطبع ، على نسخة باريس ، وعلى ثلثى مخطوطة الآستانة ، فأسديده شكرى ، كما أسديده إلى صديقى محمد نديم ، ملاحظ مطبعة دار الكتب المصرية ، فقد حرص على طبع الكتاب طبعة دقيقة . ولست أعد تلك المساعدات توزيماً للمسئولية النهائية على أكتاف غيرى ، بل إقراراً بالجميل لمن قدموها إلى ، فإن تلك المساعدات سهلت على العمل فى مختلف أدواره ، وجنبته بعض الزلل . وإنى أعتد إلى كل الذين ذكرت ، وإلى غيرهم أيضاً ، ممن سيجمون على المضى فى العمل ، بوافر الشكر والثناء ، كما أرسل شكرى مقدماً إلى كل من يطلع على هذا القسم ، ويدلئى بنقده على ما عساه قد وقع من خطأ ، أو على ما يقترح من إصلاح يساعدنى فى إخراج الأقسام التالية .

محمد مصطفى زيادة

مصر الجديدة ، فى أول المحرم سنة ١٣٥٣

١٤ أبريل سنة ١٩٣٤

المراجع المذكورة في حواشى القسم الأول

مراجع عربية

- ابن الأثير (عز الدين أبى الحسين على المعروف بابن الأثير) : كتاب الكامل فى التاريخ ، ١٤ جزءا . طبعة ليدن . (Edidit Tornberg. Lugduni Batavorum. Brill, 1863).
- ابن قتيّر بَرْدِي (جمال الدين أبو المحاسن يوسف) : التجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة . طبعة جامعة كاليفورنيا . (Edited by Popper. Vols II, III, V, VI, VII ; University of California Publications in Semitic Philology, 1909-1929).
- ابن حوقل (أبو القاسم) : كتاب المسالك والممالك . طبعة ليدن . (Bibliotheca Geographorum Arabicorum, edidit De Geoe. pars secunda. Lugduni Batavorum, Brill. 1873).
- ابن خلكان (شمس الدين أبو العباس محمد) : وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، جزآن . طبعة جوتنجن . (Edidit Wüstenfeld, Gottingae, Deuerlich, 1835-1840).
- لهذه المؤلف ترجمة إلى الإنجليزية . انظر ثبت المراجع الأوروبية ، تحت اسم (De Slane) .
- ابن شاهين (غرس الدين خليل الظاهري) : كتاب زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والممالك . طبعة باريس . (Ed. Ravaisse, Imprimerie Nationale, Paris, 1894).
- ابن شدّاد (بهاء الدين أبو المحاسن يوسف) : النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية . طبعة باريس . (Recueil des Historiens des Croisades, Historiens Orientaux, Tome III, Imprimerie Nationale. Paris, 1884).
- ابن العماد (أبو الفلاح عبد الحى) : شذرات الذهب فى أخبار من ذهب ، ثمانية أجزاء . (مكتبة القسسى ، بيجوار الأزهر ، القاهرة ، ١٣٥١ هـ) .

ابن مسكويه (أبو علي أحمد المعروف بمسكويه) : القسم الأخير من كتاب تجارب الأمم ،
سبعة أجزاء . طبعة أكسفورد .

(Arabic text, edited by Amedroz, vols I-III; English translation, vols IV-VII,
Margoliouth. Oxford, Basil Blackwell, 1920-1921).

ابن النديم (أبو الفرج محمد) : كتاب الفهرست . طبعة ليزج .

(Mit anmerkungen herausgegeben von Gustav Flügel, Leipzig, Vogel, 1872).

أبو الفداء (الملك المؤيد إسماعيل) : منتخبات من المختصر في أخبار البشر . طبعة باريس .

(Recueil des Historiens des Croisades. Historiens Orientaux, Tome I.
Imprimerie Nationale, Paris, 1872).

أبو شامة (شهاب الدين عبد الرحمن) : منتخبات من كتاب الروضتين في أخبار الدولتين
النورية والصلاحية . طبعة باريس .

(Recueil des Historiens des Croisades, Historiens Orientaux, Tomes IV - V,
Imprimerie Nationale, Paris, 1898-1906).

أمين (أحمد): مضمي الإسلام، الجزء الأول، (لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٣٣).
الأنصاري (زكريا) : شرح المنهج، جزآن . (المطبعة الميمنية، قرب الأزهر . القاهرة
سنة ١٣٠٥ هـ) .

البيروني (أبو الريحان محمد) : كتاب الآثار الباقية عن القرون الخالية، طبعة ليزج .

(Herausgegeben von Sachau, Harrassowitz, Leipzig, 1923).

هذا المؤلف مترجم أيضا إلى اللغة الإنجليزية . انظر ثبوت المراجع الأوروبية ، تحت
اسم (Sachau) .

حسن (حسن إبراهيم) : الفاطميون في مصر . (المطبعة الأميرية، القاهرة، ١٩٣٣) .

الخزرجي (علي بن الحسن) : العقود الثلوثية في تاريخ الدولة الرسولية . طبعة ليدن .

(E. W. J. Gibb Mem. Series, Vol III. Parts I - V, Brill, Leiden, 1906-1918).

الخوارزمي (أبو عبد الله محمد) : مفاتيح العلوم . (مطبعة الشرق، بجوار الأزهر . القاهرة،
١٣٤٢ هـ) .

- الزركشى (عبد الله محمد) : تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية . (تونس ، ١٢٨٩ هـ) .
- السخاوى (محمد شمس الدين) : الضوء اللامع فى أعيان القرن التاسع . (مخطوطة دار الكتب المصرية ، ١٨ جزء ، رقم : تاريخ ٦٧٥) .
- الطبرى (أبو جعفر محمد) : تاريخ الرسل والملوك . طبعة ليدن .
- (Cum aliis Edidit De Geoe, Lugduni Batavorum, Brill, 1901.)
- العيني (بدر الدين محمود) : عقد الجمان فى تاريخ أهل الزمان . (مخطوطة دار الكتب المصرية ، ٢٣ جزء ، فى ٦٩ مجلدا ، رقم : تاريخ ١٥٨٤) .
- القلقشندى (أبو العباس أحمد) : صبح الأعشى فى صناعة الإنشاء ، ١٤ جزء . (دار الكتب المصرية ، القاهرة ١٩١٣ - ١٩١٩) .
- مبارك (على باشا) : انخطط التوفيقية الجديدة لمصر والقاهرة ، ٢٠ جزء ، فى أربع مجلدات . (المطبعة الأميرية ، بولاق ، ١٣٠٦ هـ) .
- المسعودى (أبو الحسن على) : كتاب التنبيه والإشراف . طبعة ليدن .
- (Bibliotheca Geographorum Arabicorum, Edidit De Geoe., Pars octava, Lugduni Batavorum, Brill, 1894.)
- المسعودى (أبو الحسن على) : كتاب مروج الذهب ، تسعة أجزاء . طبعة باريس .
- (Texte et traduction par C. Barbier de Meynard et Pavet de Courtelte, Collection d'Ouvrages Orientaux publiée par la Société Asiatique, 9 vols. Paris, Imprimerie Imperiale, 1874.)
- المقرئى (أحمد بن على) : كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والأمصار ، جزآن . (دار الطباعة المصرية ، بولاق ، ١٢٧٠ هـ) .
- ياقوت (شهاب الدين أبو عبد الله) : ٦ أجزاء ، كتاب معجم البلدان . طبعة ليزج .
- (Herausgegeben Ferdinand Fustenfeld, Leipzig, Brockhaus, 1866.)

(ف)

مراجع أوروبية

- ALLEN (W. E. D.): A history of the Georgian People. (Kegan Paul, London 1932).
- BLOCHET (E.): Histoire d'Égypte de Makrizi. (Leroux, Paris, 1908). (Extrait de la Revue de L'Orient Latin. Tomes VI, VIII-XI).
- BROWNE (E. G.): An Abridged Translation of the History of Tabaristân. Compiled by Ibn Isfandiyar; translated by Browne. (E. W. J. Gibb Mem. Series. Vol. II. Leyden, Brill, 1905).
- BUTCHER (MRS E. L.): The story of the Church of Egypt, 2 vols. (Smith Elder, London, 1897).
- CAMBRIDGE MEDIEVAL HISTORY: (Camb.^{*} Med. Hist.).
- DERENBOURG (H): Oumara du Yémen . . . 2 vols. (Leroux, Paris 1897-1902). (Publications de L'École des Langues Orientales vivantes, IV^{me} Serie, vol. X).
- DE SLANE (BARON MAC GUCKIN): Ibn Khallikan's, Biographical Dictionary. Translated from the Arabic. 4 Vols. (Oriental Translation Fund. Paris 1842-1871).
- DOZY (R.): Supplément Aux Dictionnaires Arabes. (Dozy: Supp. Dict. Ar.).
- ENCYCLOPEDIA OF ISLAM: (Enc.^{*} Isl.).
- G.—DEMOMBYNES: La Syrie à l'Époque des Mamlouks. (Geuthner, Paris, 1922).
- GIBB (H. A. R.). The Damascus Chronicle of the Crusades. (Luzac, London, 1932).
- HATTI (PH. K.): Memoirs of Usâmah Ibn Munkidh. (Columbia University Press, New York, 1929).
- HOGRATH (D. G.): A history of Arabia. (Clarendon Press, Oxford, 1922).
- KING (E. J.): The Knights Hospitallers in the Holy Land. (Methuen, London, 1931).
- LAMB (HAROLD): Genghis Khan. (Thornton Butterworth, London, 1928).

(*) The asterisks denote the abbreviated form, in which the authority is cited in the notes.

- LANE-POOLE (S.):** A History of Egypt in the Middle Ages. (Methuen. London, 1914).
- LANE-POOLE (S.):** The Story of Cairo. (Dent, London, 1924).
- " : Muhammadan Dynasties. (Geuthner, Paris, 1925).
- " : Saladin. (Putnam, London, 1926).
- LE STRANGE (G.):** Palestine Under The Moslems. (Watt. London, 1890).
- MORIER (J.):** The Adventures of Hajji Baba of Isphahan.
- " : Hajji Baba in England.
- (Humphrey Milford, Oxford, 1924, 1925).
- PRICE (A. P.):** Holbyn's Dictionary of Medical Terms. (Bell, London, 1899).
- QUATREMÈRE (E.):** Histoire des Sultans Mamlouks de l'Égypte. 2 vols. (Paris, 1837-1845).
- RAPPOPORT (A. S.):** History of Palestine. (Allen & Unwin. London, 1931).
- RECUEIL DES HISTORIENS DES CROISADES:** Historiens Orientaux. Tomes I-V. (Rec. Hist. Or.). (Paris, Imprimere Nationale 1872-1906).
- SACHAU (E.):** The Chronology of Ancient Nations, ... of Albirūnī. (London, Allen, 1879). (Oriental Translation Fund).
- SCOTT. (Sir. W.):** The Talisman. (Nelson, London).
- STEVENSON (W. B.):** The Crusaders in the East. (University Press, Cambridge, 1907).
- TOUSSOUN (LE PRINCE OMAR):** Mémoire sur les Anciennes Branches Du Nil. Époque Arabe. (Mémoires présentés à l'Institut d'Égypte, Tome 4^{me}, 2^{me} F. Le Caire, 1923).
- TOUSSOUN (LE PRINCE OMAR):** La Géographie de l'Égypte à l'Époque Arabe. Tome 1^{re}, 1-2. parties. (Mémoires de la Société Royale de Géographie d'Égypte. Tome, VIII, 1^{re}, 2^{me} parties, Le Caire, 1926, 1928).
- ZIADA (M. MUSTAFA):** The Mamluk Conquest of Cyprus in the Fifteenth Century. (Bulletin of the Faculty of Arts, University of Egypt. Vol. I. Part I. pp. 90-113).

تصحیحات

صفحة	سطر	الصيغة المراد إثباتها .
٧	١	المستعان
٧	١٨	(راجع التصدير)
١٦	٢	وأذنة ؛
٢٤	١٤	— وقيل مرداوئج بن قافيج —
٤٤	٩	يحتى عمه وأخيه ،
٥٥	٢٣	(ياقوت : معجم البلدان ،
٧٠	١٨	ما على .
٧٣	١٧	(٢) مضبوطة
٧٤	١٨	• (Blochet : Op. cit. p. 145. N. 3)
٧٧	١١	تمتع من شميم عرار نجد
١١٤	٩	أبو الفتح عثمان بن السلطان
١١٤	٢٠	، وهى قلعة على الفرات
١١٦	٢٢	المذكور فيما على ، (سطر ١٠) .
١٢٧	١٩	(الفقشندى :
١٤١	٢٥	الدمالك ، يسكر به ،
١٤٣	٢٠	من تسمى بهذا الاسم ،
١٤٨	٢٢	(٤) فى س اياز كوج ،

صفحة	سطر	الصيغة المراد إثباتها
١٤٩	٢١-١٩	والمشهور أن فعل فند لا يعتمدى بمن، وإنما يعتمدى بعل؛ ففى محيط المحيط : فنده على الأمر بمعنى أرادته منه . ولعل المقرئى استباح لنفسه استعمال هذا الفعل مقرونا بمن، لىؤدى عكس المعنى المعروف . على أن فند تستعمل بدون حرف جر، بمعنى عجز .
١٥١	٢٢-٢٣	(٤) بياض فى س، يشغل سطرين تقريبا، وبه آثار كتابة ممحوة .
١٥٤	٢٠	اضطراب ترتيب الحوادث، فى تلك الترجمة،
١٥٤	٢١	فانظر ص ١٥٧ ، حاشية ٣ .
١٥٩	٢٣	(Blochet : Op. cit. p. 273. N. 2).
١٦٦	٢٣	انظر قاموس المحيط .
١٦٩	١٩	” سنة اربع وستمائة “ .
١٦٩	٢٤	: A History of The Georgian People.
١٧٨	١٠	تسع عشرة قطعة
١٩٢	٢٦	بكار كتاب المالية .
٢٢٤	٢١	رحمه الله تعالى عليه “ .
٢٢٥	٢١	(٢) فى س اعمله .
٢٣٢	١٣	(٨٣)
٢٣٩	١٥	أقل منهم فى الرتبة ،
٢٤٦	٤	يحيى بن خالد .
٢٥٠	٦	صَنَافِير
٢٦٣	١	كُل طبع القسم الأول من الجزء الأول، من كتاب السلوك للقرئى .

السلوك لمعرفة دول الملوك

(معتبرات الصورة الشمسية المراجعة وهي نسخة العنوان كما في نسخة الأستاذة)

(١٢) الجيوش الأولى

من كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك ، جمع فقير عفو الله أحمد بن علي بن عبد القادر
بن محمد بن إبراهيم بن محمد بن تميم بن عبد الصمد بن أبي الحسن بن عبد الصمد بن تميم ،
الشهير جده بالمقرزي الشافعي ، غفر الله له وقصد زلله بمنته :
•

سطره لنفسه • قائله وجامعه

فليعف عن زلاته • ناقله وسامعه

لا أحوجك الله إلى اقتضاء ثمن معروف أسديته ، ولا أهلك إلى قبض عوض عن جيل
أوليته ، ولا جعل يدك السفلى لمن كانت عليه هي العليا ، وأعانك من عز مفقود وعيش
مجهود ، وأحيأك ما كانت الحياة أجل بك ، وتوفأك إذا كانت الوفا أصلح لك ، بعد عمر
مديد وسمو بعيد ، وختم بالحسن عملك ، وبلنك في الأولى أملك ، وستد فيها مضطربك ،
وأحسن في الأخرى منقلبك ، إنه سميع قريب جواد مجيب •

الأكراد ينسبون إلى كرد بن مرد بن عمرو بن صمصمة بن معاوية بن بكر بن هوازن .
(١٢)

وقيل هم من ولد عمرو مزيقياء بن عامر ماء السماء ، وقيل إنهم من بني حميد بن طارق الراجح
(١) هذا الاسم غير واضح كله في س ، ولكن المراجع العربية تبين آباء الأكراد به . قال ابن حوقل في المسالك
والممالك ، ص ١٨٧ : " إنهم من كرد بن مرد بن عمرو بن عامر " بدون ضبط . أما المسعودي في مروج الذهب
ج ٣ ، ص ٢٥٠ ، فقد نسبهم إلى " كرد بن مرد (كذا) بن صمصمة بن هوازن " ، ونسبهم في كتابه التنبيه والإشراف ،
ص ٨٩ ، إلى كرد بن مرد بن صمصمة بن حرب بن هوازن . وكل هذه الأنساب محاولات من الأكراد للاتصال
بالنسب العربي ، ولكن الثابت أنهم من الجنس الإيراني (راجع Eno. Isl. Art. Kurds) . ولا يشار إلى
المراجع هنا بأكثر من هذا ؛ أما مكان الطبع وزمانه ، وتعيين المخطوطات ، وسائر المعلومات الأخرى ، فهي واردة
في قائمة المراجع المذكورة في المقدمة .

(٢) انظر حاشية رقم (١) في الصفحة التالية .

إلى حميد بن زهير بن الحارث بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب^(١) . وهم قبائل : منهم الكورانية بنو كوركأن ، والهذبانة ، والبشتوية ، والشاهنجانة ، والسرحلية ، واليزولية ، والمهرانية ، والزرزارية ، والكيكانية ، والحاك ، واللو ، والنبلية ، والروادية ، والديسنية ، والهاكارية ، والمجندية ، والورجكية ، والمروانية ، والجلالية ، والشنيكية ، والحوبي . وترجم المروانية أنها من بني مروان بن الحكم بن أبي العاص ؛ وترجم بعض الهاكارية أنهم من ولد عتبة بن أبي سفيان صخر بن حرب . وأحياء الأكراد تكثر عن الإحصاء ، غير أنهم جميع . أحيائهم كانوا مقيمين بفارس ، فكانوا يزيدون على خمسمائة ألف بيت شعر ، يخرج من البيت الواحد نحو العشرين ، وكانوا ينتجعون المراعى فى الشتاء والصيف ، ويجبال كوران ...^(٢) .

(بجبة عجزيات صفحة العنوان)^(٣)

أولاً — المصيرين (كذا) ، بمصر وأعمالها ، ينسبون إلى عبد الله بن عمر بن الخطاب . قال

(١) العبارة المبثقة بقض "عمرو" فى الصفحة السابقة ، والمنية بكلمة "كلاب" هنا ، موجودة هامش صفحة العنوان . وسبب ذلك سفلة كتابية من المؤلف ، تداركها هو بمطالعته عند مراجعة الكتاب ، وأشار إليها بعلامة بين سطور المتن للدلالة على مكانها المناسب لها . ونسخت من ملوثة بأشياء هذا الهامش ، فكان منها نتيجة سفلات الكتابة ، ومنسقة مع عبارة المتن أدرج فيه ، وما كان منها تفسيراً أو شرحاً لعبارة المتن ، أو كانت غير متسقة تماماً معه ، وضع فى حاشية فى آخر الصفحة بنصه .

(٢) معظم هذه الأسماء وارد فى المراجع الثلاثة المشار إليها فى حاشية رقم ١ ، ص ١٤ ، وقد أكتفى هنا بضمط البعض الذى عنى القريرى بضمطه . وسيعاين دائماً على ضبط المؤلف بغير تنبيه ، إلا إذا كان هناك ما يقتضى ذلك ، أو كان خطأ فيه إله به إصلاحه . على أنه كثيراً ما يحتاج إلى ضبط كلمات أخرى لزيادة التوضيح . انظر أيضاً القريرى : المراغط والاختصار ج ٢ ، ص ٢٢٢ — ٢٢٣ ، حيث بعض هذه الأسماء وارد بمرم تخالف .

(٣) على هذا هامش تصدرت قراءته ، وهو بالزوارية الجنوبية اليسرى من الصفحة . والمقابلة بين ما كتب القريرى هنا فى الأكراد وبين ما جاء فى المسالك والممالك لابن حوقل ، ص ١٨٦ ، يحمل على الاعتقاد بأن صاحب السلك نقل بضمط من ابن حوقل ، أو أنها ما نقلت من مرجع واحد . وهذا ما ورد فى المسالك والممالك بعد ذكر فروع الأكراد : — "ويزيدون على خمسمائة ألف بيت ، ويخرج من الحى الواحد ألف فارس ، وأقل من ذلك وأكثر ، ينتجعون فى الشتاء والصيف المراعى ، إلا القليل منهم على حدود الصدود ... " .

(٤) بقية محتويات صفحة العنوان هذه هوامش مبثورة فى فراغها بلا ترتيب ، وليس بينها وبين ما هو وارد فى متن الصفحة انساق أو ارتباط . وأحدنا تاريخي ، والباقى يظهر أنه دليل على من ملك الكتاب أو حازه أو اطالع عليه ، وقد أثبتت كلها فى الصلب تحت نظام عددى بحث (انظر الصورة الشمسية) . وفى س هوامش عدة بغير خط المؤلف سببه إليها دائماً ، أما الهوامش الواردة بمطالع فليست بحاجة إلى هذه الإشارة .

الشریف النسابة محمد بن أسعد الجوافی فی کتاب الجوهر المکنون فی القبائل والبطون :
 ”وهم یكذبون فی ذلك لأن أنسابهم لا تنضیل به ، وقد لقیئت منهم جماعة وعرفتهم كذبهم
 بطرائق علمیه و غیرها ، وعلى قدر اتساع الأوقات“ . [و] قال : ”وأمر هؤلاء المتمین إلى ولد
 عبد الله بن عمر یحتاج إلى دلیل ، وإلا فهو قول من الأفاویل الداخله فی الأباطیل“ .^(١)

• ثانیاً — الحمد لله ، وبه أكتفی من عوادى الدهر فی نوبه ، أقل عید الله تعالى محمد
 بن أحمد بن إیمان العلائی الدوادار الحنفی ، عامله ربه بحفی لطفه الجلی والخفی .^(٢)

ثالثاً — بُلیت بحظ ما ارتفع إلا انضجع ، ولا قام إلا سرسباً ووقع ، ولا استوی
 إلا التوی ، [ولا ارتفع إلا] انحط و[هوى] ، ولا [تیسر] إلا تعذر ، ولا تبته إلا وعن قليل
 رقّد ، ولا نشط إلا تحبط وهبط :^(٣)

• لمعرك ما عدمت لواء محمد • ولا كل الجواد عن السياق
 ولكنی بُلیت بحظ مسوء • كما تبلى الملیعة بالطلاق^(٤)
 رابعاً — ملكه محمد المقریزي •^(٥)
 خامساً — قید شد فی سنة ١١٣٧ [هـ] .^(٦)

(١) هذا هو الهاشمی التاریخی وهو وارد فی الجهة اليمنی الجنوبية ، ولقطة العدرین واردة هكذا منصوبة ومشككة .
 (٢) من بحفی •

(٣) عبارة هذا الهاشمی مكتوبة بخط مخالف . أما محمد بن أحمد بن إیمان العلائی الأصل القاهری الحنفی ،
 والمولود سنة ٨٣٧هـ (١٤٣٣م) ، فهو أحد أبناء المالیك القرن جموعاً بین ولاية المناصب والاشتغال بالعلم . تولی وظيفة
 الدوادار للأمر برسبای قرأ رأس نوبة التوب فی عهد السلطان الملك الأشرف قايتباي • وكان شديد العناية بقراءة
 النفاص من كتب العلم والتاریخ ؛ ومطالعة كتاب السلوك ، أو امتلاكه إياه وهو الأرجح ، دلیل واضح على هذا .
 (الساخري : الفناء الرابع : المجلد الثاني ، القسم الأول ، ص ٧ والمجلد الثالث ، القسم الثاني ، ص ٣٩٨ ؛ ابن إياس :
 بدائع الزهور ، ج ٢ ، ص ٢١١ ، ٢١٧ ، ٢١٨) •

(٤) اعترى بعض ألقاب هذا الهاشمی ما عاها ، وقد وضعت الألفاظ التي بین الأقواس المربعة على سبیل الترجيح .

(٥) هذه الجملة مكتوبة بخط مخالف . ومحمد هذا هو ابن أبي المؤلف (راجع ابن تقيي بردي : النجوم
 الزاهرة ، ج ٧ ، ص ٢٧٨) •

(٦) عبارة تركية معناها صار تقييده في السنة المذكورة ، وهي بخط مخالف •

سادسا — الحمد لله على نعمه ؛ أَنَّهُأُو [كذلك ما بعده ؟] مطالعة ، داعيا لمؤلفه
بالرحمة والرضوان ، ولما لك بالسيادة وطول العز ، محمد المدعو عمر بن فهد الهاشمي ، إلى
(١)
[رابعه سنة ٨٤٦هـ]

(١) ما بين الأقواس يماض تقريرا في الأصل ، على أنه يوجد في آخر القسم الثالث من الجزء الرابع من الضوء اللامع
للسخاوي ما يشبه هذه العبارة في أسلوبها . أما محمد بن فهد الهاشمي المشهور بسم ، والمذكور في الضوء اللامع في حرف
العين ، فهو سليل أسرة مكية مجيدة ، توارثت الاشتغال بعلم الحديث . وله عمر هذا بمكة في سلخ جمادى الثانية سنة ٧١٢هـ
(٨ نوفمبر سنة ١٤٠٩م) ، وتوفي بها في ٧ رمضان سنة ٨٨٥هـ (١٠ نوفمبر سنة ١٤٨٠م) . على أنه تنقل في مدن
مصر والشام واليمن والجزائر غير مرة ، مشغلا بالحديث والتراجم . وقد روى عنه المقرئ في فضل البيت الحرام .
أما عن سنة ٨٤٦هـ (١٤٤٢م) المندرجة آخر هذه العبارة ، فإن ابن فهد كان فيها مقيا بمكة حسبا جاء في الضوء اللامع ،
ولم يأت إلى القاهرة حتى سنة ٨٥٠هـ (١٤٤٦م) . ولما كان من المقرئان المقرئى أقام بمكة حتى سنة ٨٣٩هـ
(١٤٣٥م) فقط ، وتوفي بالقاهرة سنة ٨٤٥هـ . فليس يبعد أن تخاب السلوك حل إلى مكة بعد ما ملكه محمد المقرئى
ابن أنى الخريف (السخاوي : الضوء اللامع ، الجزء الثالث ، القسم الثاني ، ص ٢٦٥ ، ٢٦٦) .

(٣ ب) بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ الله المسعان^(١)

- (قل اللهم، مالك الملك، تؤتي الملك من تشاء، وتنزع الملك ممن تشاء، وتجزع الملك من تشاء، وتمن من تشاء، وتؤتي من تشاء، بيدك الخير، إنك على كل شيء قدير. تولى الليل في النهار، وتولى النهار في الليل، وتخرج الحي من الميت، وتخرج الميت من الحي، وترزق من تشاء بغير حساب).
- فسبحان الله من إله حكيم قادر، ومليك مقتدر قاهر، يعطي العاجز الحقير، ويمنع البطل الأبد الكبير، ويرفع الخامل الذليل، ويضع ذا العز المنيع والمجد الأئيل، ويمنع المحقر الطريد المحقر الشريد، ويذل أولى الحد الحديد، والعدّ العديد، وأرباب الألوية والبند، ومالكي أزمّة العساكر والجنود، ويؤتي ملكه من لم يكن شيئاً مذكوراً، ولا عرف له أباً نبياً وجداً مشهوراً، بل نشأ كلاً على مولاه وخادماً لِسِوَاهُ، تَجِبُهُ وَتُسَوِّهُ النَّاسُ، ولا يراه سائر الأجناس، لا يقدر على نفع نفسه فضلاً عن الغير، ولا يستطيع دفع ما ينزل به من مساءة وضير، عجزاً وشقاء ونحولاً واختصاصاً؛ ويتزع نعمت الملك من تها به أسد الشرى في غيها، وتخضع لجلالته عاة الأبطال يَظْلَهُ وَقَطِيفُهَا، وتضع خَيْرُوانة سلطانه حماة الكاة بجمعها وجميعها، وتذل لسلطوته ملوك الجبابة وأقباها، ويأتمر بأوامره العساكر الكثيرة العدد، ويقتدى بسوائه الخلائق مدى الأبد. والحمد لله على حالتي منعه وعطائه، وابتلائه وبلائه، وسرائه وضرائه، ونعمه وبأسائه، أهل الثناء والمجد، ومستحق الشكر والمجد، (لا يُسأل عما يفعل وهم يُسألون) (بيده ملكوت كل شيء وإليه ترجعون)؛ ولا إله إلا الله الواحد

(١) لا توجد هذه الجملة بعد البسمة في ب (ص ٢ ب)، وإنما يوجد بدلها "وما توفيق إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب" . (رابع المقدمة) . (٢) في س "تؤتي الملك من تشاء" بدون همز (رابع المقدمة) . (٣) الحمد هنا الباس، والحديد الشديد . (٤) هذه الكلمة غامضة في س، وليس لها وجود في ب (ص ٢ ب) . (٥) كذا في س، ب (ص ٢ ب). والوارد في ساجم اللغة قضا وقضيها بالصاد، والقض الحصى الصغار والقضض الكبار، والمعنى أنهم يضمنون جميعاً . (٦) في س لخزوانة . وليس لهذا اللفظ بالحاء وجود في الساجم، أما الخزوانة بالثاء، فمماها الكبير كما في المحيط في مادة خز . (٧) في س دامامره . (٨) في س البنا .

الأحد ، الفرد الصمد ، الذي ﴿ لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفوا أحد ﴾ ، والله أكبر
 ﴿ لا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء ﴾ ، ولا تدرك من عظمته العقول إلا ما أخبر به عنه
 الرسل والأنبياء . وصلى الله على نبينا محمد الذي أذهب به دول أهل الشرك من الأكاسرة ،
 ومحا بشريته عظماء الروم الفياصرة ، وأزال بملكه الأصنام والأوثان ، وأحمد بظهوره بيوت
 النيران ، وجمع له أسود العرب وقد كانت في جزيرتها متفرقة ، ولم يركته شعبتها بعد ما غبرت
 زمانا وهي متفرقة ، (١٤) وألف قلوبها على موالاه وطاعته ، وحُبب اليها المبادرة إلى مبايسته
 على الموت ومتابعته ، فتواصلوا بعد القطيعة والتدابير ، وتحابوا في الله كأن لم ينشأوا على البغضاء
 والتنافر ، حتى صاروا باتباع ملكه ، والاقتداء بشريته ، من رعاية الشاء والبعر ، إلى سياسة
 الجمل الفير ، وبعد اقتعاد سنّام الناقة والقعود ، وملازمة بيت الشمر والعمود ، وأكل
 القيضوم والشيع ، وتزول القفر الفسيح ، إلى ارتقاء المنابر والسرير ، وتوسد الأرائك على
 الحرير ، وارتباط المسومة الجياد ، واقتناء ما لا يحصى من الخدم والعنّاد ، بما فتح الله عليهم
 من غنائم ملوك الأرض ، الذين أخذوهم بالقوة والقهر ، وحووا ملكهم بتأييد الله لهم
 والنصر ، وأورثوها أبناءهم وأبناء أبنائهم ، وأحفادهم وأحفاد أحفادهم . فلما خافوا ما جاهد
 به رسولهم من الهدى ، أحلهم الرزايا المحيطة والردى ، وسلط عليهم من رِعاة الفوضى وأحاد
 الدهماء من ألحقهم بعد الملك بالهلك ، وحطّهم بعد الرفعة ، وأذلّهم بعد المنعة ، وصيّهم من
 رتب السلوك إلى حالة العبد المملوك ، جزاء بما اجتروا من السيئات ، واقترفوا من الكبائر
 الموبقات ، واستحلوا من الحرمات ، واستهوهم به الشيطان من اتباع الشهوات ، وليعتبر
 أولو البصائر والأفهام ، ويغشى أهل النهى مواقع رَمِ الله العزيز ذي الاستقام ، لا إله إلا
 هو سبحانه . (١٥)

(١) في هامش من العبارة التفسيرية الآتية : " الجمل الفير الجماع ، أى ساسوا الناس جميعا " .

(٢) في هامش من العبارة الآتية : " روى وكيع عن كامل أبي العلاء عن حبيب بن ثابت عن عبد الله بن
 عبد الله بن حنيفة قال : قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : " يا مشركين ، إن هذا الأمر لا يزال فيكم حتى
 تعدوا أعمالا تخرجكم منه ، فإذا ضلّ ذلك سلك الله عليكم شرّ خلقه ، فالتصركم كما يتصم القضيبة " .

أما بعد ، فإنه لما سار الله وله الحمد ، بإكمال كتاب عقد جواهر الأسفايط من أخبار مدينة الفسطاط ، وكتاب اتعاط الحنفاء بأخبار الخلفاء ، وهما يشتملان على ذكر من ملك مصر من الأمراء والخلفاء ، وما كان في أيامهم من الحوادث والأنباء ، منذ فتحت وإلى أن زالت الدولة الفاطمية وانقرضت ، أحبت أن أصل ذلك يذكر من ملك مصر بعدهم من الملوك الأكراد الأيوبية ، والسلاطين المماليك التركية والخراسية ، في كتاب يحصر أخبارهم الشائعة ، ويستقصى أعلامهم الذائعة ، ويمحى أكثر ما في أيامهم من الحوادث والمجريات ، غير متعين فيه بالتراجم والوقائع ، لأنني أفردت لها تأليفا بديع المتال بعيد المتال ، فالفت هذا الديوان ، وسلكت فيه التوسط بين الإكثار الممل والاختصار المخل ، وتضمنته كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك . وبالله أستعين فهو المعلن ، وبه اعتضد فيما أريد وأعتمد ، فإنه حسبي ونعم الوكيل .

١٠

(٤ :) ذكر ما كان عليه الكافة قبل قيام ملة الإسلام

اعلم أن الناس كانوا باجمعهم ، قبل مبعث نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، ما بين عربي وعجمي ، سبع أمم كبارهم : الصين وهم في جنوب مشرق الأرض ، والهند وهم في وسط جنوب الأرض ، والسودان وهم جنوب مغرب الأرض ، والبربر وهم شمال مغرب الأرض ، والروم وهم في وسط شمال الأرض ، والترك وهم في شمال مشرق الأرض ، والفرس وهم في وسط

١٥

(١) ليس بدار الكتب الملكية المصرية نسخة من هذا الكتاب . على أنه موجود بمكتبة الدولة ببرلين ، ضمن مجموعة خطية رقما ٩٨٤٥ ، في الجزء التاسع ص ٣٢٦ من كالج المخطوطات العربية بها . ورقم المخطوط في هذه المجموعة ٥٦ .
(٢) طبع لأول مرة من نسخة وحيدة سنة ١٩٠٩ بالقدس الشريف . وقد كتبه ناشره هوجو بونز (Hugo Bonz) مقدمة .

(٣) يقصد المؤلف بهذا كتاب الحقن الذي أراد تأليفه في تراجم حكام ومشهورى مصر في ثمانين مجدا ، ولكنه لم ينجز منه سوى عشرة ، ومن هذه ثلاثة بخطه بخطه محفوظة في مكتبة ليدن هولندية تحت رقم ١٠٣٢ ويزن واحد آخر منها في باريس بالمكتبة الأهلية بالقسم العربي رقم ٤١١٤٤ وربما قصد المقرئ بهذا كتاب دور المغود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة الذي لم ينجزه كذلك . غير أن هذا الكتاب الثاني كان مقصودا على تراجم المعاصرين ، والجزء الأول منه المشتمل على الأسماء من حرف الألف إلى حرف العين موجود بمكتبة مدينة جوتا (Gotha) بألمانيا تحت رقم ١٧٧١ . انظر (Enc. Isl. Art : Makrizi) .

هذه الممالك ، قد أحاطت بهم هذه الأمم الست ^(١) . وكانت الأمم كلها في قديم الدهر ، قبل ظهور الشرائع الدينية ، صفاً واحداً مُسمَّينَ باسمين ممتنين وكلدانيين ^(٢) ، ثم صاروا على خمسة أديان ، وهى الصابئة ، والمجوس ، والذين أشركوا ، واليهود ، والنصارى .

فأما الصابئة فإنها التى تعبد الكواكب ، وترى أن سائر ما فى العالم السفلى المعبود عنه بالحياة الدنيا ناشئ وصادر عن الكواكب ، وأن الشمس هى المفيضه على الكل . وهذا الدين أقدم هذه الأديان ، وبه كان يدين أهل بابل من الكلدانيين ، وإليهم بعث الله نوحاً وإبراهيم ، صلوات الله عليهما . وكانت الصابئة تتخذ التماثيل من الجواهر والمعادن على أسماء الكواكب وتعبدها ، فصلى إليها وتقرب لها القرابين ، وتعتقد أنها تجلب النفع وتذهب السوء . وبقيت منهم بقايا بأرض السواد من العراق وبحرآن والرها ، أدركوا الإسلام وعرفوا بالنبط والبحرانيين ، ولم يبق لهم إذ ذاك ملك منذ ظهروهم فارس ، فلما كانت أيام المأمون أسقطوا عن أنفسهم اسم الكلدانيين ، وتسموا بالصابئين .

وأما المجوس فإنهم الذين يقولون بالهين اثنين ، أحدهما قائل الخير وهو النور ، والآخر قائل الشر وهو الظلام ، ويقال لهم الشنوية أيضاً ، واتخذوا لهم بيوت فيران لا تزال يقصد أبداً ،

(١) هذا التضمين مخالف لما تواتر في كتب جغرافي العرب وديانهم كإلوت (انظر معجم البلدان : ج ١ ، ص ٢٥ — ٣٥) . وقد اتبع المقرئى هنا التضمين المزدكى القائم على أساس تقسيم العالم إلى سبعة أقاليم يقع السابع وهو فارس والبلاد الإيرانية في وسطها . (Blochet : Hist. d'Eg. P. 59, N. 1.) .

(٢) كذا في م س ب وهى مترجمة إلى (Samanéens) فى (Blochet : Op. cit. P. 60) . ويفسر هذه القاموس الفرنسى (Gra. Dict.) بأنها اسم أطلقه كتاب اليونان على بعض منكنة الهند تميزوا لهم عن المرضيين . وهل هذا تكون يضم السين فيه إلى معبد يلة مسمات الذى كان قائماً بشاطئ شبة جزيرة كئناوار بالهند (Enc. Isl. Art. Sūmānāt) . ولم يكن مذهب السنين مقصوراً على الهند ، بل كانت تراسان وفارس والعراق والحصل إلى حدود الشام في القدم على هذا المذهب ، وقد عرف أيضاً بين المسلمين في مصر العباسى . (أحمد أمين : ضئى الإسلام ، ص ٢٤١ — ٢٤٢) . على أن هذا كله لا يوضح عبارة المقرئى ، وقد ورد في الخوارزمى (مفاتيح العلوم ، ص ٢٥) "وكان الناس على وجه الدهر ممتنين وكلدانيين" فالسنيون هم عبدة الأوثان ، والكلدانيون هم الذين يسمون الصابئين ... " .

(٣) فى م س كذا يبال بالذال ، وقد وردت أيضاً فى نفس الصفحة بالذال وهى القراءة المتواترة .

(٤) نسبة إلى بلدة حران الواقعة فى الجنوب الشرقى من مدينة الرها . وقد ساق ابن النديم هذه النسبة فى كتابه (ابن النديم : كتاب الفهرست ، ص ٣١٨) والخوارزمى : مفاتيح العلوم ، ص ٢٥) .

- وكانت إلى هذه النيران صلواتهم وقرايتهم ، ويستقدون فيها الشفع والضرو . وعلى هذا الاعتقاد كانت الأكاسرة ملوك فارس بالعراق . وولد رسول الله صلى الله عليه وسلم في أيام كسرى أنوشروان . وأزال العرب ملكهم في خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، وملكوا منهم المدائن وجلولاء وغيرها ، وقُتِلَ يزيد جرد آخر ملوكهم في خلافة أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضى الله عنه ، ولم يبق بعده قائم من الأكاسرة ، وتمزق الفرس وذهب ملكهم إلى اليوم . وقد تقدم في كتاب عقد جواهر الأسفاط ذكر ملوك الفرس فراجعه .

- وأما الذين أشركوا فإنهم وإن واقفهم الصائبة والمجوس في عبادة التماثيل والنار من دون الله ، فإن العرب الذين بعث الله فيهم نبيا محمدا صلى الله عليه وسلم يقال لهم المشركون سميعة لهم ، واسما لزمهم . وكانوا يعبدون الأصنام والأوثان والطواغيت من دون الله ، فيسجدون ويصلون ويذبحون الذبائح لتماثيل عندهم ، قد اتخذوها من الحجر والخشب وغيره ، ويزعمون أنها تجلب لهم النفع ، وتدفع عنهم الضر . ويستند المشركون مع ذلك (١٠) أن الله سبحانه هو الذى خلقهم ، وهو الذى وجدهم ثم يمتهم ، وهو الذى يرزقهم ، وأن عبادتهم للأصنام وسيلة تقربهم إلى الله سبحانه . وكانوا إذا مسمم الضر في البحر من شدة هبوب رياحه وعظم أمواجه ، وأشرقوا على الهلاك ، نسوا عند ذلك الأصنام التي كانوا يعبدونها ، ودعوا الله يسألونه النجاة . وقد عفا الله ، وله الحمد ، نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم ، الشرك من العرب حتى دخلوا في دين الله أفواجا ، وجاهدوا في الله حق جهاده ، إلى أن ظهر دين الإسلام بهم على سائر الأديان ، وملكوا مشارق الأرض ومقاربها مما تطلوه الدواب ، وتمر فيه السفن . وقد ذكرنا أيضا في كتاب عقد جواهر الأسفاط قبائل العرب وبلطنها ذكرنا شافيا تأملها .

- وأما اليهود فإنهم أتباع نبي الله موسى بن عمران ، صلوات الله عليه ، وكتابهم التوراة . وكلهم أبناء إبراهيم الخليل ، ويعرفون أيضا ببنى إسرائيل ، وهو يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم ، صلوات الله عليهم . وكانوا اثني عشر سبطا ، وملكوا الشام بأسره إلا قليلا منه إلى أن زالت

دولتهم على يد مختصر، ثم على يد طيطش، وجاء الله بالإسلام وليس لهم ملك ولا دولة، وإنما هم أُم متفرقون في أقطار الأرض، تحت أيدي النصارى. وقد ذكرنا أيضا جميع ملوكهم في كتاب عقد جواهر الأسفاط.

وأما النصارى فانهم أتباع نبي الله المسيح عيسى بن مريم، صلوات الله عليه، وكلهم الإنجيل. وجاء الله بالمسيح إلى بني إسرائيل فكذبوه إلا طائفة منهم. ثم انتشر دينه بعد رفعه بدمه، فدخل فيه الروم والقيط والحبيشة وطائفة من العرب، وما زالوا على ذلك حتى جاء الله بالإسلام، فقاتل المسلمون من الصحابة والتابعين رضى الله عنهم هرقل آخر الملوك القيسية وأتباعه حتى ملكوا منه بلاد الشام وأرض مصر، وأخرجوه إلى جزائر البحر. ثم قاتل المسلمون القوط^(١) والجلالة، وملكوا منهم إفريقية والأندلس وسائر بلاد المغرب، وتابعوا الحرب والقتال للروم حتى أخضع ملوكهم، وقام من بعدهم الإفرنج. وقد ذكرنا في كتاب عقد جواهر الأسفاط. وفي كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، جملة من حروب الروم والفرنج المسلمين. وإلى وقتنا هذا ملوك الفرنج ورعيته، وملوك أكثر بلاد الحبيشة ورعيته، يدينون بدين النصرانية.

فهذه، أعزك الله، بيانات أهل الأرض عند (هـ) مبعث نبينا محمد صلى الله عليه وسلم. وكانت الممالك يومئذ على خمسة أقسام: مملكة فارس ويقال لمن ملك منهم كسرى؛ ومملكة

(١) مختصر واسمه في المراجع الأوربية نيوخاد رزارو (Nebuchadrezzar)، هو ملك بابل من ٦٠٤ إلى ٥٦١ ق.م. وقد خربت جيوشه بيت المقدس عاصمة اليهود مرتين، حتى ٥٩٧ و ٥٨٦ ق.م. أما طيطش (Titus) فهو إمبراطور الدولة الرومانية من ٧٩ إلى ٨١ م، وكان قبل ذلك أحد القواد المهمة في الدولة، وعلى يده خُسر بيت المقدس سنة ٧٠ م، في حكم أبيه الإمبراطور فسبسيان (Vespasian). وقد كان طيطش وأبوه قبل أن يصبح إمبراطورا، يشتركان في حرب اليهود منذ أواسط القرن الأول الميلادي.

(Rappoport: History of Palestine, PP. 170, 216-218).

(٢) نسبة إلى جهات جليقية (Galicia) في الشمال الغربي من شبه جزيرة إيبيريا. وقد ساق هذه النسبة ياقوت في تكميل البلدان (راجع ج ١، ص ٣٧٦ وج ٢، ص ١٩٠). والجلالة نسبة جغرافية إلى هذه الجهات، لأنهم من حيث الجنس فطعم سكان جليقية أيام الفتح الإسلامي للأندلس هم صهر السويي (Suevi)، وقد حلوا فيها منذ سنة ٤١١ م، وأسسوا بها مملكة عاشت حتى سنة ٥٨٥ م، حين قضى عليها القوط فاستعالت ولاية قوطية تابعة.

(C'amb. Med. Hist. Vol. II, pp. 170, 259.)

الروم ويقال للملكها قيصر، وكانت الحرب لا تزال بين الروم وفارس ويدهما أكثر المعمورين
ومملكة الترك وكانت ملوكهم تحارب ملوك الفرس، ولم يكن لهم قط فيا بلغنا من أخبلر الخليفة
غلبة على الممالك؛ ومملكة الهند وحسب ملوكهم ضبط ما بيدها فقط؛ ومملكة الصين؛
وأما بنو حارم من الحبشة والنزح والبربر فلم يكن لهم ملك يُعْتَد به .

ذكر القائمين بالملة الإسلامية من الخلفاء

- إعلم أن الله بعث نبينا محمدا بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، صلى الله
عليه وسلم، على رأس أربعين سنة من عمره، فدعا قومه من قريش بمكة ثلاث عشرة سنة،
وهاجر من مكة إلى المدينة فأقام بها عشر سنين، وتوفاه الله وعمره ثلاث وستون سنة، وقد
ذكرنا جملة سيرته في أول كتاب عقد جواهر الأسفاط . فقام بعد وفاته، صلى الله عليه
وسلم، بأمر الإسلام والمسلمين، الخلفاء الراشدون مدة ثلاثين سنة، وعقدتهم خمسة : هم
١٠ أبو بكر الصديق رضي الله عنه، واسمه عبد الله بن عثمان أبي خثافة مدة ستين وثلاثة أشهر
غير خمس ليال؛ وعمر بن الخطاب بن نفيل العدوي مدة عشرين سنة وستة أشهر وأربعة أيام؛
وعثمان بن عفان بن أبي العاصي بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف مدة اثني عشرة سنة
إلا اثني عشر يوما، وقيل إحدى عشرة سنة وأحد عشر شهرا وأربعة عشر يوما، وقيل
ثمانية عشر يوما؛ وعلي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم مدة أربع سنين وتسعة أشهر
١٥ وستة أيام، وقيل ثلاثة أيام، وقيل أربعة عشر يوما؛ والحسن بن علي بن أبي طالب مدة
خمسة أشهر ونحو نصف شهر، وقيل ستة أشهر، وبه تمت أيام الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم .
وصارت الخلافة ملكا عضوضا، أي فيه عسف وعنف، وانتقل الأمر إلى بني أمية .
وأول من ولي منهم معاوية بن أبي سفيان، واسمه محضر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن
عبد مناف، ومدته تسع عشرة سنة وثلاثة أشهر، وقيل ثلاثة أشهر إلا أياما . وقام من بعده
٢٠ ابنه يزيد بن معاوية مدة ثلاث سنين وستة أشهر، وقيل ثمانية أشهر، وقيل غير ذلك، وليس
بشيء . فولي بعده معاوية بن يزيد بن معاوية ثلاثة أشهر، وقيل أربعين يوما . وقام بعد يزيد

أيضا عبد الله بن الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد المزي بن قصي بالجزاز، وخالف عليه مروان بالشام، فكانت مدة ابن الزبير إلى أن قتل بمكة تسع سنين. وقام بعد معاوية بن يزيد بالشام مروان بن الحكم بن أبي العاصي (١٦) بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، مدة عشرة أشهر. وقام من بعده ابنه عبد الملك بن مروان، واستعمل الججاج بن يوسف الثقفي على حرب عبد الله بن الزبير قتله، وأقام عبد الملك بعد قتله ثلاث عشرة سنة وأربعة أشهر إلا سبع ليال. وقام بعده ابنه الوليد بن عبد الملك مدة تسع سنين وسبعة أشهر. وقام بعده أخوه سليمان بن عبد الملك سنتين وثمانية أشهر وخمسة أيام، وقيل إلا خمسة أيام. وقام بعده عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم سنتين وخمسة أشهر. ثم قام بعده يزيد بن عبد الملك بن مروان مدة أربع سنين وشهر وأيام. وقام بعده أخوه هشام بن عبد الملك تسع عشرة سنة وقسمه أشهر وواحد وعشرين يوما، وقيل ثمانية أشهر ونصف. وكان قد اتخذ طرازاً له لقتله، واستكثر منه حتى كان يحمل ما أثرت به من طرازه على سبعمائة رجل. فهذه ثيابها التي لبسها، فكيف بما كان عنده مما لم يلبسه؟ فقام من بعده الوليد بن يزيد بن عبد الملك، ويعرف بيزيد الناقص، مدة ستة وثلاثة أشهر، وقيل وشهرين وأثنين وعشرين يوما. فبويع بعده ابنه يزيد بن الوليد، وفي أيامه اضطربت الدولة، وولى مدة خمسة أشهر وأياما. فقام بعده أخوه إبراهيم بن الوليد مدة أربعة أشهر، وقيل سبعين يوما، ولم يتم له أمر. وقام بعده مروان بن محمد بن مروان بن الحكم، ويعرف بمروان الجعدي وبمروان الحمار. وفي أيامه ظهرت دولة بني العباس، وحاربوه حتى قتلوه بأرض مصر، وله في الخلافة منذ بويع خمس سنين وعشرة أشهر وستة عشر يوما. وانقرضت بمقتل مروان دولة بني أمية. وقامت من بعدها دولة بني العباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف مدة خمسمائة سنة وثلاث وعشرين سنة وعشرة أشهر وأيام، فيها أفرقت كلمة الإسلام، وسقط اسم العرب

(١) قس واحد. (٢) كما في نس هذا ضبط. وفي محيط المحيط: أثرف الشيء ترك فيه أثرا، قتل الماردهما ما أصعبه الخليفة من النجاس. وقد ترجم هذا القفظ معنى آخر أي اختار في (Blochet: Op. cit. P. 67.)

- من الديوان، وأدخل الأتراك في الديوان، واستولت الديلم ثم الأتراك، وصارت لهم دول عظيمة جدا، واطسمت ممالك الأرض عدة أقسام، وصار لكل قطر قائم يأخذ الناس بالعسف ويملكهم بالقهر. وكان أول من قام من خلفاء بني العباس السفاح، واسمه عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس، مدة أربع سنين وثمانية أشهر ويوم. وكان سرعا إلى سفك الدماء، سفك ألف دم فاتبعه عماله في الشرق والغرب في فعله، وكان مع ذلك جوادا بالمال، فاقتدى به في ذلك عماله أيضا. ثم [ولي بعده] أخوه أبو جعفر المنصور، واسمه أيضا عبد الله بن علي، فأقام مدة إحدى وعشرين سنة وأحد عشر شهرا. وهو أول من أوقع الفارقة بين ولد العباس وولد علي بن أبي طالب، وكان قبل ذلك أمرهم واحدا، وهو أول خليفة قرب المنجمين، وعمل بأحكام النجوم، وأول خليفة تربحت له الكتب من اللغات، وأول خليفة استعمل مواله وغلمانه في أعماله، وقدمهم على العرب، فاقتدى به من بعده من الخلفاء، حتى سقطت قيادات العرب، وزالت رياستها، وذهبت مراتها. وكان قد نظر في العلم، فكثرت في أيامه روايات الناس واتسعت علومهم. فقام بعده ابنه المهدي أبو عبد الله محمد [مدة] عشر سنين وشهر ونصف، وكان سخيا جوادا، فسلك الناس في ذلك مسلكه، واتسموا في معاشهم، وأمن في قتل الملحدين لظهورهم في أيامه، واتسار كتبهم، وهو أول من أمر بتصنيف كتب الجدل في الرد على الزنادقة والملحدين، فصنفت في أيامه، وعمر مسجد مكة والمدينة والقدس. ثم ولي بعده ابنه الهادي بالله أبو محمد موسى سنة وثلاثة أشهر، وكان جبارا، وهو أول من مشى الرجال بين يديه بالسيوف المرفعة، والأعمدة المشهرة، والقيس الموترة، فاقتدى به عماله، وكثر السلاح في محضره. فقام بعده أخوه هارون بن محمد الرشيد، مدة ثلاث وعشرين (٣٦) سنة [و] شهرين وثمانية عشر يوما، وقيل وشهر وستة عشر يوما، وكان مواظبا على الحج، متابعا للفتوة، واتخذ المصانع والآبار والبرك والقصور بطريق مكة، وبمكة ومنى وعرفات والمدينة النبوية،
- (١) في س ادخل بالحاء المهملة وبني ضبط، وفي محيط المحيط: دخل وأدخل دخل في الفعل وهو القرب الذي فيه شيق وجوفه مشق.
- (٢) جمع مصنع وهو كالخضر يجمع فيه ماء المطر. والمصانع أيضا القرى والمبانى من القصور والحصون (محيط المحيط).

وعلم الناس إحسانه وعدله ؛ وبني الثغور ، ومدن المدن ، وحصن فيها الحصون ، مثل طرسوس وأدنه ؛ وعمر المصبصة ومرعش وغير ذلك ، فاقتدى الناس به . وهو أول خليفة لعب بالصوالة في الميدان ، ورعى بالنشاب في البرجاس ، ولعب بالكرة ، ولعب بالشطرنج ، وقرب أرباب هذه الأمور ، وأجرى لهم الأرزاق ، فاقتدى به الناس . وكانت أيامه كأنها من حسنبا أعراس . فبوج بعده ابنه الأمين محمد بن هارون ، وأقام أربع سنين وثمانية أشهر وخمسة أيام ، فقدم الخدم ، ورفع منازلهم ، وشُفِّف بهم ، فاتخذت له أمه الجوارى العلاميات ، فاتخذ الناس في أيامه [ذلك] . فقام من بعد أخوه المأمون عبدالله بن هارون ، مدة اثنتين وعشرين سنة منذ سُلِّم عليه بالخلافة ، ومدة عشرين سنة وخمسة أشهر وثلاثة أيام ، وقيل وخمسة وعشرين يوما ، بعد قتل أخيه . وكان أولا ينظر في أحكام النجوم ويعمل بموجبها ، ويكثر النظر في كتب القدماء من الحكماء ؛ فلما قدم بغداد أعرض عن ذلك كله ، وقال بأقوال المعتزلة ، وقرب أرباب العلوم ، وطلبهم من الآفاق ، وأجرى عليهم الأرزاق ، فرغب الناس في العلوم الجسدية ، وصنف كل أحد فيها ما ينصر به مذهبه ؛ وكان كريما عفوا ، فاقتدى الناس به في أحواله كلها . وقام بعد المأمون أخوه المعتصم بالله أبو إسحاق محمد بن هارون ، مدة ثمانى سنين وثمانية أشهر وثمانية أيام ، وهو أول من أدخل الأتراك الديوان ، وكان أميا لا يقرأ ولا يكتب ، وكان يغلب عليه الفروسية ، ويتشبه بالعجم في عامة أحواله وقام من بعده ابنه الواثق بالله أبو جعفر هارون بن محمد ، مدة خمس سنين وتسعة أشهر وستة أيام . وفى أيامه كانت المحنة ؛ وكان كثير الأكل ، واسع الطعام . فقام من بعده المتوكل على الله جعفر بن المعتصم ، مدة أربع عشرة سنة وتسعة أشهر وثمانية أيام ؛

(١) في ص "واذ" ، وباقي الحروف غير ظاهر . (٢) في ص بالنسب .

(٣) كثناس ، ص (ب ١٦) . والعلاميات الجوارى يُسَمَّن لياس النلبان (Dozy : Supp. Diet. Ar.) .

(٤) بقية هذه العبارة لم تيسر قراءتها تماما . على أنه من المحتمل أن تقرأ هكذا "وكان لهم الضب ، فكثروا في ... " .

(٥) يشير المؤلف هنا إلى محنة خلق القرآن ، التي اشتد أوارها في عصر المأمون والمعتصم والواثق ، والتي كان من ضحاياها في عهد الواثق أحمد بن نصر (راجع الطبري : تاريخ الرسل والملوك ، ج ٣ ، ص ١٣٤٣ - ١٣٥٠) .

- وقتل الأتراك ، وتمكوا من حيل في ممالك الدنيا^(١) . وهو الذي رفع الحنة ، ونهى عن الجدل وعاقب عليه ، وأمر بإظهار رواية الحديث . وأقاموا بعده ابنه المتصر محمد بن جعفر ، مات بعد ستة أشهر تنقص أياما . وأقيم بعده المستعين بالله أحمد بن محمد المعتصم ، فأقام ثلاث سنين وثمانية أشهر وثمانية وعشرين يوما ، وخلعه الأتراك وعذبوه ، ثم قتلوه بعد تسعة أشهر من خلعه . والمستعين أول من أحدث لبس اليكاف الواسعة ، فجعل عرضها نحو ثلاثة أشبار ، وصغر القلائص وكانت قبله طولا . وأقيم بعده المعز بالله محمد بن المتوكل ، ثم خلعه الأتراك وعذبوه بالضرب حتى مات ، فكانت خلافته مدة ثلاث سنين وستة أشهر وواحد وعشرين [يوما] ، وقيل وأربعة وعشرين يوما . وهو أول خليفة أحدث الركوب بحيلة الذهب ، — وكان من قبله من خلفاء بني أمية وبني العباس يركبون بالحلي الخفيفة من الفضة في المناطق — واتخذ السيوف والسروج واللحج ، فلما ركب المعز بحيلة الذهب تبعه الناس في فعل ذلك . وأقيم بعده المهتدي بالله محمد بن الواثق ، ثم قتل الأتراك بعد أحد عشر شهرا وتسعة عشر يوما . وأقيم بعده المعتد بالله أحمد بن المتوكل ، فغلب الأتراك ، واستبذ عليه أخوه الموفق بالله أبو أحمد طلحة ، وخرج في أيامه صاحب الزنج^(٢) ، فخاربه الموفق أعواما كثيرة . ثم مات [الموفق] بعد قتله صاحب الزنج ، فاختلفت أمور المعتد وقُتِل ، وكانت مدته اثنتين وعشرين سنة وأحد عشر شهرا وخمسة عشر يوما . وهو أول خليفة قهر وهجر عليه وكل به . فقام من بعده المعتضد أحمد بن الموفق طلحة واستبذ بالأمر ، وخرجت القرامطة في أيامه ، ومات وله في الخلافة مدة عشر سنين وتسعة أشهر وثلاثة أيام ، وقيل تسع سنين وسبعة

(١) إزاء هذه العبارة في س هامش على ورقة منفصلة ، وهو يشتدل على آراء متقدمة في أصل في نوبه . ويظهر لاحقا هذه الورقة قصد أن يضما تجاه ما ورد في الكتاب عن دولة بني بويه ، ولهذا الاحتمال أدبى إيراد هذا الهامش حتى يبيح . ما في صلب الكتاب عن هذه الدولة (انظر ص ٢٣) .

(٢) "اليكاف جمع كمة وهي نوع من القلائص" . عن هامش بهذا الضبط في س .

(٣) في س واحد . (٤) أطلقت هذه التسمية على زعيم تلك الثورة العلوية ، وهو علي بن محمد بن عبد الرحمن ، لأنه "جمع إليه الزنج الذين كانوا يكسحون الساج" بالبصرة (راجع الطبري : تاريخ الرسل والملوك ج ٣ ، ص ١٧٤٣ — ٢١٠٣) .

- أشهر واثنين وعشرين يوما . ولما مات كفن في ثوبين قيمتهما ستة عشر قيراطا . فولى بعده ابنه المكشفي بالله على^١ ، وجَدَّ في حرب القرامطة وهزمهم ، وأزال دولة بني طولون من مصر والشام ، ومات وله مئة ست سنين وستة أشهر وستة عشر [يوما] ، وقيل تسعة عشر يوما . فأقيم من بعده أخوه المقتدر بالله جعفر ابن المعتضد ، وعمره ثلاث عشرة سنة وشهران وثلاثة أيام ، لم يبلغ الحلم . (١٧) وهو أوَّل من ولى الخلافة من الصبيان ، فغلبت على أموره النساء والخصيان ، وأكثر من قتل الوزراء وتغييرهم ، فاضطربت عليه الأمور ، فلم يَمُ يوم غير أربعة أشهر . وخُلع بعد الله بن المعتز ، ثم قُتل ابن المعتز بعد يوم ليلة . وأعيد المقتدر ، وخرجت القرامطة في أيامه ، وأخذوا الحجر الأسود من الكعبة إلى بلادهم ، وخرج عليه أيضا الديلم ، وظاهر عبيد الله المهدي بإفريقية ودعا لنفسه ، وقطع دعوة بني العباس من بلاد المغرب وبرقة . ثم إن المقتدر خُلع مرة ثانية ، وأقيم بدله القاهرة بالله محمد بن المعتضد . ثم أعيد المقتدر ، وظلب عليه أصحاب الدواوين ، ولم يجعلوا له أمرا ينفذ ، وصارت مثل القهرمانة إحدى جواريه تجلس للظالم ، ويحضرها الوزراء والقضاة والفقهاء . وفي أيامه انقطع الحج ، وكثر الهزل والجوع ، وأمره أنه قتل بعد ما أقام في الخلافة أربعين وعشرين سنة وشهرين وعشرة أيام ، وقيل واحد عشر شهرا وأربعة عشر يوما ، عند ما خرج على الجند وقد شَقُّوا وهو مشح بالبردة النبوية ، فقتل وتلوث بالدم . فقام من بعده القاهرة بالله محمد بن المعتضد ، ثم خُلع وتُكل بمسجار ، وقد حُمي في النار مرتين ، حتى سالت عيناه ، بعد سنة وستة أشهر وثمانية أيام . وآل أمره أن كان يقوم يوم الجمعة بالجامع ، ويسأل الناس فيقول : " يا معاشر الناس ، أنا بالأمس كنت خليفةكم ، واليوم أسألكم ما في أيديكم " ، فَيُصَلِّق عليه . وقام من بعده في الخلافة الراشدة بالله محمد بن المقتدر ، وفي أيامه استولى الروم على عامة الثغور ، وكان مغلوبا عليه مع مواليه ، لا يقدر على شيء ، ومات بعد ست سنين وعشرة أشهر وعشرة
- (١) في سن وعشرين . (٢) في سن "واستمر" . (٣) ضبط هذا الاسم هكذا فضلا من ناسر ابن مسكويه (القسم الأخير من كتاب تحارب الأمم ، ج ١ ، ص ٨٤) . راجع أيضا الجزء الأول من الترجمة الإنجليزية للكتاب عنه ، ص ٩٣ ، حيث يرد اسم هذه القهرمانة مقربا (Thumal) .

أيام ، وقيل وتسعة أيام من خلافته . والراضى آخر خليفة له شعر مدون ، وآخر خليفة انفراد
بتدبير الجيوش والأموال ، وآخر خليفة بنى ، وآخر خليفة خطب يوم الجمعة ، وآخر خليفة
جالس الندماء ، ووصل إليه العداء ، وآخر خليفة كانت ثقته وجوازه ، وعطاياه وخدمه ،
وجراياته ونزائمه ، ومطابخه وشرابه ، ومجالسه ومجابه وأموره ، جارية على ترتيب الخلافة
الأول ، وآخر خليفة سافر بزي الخلفاء القدماء ، وقد سافر بعده المتى والطائع . ثم قام بعده
آخره المتى لله إبراهيم بن المقنتر ، وكان خيراً عابداً ، وفى أيامه تغلب بنو حمدان على الجزيرة
والشام ، وكثر الاختلاف عليه ، فغلبه توزون الترك ، وكله كما كل القاهرة ، ثم حسبه مع
القاهر وهما مكحولان ، فقال القاهر :

صرتُ وإبراهيم نَحْيَ عَمِي • لا بد للنَّحْيِ من صَدِيرِ^(١)

١٠ ما دام توزون له إمرة • مطاعة فالليل فى البحر

وكان ذلك بعد ثلاث سنين وأحد عشر شهراً ، ومات بعد خلعهم بخمس وعشرين سنة .
وقام من بعده لما خَلِيع^(٢) ، المستكنى بالله عبد الله بن المكتنى ، فاستولت الديلم على البلاد ،
ووقع الاختلاف عليه ، فقيض وكُمل على يد معز الدولة أحمد بن بويه ، فكانت أيامه سنة
وأربعة أشهر ويومين . وأقيم من بعده المطيع لله الفضل بن المقنتر ، فأقام تسعاً وعشرين سنة
وأربعة أشهر وواحدًا وعشرين يوماً ، ليس له سوى الاسم ، والمدبر للأُمور معز الدولة ، وقد

١٥ فرض لشققة المطيع فى كل يوم مائتى دينار . وفى أيامه قدمت عساكر المعز لدين الله أبى عمير
معد إلى مصر ، وانقطعت الدعوة العباسية من مصر والشام . وأقام [المطيع] إلى أن خلع
نفسه ، وأقام ابنه الطائع لله عبد الكريم ، فكث [الطائع] سبع عشرة سنة وتسعة أشهر
(١) فى س الدماء . (٢) التَّهْ وَالنَّهْ الْبَقَرُ الدَّامِلُ وَالْمُجَرُّ ، وَأَمَّا الصَّدْرُ فَهُوَ مَصْدَرٌ مِنْ صَدْرٍ ، فَيَقَالُ
صَدْرُ فُلَانٍ بِمِثَرِهِ أَيْ شَدَّ حَبْلًا مِنْ حِزَابِهِ إِلَى مَا وَوَاءَ الْكَرْكُزَةِ (محيط المحيط) .

(٣) إلى هذا هاشم فى س ، ولما لم تستقم عبارته تماماً مع المتن روى إيرادها وهو : "فَطَلَبَ [المستكن]
الفضل بن المقنتر إلى بيتها من الداراة ، ففزع [الفضل] إلى أحمد بن بويه ، فأراه إلى أن مات توزون ، [ثم] أقدم به
بفساد . وكان المستكن يظهر بالتشيع وموالاة على بن أبى طالب ، وقد نُحِّلَ أيضاً ، فَنُحِّلَ صَدْرُ النَّحْيِ الَّذِي قَالَ
القاهر فى شعره"^(٤) . (٤) فى س قسمة . (٥) فى س واحد وعصرين .

وسنة أيام محكوما عليه بنى بُوَّه، ثم خَلَعَ وحس فقيرا ذليلا حتى مات . وكان [الظاهر] كثير الانحراف على آل علي بن أبي طالب ، وسقطت الهبة في أيامه حتى هجمه الشعراء وطولوا . وقام من بعده القادر (٧ ب) بالله أحمد بن إسحاق بن المقتدر ، فأقام إحدى وأربعين سنة وثلاثة أشهر ، وقيل ثلاثا وأربعين سنة وثلاثة أشهر وأحد عشر يوما ، وكان دينًا بازا [بأهله] وبالطالبيين . وفي أيامه عظمت الديلم والباطنية ، واشتهر مذهب الاعتزال ، ومذاهب الباطنية والرافضة ، وانتشر ذلك في الأرض . وفي أيامه ظهر السلطان بين الدولة محمود ابن سُبُكْتِكِين ، وغزا الهند . وقام من بعده ابنه القائم بأمر الله عبد الله ، فثار عليه أرسلان البساسيري ، وصار يُدْعَى له على منابر المراق والأهواز ، فكتب القائم إلى السلطان طُغْرُكُوكَ ابن ميكايل بن سلجوق التركاني ، أول ملوك بني سلجوق ، فقدم بغداد وفز منه البساسيري بن معه من الأتراك ، وانتمى إلى المستنصر بالله محمد بن الظاهر الفاطمي صاحب مصر ، فأمده بالأموال حتى أخذ بغداد ، وقطع منها دعوة بني العباس ، وخطب للمستنصر بها نحو سنة ، والقائم عبوس . ثم قدم طغرلوك وأعاد القائم إلى الخلافة ، وقتل البساسيري ، وتحكم في سائر الأمور ، فلم يزل القائم في الخلافة حتى مات ، وله مدة أربع وأربعين سنة وثمانية أشهر . وكان دينًا خيرا كثير الصلاة ، إلا أنه كان كثير الإصغاء إلى من يشير عليه . فانفق أن وزر له رجل من سوقة بغداد يعرف بابن السلة^(٦) ، فحسن له مجي الفز ، لأنه كان منحرفا عن الشيعة ،

(١) يمكن قراءة هذه الكلمة في "أديا" ، وقد اعتبرها كاتب نسخة ب هكذا (ص ١٨) . غير أن التبريد هو الصفة التي امتاز بها القادر من معظم خلفاء العباسيين ، فقد جاء فيه "أنه سلك من طريق الزهد والورع ما تقدمت فيه خطاه . فكان راهب بن العباس حقا وزاهدا همد سقا ، ساس الدنيا والدين ، وأغاث الإسلام والمسلمين" . (انظر الروذراوي : ذيل تلخيص تجارب الأمم ، ص ٢٠٧) . (٢) ليست موجودة في س ، ولكنها في ب (ص ١٨) . (٣) هكذا ضبطها ماربلوث في ترجمته لكاتب ابن مسكويه (القسم الأخير من كتاب تجارب الأمم ، ج ٢ من الترجمة ، ص ١٢٠ ، وكذلك الفهرس في مادة (Subuktakīn) . أما في س فهي سُبُكْتِكِين بهذا الضبط . (٤) في س التماسيري وأحيانا بلا قطة على الفين (راجع ابن الأثير . الكامل في التاريخ ، ج ٩ ، ص ٢٩٨) . (٥) هكذا ورد في ابن الأثير (تقس المرجع ، ج ٩ ، ص ٣١١) ، وهو في س ميكال . (٦) كذا في س بشر ضبط ، وقد نقلها كاتب نسخة ب بشاء مفتوحة (ص ١٨) ، غير أنه ليس في وزراء القاسم ، حسبما جاء في ابن الأثير ، من تسمى بهذا الاسم . وهذا ما ورد في ابن الأثير (تقس المرجع ، ج ١٠ ، ص ٦٤ - ٦٥) : "وروز القائم أبو طالب محمد بن أيوب ، وأبو الفتن بن دارست ، ورويس الرؤساء ، وأبو نصر بن جهير..." ولعل المقرئ قد قصد ابن دارست ، ولا سيما أنه كان في أول أمره تاجرا (تقس المرجع ، ج ١٠ ، ص ٩) .

- فكانتهم القائم، فلما جاءوا كان من أمرهم وأمر الساساني ما كان . وقام من بعده المقتدى بأمر الله عبد الله بن ذخيرة الدين محمد بن القائم ، فلم يكن له سوى الاسم ، لا يتعدى حكمة بابه ، والتدبير إلى ملك شاه بن عضد الدولة ، وأقام على ذلك تسع عشرة سنة وثمانية أشهر غير يومين ، وقيل إلا خمسة أيام . وأقيم بعده ابنه المستظهر بالله أحمد ، فأقام محكوما عليه نحسا وعشرين سنة ، وقيل أربعا وعشرين سنة وثلاثة أشهر وواحدا وعشرين يوما ، ومات .
 وفي أيامه أخذ الفرنج بيت المقدس من المسلمين ، واستمر ملكهم به . وقام من بعده ابنه المسترشد بالله الفضل بن أحمد ، وقُتل بعد سبع عشرة سنة وستة أشهر وعشرين يوما .
 فقام بعده ابنه الراشد بالله منصور ، وخُلع ثم قُتل ، فكانت خلافته ستة تنقص عشرة أيام .
 ووبيع [بعده] المقتنى لأمر الله محمد بن المستظهر ، فصفت له الدنيا ، وسعد بوزره عون الدين يحيى بن محمد بن هبة ، وقبض على جماعة من المتغلبين ، وخرج بنفسه وحارب من نأواه ،
 وأقام أربعا وعشرين سنة وثلاثة أشهر وواحدا وعشرين يوما . فوبيع [بعده] ابنه المستنجد بالله يوسف ، وأقام إحدى عشرة سنة وشهرا واحدا ، ومات . فوبيع [بعده] ابنه المستضيء بأمر الله الحسن ، وفي أيامه أعيدت الخطابة القياسية بالقاهرة ومصر ، بعد انقطاعها مائتين وخمس عشرة سنة ، على يد السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب بن شاذي الكردى ، (١٨)
 ومات [المستضيء] بعد عشرين تنقص أربعة أشهر . فقام بعده ابنه الناصر لدين الله أحمد ، مدة ست وأربعين سنة وعشرة أشهر وثمانية وعشرين يوما ، وفي أيامه ابتدأ ظهور جُشْكِرْخان . وروى [الناصر] مرة وطيه [قباء] أبيض برصوم [ذهب] فيه ، وعلى [رأسه] قلنسوة مذهبة مطوقة بوبر أسود من فَنَك أو نحوه يتشبه [بملوك] الأتراك . وقام من بعده
- (١) في س واحد وعشرين . (٢) يشير المؤلف إلى ابتداء الحروب الصليبية ، والتي نتجت بفتح المسيحيين لبيت المقدس في ٢٣ شعبان سنة ٥٤٩٢ هـ الموافق ١٥ يولييه سنة ١٠٩٩ م .
 (٣) في س واحد وعشرين . (٤) هذه العبارة كلها من أول " وروى " إلى كلمة " الأتراك " موجودة بهامش في س بالواوة التي العليا من الصفحة . وبعض ألقاها ضائع ، ولا يدل على بعضها الأخر سوى الحرف الأول ، غير أن نسخة ب (ص ٨ ب) تحوى العبارة كاملة ، ما عدا كلمة "الناصر" التي أضيفت هنا للإيضاح وما عدا كلمة " بملوك " فإن كاتب نسخة ب فضل أن يقول " بزي " . أما الفلك حيوان فرزة ثمينة ، قيل هو نوع من جراد الصلب الترك (محيط المحيط . انظر أيضا زكريا الأناضلي : شرح المتج ، ج ٥ ، ص ٢٧١) .

ابنه الظاهر بأمر الله محمد، فأقام تسعة أشهر وأربعة عشر يوماً، ومات . فقام بعده ابنه المستنصر بالله أبو جعفر المنصور مدة سبع عشرة سنة غير شهر، وقيل خمس عشرة سنة وأحد عشر شهراً وخمسة أيام، وفي أيامه قصد التار بغداد، فاستخدم^(١) الخليفة منهم العساكر، حتى بلغت عدتها نحو مائة ألف . وقام من بعده ابنه المستنصر بالله عبد الله، بجمع الأموال، وقطع كثيراً من العساكر، فقدم التار بغداد، وقتلوه في سادس صفر سنة ست وخمسين وستمائة، وله في الخلافة خمس عشرة سنة وسبعة أشهر وستة أيام . وانقرضت دولة بني العباس بزواله، وصار الناس بغير خليفة إلى سنة تسع وخمسين [وسمائية] . فأقيم [في تلك السنة] خليفة بمصر قديم إليها من بغداد، لُقِّبَ بالمستنصر بالله أحمد بن الظاهر بن الناصر، وسار يريد بغداد فخاربه التار وقتلوه، قبل أن تم له سنة منذ بوج بمصر . فصار من بعده ملوك مصر الأتراك يقيمون رجلاً يسمونه الخليفة، ويلقبونه بلقب الخلفاء، وليس له أمر ولا نهى ولا نفوذ كلية، بل يتردد إلى أبواب الأمراء وأعيان الكتاب والقضاة، تهنتهم بالأعياد والشهور، وسيأتي ذكرهم إن شاء الله .

(١) كما في س بنر ضبط . ويكتب المؤلف هذا الاسم في سائر هذا الجزء، أحياناً بالرمم الوارد هنا، وأحياناً "التز" بنر ضبط أيضاً، وأحياناً أخرى "الطبر"، وهذا ولازم "التز" رمم ثالث هو "الناظر"، ولكنه غير وارد في هذا الجزء من الكتاب، وكلها أسماء لمسمى واحد . (Enc. Isl. Art. Tatar) .

ذكر دولة بني بويه الديلم^(١)

ويقال في أصل الديلم إن بَاسِلَ بنَ ضَبَّة بنَ أَد بنَ طابِخَةَ بنَ إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان خرج مغاضبا لأبيه ، فوقع في أرض الديلم ، فترَّجَّ امرأَةٌ من العجم ، فولدت له ديلم بن بَاسِل فهو أبو الديلم كلهم . وهم أنفَاز وعشائر ، ومنهم ملوك بني بويه . وكان سبب ظهورهم أن الحسن بن علي بن الحسن بن زيد بن عمر بن علي بن الحسين بن علي بن

(١) الديلم تسمية جغرافية للصقع الجلي من بلاد جيلان ، الواقعة في الجنوبي الغربي من بحر قزوين ، ويحده في شماله جيلان نفسها ، وفي شرقه طبرستان المحروقة أيضا بما زبدان ، وفي جنوبه جهات قزوين ، وفي غربه آذربيجان . والديلم أيضا تسمية جنسية لمن يسكن هذا الصقع ، غير أن بني بويه ليسوا من الجنس الديلمي ، بل هم فرس "نسبوا إلى الديلم حيث طال مقامهم ببلادهم" . (ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج ٨ ، ص ٩٧) ويريد هاشم في ص ١٧ ويشتمل على بعض الروايات في أصل بني بويه ، وهذا نصه : " ذكر أبو الريحان محمد بن أحمد البروني ، أن أبا إسحاق إبراهيم بن هلال الصابي ذكر في كتابه ، الذي سماه التاجي (كذا) ، أن بويه هو ابن فتاخسرو (في ص فتاخسره) بن ثمان بن كوهي بن شيرزِيل الأصفهري شريكه بن شيرزِيل الأكبر ابن شيران شاه بن شيرفه بن سنان شاه بن سنن نره بن شوزِيل بن سناذرين بهرام جور [الملِك] . وذكر أبو الحسن بن علي بن ناغا في كتابه ، الذي اختصر فيه إبراہيم ، أنه بويه بن فتاخسرو بن ثمان ، ثم قال بعضهم ثمان بن كوهي بن شيرزِيل الأصغر ، وأنكر بعضهم كوهي فقالوا شيرزِيل الأكبر ابن شيران شاه بن شيرفه بن سنان شاه بن سنن نره بن شوزِيل (في ص خبره بن شوزِيل) بن سناذرين بهرام جور ، ثم اغتلفوا بهرام ، فنسبهم إلى الفرس قال هو بهرام جور وساق النسب ، ومن نسبهم إلى العرب قال هو بهرام بن الضحاك بن الأبيض بن معاوية بن الديلم بن بَاسِل بن ضَبَّة بن أَد . وذكر في جملة الآباء لاهور بن الديلم بن بَاسِل ، فقالوا وهذا الاسم يسمى ولده لياح . قال أبو الريحان [البروني] : أول من عرف من هذه القبيلة هو بويه بن فتاخسرو ، وليست تلك الأم سرودة بحفظ الانساب ، ولا مذكورة بأنها كانت تعرف ذلك من قبل انتقال الدولة إليهم " . يظهر أن المقرئ نقل هذا كده حقا ، باختصار طفيف في العبارة الأخيرة فقط ، من كتاب الآثار الباقية للبروني (أنظر ص ٣٨) . وقد نشر هذا الكتاب الدكتور أدوارد زخار (Eduard Sachau) ، ونشره هو تائبا مترجما إلى الإنجليزية ، وقد استعملت النسختان لتصحح أسماء الأعلام وتحقيق العبارة كلها (أنظر الترجمة الإنجليزية ، ص ٤٥) .

(٢) في ص بإيدل ثلاث قطع تحت السين . وفي نسخة من كلمات متنوعة مقطوعة بينها هكذا أحيانا .
(٣) هنا حاشية تفسيرية على ورقة مفصلة بين الصفحتين ٧ ب ، ٨ أ . وهذا نصها ما عدا ما بين القوسين المستديرين في آخرها ، فانه أضيف للتوضيح اللازم : — " يقال وله ضَبَّة بن أَد بن طابِخَةَ معد بن ضَبَّة ، وسعيد بن ضَبَّة ، وبَاسِل بن ضَبَّة ، وهو أبو الديلم فيما يقال . قال هشام بن محمد الكلبي : حدثني أبي قال : خرج بَاسِل مغاضبا لأبيه ، فترَّجَّ امرأَةٌ من العجم فولدت له ، فيقال إن الديلم وله بَاسِل هذا ، وهم يسمون إليه . وقال غير ابن الكلبي : وقع بين بَاسِل وبين أخيه سعد شر ، فاقْتلَا فضُبط [بَاسِل] ووقع بالديلم ، فضلمه أهلها حتى عدوا رمله إلى أن ذهب الرجل ، وسملوا له مثالا من طين فبدروه ، فقبض من الديلم من ولده . (وصفى "عُضْب" هو أنه قطعت رجله ، وهي واردَة في ص بغير قطع ما خلا نقطة الضاد) .

أبي طالب الزيدى الأطروش^(١) دخل الديلم، وأقام نحو أربع عشرة سنة يدعوهم إلى الإسلام،
ويقتصر منهم على العشر، ويدافع عنهم، فأسلم منهم خلق كثير، وتلقب بالناصر للثق،
 واجتمعوا عليه، وبقي في بلادهم مساجد، وحُتِّم على الخروج معه إلى طبرستان حتى أجابوه،
وقاتل^(٢) [بهم] أبا العباس محمد بن إبراهيم صعلوك وهزمه، وقتل من أصحابه سبعة آلاف، وعاد
إلى أمل ظافرا، واستولى على طبرستان في جمادى الآخرة سنة إحدى وثلاثمائة، وعاد (أ ب)
إلى بغداد. ومات الناصر — بعد [أن] ملك طبرستان ثلاث سنين وثلاثة أشهر وأياما —
في شعبان سنة أربع وثلاثمائة، وله تسع وسبعون سنة. فبقيت بعده طبرستان في أيدي العلوية
اثنتي عشرة سنة، ثم انتقلت عنهم إلى أمراء الديلم. ولما مات الناصري ابنه أبو الحسين،
فقد جرجان وأقام بها، وصاحب جيشه سرخاب بن وهسودان^(٣)، فكانت له حروب وأبناء مع
عساكر السعيد نصر بن أحمد صاحب خراسان إلى أن مات سرخاب. فاستخلف أبو الحسين
بن الناصر بعده ما كان بن كالي^(٤) على استراباد^(٥)، فاجتمع إليه الديلم، وقدموه وأمره على
أنفسهم، فكانت له بتلك النواحي أخبار كثيرة إلى أن قوى أبو الحجاج مرداويج^(٦) بن زيار،
وقيل — مرداويج بن قافيج^(٦) — الجبيل الديلمي، وملك جرجان وغيرها من ما كان، وعاد
إلى أصفهان ظافرا. ودامت الحرب بينهما عدة سنين، فقوى مرداويج واستولى على بلد
الجبيل والرّي، وأنته الديلم من كل ناحية، فعضمت جيوشه. وكان من الديلم رجل يقال له
بويه، وكنيته أبو شجاع، متوسط الحال، وله ثلاثة أولاد: أبو الحسين على أكبرهم، وأبو على

(١) لم يذكر ابن الأثير اسم زيد بن أبي الحسن هذا (ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ٨، ص ٦٠).
(٢) مضبوطة هكذا في س، وكذلك في ياقوت (معجم البلدان، ج ١، ص ٦٨). وتسمى هذه المدينة الكبيرة
أمل طبرستان، تميزها لها من أمل جيحون، المعروفة باسم أمل الشط أيضا. (٣) في س سرخاب بن
بهسودان، بغير ضبط. ولم يضبط ابن الأثير من الاسمين سوى السين بالضم في سرخاب (ابن الأثير: قس المرجع،
ج ٨، ص ٩٦). (٤) هو ابن حم سرخاب بن وهسودان (ابن الأثير: قس المرجع، ج ٨، ص ٩٦).
(٥) في س استراباد. (٦) هذا الاسم غير واضح تماما في س، وهو وارد في ب (ص ١٩) كما أثبت هنا. وقد
دريج ابن الأثير وابن اسفنديار وابن مسكويه واليربوني و (Enc. Isl. Art. Mardāwīj) لتعقيقه فلم يرجد
فيها. أما (Blochet: Op. cit. P. 78) فقد ترم هذا الاسم إلى (Kafidj) مع التشكك. (٧) نسبة
إلى بلاد الجبيل أو جيلان. (٨) في س الجبيل (داجع ابن الأثير: قس المرجع، ج ٢٨، ص ١٦٧)
و (Enc. Isl. Art. Mardāwīj).

- الحسن أوسطهم، وأبو الحسين أحد أصغرهم . وكان ينسب إلى الفرس، ويؤمن أنه أبو شجاع بويه بن فنا خسرو بن ثمان^(١) بن كوهي بن شيرزِيل الأصغر بن شيركَة^(٢) بن شيرزِيل الأكبر بن شيران شاه بن شيرويه بن سناندر شاه بن ميس فيروز بن شيرزِيل بن مسناد^(٣) بن بهرام جور الملك بن يزيد^(٤) الملك . فبنو بويه من قبيلة من قبائل الديلم يقال لها شيرزِيل أونداز^(٥) . ثم إن أبا شجاع بويه رأى في منامه كأنه يولّد، فخرج من ذكره نار عظيمة استطلت وعلت حتى كادت تبلغ السماء، ثم انفرجت فصارت ثلاث شعب، وتولد من تلك الشعب عدّة شعب، فأضامت الدنيا بتلك النيران، ورأى البلاد والعباد خاضعين لتلك النيران . فقصه على منجم، فقال له : "إنه يكون لك ثلاثة أولاد يملكون الأرض ومن عليها، ويعلمون ذكرهم في الآفاق كما علت تلك النار، ويولد لهم جماعة ملوك بقدر ما رأيت من تلك الشعب" . فقال له أبو شجاع : "أفسخري وأنا رجل فقير، وأولادى هؤلاء فقراء مساكين يصيرون ملوكاً ؟" فقال المنجم : "أخبرني بوقت ميلادهم" فأخبره ، فجعل يحسب ، ثم قبض على يد أبي الحسن على الذي لقب بعد ذلك عماد الدولة قبلها ، وقال : "هذا والله يملك البلاد، ثم هذا من بعده" ، وقبض على يد أخيه أبي عليّ - الحسن ، الذي لقب بعد ذلك ركن الدولة "ثم هذا" ، وقبض على يد أخيهما أبي الحسين أحمد ، الذي لقب معز الدولة . فأغتاظ منه أبو شجاع وقال لأولاده : "أصفعوا هذا فقد أفرط في السخريّة بنا" ، فصفعوه وهو
- (١) في س فناخسره ، مضبوطة . (٢) كتب المؤلف هذا الاسم "اتمام" ، ولله اتباع في ذلك ابن الأثير الذي كتبه "تمام" . (راجع حاشية رقم ٥) ، ثم أصله إلى ما هو وارد هنا .
- (٣) ورد "شيركده" في ابن الأثير (الكامل في التاريخ، ج ٨ ، ص ١٩٧) .
- (٤) في س سناندر في المرتين وكذلك فيروز بالزاي قبل الواو - وفي ابن الأثير (نقش المرجع والصفحة) "شستان شاه بن ميس فيروز من شيرزِيل بن سناندر بن بهرام جور الملك بن يزيد الملك ... " .
- (٥) تقدّمت هذه النسبة الطويلة في ص ٢٣ حاشية رقم ١ ، مضبوطة على البروني المتولة عنه فراجعها ، غير أن هناك اختلافا جوهرياً بين ما هو وارد هنا وبين النص السابق ، ويظهر أن هذا الاختلاف ناشئ عن اعتماد المقرئ هنا على مرجع آخر له ابن الأثير . وقد قبل هذا عليه فلو حفظ اختلاف في بعض الأسماء . نبه إليه (راجع ابن الأثير : نقش المرجع، ج ٨ ، ص ١٩٧) . (٦) هكذا في س ، وهي بالراء بدل الزاي في ب (ص ٩ ب) . وقد ترجعت إلى (Udarrak) في (Blochet : Op. cit. P. 79) .

يستفيث (١٩) وهم يضحكون منه ، ثم أمسكوا . فقال لهم [المنجم] : " اذكروا لي هذا إذا قصدتكم وأنتم ملوك " ، وأعطاه أبو شجاع عشرة دراهم . فلما خرج الدليل مع ما كان بن كالي كان أولاد أبي شجاع من جملة قواده ، إلى أن استولى مرداويج على ما يبد ما كان من طبرستان وجرجان وانهزم ما كان ، قال له علي والحسن ابنا أبي شجاع بويه ، وكانا ضِعْفَةً (٢٠) عجة : " نحن في جماعة ، وقد صيرنا نَقْلًا عليك وعيالا ، وأنت مضيق ، والأصلح لك أن تفارقك لتخف عنك مؤونتنا (٢١) ، فإذا صلح أمرك عدنا اليك " . فأذن لما فساروا إلى مرداويج ، واقتدى بهما جماعة من قواد ما كان وتبعوهما . فأقبل عليهم مرداويج ، وخلع على ابني بويه ، وقلد عماد الدولة على بن بويه كَرَج ، فأحسن السيرة وافتتح قلاعًا ظفر منها بذخائر كثيرة ، فاستمال الرجال حتى شاع ذكره وقصده الناس . فاستوحش منه مرداويج ، واستدعاه فداخه ثم سار [عماد الدولة (٢٢)] من كرج إلى أصهبان ، وقاتل المظفر محمد بن ياقوت وهزمه ، وملك أصهبان يوم الأحد الحادى عشر من ذى القعدة سنة إحدى عشرة وثلاثمائة . فعظم في أمين الناس ، لأنه كان في تسعمائة رجل هزم بهم ما يقارب عشرة آلاف . وبلغ ذلك الخليفة القاهرة باقعه محمد بن المعتضد فاستعظمه ، وخاف مرداويج عاقبته ، فأخذ يتحيل في أخذه . وأخذ بن بويه أيضا أَرْجَانًا من أبي بكر بن ياقوت ، في ذى الحجة سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة ، وقوى بها . وبعث أخاه ركن الدولة الحسن ، فأخذ كَازَرُونَ . ثم ملك [عماد الدولة] شيراز في جمادى الآخرة سنة اثنين وعشرين ، فلما ملك شيراز وقارس كتب إلى الخليفة الراضى بالله محمد بن المقدر ، وقد أفضت إليه الخلافة ، وإلى وزيره أبي على محمد بن على بن مقله ، يعرفهما أنه على الطاعة ، ويطلب أن يُقَاطع على ما يبد من البلاد ، وبذلك ألف ألف درهم ، فأجيب إلى ذلك . وسُيرت له الخلع واللواء ، فلبس الخلع ونشر اللواء بين يديه ، وغالط

(١) مضبوطة هكذا في س . (٢) في س مونتقا ، وهي في ابن الأثير مونتقا (نقس المربع) ج ٨ ، ص ١٩٩ . ويظهر أن مرجع المقرئ في كتابه هنا عن بن بويه ، هو كتاب الكامل لابن الأثير (نقس المربع) ج ٨ ، ص ١٩٧ وما يليها . (٣) أضيف ما بين القوسين قلا عن ابن الأثير (نقس المربع) ج ٨ ، ص ٢٠٤ . (٤) في س انتهى .

- الرسول بالمال ، فأتى الرسول عنده سنة ثلاث وعشرين . وعظم شأنه ، وقصده الرجال من الأطراف ، فقام مرداويج وقعد ، فقدر الله قتله على يد غلمانه ، يوم الثلاثاء الثالث من ربيع الأول سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة . وسار أكثر أصحابه إلى ابن بويه ، ومضى كثير منهم إلى ^(١)بجكم فقدم [بهم] بفسداد . ثم سار عماد الدولة بن بويه إلى كerman في سنة أربع وعشرين ، وكانت له بها حروب ظفر فيها . ثم قدم عليه أبو عبد الله أحمد بن محمد البريدي . في سنة ست وعشرين ، وأطمعه في العراق والاستيلاء عليه ، فصار ملك عدة بلاد ، وسير أخاه ركن الدولة على عساكر ، وكانت لها أنباء وقصص . وجرى في (٩٠٠) بفسداد حوادث عظيمة آلت إلى مسير معز الدولة أبي الحسين أحمد بن بويه إلى بفسداد ، في سنة اثنين وثلاثين وثلاثمائة ، فخاربه أمير الأمراء توزون في ذي القعدة ، وهزمه عن بفسداد . فلما مات توزون قدم [معز الدولة] بفسداد ، واستولى عليها في يوم السبت حادي عشر جمادى الأولى سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة . قال الوزير أبو علي محمد بن علي بن مقله : "لأنني أزلت دولة بني العباس وأسستها إلى الديلم ، لأنني كاتب الديلم وقت إغاضتي إلى أصحابان ، وأطمعتهما في سرير الملك ببفسداد ، فإن اجتنبت ثمره ذلك في حياتي ، وإلا فهي تجتني بعد موتي" ، فكان كما قال . ولما ملك معز الدولة بفسداد خلع الخليفة المستكن بالله عبد الله ، ونهب الديلم دار الخلافة حتى لم يبق فيها شيء ، وأقام المطيع لله الفضل بن المقتدر ، ولم يعمل له أمرا ولا نبيا ولا رايًا ، ولا مكنه من إقامة وزير ، بل صارت الوزارة إليه يستوزر لنفسه من يريد ، وشنع هو والديلم على بني العباس ، بأنهم غضبوا الخلافة وأخذوها من مستحقها . وأراد معز الدولة إبطال دعوة بني العباس ، وإقامة دعوة المزدلدين الله أبي تميم معد الفاطمي ، حتى رجعه أصحابه عن ذلك . وبسبب نوابه قتلوا العراق ، ولم يبق بيد الخليفة منه شيء البتة ، إلا ما أقطعه مما لا يقوم ببعض حاجته ، وملك البصرة والموصل وعامة البلاد . ومات عماد الدولة
- (١) كانت طليات الرسول ألا يسلم الخلع أو اللوا . إلا بعد قبض المال ، فلما وصل خرج عماد الدولة إلى لقاءه ، وطلب منه تسليمها ، فذكر له الشرط ، فأخذها منه قهرا . (ابن الأثير : نفس المراجع ، ج ٨ ، ص ٢٠٧) .
- (٢) مضبوطة هكذا في س . (٣) مضبوطة هكذا في س .

أبو الحسن علي بن بويه بمدينة شيراز في جمادى الأولى سنة ثمان وثلاثين وثلثمائة، وعهد إلى ابن أخيه عضد الدولة أبي شجاع فناخسرو بن ركن الدولة أبي علي الحسن بن بويه، فكانت مدة إمارته ست عشرة سنة، ولم يترك غير بنت واحدة. وكان عماد الدولة في حياته هو أمير الأمراء، فلما مات صار أخوه ركن الدولة أبو علي الحسن بن بويه أمير الأمراء. وكان مع الدولة أبو الحسن أحمد هو المستولى على العراق والخلافة، وهو كالنائب عنهما إلى أن مات ببغداد، لثلاث عشرة بقية من ربيع الآخر سنة ست وخمسين وثلثمائة، فكانت مدة ملكه لبغداد إحدى وعشرين سنة وأحد عشر شهرا ويومين. وقام من بعده ابنه عز الدولة أبو منصور بختيار، فسار إليه ابن عمه عضد الدولة أبو شجاع فناخسرو بن ركن الدولة في سنة أربع وستين، وقبض عليه ثم أطلقه، وضرب عليه الجند، وعاد من بغداد. فمات ركن الدولة نجس بقين من المحرم سنة ست وستين وثلثمائة، واستخلف على مملكته ابنه عضد الدولة، فسار إلى العراق ثانيا وأخذ ببغداد من بختيار، وخُطب له بها، ولم يكن قبل ذلك يخُطب لأحد سوى الخليفة. وضرب [عضد الدولة] أيضا على باب الطبول ثلاث نوبات، ولم يجر بذلك عادة من تقدمه، وتُتت الملك السيد شاهنشاه الأجل المنصور ولي النعم تاج الملة عضد الدولة أباشجاع فناخسرو بن ركن الدولة أبي علي الحسن بن أبي شجاع بويه بن فناخسرو بن ثمان بن كوهي. وقُتل بختيار في الحرب لاثني عشرة بقية من شوال سنة سبع وستين وثلثمائة، فكانت مدته إحدى عشرة سنة وستة أشهر. وعظم أمر عضد الدولة (١١٠) إلى أن مات ثمان خلون من شوال سنة اثنتين وسبعين وثلثمائة، ومدته منذ مات عمه عماد الدولة بفارس أربع وثلثون سنة، ملك منها ببغداد خمس سنين وستة أشهر

(١) في س فناخسرو، وبغير ضبط هنا وفيما يلي. (٢) توجد في س عبارة مكلمة هي: "حتى زال ملكه"، ولكنها مشطوبة. (٣) في هامش س الجملة: "قرر بختيار"، وهي ليست متفقة مع عبارة المتن، ولا سيما أن المؤلف لم يشر كعادة إلى المكان المناسب لها. غير أنه أدهمها كاتب نسخة ب (س ١٠ ب) قبل عبارة "وخُطب له بها". (٤) مضبوطة في س "وتت الملك السيد ... المنصور" بضم الآخر. (٥) في س "أبر شجاع". (٦) في س تمام - انظر ص ٢٥، حاشية رقم ٢.

- وأربعة أيام . فقام من بعده ابنه صمصام الدولة أبو كاليبجار المرزبان ببغداد ، أربع سنين وخمسة أشهر واثنين وعشرين يوما . وطلبه أخوه شرف الدولة أبو الفوارس شيرزِيل ، في رمضان سنة ست وسبعين وثلاثمائة ، ثم سَمَّله وقام بالأمر ، فلقبه الخليفة الطامع بشرف الدولة وَزَيَّرَ الملة . ومات [شرف الدولة] بعد ستين وثمانية أشهر وأيام ببغداد ، في ثاني جمادى الآخرة سنة تسع وسبعين وثلاثمائة . فملك بعده أخوه بهاء الدولة أبو نصر نحره فيروز بن عضد الدولة ، ولقبه الطامع بهاء الدولة وضياء الملة ، ثم زاد القادر في ألقابه غياث الأمة شاهنشاه ، ثم زاده قوام الدين ونقله عن مولى أمير المؤمنين إلى صني أمير المؤمنين ، ومات بأرجان في خامس جمادى الآخرة سنة ثلاث وأربعمائة ، فكانت مدته اثنتين وأربعين سنة وتسعة أشهر وثمانية عشر يوما . وقام من بعده ابنه سلطان الدولة أبو شجاع فنا خسرو ، فكانت أيامه ببغداد — سنة واحدة وستة أشهر تقص ثلاثة أيام — على انزعاج ، لكثرة مطالب الأتراك ، فخرج [منها] ، وقد رتب أخاه مشرف الدولة أبا على الحسن ، وسار إلى الأهواز ، واستقر مشرف الدولة في ملك العراق خمس سنين وشهرين وأياما . ومات سلطان الدولة بفارس ، لأربع بقين من شوال سنة خمس عشرة وأربعمائة ، فكانت إمارته اثني عشرة سنة وأربعة أشهر وأياما . ومات بعده أخوه مشرف الدولة ببغداد ، ثمان بقين من ربيع الأول سنة ست عشرة وأربعمائة ، فسار [أخوها] جلال الدولة أبو طاهر فيروز نحره بن بهاء الدولة من البصرة إلى بغداد ، باستدعاء الخليفة القادر ، لما حصل في بغداد من مصادرات الأتراك للناس ، فلما قدمها لتقاه القادر ولقبه ركن الدين جلال الدولة . وفي أيامه انحل امر الخلافة

(١) كما في ص بنبر ضبط ، ولم يضبط ابن الأثير شيئا من هذه الأسماء . (الكامل في التاريخ ، ج ٩ ، ص ١٦) . غير أن كاتب نسخة ب (ص ١١١) أورد اسم كاليبجار بالتون بدل الباء فأصبحت "كانتجار" ، وتبعه في ذلك (Blochet) ترجم الاسم كله إلى (Samsām - ad - Daūlah - Abou - Kalandjār - Al - Merzebān) راجع (Ibid : Op. cit. P. 82.)

(٢) في ص "نصره" دائما . (راجع ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج ٩ ، ص ٣٧٤) .

(٣) بل هذه الكلمة إشارة إلى هاشم غير متسق مع المتن ، فزوى إيرادها هنا وهو : "وضرب [سلطان الدولة] الطول على يابه في أوقات الصلوات الخمس" . (٤) في ص "ونخرج" (راجع ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج ٩ ، ص ٢٤٤) .

والسلطنة ببغداد ، وانطلقت الأيدي ، وعجز جلال الدولة عن إقامة الأمر إلى أن مات ، في سنة خمس وثلاثين وأربعمائة ، فكانت مدته ست عشرة سنة وأحد عشر شهرا . فاستدعى الجندُ ابنَه الملك العزيز أبا منصور نحره فيروز ، فلم ينظم له أمر ، واستنجد الملك فلم يجده ، فكتب عسكرُ بغداد عِزَّ الملك أبا كالجار المرزبان بن سلطان الدولة أبي شجاع فناخسرو بن بهاء الدولة أبي نصر نحره فيروز بن عضد الدولة ، ولقبه الخليفة القائم بأمر الله شاهنشاه عِزَّ الملك ، وحملت إليه الخلع واللواء وخُطب له ، فسار وقدم ببغداد ، ومات سنة أربعين وأربعمائة . وملك [بعده] ابنه الملك الرحيم (١٠٠ ب) أبو نصر نحره فيروز بن عز الملك ، وكان [عزَّ الملك] قد سار إلى كرمان ، فهلك في طريقه لأربع سنين من ولايته . فقام من بعده ببغداد الملك الرحيم بمبايعة الجندله ، وثار في أيامه الأمير أرسلان الباسايرى وملك ببغداد ، ثم قدم طغرل بك والسلجوقية ، وقبض على الملك الرحيم وبجته حتى مات . فكانت عدة من ملك بغداد من بنى بويه أحد عشر ، ومدتهم ببغداد إلى أن اقرضوا على يد السلجوقية مائة وثلاث سنين وثلاثة أشهر وأربعة عشر يوما ، أقبل يوم وصل معز الدولة إلى بغداد ، وأنها يوم وصول طغرل بك ببغداد ، ومدتهم منذ ملك عماد الدولة بلاد فارس مائة وخمسة عشرة سنة وثلاثة أشهر وستة أيام .

ذكر دولة السلجوقية

وكان ابتداء أمر السلجوقية أنهم أخلط من الترك ، كانوا يصيِّفون في بلاد البلقار^(١) ويُسُون في تركستان ، وينهبون ما طرقوه . وكان من قدمهم رجل يقال له دقاق^(٢) ، فولد له سلجوق فتجب ، وقدمه بيغو ملك الترك ، فغوى وكثر جمعه فخافه بيغو ، فخرج [سلجوق] بجموعه

(١) أضيف هنا بعد مراجعة ابن الأثير (الكامل في التاريخ، ج ٩، ص ٣٧٣ — ٣٧٤) .

(٢) في م الساسيرى . (٣) في حوض نهر الفولجا بالروسيا الحالية .

(٤) صحيح ناشر ابن الأثير هذا الاسم إلى "دقاق" (الكامل في التاريخ، ج ٩، ص ٣٢٢) . على أن هناك ما يحل على فضيل الزم الوارد هنا (انظر Enc. Isl. Art. Seldjūks) وقد ضبطت الأعلام الواردة هنا على هذين المرجعين .

(٥) في م "بيغو" مضبوطة ، وفي م السطر "بيغو" بالضبط عنه . ولزم هذا الاسم بالياء أولا أنصار . (انظر Enc. Isl. Art. Seldjūks)

- مهاجرا من دار الحرب [إلى ديار الإسلام] وأسلم وأقام بنواى بخارى وصار ينزرو الترك، وكان له من الولد أرسلان وميكائيل وموسى . ومات سلجوق بمجنده وراء بخارى، عن مائة وسبعة أعوام، وبقي ولده على ما كان عليه من غزو الترك، فقتل ميكائيل شهيدا . وخلف [ميكائيل] بيغو وطغريك ويتال وجنرى بك داود . ثم إنهم قربوا من بخارى فأساء أميرها جوارهم، فرجعوا إلى بُغراخان ملك تركستان وجاوروه، وتماهد طغريك وأخوه داود ألا يجتمعا عند بُغراخان . وحاول على مجتمعهما فلم يطق، فقبض على طغريك وأرسله عسكره إلى أخيه داود، فانهزم العسكر وأتبعوه وخلصوا طغريك من أسرهم، وعادوا إلى جند، وأقاموا بها إلى اقراض الدولة السامانية وملك أيلك خان بخارى، فعظم عنده محل أرسلان بن سلجوق . ولما رجع أيلك خان عن بخارى ولى عليها على تكين فبقى معه أرسلان إلى أن عبر محمود بن سبكتكين النهر إلى بخارى، وهرب على تكين فدخل أرسلان وقومه المغازة، وكتبه محمود ولاطفه حتى قدم عليه، فقبضه ونهب أحياءه، وأجازهم النهر وفرقهم في نواحي خراسان، ووضع عليهم الخراج، فلحقهم جور العيال . فسار منهم جماعة أرسلان إلى أصبهان، وحاربهم علاء الدين بن كاكويه حروبا كثيرة، إلى أن ساروا إلى آذربيجان، وكانوا يعرفون بين الترك بالفز . وسار طغريك وأخوه داود وبيغو من خراسان إلى بخارى، وجمع على تكين عسكره

(١) ما بين القوسين منقول عن ابن الأثير، لفرضه انسجام العبارة (الكامل في التاريخ، ج ٩، ص ٣٢٢) .

(٢) في س يفتحة على السين فقط . (٣) في س يفتحة على التون فقط .

(٤) في س "بناو جمرود اورد" راجع (Enc. Isl. Arts. Çağrı Beg and Tughrilbeg) .

(٥) لعدم وضوح هذه العبارة تماما مع الحبرص على إيرادها كما هي، رؤى نقل ما يقابلها عن ابن الأثير (الكامل في التاريخ، ج ٩، ص ٣٢٣) وهي: "واسمى الأمر بين طغريك وأخيه داود أنها لا يجتمعان عند بُغراخان، إنما يحضر عنده أسدما ويقم الآثر في أهله، خوفا من مكرهم بهم، فيقول ذلك ثم إن بُغراخان اجتهد في اجتماعهما فلم يفلح، فقبض على طغريك وأسرهم، فثار داود في عشائره ومن يتيهه وقصد بُغراخان ليخلص أخاه، فأخذ إليه بُغراخان عسكرا، فاقتلوا فانهزم عسكر بُغراخان وكثر القتل فيهم، وخلفى [داود] أخاه من الأسر، وانصرفوا إلى جند وهي قريب بخارى، فأقاموا هناك . فلما اقترضت دولة السامانية، وملك أيلك الخان بخارى، عظم محل أرسلان بن سلجوق ثم داود وطغريك بما واداهم النهر ... " . (٦) هو أخو أيلك خان (نفس المرجع، ج ٩، ص ٣٢٣) .

(٧) "الفز" (مضبوطة) فقط يقع على ما يتوالى بين السجى في المحدثين نسائهم، وقيل الفز فقط يقع على جنس العجم كله . وقيل الفز جنس السجى كالمردة في العرب، وقيل لفظة الفز تقع على الترك والتركمان والقفش والجنس المولد . وقيل هم كل من ولد عامود بن يافث بن نوح، وقيل الفز جنس التركمان والترك أقصد، وقيل الفز جيل من الشام . عن هامش في س، ص ١٠ ب .

- وأوقع بهم ، فعادوا إلى خراسان وخيموا بظاهر خوارزم ، في (١١) سنة خمس وعشرين وأربعمائة ، وانفقوا مع خوارزم شاه هارون بن التوتانش^(١) ، ثم غدر بهم وكبهم ، فساروا إلى جهة سرو . فأرسل إليهم مسعود بن محمود بن سبكتكين جيشا فهزمهم ، واشتغل أصحابه بالغنائم فرجع [الفز] وهزمهم ونهبهم ، فاستسلم مسعود بعدها وكان بليغ ، فطلبوا منه إطلاق عهدهم أرسلان الذي قبضه محمود بن سبكتكين ، فشرط حضورهم فأبوا . وعادت الحرب وهزموا عساكره ، وقوى أمرهم واستولوا على غالب خراسان ، ونفقوا المال وخطب طغرل بك في نيسابور . وسار داود إلى هراة ، ففرت عساكر مسعود ، وتركوا خراسان حتى أتوا غزنة ، وسار مسعود من غزنة إلى خراسان في جيوشه ، ففروا أمامه وهو يتبعهم ، حتى قتل الأرواد وطال الأمد ، ودخلوا البرية ومسعود في إتباعهم مدة ثلاث سنين ، فانقض عليه عسكره ، ورجع السلجوقية وهزمهم أقبج هزيمة ، وولى مسعود وغنموا منه مالا يصحى ، وعادوا إلى خراسان فلحقوها ، وثبت أقدامهم بها ، وخطب لهم على منابرها . ووصل مسعود إلى غزنة ، واختلف عليه أمراؤه حتى قتل . وملك طغرل بك جرجان وطبرستان ، وملك بعد ذلك خوارزم ، ثم سار إلى بلد الجبل واستولى عليها ، فأسلم من الترك خمسة آلاف تركاه ونفقوا في بلاد الإسلام ، ولم يتأخر عن الإسلام سوى الخطا والتار بنواحي الصين . وبعث طغرل بك أخاه إبراهيم بن ميكائيل ، فلك همدان والدينور ، ثم استوحش منه وقاتله وأخذه ، فبعث ملك الروم يطلب الهدنة من طغرل بك وهاداه ، وعمر مسجد القسطنطينية وأقام فيه الصلاة والخطبة لطغرل بك^(٢) . ثم سار طغرل بك وحاصر أصبهان حتى أخذها صلحا ، ونزل
- (١) في س الطن طاش (راجع ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ٩، ص ٢٩٤، ٢٢٥) . وكذلك (Enc. Isl. Art. Altüntüsh) . (٢) في س تراجعوا وهزموه ونهبوه . (انظر ابن الأثير : قس المرجع، ج ٩، ص ٣٢٥) . (٣) في س قرا . (٤) في س بلاد الجبل . (راجع ابن الأثير : قس المرجع، ج ٩، ص ٣٤٧ - ٣٤٩) . (٥) كلمة قارمية معناها حمية أرتنج . (٦) العلاقة بين ماجرى لطغرل بك مع أخيه ياك وبين ملك الروم ، أن ياك كان قد فزا البلاد الرومية سنة ٥٤٤ . (١٠٤٨ م) . جميع من الفز حتى وصل بهم إلى طرايزون ، وظل يقاتل من يقابه من الجيوش الرومية ويقتل ويسبي ويغنم ، حتى لم يبق به وبغير القسطنطينية سوى خمسة عشر يوما . فلما وقعت الروحة بين الآخرين ، انتزها ملك الروم وصالح طغرل بك على الشروط الواردة هنا . (ابن الأثير : قس المرجع، ج ٩، ص ٣٢٠ - ٣٢٢ و ٣٨١ - ٣٨٠) وكذلك (Cambl. Ded. Hist. Vol. III. pp. 111, 384 - 385) . (٧) في س سار .

- ونقل إليها ذخائره ، وأتاه ملك الأكراد فأقره على بلاده شهريزور وغيرها . ثم أنفذ رسوله إلى الخليفة القائم بأمر الله بالهدايا ، وسار يريد بغداد ، فدخلها خمس بقين من رمضان سنة سبع وأربعين وأربعمائة . ونُعت بالسلطان ركن الدين أبي طالب محمد طغرل بك بن ميكائيل ابن سلجوق بن قتيق بن جبريل بن داود بن أيوب بن دقاق بن إلياس بن بهرام بن يوسف بن عزيز بن أحمد بن دهقان ، وقبض على الملك الرحيم أبي نصر وعلى قواده ، وأزال دولة بني بويه .
- ثم توجه (١١ ب) إلى نصيبين وديار بكر ، واستولى على الموصل ، وترك عليها أخاه ينال إبراهيم ، فحالف على طغرل بك ، وتوجه إلى همدان ، فسار إليه [طغرل بك] وقتله . ثم عاد إلى بغداد ، وقد ملكها أبو الحارث أرسلان البساسيري ، فأعاد القائم إلى الخلافة وقتل البساسيري ، ثم سار إلى بلاد الجبل فأتى بالزى ، في ثامن شهر رمضان سنة خمس وخمسين وأربعمائة ، فكانت مدة ملكه ثمانيا وثلاثين سنة تنقص عشرين يوما ، ولم يخلف ولدا . فملك بعده ابن أخيه عضد الدولة أبو شجاع محمد ألب أرسلان بن جفري بك بن داود بن ميكائيل بن سلجوق ، وسار إلى حلب وأقر صاحبها محمود بن نصر بن صالح بن مرداس عليها ، ولقي ملك الروم وهزمه ، وبعث جيوشه فأخذت القدس والرملة من خلفاء مصر [الفاطميين] ، وحصرت دمشق . ومات ألب أرسلان بعد ما رجع من حلب إلى ما وراء النهر ، في ربيع الأول سنة خمس وستين . وملك بعده ابنه السلطان جلال الدولة أبو الفتح محمد ملك شاه بن عضد الدولة أبي شجاع ألب أرسلان بن داود بن ميكائيل بن سلجوق تسع عشرة سنة وشهرا ، ومات في نصف شوال سنة خمس وثمانين وأربعمائة ، وعمره سبع وثلاثون سنة وخمسة أشهر . وكان يُحِبُّ له من أفعى بلاد الترك إلى بلاد اليمن ، وفي أيامه ملك دمشق أنيسر^(٦) ، ثم أخذها منه نُش بن ألب أرسلان ، فاستمرت بأيدي الترك ، وبعث ملك شاه أيضا أفتسترقسيم الدولة

(١) في س ، ب "وثلاثين" (ابن الأثير: الكامل في التاريخ ، ج ٩ ، ص ٤١٥ - ٤٢٤) . (٢) في س بفتح الغاف وكسر النون ، (انظر Enc. Isl. Art. Seldjûks) . (٣) كما في س . انظر ص ٣٢ . (٤) في س فحالف ، (راجع ابن الأثير : نفس المرجع ، ج ٩ ، ص ٤٣٩ - ٤٤٠) . (٥) في س جمرى بك . (٦) في س "الحزر" بغير ضبط . (٧) في س نقش بغير ضبط ولا قطع على اللام الثانية .

- فلك الموصل، وأقْسُفَرُ هذا هو والد عماد الدين زَنْكِي^(١). ثم قدم ملك شاه إلى حلب وسادها إلى أقسفر، وعاد إلى بغداد. ومَلَك بعد ملك شاه ابنه محمود وعمره أربع سنين، فقامت أمه تُرْكَانُ خانُون بتدبيره، فثار عليه أخوه بَرْكَارُوق بن ملكشاه واستبد بالأمر، وكانت له^(٢) [أيضا] حروب مع أخويه محمد وسَنْجَر إلى أن مات ثاني شهر ربيع الآخر سنة ثمان وتسعين، عن خمس وعشرين سنة، منها مئة وقورع اسم السلطنة عليه اثنا عشرة سنة وأربعة أشهر، قاسى فيها من الحروب واختلاف الأمور ما لم يقاسه غيره. وأقيم بعده ابنه ملكشاه بن بركاروق، وعمره أربع سنين وثمانية أشهر، ولقبه جلال الدولة. وقام بأمره الأمير أياز الأتابك إلى أن قُتِل في ثالث عشر جمادى الآخرة، بعد ما سلم أمر الدولة إلى السلطان محمد بن ملكشاه بن ألب أرسلان. فقام محمد بأمر المملكة إلى أن مات، في رابع عشر ذي الحجة سنة إحدى عشرة وخمسمائة، عن ست وثلاثين سنة وأربعة أشهر، منها مئة اجتماع الناس عليه اثنا عشرة سنة وستة أشهر، ولقى مشاق وأخطارا كثيرة. فأقيم بعده ابنه محمود بن محمد بن ملكشاه، وعمره أربع عشرة سنة، فنازعه عمه (١٢) السلطان ناصر الدين معز الدولة أبو الحارث سَنْجَر ابن ملكشاه بن ألب أرسلان وقاتله، فانهزم منه محمود، وخُطِب لسنجر ببغداد في سادس عشر جمادى الأولى سنة ثلاث عشرة وخمسمائة، وقطعت خطبة محمود. ثم اصطلما وجعل سنجر ابن أخيه محموداً ولي العهد بعده، وصُكِّب إلى جميع الأعمال التي بيده بأن يخطب للسلطان محمود بعده، وأعاد عليه جميع ما أخذ من البلاد، فخطب لها ببغداد وغيرها. وعاد سنجر إلى ولايته، واستمر محمود في السلطنة، فتفرق الحال بينه وبين الخليفة المسترشد بالله
- (١) في الهامش: "أقسر هذا هو جد نور الدين الشهيد". (٢) ضبط هذا الاسم على منطوق الإنجليز (Tārkan). انظر (Enc. Isl. Art. Malikshāh). (٣) الهاء مائة على بركاروق. (٤) في س "اساعر" (٥) في س: بركاروق. (٦) في س: "عشرين" بإثبات النون، وأظن ما زل على هذه الصورة، ومصلحة دائما بدون تنبيه. (٧) في س: مشافا. (٨) هذا بذ. هامش طويل منسق مع المتن، ولم تكن هناك حاجة إلى الإشارة إليه لولا أنه بخط غير خط المؤلف. وأكبر القائل أن ورقة هذا الهامش تعرضت للنف، فكتبها أحد المتأخرين بخط نسخ جميل على ورقة أخرى، ووضعها مكان الأولى. (٩) في س محمود.

- واقْتلًا، ثم اصطُلعا في عاشر شهر ربيع الآخر سنة إحدى وعشرين . وسار محمود عن بغداد، وَوَلَّى عماد الدين زنكي بن أَسْتَقَرَّ شَيْخِيَّتِهَا^(١)، ثم هَلَّه إلى الموصل، وأضاف إليه الجزيرة، فاشتدت وطأته بها حتى ملك حلب أول المحرم سنة ثنتين وعشرين، ثم ملك حماة وعدة حصون بالشام . ومات السلطان محمود في شَوَّال سنة خمس وعشرين [وخمسمائة] بهمذان عن سبع وعشرين سنة، منها ولايته السلطنة اثْنِي عَشْرَةَ سنة وتسعة أشهر وعشرين يوما .
- فَأَقْبَدَ بعده في السلطنة ابنه داود بن محمود [بن محمد] بن ملكشاه، فنازله معه السلطان مسعود، وقتاله ثم اصطُلعا . وطلب مسعود من الخليفة المسترشد أن يُخْلِطَ له ببغداد، فأجاب بأن الحكم في الخطبة إلى السلطان سنجر، [وأرسل إلى سنجر] ألا يأذن لأحد في الخطبة، وأن الخطبة ينبغي أن تكون له وحده، فوافق ذلك غرض سنجر . فاشتت ذلك على مسعود، وعزم على أخذ السلطنة، فسبَّقه [أخوه] السلطان سلجوق شاه بن السلطان محمد إلى بغداد، وكانت أمور آلت إلى أن يكون مسعود بن محمد بن السلطان ملكشاه سلطانا، وسلجوق شاه ولي عهده، وقُطِعَت خطبة سنجر من العراق جميعه . وكان عماد الدين زنكي قد قدم نصره لمسعود، فهزمه أصحاب سلجوق شاه هزيمة قبيحة، فلما وصل نُكِرَتْ أقدام له نجم الدين أيوب بن شاذي الدُّزْدَارُ بها المعابر حتى خلص إلى بلاده، فشكر ذلك لنجم الدين وقرَّبه، فكان ذلك سببا لاتصال نجم الدين به والمصير في جملة، حتى آل بهم الأمر إلى
- مُلك مصر والشام وغيرهما . واقتتل مسعود وسنجر، فانهزم مسعود وقُتِلَ أصحابه، ثم أُحْضِرَ إلى سنجر فعاتبه، وأعادته إلى كَنْجَة^(٢)، وأجلس [ابن أخيه] الملك طغرل بن السلطان محمد

(١) أرى بإسالة الشرطة، وبمسمى متوليا صاحب الشحة . (Dozy: Supp. Dict. Ar.) . (٢) في ص ١٨٦ .

(٣) راجع . (Lane-Poole: Muhammadan Dynasties, Table facing P. 152)

(٤) ليس لما بين الفوسين وجود في س . ولكنه في ب (ص ١٣ ب) ، وهو مطابق تماما ما ورد في ابن الأثير (الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص ٤٧٤) . وربما استعان كاتب نسخة ب بهذا المرجع في توضيح ما غرض عليه . (٥) في س الدردار . أما الدردار فكلية فارسية معناها "حاكم حسن" . (Enc. Isl. Art. Diz.)

(٦) في س محمود . (٧) في س كنجية . انظر ابن الأثير : نفس المرجع، ج ١٠، ص ٤٧٧

و ٤٨٣ : وكنجة مدينة كبيرة، وهي قبة بلاد أَرَّان (ياقوت : معجم البلدان، ج ٤، ص ٣٠٨) .

(٨) في س "واجب له الملك طغرل" . (راجع ابن الأثير : الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص ٤٧٧) .

في السلطنة، وخطب له في جميع البلاد، وذلك في ثامن رجب سنة ست وعشرين. فلما كان في رمضان اقتتل الملك طغرل بن محمد هو وابن أخيه الملك داود بن محمود، فانهزم داود؛ فلما سمع ذلك السلطان مسعود بن محمد سار إلى بغداد، فقيه داود ودخل معه إليها، في صفر سنة سبع وعشرين، وأعيدت له الخطبة بها ولداود معه، وخلع عليهما الخليفة. ثم سارا لمحاربة طغرل، فخارباه وهزمناه في شعبان، فامتدت الحرب بينهم إلى شوال. ثم عاد طغرل بن محمد، وأجل أخاه مسعوداً عن بلاده في رمضان سنة ثمان وعشرين، فقدم [مسعود] بغداد في نصف شوال، فأكرمه الخليفة المسترشد وأتزله وأنعم عليه. ثم قدم الخليفة بوفاة طغرل بن محمد، في المحرم سنة تسع وعشرين، فصار مسعود إلى همدان واستولى عليها، و[كان قبل ذلك قد] نافر الخليفة، ففقط [المسترشد] خطبته من بغداد وسار لقتاله، فبرز إليه [مسعود]، وقاتله في عاشر رمضان وأخذه أسيراً، وبعث إلى بغداد فقبض على أملاك الخليفة، وكسر منبره وشباك. ثم قُتل الخليفة بيد الباطنية، وأقيم بعده الراشد (١١٢) خليفة. فصار الملك داود بن السلطان محمود في عسكر آذربيجان إلى بغداد، فقدمها رابع صفر سنة ثلاثين وخمسمائة، وأقام برقش على شحكتها. وقطعت خطبة السلطان مسعود وخطب لداود، فصار مسعود إلى بغداد وحصرها نيفا وخمسين يوماً، فكانت أمور آلت إلى عود الملك داود إلى بلاده في ذى القعدة، و[إلى] تفرق الأمراء [الذين كانوا معه]،

- (١) في ص: مسعود. (٢) انظر ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ١١، ص ٦.
(٣) في ص: قدم. (٤) أضيف ما بين القوسين بعد مراجعة ابن الأثير (قس المرجع، ج ١١، ص ١٠، ١٤ - ١٦). (٥) هنا يجهى الماشى المشار إلى مبدئه في ص ٣٤، حاشية رقم ٨).
(٦) في ص: برقش. وفي ابن الأثير برقش يازداربدون ضبط، وكان صاحب قزوين. (قس المرجع، ج ١٠، ص ٢٣). راجع أيضاً (Rec. Hist. Or. II. 2. pp. 88, 92) حيث رسم هذا الاسم هكذا (Berenkach). أما البازدار فهو الذى يحمل الطيور الجوارح المعلقة للصيد على يده. (التقشستى: صبح الأعشى، ج ٤٥، ص ٤٦٩). (٧) يظهر هنا بوضوح أن المقرئ كان ينقل من ابن الأثير مباشرة أدرج مرجع آخر مصدره ابن الأثير. هل أن عبارة المقرئ هنا مقتضية، وهي بحاجة إلى توضيح أكثر، يرغب ما أضيف بين القوسين (انظر ابن الأثير: قس المرجع، ج ١١، ص ٢٢ - ٢٤ - ٢٦ - ٢٧).

- وسار الخليفة الراشد [من بغداد] إلى الموصل في قريرسير مع عماد الدين زنكي، [فلما سمع السلطان مسعود بمفارقة الخليفة وزنكي بغداد سار إليها]، ودخلها في نصف ذي القعدة، وخلع الراشد وأقام المقتنى لأمر الله أبا عبد الله محمد بن المستظهر في الخلافة، وزوجة أخته فاطمة على مائة ألف دينار صدقا . فسار الراشد بالله من الموصل إلى حرّافة ، فأناه الملك داود في جماعة ليرده إلى الخلافة، فسار السلطان مسعود من بغداد في شعبان سنة اثنتين وثلاثين ، وحاربهم وهزمهم ، فحمل عليه بعض من انحاز منهم إلى تل ، [فلم يثبت لهم وانهمز ، وما زال] حتى صار إلى آذر بيجان ، وقصد داود همدان وبصره الراشد ، وسار سلجوق شاه بن محمد إلى بغداد ليلحقها ففزع منها ، وسار مسعود لينع داود من أخذ الراشد ومسيره به إلى العراق ، فترك داود الراشد ، وعاد إلى فارس ، فقتل الراشد بيد الباطنية أيضا .
- ١٠ الأمور على السلطان مسعود ، وكثرت الخوارج عليه : وسار عماد الدين زنكي إلى دمشق ، وحصرها مرتين ومكّ ببلبك ، وحارب السلطان سنجر بن ملكشاه خوارزم شاه أنسر بن [قطب الدين] محمد بن أوشكنين ، فقتل ابن خوارزم شاه ، فبث خوارزم شاه إلى الخطا وهم بما وراء النهر ، فأطعمهم في البلاد وتزوج منهم ، فساروا في ثلاثمائة ألف فارس ، فحاربهم سنجر ، فقتلوا منه نحو مائة ألف ، وهزموه في صفر سنة ست وثلاثين ، فأخذ خوارزم شاه مدينة مرو . فسار السلطان مسعود إلى الري ، وقد استقرت دولة الخطا والترك الكفار بما وراء النهر ، وأخذ خوارزم شاه نيسابور أيضا ، وقطع خطبة السلطان سنجر أول ذي القعدة، وخطب باسمه ، وعات أصحابه في خراسان وعملوا أعمالا قبيحة . ثم آل أمر أنسر خوارزم شاه إلى مصالحة السلطان سنجر،
- (١) كانت الخليفة وزنكي من حلق داود ضد مسعود . (ابن الأثير : الكامل في التاريخ، ج ١١ ، ص ٢٢ - ٢٣) . (٢) رأى إناقة ما بين القوسين من ابن الأثير التوضيح (نفس المرجع ، ج ١١ ، ص ٢٦) . (٣) في س "ودخلها السلطان مسعود" . (٤) في س "وشي" .
- (٥) في س "وهزمهم" . وهذا يخالف ما جاء في ابن الأثير (نفس المرجع ، ج ١١ ، ص ٤٠) . وقد أخيف ما بين القوسين بصرف طفيف . (٦) في س اطسز . (٧) في س اطسز . يلاحظ أن المؤلف عكس ترتيب الأسماء هنا .

في سنة ثمان وثلاثين، وأقام بخوارزم على ما كان عليه، وأقام سنجر بمرو. ومات أتابك عماد الدين زنكي بن آقسنقر صاحب الموصل والشام، قتل بعض عماليكه (١٢ ب) في خامس ربيع الآخر سنة إحدى وأربعين ونعمانية، فصار أبنة نور الدين محمود بن زنكي إلى حلب فلحقها، ومَلَكَ سيف الدين غازي بن زنكي الموصل. ومات السلطان مسعود ابن محمد بن ملكشاه بهمدان، أول رجب سنة سبع وأربعين ونعمانية، ومات معه سعادة بن سلجوق، فلم يبق بعده لم راية يتد بها. فقام بعده ملكشاه بن السلطان محمود، وخطب له، فلما بلغ الخليفة المتقي لأمر الله موت [السلطان مسعود] أحاط بداره ودُور أصحابه، وأخذ كل ما لهم، وجمع الرجال والعساكر، وأكثر من الأجناد، وجهاز إلى الحلة والكوفة وإسقط الساسكر فأخذوها. ثم إن الأمير خاص بك قبض على ملكشاه وبعثه إلى خوزستان، واستدعى أخاه محمد بن محمود من خوزستان، وأجابه على تحت السلطنة، في أوائل صفر سنة ثمان وأربعين، فقتل محمد [خاص بك] ثاني يوم قدومه. وملك نور الدين محمود بن زنكي دمشق في صفر سنة تسع وأربعين ونعمانية، واستولى شملة التركاني على خوزستان في سنة خمسين ونعمانية، وأزاح عنها ملكشاه بن السلطان محمود بن محمد. وضعت يد السلطان سنجر بن ملكشاه بن ألب أرسلان، حتى لم يبق له إلا اسم السلطنة، وأخذ الغزنيسا بور بالسيف، ففر منهم سنجر في رمضان سنة إحدى وخمسين إلى ترمذ، ثم إلى جيحون يريد خراسان، ثم عاد إلى دار ملكه بمرو. وسار السلطان محمد شاه بن محمود من همدان، وحصر بغداد في ذي الحجة منها، لامتناع الخليفة من الخطبة له، إلى أن عاد إلى

(١) في س "ومات". (٢) في ص "موت". (٣) في س وجوه.

(٤) كان خاص بك — واسمه الأصل أرسلان بن بلنكي — أقرب الأمراء إلى السلطان مسعود. وهو الذي أجلس ملكشاه على عرش عمه بالدرق. (Enc. Isl. Art. Mas'ud)، وكذلك ابن الأثير (نفس المرجع، ج ١١، ص ١٠٥ — ١٠٧). (٥) بدون ضبط في س وابن الأثير، واسمه أيغندي التركاني وكان معروفًا بشملة (ابن الأثير: نفس المرجع، ج ١١، ص ١٠٦). (٦) في س تريد. والتعلق بالثبوت هنا هو "المتداول على لسان أهل تلك المدينة" زمن ياقوت، وفيه كثير (ياقوت: معجم البلدان، ج ١، ص ٨٤٣). (٧) يقصد المؤلف سنة إحدى وخمسين المتقدمة الذكر (انظر ابن الأثير: نفس المرجع، ج ١١، ص ١٤٠ — ١٤٢).

- همذان في أنحرثات ربيع الأول سنة ثنتين وخمسين، ولم ينل طائلا من بغداد . ومات
السلطان سنجر بن ملكشاه بن ألب أرسلان في ربيع الأول سنة ثنتين وخمسين ، و [قد]
خطب له على أكثر منابر الإسلام بالسلطنة نحو أربعين سنة ، وكان قبلها يخاطب بالملك
عشرين سنة . واستخلف بعده على نراسان الملك محمود بن محمد بن بغراخان وهو ابن أخته .
ومات السلطان محمد شاه بن محمود بن محمد في ذى الحجة سنة أربع وخمسين بهمذان ، عن
اثنين وثلاثين سنة ، وترك ولدا صغيرا ، فاختلف الأمراء بعده : فمنهم من أراد أن يملك
ملكشاه بن محمود ، ومنهم من طلب سليمان شاه [بن محمد] ، وطلب قوم أرسلان [شاه بن
طغرل] . فسار ملكشاه من خوزستان إلى أصفهان وملكها ، فخالف عليه أهل همذان
وطلبوا سليمان شاه ، فسار (١٣ أ) من الموصل أول سنة خمس وخمسين يريد همذان ، فقبض
عليه بها في شوال سنة ست وخمسين ، وخطب لأرسلان شاه بن الملك طغرل بن محمد . ومات
ملكشاه بن محمود بن محمد بن ملكشاه بن ألب أرسلان بأصبهان في أثناء السنة ، وخطب
بعده بها سليمان شاه ، واستقر ملكه بتلك البلاد . ثم قتل السلطان سليمان شاه بن
محمد بن ملكشاه في ربيع الأول ، وخطب بعده لأرسلان شاه بن طغرل بن محمد بن
ملكشاه بن ألب أرسلان بن جفري بك داود بن ميكائيل بن سلجوق بهمذان وأعمالها .
وطلب [أرسلان شاه] من الخليفة المستنجد بالله أن يخطب له ببغداد ، كما كانت العادة
في أيام السلطان مسعود ، فآهين رسوله وأعيد إليه على أقبح حالة ، فكثر الخلاف والقتال
بين عساكر السلجوقية ، فمات أرسلان في سنة ثلاث وسبعين وخمسمائة . وأقيم من بعده

(١) في ب (ص ١٥ ب) "شهر ربيع الأول" ويحدث هذا التصرف الطفيف أحيانا ، أما الغالب في نسخة
ب فهو حذف كلمة "شهر" حيث توجد ، وسببه إلى هذا النوع الآخر من التصرف في مكانة مرة واحدة .
(٢) و (٣) في س نقي . (٤) في س استخلف .
(٥) راجع (Lane - Poole: Muhammadan Dynasties, Table facing p. 153) .
(٦) في س خالف . (٧) في س "طغرل" . (٨) في س "محمد بن داود" .

ابنه طغرل بن أرسلان آخر السلاطين السلجوقية، وكان تحت أمر قزل أرسلان ^(١٢) إيلديكر، ثم استبد بسلاطته، وفارق قزل أرسلان. فأقام قزل عوضه معز الدين سنجر بن سليمان بن محمد ابن ملكشاه، وطرده ثم ظفر به وبجنته، ثم خلص وقُتل في محاربة خوارزم شاه قريبا من الري، في رابع عشر ربيع الأول سنة تسعين وخمسمائة، وحُمل رأسه إلى بغداد فكان آخر السلجوقية، وملك بعده خوارزم شاه. فكانت مدتهم، من سنة اثنين وثلاثين وأربعمائة إلى سنة تسعين وخمسمائة، مائة وثمانيا وخمسين سنة. وكان أسد الدين شيركوه بن شادى قد تقدم عند نور الدين محمود بن زنكى، وبعثه أمير الحاج من دمشق، ثم سيره مع شاور ^(١٣) بن مجير السعدى وزير الخليفة العاضد [الفاطمي]، على عسكر من الفز إلى مصر. وكان شيركوه هذا وأخوه نجم الدين من بلد دوين ^(١٤) أحد بلاد آذربيجان، وأصلهما من الأكراد، فغدا مجاهد الدين ^(١٥) يهرز شحنة بغداد، فجعل أيوب مستحفظا لقلمة تكريت، فصار إليها ومعه أخوه شيركوه، وهو أصغر منه ^(١٦) .

(١) في س "طغرل".

(٢) في س "قزل أرسلان بن ايلدكر"، بدون ضبط. أما هذا السلطان الأخير من سلاجقة العراق فقد تولى الملك قاصرا صغيرا، وكان صاحب أمره أوزلا الأتابك البهلولان محمد بن إيلدكر، ثم بعد وفاته أخوه قزل أرسلان، واسمه عثمان بن إيلدكر. وقد تمرد هذا السلطان الأديب لما أضع على قزل، وظل يدفع من شرف الدولة السلجوقية واستغلاها بالعراق حتى مات في ميدان القتال سنة ٥٩٠ هـ (١١٩٤ م). راجع ابن الأثير: نفس المرجع، ج ١١، ص ٣٤٦ - ٣٤٧، ٣٧١ - ٣٧٣، وأيضاً ج ١٢، ص ١٥ - ١٦، ٤٩ - ٥٠.

٦٩٠ - ٧٠؛ وراجع أيضا (Enc. Isl. Art. Tughril, II.)

(٣) اسم هذا الوزير "أبو شجاع مجير الدين بن مجير السعدى" ومن هنا يتبين خطأ كاتب نسخة ب (ص ١٥) إذ أورد الاسم على أنه "شاور بن مجير الدين السعدى".

(٤) مضبوطة هكذا في ياقوت (معجم البلدان) ج ٢، ص ٦٣٢، وهي واقعة حسب جاء في نفس المرجع، في أثنان في آخر حدود آذربيجان بقرب تقيس.

(٥) وظيفة الشحنة هي الشنكية (انظر ص ٣٥، حاشية رقم ١). أما يهرز مجاهد الدين التتاي، فقد كان صاحب الشحنة ببغداد مرات متتحدة، بين سنتي ٥٠٢ - ٥٥٤ هـ (١١٠٨ - ١١٤٥ م). وأصله عبد روى من دوين، ثم كانت قلعة تكريت من ضمن أملاكه، فولى عليها صديقه وابن بلده أيوب، فبقي سنة ٥٢٥ هـ (١١٣٠ م). راجع ابن الأثير: الكامل في التاريخ ج ١٠، ص ٣٣٠، ٤٧٥ و ج ١١، ص ٧٠٥ - ٢٢٥، وأيضاً (Lane - Poole: Saladin, p. 5.) وكذلك (Enc. Isl. Art. Aiyūbids). (٦) أى حاكم كل تلك القلعة. (Dozy: Supp. Dict. Ar.)

وانظر أيضا ص ٣٥ حاشية ٥.

سنا، نخدم الشهيد زندي لما انهزم، فشكره^(١) ذلك . ثم إن شريكه قتل رجلا بتكرت، فطرد هو وأخوه من القلعة^(٢)، فسارا إلى زندي فأحسن إليهما ، وأقطعهما إقطاعا حسنا ، ثم جعل أيوب مستحفظا لقلعة بعلبك ، ثم ترقى وصار من أمراء دمشق . واتصل شريكه بنور الدين محمود بن زندي، وخدمه في أيام أبيه، فلما ملك حلب بعد أبيه، كان لنجم الدين أيوب عمل كبير في أخذه دمشق ، فزادت مكاتبتها عنده ، ولم ير أحدا يليق به أن يسير مع شاور إلى مصر سوى شريكه^(٣) ، فبعثه إليها معه ابن أخيه صلاح الدين يوسف ، فكان من أمره ما ذكر في أخبار المعاضد^(٤)، فلما مات شريكه قام من بعده صلاح الدين يوسف ، كما ستقف عليه فيما يأتي إن شاء الله تعالى^(٥) .

(١١٤) السلطان الملك الناصر صلاح الدين^(٦)

يوسف بن أيوب بن شادي بن مروان بن أبي علي [بن عترة] الحسن بن علي بن أحمد بن أبي علي بن عبد العزيز بن هُدْبَة بن الحَصِين بن الحارث بن سَتَان بن عمرو بن مرة بن عوف . ومن هنا اختلف النسابون : فقيل عوف بن أسامة بن تَهْشَبَن بن الحارث^(٧) [صاحب الحلة] ابن عوف بن ابن أبي حارثة بن مرة بن نُسْبَة بن غَيْظ بن مرة بن عوف بن سعد بن دُيَّان ابن بَيْض بن رَيْث بن غطفان بن سعد بن قلاس [بن] عيلان بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان . ويقال إن علي بن أحمد يعرف بالخراساني، مدحه المتني بقصيد منها : —

(١) انظر ص ٣٥ .. (٢) وقعت هذه الحادثة ٥٣٢هـ (١١٣٨م) . (٣) يهاشم الصفحة تفسير لهذا الاسم، نصه: "مضى شريكه اسم الثانية" . (٤) لا يوجد كثير من أخبار المعاضد هنا، وليس بالنسبة المطلوبة من كتاب اتصاف الحقا. بأخبار الخلفاء في. ، فإن آخر موضوعاته قتل الخليفة الحاكم بأمر الله (انظر ص ٩، حاشية رقم ٢) . (٥) لكي يتدعى المؤلف الموضوع التالي على ورقة جديدة، ترك بقية هذه الصفحة (١١٣) والتي تليها بيانا . (٦) يبدأ المؤلف في ص، والفاصح في ب، عناوين الموضوعات الجديدة أول سطر دائما بقلم مريض، بخط نسخ، بمبدأ أحمر غالبا . غير أن بعضها طويل، إذ يتبني عنوان هذا الموضوع عند لفظ "شادي" (سطر ٩) في المتن، وقد اكتفى منه بإقطة الأول . (٧) في ص "يحيى بن الحرث" . وبشرط . (٨) في ص ديان بن مريض، وبشرط . (٩) ليس لهذه النسبة، أو ما يشابهها من الأنساب العربية إلا "كراد"، نصيب من الصصة (انظر ص ٣، حاشية رقم ١) . ومع هذا فقد صححت الأعلام الواردة هنا على ماورد في ترجمة صلاح الدين بالجزء المختار من وفيات الأعيان في (Rec. Hist. Or. III, p. 400).

شرق الحق بالغباء إذا سار على بن أحمد القمقام

وقيل إن مروان من أولاد بني أمية ، زعم ذلك إسماعيل بن طفتكين بن أيوب ، وأنكر ذلك عمه العادل أبو بكر . وذكر ابن القادسي أن شاذي كان مملوكا لبهروز الخادم . والحق أنه من الأكراذ الروادية أحد بطون الهذبانية ، من بلد دوين في آخر آذربيجان من جهة أران وبلاد الكرج . وكان له ابنان ، أكبرهما أيوب ثم شيركوه ، قدم بهما العراق فخدما عند بهروز ، فجعل أيوب على قلعة تكريت وكانت في إقطاعه ، وقيل جعله بعد أبيه شاذي ، فخدم أيوب وشيركوه عماد الدين زنكي لما انهمز إليها ، ثم قتل شيركوه رجلا ، فأعرجه بهروز من تكريت هو وأخاه أيوب ، وقد ولد يوسف بن أيوب تلك الليلة . فلحق بزني ، واتصل أيوب بولده غازي بن زنكي ، وخدم شيركوه محمود بن زنكي . فأقام عماد الدين غازي أيوب بن شاذي على قلعة بعلبك ، وما زال يترقى [حتى صار من أمراء دمشق] .

ولد [صلاح الدين يوسف] بقلعة تكريت في سنة اثنتين وثلاثين وخمسمائة ، وكان أبوه نجم الدين أيوب واليا بها ، ثم انتقل بابنه يوسف إلى الموصل ، وصار منها إلى الشام ، فأعطى بعلبك ، فأقام بها مدة . وقتل يوسف وعليه لوائح السعادة ، وجالس مشايخ أهل العلم ، فجمع [له الشيخ الإمام] قطب الدين أبو المعالي مسعود بن محمد بن مسعود النيسابوري عقيدة تحوى

(١) انظر بعض أخباره في (Blochet : Op. cit. p. 98, N. 1.) .

(٢) راجع ص ٤ ، أيضا . (Rec. Hist. Or. III. p. 399) . (٣) مضيعة هكذا في ص . (٤) الرابع أنب المقرئ استعان بكتاب التوادر السلطانية والمهامن البوسنية لابن شداد ، في ترجمة صلاح الدين . غير أنه نسب العبارة كثيرا ، بل جعلها في حاجة إلى كثير من الإضافة بين أفواس مرصعة ، ولهذا يرى إيراد ما جاء في ابن شداد ، وهو : "وكان [صلاح الدين] رحمه الله عليه حسن العقيدة ، كثير الذكر لله تعالى ، قد أخذ عقيدته من الدليل ، بواسطة البحث مع مشايخ أهل العلم وأكابر الفقهاء . ومعهم من ذلك ما يحتاج إلى فهمه ، بحيث كان إذا جرى الكلام بين يديه يقول فيه قولا حسنا ، وإن لم يكن عبارة الفقهاء . فنحصل من ذلك سلامة عقيدته من كدر الشبه ، غير مارك سهم النظر إلى التطويل والتفويه ، جارية على نمط الاستقامة ، مراقبة لقانون النظر الصحيح ، مرضية عند أكابر العلماء . وكان قد جمع له الشيخ الإمام قطب الدين النيسابوري عقيدة تجمع جميع ما يحتاج إليه في هذا الباب ... " (Rec. Hist. Or. III. p. 7.) (٥) يهاشم الصفحة إشارة تاريخية ، ونصها : "ولد مسعود هذا في سنة خمس وخمسمائة ، ومات بدمشق سنة ثمان وسبعين وخمسمائة ، وكان إماما فاضلا في علوم الديانة" .

جميع ما يحتاج إليه، فن شدة حرصه عليها كان يعلمها صفار أولاده وبأخذها عليهم . وكان يواظب الصلاة مع الجماعة، حتى قال يوما : "لئى سنين ما صليت إلا فى جماعة". وكان إذا مرض استدعى الإمام وحده، وصلى خلفه . وصار فى خدمة نور الدين محمود بن زنكى ، فخرج مع عمه أسد الدين شيركوه إلى مصر، فى سنة ثمان وخمسين وخمسمائة، وقدمها . ثم عاد إلى الشام ، وقدمها ثانيا مع عمه ، وحضر وقعة البابين^(١) ، وحصره الفرنج بالإسكندرية . ثم خرج مع عمه إلى الشام ، وسار معه فى الكرة الثالثة حل كره منه فى المسير إلى مصر، فقدمها فى سنة أربع وستين . ولما تقاعد شاور عن إجابة شيركوه، وإعطائه ما تقدم به الوعد لبور الدين وللعسكر، تشاوروا على الإحاطة به والقبض عليه، فلم يحسر عليه أحد منهم إلا صلاح الدين : فإنه لما قدم عليهم شاور على عاتقه فى كل يوم ، وساروا معه لقصد أسد الدين ، سار صلاح الدين إلى جانبه وأخذ يتلأبى به، وأمر العسكر بأخذ أصحابه، وفروا عن شاور، ونهب ١٠ الفز ما كان معهم، وسبق شاور إلى المنجم وقتل^(٢) . فاستقر أسد الدين [شيركوه] بعده فى وزارة العاضد إلى أن مات، فى ثانى عشرى جمادى الآخرة من سنة أربع وستين . فتَوَّض العاضد وزارته إلى صلاح الدين ، وتعتة بالملك الناصر، فثنى الأحوال، وبذل الأموال، واستعبد الرجال، وتاب عن الخمر فترك معاقبته، وأعرض عن اللهو . ودبر الأمر فى نوبة نزول الفرنج على ديباط أحسن تدبير، حتى رحلوا عنها خائنين، فنبئت آلاتهم، وأحرقت مجانيقهم، وقتل ١٥ منهم خلق كثير . وتمكن [صلاح الدين] فى مصر، فقدم عليه أبوه نجم الدين أيوب وإخوته وأهله . ثم إنه دأب فى إزالة الدولة الفاطمية وقطع دابرها ومحو آثارها، فأعانه الله على ذلك،

(١) تقع هذه البلدة عند مسافة عشرة أميال جنوبي المنيا، وقد اشتهر بمعاها، فى ١٨ إبريل سنة ١١٦٦ م ، شيركوه مع شاور وحليفه عمورى (Amaury) ملك الدولة الصليبية بيت القدس، وانعصر شيركوه عليها بفضل قائد قلب جيشه صلاح الدين . (Lane - Poole : Saladin, pp. 88 - 89) . (٢) بعد قتل شاور، طلب الخليفة العاضد أيضا "وله شاور الملك الكامل، وقتله فى المعركة؛ وقتل أخاه" كذلك (ابن تيمرى برى : النجوم الزاهرة، ج ٣، ص ١٠٠، وابن الأثير : الكامل فى التاريخ، ج ١١، ص ٢٢٠ — ٢٢٤) .

(٣) فى س "مناجيتهم". ويشير المؤلف هنا إلى حصار الصالبيين ديباط فى نوفمبر سنة ١١٦٩ م، وإلى جلائهم عنها فى ديسمبر من السنة نفسها . (Lane-Poole : Saladin, pp. 103-105)

ومات العاضد وقد قطع [صلاح الدين] خطبته، وأمر الخطباء بالدعاء (١٤٠) للستضيء [بنور الله العباسي]، فاستولى على القصر وراح يحويه من عاشر المحرم سنة سبع وستين. وأخذ يتأهب لغزو الفرنج، وقد انفرد بسلطنة ديار مصر. وكتب العباد الإصفهاني إشارة تُقرأ في سائر بلاد الإسلام بإقامة الخطبة العباسية بمصر، وإشارة ثانية تُقرأ بمحضرة الخليفة المستضيء بنور الله في بغداد، على يد القاضي شهاب الدين المطهر بن شرف الدين بن عَصْرُون. فصار [القاضي]، ولم يترك مدينة ولا قرية إلا وقرأ فيها المنشور، حتى وصل بغداد، ففرج الناس إلى لقاءه، ودخل يوم السبت ثاني عشره، فَمَلَقَتْ أسواق بغداد بالزينة، وخليع عليه.

وفي يوم الجمعة رابع عشره أُخرج الكامل شجاع بن شاور، من المكان الذي قُتل فيه بالقصر ودفن فيه، فوجدت الجثة مغطاة بِجَنَتي عمه وأخيه، فغمموا في تابوت جَلَّ إلى قبر شاور، فنبش عنه وأُخرج منه، وكان في مكان غامض، وحمل في تابوت. وسادوا بالتأبوتين إلى تربة طي^(٥) بن شاور فدفنوا بها. وفي تاسع عشره رحل السلطان الملك الناصر من القاهرة، وتزل البئر البيضاء يريد بلاد الشام، فوصل إلى الشوبك، فواقع الفرنج، وعاد على أيلة، وهلك منه نحو الخمسة آلاف رأس، ما بين حمل وفرس، في هذه السفرة.

وفيها فُرِقت الزكوات في ثالث ربيع الأول على الفقراء والمساكين، وأبناء السبيل والغارمين، ووقع إلى بيت المال سهم العاملين والمؤلفة وفي سبيل الله وفي الرقاب. وأُخذت

(١) قصود القاطنين بالقاهرة كثيرة، ولعل المقصود هو القصر الكبير الذي بدأ بنائه القائد جوهر الصقلي سنة ٩٦٩م.

(Lane-Poole : Cairo 126-128).

(٢) أي المحرم سنة ٥٦٧ م. ويقع هذا التاريخ يوم الجمعة بالقبض.

(٣) لعل المقصود هو صبح أعوش شاور، الذي جرح بجراحاً يلحقاً منته في تلك الأيام (حسن إبراهيم حسن : القاطنين في مصر، ص ٢٠٣). (٤) في س "رجل". (٥) أولاد شاور ثلاثة، وهم : طي وشجاع وسليمان الأول أكبرهم، وقد قتل سنة ١١٦٣ م، بعد قليل من سفر أبيه شاور إلى الشام، لاستبعاد نور الدين على شمرام. (Enc. Isl. Art. Shawar). قارن هذا بما هو وارد في حسن إبراهيم حسن : القاطنين في مصر، ص ٢٩٩ - ٣٠٠. (٦) لم يرد هذا الاسم في محم البلدان لياقوت، غير أن "البيضاء" فقط "اسم لأربع قرى بمصر، الأولى من كورة الشرقية"، والراجح أن هذه القرية هي ما قصد المقرئ من هنا (ياقوت : معجم البلدان، ج ١، ص ٧٩٣).

- الزكاة من البضائع ، وعلى ما اقتدر عليه من المواشى والنخل والخضراوات ، وقررت السكة باسم المستضى بأمر الله ، وباسم الملك العادل نور الدين ، فُقِش اسم كل منهما في وجهه ، وذلك في سابع شهر ربيع الآخر . وفيه قُلِعَت المناطق الفِضة التي كانت بمجاريب جوامع القاهرة التي فيها أسماء الخلفاء الفاطميين ، وكان وزنها خمسة آلاف درهم فضة نقرة . وفيه أُزِيلَ الغر بالقصر الغربي ، وأخرج من كان ساكنا فيه . وَوَرَدَ الخبر بأن انخمور — بعد تعطيلها ، وغلق حاناتها وقطع ذِكراها ، بالإسكندرية — أُعيدت ببذل مال لديوان نجم الدين أيوب ، ففُتِحَت مواضعها وظهرت منكرها . وفي جمادى الآخرة قُرِّرَ دينار الأسطول بنصف وربع دينار ، بعد أن كان بنصف ومغن دينار ، وفي سابعه وَلِدَ عثمان الملك العزيز . وفي ثالث عشره كُشِفَ حاصل القصر بالخزائن الخاصة ، فوجد فيها مائة صندوق كُسوَة فائرة ، ما بين مَوْصَحٍ ومَرْصَعٍ ، وعقود ثمينة ، وذخائر نفيسة ، وجواهر نفيسة ، وغير ذلك من ذخائر عظيمة . وكان الذي تولى كشفها ١٠ بهاء الدين قراقوش . وفيها كثرت عادية الفار في أكل ثمار النخل والأقصاب والأشجار ، وآتَمَى الحال إلى أن أُعْصِرَ من مائة فدان مزروعة قصبيا ستون أبلوja . ومع هذا بالأسعار
- (١) الفضة النقرة عبارة عن سبيكة من الفضة والنحاس الأحمر ، بنسبة ثلثين من الفضة وثلث من النحاس الأحمر ، ومنها كانت تضرب الدراهم النقرة . (الفقشندى : ص ٤٤٣ ، ج ٣ ، ص ٤٦٦ — ٤٦٧) .
- (٢) في "فتنحت مواضعها وظهرت منكرها" . (٣) عن الفاطميين بالأسطول ، وكان قواده في أيامهم عشرة ومرتباتهم من ديوان الجيش ، وهذه تختلف من عشرين دينارا إلى دينارين وعبرتها واجبة إلى الإقطاعات التي تعرف بأبواب الفزاة ، والتي منها روايتهم ، ولهذا كان يصل دينارهم — أى دينار الأسطول — بالخاصة إلى النصف . وقد اعنى صلاح الدين أيضا بالأسطول ، فأفرد له ديوانا خاصا عرف بديوان الأسطول ، وعين له نواصى عديدة من الخارج ، كما زاد في إقطاعاته وفي دينارته إلى ما هو مبين بالحق (المقرئى : المواعظ والاعتبار ، ج ١ ، ص ٤٨٢ — ٤٨٣ ، ج ٢ ، ص ١٨٩ — ١٩٧) . (الفقشندى : ص ٤٤٣ ، ج ٣ ، ص ٤٦٦ — ٤٦٧) .
- (٤) ثاني أولاد صلاح الدين . انظر أخبار سلطته فيما نل . (٥) في س ، ب (ص ١٦ ب) "قراقوش" ، ويصير إلى الرسم الوارد هنا في سائر النسخ بـ لاتبه . واسم بهاء الدين بن عبد الله الأسدى الروى المالكي ، وأصله عبد طراش ، أحفد أمدالدين شيركوه ، وأصبح في أوائل أيام وزارة صلاح الدين ساجيا ، وقد تبطت به بعد ذلك أعمال عامة كبناء قلعة الجبل بالقاهرة ، واستمر موضع ثقة صلاح الدين ، وولده عثمان من بعده كما سيأتى ذكره (Enc. Isl. Art. Karakūsh) . (٦) في س الموجه ، ويقرأ (Dozy: Supp. Dict. Ar.) .
- بأنه (pain de sucre) أى قع سكر . (٧) في س الأسعار .

رخيصة ، (١١٥) والفلة كل ثلاثة أرباب من القمع بدينار ، والشعير كل ثمانية أرباب بدينار ، والقول كل أربعة عشر أردبا بدينار ، والسكر كل قنطار بثلاثة دنانير . وفي تاسع رجب وصلت الخلع التي نُفِدت إلى نور الدين من الخليفة ببغداد ، وهي فَرَجِيَّة سوداء وطوق من ذهب ، فلبسها نور الدين ، وسيرها إلى الملك الناصر ليلبسها ، وكانت نفدت له خِلمة ذكر أنه استقصرها واستنزرها واستقصرها دون قدره . فبات الواصل بالخلع برأس الطايبية ، فلما كان العاشر منه خرج قاضي القضاة صدر الدين بن دُرَّ بَاس^(١) والشهود والمقرون والخطباء إلى خيمة الواصل بالخلعة ، وهو من الأصحاب النجمية ، ورُيِّت البلد . وفيه ضُربت نُوبُ الطلخانة بالباب الناصري ثلاث مرّات في كل يوم ، وضربت بدمشق خمس مرّات كل يوم بالباب النوري . وفي حادي عشره ركب السلطان بالخلع ، وشق بين القصرين والقاهرة ، فلما بلغ باب زويلة تزعمها وأعادها إلى داره ، وبرز للعب الكرة . وفيها عمت بلوى الضائقة بأهل مصر ، لأن الذهب والفضة نرجا منها وما رجعا ، وعُدما فلم يوجد ، ولجج الناس بما عثمهم من ذلك ، وصاروا إذا قيل دينار أحمر فكأنما ذكرت حرمة الفيور له ، وإن حصل في يده فكأنما جاءت بشارة الجنة له . ومقدار ما يُجَدِّس أنه نخرج

(١) مضبوطة على منقولها الفرنسي في (Blochet : Op. cit. p. 105) . (٢) الطلخانة — بالماء — كلمة فارسية معناها فرقة الموسيقى السلطانية ، وكانت العادة أن ترق نوبة في كل ليلة بالقلعة بعد صلاة المغرب ، وتكون صفة السلطان في الأسفار والحروب . والطلخانة أيضا المكان المخصص من حواصل السلطان لطيرل الفرقة وأربابها وتوابعها من الآلات . (الفتقشني : صبح الأمشئ ، ج ٤ ، ص ٨ — ١٣٥٩) . وانظر أيضا : (G.-Demombynes: La Syrie, Introd. P.LIV) . وفي هامش الصفحة حارة تفسيرية لأصل نظام نوبات الطلخانة ، وهذا نصها : " أصل ذلك أن السلطان علاء الدين خوارزم شاه لما مزم على السير إلى العراق ، وخاف على الخليفة الناصر ، ضرب نفسه نوبة ذى القرنين قناطرا ، وهي [في] وقتي الشرق والغروب ، بعد ما كانت تضرب له خمس نوب في أوقات الصلوات الخمس ، فقوضها لأولاده يضربونها في الأقاليم التي سماها لهم على أبواب دور سلطنتهم ، فذلك كان نور الدين يضرب بدمشق والغرب الخمس . وأقول يوم ضربها خوارزم شاه اختار لضربها سبعة وعشرين ملكا من أكابر الملوك وأولادهم ، وكانت آلات النوبة من الذهب " . (٣) في ص " روم " ، وهي في ب (ص ١١٧) " ثم لعب " .

- من القصر ما بين دينار ودرهم ومصاغ وجوهر ونحاس وطبوس وأثاث وقماش وسلاح مالا يفي به ملك الأكسرة، ولا تصوره الخواطر، ولا تشمل على نيله الممالك، ولا يقدّر على حسابها إلا من يقدر على حساب الخلق في الآخرة . وفيها عرض السلطان المبربان الجذامين^(٢)، وكانت عندهم سبعة آلاف فارس، فاستقرت على ألف وثلاثمائة فارس لا غير، وأخذ بهذا الحكم عشر الواجب، وكان أصله ألف ألف دينار، وكُلف الثعالب [مثل] ذلك فامتصوا، ولوحوا بالتحيز إلى الفرنج . وفي ثاني عشرى رجب أقيمت الخطبة في صلاة الجمعة بمصر والقاهرة، وقد نصبت على المنابر الأعلام السود، وليس الخطباء ثيابا سودا أرسل بها من بغداد . وجرّس في البلد بالأتان أحد عن الجمعة وحضورها، والفرصة وأدائها، ومن عُثر عليه (١٥ ب) عودل بالحبس والتقييد واللوم والتفنيذ، فحضر من لا يريد الحضور . وفي ثالث عشره خُلع على الوفد الشامي خلع مذهبات من بقايا ما أخذ من القصر، وأقيمت ضيافتهم وأُدرت أنزالاتهم . وفي شعبان وقع برّد في الدقهلية والمراةج كأنه الإجماع المدقورة، فاستهلك الغلات، وأصاب منها واحد رأس ثور فمات من ساعته، وبلغ وزنها ما بين رطل كل برّة إلى رطلين . وفيه سارت الرسل من القاهرة إلى نور الدين بلبس الخلع، وبتقرير ما أمر به [صلاح الدين] من المال في كل سنة . وفيه أمر السلطان بصرف أهل الذمة والمنع من استخدامهم في أمر سلطاني ولا شغل ديواني، فصرف جماعة، ولم ينصرف واحد منهم من كتابة الفز، وأرجف بإخراجهم من البلد وأخذ مساكنهم . فلما كان الخامس عشر منه صُرفت جماعة من وجوه [أهل] الذمة من الأشغال السلطانية، وبقى بعضهم، وكتاب الفز

(١) كما في ص والصحيح "الغلباسي" جمع "طبسي" وهو الإتا. الصغير . أما الطبروس فهو جمع طبس وهو القنب . (Dozy: Supp. Dict. Ar.) . (٢) في ص "الجذامين" .

(٣) الدقهلية والمراةج هما الجزء التالي من مديرية الدقهلية الحالية، وكانا قسمين إداريين إلى عصر المماليك البحرية، ثم صارا قسما واحدا . وتنسب الدقهلية إلى دقهلة، التي تقع حسا جاء في ياقوت (معجم البلدان، ج ٢، ص ٥٨١) على أربعة فرائج جنوبي دياط . وكان من حدود هذه الكورة أو القسم الإداري الجدي في الجنوب بلدة السيلابون، وفي الشمال قرب بلدة شرين . وأما الأراضي الواقعة على ضفتي فرع دياط، فإلى هذه الكورة إلى البحر، فكانت تسمى ثغر دياط (P. Omar Toussoun : La Geog. de L'Egypte... Arabe, T. I. P. 221) .

على خالم، واستموا من صرفهم بأنهم قد دبروا أمرهم، ويخشون بإخراجهم ضياع أمورهم .
 وفي حادى عشره خرج السلطان إلى الإسكندرية ، وسبب خروجه إليها كثرة رجاله وقلة
 أمواله بحيث ضاق به التدبير ، فقبل له إن في بلاد برقة أموالاً متسعة ، وليس بها إلا عربان
 غير مانعة ، نفرج لذلك . وعقد بالإسكندرية مشورا ، حضره [أبوه] نجم الدين أيوب
 وشهاب الدين [الحارمى] وتقى الدين ^(٢) [عمر] ، بسبب المسير إلى بلاد الغرب ، ومبادرة زرعها
 قبل حصاده . وكتب من بمصر والقاهرة من الجند بالحضور ، وتجهيز الأسواق من السقطيين ^(٣)
 والياطرة وغيرهم ، وكتب العربان بطلب الزكوات والإتكار عليهم في قطع الطريق على الجلائين .
 واتضح أنه مُد في هذه السنة مائة ألف رأس من الغنم . واستقر رأى على أن تقي الدين
 عمر بن شاهنشاه بن [نجم الدين] أيوب يتوجه بمسكوه ومعه نهمائة فارس أتر ، وتقررت
 حوالتهم في النفقة عليهم على [كورة] البعيرة . وفي ذى القعدة كثرت المناسر ، وهجموا [على] الدروب
 بالسلاح والشموغ ، وحاربوا الناس ، وأخذوا المنازل ، وأحرقوا الدور بمصر . وفي ذى الحجة
 وصل رسول مملك الحبيشة بهدية وتخلب إلى [الخليفة] العاضد ، فقرأ كتابه وأخذت هديته .
 ووصل عسكر ملك النوبة إلى القرى المتاخمة لثغر أسوان . وفيها ابتدأت الوحشة والفرقة بين
 الملك العادل (١١٦) نور الدين محمود وبين السلطان صلاح الدين يوسف : وذلك لأن
 نور الدين بعث إلى صلاح الدين يأمره بجمع المساكر المصرية ، والمسير بها إلى بلاد الفرنج
 وعبصرة الكرك ، ليجتمع هو وإياه على ذلك . فبرز [صلاح الدين] وكتب إلى نور الدين
 بذلك ، فخوفه أصحابه من الاجتماع بنور الدين . وكان نور الدين قد جمع عساكره ، وأقام ينتظر
 الخبر ، فلما آتاه الخبر بأنه قد برز رحل عن دمشق ، ونازل الكرك وهو ينتظر قدوم صلاح الدين ،
 فأتاه كتابه ينتذر عن الوصول باختلال بلاد مصر والخوف عليها ، ويأمره أنه عاد إلى القاهرة ،

(١) في م اموال . (٢) شباب الدين خال صلاح الدين ، وتقى الدين هو عمر بن شاهنشاه ، أى ابن أخى
 صلاح الدين (انظر مايل) - (٣) الطالب أن المؤلف يقصد بهذا الاسم سفار الباعة عموما . على أنه يحتمل أيضا
 أنه أراد بابه للسط والكروش - انظر (Dozy. Supp. Dict. Ar.) و (Blochet: Op. cit. p. 108) .
 (٤) المنسرف فتح الميم وكمرها شرفة من العسكر - (يحيط المحيط) .

- فغضب ذلك على نور الدين ، وعزم على دخول مصر وقلع صلاح الدين منها . فبلغ ذلك صلاح الدين ، تخاف ، وجمع أهله وخواصه واستشارهم ، فقال تقي الدين عمر ابن أخيه : — "إذا جاء قابله كلنا ، وصدناه عن البلاد" ، ووافقته جماعة من أهله على ذلك . فسيبهم نعيم الدين أيوب ، وأنكر عليهم ، وكان ذا رأى ومكر ، وقال لابن ابنه تقي الدين : "اقعد" ، وسبه . والتفت إلى ولده السلطان صلاح الدين وقال : "أنا أبوك ، وهذا شهاب الدين الحارمي خالك ! أنتظن في هؤلاء من يحبك ويريد لك الخير أكثر منا؟" قال : "لا" . فقال [نعيم الدين] : "واقه لو رأيت أنا وخالك هذا السلطان نور الدين لم يمكنا إلا أن تتربل له ، وتقبل الأرض بين يديه ، ولو أمرنا بضرب عنقك بالسيف لفعلنا . فإذا كنا نحن هكذا فكيف يكون غيرنا؟ وكل من تراه من الأمراء والساكر ، لو رأى السلطان نور الدين وحده لم يتجاسر على الثبات في سرجه ، وما يسمعه إلا التزول وتقبل الأرض بين يديه . وهذه البلاد له ، وقد أقامك فيها نائباً عنه ، فإن أراد عزلك فأى حاجة إلى المجئ؟ يأمرك بكتاب مع نجاب حتى تحصل خدمته ، ويولى البلاد من يريد" . وقال للجماعة كلهم : "قوموا عنا ، فنحن ممالك السلطان نور الدين وعبيده ، يفعل بنا ما يريد" . ففارقوا على هذا ، وكتب أكثرهم إلى نور الدين بهذا الخبر . ثم إن نعيم الدين خلا بابنه صلاح الدين وقال له : "أنت جاهل قليل المعرفة ، تجمع هذا الجمع الكثير وتظلمهم على ما في نفسك ، فإذا سمع نور الدين أنك عازم على منعه عن البلاد ، جعلك أهم أموره وأولاه بالقصد ، ولو قصدك لم ترمك أحداً من هذا المعسكر ، وأسلموك إليه . وأما بعد هذا المجلس فإنهم سيكتبون إليه بقولى ، فاكذب أنت إليه أيضاً في المعنى (١٦) ب) وقل له : "أى حاجة إلى قصدى ؟ نجاب يجمع فيأخذنى بجبل يضعه في عنق ، فإنه إذا سمع هذا عدل عن قصدك ، واشتغل بما هو أهم عنده ، والأيام تدرج ، والله عز وجل كل يوم هو في شأن" . ففعل صلاح الدين ما أشار به أبوه ، فالتخدع نور الدين وعدل عن قصده ،
- واندرجت الأيام كما قال نعيم الدين ، ومات نور الدين .

(١) كذا في س بنبر ضبط .

وفيما اتخذ نور الدين محمود بالشام [الحمام الموادي لنقل البطائق] ^(١) . وفيها ولى أمير الينغ
خطابة الجامع العتيق، بعد موت الشريف تاج الشرف حسن بن أبي الفتوح ناصر في المحرم ^(٢) .

♦ ♦ ♦

سنة ثمان وستين وخمسمائة . فيها خرج السلطان صلاح الدين بمساره يريد بلاد الكرك
والشوبك : فإنه كان كلما بلغه عن قافلة أنها خرجت من الشام تريد مصر خرج إليها ليحميها
من الفرنج ، فأراد التوسيع في الطريق وتسهيلها . وسار إليها وحاصرها ، فلم ينل منها قصدا
وعاد . وفيها جهز [صلاح الدين] الهدية إلى السلطان نور الدين ، وفيها من الأمتعة والآلات
الفضية والذهبية والبلور واليشم أشياء يمز وجود مثلها ، ومن الجواهر والآلات ^(٣) شي عظيم القدر ،
ومن العين ستون ألف دينار ، وكثير من الفرائب المستحسنة ، وفيل وحمار عتاي ^(٤) ، وثلاث
قطع بلخش فيها ما وزنه نيف وثلاثون مثقالا ، وكان ذلك في شوال . وفيها خرج العبيد من
بلاد التوبة لحصار أسوان ، وبها كثر الدولة ، فجهز السلطان الشجاع البلبيكي في عسكر
كبير فسار إلى أسوان ، وقد رحل العبيد عنها ، فقتلهم ومعه كثر الدولة ، وواقعهم وقتل منهم
كثيرا ، وعاد إلى القاهرة . وفيها سار الملك المعظم شمس الدولة نحر الدين تورانشاه بن أيوب ،
أخو السلطان صلاح الدين ^(٥) ، إلى بلاد التوبة ، وفتح قلعة إيريم وسبي وغنم ، وعاد إلى أسوان ^(٦) .

- (١) أضيف ما بين القوسين من ابن الأثير (الكامل في التاريخ ، ج ١١ ، ص ٢٤٦) لتعدد قراءته في س ،
بسبب ورودها مع هامش بين ملحق الصفحتين ١٦ ب ١٧ .
- (٢) في س الشرف . (٣) جرمين قريب من الزبيد (Blochet : Op. Cit. P. 116) .
(٤) في س شيأ . (٥) في س ستين . (٦) في س كثيرا . (٧) الغالب أن المؤلف يقصد
نوعا من حمار الوحش ، لأن كلمة "عتاي" تطلق على صف من قاش غشن مخطط بجمرة وصفرة ، وفراء حمار الوحش
مخطط أيضا (عتاي : Dozy : Supp. Diet. Ar.) . (٨) نوع من الباقوت ، والدالة تميزه من غيره بهذا
الاسم ، غير أن التسمية الصحيحة هي "الباقوت البدغشي" نسبة إلى جهات بدغشان في أقصى شرق أفغانستان
(Quatremère : Maml. II. I. P. 71) وكذلك (Blochet : Op. cit. P. 110) .
- (٩) اسمه أيضا "الكز" قط ، وهو مصري من الصعيد ، انتزع إلى أسوان لما شرد صلاح الدين الجنود
السودانية الفاطمية بعد كشف مؤامرة الطواشي مؤتمن الخلافة . وقد جمع الكز إليه بقايا تلك الجنود ، وحاول
معه إعادة الدولة الفاطمية (ابن شداد الوارد السلطانية ، ص ٥٦ في Rec. Hist. Or. Vol. III.) .
(١٠) في س "إني" . (١١) ضبط هذا الاسم على منطوقه (Blochet : Op. cit. P. 111) .

- وأقطع إبريم رجلا يعرف بإبراهيم الكردي، فسار إليها في علة من الأكراذ، وابنتوا يشنون الغارات على بلاد النوبة، حتى امتلأت أيديهم بالأموال والمواشي بعد فقر وجهده. فوافى خطاب ملك النوبة إلى شمس الدولة وهو بقوص مع هدية، فأكرم رسوله وخلع عليه، وأعطاه زوجين من نساب، وقال له: "قل للوك مالك عندى جواب إلا هذا"^(١). وجهز معه رسولاً ليكشف له خبر البلاد، فسار إلى دمنقة وعاد إليه، فقال: "وجدت بلاداً ضيقة، ليس بها من الزرع سوى الذرة ونخل صغير منه أدامهم؛ ويخرج الملك وهو عريان على فرس عري، وقد التفت في ثوب أطلس، وليس على رأسه شعر. فلما قدمت عليه وسلمت مخك وتناشئ، وأمر بى فكوت على يدى هيئة صليب، وأنتم على نحو خمسين رطلا من دقيق. وليس فى دمنقة^(٢) (١٧) عمارة سوى دار الملك، وباقيا أخصاص". وفيها عظم هم [السلطان] نور الدين بأمر مصر، وأخذ من استيلاء صلاح الدين عليه المقيم المقعد، وأكثر من مراسلته بجمال الأموال، ثم بعث بوزيره الصاحب موفق الدين خالد بن محمد بن نصر بن صغير القيصرانى إلى مصر، لعمل حساب البلاد، وكشف أحوالها، وتقرير القطيعة على صلاح الدين فى كل سنة، واختيار طاعته؛ فقدم إلى القاهرة وكان من أمره ما يأتى ذكره إن شاء الله. وفيها مات أيوب بن شادى بن مروان بن يعقوب نجم الدين الملقب بالملك الأفضل أبى سعيد الكردي، والد السلطان صلاح الدين يوسف. وذلك أنه خرج من باب النصر بالقاهرة، فألقاه الفرس إلى الأرض يوم الثلاثاء ثامن عشر ذى الحجة، فحمل إلى داره فى تاسع عشرة وقيل لثلاث بقين منه، فقبُر عند أخيه أسد الدين شيركوه، ثم نقل إلى المدينة النبوية فى سنة ثمانين وخمسمائة.

(١) كما فى س دائماً، وهى أيضاً صحيحة بالنون بدل الميم (باتت: سمع البلدان، ج ٢، ص ٥٩٩ و ٦١١). (٢) بين الصفيين ١٦ ب ١٧ أ حاشى على ورقة مفصلة. وقد لفق هناك خطأ، وموضعه المناسب حيث حوادث سنة ٥٧٥، فيظهر هناك. (٣) فى س "صير"، وقد صححت على مخطوطها فى (Blochet : Op. cit. P. 112).

* * *

سنة تسع وستين وخمسمائة . فيها وصل إلى القاهرة موفق الدين أبو البقاء خالد

ابن محمد بن نصر بن صغير المعروف بابن القيسراني من عند السلطان الملك العادل نور الدين،
مطالباً لصلاح الدين بالحساب عن جميع ما أخذ من قصور الخلفاء وحصل من الارتفاع^(١) .

فشق ذلك عليه وقال : " إلى هذا الحد وصلنا ؟ " وأوقفه على ما تحصل له ، وعرض عليه

الأجناد، وعرفه بمبالغ إقطاعاتهم وجامعاتهم^(٢)، ورواتب نفقاتهم . ثم قال : " وما يضبط

هذا الإقليم العظيم إلا بالمال الكبير، وأنت تعرف أكاير الدولة وعظامها، وأنهم معتادون

بالنعمه والسعة، وقد تصرفوا في أماكن لا يمكن انتزاعها منهم، ولا يسمحون بأن ينقص من

ارتفاعها "، وأخذ يجمع المال . وفيها سار الأمير شمس الدولة تورا نشاء، أخو السلطان

صلاح الدين، إلى اليمن : وذلك لشدة خوف صلاح الدين وأهله من الملك العادل نور الدين

أن يدخل إلى مصر ويتزعهم منها، فأحبوا أن يكون لهم مملكة يصيرون إليها. وكان اختيارهم

قد وقع على النوبة، فلما سار إليها لم تسجبه وعاد . وكان الفقيه عمارة اليمني قد انقطع إلى

الأمير شمس الدولة، ومدحه واختص به، وحديثه عن بلاد اليمن وكثرة الأموال بها، وهون

أمرها عنده، وأغراه بأن يستبد بملك اليمن، وتعرض لذلك في كلمته التي أولها :

العلم^(٣) مذكأن محتاج إلى العلم . وشفرة السيف تستغنى عن القلم

ومنها : -

فأخفق لنفسك ملكاً لا تُضاف به . إلى سواك وأور النار في العلم

هذا ابن تومرت قد كانت بدايته . كما يقول الوري، لما على وض

(١) الارتفاع ما يحصل من الدواوين عامة . راجع الفهرس . (٢) الجانيات الرواتب عامة

(Dozy: Supp. Dict. Ar.) وفي القلقشندي (صبح الأعشى، ج ٣، ص ٥٧) أن ثقة ممالك السلطان

كانت عبارة عن "جامعات وطيف وكسوة وغير ذلك"

(٣) كثير من أبيات هذه القصيدة وارد في ترجمة عمارة اليمني وقد قول الورد هنا عليها . انظر

(Derenbourg: Oumara du Yemen, T. 1. PP. 352—355, T. 2. PP. 619—620)

(١٧ ب) وكان شمس الدولة مع ذلك جواداً كثير الإنفاق، فلم يقنع بما له من الإقطاع بمصر، وأحب التوسع . فاستأذن صلاح الدين في المسير، فأذن له واستعد لذلك، وجمع وحشد، وسار مستهل رجب . فوصل إلى مكة فزَّارَ، ثم خرج منها يريد اليمن، وبها يومئذ أبو الحسن علي بن مهدي، ويقال له عبد النبي . فاستولى على زبيد في سبع شوال، وقبض على عبد النبي، وأخذ ما سواها من مدائن اليمن، وتلقب بالملك المظلم، وخطب له بذلك بعد الخليفة المستنفي بأمر الله في جميع ما فتحه، وبعث إلى القاهرة بذلك . فسير السلطان صلاح الدين إلى الملك العادل يعلمه بذلك، فبعث بالخبر إلى الخليفة المستنفي ببغداد . وفي سادس شعبان قبض على أولاد العاضد وأقاربه، وأخرجوا من القصر إلى دار المظفر بجارة برجوان، في العشر الأخير من رمضان .

- وفيها اجتمع طائفة من أهل القاهرة على إقامة رجل من أولاد العاضد، وأن يفتكوا بصلاح الدين، وكتبوا الفرنج : منهم القاضي المفضل ضياء الدين نصر الله بن عبد الله ابن كامل القاضي، والشريف الجليلي، ونجاح الحماسي، والفقير عمارة بن علي البماني، وعبد الصمد الكاتب، والقاضي الأعز سلامة العوريس متولى ديوان النظر ثم القضاء، وداعي الدعاة عبد الجبار بن إسماعيل بن عبد القوى، والواعظ زين الدين بن نجاشي فوشى [ابن نجاشي] بنجرهم إلى السلطان، وسأله في أن ينعم عليه بجميع ما لا ين كامل الداعي من الدور

(١) قبالة هذه العبارة كلمة "انظر" بالهامش . (٢) قصة هذه الحادثة منشورة منسوبة في كتاب تاريخ عمارة اليمن تحت عنوان "نبذة من كتاب السلوك..." . (Derenbourg: Oumara, T. II. PP. 650—652)

وقد قيل ما هنا طبعاً . (٣) بغير ضبط في س . (٤) تقاصر منصب الوزارة بمصر منذ مصر الأيوبيين، وشارك الوزير في أعماله وتصرفها الخازن، وتوزعت ألقاب هؤلاء بحسب الأعمال التي آلت إليهم : فناظر الجيش هو الذي يضبط في أموال الجيوش وينظر في حسابها، وناظر الخالص هو الذي ينظر في خاص أموال السلطان، وناظر الدولة وعمله مشاركة الوزير في التصرف عامة، والنظر في المسألة وأرزاق أصحاب القلم من الموظفين خاصة - واسمه أيضاً ناظر الدواوين، وأحياناً ناظر الخازن أو صاحب الشريف، ومقره ديوان النظر . ومجاورة في أعماله متولى الديوان، وهو ثاني رتبة الناظر . التفتيشي : صبح الأعشى، ج ٥، ص ٤٦٥ — ٤٦٦، (G. — Demombynes: Op. cit. P. LXVIII) . (٥) أخيف ما بين القوسين بسند مراجعة ابن الأثير (الكامل في التاريخ ج ١١، ص ٢٦٢ — ٢٦٤) .

والموجود كله ، فأجيب إلى ذلك ، فأحيط بهم وشقوا في يوم السبت ثاني شهر رمضان بين
 الفصرين : فشقَّ عمارة وصلب فيها بين بابي الذهب وباب البحر ، وابن كامل في رأس
 الخروقيين التي تعرف اليوم بسوق أمير الجيوش ، والموديس على درب السلسلة ، وعبد الصمد
 وابن سلامة وابن المظلي الأمير ومصطنع الدولة والحاج ابن عبد القوي بالقاهرة ، وشتق
 ابن كامل القاضي بالقاهرة يوم الأربعاء تاسع عشر شوال ، وشتق أيضا شبرا وأصحابه
 وجماعة من الأجناد والعبيد والحاشية وبعض أمراء صلاح الدين . وقبض [صلاح الدين]
 سائرا وجد عنهم من مال وعقار ، ولم يمتكن ورتبهم من شيء البتة ، وتبع من له هوى
 في الدولة الفاطمية ، فقتل منهم كثيرا وأسر كثيرا ، ونودي بأن يرحل كافة الأجناد وحاشية
 القصر وراجل السودان إلى أقصى بلاد الصعيد . وقبض على رجل يقال له قديد^(٣)
 بالإسكندرية ، من دعاة الفاطميين ، يوم الأحد خامس عشر رمضان ، وقبض على كثير
 من السودان ، وكووا بالنار في وجوههم وصدورهم .

وفيها جهز السلطان مع الوزير ابن القيسراني ما تحصل عنده من المال ، وأحسبه هدية
 لنور الدين : وهي خمس ختات إحداها في ثلاثين جزاء ، مفضاة بأطلس أزرق ومُضَبَّة بصفائح
 ذهب ، وعليها أفضال من ذهب مكتوبة بخط ذهب ، وأخرى في عشرة أجزاء مفضاة بدياج
 قُشْتِي ، وأخرى في جلد بخط ابن اليؤاب بقلل ذهب وثلاثة أحجار بلخش ، منها حجر زنته
 اثنان وعشرون مثقالا ، وحجر وزنه اثنا عشر مثقالا ، وآخر عشرة مثاقيل ونصف ، وست
 قصبات زمرد إحداها^(٤) وزنها ثلاثة مثاقيل ، وحجر ياقوت أحمر ، وزنه سبعة مثاقيل ، وحجر
 ياقوت أزرق وزنه ستة مثاقيل ، ومائة عقد جوهر زنتها ثمانمائة وسبعة ونمسون مثقالا ،
 ونمسون قارورة دهن بلسان ، وعشرون قطعة (١٨) بلور ، وأربع عشرة قطعة جَزَع مابين

(١) في م المحلى بنير ضبط . (٢) في م شرما بشين مغرطة قطع ، وبغير ضبط .

(٣) في م قديم . (٤) هنا تنهى الفقرة المنشورة بكتاب تاريخ عمارة الخي (انظر ص ٥٣ حاشية ٤) .

(٥) في م احدا .

- زبادى وسَكَاجِج^(١)، وإبريق يشم وطشت يشم^(٢)، وسقوق مينا مُنْهَب^(٣)، بعروة فيها حبتا لؤلؤ
وفى الوسط نص ياقوت أزرق، ومحمون وزبادى وسكارج من صيفى عندها أربعون قطعة،
وعود قطعتين كبارا، وعبر منه قطعة زتها ثلاثون رطلا، وأخرى عشرون رطلا، ومائة ثوب
أطلس، وأربعة وعشرون بَيَّارَا مُنْهَبَا^(٤)، وأربعة وعشرون ثوبا وَشَيَّا حَرِيرِيَّةً بِيضَاءَ، وحلة لفلل^(٥)
مذهب، وحلة مرايش أصفر مذهب، وحلة مرايش أزرق بذهب، وحلة مرايش بقصب
أحمر وأبيض، وحلة فسقى بقصب مذهب، وقماش كثير، قدر قيمتها بمائتى ألف دينار وخمسة
وعشرين ألف دينار. وساروا بذلك، فبلغهم موت نور الدين، فأُعْلِيَتْ وهلك بعضها.

- وفى مات السلطان العادل نور الدين محمود بن زنكى، فى يوم الأربعاء حادى عشر شوال،
بعلبة الخوانيق^(٨)، وكان قد تجهز لأخذ مصر من صلاح الدين يوسف بن أيوب، وقد خُطِبَ
له بالشام ومصر والحرمين واليمن. وقام من بعده أبْنُه الصالح إسماعيل، وعمره إحدى عشرة
سنة، فغَلَبَ له السلطانُ صلاحُ الدين بمصر، وضرب السَّكَّةَ باسمه. وفيها نزل أسطول القرنج
بصقلية على نهر الإسكندرية، لأربع بقين من ذى الحجة بَقَّةً^(٩)، وكان الذى جهز هذا الأسطول

(١) سكارج جمع سكرجة وهى الصفة، وزبادى جمع زبدية وهى وءا الشراب. أما الخبز فهو الخبز الباني،
فيه سواد وبياض، وإنما المقصود هنا الآنية المصنوعة من الصفى الخبز، أى الذى فيه سواد وبياض، وأردى
الألوان المختلفة. (محيط المحيط و Dozy: Supp. Dict. Ar.) (٢) انظر ص ٥ حاشية ٣. (٣) كما
فى س بغير ضبط، وهى مترجمة مع التشكك إلى (Shakrāk) فى (Blochet: Op. cit. p. 116). على أنه
يوجد نوع من التبيذ الحبشى اسمه سقرقه (Lane: Lexicon)، وربما كان المقصود هنا الوءا الخاص بهذا
الشراب. (٤) كلمة فارسية معناها سجادة سوداء مصنوعة من وبر الجمل (Johnson: Dict.)، ومعناها أيضا
فى (Dozy: Op. cit.) نوع من العباء الكبار، كالتي يليها الوزراء وأصحاب القل. (٥) فى س "وشى حريره
بيض". (٦) فى س "مرايش". (٧) فى س "قاشا كثيرا". (٨) هى المرض المسى بالقيحة،
(Dozy: Supp. Dict. Ar.)، ومن أنواعه الذئبة الصدرية (Angina Pectoris). انظر (Price: Holbyn's
Dict. of Med. Terms.) (٩) كانت هذه الحملة البحرية ذبلا للواءمة التورية التى اتهم بتدبيرها الشاهر
عمارة اليمنى. وقد تقدم أن الشاهرين كانوا القرنج (انظر ص ٥٣) ومن هؤلاء ولىام الثانى (William II)
التورماندى ملك صقلية. وهو ابن ولىام الأول، وجده دوجر الأول (Roger I) مؤسس ملكة التورماندين
فى صقلية منذ سنة ١١٠٣ م. بعد التنب على دولة المسلمين بها بقبيل (Jamh. Med. Hist. Vol. V, pp. 184 - 207). أما من هذه الحملة التى وصلت مراكبة إلى الإسكندرية بعد قتل الوءامة، فالسبب فى ذلك
أن ملك صقلية لم يصل مع حاق بالتأمرين بالقاهرة، فبعت مراكبة إلى الإسكندرية حسب الاتفاق الميث معهم.
(Lane-Poole: Saladin. p. 127)

غليالم بن غليالم بن رجار ممتلك صقلية ، ولى ملك صقلية بعد أبيه في سنة ستين وخمسمائة وهو صغير، فكففته أمه ، وتولى التدبير خادم اسمه بأتمدة سنة ، ثم فر إلى السيد أبي يعقوب يوسف بن عبد المؤمن [صاحب البلاد المغربية] . ثم استبد غليالم بتدبير ملكه ، واحتفل في سنة إحدى وسبعين بمبارة [هذا] الأسطول ، فاجتمع له مالم يجتمع بلده رجار ، وحل في الطرائد ألف فارس ، وقدم على الأسطول رجلا من دولته يسمى أكيم مؤدقة ، وقصد الإسكندرية ، ومات غليالم في سنة إحدى وثمانين وخمسمائة . ولى أرسى هذا الأسطول على البر ، أنزلوا من طرائدهم ألفا وخمسمائة فارس ، وكانت عدتهم ثلاثين ألف مقاتل ، ما بين فارس وراجل ، وعدة طرائدهم ستا وتلاتين طريدة تحمل الخيل ، وماتت شينى في كل شينى مائة وخمسون رجلا ، وعدة السفن التي تحمل آلات الحرب والحصار ست سفن ، والتي تحمل الأزواد والرجال أربعين مركبا ، فكانوا نحو الخمسين ألف راجل . ونزلوا على البرمما على المنارة ، وحملوا على المسلمين حتى أوصلوهم إلى السور ، وقُتل من المسلمين سبعة . وزحفت مراكب الفرجح إلى الميناء ، وكان بها مراكب المسلمين ففترقوا منها ، وغلبوا على البر وخيموا به ، فأصبح لهم على البر ثلاثمائة خيمة . وزحفوا لحصار البلد ، ونصبوا ثلاث دبابات بكباشها ، وثلاثة مجانيق

(١) كذا في س ، وبغير ضبط . انظر الحاشية السابقة . (٢) كذا في س ، وبغير ضبط . والاسم الصحيح هو . (Stephen of Perchi) ولم يكن خادما ، بل هو ابن عم الملكة مارجريت (Margaret) أم الملك وليام الثاني (Camb. Med. Hist. Vol. V. P. 197) . (٣) ما بين القوسين من أبي شامة (كتاب الروميين في (Rec. Hist. Or. Vol. IV. P. 164) . (٤) جمع طراد أو طراد ، وهي نوع من المراكب الحربية ، أكثر شيا بالبريل المائل من السفينة ، وكانت تستعمل غالبا في حمل الخيل والفرسان (Dozy: Supp. Diet. Ar.) وانظر أيضا المرجع والصفحة المذكورتين في الحاشية السابقة . (٥) كذا في س ، وبغير ضبط . وهو مترجم إلى (Akim - Moudhaka) في (Blochet : Op. cit. p. 117) مع عدم اعتداد المترجم إلى شخصية صاحب الاسم . هذا وليس بين أسماء مجلس الملك ووليام الثاني من يشابه اسمه الزم الوارد هنا . انظر (Camb. Med. Hist. Vol. V. p. 197) .

(٦) كذا في س . (٧) سفينة حربية كبيرة ، يقال لها في الفرنسية (Galère) ، ومنها الشينة ، والجمع شون وشوان (Dozy: Supp. Diet. Ar.) . (٨) الدبابات جمع دبابة ، وكانت عبارة عن شبه برج متحرك ، له أحيانا أربعة أذوار ، أو ثلث من الخشب ، وتنتهي من الرصاص (Plomb) ، وتأتي من الحديد ، وراجه من النحاس الأصفر . ويحرك هذا البرج المائل على عجلات ، وتصلد إلى طبقات الجنود لها حجة الحصون وتسلق الأسوار . أما لفظ الكاش ، ففرد ، كبش ، ويجمع على كبوش وأكبش ، وهو آلة متصلة بالدبابة ، لها رأس ضخم وفرتان ، تدفعها الجنود نحو الأسوار لتهديمها (Dozy: Supp. Diet. Ar.) .

كبارا تضرب بمجاعة سود عظيمة . وكان السلطان على فاقوس ، فبلغه الخبر ثالث يوم نزول الفرينج ، فشرع في تجهيز العساكر ، والقتال والرمي بالمجانيق^(١) مستمر . فوصلت العساكر ، وفُتحت الأبواب ، وهاجم المسلمون الفرينج ، وحرقوا الدبابات ، وأبدهم الله بنصره ، واستمر القتال يوم الأربعاء إلى العصر ، وهو الرابع من نزول الفرينج . ثم حملوا حملة ثانية عند اختلاط الظلام على الخيام ، فتسلموها بما فيها ، وقتلوا من الرجال عددا كثيرا ومن الفرسان . فاقترع المسلمون البحر ، وأخذوا عدة مراكب خسفوها ففرقت ، (١٨ ب) وولت بقية المراكب مُنْزِمَةً ، وقتل كثير من الفرينج ، وغنم المسلمون من الآلات والأمتعة والأسلحة مالا يقدر على مثله إلا ابتداء ، وأُقلع باقي الفرينج مستهل سنة سبعين .

وفيها ، أعنى سنة تسع وستين [ونعمائة] ، وقف السلطان صلاح الدين ناحية نقادة من عمل قوص بناحية الصعيد الأعلى ، وثلاث ناحية سَنَدَيْسَ من القليوبية ، على أربعة وعشرين خادما لخدمة الضريح الشريف النبوي ، وضمن ذلك كتابا ثابتا تاريخه ثامن عشرين شهر ربيع الآخر منها ، فاستمر ذلك إلى اليوم . وكان قاع النيل سنة أذرع وعشرين أصعبا ، وبلغ سبعة عشر ذراعا وعشرين أصعبا .

♦ ♦ ♦
(٥)

[سنة سبعين ونعمائة^(٤) . وفيها جمع كثر الدولة وإلى أسوان العرب والسودان ، وقصد القاهرة يريد إعادة الدولة الفاطمية ، وأُتفق في جموعه أموالا جزيلة ، وانضم إليه جماعة ممن يهوى هواهم ، قُتِلَ عدّة من أمراء صلاح الدين . وخرج في قرية طلود رجل يعرف ببعباس ابن شادى ، وأخذ بلاد قوص ، وانتهب أموالها . فجهد السلطان صلاح الدين أخاه الملك

- (١) في ص "بالمجنين" . (٢) في ص ست . (٣) في ص سبع عشرة .
(٤) ليس لعماد هذه السنة وجود في ص ، ولعل السبب أن المقرئى اكتفى بكلمة "فيها" ، على أن تعود هاوفا إلى عبارة "سبعين" الواردة بالسلطان من هذه الصفحة . انظر ابن الأثير (الكامل في التاريخ ، ج ١١ ، ص ٢٧٣) . حيث رد ذكر هذه الحادثة أول سنة سبعين . (٥) العبارة الآتية الواردة بالمأش : "كثرت الدولة هذا يرجع شبه إلى سروق بن ممدى كرك (كركا) بن الحارث بن مسلمة بن عبيد بن ثعلبة بن يربوع بن ثعلبة بن الدول ، واسمه كرك الدولة" . ويلاحظ أن بعض هذه الأسماء مضبوط في ص .

العاذل فى جيش كثيف، ومعه الخطير مهذب بن ممتا^(١)، فسار وأوقع بشادى وبند جموعه وقتله، ثم سار فلقبه كتر الدولة بناحية طود، وكانت بينهما حروب فز منها كتر الدولة، بعد ما قُتل أكثر عسكره، ثم قُتل [كتر الدولة] فى سابع صفر، وقدم العاذل إلى القاهرة فى ثامن عشره .

وفىها ورد الخبر على السلطان بسير الملك الصالح مجير الدين إسماعيل بن نور الدين إلى حلب، ومصلحته للسلطان سيف الدين غازى صاحب الموصل، فأهمله وخرج يريد المسير إلى الشام . فقتل ببركة الجلب أول صفر، وسار منها فى ثالث عشر ربيع الأول، على صدر وأيلة، فى سبعمائة فارس؛ واستخلف على ديار مصر أخاه الملك العاذل . ونزل بصرى وخرج منها، فقتل الكسوة يوم الأحد تاسع عشرى ربيع الأول، وخرج الناس إلى لقائه، فدخل إلى دمشق يوم الإثنين أول شهر ربيع الآخر، وملكها من غير مدافع . وأتفق فى الناس مالا جزيل، وأمر فنودى بإطابة النفوس وإزالة المكوس، وإبطال ما أحدث بعد نور الدين محمود من القبايع والمنكرات والضرائب، وأظهر أنه إنما جاء لتربية الصالح بن نور الدين، وأنه ينوب عنه ويدبر دولته، وكاتب الأطراف بذلك . وتسلم قلعة دمشق بعد امتناع، فأنزل بها أخاه ظهير الإسلام طغتكين بن أيوب، وبعث بالبشارة إلى القاهرة؛ وخرج مستهل جمادى الأولى، فنازل حصن حتى تسلمها فى حادى عشره، وامتنت عليه قلعتها، فأقام على حصارها طائفة، وسار إلى حماة فقتل عليها فى ثالث عشره، وبها عز الدين جريدك، فسلمها إليه .

(١) لعله ابن ممتا صاحب كتاب قوانين الدولة (التقشقى : ص ٤٦٦ ج ٣، ص ٤٦٦ ج ٤) . وقد اعطى كاتب نسخة ب (١٢١) قراءة هذا الاسم فقال : ومعه الخطيب مهذب بماتى قارس . (٢) مشبه بظاهر القاهرة من بحريها، وكان صلاح الدين يبرز إليها للصيد، ويقم فيها الأيام، وفعل ذلك الملوك قبله وبعده . وقد تغير اسمها زمن الممريزى — أى فى القرن الثامن الهجرى — إلى بركة الحاج، لتزول الحاجب بها عند سيرهم من القاهرة وإليها موسم الحج (الممريزى : المواظ والاعتبار، ج ١، ص ٤٨٩) . (٣) قلعة خراب بين القاهرة وأيلة (ياقوت : معجم البلدان، ج ٣، ص ٣٧٥) .

(٤) تصح كتابة هذا الاسم "جوردك" أيضا، انظر (Rec. Hist. Or. Vol. III. Index) . وأصل جوردك من ممالك السلطان نور الدين، ولقبه التورى . وكان بمن راققوا أسد الدين شريكه إلى مصر، وهو الذى اشترك مع صلاح الدين فى الفتك بالروزبرشامد (ابن الأثير : الكامل فى التاريخ، ج ١١، ص ٢٢٣، ٢٢٤) . أما عن تحصيل موقعه بأزمجى . صلاح الدين إلى الشام، فانظر نفس المرجع والجزء ص ٢٧٦، وستأتى أخباره فيها على .

- وفي جمادى الأولى ولّى ابنُ عَصْرُون القضاء بديار مصر. وسار [صلاح الدين] إلى حلب، وبعث إلى الصالح [إسماعيل] في الصلح مع جرديك، فأبى أصحابه ذلك، وقبضوا على جرديك وقيده، فبلغ ذلك صلاح الدين، وقد سار عن حماة يريد حلب، فماد إليها. ثم سار منها إلى حلب، ونزل جبل جوشن ثالث جمادى الآخرة، واستمَدَّ أهل حلب ونخرجوا لقتاله، وقَاتَلُوهُ قِتَالًا شَدِيدًا إلى أَقْلِ رَجَب. فحمل (١١٩) صلاح الدين يريد حصص، وقد بلغه مسير القومص ملك الفرنج بطرابلس، بمكة أهل حلب، وأنه منازل لحصص. فلما قرب من حصص عاد القومص إلى بلاده، فنازل صلاح الدين قلعتها، ونصب المجانيق عليها إلى أن تسلمها بالأمان، في حادى عشرى شعبان؛ وسار إلى بعلبك، فحصرها حتى تسلم قلعتها في رابع رمضان، وعاد إلى حصص. وكانت بينه وبين أصحاب الصالح وقعة على قُرُون حماة، في يوم الأحد تاسع عشره، انتصر فيها صلاح الدين، وهزمهم وغنم كل ما معهم، ولم يقتل فيها أكثر من سبع أنفس؛ وسار حتى نزل على حلب، وقطع الخطبة للصالح، وأزال اسمه عن السكة في بلاده، فبعث أهل [الصالح] إليه يتمسسون منه الصلح، فأجاب إليه على أن يكون له ما بيده من بلاد الشام، ولهم ما بأيديهم منها، واسترد منهم المعرفة وكَفَّر طاب، وكُتِبَتْ نسخة يمينَ وعليها خط صلاح الدين، بعد ما حلف وعاد إلى حماة.

- ١٥ [وكان صلاح الدين] قد كتب إلى بغداد يعدد فتوحاته وجهاده للفرنج، وإعادة الخطبة العباسية بمصر، واستيلاء على بلاد كثيرة من أطراف المغرب وعلى بلاد اليمن كلها، وأنه قدم

(١) في ص "حبل جوشن" بغير ضبط. انظر ياقوت (معجم البلدان ج ٢، ص ١٥٥).

(٢) كذا في ص بغير ضبط، والقومص تريب حرق الكلمة اللاتينية (Comes) التي سارت إلى (Comte) في اللغة الفرنسية. أما الشخص المقصود هنا، فهو الكونت ريمون الثالث صاحب إمارة طرابلس الصليبية، ولقبه الصنجيل في بعض المراجع الإسلامية، (Le comte Raymond descendant... de Saint-Agilles Prince de Tripoli.) راجع ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ١١، ص ٢٧٧، وكذلك قس المرجع في (Rec. Hist. Or. Vol. I, p. 619). (٣) في ص سبه. (٤) بغير ضبط في ص، وهي بلدة بين المرة ومدينة حلب (ياقوت: معجم البلدان ج ٤، ص ٢٨٩).

إليه في هذه السنة وقد سبعين راكبا، كلهم يطلب لسلطان بلده تقليدا . وطلب [صلاح الدين] من الخليفة تقليد مصر واليمن والمغرب والشام، وكل ما يفتحه بسيفه ^(١) . فواتحه بجثة ^(٢) رسل الخليفة المستنصر، بأمر الله، بالتشريف والأعلام السود، وتوقيع بسلطنة بلاد مصر والشام وغيرها . فسار ونزل على بعين ويقال بارين، وحاصر حصنها حتى تسلمه في العشرين منه، ورجع إلى حماة . وفيها تقرر المهاد الإصفهاني نائبا في الكتابة عن القاضي الفاضل بسعاية نجم الدين محمد بن مصال ^(٣) . وسار صلاح الدين إلى دمشق ثم رحل عنها، فقتل مرج الصفر، وواقته به رسل الفرنج في طلب الهدنة، فأجابهم إليها بشرط أشترطها . وأذن للساكر في المسير إلى مصر ليلدب الشام فساروا، ورجع هو إلى دمشق في محرم [سنة] إحدى وسبعين، وفوض أمرها إلى [ابن أخيه] تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب .

١٠ . [سنة إحدى وسبعين وخمسمائة] . وفيها سار شرف الدين قراقوش — أحد أصحاب تقي الدين عمر — إلى بلاد المغرب في حادى عشر محرم في جيش، فأخذ من صاحب أوجلة ^(٤) عشرين ألف دينار فرقها في أصحابه، وعشرة آلاف دينار لنفسه، وسار منها إلى غيرها، ثم بلغه موت صاحب أوجلة، فعاد إليها وحاصر أهلها، وقد امتنعوا عليه حتى أخذها عنوة، وقتل من أهلها سبعمائة رجل، وغنم منها غنيمة عظيمة، وعاد إلى مصر .

(١) كان الخطيب شمس الدين بن البيضاء رسول صلاح الدين إلى الخليفة المستنصر، بأمر الله تلك المرة (Blochet : Op. cit. p. 123. N. 3). (٢) في "بها" .

(٣) في "بسنين" والعلق الأول الذى فى المتن هو ما تقول به العامة، والشأن هو الصحيح . وتقع بارين بين حلب وحماة . (ياقوت : معجم البلدان، ج ١، ص ٤٦٥) . (٤) ضبط هذا الاسم على مخطوطة فى (Rec. Hist. Or. IV, P. 130) (٥) أحد المروج الواقعة حول مدينة دمشق. (ياقوت : معجم البلدان، ج ٤، ص ٤٨٨) . (٦) فى س جلب . (٧) ليس لمنوان هذه السته وجود فى س، انظر ص ٧٧ حاشية رقم ٤، وراجع أيضا ابن الأثير (الكامل فى التاريخ، ج ١١، ص ٢٨٢، وما بعدها) . (٨) فى س بها الدين، وقد خلط المقرئى بين بها الدين قراقوش المتقدم ذكره وبين شرف الدين هذا . انظر (Rec. Hist. Or. I. Index) (٩) مدينة فى جنوبي رقة (ياقوت : معجم البلدان، ج ١، ص ٢٩٧) .

- وفيهما تجهز الحليون لقتال صلاح الدين، فاستدعى عساكر مصر، فلما وافقه بدمشق في شعبان سار في أول رمضان^(١١)، فلقبهم في عاشر شوال . وكانت بينهما وقعة (١٩ ب) تأخر فيها السلطان [سيف الدين] غازي صاحب الموصل، فظن الناس أنها هزيمة، فولت عساكرهم . وتبعهم صلاح الدين، فهلك منهم جماعة كثيرة، وملك خيمة غازي، وأسر عالما عظيما، واحتوى على أموال وذخائر وقرش وأطعمة وتحف تجمل عن الوصف . وقدم عليه [أخوه] الملك المعظم شمس الدولة تورانشاه [بن أيوب^(١٢)] من اليمن، فأعطاه سرادق السلطان غازي بما فيه من الفرس والآلات ، وفرق الإصطبلات والنظرائن على من معه ، وخلع على الأسمرى وأطلقهم . ولحق [سيف الدين] غازي بمن معه، فالتجأوا [جميعا] لحلب، ثم سار إلى الموصل [وهو لا يصدق أنه ينجو، وظن أن صلاح الدين يعبر الفرات ويقصده بالموصل^(١٣)] . ورحل صلاح الدين وزل على حلب في رابع عشر شوال، فأقام عليها إلى تاسع عشره، ورحل إلى بزة^(١٤)، وقاتل أهل الحصن حتى تسلمه . وسار إلى منبج، فقتل عليها يوم الخميس رابع عشره، ولم يزل يحاصرها أياما حتى ملكها، وأخذ من حصنها ثلاثمائة ألف دينار، ومن الفضة والآتية والأسلحة ما يناهز ألفي ألف دينار . ورحل إلى عزاز، وحاصرها من يوم السبت رابع ذي القعدة إلى حادي عشر ذي الحجة، فتسلمها وأقام فيها من يثق به، وعاد إلى حلب .
- وفي يوم الثلاثاء رابع عشره وثب عتة من الإسماعيلية على السلطان صلاح الدين، فظفر بهم بعد ما جرحوا عتة من الأمراء والنواص . ثم سار إلى حلب فقتل عليها في سادس عشره،

(١) البارة الآتية الواردة بهامش الصفحة في س، ونصها : "وفي يوم الاثنين ثامن عشرى رمضان كفت الشمس جميعها، وأظلم البار ورؤيت النجوم" . وقد أدمجها كاتب ب (ص ٢٢ أ) في المتن بعد لفظ "رمضان" .

(٢) في س الاصطبلات . (٣) في س اطلع .

(٤) أضيف ما بين القوسين من ابن الأثير (الكامل في التاريخ، ج ١١، ص ٢٨٣) لتوضيح البارة .

(٥) في س بزاعا، وهي بلدة من أعمال حلب، واقعة بينا وبين منبج . وينطق أهل حلب هذا الاسم أحيانا بكسر الباء، وأحيانا بالالف المقصورة بدل التاء (ياقوت : معجم البلدان، ج ١، ص ٦٠٣) . (٦) في س عزاز، وهي بلدة شمال حلب (نفس المرجع، ج ٣، ص ٦٦٧) . (٧) قصة وثوب الإسماعيلية هذه الواردة بهامش الصفحة في س، وتلاها بالهامش أيضا مقرة طويلا عن حملة بحرية أتت من عقبة المحاصرة الإسكندرية، =

وأقطع عسكره ضياعها، وأمر بجباية أموالها، وضيق على أهل حلب من غير قتال، بل كان يمنع أن يدخلها أحد أو يخرج منها^(١).



[سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة^(٢)]. فلما كان ربيع المحرم سنة اثنتين وسبعين ركب العسكران وكانت الحرب، قتل جماعة من أصحاب صلاح الدين. ثم تقدر الصلح بينه وبين الملك الصالح، على أن يكون للصلح حلب وأعمالها. ودخل [صلاح الدين] في عاشره، فنازل مضيا^(٣)ب، وفيها راشد الدين سنان بن سلمان بن محمد، صاحب قلاع الإسماعيلية ومقدم الباطنية، وإليه تنسب الطائفة السنانية. ونصب عليها المجانيق والعرادات^(٤) من ثالث عشره إلى أيام، ثم رحل ولم يقدر عليهم، وقد امتلأت أيدي أصحابه بما أخذوه من القرى. وفوض [صلاح الدين] قضاء دمشق لشرف الدين أبي سعد عبد الله بن أبي عصرون، عوضا عن

== وهي في تفاصيلها وعدد مراكبها وجنودها وأزوادها تشبه الحلة التي تقدم ورودها في ص ٥٥، تحت سنة ٥٨٩، وليس في المراجع المتداولة في حواشي هذا الكتاب ما يشير إلى وصول حملة ثانية من عقبة إلى الإسكندرية، فأكرر الظن أن المؤلف نسى ما أورده أولا عن تلك الحملة، فكثيرا مرة ثانية في مكان غير مناسب تاريخيا. وهذا نص الفقرة بتمامه : — ”وفيها وصل من عقبة إلى الاسكندرية مائتان وستون مركبا تحمل الرجال، وستة وثلاثون طريدة تحمل التليل، وستة مراكب تحمل آلة الحروب، وأربعون مركبا تحمل الزاد، فكانت [عدة] من فيها من الرجال خمسين ألفا، ومن الخيالة ألفا (في ص الف) ونحباة فارس، فقاتلهم أهل التفسير أشد قتال، وأتتهم العساكر من القاهرة. ثم قدم السلطان صلاح الدين فهزم الله الفرنج، وغنم المسلون منهم غنائم كثيرة، وأمرغوا عدة من مراكبهم، وأمرأوا طائفة، وذلك في المحرم [سنة سبعين وخمسمائة]“.

(١) العبارة الآتية وأردت بياض الصفحة، وليس لها علاقة بالمتن، ولقد وضمت هنا، ونصها : — ”وفي سنة إحدى [ص سبعين] مات الشيخ أبو حفص عمر بن يحيى بن محمد بن وأقرب^(١) (كلا) بن علي بن أحمد بن وألأ (كلا) أحد العشرة أصحاب مهدي الموحدين أبي عبد الله محمد بن نورمت بسلا. وإلى أبي حفص هذا ينسب ملوك تونس من إفريقية فيقال لهم الحفصيون“ . انظر الأركشي (تاريخ الدولتين الموحدة والحفصية، ص ١٤٩).

(٢) ليس لغتان هذه السنة وجود في ص، ولعل السبب هو اتصال أخبار السنة السابقة بمواد هذه السنة، وعدم وجود طلة حقيقة للفصل. (٣) في ص مصيات وهو خطأ، واسمها مصيايف أيضا عند العامة، وهي بساحل الشام قرب طرابلس (باقوت : جميع البلدان، ج ٤، ص ٥٥٩). (٤) جمع مرادة، وعن من آلات الحرب، أصغر من المنجنيق، ترى بالجملة المرمى البعيد (محيط المحيط).

- كمال الدين الشهرزورى بعد وفاته . وفيه أغار الفرنج على البقاع^(٢) ، فخرج إليهم الأمير شمس الدين محمد بن عبد الملك بن المقدم من بعلبك ، فأوقع بهم وقتل منهم وأسر . وخرج إليهم المعظم شمس الدولة من دمشق فلقبهم بين الحز ، وأوقع بهم ، ثم سار إلى حماة وبها صلاح الدين ، فوافاه في الثاني من صفر . ثم سار السلطان منها ودخل دمشق سابع عشره ، فأقام بها إلى رابع شهر (١٢٠) ربيع الأول ، وخرج منها إلى القاهرة ، واستخلف على دمشق أخاه الملك المعظم شمس الدولة تورانشاه بن أيوب ، فوصل إليها لأربع بقين منه .

- وفيها أمر السلطان ببناء السور على القاهرة والقلة ومصر ، ودوره تسعة وعشرون ألف ذراع وثلاثمائة وذراعان بذراع العمل . قتلى ذلك الأمير بهاء الدين قراقوش الأمدى ، وشرع في بناء القلة ، وحفر حول السور خندقاً عميقاً ، وحفر واديه وصَبَّق طريقه . وكان في مكان القلة عدة مساجد منها مسجد سعد الدولة ، فدخلت في جملة القلة ، وحفر فيها بئراً يتزل إليها ١٠ بدرج منحوتة في الحجر إلى السماء . وفيها أمر السلطان ببناء المدرسة ببوار قبر الشافعى بالقرافة ، وأن تعمل خزانة الأشربة التي كانت للقصر مارستاناً للرضى ، ففعل ذلك . وسار السلطان إلى الإسكندرية في ثانی عشرى شعبان ، ومعه ابنه الأفضل على^(٣) والعزیز عثمان ، فصام بها شهر رمضان ، وسمع الحديث على الحافظ أبى الطاهر أحمد السلفى^(٤) . وأمر بتعمير الأسطول بها ، ووقف صادر الفرنج على الفقهاء بالإسكندرية . ثم عاد إلى القاهرة ، فصام بها بقية رمضان . ١٥ وفيها عاد [شرف الدين] قراقوش غلام تقي الدين إلى بلاد المغرب ، وعاد فأخذ جماعة من

(١) في من غار . (٢) أرض واسعة بين دمشق وبعلبك وحمص ، فيها قرى كثيرة ، وأكثر شرب أهلها من عين تخرج من جبل ، ويقال لها عين الجز . (ياقوت : معجم البلدان ، ج ١ ص ٦٩٩ ، ج ٣ ص ٧٦٠) . (٣) لم يذكر القرنزى في المواعظ والاعتذار اسم صاحب هذا المسجد كاملاً (نفس المرجع ، ج ٢ ص ٢٠٢) ، ولعله سعد الدولة الطوائى . ملوك الأفضل أمير الجيوش ، وزير الخليفة المستنصر القاطن (ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج ١٠ ص ٢٤٩) . (٤) انظر ص ٢٧١ ، حاشية ٢ . (٥) لعل المقصود بذلك الضريبة التي كانت تفرض على تجار الصرخ الواصلين بالمناجر من بلادهم إلى مصر الإسكندرية ، وكان مقدارها زمن التفقشدى ، أى في القرن الثامن الهجرى ، خمس قيمة البضائع التي يحملونها (التفقشدى : صبح الأعشى ، ج ٣ ص ٤٦٣) .

الجند، ونخرج إلى المغرب، فأمر العادل الأمير خطباً^(١) بن موسى وإلى القاهرة بالقبض عليه، فسار إلى الفيوم وأخذة محملاً إلى القاهرة . وفيها أبطل السلطان المكس المأخوذ من الحجاج في البحر إلى مكة على طريق عيذاب^(٢)، وهو سبعة دنائير مصرية ونصف على كل إنسان؛ وكانوا يؤدون ذلك ببذاب أو بيجدة، ومن لم يؤد ذلك منع من الحج، وعذب بتعليقه بأنتيه؛ وعرض أمير مكة عن هذا المكس بالنبي دينار، وألف أردب قح، سوى إقطاعات بصعيد مصر وبالحسين؛ وقيل إن مبلغ ذلك ثمانية آلاف أردب قح يحمل إليه إلى جدة .

♦ ♦ ♦

[سنة ثلاث وسبعين وخمسائة] . ونخرج السلطان من القاهرة، لثلاث مضين من جمادى الأولى سنة ثلاث وسبعين، لجهاد الفرنج . وسار إلى عسقلان، فسبي وغنم وقتل وأسر . ومضى إلى الرملة، فاعترضه نهر تل الصافية في يوم الجمعة ثاني جمادى الآخرة، فازدحم الناس بأبقاعهم عليه . وأشرف الفرنج عليهم، ومقدمهم البرنس أرنأط^(٣) صاحب الكرك، في جموع كثيرة . فانهزم المسلمون وثبت السلطان في طائفة، فقاتل قتالا شديداً، واستشهد جماعة وأخذ الفرنج أهوال المسلمين، فزبهم في مسيرهم إلى القاهرة من العناء ما لا يوصف، ومات منهم ومن دوابهم كثير، وأسر الفرنج جماعة منهم الفقيه ضياء الدين عيسى الحكاري . ودخل السلطان إلى القاهرة منتصف جمادى الآخرة، خلف لا تضرب له نوبة حتى يكسر الفرنج،

(١) كذا في س، وبدون ضبط، وهي في ب (ص ٢٢) خطباى بدون ضبط أيضاً، ومترجمة إلى (Khoultobai) في (Blochet : Op. cit. p. 129) . (٢) نثر تجارى عظيم في القرون الوسطى، وهو واقع على الشاطئ المصرى للبحر الأحمر (بحر القلزم) قبالة جدة على الشاطئ الآخر، (ياقوت معجم البلدان، ج ٣، ص ٧٥١)، وهو في عيذاب، وأكثر وروده بهذا الهم، وسيصح دائماً بغير تنبيه . (٣) في ب (ص ٢٣) ثلاثمائة [د] ثمانية آلاف . (٤) حصن بنواحي الرملة قرب بنت جبرين (ياقوت : معجم البلدان، ج ١، ص ٨٦٧) .

(٥) في س رابط، وهو (Le prince Arnaud seigneur de Carac) واسمه الأصل قبل أن يأتى الشام (Renaud de Chatillon) . انظر ابن الأثير (الكمال في التاريخ، 627,675، Vol. I, Pl. (Rec. Hist. Or.)).

- وقطع أخباز جماعة من الأكراذ، من أجل أنهم كانوا السبب في هذه الكسرة . وفيها نزل الفرنج على حمة ، فقاتلهم الناس أربعة أيام حتى رحلوا عنها ، ونزلوا على حارم فحاصروها أربعة أشهر ، ثم رحلوا إلى بلادهم . وفيها أطلق شرف الدين قراقوش التقوى ، وسار (٢٠ ب) إلى أوجلة وغيرها من بلاد المغرب . وخرج السلطان في سادس عشر شعبان سنة ثلاث وسبعين من القاهرة يريد الشام ، واستخلف بديار مصر أخاه العادل ، فلم يزل مقبياً على بركة الحب إلى أن صلى صلاة عيد الفطر . فبلغه نزول الفرنج على حمة ، فأسرع في المسير حتى دخل دمشق في رابع عشر شوال ، فرحل الفرنج عن حمة . ووافقه بدمشق رسل الخليفة بالشرقيات . وفيها سار الفرنج إلى قلعة صدر ، وقاتلوا من بها فلم يثالوا قصداً ، فساروا يريدون القارة على ناحية فاقوس ، ثم عادوا بنية الحشد والعود . وفيها عصي شمس الدين بن المقدم بمدينة بعلبك على السلطان . وفيها ولد الملك الزاهد مجير الدين داود ، شقيق الظاهر غياث الدين غازي بن السلطان صلاح الدين ، لسمعيقين من ذى القعدة . وفيها غلت الأسماز ببلاد الشام لكثرة الجذب ، واشتد الأمر بحلب . وفيها سار الأمير ناصر الدين إبراهيم ، سلاح دار تقى الدين [عمر] ، في عسكر إلى بلاد المغرب ، فوصل إلى قراقوش التقوى ، وسار إلى مدينة الروحان ، فنازلها أربعين يوماً ، حتى فتحت وقتل حاكمها ، وقرأ عليها أربعة عشر ألف دينار ، وملكها مدينة غدامس بشير قتال ، وتقرر على أهلها اثنا عشر ألف

(١) في س اخبار - والأخباز جمع خبز يضم الخاء وسكون الباء ، ومعناه إقطاع من الأرض ، و يقابله (uppanage) في أنظمة الصور الوسطى في غرب أوروبا (Dozy: Supp. Dict. Ar.) و يلاحظ أن اشتقاق هذه الكلمة يشبه اشتقاق مرادفها العربي ، إذ أن كلمة خبز يقابلها في اللاتينية (panis) ، ومصدره (uppanare) .

(٢) في س بها الدين . (٣) السلاح دار هو المنوط بحمل سلاح السلطان أو الأمير الذي هو في خدمته ، ومن وظيفته أيضاً الإشراف على السلاح خامه ، وما هو من توابع ذلك . ونقط السلاح دار مركب من كفتين ، أعلاما عربية ، ومعناها آلة القتال والثانية فارسية ومعناها عسك ، ويكون ألمفتى يحملك السلاح (الفتشتدى : صبح الأعيان ، ج ٥ ص ٤٥٦ ، ٤٦٢) . (٤) في س دوح فقط ، وهي من نواحي بركة (ياقوت : معجم البلدان ، ج ٢ ص ٨٢٩) . (٥) في س ديتارا . (٦) يصح أيضاً نقل اسم هذه المدينة بفتح التين ، وهي أنمي حدود بركة ، فبإلى تونس الحالية (ياقوت : قس المرجع ، ج ٢ ص ٧٧٦) .

(١١) دينار، وسار إبراهيم إلى [جبال] نفوسة، فملك عدة قلاع، وصار إليه مال كثير ورجال، وسار البحث من عند قراقوش إلى بلاد السودان، فغنموا غنيمة عظيمة. وفيها ظهر العمل في سور القاهرة، وطلع البناء، وسلكت به الطرق المؤدية إلى الساحل بالمقوس.^(٣) وفيها مات الأمير شهاب الدين محمود بن تكش الحارمي، خال السلطان صلاح الدين ونائب حماة، في سابع عشر جمادى الآخرة بحماة، وحمل إلى حلب فدفن بها، وكان شجاعا عاقلا سيوسا ممدحا.

[سنة أربع وسبعين وخمسمائة] . وفي أوائل شهر ربيع الآخر سنة أربع وسبعين، هم العدو من الفرنج على مدينة حماة، فنهض إليهم المسلمون وأسروا مقدمهم في جماعة، وبعثوا بهم إلى السلطان بدمشق، فضرب أعناقهم. وفيها جهز السلطان أخاه شمس الدولة تورانشاه إلى محاربة شمس الدين بن المقدم ببلبك، في جيش كثيف، فحاصرها مدة. ثم سار إليه السلطان، وأقام على الحصار حتى دخل الشتاء، فوقع الصلح وتسلمها السلطان، وسلمها لأخيه تورانشاه في شوال. فبقي الفرنج في مدة اشتغال السلطان ببلبك حصنا على مخاضة بيت الأحرار، وهو بيت يعقوب عليه السلام، وبينه وبين دمشق نحو يوم، ومنه إلى طبرية وصفد نصف يوم. فعاد السلطان إلى (١٢١) دمشق، وقدم عليه من الديوان العزيز خدام [أسمه فاضل]، فأحبه معه للغزو، حتى وقف على الحصن، وتخطف من حوله من الفرنج، (١) في س اتى ... ديارا .

(٢) تقع هذه الجبال في أقصى الشمال الشرق من غدامس، وهي قرية من شاطئ البحر الأبيض المتوسط، وبينها وبين مدينة طرابلس ثلاثة أيام، وتبعد عن القيروان مسافة ستة أيام (ياقوت: قس المرجع، ج ٤، ص ٨٠٠). (٣) فرضة القاهرة مقصود الفاطميين، ومكانها قرب الأزبكية الحالية ثم تحول مجرى النيل وانحسر مائه، في أواخر القرن السادس الهجري عن بولاق الحالية، فأصبحت هذه فرضة لقاهرة منذ الدولة الأيوبية. (المقريزي: المواعظ والاحبار، ج ٢، ص ١٢١، ١٣٠).

(٤) في س الحارمي، وقد توفي وله قبله ثلاثة أيام. أبو شامة (كتاب الروضتين، ص ١٩٣ في Rec. Hist. Or. Vol. IV). (٥) الرابع أن المقصود هو ديوان الخليفة العباسي ببغداد. وقد ذكر اسم الرسول فتوضح (قس المرجع، ص ١٩٥ في Rec. Hist. Or. Vol. IV).

ثم عاد إلى دمشق . فتواترت الأخبار باجتماع الفرنج لغزو بلاد المسلمين ، فأخرج [السلطان ابن أخيه] الأمير عز الدين قرخشاہ^(١) أمامه ، فواقعه الفرنج وقعة قُتل فيها جماعة من مقدمي الفرنج وغيرهم ، منهم المنقري وصاحب الناصرة ، فانهزموا وأسر منهم جماعة . فبرز السلطان من دمشق إلى الكسوة لنجدة عز الدين ، فواقعه الأسرى والرؤوس ، فسر بذلك وعاد إلى دمشق . وفيها أغار ابن رنس ملك الفرنج^(٢) بأنطاكية على شَيزر ، وعذر القوم من ملك طرابلس بالتركان . وفيها سار شمس الدولة إلى مصر بعدة من العسكر لجلد الشام في سادس عشر ذي القعدة . وأغار السلطان على حصن بيت الأحران وعاد بالفنائم والأسرى ، وإلى الغارة واليتم إلى بلاد الفرنج . وفيها قوى قراقوش التقوى وإبراهيم السلاح دار ببلاد المغرب ، وأخذ عدة حصون .



- ١٠ ودخلت سنة خمس وسبعين [ومحمدة] . والسلطان مواصل الإنارة على بلاد الفرنج ، وكان لازلا على بانياس . وسرح العساكر ومقدمها عز الدين فرخشاہ بن أيوب ، فأكثر من قتلهم وأسروهم . وفتح بيت الأحران في رابع عشر ربيع الآخر ، بعد قتال وحصار ، ففهم منهم مائة ألف قطعة حديد من أنواع الأسلحة ، وشيئا كثيرا من الأقوات وغيرها ، وأسروا عدة نحو السبعمائة ، وترب الحصن حتى سوى به الأرض ، وسد البئر التي كانت به ، وعاد بعد ما أقام عليه أربعة عشر يوما . فأغار على طبرية وصور وبيروت ، ثم
- ١٥

(١) بشر ضبط في س . انظر قس المرجع والمصنعة بالحاوية السابقة . (٢) في س " المنقري " ، وهو (Houfroi) صاحب حصن بانياس جنو بفرج دمشق . قس المرجع والمصنعة وما يليها . واخر أيضا: (Lanc-Poole) Saladin, p. 157 حيث الاسم (Humphrey of Toron) . (٣) اسمه (Boémund ou Bohémond II) . وصحابه أبرشامة (قس المرجع ص ٨٩ في Rec. Hist. Or. V) " البرنس الأتلا ك بجد " . انظر أيضا (Hitti : Usamah, pp. 93, 155) حيث يسمى " ابن ميون " . (٤) انظر ص ٥٩ ، حاشية ٢ .

رجع إلى دمشق ، وقد مرض كثير من المسكرومات عدة من الأمراء . وفي يوم الأحد ثامن المحرم ركب السلطان ومعه صمصام الدين ^(٢) أجك والى بانياس في عسكره ، فلقبه الفرنج في ألف ربح وعشرة آلاف مقاتل ما بين فارس وراجل ، فاقتلوا قتالا كثيرا انهزم فيه الفرنج ، وركب المسلمون أفقيتهم يقتلون ويأسرون حتى حال بينهم الليل . وعاد السلطان إلى خيمه ، وقد مضى أكثر الليل ، وعرض الأسرى : فقدم أولهم بادين بن بارزان ، ثم أود مقدم الداوية ، وابن القومصبة ، وأخو صاحب جُبَيْل في آخرين ، فقيدوا بأجمعهم وهم نحو المائتين وسبعين ، وحملوا إلى دمشق فاعتقلوا بها . وعاد السلطان إلى دمشق ، ففدى ابن بارزان بعد ستة بمائة وخمسين ألف دينار وألف أسير من المسلمين ، وفدى ابن القومصبة بخمسة وخمسين ألف دينار صورية ، ومات أود فأخذت جيفته بأسير أفرج عنه . وقدم الخبيران الملك المظفر تقي الدين أوقع

(١) ليس لسطور التالية وجود بهذه الصفحة من م ، ولكنها واردة في ب (ص ٢٤) على ترتيب ورودها هنا . وهي عبارة عن الهامش المكتوب على ورقة مفصلة بين الصفحتين (١٦ ب ، ١٧ ا) انظر ص ٥١ حاشية ٤٢ . وفي هذا ما يحل على الاعتقاد بأن كاتب ب تدارك هذه الغلطة بنفسه ، أو أنه نسخ من م قبل حدوث هذا الخطأ أثناء عملية التعليق ، وهذا طبعاً يفرض أن المقرئ يرى أحل هذا الهامش محلّه المناسب من الأصل . (٢) مضبوطة هكذا في م . (٣) بعض أمري هذه الواقعة من كبار الفرنج ، كما جاء في أبي شامة (كتاب الروضتين ، ص ١٩٨ — ١٩٩ في Rec. Hist. Or. IV.) ثم (Odo) le grand maitre des Templiers... celui des Hospitaliers, le seigneur de Tiberiade, le frère du seigneur de Djobeil, le fils de la Comtesse (de Tripoli), le fils de Barizan (Balian II d'Ibelin) seigneur de Ramla... (Lane - Poole : Saladin, p. 157) . (٤) أطلق المؤرخون المسلمون هذا الاسم على جمعية فرسان المبد (Templiers) ، كما أطلقوا لفظ الإسطارية على جمعية فرسان المستباليين (Hospitaliers) . وقد أسس الجمعية الأول (Hugh de Payns) سنة ١١١٩ م . لحاية طريق الحجاج المسيحيين بين يافا وبيت المقدس . أما الجمعية الثانية فيرجع تأسيسها إلى سنة ١٠٩٩ م . على يد (Blessed Gerard) بعد استيلاء الصليبيين على بيت المقدس ، وكانت دارها (Hospice) به قبل ذلك زمن طويل لأمرى الحجاج والمرضى من المسيحيين . ثم تحول كل من الجمعيتين إلى هيئة عربية دينية ، فكانا لرؤسائهما وفرسانهما شأن كبير في تاريخ الإمارات الصليبية بالشام . (King: Knights Hospitallers, pp. 1-33) . (٥) الدناير الصورية أو المشخصة أو الإفريقية هي الإفريقية ، وميزتها عن الدناير المصرية الإسلامية في العصور الوسطى أن صور ملوكها مقشوشة على وجوهها . (القلشندي : صبح الأعشى ، ج ٣ ، ص ٤٤١) .

- بمسكر فليج أرسلان صاحب الروم [السلجوقية]، فهزمهم وأسر منهم جماعة. فكتب السلطان البشار بظفره بالفرنج على مرج عيون، وبظفر أخيه بمسكر الروم، وسيرها إلى الأقطار فأتته تهاى الشعراء من الأمصار. ثم أهتم السلطان بأمر بيت الأحران، وكتب إلى الفرنج يأمرهم بهدمه فأبوا، فراجعهم مرة ثانية فطلبوا منه ما غرّموا عليه، فبذل لهم حتى وصلهم إلى مائة ألف دينار فلم يقبلوا. فكتب حينئذ إلى التركان وأجناد البلاد يستدعيهم، وحل إليهم الأموال والخيول والتشاريف، فقدم إليه خلق كثير. وسار الملك المظفر من حماة، فقدم دمشق أول شهر ربيع الآخر، وقد تلقاه السلطان. ثم سار السلطان من دمشق يوم الخميس خامسه، في عسكر عظيم، ونزل على حصن بيت الأحران يوم الثلاثاء حادى عشره. وكانت قلعة صمد للداوية، فأمر بقطع كروم ضياع صمد، وحاصر الحصن وتقيه من جهات، وحشاه بالخلط وأحرقه، حتى سقط في رابع عشره، وأخذ فقتل من فيه وآسرهم، ووجد فيه مائة أسير من المسلمين، فقتل عتة من أسرى الفرنج، وبعث بأقبحهم في الحديد إلى دمشق. وأحرب الحصن حتى سؤى به الأرض، فكانت إقامته عليه أربعة عشر يوما. وعاد إلى دمشق، فدمه عتة من الأسراء والشعراء وهنأوه بالفتح.
- وفي صفر ظهر قدام المقياس بمصر وسط النيل الخائط الذي كان في جوفه قبر يوسف الصديق وتابوته، ولم يتكشف قط منذ نقله موسى عليه السلام إلا حينئذ، عند تعبهان الماء في قاع المقياس، فإن الرمل انكشف عنه وظهر للناس، وأكث الناس ما علموا ما هو. وفيها تافق جلدك الشهابي بالواحات، فأخذ العادل بالأمانت وسيره إلى دمشق. وفيها أثار عز الدين فرخشاه على صمد، فأكثر من القتل والسبي وأحرق، الربض في رابع عشر ذى القعدة، وعاد إلى دمشق.

(١) بقعة بساحل الشام، فيها ثبت كثير تخرج فيها الغواب. (باتوت: معجم البلدان، ج ٤، ص ٤٨٨).
 (٢) هنا يتأخر الهاشمي المشار إليه في ص ٦٨ حاشية ١. (٣) في ص "الشهابي"، وقد ضبط الاسم على منطوقه في (Blochet: Op. cit. P. 137)، ولعله الأمير شجاع الدين جلدك التقي، المذكور في أبي الفداء (المتنصر في أخبار البشر في 98 P. I. Rec. Hist. Or.). (٤) بنير ضبط في س - وهو سور المدينة، وما حولها من مساكن وبيوت، وما يرى الفم والأخبار. (عبط المحيط).

وفيها مات الخليفة المستنفي، بأمر الله أبو المظفر يوسف بن المقتضى لأمر الله محمد، يوم الجمعة لاثنتي عشرة مضت من شوال، وكانت خلافته عشرين غير أربعة أشهر. واستخاف من بعده ابنه الناصر لدين الله أبو العباس أحمد؛ ففرج الشيخ صدر الدين شيخ الشيوخ عبد الرحيم بن إسماعيل من بغداد رسولا إلى الملوك وإلى السلطان [صلاح الدين]، وسار (٢١ ب) معه إلى مصر [شهاب الدين] بشير الخالص [كما يأتي ذكره]. وفيها حقن السلطان ابنه الملك العزيز عثمان، وسلمه إلى [صدر الدين بن المجاور معلما له]. وفيها فشا الموت بمصر والقاهرة وعامة أعمال مصر، وتغيرت رائحة الهواء، ومات بالقاهرة ومصر في أيام يسيرة سبعة عشر ألف إنسان.



ودخلت سنة ست وسبعين [ومحميئة]. فيها سار السلطان إلى حرب عز الدين قليج أرسلان بن مسعود بن قليج أرسلان [السلجوقي] صاحب قونية، وعاد بنير قتال، فدخل دمشق أول شهر رجب. وفيها مات السلطان سيف الدين غازي بن السلطان قطب الدين مودود بن عماد الدين زنكي بن آقستقر صاحب الموصل، في ثالث صفر، وجلس أخوه عز الدين مسعود مكانه. فكتب السلطان صلاح الدين إلى الخليفة الناصر يسأل أن يؤوض إليه، فوصل شيخ الشيوخ صدر الدين أبو القاسم عبد الرحيم، وشهاب الدين بشير الخالص، بالتفويض والتقليد والتشريف في رجب. فلقاهم السلطان وترجل لهم، وزلوا له وبلغوه سلام الخليفة، فقبل الأرض، ودخل دمشق بالخلع، وأعاد الجواب مع بشير، وصحبته ضياء الدين الشهرزوري. وسار [السلطان] إلى بلاد الأرمن لقمع ملكهم،

(١) في م "المستنفي بالله". (٢) انظر ما يلي. (٣) مكان هذه بياض في م، ولكنها في ب (ص ١٢٥). (٤) في م قليج، بدون ضبط، وأحياها بنير البلاء، وسيمناظ مل الرزم الواردة بالفتح دائما. (Euc. Isl. Art. Kilidj Arslan). (٥) في ب (ص ١٢٥) أول رجب. انظر ص ٣٩، حاشية ١. (٦) اسمه (Leon, roi d'Arménie) ويسميه المؤرخون المسلمون ليفون ولاقون وابن لاوت. (Rec. Hist. Or. Vol. V. Index).

فأغل فيها وأطاعه ملكهم، ثم عاد بعد ما وصل إلى بَهْسَنَّا وأحرق حصناً وخربه . وخرج من دمشق يريد مصر في ثامن عشر رجب، ومعه شيخ الشيوخ [صدر الدين]، فوصل إلى القاهرة ثالث عشر شعبان . وخرج شيخ الشيوخ إلى مكة في البحر، وعاد منها إلى بغداد . وفيها مات الحافظ أبو الطاهر أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم بن سَلَفَةَ السَّلَفِيِّ في يوم الجمعة خامس ربيع الآخر بالإسكندرية عن نحو مائة سنة . ومات الملك المعظم شمس الدولة تورانشاه بن أيوب بن شاذي في خامس صفر بالإسكندرية ، ومُحِل إلى دمشق فدفن بها . وفيها ولدت امرأة غرابا . و[فيها] كان قاع^(٢) [النيل] ثلاثة أذرع وعشرين أصبعا، وبلغت الزيادة ستة عشرة ذراعا وثلاثي ذراع .



ثم دخلت سنة سبع وسبعين وخمسمائة . في محرم نرحل الأمر بالحلوطة على مستغلات^(١) العربان بالشرقية، وأمرنا بالتصدي إلى البحيرة، ووقعت الحلوطة على إقطاع جذام وعلبة، لكثرة حملهم الضلال إلى بلاد القريج . وكثر الفار بالمقاي والضلال بمد حصادها، فأُتلف شيئا كثيرا . واحترق النيل حتى صار يُخاض، وتشم الماء عن ساحل المقس ومصر، وربي جزائر ومَلَّة^(٥) خيف منها على المقياس أن يتقلص الماء عنه ، ويُحتاج إلى عمل غيره . وبعد^(٦) الماء عن السور بالمقس، وصارت قوته من بر الغرب . وخيم السلطان في بركة الجلب للصيد

(١) بغير ضبط في س، وهو قلعة حصينة، في أقصى شمال الشام، بقرب مرعش وسيمساط، وهي من أعمال حلب (ياقوت: معجم البلدان، ج ١، ص ٧٧٠) . (٢) مضبوطان عن ياقوت (معجم البلدان، ج ١، ص ٧٨) . وقد اعتمد ياقوت على أبي الطاهر في كثير من معلوماته (انظر فهرس الأعلام في معجم البلدان) . (٣) في س القاع . (٤) جمع المستغل بفتح السين، وهو كل ما أغل من أرض أو عقار أو حانوت أو سوق أو طاحون . والمستهغل بكسر السين ما يأتي من المال أو غيره من هذه الأشياء (Dozy, Supp. Diet. Ar.) . (٥) في س حراير دجلة . (٦) يحتمل أن يكون هذا بدء تغير مجرى النيل الذي نشأت عنه بولاق فيما بعد، إذ يقول المقرئ في المواضع والاعتبار (ج ٢، ص ١٣٠ — ١٣١) في هذا الصدد: "إن الماء انحسر ببدء سبعين وخمسمائة عن جزيرة تعرف بجزيرة الفيل، وتقلص الماء عن سور القاهرة الذي يمتد إلى المقس . وصارت هناك دمال وجزائر ما من سة إلا وهي تكثر ..." . انظر ص ٦٦، حاشية ٣ .

ولعب الأكرة ، وعاد بعد ستة أيام . وورد الخبر بأن الأبرنس أرناط ملك الفرنج بالكرك جمع وعزم على المسير إلى نجّاه^(٢١) ودخول المدينة النبوية؛ فخرج عز الدين فرخشاه من دمشق بعساكره إلى الكرك، ونهب وحرق، وعاد إلى أطراف بلاد الإسلام فأقام به، وورد الخبر من نائب قلعة أيلة بشدة الخوف من الفرنج .

وفي صفر قديم رسول ملك (١٢٢) القسطنطينية إلى القاهرة، فوقع الصلح مع صاحبها، وأطلق في جمادى الآخرة مائة وثمانين أسيراً من المسلمين . وسار صارم الدين خطباً إلى القيوم، وقد أضيفت إليه ولايتها، وأفردت برسمه الخاص، ونقل عنها مقطوعها . ثم صُرف عن ولاية القيوم بآبن شمس الخلافة ، وأحضر خطباً ليسير إلى اليمن . وكُتب إلى دمياط بترتيب المقاومة على البرجين ، وسدّ مراكب السلسلة وتسييرها ليقاثل عليها ، ويدافع عن الدخول من بين البرجين بها .

وفي ربيع الأول طرق الفرنج ساحل تنيس^(٢٢) وأخذوا مراكباً للتجار، ووصلت مراكب من دمياط كانت استديعت من خمسين مراكباً لتكون في ساحل مصر؛ وكل بناء برج بالسويس يسع عشرين فارساً، ورُتب فيه الفرسان لحفظ طريق الصعيد ، التي يجلب منها الشب إلى بلاد الفرنج ، وأمر بعمارة قلعة تنيس . وورد تجار الكارم من عدن، فطلب منهم زكاة أربع

(١) في "أرباط" . (٢) في ص ٦٥ وهي بيد (ياقوت : معجم البلدان ، ج ١ ، ص ٩٠٧) في أطراف الشام بين الشام ووادى القرى ، على طريق حاج الشام ودمشق . (٣) ربيع إنشاء هذين البرجين والسلسلة التي بينهما ، على سيل الترجيع ، إلى سنة ٢٣٨ هـ (٨٥٢ م) في عهد الخليفة المنوكل العباسي (المفرزي : أحوال وأخبار ، ج ١ ، ص ٢١٣ - ٢٢٧) . (٤) في ص ٦٥ "تنيس" . وفيه ضبط ، وهي بلدة بجزيرة صغيرة اسمها تنيس أيضاً ، واقعة بالناحية الشمالية الشرقية من بحيرة المنزلة قرب بورسعيد الحالية . انظر ياقوت معجم البلدان (ج ١ ، ص ٢٨٨) . (٥) في ص ٦٥ "واحد" . (٦) في هامش من قبالة هذه السطور العبارة الآتية : "انظر بناء البرج بالسويس لحفظ طريق الصعيد" . (٧) كان معدن الشب ، زمن القلقشندي (ص ٤٣٨) ص ٢٨٨ ، (٤٥٩) من معسكرات الدولة المصرية ، يستخرج من أروان والواحات وبلاد أخرى بالصعيد ، ويحمل منها إلى سواحل قوص وأخميم وأسيوط والهنسي لينقل إلى الاسكندرية ، فيباع أكثره لتجار بلاد الفرنج ، حيث يستعمل في أشياء كثيرة أهمها صبغ الأحمر . انظر أيضاً (Blochet : Op. cit. p. 143. N. 1) . (٨) العنبر الأصفر ، وكان تجاره فتدق خاص بهم بالقسطنطين (القلقشندي : نفس المرجع والجزء ، ص ٤٦٩) . انظر أيضاً (Blochet : Op. cit. p. 143. N. 3) . (٩) كان التجار وغيرهم يدفعون الزكاة على ما يدخلون به إلى البلد من ذهب وفضة ، وعلى ما يأتون به من متبر ، وسال عليه الحول . ثم زادت كمية ما يؤخذ على التجار زمن القلقشندي (نفس المرجع والجزء ، ص ٤٦١ - ٤٦٢ ، ص ٤١٨ - ٤٧٠) فأصبح "المرتب السلطاني" عشري قيمة البضائع ، "مع لواحق أخرى تكاد أن تكون نحو المرتب السلطاني أيضاً" .

- ستين . وكثرت بسوت المِزْر بالاسكندرية ، فهُدِمَ منها مائة وعشرون بيتاً . ووصل المَقْرَدُ^(٢) في حادى عشرى ربيع الأول بالوفاء في سابع عشره ، فأوفى [النبل] بمصر فى سادس عشره [الموافق] يوم السادس عشر من مسرى ، ولا يصرف وفاقه بهذا التاريخ في زمن متقدم . فركب السلطان لتخليق المقياس في غده ، وخلع على ابن أبى الرِّاد في سلخه . وقُتِحَ الخليج في راج ربيع الآخر ، والمساء على خمسة عشر اصباحاً من سبعة عشر ذراعاً ، بمحضر والى القاهرة^(٤) . وفيه أنفق السلطان في الأجناد البَطَّالين^(٣) وجردهم إلى الثغور ، وأنفق في رجال الشوانى وجردهم للفرز . وورد الخبر بكثرة ولادة الحيوان الناطق والصامت للتوأم ، وأن ذلك خرج عن الحد في الزيادة على المهود ، وأن الفرزال في البرية كله أنام ، وكذلك النسوان أنامن أكثر من الأفراد ، وكذلك الطير فإنه كثر ظهوره كثرة ظهرت .
- ١٠ وفيه ماتت امرأة الصالح بن رزيك عن سن كبيرة وضعف حال وعصى ، بعد الدنيا والملك الذى كانت فيه . وركب السلطان في أول جمادى الأولى لفتح بحر أبى المنجا ، وعاد إلى قلعة الجبل ، وركب منها إلى الخيم بالبركة . وسار متسلماً الأُمير صارم الدين خطباً إلى اليمن . وانتصب السلطان ليلاً ونهاراً في ترتيب أحوال الأجناد ، واقطع من إقطاعات العربان^(٦) الثلاثين ، وعُوض به مَقْطَعُو الفيوم ، وصارت أعمال الفيوم كلها للسلطان . وفيه قُرِرَ ديوان الأسطول (٢٢ ب) وفيه الفيوم والحبس الجيوشى والخراجى والنظرون ، وضُخِّنَ الخراج ثمانية آلاف دينار .

(١) المَرْزُوع من الجبة يصنع من القدة أو الشير أو الحنطة . محيط المحيط . (٢) مضبوطة على مطبوقةا في (Blochet : Op. cit. p. 193) حيث هي مترجمة أيضاً إلى (Maximum) أى غاية ارتفاع النيل . (٣) انظر وصف حفلات تخليق المقياس وضع الخليج في الفقهشسى (صبح الأتشى ج ٣ ، ص ٥١٦ — ٥٢١ ، وفى المَرْزُوعى : المواقظ والاعتبار ج ٤١ ص ٤٧٠ — ٤٧٩ ، ٤٩٣) . (٤) البطالون من الأجناد والأمرام هم العاطلون من أعمال الدولة ووظائفها وإقطاعاتها ، نتيجة غضب السلطان أو كبر السن ، أو اضطراباً إلى الاعتكاف والاعتفاء ، أو مجرد حب الانزواء والابتعاد : (Demomhynes : G. , Op. cit. Introd. p. XI.VII. N.3). (٥) في سن كل لكن . (٦) انظر ص ٤٤٥ ، حاشية ٣ .

(١)
[وفي هذه السنة رُبِنَت المقاتلة على البرجين بدمياط] ، وجُهزت خمسمائة دينار لعمارة سورها والنظر في السلسلة التي بين البرجين . وتُحْمَل تقدير برسم ما يحتاج إليه سور تنيس وإعادته كما كان في القديم ، بجاء ثلاثة آلاف دينار . وكُتِب إلى قوص بإبطال المكوس التي تستأدى من المحاج وتجار اليمن . وورد كتاب إبراهيم السلاح دار من المغرب أنه فتح بلاد ^(٢) حَوَارة ، و ^(٣) زَوَاوَة ، و ^(٤) لَوَاثَة ، وجبل نفوسة ، وغدامس ، وأعمالا طولها وعرضها خمسة وعشرون يوما ، وأنه خطب على منابرهما للسلطان وضربت السكة باسمه ، وأنه إذا أُنعم عليه بقوية بلغ أغراضا بعيدة ، وسير أموالا عديدة . وأُسْتُدْتُ أربع حرايق بصناعة مصر برسم من تجوز إلى بلاد اليمن ، ووجدت أمراء العسكر الساترين إلى اليمن . وكَبُرَ في ^(٥) بحر تنيس فُسَدَى العربان على المراكب ، وعمرت عليهم حرايق فيها ، فلم يُظْفَرْ بهم لإبوابهم إلى الميـس .

ليتوفرا على عمارتها ، وكُتب إلى الأمير نحر الدين فشر الملك بن فرحون وإلى البحيرة ومشارفها بذلك .

- وفي رجب استقرت عدة الأجناد ثمانية آلاف وسثمائة وأربعين ، وأمرأه مائة
أحد عشر ، وطواشيه ستة آلاف وتسعمائة [و] ستة وسبعين ، وقرأ غلامية ألف وخمسمائة
وثلاثة وخمسين . والمستقر لهم من المال ثلاثة آلاف ألف وسثمائة ألف وسبعون ألفا
وخمسمائة دينار ، خارج عن المحولين وعن العربان المُقَطَّعين بالشرقية والبحيرة ، والكتانيين
والمضريين والفقهاء والقضاة والصوفية والدواوين ، ولا يقصر [مامهم] عن ألف دينار .
ووصل الإبرنس [أرناط] إلى أيلة ، وسار عسكره إلى تبوك . وفي شعبان كثرت المطر بأيلة
حتى تهدمت قلعتهما ، وشُرع في بناء سور دمياط ، ووزعه أربعة آلاف وسثمائة وثلاثون ذراعا ،
و [شرع أيضا] في بناء برج [بها] .

١٠

وفي شوال مات منكوبس الأسدي أحد الأمراء الممالك ، وأخذ إقطاعه يازُكُج
الأسدي . وقُبض على سيف الدولة مبارك بن منفذ بن كامل الكتاني ، نائب شمس الدولة
ببلاد اليمن ، وأُخذ منه ثمانون ألف دينار وأُفرج عنه . وسار خطبها إلى مصر واليا على
زَيْد ، وصحبته خمسمائة رجل ، و [معهم] الأمير باخل ، وقد بلغت الثقة فيهم عشرين ألف^(٨)

(١) هكذا ضبط في م . انظر Blochet: Op. cit. P. 146 حيث ترجم الاسم إلى
"Fakhr-ad-Din (?) al-Mouk-ibn-Farjoun" . (٢) في م "استقرت عدة

الاجناد ثمانية آلاف وسثمائة وأربعين امرأة واحد عشر طواشيه ستة آلاف وسبعمائة ستة وسبعون قرغلامية ألف
وخمسمائة وثلاثة وخمسون" . (٣) جماعات الضبطية ، وعلمهم مراقبة الطرق أثناء سير الجيوش

(Dozy: Supp. Diet. Ar.) . (٤) هذه الكلمة مترجمة إلى (indisponibles) أي من لا عمل لهم
ولا منهم نفع ، في (146) Blochet: Op. cit. p. مع التشكك . غير أن المقصود هنا بالمحولين الذين انحلت عنهم

إقطاعاتهم أو ورائهم فأصبحوا بطالين . راجع أن تقرى بردي : النجوم الزاهرة ج ٢ ص ١٢٤ ج ٦ ،
ص ٣٠٦ ، ٣٣٨ ، ٤٨٥ ، ٦٣٧ ، ٧٤٧ ، ١٠٧ ، وكذلك المقرئ : المواعظ والاحبار ج ٢ ص ٢١٧ .

(٥) انظر الفقهشي (صبح الأعشى ج ٤ ص ٦٧ - ٧٢) لمرة قبائل العربان بديار مصر منذ الأيوبيين .
(٦ و ٧) ضبط كل من هذين الاسمين على متطرفتهما في نهارس (Rec. Hist. Or. I-V.) . (٨) في م

عشرون .

- دينار ، وكتب للطواشية بنفقة عشرة دنانير لكل (١٢٣) منهم على اليمن ، إن كان من الإقطاعية ، وللبطالين والمرتجلة في الشهر ثلاثة وثلاثون ديناراً ، وسيرت الحواريق — وهي خمس — وقد شحنت بالزماة . وفي سابع عشره سار السلطان إلى الإسكندرية ، فدخل خامس عشرى شوال ، وشرع في قراءة المَوْطَأ يوم الخميس — ثاني يوم دخوله — على الفقيه أبي الطاهر ابن عوف ، وأنشأ بها مارستاناً وداراً للفاربة ، ومدرسة على ضريح المعظم تورات^(١) شاه ، وشرع في عمارة الخليج^(٢) ، ونقل قوته إلى مكان آخر . وسار منها أول ذى القعدة إلى دمياط ، وعاد إلى القاهرة في سابعه . وفي تاسعه أمر بفتح المارستان الصلاحي ، وأفرد برسمه من أجرة الرباع الديوانية مشاهرة مبلغها مائتا دينار ، وغلات جهتها القيوم ، واستخدم له أطباء وفيرهم . وفي حادى عشره خرج السلطان إلى بركة الحب ، لصجريد الساکر والمسير إلى الشام ، وخرج الملك العادل في ثالث عشره إلى الخميم ، ونزل ناحية [بركة الحب ؟] . وسوخ برسوم الولاة بمصر والقاهرة ، ورسوم القيوم ورسوم الصعيد الأعلى ؛ وأخرجت منجنيقات إلى انجيام رسم الغزاة . وفي حادى عشره سار سيف الإسلام [طُتْكَيْن أخو السلطان صلاح الدين] إلى أنعم ، لحباية الحوالى والنظر في أمر الشب . وظفر والى قوص رجلين من أهل إسنا يدعوان إلى مذهب الباطنية . وفي ثالث عشره عُقد نكاح بنات العادل على أباء السلطان صلاح الدين ، وهم : غياث الدين غازى ، ومظفر الدين خضر ، ونجم الدين مسعود ،
- (١) في س تور شاه .

(٢) بقصد الخراف فناء الإسكندرية التي كانت تخرج من فرع رشيد عند بلدة زاوية البحر ، جنوب مدينة كفرالزيات الحالية ، (P. Omar Tousson : Mem. Sur Anc. Branches Du Nil, pp. 196 et seq.) ، على أنه لا يوجد في هذا المرجع ذكر لما أحدثه صلاح الدين بذلك الخليج . (٣) انظر (Lane-Poole : Saladin, Table II, in pocket) . (٤) "هى ما يؤخذ من أهل القمة من الجزية المقررة على رعايقهم على كل سنة . وعلى كل قسمين : ما فى حاضرة الديار المصرية من القسطنطين والقاهرة ، وما هو خارج عن ذلك . فأما ما بمحاضرة الديار المصرية فإن هذه الجهة بها ناظرًا يولى من جهة السلطان وأما ما هو خارج عن حاضرة الديار المصرية من سائر بلدانها ، فإن جزية أهل القمة فى كل بلد تكون لمقتضى تلك البلد من أمير أو غيره ، بحسب مجرى مال ذلك الإقطاع ، وإن كانت تلك البلد جارية فى بعض الدواوين السلطانية ، كان ما يحصل من الجزية من أهل القمة بها جارية فى ذلك الديوان" . (القلقشنشى : صبح الأعشى ، ج ٣ ، ص ٤٦٢ — ٤٦٣) .

وشرف الدين يعقوب ؛ والصادق في كل كتاب عشرون ألف دينار . وعقد السلطان الهدنة مع رسول القومص ملك الفرنج بطرابلس ؛ ونودي بمنع أهل الدمة من ركوب الخيل والبغال ، من غير استثناء طيب ولا كاتب . ومات الملك الصالح غير الدين إسماعيل بن العادل نور الدين محمود بن زنكي بن آقستقر الأتابكي صاحب حلب في يوم الجمعة خامس عشر رجب ، ققام من بعده ابن عمه السلطان عز الدين مسعود بن مودود بن زنكي . وكان موت الصالح هو المحزن للسلطان [صلاح الدين] على السفر ، وكتب لابن أخيه المظفر تقي الدين عمر صاحب حماة وغيره من التواب بالتأهب ، وكاتب الخليفة الناصر يسأل ولاية حلب .



[سنة ثمان وسبعين وخمسمائة] . وأهلت سنة ثمان وسبعين ، والسلطان مبرز بظاهر القاهرة ؛ فلما خرج الناس لوداعه ، وقد اجتمع عنده من العلماء (٢٣ ب) والفضلاء كثير ، وهم يتناشدون ما قيل في الوداع ، فأخرج بعض مؤدبي أولاد السلطان رأسه من الخيمة ، وقال :
١٠ تمنع من شميم عرار نجد فإبعد المشية من عرار

تطير الحاضرون من ذلك ؛ وصححت الطيرة ، فإن السلطان رحل . من ظاهر القاهرة في خامس المحرم من هذه السنة ، ولم يعد بعد ذلك إلى القاهرة . فسلك في طريقه على أيلة ، فأغار على بلاد الفرنج ، وسار على سمت الكرك ، وبعث أخاه تاج الملوك بالسكر على الدرب . وخرج عز الدين فرخشاه من دمشق ، فأغار على طبرية وعكا ، وأخذ الشقيف^(١) [أرتون] ، وعاد ١٥ بألف أسير وعشرين ألف رأس غنم ، وأزل فيه طائفة من المسلمين . وألقى الرمح^(٢) بطسعة للفرنج إلى برديماط ، فأمر منها ألف وستمئة وتسعون نفسا سوى من غرق . فدخل السلطان

(١) قلعة حصينة قرب باتياس ، من أرض دمشق ، بينها وبين الساحل . وتسمى في كتب المؤرخين الفرنج (Beaufort) ، انظر (Rec. Hist. Or. V. Index) . وأضيف إليها اسم أرتون تميزا لها من شقيف دركوش وشقيف دين ، وكلها بالثمام . (بافوت : معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ٣٠٩ — ٣١٠) . (٢) نوع من السفن . انظر (Dozy: Suppl. Dict. Ar.) ، وانظر أيضا (Makhairas: Chron. of Cyprus, Vol. II, p. 141) . وكذلك (Rec. Hist. Or. IV. P. 216. N. 3) . وفي محيط المحيط : البطسة مركب الحرب أو التجارة بقلة إسبانيا ، ج بطس .

إلى دمشق، يوم الإثنين لثلاث عشرة بقيت من صفر، فأقام بها يسيراً؛ ثم أغار على طبرية، واشتد القتال مع الفرنج تحت قلعة كوكب^(١١)، واستشهد جماعة من المسلمين؛ وعاد إلى دمشق في رابع عشر ربيع الأول، وخيم بالقوار^(١٢) من عمل حوران، وأقام به حتى رحل إلى حلب. وخرج سيف الإسلام ظاهر الدين طغتكين بن أيوب بن شاذي، من القاهرة إلى اليمن، بعد مسير السلطان، ووصل إلى زبيد فلحكه، وأخذ منها ما قيمته ألف ألف دينار، واحتوى على صند أيضاً.

وخرج السلطان من دمشق يريد حلب، فنزل عليها يوم الأحد ثامن عشر جمادى الأولى، ونازلها ثلاثة أيام؛ ثم رحل إلى الفرات، فخم على غربي البيرة، ومدّ الجسر، وكاتب ملوك الأطراف؛ ورحل إلى الرها قسمها، وسار عنها إلى حران فرتبها، وانفصل عنها إلى الرقة فلحكه وما حولها؛ ونازل نصيبين حتى ملكها وقلعتها. فورد الخبر بقصد الفرنج دمشق ونهبهم القرى؛ فسار ونازل الموصل في يوم الخميس حادى عشر رجب، وأخ في القتال فلم ينل غرضاً؛ ورحل يريد سنجار، فنازلها وضايقها من يوم الأربعاء سادس عشر شعبان. ودخل رمضان فكف عن القتال، ثم تسلمها بالأمان يوم الخميس ثانية؛ وأعطاهما [ابن أخيه] الملك المظفر تقي الدين [عمر]، ورحل إلى نصيبين فأقام بها لشدة البرد، وسار عنها إلى حران؛ ثم رحل ونزل على آمد، لثلاث عشرة بقيت من ذى الحجة.

وفيهما قصد الفرنج بلاد الحجاز، وأنشأ البرنس أرناط صاحب الكرك سفناً، وحملها على البر إلى بحر القلزم، وأركب فيها الرجال؛ وأوقف منها مراكين على حِرزة قلعة القلزم، لمنع

(١) قلعة حصينة بالجبل المطل على مدينة طبرية. (ياقوت: معجم البلدان، ج ٤، ص ٣٢٨).

(٢) القوار واد بالقرب من حصن الأكراد من عمل طرابلس. به يُعرف بهذا الاسم. (الفتوشى: صبح الأمل، ج ٤، ص ٧٤). (٣) في ص ارباط. (٤) كذا في ص بئر ضبط. وهي في محيط المحيط بكسر الحاء الموضع الحصين. (٥) الرابع أن المؤلف يقصد بلدة أيلة كما في ابن الأثير (الكمال في التاريخ، ج ١١، ص ٣٢٣). أما القلزم فوضع على البحر قريب من مدينة السويس الحالية، وكان قرية مصر والشام، ومعه تحمل المتاجر إلى الحجاز واليمن. ثم أنه أصبح تروايا زمن ياقوت، فتحوّلت التجارة إلى موضع السويس. (ياقوت: معجم البلدان، ج ٤، ص ١٥٨ - ١٦١).

- أهلها من استقاء الماء . وسارت البقية نحو عيذاب، وقتلوا وأسروا، وأحرقوا في بحر القلزم نحو ست عشرة مركباً؛ وأخذوا بعيذاب مركباً يأتي بالحجاج من جدة؛ وأخذوا في الأمر قافلة كبيرة من الحجاج فيما بين قوص وعيذاب، وقتلوا الجميع؛ وأخذوا مركبين فيهما بضائع جاءت من اليمن؛ وأخذوا أطعمة كثيرة من الساحل كانت معونة لمئة الحرمين؛ وأحدثوا حوادث لم يسمع في الإسلام بمثلا، ولا وصل قبلهم روى إلى ذلك الموضع؛ فإنه لم يبق بينهم وبين المدينة النبوية سوى مسيرة يوم واحد، ومضوا إلى الحجاز يريدون المدينة (١٢٤) النبوية .
- بفهم الملك العادل، وهو يخلف السلطان بالقاهرة، الحاجب حسام الدين لؤلؤ إلى القلزم؛ فعمر مراكب بمصر والإسكندرية، وسار إلى أبله، وظفر بمراكب للفرنج، لخرقها وأسر من فيها؛ وسار إلى عيذاب، وتبع مراكب الفرنج، فوقع بها بعد أيام واستولى عليها، وأطلق من فيها من التجار المأسورين، ورد عليهم ما أخذهم؛ وصعد البر، فركب خيل العرب حتى أدرك من فر من الفرنج وأخذهم، فساق منهم اثنين إلى منى وغرهما بها كما تقعر البُدن، وعاد إلى القاهرة بالأسرى في ذى الحجة، فضربت أعناقهم كلهم . وعاد الأسطول [من بحر الروم] بعد نكابة أهل الجزائر، ومعه بطسة للفرنج كانت تريد عكا، بها أخشاب ونيف وسبعون رجلاً .

- ومات عز الدين فرخشاه الملقب بالملك المنصور في دمشق في أول جمادى الآخرة .
ومات الشيخ الزاهد رُوّز بهار بن أبي بكر بن محمد بن أبي القاسم الفارسي الصوفي، يوم الأربعاء الخامس من ذى القعدة، ودفن بقرافة مصر . وفيها انقضت دولة آل سبكتكين، وكان ابتداءها سنة ست وستين وثلاثمائة، فلكوا مائتي سنة وثلاث عشرة سنة . وأولهم محمود بن

(١) توجد بالهامش إزاء هذه السطور العبارة الآتية : " انظر قصد الفرنج بلاد الحجاز " ، وهي بخط مخالف .

(٢) في س ونحرم . (٣) الرابع أن هذه الحركة البحرية كانت قرب إحدى الجزائر الواقعة في شرق

البحر الأبيض المتوسط . انظر أيضاً شامة (كتاب الروضتين، ص ٢٣٥ ، في Rec. Hist. Or. IV.) ، وابن الأثير

(الكامل في التاريخ، ج ١١، ص ٢٢٦) . (٤) انظر بعض أخباره في (1. N. 155. Op. cit. Blochet) .

سبكتكين، وأخرهم خسرو شاه بن بهرام بن شاه بن مسعود بن إبراهيم بن مسعود بن محمود بن سبكتكين^(١). وقام بعدهم القوريّة، [وأولهم عن الدين حسن، صاحب بلاد القور^(٢)]. وفيها ورد الخبر بأن الماء الذي [في] زقاق سبته قلّ، حتى ظهرت التنظرة التي كان يمر الناس عليها في قديم الدهر إلى أن غلب عليها البحر وطمها، فلما قل الماء في هذه السنة عنها لم يبق عليها منه سوى قائمتين، ورأى الناس آثار بنياتها، وأن مرجا انكسر عليها.

+ + +

[سنة تسع وسبعين ومهسمائة]. وأهلت سنة تسع وسبعين والسلطان على آمد، قسمها في أوائل المحرم، فقدمت عليه رسل ملوك الأطراف يطلبون الأمان. وخرج الفريخ إلى نواحي الداروم^(٣) يهبون، فبرز إليهم عتة من المسلمين على طريق صدر وأيلة، فأظفرهم الله، وقتلوا وغنموا وعادوا سالمين. وفيه سار الأسطول من مصر، ففقر ببطسة فيها ثلاثمائة وخمسة وسبعون غلجا، فقدموا بهم في خامس المحرم إلى القاهرة. وتوجه سعد الدين كسبه [الأسدي^(٤)] وعلم الدين قيصر إلى الداروم، فأوقعوا بالفريخ على ماء، وقتلوه جميعا، وقدموا بالرموس [إلى^(٥)]

(١) آخر ملوك هذا البيت هو تاج الدولة خسرو ملك، وقد جاء به خسرو شاه المذكور هنا. (Lane-Poole: Muh.

Dyns, p. 289). (٢) راجع (Ibid: Op. cit. pp. 291 et seq.).

(٣) الزقاق بحجاز البحرين بين طنجة والجزيرة الخضراء في بلاد المغرب (بحيط المحيط)، وسبته (Ceuta) مدينة حصينة بساحل مراکش قاله جبل طارق. (ياقوت: معجم البلدان، ج ٣، ص ٤٣٠، و Enc. Isl. Art. Ceuta).

(٤) بنير ضبط في ص، وهي بلدة بينها وبين غزوة أربعة فراسخ، وهي بعد غزوة في الطريق إلى مصر، وبها قلعة،

الواقف عليها يرى البحر. (ياقوت: معجم البلدان، ج ٢، ص ٥٢٥، ٥٣٧). (٥) الطبع الرجل

الضخم من كفار العم، وبعض العرب يطلق الطبع على الكافر مطلقا، ج علوج وأعلاج (بحيط المحيط).

وفي (Dozy: Suppl. Dic. Ar.) هو الرجل الشهواني المستتر، والذي كان مسلما فتصر، أو نصرانيا فأسلم.

وقد ترجمها (Blochet: Op. cit. p. 156) إلى (Mamelots) أي بحارة. (٦) كذا في ص بنير ضبط،

وهو مترجم في (Blochet: Op. cit. p. 156) إلى (Kamsaba). انظر بأشاعة (كتاب الروشتين، ص ٣٤٦،

٣٨١، ٣٨٢، في Rec. Hist. Or. IV.) حيث ترجم إلى (Kemechebel). (٧) هذا الخط

غير واضح في ص، وكذلك بعض الكلمة السابقة له.

- (١) القاهرة في رابع عشره . ورحل السلطان عن آمد، وعبر الفرات يريد حلب، فملك عين تاب وغيرها، ونزل على حلب — بكرة يوم السبت سادس عشرى المحرم — وقد حارب السلطان عماد الدين زنكى بن مودود بن زنكى قلعتهما في جمادى من سنة ثمان وسبعين [ونعمائة] . وتسلمها [صلاح الدين] بصلح، يوم السبت ثامن عشر صفر، على أن تكون لعبد الدين سنجار . ومات تاج الملوك بوري بن أيوب بن شادى في يوم الخميس ثالث عشره بحلب . وسار عماد الدين إلى سنجار . فولى السلطان قضاء حلب محي الدين محمد بن الزكى على القرشى قاضى دمشق، فاستتاب بها زين الدين ندا بن الفضل بن سليمان البانياسي، وولى يار كج قلعتهما، وجعل ابنه الملك الظاهر غياث الدين غازى ملكا بها، ورحل عنها ثمان بقين من ربيع الآخر . فدخل دمشق ثالث جمادى الأولى، وأقام بها إلى سابع عشره، وبرز وسار إلى بيسان، ففبر [نهر] الأردن في ناسع جمادى الآخرة، وأغار على بيسان فأحرقها ونهبها . وفعل ذلك (٢٤ ب) بعدة قلاع، وأوقع بكثير من الفرنج . واجتمع بين جالوت من الفرنج خلق كثير، ثم رحلوا، وأسر [السلطان] منهم كثيرا، وخرب من الحصون حصن بيسان وحصن عفريل وزرعين، ومن الأبراج والقرى عشرة . وعاد إلى دمشق لست بقين من جمادى الآخرة، ثم خرج في يوم السبت ثالث رجب يريد الكرك، فانزله مدة ولم ينسل منه غرضاً . فسار إلى دمشق، وقد وصل إليه

(١) في س عتاب، وهي قلعة حصينة بين حلب وأطاكية، وكانت تعرف بدلوكة . (ياقوت: معجم البلدان، ج ٣، ص ٧٥٩) . (٢) يتضح من (Blochet: Op. cit. p. 157. N. 3)، أن المقرئ خلط هنا بين حلب وعزاز . (٣) انظر بعض أخباره في (Blochet: Op. cit. p. 157. N. 4) (٤) في س يار كج . (٥) في س يلغازى . انظر (٥) (Blochet: Op. cit. p. 157. N. 5) (٦) في س حسان بنير ضبط وهي مدينة بين حوران وقلسطين . (ياقوت معجم البلدان، ج ١، ص ٧٨٨، و ٣) (Blochet: Op. cit. p. 158. N. 3) . (٧) بنير ضبط في س . (انظر ياقوت: نفس المرجع، ج ١، ص ٢٠٠، و ١٥٨) (Blochet: Op. cit. p. 158. N. 4) . (٨) قرية صغيرة بين بيسان وبابلس . (ياقوت: نفس المرجع، ج ٣، ص ٧٦٠) . وبها من الصفحة العبارة الآتية: "وكانت يومئذ بلدة عامرة، يزعم بها نصب السكر على منها التي يقال لها عين جالوت" . (٩) بنير ضبط في س، وهي بلدة بغور الأردن قرب بيسان وطبرية . (ياقوت: معجم البلدان، ج ٣، ص ٦٨٨) . (١٠) مضبوطة على منطوقها في (Blochet: Op. cit. p. 159) ولعلها درين أو زرين المذكورة في (G.-Dememlynes: Op. cit. p. 243; Le Strange: Palestine Under Moslems, p. 441.)

أخوه الملك العادل من مصر في رابع شعبان . فاجتمع السلطان بأخيه الملك العادل على الكرك ، وقد خرج إليه بعسكر مصر . وفي يوم الخميس خامس عشره رحل الملك المظفر تقي الدين من الكرك إلى مصر ، عوضا عن العادل ، وارتفع عن العادل إقطاعه بمصر ، وهو سبعة آلاف دينار في كل سنة . فجُهِزَ إليها الملك المظفر تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب ، ومعه القاضي الفاضل ، وأنتم على تقي الدين بالقيوم وأعمالها مع القبايات وبوش ، وأُتيق عليه مدينة حماة وجميع أعمالها .

ووصل السلطان إلى دمشق ثمانين من رمضان ، وبعث بالملك العادل إلى حلب في ثاني رمضان . فقدم الظاهر على أبيه بدمشق ومعه يازكج^(٢) ، وقدم شيخ الشيوخ صدر الدين وشهاب الدين بشير من عند الخليفة الناصر ، ليصلحا بين السلطان وبين عز الدين صاحب الموصل ، ومعهما القاضي محي الدين أبو حامد بن كمال الدين الشهرزوري ، وبهاء الدين بن شداد ، فأقاموا ليلة ورحلوا بنير طائل ، في سابع ذي الحجة .

وفيها ظهر بقرية بوسير^(٣) بيت هرمس ، فخرج منه أشياء ، منها بكاش وقروود وضفادع بأزهر^(٤) ودهن^(٥) وأصنام من نحاس . وفيها قتل شرف الدين برغش على الكرك في ثاني عشر^(٦)

(١) في ص المايات ، انظر ص ٩١ حاشية ٣ ، والقبايات بالمنا الحالية ومركزها مقاعة على حافة الصحراء الغربية ، وبوش في بنو سويف ومركزها بنو سويف قسما .

(٢) في ص تزوج . (٣) يوجد بمصر أربع قرى بهذا الاسم (Blochet : Op. cit. p. 160, N. 2) .
والراجح أن المقصود هنا بوسير قوريس بالقيوم ، التي قتل فيها مروان بن محمد ، آخر ملوك بني أمية سنة ١٣٢ هـ .
(المقريزي : المواعظ والاعتبار : ج ١ ، ص ٣٤ ؛ و بالفلقشندي : صبح الأعشى ، ج ٣ ، ص ٢٨١) .

(٤) بنير ضبط في ص ، وهو حجر خفيف هش ينسب إليه قوى غريبة في مقاومة السموم ، ويسمى أيضا بأزهر ، وهو لفظ فارسي مركب من كلمتين ، الأولى باد ومعناها طارد ، والثانية زهر ومعناها سم . (محيط المحيط و Dozy : Suppl. Diet. Ar. . هذا و بالفلقشندي (صبح الأعشى ، ج ٢ ، ص ١١١) فصل طويل عن البلاد زهر وخصائصه . (٥) بنير ضبط في ص ، وهو جوهر كالزهر ، ويتكون من معدن النحاس .

(محيط المحيط ، و Dozy : Suppl. Diet. Ar. . و بالفلقشندي (صبح الأعشى ، ج ٢ ، ص ١٠٧) أن الدهن مسكن السموم أيضا . (٦) ضبط هذا الاسم على منطوقه في (Blochet : Op. cit. p. 161) ، وله من مترجم إلى (Barghash) في (Rec. Hist. Or. I. Index) .

رجب، فحمل إلى زرع ودفن في تربته. [و] في سنة تسع وسبعين هذه وقعت بالوجه البحري [قطع] برد كيض الأوز أنحرت ما صادفته من العامر، ودمرت الزروع، وأهلكت كثيرا من الماشية والناس.

♦ ♦ ♦

- سنة ثمانين وخمسمائة. في خامس المحرم توجهت قافلة بفلات وسلاح^(٢) وبذل مجزود إلى قلعي أيلة وصدر. وخرج من الشرقية جماعة يخفرونها مع قيصر وإلى الشرقية، فأوصلها إلى أيلة وصدر. وعاد في خامس عشرية، وكان المدوقد نهض إليها وعاد عنها. وأهلت [هذه السنة] والسلطان بدمشق، فبعث إلى الأطراف يطلب المساكر، فقدم عليه ابن أخيه تقي الدين بمساكر مصر، ومعه القاضي الفاضل. [و] خرج السلطان من دمشق يوم الثلاثاء النصف من ربيع الأول إلى جسر الخشب. وقدم الملك العادل من حلب - ومعه نور الدين بن قرا أرسلان - إلى دمشق يوم الخميس رابع عشرية، وخرجوا إلى الكسوة. فرحل^(٣) السلطان في ثاني ربيع الآخر من رأس الماء يريد الكرك، وخرج تقي الدين في عسكر مصر، ومعهم أولاد الملك العادل وأهله، يوم الأربعاء مستهله، فساروا إلى أيلة، ووصلوا إلى السلطان في تاسع عشره وهو على الكرك. وسارت أولاد العادل في حادي عشرية، فلقوا العادل وهو على القنار في خامس عشرية، ووصل معهم زرافة. فاجتمعوا به وساروا إلى حلب، ومعهم بكش بن عين الدولة الباروقي، وعلى بن سليمان بن جندره، ونزل العسكر الحلي على عمن مدينة^(٤)

(١) بنير ضبط في س، وهو اسم يطلق على بلاد فلسطين والأردن (Le Strange: Palestine Under Moslems, p. 556; also Index). (٢) في س وقع. (٣) لعل المقصود أنه كان بالقنطرة أعداد من الخيول وغيرها، أرسلت خصيصا لإبدال ما هلك من المظايا. انظر (Dozy: Supp. Diet. Ar.). (٤) موضع بظاهر دمشق، ويعرف أيضا بمنازل المساكر. (أبرشامة: كتاب الروشتين، ص ٦٦، ٢٥٩، في (Rec. Hist. Or. IV). (٥) في س قرا أرسلان. (٦) بنير ضبط في س، وهي أول منزلة للقوافل القادمة من دمشق إلى مصر. (ياقوت: معجم البلدان، ج ٤، ص ٢٧٥). (٧) كذا في س بنير ضبط ويرجع (Blochet: Op. cit. p. 162. N. 1) أن صحه (Bektash). (٨) بنير ضبط في س. انظر (Rec. Hist. Or. I, pp. 663, 673).

البقاء في ثامن جمادى الأولى ، ورحل عنها في ثاني عشره إلى الكرك . وقدم العادل وابن قرا أرسلان إلى الكرك في سابع عشره ، وعملت المجانيق إلى ليلة الخميس حادى عشره ، ثم رُميت تلك الليلة . ورحل العسكر كله لخبر ورد عن اجتياح الفرنج ، وساروا إلى اللجون ، ونزل الفرنج بالواله . ثم سار العسكر إلى ناحية البقاء ، فنزلوا حسان نجاه الفرنج ، إلى نصف نهار الإثنين سادس عشره . فرحل الفرنج إلى الكرك ، والعسكر وراءهم إلى نابلس ، فهاجمها العسكر يوم الجمعة سلخه ، وحرقوها ونهبوها ، وساروا فأخذوا أربعة حصون ، ونزلوا على جيتين ، وتقبو قلعتهما حتى وقعت ، وقُتل تحتها من التقيين عدة ، وأخذت عنوة وغنم منها شيء كثير . ورحلوا في ليلتهم إلى زرعين و [عين] جالوت ، وأحرقوها في الليل ، وعبروا الأردن يوم الأحد ثاني جمادى الآخرة ، ونزلوا القوار رابعة .

ودخل السلطان دمشق يوم السبت سابعه ، ومعه عساكره كلها . وقدم أخوه العادل من حلب ، وأتته العساكر المشرقية وعساكر الحصن وأمد ، وسار بهم يريد الكرك لأخذها من الفرنج . فنازلها في رابع عشر جمادى الأولى ، ونصب عليها تسعة مجانيق رماها بها . وقدمت الأمداد من الفرنج ، فرحل السلطان إلى نابلس ، ونهب كل ما مر به من البلاد ، وأحرق نابلس ونهبها ونهبها ، وقتل وسبي وأسرى ، واستنقذ عدة من المسلمين كانوا أسرى ، وسار إلى جيتين ، وعاد إلى دمشق . فقدم عليه رسل الخليفة ، وهما الشيخ صدر الدين عبد الرحيم بن اسماعيل بن أبي سعد أحمد ، و [شهاب الدين] بشير الخادم ، ومعهما خلع

(١) جهات واسعة بين دمشق و وادي القرى . انظر (ك) Blochet : Op. cit. p. 162, N.

(٢) بنير ضبط في س ، وهو بلد بالأردن ، بينه وبين طبرية عشرون ميلا . (ياقوت : معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ٣٥١) . (٣) بنير ضبط في س ، انظر (Rec. Hist. Or. IV, p. 248) . (٤) بنير ضبط في س ، انظر (Blochet : Op. cit. p. 162, N. 4) . (٥) في س فهجما . (٦) في س أربع . (٧) في س جيتين ، وبنير ضبط ، وهي بلدة بين نابلس وبيسان . (ياقوت : معجم البلدان ج ٢ ، ص ١٨٠) . (٨) يقصد المؤلف حصن كيفا ، وهو قلعة طليعة مشرفة على دجلة بين آمد وجزيرة ابن عمر من ديار بكر . (ياقوت : معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ٢٧٧) . (٩) انظر ص ٨٢ ، وكذلك ابن الأثير (الكامل في التاريخ ، ج ١١ ، ص ٣٣٥) .

للسلطان والملك العادل، فلبسها، وطلب^(١) [الرسولان] تقرير الصلح بين السلطان وبين عن الدين صاحب الموصل، فلم يتقرر بينهما صلح، ونحربا من دمشق، فماتا قبل وصولهما إلى بغداد.

- ونخل السلطان على جميع العساكر، وأذن لهم في المسير إلى بلادهم، بعد ما أعطاهم شيئا كثيرا، فصاروا. وفي نصف شعبان سار المظفر تقي الدين بعاكر مصر يريد القود إلى القاهرة، وقُرئت وصية سلطانية، تضمنت ولاية الملك العزيز عثمان ابن السلطان لمصر. بكفالة ابن عمه تقي الدين عمر، وولاية (١٢٥) الملك الأفضل [أكبر أبناء السلطان^(٢)] على الشام بكفالة عمه العادل صاحب حلب؛ وأن مدة الكفالة إلى أن يعلم المسلمون باستقلال كل واحد بالأمر، ويستقر الكافلان في خبزهما وما بأيديهما، ومن عدم من الولدين قام الأمتل من إخوته مقامه، أو من الكافلين قام الباقي منهما مقام الآخر، واستُخلف الحاضرون من الأمراء، وولى قراءة المهدي بذلك القاضي المرتضى بن قريش. وسوخ بجلائي البهاسا،

- (١) في س وطليا. (٢) انظر (Lane-Poole: Saladin, Table II., in pocket).
- (٣) الهندا مدينة بصعيد مصر الأدي غربي النيل، وتضاف إليها كورة كبيرة، وهي عامرة كثيرة الدخل. (ياقوت: معجم البلدان، ج ١، ص ٧٧١؛ والمقرئى: المواعظ والاعتبار، ج ١، ص ٢٣٧—٢٣٨).
- وهي الآن قرية صغيرة قرب بني مزار (Enc. Isl. Art. Bahnasū). والحلال المكوس التي نجى فوق الخراج بالدار المصرية، وفيها يقول المقرئى (المواعظ والاعتبار، ج ١، ص ١٠٣ وما بعدها) ما نصه: "اعلم أن مال مصر في زماننا ينقسم إلى قسمين: أحدهما يقال له خراجي، والآخر يقال له هلال. فالمال الخراجي ما يؤخذ من الأراضى التي تروى حيويا وتخلو وحبيا وفاكهة، وما يؤخذ من الفلاحين هدية، مثل الغنم والذجاج والكتك وغيره من طرف الريف. والمال الهلال عقد أبواب، كلها أخذوها (كذا) ولاية السوء شيئا بعد شيء. ... وأقول من أحدث مالا سوى مال الخراج بمصر أحمد بن محمد بن مديرة بعد سنة تحسين ومائتين، فإنه كان من دهاة الناس وشياطين اللجباب. فابتدع في مصر بدعا سارت مستمرة من بعده لا تنفص: فأساط بالظنون، وهجر عليه بعد ما كان يباحا لجميع الناس، وقرر على الكلال الذي تراء البهائم مالا سماه المرائى، وقرر على على ما يطعم الله من البحر مالا سماه المصايد، إلى غير ذلك. فاقسم حينئذ مال مصر إلى مصر إلى خراجي وهلال، وكان الهلال يعرف في زمنه بالمرائق والمعادن. فلما ولى الأمير أبو الباس أحمد بن طولون إمارة مصر، وأضاف إليه أمير المؤمنين المعتمد على الله (١٠٤) الخراج والتعود الشامية، وغب وتزعم ألداس المعادن والمرائق، وكتب بإمقاطها في جميع أعماله، وكانت تبلغ بمصر خاصة مائة ألف دينار في كل سنة. ... ثم أعيدت الأموال الهلالية في أثناء الدولة الفاطمية عند ما ضمت، وصارت تعرف بالمكوس. فلما استبد السلطان الناصر صلاح الدين أبو المظفر =

وهو ألف ومائتا دينار؛ وسوخ بالآتيان، وما تقصّر عن ألفي دينار؛ ومنع من ضمان المزر والنجر والملاهي، وترك ما كان يؤخذ من رسم ذلك للسلطان بديار مصر. وخرج السلطان من دمشق يريد البلاد الشرقية؛ فأقام بحماة بقية السنة، وكان تزوله عليها في عشرين ذى القعدة. وفي هذه السنة أقيمت خطبة في جامع المحرم عند قبر سارية^(١) يلحف الجبل، في غير بيان وبغير سكان، وتم ذلك بعصية جماعة. ثم أحدث جامع عند قبة موسك وبقيت ستين. وبلغ النيل ثلاث عشرة أصبعا من تسع عشرة ذراعا، فأضر ذلك بالقرى، وخرج أهلها منها لسقوط جدرانهم. وغرقت البساتين والأقصاب، وفاضت الآبار، وانقطعت الترع^(٢)، وكثر الضرر، كما حصل في سنة أربع وأربعين ونعمانية.

و [في هذه السنة] مات السلطان أبو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن بن علي ملك المغرب، لسبع خلون من رجب. ومات إيلغازي [بن نجم الدين] بن أبي بن تمر تاش بن إيلغازي بن أرتق الأرتقي قطب الدين، صاحب مايردين، في جمادى الآخرة. وفيها مات يوسف بن أيوب ملك مصر أمر بإسقاط مكوس مصر والقاهرة، فكتب عنه القاضي الفاضل مرسوما بذلك، وكان جملة ذلك في كل سنة مائة ألف دينار ... (١٠٥) وذكر ابن أبي طى الذي أسقطه السلطان صلاح الدين، والذي ساع به لعدة سنين آخرها سنة أربع وستين ونعمانية، بلغه من نيف (كذا) ألف ألف دينار وألفي ألف أردب، ساع بذلك وأطله من الدراين، وأسقطه عن المعاملين، فلما ولي السلطان الملك العزيز هان بن صلاح الدين يوسف أعاد المكوس وزاد في شاعها ... (٢) انظر أيضا (نفس المرجع) ج ٢، ص ٢٦٧ - ٢٦٨، والفتوشى: ص ٤٨٥، ج ٣، ص ٤٧١.

(١) بنير ضبط في ص. وهذا القبر من مزارات القاهرة ومشاهدها، وهو بالقرقرة، وصاحبه سارية ابن أبي زعيم الليثاني، وهو الذي ناداه الخليفة عمر بن الخطاب على المبر "ياسارية الجبل!". (ياقوت: معجم البلدان: ج ٤١، ص ٢٧٨، ج ٣، ص ٦٤٥، ج ٤، ص ٢٤٧، ٢٤٨، ٤٨٥، ٥٥٥). (٢) أى قاعدة الجبل. (محيط المحيط). (٣) بنير ضبط في ص، ولعله قبر موسك بن الجبل بن زعيم الأكراد البنية. (انظر ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ٩، ص ٤١٦). هذا وقد كان السلطان صلاح الدين ابن خال اسمه عز الدين موسك، منقش قطرة الموسك بالقاهرة، غير أنه مات بدمشق سنة ٥٨٤ هـ. (المقريزي: الحواشي والاعتبار، ج ٢، ص ١٤٧). (انظر ص ١٠٣). (٤) في ص التراجع. (٥) في ص القى. راجع ابن الأثير (الكامل في التاريخ، ج ١١، ص ٣٣٥). (٦) ضبطت هذه الأسماء على مطبوعاتها في (Blochet: Op. cit., p. 165). (٧) قلعة حصينة على فكة جبل الجزيرة، مشرفة على نصيبين. (ياقوت: معجم البلدان ج ٤، ص ٣٩٠).

آتسقر الساقى، صهر قراجا الهام، يحلب في يوم الجمعة حادى عشر رجب . وفيها رسم السلطان بتقييد أولاد [الخليفة] العاضد [الفاطى] ومن بقى من أقاربه .

♦ ♦ ♦

- (١١) سنة ثمانين ومحمسائة) . أول المحرم يوم الاثنين، فيه ابتدئ بالتدريس في المدرسة الفاضلية بدرب ملوخيا من القاهرة . وفي خامسه توجهت القافلة بالبذل المجرد^(١٢) إلى قلعي صدر وأيلة مع قيصر والى الشرقية . وفي سابعه أقيمت الخطبة عند قبر سارية بالحف الجبل في غير بنان ولا سكان . وفي ثامنه وردت كتب السلطان من دمشق ، باستدعاء العساكر، وجمع الأموال والأسلحة والأمتعة . وفي حادى عشره كانت قتنة بين العرب الجذامين، فخرج عسكر إلى الشرقية . وعدى الملك المظفر إلى الجيزة بأولاده، لدعوة عملها الطواشى قراقوش^(١٣) عند قناة طرة^(١٤)، وعاد من الغد . وفي ثامن عشره وردت كتب السلطان من دمشق، لاستنباض العساكر لغزاة الكرك، وأن يستصحبوا من الراجل ما قدروا عليه . فبرزت الخيام إلى بركة الحب ١٠ في عشره ، وخرج من الغد الملك المظفر تقي الدين النائب بمصر . وفي ثاني عشره ورد الخبر من ناظر قوص بفرق أربع جلاب^(١٥)، بها ألف وثلاثمائة رجل من المهاج، هلوكوا [كلهم] . وفي خامس عشره عاد قيصر والى الشرقية من صدر، بعد أن أوصل القافلة إلى أيلة، وعاد بالقافلة العائدة ، وكان الصدوق قد نهض إليها ، ثم عاد عنها . وفي سلخه ورد الخبر بأن المؤيد سيف الإسلام ملك بلاد اليمن، واعتقل خطاب بن منقذ بزبد . ١٥

[وأهل] صفر . في رابعه ورد الخبر بوصول تابوتى نجم الدين أيوب وأسد الدين شيركوه،

إلى المدينة النبوية، ودفنهما بها . وكان قد حُلّ بهما إلى قوص، وعدى بهما من بحر عذاب

(١) هذا يد. هامش مكتوب على ورقتين منفصلتين في ص ٤٠٠، بين صفتي ٢٤ ب ، ٢٥ أ . وليس ما ورد به وجود في ب . (٢) انظر ص ٨٤٣، ويلاحظ أن هذه الأخبار بعضها قد تقدم ذكره .

(٣) في ص فراغوش، وبها هامش العبارة الآتية بخط مخالف : ” ذكر ابن الأثير أن هذا قراقوش (كذا) بالقائين، وأنه هو الذى عمر قلعة الجبل ، والمؤلف يسميه قراقوش، وافته أعلم “ . انظر ص ٦٠ حاشية ٨

(٤) في ص قاطره ، غير ضبط . انظر (P. Omar Toussoun : Op. cit. T. I. I., p. 190).

(٥) نوع من سفن التجارة خاص بالبحر الأحمر، ومفرده جَلَبَة . (Dozy : Suppl. Dict. Ar.) .

إلى المدينة، وكان سيرهما في أول السنة الماضية. وفي سادسه سار الأسطول، وهو أحد وتلاتون شينياً^(١) وحرقة . وفي سابعه جرت فتنة بين الأشاعرة والحنابلة ، سبها إنكار الحنابلة على الشهاب الطوسي تكلمه في مسألة [من مسائل] الكلام في مجلس وعظه . ورافقوا إلى [الملك] المظفر نجيمه، فرسم برفع كراسي وعظ الفريقين؛ وقد أطلق كل من الفريقين لسانه في الآخر. وفي ثامنه وقع مطر عظيم، ورعد قاصف وريح عاصف، و برق خاطف وبرد كثير كبار .^(٢) غل بالعسكر المبرز بلاء شديد، وعطبت الثمار، وتفسخت الأشجار، واقعر النخل، وعمت الجائحة الثمار والزرورع، التي لم تحصد وما حصده، وتلفت المقاتي . وفي عاشره عقد مجلس لأصحاب الدواوين [للفاضلة ماين] ابن شكر وابن عثمان : قسّم ابن عثمان الدواوين، بعد أن أخذ خطه بزيادة خمسة عشر ألف دينار على الارتفاع؛ ثم صرف بابن شكر في ثالث عشره .

[وأهل] شهر ربيع الأول . في ثاني عشره سار المظفر تقي الدين من بركة الحب، يريد السلطان بدمشق. وعاد ابن السلال إلى القاهرة نائباً عن المظفر . وعاد ابن شكر ناظر الدواوين [إلى القاهرة ؟] في خامس عشره، ومعه ولد المظفر، ففرج الناس لتلقيه .

[وأهل] شهر ربيع الآخر . في عشره قدم المظفر على السلطان [صلاح الدين] بالقرب من الكرك .

[و] في عاشر جمادى الآخرة أخلت أهل بلبس [بلدتهم] في ليلة واحدة، وقد سمعوا بمسير الفرنج إلى فاقوس . واضطرب الناس بالقاهرة ومصر والحيزة ، فسجيت الهجة الكذابة . وقدم الخبر بأن سيف الاسلام قتل خطاب بن منقذ ومثل به ، واستصفي أمواله باليمن ، وقبض على الزامه . وكان العسكر عقيب الهجة خرج إلى بلبس، فنهاه الغلمان، وأخذ الفرنج نحو مائتين وعشرين أسيراً، وسافوا أغناماً لا تدخل تحت حصر .

وفي رابع عشرى شعبان قدم المظفر تقي الدين إلى القاهرة بالعسكر، بعد شدة لحقتهم في طريقهم . وفي ذى القعدة ورد كتاب سيف الإسلام بأنه فتح باليمن مائة وثلاثة وسبعين

(١) في م شين . (٢) في م وبرد كبير كبار . (٣) في م ومه .

حصناً ، وقدم أهل خطاب بن متقذ وأخوه مجد إلى مصر . وخرج تقي الدين [ابن] أنخى صلاح الدين إلى البعيرة ليكشف أحوالها . و[كان] معه كاتبه الرضى بن سلامة ، فاستدفع من الدواوين حساباتهم ، وسار بها على بغل صحبة تقي الدين ، فأرسل الله صاعقة من السماء أحرقت البغل وما عليه من الحساب ، وعاد تقي الدين ^(٢) .

♦ ♦ ♦

- [سنة إحدى وثمانين وخمسمائة] . وأهلت سنة إحدى وثمانين ، فسار السلطان وبلغ حران في يوم الجمعة ثامن عشرى صفر ، فقبض على صاحبها مظفر الدين محمد ^(٣) ، واستولى عليها . ورحل عنها في ثاني ربيع الأول ، فوافته رسل الملك قلع أرسلان ^(٤) بن مسعود [السلجوقي] صاحب الروم ، باتفاق ملوك الشرق بأجمعهم على قصده ، إن لم يمد عن الموصل ^(٥) وماردين . فسار يريد الموصل ، وكاتب الخليفة بما عزم عليه من حصر الموصل ، ونزل عليها وحاصر أهلها وقتلهم . فورد الخبر بموت شاه أرمن بن سقان [الثاني ناصر الدين محمد بن إبراهيم] صاحب خلّاط في تاسع ربيع الأول ، فرحل [صلاح الدين] في آخره يريد خلّاط ، ثم عاد ولم يملكها ، [وسار] إلى مياقارين فتسلمها . ثم عاد إلى الموصل ، ونزل على دجلة في شعبان ، وأقام إلى رمضان ، فرض مرضاً نحوفاً ، فرحل في آخر رمضان ، وهو لما به . وقد أيس منه . فقتل بجران ، فتقرر فيها الصلح بينه وبين الموصل في يوم عرفة ، وخطب

(١) في س اخو ، وليس بالمراجع المتداولة في هذه الحواشي ما يشير إلى أخ صلاح الدين بهذا القالب .

(٢) آثار الماشي المشار إليه بصفحة ٧٨ حاشية ١ . (٣) بغير ضبط في س ، انظر ياقوت (معجم البلدان ، ج ٣ ، ص ٣٤١) . (٤) في س قلع . (٥) في س ضم الياء وضع العين ، وانظر أن المؤلف عكس موضع الحركتين خطأ . (٦) في س شاهر من س سمان . وقد أضيف ما بين القوسين من (Blochet : Op. cit. p. 166) . انظر أيضا ابن الأثير (الكامل في التاريخ ، ج ١١ ، ص ٣٣٨) .

(٧) بغير ضبط في س ، وهي قصة أرمنية الوسطى . (ياقوت معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ٤٥٩ ؛ و Blochet : Op. cit. p. 166, N. 2) . (٨) بغير ضبط في س ، وهي من مدن ديار بكر . (ياقوت : معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ٧٠٣ - ٧٠٨) .

له بجميع بلاد الموصل ، وقطعت خطبة السلجوقية منها ؛ وخطب له في ديار بكر وجميع البلاد الأرمنية ، وضربت السكة باسمه ، وأمر بالصدقات في جميع ممالكه .

[و] في يوم الثلاثاء سابع ربيع الأول حدثت بمصر زلزلة ، وفي مثل تلك الساعة كانت [زلزلة] في بعلبك أيضا ، وفيه كانت بالإسكندرية فتنة بين العوام ، نهبوا فيها المراكب الرومية ، فقبض على عدة منهم ومثل بهم .^(٢١)

ومات [في هذه السنة] الملك القاهرة ناصر الدين محمد بن أسد الدين شيركوه صاحب حمص ، ليلة عيد الأضحى . واتهم السلطان بأنه سمه : فإنه لما اشتد مرض السلطان تحدث بأنه يملك من بعده . ومات نغر الدولة إبراهيم بن محمد بن (٢٥ ب) إبراهيم بن أحمد بن نصر الأسواني ابن أخت الرشيد والمهذب ابن الزير فيها . وهو أول من كتب الإنشاء للسلطان ، ثم كتب لأخيه العادل . ومات سعد الدين بن مسعود بن معين الدين بأمد . ومات الأمير مالك بن ياروق في منبج ليلة السبت مستهل رجب ، فحمل إلى حلب ودفن بها . وماتت آمنة خاتون بنت معين الدين [أَنَار] ، التي تزوجها السلطان [صلاح الدين] بعد نور الدين محمود لما ملك دمشق ، وكانت وفاتها يوم الإثنين ثالث ذى القعدة .

[و] فيها خرج المظفر [تقي الدين عمر] إلى كشف أحوال الاسكندرية . وشُرع في عمل سور على مدينة مصر بالجمر ، فلم يسق فقير ولا ضعيف إلا خط فيه ساحة (٩) من درب الصفا إلى المشهد النقيسي ، وأصنعت البارة في خط الخليج إلى درب ملوخيا بمصر حتى بين الكومين (٩) ويجوار جامع ابن طولون والكباش ، فحُمر أكثر من خمسة آلاف موضع إشفاق

(١ و ٢) ما بين الرقبن وارد هامش الصفحة في س ، ولم يشر المؤلف كعادته إلى المكان المناسب له من المتن ، وليست في ب (٣٠ ب) . (٣) بقية تلك الوفيات واردة هامش الصفحة في س ، وليس بالمتن إشارة إلى مكانها المناسب منه ، ولا هي موجودة في ب (٣٠ ب) . على أنه لاشك في وقوعها سنة ٥٨١ هـ . انظر (Enc. Isl. Art. Khātun) . (٤) الفقرة الآتية أيضا إلى آخر السنة ، واردة هامش الصفحة في س ، قبل بدء الكلام عن السنة التالية . وليس منها في ب (٣٠ ب) . (٥) يشير ضبط في س ، والبارة كلها إلى علامة الاستفهام بالمتن ، غير واضحة تماما . (٦) في س المرحا . انظر المقرئ (المواظ والاعتبار ج ٢ ، ص ٣٨) .

(١) القنطرة والخرشف وتراب الأرض . وتحول الناس لجهة جامع ابن طولون والبركة وجانب القلعة .
وفي شعبان ورمضان وقع وباء بأرض مصر و [فتنا] موت الفجأة ، و [كثر الوباء] في الدجاج
أيضاً .

♦ ♦ ♦

[سنة اثنتين وثمانين وخمسمائة] . وأهلت سنة اثنتين وثمانين ، وقد أبل السلطان

- من مرضه ، فرحل من حران ، [و] نزل حلب في رابع عشر المحرم ، ومصر من حلب إلى
حصص ، فرتب أمورها وأسقط المكوس منها ، ودخل إلى دمشق في ثاني ربيع الأول ، وأستدعى
ابنه الأفضل علياً من مصر ، لمتافرة كانت بينه وبين ابن عمه المظفر تقي الدين ، فقدم عليه بأهله
وحشمه ، لسبع بقين من جمادى الأولى . وصُرف العادل عن حلب ، وتقرر عوضه بها الملك
الظاهر غياث الدين غازي ابن السلطان ، وعوض العادل الشرقية بديار مصر .

- وصُرف المظفر تقي الدين عمر من ديار مصر ونيايتها ، فغضب لذلك ، وعبر بأصحابه إلى
البحيرة يريد الحساق بغلامه شرف الدين قراقوش التقوى ، وأخذ بلاد المغرب ، وجعل مملوكة

(١) في س القند ، وبغير ضبط . والقنطرة - محيط المحيط . وفي (Dozy : Suppl. Dict. Ar.)
القنطرة البحيرة الكبيرة . (٢) في س الخرشف ، وبغير ضبط ، والخرشف هو ما يتغير عما يوجد به على
مياه الحمامات من الأزبال وغيرها . وهذا ومن أخطاط القاهرة خط الخرشف ، بين حارة بروجوان والكافوري ،
و يتصل إليه من بين القصرين ، ومدخله في يعرف بقبر الخرشف . وإسماعيل هذا الخط بالخرشف لأن الخليفة العزيز
الفاطمي بنى فيه الاصطبلات من هذه المادة المتحجرة . (المقريزي : المواعظ والاعتبار ، ج ٢ ، ص ٢٧) .

(٣) العبارة الآتية واردة في هامش على ورقة مفصلة بين الصحفتين ٢٥ ب ، ٢٦ أ : "كان إقطاع المظفر
تقي الدين عمر البحيرة جميعها وهي بأوبهاثة ألف دينار ، والقيوم بثلاثة ألف دينار ، وفاء وقايا وبورش وبسبين
ألف دينار ، ثم عرض عن بورش بسنود والواحوات ، وهي بسبن ألف دينار ، وقوة والمزاحمين وهي بأربعين ألف دينار ،
وحوف رمسيس وهو بثلاثين ألف دينار ، والمرب في كل شهر على الإسكندرية ألف وخمسمائة دينار . " ويلاحظ
أن مدلول هذه الأقسام الإدارية أيام الأيوبيين ليس كدلولها الحال ، فقد تغير حكم بعضها منذ عصر المماليك
البحرية ، بإضافته إلى غيره من الأعمال مع بقاء أسمائه ، ودرس اسم بعضها الآخرون : فسنود مثلاً كانت كورة
بذاتها ، ثم أضيفت إلى عمل القرية ، وكورة المزاحمين كانت تشمل ماجاور قناة الإسكندرية من جهة الشمال إلى
البحر الأبيض المتوسط ، فضلاً عن بعض الأراضي بالبر الشرقي من فرع النيل ، وكانت حاضرتها قوة . وكان على كورة
المزاحمين بالجهات الغربية البحرية ، ثم حوف رمسيس . راجع التفقشدي (صحيح الأشتي ، ج ٣ ، ص ٣٧٩ -

(١) يورى في مقدمته . فبلغ ذلك السلطان ، فكتب إليه يأمره بالقدوم عليه . فقبح الأكابر عليه مشاقته السلطان وحذروه ، فأجاب وتوجه إلى دمشق ، فوصلها ثالث عشرى شعبان . واستقر على ما يبدد من حماة والمعرّة ومنبج وأضيف إليه ميفارقين ، وكتب إلى أصحابه تقدموا عليه من مصر ، ما خلا زين الدين يورى مملوكه ، فإنه سار إلى المغرب ، وملك هناك مواضع [كثيرة] . ثم قصد مصر صاحب المغرب وأسره ، ثم أطلقه وقدمه . ووصل الأفضل على بن السلطان من القاهرة إلى دمشق يوم الخميس سابع عشر جمادى الأولى ، وهو أول قدومه إليها . وسار الملك العزيز عثمان إلى ملك مصر ، ومعه عمه العادل أتابكا . وكان خروج العادل من حلب ليلة السبت رابع عشرى صفر ، فدخل إلى القاهرة في خامس رمضان .

ووقع الخلف بين الفرنج بطرابلس ، فالتجأ القومص إلى السلطان ، وصار يناصحه ، واستولى الإبريس ملك الفرنج بالكرك على قافلة عظيمة ، فأمر من فيها ، وامتنع من إجابة السلطان إلى إطلاقهم ، فتجهز [السلطان] لمحاربته ، وكتب الأطراف بالمسير لقتاله . وفيها مات بمصر عبد الله بن أبي الوحش برى بن عبد الجبار بن برى النحوى ، ليلة السبت ثلاث بقين من شوال ، ومولده [بدمشق] في خامس رجب سنة تسع وتسعين وأربعمائة .

♦ ♦

[سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة] . وأهلت سنة ثلاث وثمانين ، وقد برز السلطان من

دمشق لجهاد الفرنج يوم السبت أول المحرم ، وأقر ابنه الأفضل على رأس الماء ، ونزل بصري ،

(١) في س يوزنه بنبريظ ، انظر (Blochet : Op. cit. p. 169, N. 5.) . وهذا لصالح الدين أخ اسمه تاج الملوك يورى (Lane-Poole : Saladin, Table II. in pocket) . (٢) في س " قبح الأكابر عليه مشاقته " . (٣) في س يوزنه . (٤) هو الكونت رايون الثاني صاحب طرابلس الذى تقدم ذكره . (انظر ص ٥٩ حاشية ٢) . (٥) هو الأمير أرنو صاحب الكرك الذى تقدم ذكره (انظر ص ٦٤ حاشية ٥) . (٦) بنبريظ في س ، واسمه كما جاء في (Enc. Isl. Art. Ibn Barri) أبو محمد عبد الله برى بن عبد الجبار ابن برى القنسى المصرى .

(٧) بنبريظ في س ، واسمها أيضا البطل . (G. Demonhynes : Op. cit. p. 244, N. 1) .

(٨) بنبريظ في س ، وموقعها بالشام من أعمال دمشق ، وهي قصبة كورة حوران . (باقوت معجم البلدان ، ج ١ ، ص ٦٥٤) .

- فأقام لحفظ الحاج حتى قدموا في آخر صفر . فسار إلى الكرك ، في اثني عشر ألف فارس ، ونازلها وقطع أشجارها ، ثم قصد الشوبك^(١) ، فعمل بها [مثل] ذلك . وخرج الحاجب (١٢٦) لؤلؤ على الأسطول من مصر ، وهو خمسة عشر شيفيا ، ليسير إلى الإسكندرية . وخرج العادل من القاهرة في صابح المحرم إلى بركة الحب ، وسار إلى الكرك ، فزحل أبلة ، والتقى مع السلطان على القريتين^(٢) ، وعادا إلى الكرك ، فنازلاها في ربيع الأول . وضائق [السلطان] أهلها ، ثم رحل عنها ، ونازل طبرية ، فاجتمع من الفرنج نحو الخمسين ألفا بأرض عكا ، ورفعوا صليب الصليوت^(٣) . فافتتح السلطان طبرية عنوة في ثالث عشر ربيع الآخر ، وغازط ذلك الفرنج وتجمعوا ، فسار إليهم السلطان ، وكانت وقعة حطين^(٤) ، التي نصر الله فيها دينه ، في يوم السبت رابع عشره . وانهزم الفرنج بعد عدة وقائع ، وأخذ المسلمون صليب الصليوت ، وأسروا الإبرنس أرناط صاحب الكرك والشوبك ، وعدة ملوك [آخرين] ، وقتل وأسر [من سائر الفرنج] مالا يعد كثرة . ثم قدم الإبرنس [أرناط] ، وضرب السلطان عنقه بيده ، وقتل جميع من عنده من الفرنج الداوية والإسبانية . ورحل [السلطان] إلى عكا ، فنازلها سلخ ربيع الآخر ، ومعه عالم عظيم .

(١) بنير ضبط في س ، وهي قلعة حصينة في أطراف الشام بين عمان وأبلة والقزم قرب الكرك . (باقوت : معجم البلدان ، ج ٣ ، ص ٣٣٢ ؛ انظر أيضا (Blochet : Op. cit. p. 472. N. 1) . (٢) بنير ضبط في س ، وهي بلدة كبيرة من أعمال حص ، وتدعى حوارين ، وبينها وبين تدمر مرحطان . (باقوت : معجم البلدان ، ج ٣ ، ص ٧٨) . (٣) جاء في ابن الأثير (الكامل في التاريخ ، ج ١١ ، ص ٣٥٣) أن صليب الصليوت هو الصليب الأعظم عند المسيحيين ، وأنهم يسمونه بهذا الاسم لأن " فيه قطعة من الخشب التي صلب عليها المسيح عليه السلام في زعمهم " . ولهذا الصليب أعبار كثيرة منها ، فضلا عما سيرد في تل ، أنه قبل إلى جزيرة قبرص ، بعد خروج الصليبيين من الشام ، ثم استولى عليه المسلمون عند فتحهم تلك الجزيرة سنة ١٤٢٦ م . على أنه ينقبض ، ورآه هناك أحد الرعاة الأوربيين سنة ١٤٨٨ م . راجع (Ziada : Maml. Conquest of Cyprus , p. 102. N. 89) . (٤) بنير ضبط في س ، وهي قرية بالشام بين أرسوف وقيسارية . (باقوت : معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ٢٩١) . (٥) في س منهم . (٦) يوجدف (Blochet : Op. cit. p. 173. N. 1) . وصف مسهب لقتل هذا الأمير . وقد ذكر الكاتب الإنجليزي (Sir Walter Scott) في روايته (Talisman) تفاصيل تلك الحادثة . (٧) استثنى صلاح الدين من القتل واحدا فقط من رجال هاتين الهيئتين الدينيتين ، وهو (Gerard de Ridfort) رئيس الداروية . (King : Knights Hospitallars , pp. 128-129) .

قال العلامة عبد اللطيف بن يوسف البغدادي : "كان السوق الذي في عسكر السلطان على عكا عظيما ، ذا مساحة فسيحة ، فيه مائة وأربعون دكان يبطار . وعددت عند طباخ واحد ثمانيا وعشرين قدرا ، كل قدر تسع رأس غنم . وكنت أحفظ عدد الدكاكين ، لأنها كانت محفوظة عند شحنة السوق ، وأظنها سبعة آلاف دكان ، وليست مثل دكاكين المغينة ، بل دكان واحد مثل مائة دكان ، لأن الحوائج في الأعدال والجوالقات . ويقال إن العسكر أنتنت منزلتهم لطول المقام ، فلما ارتحلوا غير بعيد ، وزن سمان أجرة نقل متاعه سبعين دينارا . وأما سوق البز العتيق والجديد ، فشئ يهر العقل . وكان في العسكر أكثر من ألف حمام ، وكان أكثر ما يتولاها المغاربة ، يجتمع منهم أثنان أو ثلاثة ويحفرون ذراعين فيطلع الماء ، ويأخذون الطين فيعملون منه حوضا وحائطا ، ويسترونه بحطب وحصير ، ويقطعون حطبان البساتين التي حولهم ، ويحمون الماء في قدور ، وصار حماما ينسل الرجل رأسه بدرهم وأكثر" .

فلم يزل [صلاح الدين] على محاصرة عكا إلى [أن] تسلمها بالأمان ، في ثاني جمادى الأولى ، وأستولى على ما فيها من الأموال والبضائع ، وأطلق من كان بها من المسلمين مأسورا ، وكانوا أربعة آلاف نفس . ورُتب في كنيسها العظمى متبرا ، وأقيم فيها الجمعة . وأقطع عكا لابنه الأفضل علي ، وأعطى جميع ما للداوية من إقطاع وضياع للفقير ضياء الدين عيسى الهكاري . وسار العادل بساكر مصر إلى مجدليا ، لخصره وقطعه وغنم ما فيه . وأقتحت عدة حصون حول عكا : وهي الناصرة وقيسارية وحيفا وصفورية ومعليا والشقيف والتولع

(١) هذه الكلمة مترجمة في (Blochet : Op. cit. p. 174) إلى (nouf) أي الرّم المددئ تسمة .

(٢) بنير ضبط في ص ، ويطلق على الثياب والأمتعة والأسلحة . (محيط المحيط) .

(٣) في ص " فلم يزل على محاصرته " . (٤) في ص " مجدليا " بنير ضبط ، انظر (ياقوت : معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ١٨٤) ، وموقعها قرب الرملة . انظر أيضا (Blochet : Op. cit. p. 175 . N. ٢) .

(٥) في ص " معليا " بنير ضبط ، وهي من نواحي الأردن بالشام . (ياقوت : معجم البلدان ، ج ١ ، ص ٧٨٨) .

(٦) في ص " التولع " بنير ضبط ، وهي قرية بالشام . (ياقوت : معجم البلدان ، ج ١ ، ص ٨٩٥) .

- والطُّور، ونهب ما فيها، وسبيت النساء والأطفال، فقدموا بما سد القضاء . وأخذت سبسية^(١) ونابلس، وكتب [السلطان] لخليفة بخر فتح هذه البلاد^(٢) . ونزل العادل على يافا، حتى ملكها عنوة ونهبها، وسبي الحرير وأسر الرجال، ونازل المظفر تقي الدين عمر^(٣) يثين، وأدركه السلطان فوصل إليها في حادى عشر جمادى [الأولى]، وما زال محاصراً لها حتى تسلمها في ثامن عشره بامان؛ وجلا أهلها عنها إلى صور، وتسلم [السلطان] العدد والدواب والخزائن . وسار فأخذ صرخد^(٤) بنير قتال، ثم رحل إلى صيدا، ففر أهلها وتركها، فتسلمها السلطان في حادى عشره^(٥) (٢٦ ب) .
- ونازل بيروت وضايها ثمانية أيام، إلى أن طلب أهلها الأمان، فأجابهم واستولى عليها في تاسع عشره . وأخذ جبيل^(٦)، فكان من استنقذ الله من المسلمين المأسورين عند الفرنج، في هذه السنة، ما يزيد على عشرين ألف إنسان، وأسر المسلمون من الفرنج مائة ألف أسير .
- وهلك [في هذه السنة] القومص صاحب طرابلس . وقدم المراكيس^(٧) - أكبر طواغيت^(٨) الفرنج - إلى صور، وقد اجتمع بها أمم من الفرنج؛ فتملك عليهم، وحصن البلد . فسار السلطان بعد فتح بيروت، وتسلم الرملة والخليل وبيت لحم، واجتمع بأخيه العادل، ونازلا عسقلان^(٩) في سادس عشر جمادى الآخرة، ونصبا المجانيق عليها. ووقع الجدل في القتال، إلى أن
- (١) بنير ضبط في س، وهو جبل على بعد أربعة فراسخ من طبرية. راجع (Blochet : Op. cit. p. 175. N. 9).
- (٢) بنير ضبط في س، وهى من أعمال نابلس . راجع (Blochet : Op. cit. p. 176. N. 1).
- (٣) انظر في قسم المربع والصفحة (N. 5) : « ترجمة لكتاب أرسله صلاح الدين إلى حاكم نيس بعد وفاة حلبين .
- (٤) في س ثمن بنير ضبط، وهى بلدة صغيرة بين دمشق وصور، وتقع في جبال بني طامر المطل على بلد بانياس .
- (٥) ياقوت : معجم البلدان ، ج ١ ، ص ٨٢٤ ، وراجع أيضاً (Blochet : Op. cit. p. 177. N. 1).
- (٦ و ٧) بنير ضبط في س في الموضعين، ومرغد بلد ملاصق لبلاد حوران من أعمال دمشق . وصيدا، مدينة على ساحل الشام من أعمال دمشق أيضاً . (ياقوت : معجم البلدان ، ج ٣ ، ص ٣٨٠ ، ٤٣٩) .
- (٧) بنير ضبط في س، وهى من أعمال دمشق، على بعد أربعة فراسخ من بيروت . (ياقوت : معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ٢٣) .
- (٨) يقصد المؤلف (Conrad, Marquis de Montferrat) الذى وصل الشام من أوروبا قبل سقوط عكا بثلاثة أيام. (Stevenson : Crusaders In The East, p. 251) (٩) توجد في (Blochet : Op. cit. p. 179. N. 1) تفاصيل مهمة عن أخيه السلطان ذلك الحصن، منها أن ملك بيت المقدس ورئيس الداوية نصحا لأهل البلد من الفرنج بالتسليم سريعاً، فلم يقتصروا حتى وقع الجدل في القتال .

تسلم [السلطان] البلد في سلخه، ونخرج منه الفريخ إلى بيت المقدس، بعد أن ملكوه نحساً وثلاثين سنة. وتسلم [السلطان] حصون الداوية: وهي غزة والتطرون^(١) وبيت جبريل^(٢). وقدم عليه بظاهر عسقلان ابنه العزيز عثمان من مصر، و[واقته^(٣)] الأساطيل [و] عليها الحاجب لؤلؤ. وكانت الشمس قد كُففت، قبل أخذ عسقلان بيوم، حتى أظلم الجو وظهرت الكواكب، في يوم الجمعة ثامن عشره.

وسار السلطان—وقد اجتمعت إليه العساكر—يريد فتح بيت المقدس، فأنزله يوم الأحد خامس عشر رجب، وبه حشود الفريخ وجميعهم. فنصب المجانيق، وأقتل الفريقان أشد قتال، استشهد فيه جماعة من المسلمين. وأيد الله بنصره المسلمين، حتى تمكنوا من السور وبقبوه، وأشرقوا على أخذ البلد. فسأل الفريخ حينئذ الأمان، فأعطوه بعد امتناع كثير من السلطان، على أن يعطى كل رجل من الفريخ عن نفسه عشرة دنانير مصرية، سواء كان غنياً أو فقيراً، وعن المرأة خمسة دنانير، وعن كل طفل من الذكور والإناث دينارين. ثم صولح عن الثغراء ثلاثين ألف دينار. وتسلم المسلمون القدس، يوم الجمعة سابع عشر رجب، وأخرج من فيه من الفريخ، وكانوا نحو الستين ألفاً، بعد ما أسر [منهم] نحو ستة عشر ألفاً، ما بين رجل وامرأة وصبي، وهم من لا يقدر على شراء نفسه. وقبض [السلطان] من مال المفاداة ثلاثمائة ألف دينار مصرية، سوى ما أخذه الأحرار، وما حصلت فيه الخيانة.

(١) بنر ضبط في س، وهو حسن كان للداوية قرب الزمكة بجنوب فلسطين، واسمه أيضاً الأطرون. (ياقوت: معجم البلدان، ج ١، ص ٣١٠)، وانظر أيضاً (Rec. Hist. Or. I, pp. 37, 697). (٢) بنر ضبط في س، وهو بليد بين بيت المقدس وغزة، ويسمى أيضاً بيت جبرين. (ياقوت: معجم البلدان، ج ١، ص ٧٧٦). (٣) أضيف ما بين القوسين للتوضيح، وبعد مراجعة أبي شامة (كتاب الروضتين، ص ٣١٦، في (Rec. Hist. Or. IV. (٤) في س "حاجبهم".

(٥) في س الف. (٦) توجد في (Blochet: Op. cit. p. 179. Ns. 1, 2) نسخة طويلة عن أخذ صلاح الدين لبيت المقدس، وهي من كتاب سير الأباب البطارقة، وبها تفصيلات أخرى نادرة. (٧) بقالة هذه الطور في ب (ص ٣٢) البشارة الآتية: "Les Mahometans prennent Jerusalem sur les frances". ويرجع في نسخة كثير من أمثال هذه الحاشية بالفرنسية، ولا سيما بقالة أسماء كبار الصليبيين، وربما كتبها المستشرق (Quatrenière) أو (Blochet) بعده، حين ترجم كل منهما جزءاً من السلوك إلى الفرنسية.

- والتحق من كان بالقدس من الفرنج بصور، وتسامع المسلمون بفتح بيت المقدس، فأتوه رجالا وركبانا من كل جهة لزيارته، حتى (١٢٧) كان من الجمع ما لا يحصى. فأقيمت فيه الجمعة يوم الرابع من شعبان، وخطب القاضي محي الدين بن الزكي بالسواد خطبة بليغة، دعا فيها الخليفة الناصر والسلطان صلاح الدين؛ وانتصب بعد الصلاة زين الدين بن نجما، فوعظ الناس. وأمر السلطان بترقيم المحراب العمري القديم؛ وحمل منبر ملج من حلب، ونصب بالمسجد الأقصى، وأزيل ما هناك من آثار النصرانية؛ وغسلت الصخرة بعدة أحمال ماء ورد، وبخرت وفرش؛ ورتب في المسجد من يقوم بوظائفه، وجعلت به مدرسة للفقه الشافعية. وغُلت كنيسة قسامة، ثم قُطعت، وقُرِ على من يرد إليها من الفرنج قطيعة يؤديها. ونجحت البشارة إلى الخليفة بالفتح، وإلى سائر الأطراف. ورحل السلطان عن القدس لخمس بقين من شعبان يريد عكا؛ وسار العزيز عثمان إلى مصر فكان آخر العهد به.
- وسار العادل مع السلطان، فترلا على عكا أول شهر رمضان؛ ثم رحل [السلطان] منها؛ ونزل على صور في تاسعه، وكانت حصينة، وقد استعد الفرنج فيها، فتلاحقت المساكر بالسلطان، ونصب على صور عدة من المجانيق وحاصرها. واستدعى [السلطان] الأسطول من مصر، فقدم عليه عشر شواني، وصار القتال في البر والبحر، فأخذ الفرنج خمس شواني.
- ووردت مكتبة الخليفة على السلطان، وفيها غلظة وإنكار أمور، فأجاب بالاعتذار، ورحل.
- عن صور في آخر شوال. وعادت المساكر إلى بلادها، وأقام السلطان بعكا، وسار العادل

(١) لما أمر صلاح الدين بعمل منبر المسجد الأقصى، قيل له: "إن نور الدين محمود كان قد عمل بحلب منبرا، أمر الصناع بالمبالغة في تحسبه وإتقانه، وقال هذا قد عملناه لينصب بالبيت المقدس، فعده التجارون في عدة سنين، لم يعمل في الإسلام منه، فأمر [صلاح الدين] بإحضاره، فحمل من حلب ونصب بالقدس". (ابن الأثير: الكامل في التاريخ ج ١١، ص ٣٦٥).

(٢) في ص "وإزال".

(٣) أطلق المسلمون هذا الاسم على كنيسة القيامة ببيت المقدس منذ عصر صدر الإسلام (Le Strange)

. Palestine Under Moslems, p. 202.)

إلى مصر ، فطرق الفريخ قلعة كوكب ، وقتلوا بها جماعة من المسلمين ، ونهبوا ما كان بها .
وأنته على عكا رسل الملوك بالتهتة من الروم والعراق وخراسان بفتح بيت المقدس .

- وفي هذه السنة ، أعنى سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة ، اجتمع الشمس والقمر والريخ
والزهرة وعطارد والمشتري وزحل و [أظفار ^(١)] الذئب ، في برج الميزان ، أربع عشرة ساعة ،
فاجتمع المتجمون كلهم ، وحكوا يكون طوفان الريخ ، وأنه كائن وواقع ولا بد ، فتنقلب
الأرض من أولها إلى آخرها ، وأنه لا يبقى من الحيوان شيء إلا مات ، ولا شجرة ولا جدار
إلا سقط . وكان معظم هذه الحكومة عن بلاد الروم ^(٢) . وأرجفوا بأنها هي القيامة ، فاختدقوا
الكهوف والمغائر في الجبال ، وبالقوا في الاعتداد لمول ذلك اليوم . وقال القوم : " كتب
القدماء كلها أحالت على هذا الاجتماع ، وإن فيه دمار الدنيا " . وكان ذلك في مسرى ،
وفي جمادى الآخرة للسابع والعشرين منه ، [وهو] يوم الثلاثاء مع ليلة الأربعاء إلى يوم
الأربعاء . فلم تهب ريخ ، ولا تحرك نيل مصر ، وهو في زيادته في مسرى ، ومن العادة أن
تهب الريخ من العصر إلى العشاء في وجه الماء ، ليقف بإذن الله ، فتكون فيه الأمواج .
فلم يحدث تلك الليلة ، ولا ثاني يوم ولا قبلها يوم ، شيء من ذلك . وطلع الناس بالسروج
الموقدة على السطوح لاختبار الهواء ، فلم تحرك نار ألبنة . وكان أشد الناس إرجافا بهذه
الكواكب الروم ، فأكذبهم الله ، وسلط عليهم السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف ،

(١) بسد فتح بيت المقدس ، أرسل صلاح الدين إلى إمبراطور الدولة البيزنطية إسحاق الثاني بيتا ، ليعبره بما تم
على يديه من الفتح ، وليسلم إليه مائة وتسعين رجلا من رعايا الدولة البيزنطية ، كانوا قد وقفوا في يده أثناء حربه ضد
الصلبيين . ونتج عن هذا البعث أن عقد الإمبراطور والسلطان حقا سنة ٥٨٥ هـ - (١١٨٩ م) ، كانت من آثاره
عداء عواهل غرب أوروبا للدولة البيزنطية . (Blochet : Op. cit. p. 183. N. 1) . وراجع أيضا
(Camb. Med. Hist. IV. pp. 483, 603) . (٢) هنا مثل جديد من أمثلة الخلاف بين السخنين
س ، ب إذا اكتفى كاتب النسخة الثانية (٣٢ ب) بقوله " وفيها " بدل هذه العبارة كلها . (٣) في س الذئب ،
وأظفار الذئب كواكب صناديق القدمين ، وما كوكبان أيضا ، بين الرواة والفرقة . (محيط المحيط) .

(٤) هذه العبارة مترجمة في (Blochet : Op. cit. p. 184) إلى : " ce fut surtout de Roum : " .

.. (ar-Roum) qui fut maltraité par ce phénomène surnaturel . "

فأخذ بكارهم وكسهم ، وملأ الأرض من الأسرى شرقاً وغرباً ، وأخذ القدس . وأصاب جماعة ممن كان يُرجف بهذه الرياح آفات ، ما بين موت بعضهم واعتلال بعضهم .

وفيها خرج في سادس عشر جمادى الآخرة قفل شامى إلى مصر ، وهو أول قفل سلك بلاد الساحل ، بلا حق يدفعه ولا مكس يؤديه . وفيها سار قراقوش التقوى ، واستولى على القيروان ، وحاربه ابن عبد المؤمن سلطان المغرب على ظاهر تونس فانكسر منه ، وأقيمت الخطبة في ربيع الأول بتلك البلاد للسلطان صلاح الدين . بجمع ابن عبد المؤمن ، وواقع قراقوش وهزمه ، ففر قراقوش في البرية .

وفيها أمر [السلطان] بأن تبطل النقود التي وقع الاختلاف فيها وتضرب العامة بها ، وأن يكون ما يضرب من الدنانير ذهباً مصرياً ، ومن الدراهم الفضة الخالصة ، وأبطل الدراهم السود لاستئصال الناس الميزان ، فسر الناس ذلك .



(٢٧ ب) سنة أربع وثمانين [وخمسمائة] . فيها نازل السلطان حصن كوكب أياماً ، ولم ينل منها شيئاً ، فأقام الأمير صارم الدين قايماز النجمي في خمسمائة فارس عليها ، ووكل بصغد الأمير طغرل الخسازندار في خمسمائة فارس ، وبعث إلى الكرك والشوبك الأمير سعد الدين كشيبة الأسدى . واستدعى الأمير بهاء الدين قراقوش الأسدى من مصر ، فاستخلف على عمارة سور القاهرة ، وقدم والسلطان على كوكب ، فندبه لهارة عكا ، فشرع في تجديد سورها وتعليق أبراجها ، بمن قدم به معه من مصر من الأسرى والأبقار والآلات والنواب .

وسار السلطان يريد دمشق ، فدخلها سادس ربيع الأول ، وقد غاب عنها سنة وشهرين وخمسة أيام ، كسر فيها الفرنج ، وفتح بيت المقدس . فلأزم الجلوس في دار

(١) الدراهم الفضة هي الفترة (انظر ص ٤٥ ، حاشية ١) . أما الدراهم السوداء فأسماء غير مسيات ، كدنانير الأسطول والدينار الجبشى (انظر ص ٤٥ حاشية ٣) . وكل درهم منها معبر في العرف بثلاث دراهم قرعة (القفقشتى : صبح الأعشى ، ج ٣ ص ٤٤٣) . (٢) في س بالميزان بكسر الهمزة . (٣) في س كشبا . انظر ص ٨٠ ، حاشية ٦ .

العدل بحضرة القضاة ، وكتب إلى الجهات باستدعاء الأجناد للجهاد . ونخرج بعد خمسة أيام على بعلبك ، فوافاه عماد الدين زنكي بن موهود صاحب سنجار على أعمال حصص ، فقتلوا على بحيرة قدس^(١) . وبعث [السلطان] ابنه الظاهر وابن أخيه المظفر صاحب حماة لحفظ طريق أنطاكية ، وسار أول ربيع الآخر وشن الفارات على صافيتا وتلك الحصون [المجاورة] . وسار في ربيع جمادى الأولى على تعبئة لقاء العدو ، فأخذ أنطرسوس^(٢) ، واستولى على ما بها من الخافض ، ونزح سورها وبيعتها ، وكانت من أعظم البيع ، ووضع النار في البلد فأحرق جميعه . وسار يريد جبلة^(٣) ، فأنزلها لاثني عشرة بقيت منه ، وأسلمها بغير حرب . ثم أخذ اللاذقية بعد قتال ، وغنم الناس منها غنيمة عظيمة . وسار إلى صهيون^(٤) ، فقاتل أهلها إلى أن ملكها ، في ثاني جمادى الآخرة . واستولى على [قلعي] الشفر وكناس وعدة حصون ، وأسر من فيها ، وغنم شيئا كثيرا . فلما فتح بقراس ، بعث الإبريس ملك أنطاكية يسأل الصلح ، فأجيب إلى ذلك ، على شريطة أن يطلق من عنده من الأسارى المسلمين ، وهم ألف إنسان . وعاد صاحب سنجار إلى بلده ، وسار السلطان إلى حلب ، فأقام بها ثم سار

- (١) ورد هذا الاسم في (Blochet : Op. cit. p. 187. N. 1) بهذا الضبط ، ولكن ياقوت في (معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ٥١٦) ضبطه بفتح اللام والهمزة ، ومن هذه البحيرة يخرج نهر الصامى .
 (٢) لم يرد ذكر هذا البلد في معجم البلدان لياقوت ، وهو قرب بلدة عرفة (بكرالدين) آخر عمل دمشق . شرق طرابلس . انظر (G.-Demombynes: Op. cit. p. 117. N. 2) (٣) كذا في س بغير ضبط ، وهي صحبة لفة ، على أن تسمية أكثر شيوعا . (يحيط المحيط) . (٤) بغير ضبط في س ، وهي آثار أعمال دمشق من البلاد الشامية الساحلية . (ياقوت : معجم البلدان ، ج ١ ، ص ٣٨٨) . (٥) بغير ضبط في س ، وهي قلعة بساحل الشام ، من أعمال حلب قرب اللاذقية . (ياقوت : معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ٢٥) .
 (٦) بغير ضبط في س ، وهي حصن من أعمال حصص ، قرب ساحل البحر . (ياقوت : معجم البلدان ، ج ٣ ، ص ٤٣٨) . (٧) بغير ضبط في س ، وهما قلعتان حصينتان قرب أنطاكية ، على رأس جبلين بينهما واد كالخندق . (ياقوت : معجم البلدان ، ج ١ ، ص ٨٠٤ ج ٣ ، ص ٣٠٣) . (٨) بغير ضبط في س ، وهي مدينة في لحف جبل الحكام ، بينها وبين أنطاكية أربعة فراسخ . (ياقوت : معجم البلدان ، ج ١ ، ص ٦٩٣ - ٦٩٤) . (٩) كانت أمير أنطاكية في ذلك الوقت (Roémond III) (Rec. Hist. Or. III. Index) .

- عنها ، ودخل إلى دمشق في آخر شعبان . وما زال كمشبه محاصرا للكرك حتى تسلم قلعتها ، ومعها الثوبك والسُّلج ، وعدة حصون هناك ، في رمضان . فلما وردت البشري بذلك على السلطان سار من دمشق ، وتنازل صفد حتى ملك قلعتها [بالأمان ، في ربيع^(٣) عشر شوال ، ولحق من كان فيها من الفرنج [بصور . ثم سار إلى كوكب] وضايقها حتى تسلمها ، في نصف ذي القعدة (١٢٨) بأمان ، وأرسل أهلها إلى صور . فكثرت بها جموع الفرنج ، وكتبوا لإفرنج صقلية والأندلس ، وكتب السلطان إلى الخليفة الناصر بنبرهذه الفتح ، ورحل فزل في صحراء يسان .

- وفيها ثار بالقاهرة اثنا عشر رجلا من الشيعة في الليل ، وتنادوا : " يا لعل ! يا لعل ! " وسلكوا الدروب وهم ينادون كذلك ، طنا منهم أن رعية البلد يلبون دعوتهم ، ويقومون في إعادة الدولة الفاطمية ، فيخرجون من في الحبوس ، ويملكون البلد . فلما لم يجهم أحد تفرقوا .

وسار السلطان إلى القدس ، فخل به في ثامن ذي الحجة ، وسار بعد البحر إلى عسقلان ؛ وجهز أخاه العادل إلى مصر لمعاوضة الملك العزيز ، وعوضه بالكرك عن عسقلان ، وكان قد وهبها له . ثم نزل بمكا .

♦ ♦ ♦

- [سنة خمس وثمانين ومجسمائة] . ودخلت سنة خمس وثمانين ، فسار السلطان عن عكا ، ودخل دمشق أول صفر ، فورد عليه في ثاني عشره ضياء الدين عبد الوهاب ابن سكيته ، رسول الخليفة الناصر ، بالخطبة لأبيه ولي العهد ، عدة الدنيا والدين أبي نصر محمد ، فأقيم له . وجهز الرسول ، ومعه ضياء الدين القاسم بن يحيى الشهرزوري ، وبث معه بهدايا وتحف وأسارى من الفرنج الخليفة ، ومعه تاج ملك الفرنج والصليب الذي كان

(١) في سكتيا . (٢) بنر ضبط في س ، وهو حسن بواي موسى عليه السلام ، بقرب بيت المقدس .
(٣) باقوت : معجم البلدان ، ج ٣ ، ص ١١٧ . (٤ و ٥) ما بين الأنفوس موجود في ب (٣٣) ،
ولكنه في س محبوب بركة لمصوفة فوته .

فوق حفرة بيت المقدس ، وأشياء كثيرة . فدفن الصليب تحت عتبة باب الثوري [بغداد] ^(١) ،
وديس عليه ، وكان من نحاس مطلي بالذهب .

ونخرج السلطان من دمشق في ثالث ربيع الأول ، ونازل شقيف أرنون وهو مترج ،
لاقتضاء المدينة مع صاحب أنطاكية ، واجتماع الفرينج بصور ، واتصال الأمداد بهم .
فكانت للمسلمين مع الفرينج في بلادهم الساحلية عدة وقائع ، قتل فيها من الفريقين عدة ؛ وكثر
القتل في المسلمين ، واشتدت نكاية الفرينج فيهم . فرحل السلطان إلى عكا ، وقد سبقه
الفرينج وزلوا عليها . ونزل السلطان بمرج عكا ، وصار محاصرا للفرينج ، والفرينج محاصرين للبلد .
وتلاحقت به المساكر الإسلامية ، والأمداد تصل إلى الفرينج من البحر . فلم يقدر السلطان
على الوصول إلى البلد ، ولا استطاع أهل عكا أن يصلوا إلى السلطان . وشرع [السلطان]

في قتال الفرينج من أول شعبان ، إلى أن تمكن من عكا ، ودخلها في ثانيه ، فإزالت الحرب
قائمة إلى رابع رمضان . فتحول إلى الخروبة ^(٢) ، وأغلق من في عكا من المسلمين أبوابها ، وحفر
الفرينج خندقا على معسكرهم حول عكا من البحر إلى البحر ، وأداروا حولهم سورا مستورا بالسنائر ^(٣) ،
ورتبوا عليه الرجال ؛ فامتنع وصول المسلمين إلى عكا . وقدم العادل بمسكر مصر
في نصف شوال ؛ وقدم الأسطول من مصر إلى عكا في خمسين قطعة ، وعليه الحاجب لؤلؤ
في منتصف ذي القعدة ، فبدد شمل مراكب الفرينج ، وظفر بيطستين للفرينج . فاستظهر المسلمون
الذين بعكا ، وقوى جأشهم بالأسطول ، وكانوا نحو العشرة آلاف . وبعث السلطان إلى الأطراف
يحث الناس على الجهاد ، وأرسل إلى أخيه سيف الإسلام طفتكين باليمن ^(٤) ، يطلب منه الإعانة

(١) انظر (Blochet : Opusc. P 192.N. 2) . حيث يذكر أن الملوك والقضاة كانوا يخلون الأرض

قرب ذلك الموضع ، قبل دخول بغداد ، إجلالا لخلافة .

(٢) بنبرسط في ص ٤ ، وهي حصن بساحل الشام مشرف على عكا . (ياقوت : معجم البلدان ، ج ٢ ،

ص ٤٢٨) . (٣) جمع سنطرة ، وهي حائط خارجي مبني من الخشب أو غيره يمتد وراه المدافعون من

حصن أو سور . ويستخدم المهاجمون السنائر أيضا لإلقاء الرماح من قذائف المدفأة (Dozy : Suppl. Dict. Ar.) ،

ويقابل هذا اللفظ في الإنجليزية (Curtain) ، وفي الفرنسية (Courtine) . (٤) في ص طينكن .

بالمال، وإلى مظفر الدين قر أرسلان صاحب العجم، وكتب إلى الخليفة، ووصلت الأمداد إلى الفرنج، وورد الخبر من حلب بنجروج ملك الألمان من القسطنطينية، في عدة عظيمة تتجاوز الألف ألف، يريدون البلاد الإسلامية، فاشتد الأمر على السلطان ومن معه من المسلمين .

- وتوفي في هذه السنة حسام الدين سقر الخلاطى ليلة الاثنين سابع عشر رجب، والأمير حسام الدين طمان يوم الأربعاء ثالث عشر شعبان، والأمير عز الدين موسك بن جكوف^(١) في شعبان، وهو ابن خال السلطان صلاح الدين . ومات شرف الدين أبو سعد عبد الله بن أبي عسرون بدمشق، يوم الثلاثاء حادى عشر رمضان، ومولده أول سنة اثنتين وتسعين وأربعمائة . ومات ضياء الدين عيسى الحكارى، يوم الثلاثاء تاسع ذى القعدة بمقتلة الخروبة .



- ١٠ [سنة ست وثمانين وخمسمائة] • ودخلت سنة ست وثمانين، والسلطان بالخروبة على حصار الفرنج، وقدمت عساكر المسلمين من الشرق ومن بقية البلاد، فرحل من الخروبة لاثنتي عشرة بقية من ربيع الأول إلى تل كيسان^(٢)، وتنازع جمعى العساكر . وكنت أبراج الفرنج الثلاثة، التي بنوها تجاه عكا في مدة سبعة أشهر، حتى علت على البلد، وامتلأت بالعدد والعدة، وطعموا كثيرا من الخندق، وضايقوا البلد . واشتد خوف المسلمين، واشتدت الحرب بين

(١) يذكر (Blochet: Op. cit. p. 196. No. 1.) أن ملك العجم هذا هو نزل أرسلان بن صاحب آذربيجان (انظر ص ٤٠ حاشية ٢) . (٢) يقصد المؤلف (Frédéric Barberousse) إمبراطور الدولة الفرية، ولكنه أخبار طويلة كما سيأتى هنا، أمرا أن فردريك سقط عن فرسه وهو يجر نهر طرسوس (طشاي الحال) بآسيا الصغرى، وفرق ولم يصل إلى جيشه إلى عكا سوى شرذمة قليلة بقيادة ابنه (Frédéric, duc de Souabe) . انظر (Stevenson, Crusaders In The East, pp. 264-265 ; Rec. Hist. Or. IV, p. 452. N. 1.) (٣) في س الخلاطى، وبشير ضبط . انظر (Blochet: Op. cit. p. 197) . (٤) بشير ضبط في س (نفس المربع والصفحة) . (٥) كذا في س (انظر نفس المربع والصفحة) . هذا والأمير عز الدين موسك هو الذى أنشأ قلعة المرسى على الخليج الكبير بالقاهرة . القزويني : المواعظ والاعتبار، ج ٢، ص ١٤٧ . (٦) يوجد في نفس المربع والصفحة (N. 4) تفصيلات من حصار عكا من كتاب سير الآباء البطاركة . (٧) موضع في مرجع عكا من سواحل الشام . (ياقوت : معجم البلدان، ج ١، ص ٨٦٩) .

(١) في س مجموعها . (٢) انظر ص ١٠٣ حاشية ٢ . (٣) ما بين القوسين محبوب بورقة ملصقة فوقه في س ، ولكنه موجود في ب (٣٤ ب) .
(٤) ينبر ضبط في س ، وهي مدينة على ساحل الشام بين قيسية وباجا . (باقتوت : معجم البلدان ، ج ١ ، ص ٢٠٧) .
(٥) ما بين القوسين محبوب بورقة ملصقة فوقه في س ، ولكنه موجود في ب (٣٤ ب) .
(٦) فقط ترك معناه الخفية ، جمعه وطلاقات . (محيط المحيط) .
(٧) الغالب أن هذا التقلب نتيجة الخلاف بين السلطان والإميراطور . انظر ص ٩٨ ، حاشية ١ .

(١) في س مجموعها . (٢) انظر ص ١٠٣ حاشية ٢ . (٣) ما بين القوسين محبوب بورقة ملصقة فوقه في س ، ولكنه موجود في ب (٣٤ ب) .
(٤) ينبر ضبط في س ، وهي مدينة على ساحل الشام بين قيسية وباجا . (باقتوت : معجم البلدان ، ج ١ ، ص ٢٠٧) .
(٥) ما بين القوسين محبوب بورقة ملصقة فوقه في س ، ولكنه موجود في ب (٣٤ ب) .
(٦) فقط ترك معناه الخفية ، جمعه ومطافات . (محيط المحيط) .
(٧) الغالب أن هذا التقلب نتيجة الخلاف بين السلطان والإميراطور . انظر ص ٩٨ ، حاشية ١ .

فلم يل منهم كبير غرض . ودخل الشتاء وقد طالّت مدة السيِّكار^(١)، ونجرت المساكن من كثرة القتال، فرحل صاحب سنجار وصاحب الجزيرة وصاحب الموصل .
وفيهما تولى سيف الدولة أبوالميمون مبارك بن كامل بن متقذ شد الدواوين بديار مصر، وباشر الأسعد بن مئاق معه الديوان في محرم .

♦ ♦ ♦

- [سنة سبع وثمانين وخمسمائة] . ودخلت سنة سبع وثمانين، فسار الظاهر صاحب حلب [إليها] ، وسار المظفر إلى حماة . وبقي السلطان في جمع قليل ، والحرب بين أهل عكا وأميرهم بهاء الدين قراقوش وبين الفرنج . ودخل فصل الربيع ، فوافت الساكّر السلطان ، ووصل إلى الفرنج مددهم ، فضايقوا عكا وجنّوا في حصارها، ونصبوا عليها المجانيق . وتوالت الحروب إلى أن ملكها الفرنج ، يوم الجمعة سابع عشر جمادى الآخرة ، وأسروا من فيها من المسلمين وكانوا ألقا . وخرجوا يريدون الحرب ، فواقهم السلطان وكسره ، ووقع كلامه في الصلح وإطلاق الأسرى ولم يتم . فلما كان في سابع عشرى رجب، برز الفرنج بجياعهم، واحضروا أسارى المسلمين، وحلوا عليهم حملة واحدة قتلوا [فيها] بأجمعهم في سبيل الله صبرا، والبزك الإسلامي ينظر إليهم . فحمل المسلمون عليهم . وجرت بينهما حرب شديدة، قُتل فيها عدّة من الفريقين .
- ١٥ ولما أهل شعبان سار الفرنج إلى عسقلان، ورحل السلطان في أثرهم، وواقهم في رابع عشره بأرسوف . فانهزم المسلمون، وثبت السلطان إلى أن اجتمع عليه المسلمون، وعاد إلى

(١) فقط قارى مناه الحرب عامة (Dozy: Supp. Dict. Ar. & Blochet: Op. cit. p. 201, N.4) .
وفي (Quatremère: Maml. I. 2. p. 18, N. 19) أمثلة عديدة لأوجه استعمال هذا اللفظ منها "وصل الأمراء من التجاريد واليا كبر . (٢) أقرب مرادف لهذا اللفظ كلمة تفتيش ، ويسمى تولى هذه الوظيفة النشاذ ، مصافا إليها جهة الاختصاص ، مثل شاذ الخواري وشاذ دار الطينق والفاكهة وشاذ مراكة البرد وشاذ الزكاة . انظر (G. Demombynes: Op. cit. Index III) . وكان عمل شاذ الخواريين بمصر — أيام الأيوبيين والمماليك — معاونة الوزير في مراقبة الحسابات ومراجعتها .

(٣) فقط قارى مناه اللطام . (Dozy: Supp. Dict. Ar.) . وفي (Quatremère: Maml. I. 1. p. 225, N. 101) أمثلة كثيرة لوجه استعمال هذا اللفظ ، منها "كان يزك وطلايه لا تنقطع عن الفرنج" .

القتال، حتى التجأ الفرنج إلى جدران أرسوف . ورحل السلطان في تاسع عشره، ونزل على عسقلان [يريد تخريبها، لعجزه^(١) عن حفظها، ففرق أبراجها على الأمراء، ووقع [الضجيج والبكاء في الناس] أسفا (٢٩ ب) وغما لخربائها، وكانت من أحسن البلاد بناء، وأحكمها أسوارا، وأطيبها سكا، فلم يزل التخريب والحريق فيها إلى سلع شعبان .

قال الحافظ عبد العظيم المنذرى في المعجم المترجم : «سمعت الأمير الأجل أياز بن عبد الله - يعني أبا المنصور البانياسي الناصري - يقول : لما هدمنا عسقلان^(٢) أعطيت أنا برج الداوية، وهدم خطنج^(٣) برجا وجدنا عليه مكتوبا «عمر على يدى خطنج» ، وهذا من عجيب الاتفاق . وشبهه بذلك ما أخبرني [به] القاضي الأجل أبو الحسن علي بن يحيى الكاتب قال : رأيت بعسقلان برج الدم، وخطنج المعزى يهدمه - يعني في شعبان . ورأيت عليه مكتوبا : مما أمر بهارته السيد الأجل أمير الجيوش - يعني بدرا [الجمالى] - على يد عبده ووليه خطنج في شعبان . فجمبت من هذا الاتفاق . كيف عمر في شعبان على يد خطنج ، وهدم في شعبان على يد خطنج ؟ » .

ثم رحل السلطان عن [عسقلان]، وقد نعت في ثاني رمضان ، ونزل على الرملة فخرّب حصنها ، و [هدم] كنيسة^(٤) له ، وركب إلى القدس جريدة^(٥) ، ثم عاد وهدم حصن التطرون .

(١) و (٢) ما بين الأقواس محبوب تحت ورقة ملصقة فوقه في س، وهو موجود كله في ب (١٣٥) .
(٣) راجع ملاحظات (Blochet : Op. cit. P. 204. N. 1) عن هذا الكتاب، حيث يقول إنه مارة عن معجم لتراجم الرجال، وليس معجما لغويا كما ظن حاجي خليفة في كتابه كشف القنون. ولد المنذرى سنة ٥٨١ هـ بمصر، ودرس الحديث والفقهاء والأدب، وتخرج فيها حتى أصبح شيخ المدرسة الكلاسيكية التي أسسها الملك الكامل بن العادل بالقااهرة، وكان من تلاميذه ابن خلكان صاحب وفيات الأعيان، وتوفى سنة ٦٥٦ هـ . (٤) في س بيروت . (انظر قس المرجع والصيغة (N. 3) . (٥) ضبط هذا الاسم على منطوق سمي له في (Rec. Hist. Or. III, IV, Indices, (٦) في س ضبا . (٧) بغير ضبط في س . وهي قرية صغيرة قرب بيت المقدس .

(ياقوت : معجم البلدان، ج ٤، ص ٣٥٤) . انظر أيضا (Blochet : Op. cit. P. 205. N. 2) .
(٨) الجريدة الفرقة من المسكر الخيالة لا رجالة فيها (محيط المحيط)، على أن المقصود من هذه العبارة هي - وهي متداولة في كتب المؤرخين - سير السلطان على وجه السرعة، دون أدب يأخذ معه أفعالا أو حشدا . وفي (Dozy : Suppl. Dict. Ar.) أمثلة عديدة توضح هذا المعنى، منها «بجرد الفرنجي عسكره من أفعالهم وسار جريدة» .

• وكانت بين المسلمين والفرنج عدة وقائع في البر والبحر ، فعاد السلطان إلى القدس في آخر ذى القعدة . وقدم أبو الهيجاء السمين بحسك مصر ، ووقع الاهتمام في عمارة سور بيت المقدس وحفر الخندق .

وفيها مات علم الدين سليمان بن جندر في آخر ذى الحجة . ومات الملك المظفر تقي الدين عمر ابن نور الدولة شاهنشاه بن أيوب بن شاذي صاحب حماة ، وهو الذي أوقف منازل المغر بمصر • مدرسة ، في ليلة الجمعة تاسع رمضان ، ودفن بجدة • ومات نجم الدين محمد بن الموفق بن سعيد ابن علي بن حسن بن عبد الله الخبوشاني الفقيه الشافعي الصوفي ، يوم الأربعاء ثاني عشر ذى القعدة ، ودفن بالقرافة .

وفيها سلم أمر الأسطول بمصر للملك العادل ، فاستخدم فيه من قبله ؛ وأفرد برسمه الزكاة بمصر والحلب الجيوشي بالبرين والنطرون والخراج وما معه من ثمن القروط وساحل السنت والمراكب الديوانية وإشيين وطنبنة^(١) . فاستتاب العادل في مباشرة ذلك ، واستخدم في ديوان

(١) نسبة إلى خيبرشان ، قصة كورة استوا قرب نيسابور . (ياقوت : معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ٤٠٠) .

(٢) العبارة الآتية منقولة عن المقرئ (المراعي والاعتبار ، ج ٢ ، ص ١٩٤) لتوضيح المقصود بالبرين ، وضبط معرفة ما عين له ديوان الأسطول تلك الأيام ، وهي : "وعين [صلاح الدين] لهذا الديوان القيام بأعمالها ، والحلب الجيوشي في البرين الشرق والغربي ، وهو من البر الشرق بهتين والأميرية والمنية ، ومن البر الغربي ناحية سفط ونها ووسم والبساتين خارج القاهرة . وعين له أيضا الخراج ، وهو أشجار من سبط لا تحصى كثرة في الهندساية وسفط ريشين والأشوين والأسوطية والأنحية والقوصية ، لم تزل هذه النواحي لا يقطع منها إلا ما تدعو الحاجة إليه ، وكان فيها ما تبلغ قيمة العود الواحد مائة دينار ... وعين له أيضا النطرون ، وكان قد بلغ ضماؤه ثمانية آلاف دينار . ثم أفرد له ديوان الأسطول مع ما ذكر الزكاة التي كانت تجبي بمصر ، وبلغت في سنة زيادة على تحسين ألف دينار . وأفرد له المراكب الديوانية وناحية اشناي وطنبدى . وسلم هذا الديوان لأخيه الملك العادل أبي بكر محمد بن أيوب ، فأقام في مباشرة وعمله حتى الدين حده بن علي بن شكر" انظر الحاشية التالية ، و : (P. Omar Tousoun , 1, 2) تحقيق مواضع البلاد المذكورة . أما المراكب الديوانية فهي التي تحمل القلات السلطانية .

(المقرئ : المراعي والاعتبار ، ج ١ ، ص ٤٨٢) .

(٣) في من اشئ وطنبدى ، بخر ضبط . واشئ هو ما تنطق به العامة ، وهي "قربة بالصعيد إلى جنب طنبدى على غربي النيل ، وتسمى هذه وطنبدى البروسين لحسبها ونصيحها ، وهما من كورة الهند" . (ياقوت : معجم البلدان ، ج ١ ، ص ٤٢٨٥ ج ٢ ، ص ٥٥٠) .

- الأسطول صفى الدين عبد الله بن [عل بن] شكر . وأحيل الوردنة الجبوشية على غير الحبس الذى لهم .

وعظمت زيادة النيل وعرّق النواحى، وكثرت رضاء الأسعار بمصر، فأبيع القمح كل مائة أردب بثلاثين دينارا، والخبز البانت ستة أرتال بربع درهم، والرطب الأمهات ستة أرتال بدرهم، والموز ستة أرتال بدرهم، والزمان الجيد مائة حبة بدرهم، وحمل الخيار بدرهمين، والين ثمانية أرتال بدرهم، والعنب ستة أرتال بدرهم— فى شهر باه بعد انقضاء موسم المعهود بشهرين، والياسمين خمسة أرتال بدرهم، وثمر الحناء عشرة أرتال بدرهم، والبشر الجيد عشرة أرتال بدرهم، ومادونه خمسة عشر رطلا بدرهم . وكثر بمصر والقاهرة التجار بمعاصى الله . وظفر الأسطول بمركب فيه اثنتان وعشرون ألف جينة^(١)، كل جينة قدر الرى لا يقلها الزاجل^(٢) . وحصلت بمصر زلزلة، وهبت سموم حارة (١٢٠) فيها إعصار ثلاثة أيام، أغلقت الخضروات التى فضلت من الفرق . وانشقت زريبة جامع المقس لقوة الزيادة، وخيف على الجامع أن يسقط، فأمر بمارتها .

♦ ♦ ♦

[سنة ثمان وثمانين وخمسمائة] . وأهلت سنة ثمان وثمانين، والسلطان بالقدس مجتهد فى عمارته . وفى ثالث المحرم نزل الفرج على ظاهر عسقلان، لقصد عمارتها فبا مكثوا، وواقعهم جماعة من الأسدية منهم يازكج^(٣) وغيره، وتوالت الوقائع بينهم . وفى صفر سار الملك الأفضل نور الدين على بن السلطان إلى البلاد الشرقية، على ما كان بيد الملك المظفر تقي الدين عمر [من البلاد^(٤) التى هى] قاطع الفرات، وأطلق له السلطان عشرين ألف دينار سوى الخلع

(١) فى س "ب" حبة كل جينة قدر الرى .

(٢) بعض حروف هذا القطع تاكل فى س، ولكنه واضح فى ب (١٣٦) .

(٣) فى س يازكج . (٤) أضيف ما بين القوسين من ابن شداد (النواهد السلطانية، ص ٢٩٨ —

٢٩٩، فى Rec Hist. Or. III، حيث الميارة مترجمة إلى (les pays au delà de l'Euphrate)،

ومنها حران والرها وسيماط .

والتشريفات^(١) ثم نزل الملك العادل أبو بكر عن كل ماله في الشام، ما خلا الكرك والشوبك^(٢) والصَّلت والبقاء ونصف خاصّة بديار مصر، وُعوض البلاد الشرقية . ومار [السلطان] من القدس في أوائل جمادى الأولى، وكتب ببود الملك الأفضل، فعاد منكسر القلب إلى السلطان . ولحق العادل بحران والرها وقرر أمرهما، ثم عاد إلى السلطان في آخر جمادى الآخرة .

- وفي [جمادى الآخرة] ملك الفرنج قلعة الداروم، وخرج العسكر المصري يريدون السلطان، فكبسهم الفرنج وأخذوا جميع ما معهم، وتبدد الناس في البرية . وأسر الفرنج منهم خمسمائة رجل، وأخذوا نحو ثلاثة آلاف بجل، وعادوا إلى خيمهم وقد طمعوا؛ فقصدوا المسير إلى القدس، ثم اختلفوا وتزلوا بالرملة، وبعثوا رسلهم في طلب الصلح . فبرز السلطان من القدس

(١) في س وزل . ويلاحظ أن تلك التعديلات حدثت على أثر وفاة تقي الدين عمر، واستيلاء ولده الملك المنصور بن تقي الدين على البلاد الجزرية، غير إذنت السلطان صلاح الدين . وفي هذا يقول ابن الأثير [الكامل في التاريخ، ج ١٢، ص ٥٤] ما نصه : "قد تقدم ذكر موت تقي الدين عمر بن صلاح الدين واستيلاء ولده [الملك المنصور] ناصر الدين محمد على بلاد الجزيرة . فلما استولى عليها أرسل إلى صلاح الدين يطلب تقريرها عليه، مضاعفاً إلى ما كان لأبيه بالشام . فلم ير صلاح الدين أن مثل تلك البلاد تسلم إلى صبي، فأجابها إلى ذلك (كذا)، فحدث [الملك المنصور] نفسه بالامتناع على صلاح الدين، لاشتغاله بالفرنج . فطلب الأفضل على بن صلاح الدين من أبيه أن يقطعه ما كان لتقي الدين، وينزل عن دمشق . فأجابها إلى ذلك، وأمره بالمسير إليها، فسار إلى حلب في جماعة من العسكر . وكتب صلاح الدين إلى أصحاب البلاد الشرقية : مثل صاحب الموصل وصاحب سنجار وصاحب الجزيرة وصاحب ديار بكر وغيرها، يأمرهم بإغاثة الساكنين إلى ولده الأفضل . فلما رأى ولد تقي الدين ذلك علم أنه لا قوة له بهم، فرأس الملك العادل عم أبيه يسأله إصلاح حاله مع صلاح الدين . فأنهى ذلك إلى صلاح الدين، وأصلح حاله، وقرر قاعدته، بأن يقره ما كان لأبيه بالشام، ويتخذ منه البلاد الجزرية . واستقرت القاعدة على ذلك، وأصلح صلاح الدين البلاد الجزرية : وهي حران والرها وسجسط وميافارقين وحاف [لأنه] [الملك] . وسير إلى ابن تقي الدين، ليتسلم منه البلاد، ويسيره إلى صلاح الدين، ويهدد الملك الأفضل أين أدركه . فسار العادل فلقى الأفضل بحلب، فأعاده إلى أبيه . وصبر العادل القرات، وقسم البلاد من ابن تقي الدين، وجعل نواحيها، واستصحب ابن تقي الدين معه وعاد إلى صلاح الدين بالساكن . وكان عوده في جمادى الآخرة من هذه السنة" . انظر أيضاً ابن شداد (البراد السلاطانية، ص ٢٨٠، ٢٩٦، ٢٩٧، ٢٩٨، ٢٩٩، ٣٠٠، في Rec. Hist. Or. III) . (٢) بلد من أعمال الأردن، على مسيرة يوم من بحلون (Blochet : Op. cit. p. 309, N. 1) . (٣) في س وفيه . انظر نفس المرجع والصيغة (N. 2) .

في طائر رجب، وسار إلى يافا فحاصرها، ولم يزل يقاتل من فيها من الفرنج إلى أن أخذ البلد عنوة، وغنم الناس منها شيئا عظيما . وقسم [السلطان] القلعة، وأخرج من كل فيها من الفرنج . فقدم من الفرنج نجدة كبيرة في خمسين مركبا، فندد أهل يافا بجماعة من المسلمين، وعاد القتال والمراكب في البحر لم تصل إلى البر . فسارع أهل المراكب إلى البر، وحملوا على السلطان، فرحل إلى يازور وأمر بتفريها ، وسار إلى الرملة ومنها إلى القدس . وعزم على لقاء الفرنج، فاختلف عليه أصحابه، وأسمعه بعضهم كلاما جافيا، فأنقذ عن ذلك . وقدم عسكر مصر فرج إلى الرملة، ووقع الصلح بين السلطان والفرنج لثمان [بقيين من شعبان] . وعقدت هدنة عامة في البر والبحر مدة [ثلاث سنين وثلاثة أشهر]، أولها حادى (٣٠ ب) عشر شعبان — وهو أول شهر أيلول، على أن يكون للفرنج من يافا إلى عكا إلى صور وطرابلس وأطاكية . ونودي في الولايات وأسواق العسكر : "ألا إن الصلح قد انتظم، فمن شاء من بلادهم يدخل بلادنا فليفلح، ومن شاء من بلادنا يدخل بلادهم فليفلح" . وكان يوم الصلح يوما مشهودا، ثم فيه الطامختين الفرح والسرور، لما نالهم من طول الحروب . فاختلف عسكر الفرنج بعسكر المسلمين، ورحل جماعة من المسلمين إلى يافا للتجارة، ودخل خاق عظيم من الفرنج إلى القدس بسبب الزيارة، فأكرمهم السلطان ومدة لم الأطلعة وبأسطهم . ورحل ملوك الفرنج إلى ناحية عكا، ورحل السلطان إلى القدس، وسار منها إلى دمشق، فلقبه الأمير بهاء الدين قراقوش — وقد تخلص من الأسر — على طبرية . ودخل [السلطان] إلى دمشق، فمخس بقين من شوال، فكانت غيبته عنها أربع سنين . وأذن للعساكر في التفرق إلى بلادهم فساروا إليها، وبنى عند السلطان ابنه الأفضل على "والقاضي الفاضل" .

وفيها انتقل سعر الفول بديار مصر من خمسة عشر دينارا إلى ثلاثين دينارا المائة أردب، بحكم أن المشتري لعلوفة الوسيّة العادلة خمسون ألف أردب . وفيها عثر على رجل اسمه عبد الأحد،

(١) بلدة بساحل الشام قرب الرملة - (ياقوت معجم البلدان، ج ٤، ص ١٠٠٢) .

(٢ و ٣) ما بين القومين محبوب في س تحت ورقة ملصقة عليه، ولكنه موجود في ب (٣٦ ب) .

(٤) لفظ مشتق من الكلمة التركية الوس، ومعناها الدار وكل ما يتبع صاحبها من حاشية وحشم وحيوان ومتاع . (Blochet: Op. cit. p. 212, N. 1) . وبشر (Dozy: Supp. Dict. Ar.) الوسيّة بالمرعى المتنازع .

من أولاد حسن ابن الخليفة [الفاطمي] الحافظ لدين الله، وأحضر إلى الملك العزيز بالقاهرة، فقيل له: "أنت تدعى أنك الخليفة؟" قال "نعم!" فقيل له: "أين كنت في هذه المدة؟" فذكر أن أمه أخرجه من القصر فتاه، ووصل إلى طنبجة^(١١) فاختفى بها، ثم خرج إلى مصر، فأواه رجل وشرع يتحدث له في الخلافة، وأنه وقع بركة بلاد وأقطع أناسا من بابه، فسجن. وعُثر على بعض أقارب الوزير شاور، وقد ثار بالقاهرة، فسجن هو وجماعته.

وفيما انعقد ارتفاع الديوان الخاص السلطاني على ثلاثمائة ألف وأربعة وخمسين ألف دينار وأربعمائة وأربعة وأربعين ديناراً. ومات فيها جمال الملك موسى بن المأمون البطاحي^(١٢) جامع السيرة المأمونية - وهو بقية بيته - في سادس عشر جمادى الأولى بالقاهرة. وفيها وقع الشروع في حفر الخندق من باب الفتوح إلى المقس. وكُتب بنقل جماعة من أتباع الدولة الفاطمية المحبوسين في الإيوان ودار المظفر ليلا، بحيث لا يشعر بهم أحد، حتى يوصلهم [المكلف بذلك] إلى صرخد. وفيها كُتب بإخلاء مدينة تيس، ونقل أهلها إلى ديباط، وقُطع أشجار (٣١) بساكن ديباط وإخراج النساء منها. غلّت تيس إلا من المقاتلة، وحُفر خندق ديباط، وعمل جسر عند سلسلة البرج بها. وفيها كثرت الأراجيف بالقاهرة ومصر، وعظمت الشناعات، وارتفعت الأسعار.

(١) في س طنبدي. (٢) وظيفة الديوان الخاص هي النظر في خاص أموال السلطان والتحدث في جهاته ومضافاته. وأعظم بلاده وأغناها مدينة الإسكندرية، ولها توجه وفوه ونسوة، ومال جميعها يحمل إلى خزنة الخاص. (الفقشندي: صبح الأعشى: ج ٣ ص ٤٥٦)، وبلاحت أن الفقشندي يقول (نفس المرحب والجزء والصفحة) إن ديوان الخاص من منشآت السلطان الملك الناصر محمد بن علاون (٦٩٣ - ٧٤١هـ)، على أن ذلك لا ينفي وجود إدارة من شأنها النظر في خاص أموال السلطان أيام الدولة الأيوبية. انظر ص ٥٣ حاشية ٤؛ وراجع أيضا ابن شاهين (زبدة كشف الممالك ص ١٠٧ - ١٠٩)، حيث يشرح جميع منافع إيرادات ومصرفات ديوان الخاص. (٣) ليس في المراجع المتداولة في سواشي هذا الجزء من السلوك شي. يذكر عن موسى هذا - على أن المعروف أن أباه المأمون، واسمه أبو عبد الله محمد بن غنار بن فاطم البطاحي، كان وزيرا لخليفة الأمر الفاطمي (٤٩٥ - ٥٢٤هـ)، وإليه يرجع الفضل في تشييد الجامع الأقمر، وتكليف بناء جامع القبة، الذي كان يطل على بركة الحبش بالقاهرة، وإليه أيضا تنسب الدار المأمونية بجوار درب السلسلة. (Ibn Khallikan, Biog. Diet.) والقرنيزي: الملاحظ والاختيار، ج ١ ص ٤٦٣ - ٤٦٤، ج ٢ ص ٢٨٩ - ٢٩٠.

وفيه ورد الخبر في كتاب من اليمن بأن ثلاثة أنهار بالحيشة تغيرت بعد ما كانت عذبة :
فصار أحدها أجاجا، والآخر ثينا، والآخر دما^(١) . وفيها مات قلعج أرسلان بن مسعود بن قلعج
أرسلان بن سليمان صاحب قونية، وقد تغلب عليه ابنه قطب الدين — صاحب سيواس
وأقصرأ — وزاد في أن حجر عليه . وكان موته في شعبان، فولى قونية بعده ابنه غياث الدين
كَيْخُسْرُو بن قلعج أرسلان، وبقيت أخوته على ولايتهم من عهد أبيهم، فاختلفوا . وثار عليه
أخوه ركن الدين سليمان صاحب ووقاط، وملك سيواس وأقصرأ وقيسارية، [وهي] أعمال
أخيه قطب الدين . ثم ملك قونية من غياث الدين، ففر غياث الدين ونزل حلب .

♦ ♦ ♦

سنة تسع وثمانين وخمسمائة . أهلت والسلطان بدمشق، ففرج العادل
إلى الكرك، وقدم من اليمن الملك المعز إسماعيل بن سيف الإسلام ظهر الدين طفتكين
في نصف صفر، فمُرسره السلطان . فلما كان ليلة السبت سادس عشره، نزل بالسلطان
مرض، فأمر يوم السبت ولده الأفضل أن يجلس على الطعام، بغلس في موضع السلطان .
وتزايد به المرض إلى اليوم الحادى عشر من مرضه، خلّف الأفضل الناس . واستقر السلطان
في تزايد من المرض إلى ليلة الأربعاء سابع عشرى صفر — وهي ليلة الثاني عشر من المرض —
فاحتضر ومات بعد صلاة الصبح من يوم الأربعاء المذكور . فركب الأفضل، ودار
في الأسواق، وطبّب قلوب العامة .

(١) يرى (Blochet : Op. cit. p. 213, N. I.) أن هذه الأنهار هي بعض منابع النيل، غير أنه ترم
عذبة إلى (adbat) متعرا أنها إحدى بحيرات أواسط إفريقيا . (٢) كثيرا ما يرم هذا الاسم في س الحاء.
المهمة . (٣) بنير ضبط في س، و يطلق عليها الآن آق سراى، وهي قرب قونية . (Enc. Ist. Art. ĀK. Sarāi : Blochet : Op. cit. P. 214, N. 2.)
(٤) كذا في س بنير ضبط، ولعلها توفقات، وهي
قلعة حصينة تقع بين قونية وسيواس . (ياقوت : معجم البلدان، ج ١، ص ٨٩٥) . (٥) في س نصيرة
بنير ضبط، وكانت عاصمة ملك بنى ملجوق بإسيا الصغرى . (ياقوت : معجم البلدان، ج ٤، ص ٢١٤) .
(٦) في س به . (٧) في س يوم . (٨) في س عند كلمة "المذكور" إشارة كالتى ينسجها
المؤلف لتنبيه على مكان الحراش الحفاة، وليس أمامها شيء من ذلك .

- وكان رحمه الله كثير التواضع ، قريبا من الناس ، كثير الاحتال ، شديد المداراة ، محبا للفقهاء وأهل الدين والخير حسنا إليهم ، مائلا إلى الفضائل ، يستحسن الشعر الجيد ويردده في مجلسه . ومدحه كثير من الشعراء ، واتبعوه من البلدان . وكان شديد التمسك بالشريعة ، سميع الحديث من أبي الحسن علي بن إبراهيم بن المسلم بن بنت أبي سعد ، وأبي محمد بن برقي النحوي ، وأبي الفتح محمود بن أحمد الصابوني ، وأبي الطاهر السلفي ، وابن عوف ، وجماعة [غيرهم] . وكان كريما : أطلق من الخليل بمرج عكا لمن معه اثني عشر ألف رأس ، سوى اثمان أخيل التي أصيبت في الجهاد . ولم يكن له فرس يركبه إلا وهو موهوب أو موعود به ، وصاحبه ملازم في طلبه . وتأنر عنه الأمير أيوب بن كان في بعض سفرائه لدين لزمه ، فتقبل لغرمائه باثني عشر ألف دينار مصرية . وكان ورعا : رأى يوما العلاء الكاتب يكتب من دواة حملة بالفضة فأنكرها ، وقال هذا حرام ، فلم يعد يكتب منها عنده . وكان لا يصلح إلا في جمعة ، وله إمام راتب ملازم ، وكان يصلح قبيل الصبح ركعات إذا استيقظ . وكان يسوى في المحاكمة بين أكبر الناس وبين خصمه . وكان شجاعا في الحروب ، يمتاز في الصفوف وليس معه سوى صبي . وقُرى عليه جزء من الحديث بين الصَّقيين ، وهو على ظهره (٣١ ب) فرسه . وكان ذا كرا لوفائع العرب وعجائب الدنيا ، ومجلسه طاهر من المعاييب ، رحمه الله وغفر له .

- ولما مات جلس الأفضل للعزاء ، وكثر بكاء الناس عليه . وغسله الفقيه خطيب دمشق ، وأُخرج بعد صلاة الظهر ، وصلى الناس عليه أرسالا ، ودفن بداره التي مرض فيها بالقلعة ، ثم نُقل في يوم عاشوراء سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة إلى تربة بنيت له بجوار جامع بني أمية . وكتب [بوفاته] إلى العزيز بمصر ، وإلى العادل بالكرك . وكان عمره يوم مات نحو (١) من سبع وخمسين سنة . منها مدة ملكه بعد موت العاضد اثنتان وعشرون سنة وأيام . وترك من الأولاد سبعة عشر ذكرا وبنتا واحدة صغيرة ، ولم يخلف في خزائنه سوى سبعة وأربعين

(١) في س نحو . (٢) في س اثن وعشرين سنة وأياما .

درهما، ولم يترك دارا ولا عقارا . وكان القاضي الفاضل عبد الرحيم بن علي اليسانى صاحب سره، وبمثلة الوزير منه .

وفيها قتل طغرل بن أرسلان بن طغرل بن السلطان محمد بن ملك شاه بن ألب أرسلان، ابن جفري بك داود بن ميكائيل بن سلجوق في رابع عشر شهر ربيع الأول ، وهو آخر من ملك بلاد العجم من السلاطين السلجوقية، وأبداء دولتهم في سنة اثنين وبلايين وأربعمائة، وأولم طغرليك بن ميكائيل بن سلجوق ، فتكون مدة دولتهم مائة سنة وثمانين وخمسين سنة .

السلطان الملك العزيز عماد الدين

أبو الفتح عثمان ابن السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب، وكند بالقاهرة في ثامن جمادى الأولى سنة سبع وستين وخمسمائة . ومات أبوه بدمشق وهو على سلطنة ديار مصر مقيم بالقاهرة، وعنده جل العساكر والأمراء من الأسدية والصلاحية والأكراد . فلما بلغه موت أبيه جلس للعزاء، وأخذ بالحزم، وقرر أمور دولته، وخلع على الأمراء وأرباب الدولة بعد انقضاء العزاء . فقام أخوه الأفضل نور الدين علي بدمشق ، وكتب إلى الخليفة الناصر يطالعه بوفاة أبيه، من إنشاء المهاد الكاتب . وبعت بذلك مع القاضي ضياء الدين أبي الفضائل القاسم بن يحيى بن عبد الله الشهرزورى، ومعه عدد والده وملابسه وخيله، وهدية نفيسة . وسار المائل من الكرك إلى بلاد المشرق، فأقام بقلمة جمبر، وبعت نوابه إلى حران

(١) في س طغرل وبغير ضبط في الموضعين . (انظر ص ٤٤٠ ، حاشية ٢) .

(٢) حصلت بعض الأسماء الواردة هنا بغير تنبيه وذلك لسبق ورودها والإشارة إلى رسم المؤلف لها .

(٣) في س عان . (٤) في س أبي . (٥) في س الشهرزورى .

(٦) بغير ضبط في س ، وفي قلعة على الفرات بين بليس والرفة قرب صفين وكانت قدما تسمى دوسر . (ياقوت :

معجم البلدان، ج ٢ ، ص ٨٤) ، وراجع أيضا (Blochet : Op. cit., p. 217. N. 1) .

- والرها . واستوزر الأفضل الوزير ضياء الدين نصر الله بن محمد بن الأثير^(١)، وفوض إليه أموره كلها، فحسن له إبعاد أمراء أبيه وأكابر أصحابه، وأن يستجد أمراء غيرهم . ففارقه جماعة منهم الأمير نغر الدين جهّار^(٢) كس، وفارس الدين ميمون القصرى، وشمس الدين سقر الكبير، وكانوا عظماء الدولة . فصاروا إلى الملك العزيز بالقاهرة فأكرمهم ، وولى نغر الدين أستاذاره^(٣)، وفوض إليه أمره ، وجعل فارس الدين وشمس الدين على صيداء وأعمالها ، وكان ذلك لها ، وزادها نابلس وبلادها . وسار القاضي الفاضل أيضا من دمشق ولحق بالقاهرة، فنزع العزيز إلى لقائه (٢٢) وأجل قدومه وأكرمه . فشرع القوم في تقرير قواعد ملك العزيز، والأفضل في شغل عنهم . وكانت مدينة القدس مضافة للأفضل، فكتب إلى أخيه العزيز يرغب عنها له . وكان [ذلك] من تدير وزيره ابن الأثير، لأنها كانت تحتاج حينئذ إلى أموال ورجال لمداخلة الفرنج . فسر العزيز بذلك، وجهاز عشرة آلاف دينار إلى عز الدين جرديك التورى . متولى القدس، لينفخها في عسكر القدس، فخطب له به . وخشى [العزيز] من قضى الهدنة بينه وبين الفرنج، فبعث عسكرا إلى القدس احترازا من الفرنج . ثم بدا للأفضل أن يعود فيها رغب عنه لأخيه من القدس، ورجع عن ذلك ، فتغير العزيز من هذا ، وأخذ الأمراء في الإغراء بينهما، وحسّوا للعزيز الاستبداد بالملك والقيام مقام أبيه، فبلغ ذلك الأفضل .

(١) أعوذتلف كتاب الكامل في التاريخ . وقد ترجم له المقرئى بهامش الصفحة بعبارة نصها : "نصراقة بن محمد بن أبى البركات محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الخراساني، المعروف بابن الأثير أبى الفتح ضياء الدين"، رئيس الكتاب في زمانه . وله بالحزبة العمريه يوم الخميس العشرين من شعبان سنة ٥٥٨ هـ [٥]، ومات ببغداد مطلع ربيع الآخرة سنة ٦٢٧ هـ [٥]، وله مصنفات منها التل السائر [في آداب الكتاب والشاعر] ٤٤ . ولغذين النابئين أخ ثالث اسمه محمد الدين أبو السعادات، اشغل بعلوم القرآن والحديث والنحو، ومن مؤلفاته كتاب النهاية في غريب الحديث ، وهو أكبرهم سنا، وملكه صاحب الكامل في التاريخ (Enc. Isl. Art. Ibn al-Athir) . (٢) مضبوط على مخطوطة في (Blochet : Op. cit. p. 218)، انظر أيضا (Rec. Hist. Or. I, p. 86) . (٣) الأستاذار هو الذى يتولى شؤون سكن السلطان أو الأمير ومروره ، وتنفذه أوامره . وبين القفقتشى (صبح الأعشى، ج ٤، ص ٢٠، ج ٥، ص ٤٥٧) وبين عامة المستشرقين خلاف في أصل هذا اللفظ الفارسى المركب ، فأنظر (G.-Demombynes : Op. cit. Introd. p. L.X. & N. 4) .



[سنة تسعين وخمسمائة] - ودخلت سنة تسعين، وقد تنافرت القلوب، وقويت الوحشة بين الأخوين. واجتمعت الأمراء الصلاحية على أن يكون الأمر كله للعزیز، فاضطربت أحوال الأفضل. وخرج العزیز من القاهرة بساكر مصر، من الصلاحية والأسدية والأكراد وغيرهم، يريد الشام وارتاعها من أخيه الأفضل، من أجل أمور منها أن جليل — وهو من جملة الفتوح الصلاحية — كان مع رجل كردی [فقيه أقامه صلاح الدين مستحفظا بها] ^(١)، فأرغبه الفرنج بمال حتى سلمه لهم. وخرج الأفضل من دمشق ليستنقذه من الفرنج، فتمنذ عليه، وظهر المعجز عن استخلاصه. فامتعض الأمراء لذلك، وخوفوا العزیز من عاقبة أمر الفرنج، فسار في [صفر] ^(٢)، واستخلف أخاه الملك المؤيد نجم الدين مسعود، وترك بالقاهرة بهاء الدين قراقوش الأسدي وصيرم ^(٣) وسيف الدين يازكج وخطط في تسعة فارس. واتفق أن الأمير صارم الدين قايماز النجمي — أحد أكابر الأمراء الصلاحية — استوحش من الأفضل لإعراضه عنه، فخرج من دمشق يريد إقطاعه، وخلق بالعزیز فأكرمه ورفع محله.

وهم الأفضل بمراسلة أخيه العزیز واستعطافه، فتمه من ذلك وزيره ابن الأثير وعدة من أصحابه، وحسنوا له محاربتة، فقال إليهم. وبعث إلى عمه العادل وهو بالشرق، وإلى أخيه الظاهر بجلب، وإلى المنصور بمحاربة، وإلى الأجد صاحب بعلبك، وإلى المجاهد شريكه صاحب حمص، يستجدهم على أخيه العزیز. فوردت رسلهم في حمادى الآخرة، يمدون بالقدم عليه. ثم إنه برز من دمشق، ونزل برأس الماء. فلما وصل العزیز إلى القصير من النور ضاق الأفضل، ورجع من القوار إلى رأس الماء. فأدركت مقدمة العزیز ساقته، وكادوا يكبسونه

(١) في س. وهي. (٢) في س. الصلاحية. (٣) أخيف ما بين القوسين بعد مراجعة أبي شامة كتاب الوضئين، ص ١١١، ١٥٢. (٤) انظر نفس المرجع والصفحة بالهاشية السابقة. (٥) كذا في س، وفيه ضبط، وهو مترجم في (Blochet Op. cit. p. 219) إلى (Sarim al-Din)، على أن المقصود ليس صارم الدين قايماز النجمي المذكور في (٦) وفيه ضبط في س، واسمه نصير مبن الدين، بالفهر من أعمال الأردن. (ياقوت: معجم البلدان، ج ٣، ص ١٢٦).

- فانهمزم إلى دمشق، ودخلها خمس مئين منه . ونزل العزيز في غده على دمشق في قوة قوية ،
 ونازل البسلد . وكان الأفضل قد استمد لقتاله ، فقدم العادل والظاهر (٣٢٢ ب) والمنصور
 والمجاهد والأجد إلى دمشق . وبعث العادل إلى ابن أخيه الملك العزيز يشفع في الأفضل ،
 ويستأذنه في الاجتماع به ، فأذن له . وخرج العادل فاجتمع بالعزيز - وكل منهما راكب -
 ومحدث معه في الصلح ، وأن ينقش الخناق عن البلد ؛ وكان قد اشتد الحصار ، وقطعت
 الأنهار ، ونهبت الثمار ، والوقت زمن المشمش . فوافق العزيز عمه ، وتأخر إلى دارياً ، ونزل
 على الأعوج^(١) ، وسيراً الأمير غفر الدين جهازكس الأستاذار - وهو يومئذ أجلّ الصلاحية -
 إلى العادل ، فقرر الصلح على شروط ، وعاد إلى العزيز . فرحل ونزل مرج الصفر^(٢) ، فحدث له
 مرض شديد ، وأرجف بموته ، ثم أبل منه . وأمر بعمل نسخة التبيين ، وهي جامعة
 لمقترحات جميع الملوك ، وحسم مواد الخلاف ، وأن الملك الأجد بهرام شاه بن عز الدين
 فرخشاه ، والملك المجاهد شيركوه ، يكونان مؤازرين لللك الأفضل وتابعين له ،
 وأن الملك المنصور صاحب حماة يكون في حيز الملك الظاهر صاحب حلب ومؤزراً له .
 وبعث كل من الملوك أميراً من أمرائه ليحضر الحلف ، فاجتمعوا يوم السبت ثاني عشر
 شهر رجب ، وجرحت أمور آلت إلى الحلف على دَخْرٍ . وتزوج العزيز بابنة عمه
 العادل ، وقبل العقد عنه القاضي المرتضى محمد بن القاضي الجليل عبد العزيز السعدى .
 ووكّل العادل القاضي محي الدين محمد بن شرف الدين بن عصرون في تزويج أخته من ابن
 عمها الملك العزيز ، وعقد بينهما قاضي القضاة محي الدين . وكتب الهاد الكاتب الكتاب
 في ثوب أطلس ، وقُرئ بين يدي الملك الظاهر ، وعُقد العقد عنده .
- فلما كان يوم الجمعة أول شعبان ، خرج الملك الظاهر غازي صاحب حلب لوداع أخيه
 العزيز ، فركب العزيز إلى لقائه وأنزله معه ، وأكلا ثم تفزقا ، بعد ما أهدى كل منهما لأخيه

(١) بنسب ضبط في ص ، وهي قسرية كبيرة من قرى دمشق بالنقطة . (ياقوت : معجم البلدان ج ٢ ، ص ٥٣٦) . (٢) بنسب ضبط في س ، انظر أبا شامة (تخاب الرومين ، ص ١١٢ ، في . Rec. Hist. Or. V.) . (٣) بنسب ضبط في س ، وهو من نواحي دمشق . (ياقوت . معجم البلدان ، ج ٢٤ ، ص ٤٤٨) ، انظر أيضا (Blochet : Op. cit. p. 221. N. 8) .

هدية سنوية . ثم خرج العادل لوداع العزيز في خواصه ؛ ثم خرج الأفضل فودّعه أيضا ، وهو آت من وقده . ورحل العزيز من مرج الصفر في ثالث شعبان يريد مصر ، فلما كان ثالث عشره عمل الأفضل دعوة عظيمة لعمه وبقية الملوك ووادعهم . ثم رحلوا من القند إلى بلادهم إلا العادل ، فإنه أقام إلى تاسع شهر رمضان ، ثم رحل إلى بلاده بالشرق .

وقدم العزيز إلى القاهرة في (١٢٣) يوم ... (١١) ... وأما الأفضل فإنه هم بمكاتبة العزيز بما يؤكد أسباب الصلح ، فأماله عن ذلك خواصه ، وأغروه بأخيه ، ورموا جماعة من أمرائه بأنهم يكاتبون العزيز ، فاستوحش منهم ، وفطنوا بذلك ففارقوا عنه . وسار الأمير عز الدين أسامة^(٧) صاحب [كوكب] وعجلون عن الأفضل ، ولحق بالعزيز فاكرمه غاية الإكرام ، وأخذ يحرضه على الأفضل ، ويحثه على المسير إلى دمشق وانتزاعها منه ، ويقول له : " إن الأفضل قد غلب على اختياره ، وحكم عليه وزيره الضياء [ابن الأثير] الجزرى ، وقد أسد أحوال دولته برأيه الفاسد ، ويحمل أخاك على مقاطعتك ، ويحسن له نقض اليمين . فإن من شرطها صفو الوداد وصحة النية ، ولم يوجد ذلك ، لحنهم في اليمين قد تحقق ، وبرئت أنت من العهد . فاقصد البلاد فإنها في يدك ، قبل أن يحصل في الدولة من الفساد ما لا يمكن تلافيه " . وبينما هو في ذلك إذ فارق الأفضل الأمير شمس الدين أيدمر بن السلار^(٨) ، ووصل إلى العزيز ، فساعد الأمير أسامة^(٩) على قصده . ثم وصل أيضا إلى العزيز القاضي محي الدين أبو حامد محمد بن الشيخ شرف الدين عبد الله بن هبة الله بن أبي عصرون ، فاحترمه وولاه قضاء الديار المصرية ، وضم إليه نظر الأوقاف .

وأقبل الأفضل بدمشق على اللعب ليله ونهاره ، وتظاهر ببلذاته ، وفوض الأمور إلى وزيره ، ثم ترك اللعب من غير سبب ، وتاب وأزال المنكرات وأراق الجهور ، وأقبل على العبادة ،

(١) يياض في الأصل . (٢) في س سامة وبغير ضبط . راجع أبا القدا . (المختصر في أخبار البشر ، ص ٧٠ ، ٨٦ ، في Rec. Hist. Or. I.)

(٣) ترجم (Blochet : Op. cit. pp. 223) هذا الاسم إلى (Ibn as-Salat) ؛ وفي نهارس (Rec. Hist. Or. I-٧) شخصان بهذا الاسم (Ibn as-Sellar) . (٤) في س سامة . (٥) في س أبي .

ولبس الخشن من الثياب؛ وشرع في نسخ مصحف بخطه، واتخذ لنفسه مسجداً يتخلف فيه عبادة ربه؛ وواظب على الصيام، وجالس الفقراء، وبالغ في التشف، حتى صار يصوم النهار ويقوم الليل. وأما العزيز فإنه قطع خبز الفقيه الكمال الكردي من مصر، فأفسد جماعة على السلطان، وخرج إلى العرب فجمع ونهب الإسكندرية، فصار إليه العسكر فلم يظفروا به. وقطع [العزيز] أيضاً خبز الجناح وعلكان ومجد الدين الفقيه وعز الدين صهر الفقيه، فساروا من القاهرة إلى دمشق، فأقطعهم الملك الأفضل الإقطاعات.

وفي شهر رمضان كُسر بحر أبي المتجاء بعد عيد الصليب بسبعة أيام، وتجاهر الناس فيه بالمنكرات من غير نكر عليهم. وفيه وقعت الآفة في البقر والجمال والحير، فهلك منها كثير. وفيه كثر حمل القلة من البحيرة إلى بلاد المغرب، لشدة الغلاء بها. وكثرت بين الأمراء إشاعة أن إقطاعاتهم تؤخذ منهم، فقصروا في عمارة البلاد. وارتفع السعر بالإسكندرية، ونقص ماء النيل بسد ما بلغ اثنين وعشرين إصبعا من سبعة عشر ذراعاً؛ فرفعت الأسعار، وشرقت البلاد. وبلغ القمح كل أردب بدينار، وأخذ في الزيادة، وتعذر وجود الخبز، وفتح الناس. وكثرت المنكرات، وغلا سعر العنب لكثرة من يصره. وأقيمت طاحون لطحن الحشيش بالمحمودية، وُحِيت بيوت المزر، وجعل عليها ضرائب، فنها ما كان طيه في اليوم ستة عشر ديناراً، ومنع من عمل المزر البيوت. وتجاهر الكافة بكل قبيح، فترقب أهل المعرفة حلول البلاء.

(١) بغير ضبط في س، انظر ابن شداد (الوارد السلطانية، ص ٣٦٥، في Rec. Hist. Or. III).

(٢) أسلف المقرئ ذكر بحر أبي المنجا (ص ٧٣)، وقد أرجى الكلام طيه إلى هذا الموضع، لمناسبة إسهاب المقرئ في وصف ما حدث تلك السنة عند الاحتفال بفتحهم. وكانت هذه الفتنة تخرج من النيل قرب بلدة شبرا الخالية، ثم تمر بيليس، وتختفي في شمالها بحر القرماء، الذي يصير غمرًا برزخ السويس إذ ذاك حتى مدينة القرماء على البحر الأبيض المتوسط، غربي بور سعيد الحالية. وقد بدأ سفر بحر أبي المنجا سنة ٥٠٦ هـ في عهد الخليفة الأمر الفاطمي (٤٩٥ - ٥٢٤ هـ)، ونيط بحفره أبو المنجا بن شعيا اليهودي. وكان يوم فتح هذه الفتنة من أيام القاهرة وأعيادها، يشترك فيه السلطان والأمراء والناس جميعاً. على أن السلطان العزيز لم يباشر فتح الفتنة بنفسه تلك السنة، واشتد إغرام الناس ذلك اليوم، إذ غلبت "المجاهرة بالمنكرات والإعلان بالقواحش... ولم يسلم شهر رمضان إلا وقد شهد ما لم يشهده رمضان قبله في الإسلام..." (المقرئ: المواظ والاعتبار، ج ١ ص ٨٧٧، ٨٧٨). وأيضاً (P. Omar Toussoun : Anc. Branches du Nil, pl. III). (٣) في س وكثر.

وفيها قدم رسول مملك القسطنطينية (١٤٠٠) يطلب صليب الصليبيات، فأحضر من القدس، وكان مرصعا بالجواهر، وسلم إليه على أن يعاد [تغر] جليل من الفرنج. وتوجه الأمير شمس الدين جعفر بن شمس الخلافة [بذلك].

تمت سنة تسعين وخمسمائة. [في] يوم الخميس رابع محرم عقد مجلس بمحضرة السلطان، حضره أصحاب الدواوين. وفي عاشره قدم الأمير حسام الدين ببشارة من عند الملك العادل وبقية الأولاد الناصرية، فتلقاه السلطان والأمراء، وحمل إليه سباط السلطنة، فطلب الموافقة بين الأهل. وفي سادس عشره ركب السلطان للصيد بالجيزة، ومر برباب زويلة، فأنكر بروز مصاطب الخوانيت في الأسواق، ورسم بهدمها، فهدمت ببشارة محتسب القاهرة. ومر بصناعة العائز، فرسم بسد طاقات الدور المجاورة للنيل فسدت.

(١) إمبراطور الدولة البرطية إذ ذاك هو (Isaac II Angelus, 1185-1195)، وقد تقدم ذكره. وكان به وبين صلاح الدين من العلاقات الحسنة قبل تلك السنة. انظر ص ٩٨ حاشية ١.

(٢) أفاض المقرئ (المواظ والاعتبار، ج ١، ص ٤٦٣ - ٤٦٤) في شرح وظيفة المحتسب، ولا يجب فإنه قد نول هذه الوظيفة سنة ٨٠١ هـ (Quatremère: Maml. I. Pref. p. 1). وهذا نص ما كتبه عنها "وأما الحسبة فإن من تستد إليه لا يكون إلا من وجوه المسلمين وأعيان الممدلين، لأنها خدمة دينية. وله استخدام التراب عنه بالقاهرة ومصر وجميع أعمال الدولة. ككتاب الحكم. وله المجلس بجميع القاهرة ومصر يومه بعد يوم. ويصرف نوابه على أبواب الحرف والمعايش، وأمر نوابه بالحكم على قدور الهزاسين ونظر طعمهم وسعره من جزاره، وكذلك الطباخون ويتبعون الطرقات، ويعتقون من المصاغة فيها. ويلومون رؤساء المراكب أن لا يحملوا أكثر من وسق السلامة، وكذلك مع الخلائع على البساتين. ويأمرهم السقايق بتغطية الزوايا بالأكسية. ولم يدار وهو أربعة وعشرون دوا، كل دوا أربعون رطلا، وأن يلبسوا السراويل القصيرة الصابغة لئلا يرواهم وهي زرق. وينشدون على المكاتب بأن لا يضربوا الصبيان شربا مبرحا ولا في مقتل، وكذلك على الموم بغيرهم من التفرير بأولاد الناس، ويقفون على من يكون سي. المسألة، فينبهوه بالردع والأدب. ويظفرون المكابيل والموازين. وللقسب النظر في دار المعيار. ويتعلم عليه، ويقرأ بحمل بمصر والقاهرة على المنبر، ولا يحال بينه وبين مصلحة إذا رآها، والولاية تشد معه إذا احتاج إلى ذلك، وجاريه ثلاثون ديناراً في كل شهر". هذا ويذكر القلقشندي (صحيح الأعيان، ج ٤ ص ٣٧) أن قد كان بالقاهرة محتسب له التصرف بها وبالوجه البحري عامة، خلا الإسكندرية، فإن لها محتسبا يخصصها. وبالقساط محتسب ثالث مرتبه أقل أهمية من الأول، ودائرة اختصاصه القساطر والوجه القبلي بكاله. انظر أيضا القلقشندي: صحيح الأعيان ج ٣، ص ٨٧٤ ج ٥ ص ٤٥١ (G.-Demom.) (hynes: Op. cit., Introd p. LXXVII, etc.) لعيد الرحمن المدودي البهادرى الشيرازى اسمه نهاية الزبنة في طلب الحسبة (Brit. Mus. Ms. Or. 9588). (٣) أمم أطلق فيها بعد على صناعة مصر. انظر ص ٧٤ حاشية ٧، والمراجع إليها.

- وفي صفر غُيرت ولاية الأعمال . وفي عاشره حلف العزيز لعمه العادل . وفي ثالث عشره عاد العزيز من الصيد بالجيزة . وفي هذا الشهر غلت الأسعار ، فبلغ كل مائة أردب ثمانين ديناراً . وفي خامس عشره قدم فارس الدين ميمون [القصرى] مقطع صيداء ، وسيف الدين سنقر المشطوب ، وشمس الدين سنقر الكبير مقطع الشقيف ، مفارقين الملك الأفضل .
- فدفع [العزيز] لميمون خمسمائة دينار ، ولسنقر أربعمائة دينار ، وللمشطوب ثلاثمائة دينار .
- وفي ربيع الأول اشتد الأمر في الزحام على الخبز لقلته في الأسواق ، ووقع الحريق في عدة مواضع بالقاهرة . وفي عاشره أُخرجت خيمة السلطان للسفر . وفي ثالث عشره انحل السعر قليلاً ، ووجد الخبز في الأسواق . وفي نصفه ورد كتاب [علم الدين] ^(١) قيصراً بأنه تسلم القدس من جرديك في تاسعه ، وتسلم صليب الصلבות ؛ وقُتر [أيضاً] إعادة جيبيل من الفرنج .
- وفي سادس عشره قدم بدر الدين لؤلؤ بكباغ الأفضل بجزيرة جيبيل ، وسبب قدوم ميمون ١٠ ورفيقه . وفيه نزع ^(٢) السعر ، وبلغ كل مائة أردب إلى مائة وخمسة وسبعين ديناراً ، وعظم صخب الناس من الجوع . وفي سابع عشره وصل صليب الصلבות من القدس ، وهو خشبة مرصعة بجواهر في ذهب . وفي ثامن عشره ولي زين الدين علي بن يوسف الدمشقي قضاء القضاة بديار مصر ، عوضاً عن صدر الدين بن درباس ، بعناية جماعة من المماليك به ، وحُلج عليه . وفي سلخه قدم رسول الملك العادل .
- ١٥

وفي تاسع ربيع الآخر هدم المحتسب حوانيت وإصطبلات كان صدر الدين بن درباس ^(٣) أنشأها في زيادة الجامع الأزهر ببحوار داره ، ورفق صدر الدين نقض ذلك إلى داره . وقوى عزيم السلطان على السفر ، وبعت بهرام بقرض له مالا من تجار الإسكندرية ؛ وطلب من قاضي القضاة زين الدين أن يقرضه مال الأيتام ، وكان يبلغ أربعة عشر ألف دينار ، فعملت

(١) انظر أبا الفداء (المختصر في أخبار البشر ، ص ٨٧ ، في (Rect. Hist. Or. I.

(٢) انظر ابن شداد (الزوارق السلطانية ، ص ٣٢٩ ، في (Rec. Hist. Or. III.

(٣) في نزع بغير ضبط . (٤) في نسي انشام .

إلى الخزانة . وكتب السلطان خطه بذلك وأشهد عليه ، وأحال به على بيت المال ، وقرر استخراجه [منه] ، وأمر بحمله إلى القاضي . هذا وقد تأخر القرض الذي كان السلطان صلاح الدين أقرضه في نوبة عكا ، وهو ثلاثون ألف دينار ، فلم يوف منه إلا يسيرا . وفي سادس عشره توجه جعفر بن شمس الخلافة إلى الفرنج لإعادة جبيل . وفي يوم الخميس تاسع عشره خرج السلطان إلى غيحه ببركة الجلب ، واستتاب في غيجه بهاء الدين قراقوش ، ومعه ثلاثة عشر أميرا ، ونحو سبعمائة فارس . وتوجه مع السلطان سبعة وعشرون أميرا ، في ألفي فارس وألف من الحلقة .^(٢١)

وفي ثالث جمادى الأولى استقل السلطان بالمسير ، ونزل على دمشق في تاسع جمادى الآخرة ، ورحل عنها في ثامن عشره بشفاعة عمه الملك العادل .

وفي تاسع رجب دخل الأفضل دهشق ، بعد أن تقرر الصلح بينه وبين أخيه الملك العزيز في سادسه .

(١) في ص قراقوش .
(٢) كانت الجيوش النظامية في مصر منذ الأيوبيين مكونة من ثلاث فئات من الغرباء والأجانب ، وأصلها كلها من الأتراك ، وليس بينها صفات مشتركة سوى أنها من أسواق النخاسة ، بالقوقاز وآسيا الصغرى وشواطئ البحر الأسود . وأول تلك الفئات المماليك السلطانية ، وهذه عبارة عن مشتريات السلطان وأحلابه — أوجلبانه — وما يتبقى عنده من ممالك من سبقه في السلطة . ومن هذه الفئة المماليك الخاضعة ، وتتميز من بقية المماليك السلطانية بانضواء أفرادها وهم متفرقون في خدمة السلطان ، فهو الذي يتولى تربيتهم وعقبتهم ، ومراتب المماليك السلطانية جميعا من ديوان المقدود . أما الفئة الثانية من الجيوش النظامية فهي أجناد الحلقة ، وهذه مكونة من محترفي الحنكية ، من ممالك السلطانين السابقين وأولادهم ، وهي أقرب الفئات إلى نظام الجيش الثابت في العصور الحديثة ، ومراتبها من ديوان الجيش . والفئة الثالثة ممالك الأمراء ، وهي شبه فرقة المماليك السلطانية ، غير أن أفرادها تابعون مباشرة لأمرائهم ، ومنهم تتكون الوحدات الحربية التي يذهب بها الأمراء مع السلطان في حروبه . وهذا وإن يكن في هذه الجيوش من العناصر المصرية أو الشامية سوى ما يلقى الحملات الحربية عادة من الفقهاء والحقيرين والصناع والأتباع وزعماء العامة . (G. - Demombynes : Op. cit. Pref. p. XXX et seq.)

وفي ربيع شعبان دُفَّت البشار بالفاخرة^(١)، فرحاً بالصلح بين الأولاد الناصرية، وُزِيَتْ الأسواق . وفيه انحط السمر . وقدم السلطان الملك العزيز إلى القاهرة سلخ شعبان . وفي سابع رمضان وصل الملك المعظم توران شاه وإخوته وعياله من دمشق، والديوان في ضائقة شديدة، فمَجَزُوا عن إقامة وظائفهم ومطالبهم وجراياتهم، فَنَزَلُوا في الدار العزيزية . ونَزَعَت الأسفار في المأكولات كلها . وفي تاسع عشره وصل عز الدين أسامة مفارقاً للأفضل .



[سنة إحدى وتسعين وخمسمائة] . ودخلت سنة إحدى وتسعين، والعزيز على عزيم المسير إلى الشام . فاستشار الأفضل أصحابه، فَنَهَمَ من أشار [٣٣ ب] عليه بمكتبة العزيز واسترضائه . وأشار الوزير [ابن الأثير] عليه بالاعتصام بعمه العادل، واستنجاهه على العزيز، فأصغى إليه . وكثرت الإشاعة بقصد العزيز إقامة الخطبة في دمشق باسمه، وضرب السكة^(٢) له . فانزعج الأفضل، ونرجح من دمشق في ربيع عشر جمادى الأولى، ومار جريدة إلى عمه العادل، فلقبه بصفين . فلما نزل ألخف الأفضل في المسألة له أن يتزل عنده بدمشق، ليجيره من أخيه العزيز، فأجابه وأنزله بقلعة جعبر . ثم سار معه إلى دمشق أول جمادى الآخرة، فوصل إليها في تاسعه . ودخل الأفضل إلى حلب على البرية^(٣)، مستصرخاً بأخيه الملك الظاهر، فلتقاه وحلف له على مساعدته . ثم رحل عنه إلى حماة، فلتقاه ابن عمه الملك المنصور محمد بن المظفر، وحلف له . ثم سار عنه إلى دمشق، فدخلها في ثالث عشره وبها العادل؛ فأفغى إليه بأسراره . وعلم العادل اختلال أحوال الأفضل، وسوء تدبيره وقبح سيرته، فانحرف

(١) كثيراً ما يذكر المؤرخون هذه العبارة بعد إيراد حادث سار، وكان يقوم بإعلان البشار فرقة موسيقية بالقلعة، ولعلها فرقة الكومبة المذكورة في الفقهني : صبح الأضي، ج ٤، ص ١٣٠٩، والبشار أيضاً الرسائل التي كان السلاطين يبعثون بها إلى البلاد والأعمال، في الأعياد والمواسم والحوادث السارة، وكانوا يحتفلونها عادة بالطيب . (نفس المرجع، ج ٣، ص ٥٠٩) . انظر أيضاً (Dozy: Supp. Dict. Ar. & Lane: Lexicon) ؟ وكذلك (Enc. Isl. Art. Bashir) . (٢) في من سامة . (٣) في من السكة، وهي بالسين أنصح . (محيط المحيط) . (٤) بنير ضبط في س، وهي الصحراء الواقعة بين أراضى القرات والشام . (Blochet: Op. cit. p. 230. N. 1) .

عنه ونهاه فلم يته، إلا أنه مبالغ في كرامة عمه، حتى أنه ترك له السجق^(١). وصار العادل يركب بالسجق السلطاني في كل يوم، ويركب الأفضل في خدمته.

فما هو إلا أن استقر ذلك إذ حدث بين الظاهر صاحب حلب وبين أخيه الأفضل وعمه العادل وحشة، من أجل ميل الملك المنصور صاحب حماة إلى العادل. فسير [الظاهر] إلى أخيه العزيز يحرضه على قصد الشام، ووعده بالمساعدة له على الأفضل، فوافق ذلك غرضه، وخرج من القاهرة بساكره^(٢) في^(٣)

فلما قارب [العزيز] دمشق كاتب الملك العادل الأمراء سرا واستمالهم، وكان الأمراء الصلاحية قد وقع بينهم وبين الأمراء الأسيدي تنافس، لتقديم العزيز الصلاحية على الأسيدي. فعملت حيل العادل حتى وقعت الوحشة بين الطامحتين، ونفرت الأسيدي من الملك العزيز. وكاتب [العادل] العزيز سرا يخوفه من الأسيدي، ويحثه على إبادهم عنه، وكاتب الأسيدي، يخوفهم من العزيز ويستميلهم إليه. فحاق ما مكره وتم له مآذيره، وعزموا على مفارقة العزيز، وحسنوا

(١) لقد ترك بطلق في الأصل على الرمح، والمراد به هنا الزاية التي تربط به، والجمع ساجق. وهي رايات صفراء، يحملها السجق دار. ويظهر أن المادة كانت أن يركب السلطان في المواكب زمن السلم بالساجق فقط، أما مواكب الحرب، فكان مسير السلطان فيها بالأعلام، ومنها الساجق، ثم راية عظيمة من حرير أصفر مطرزة بالذهب، عليها ألقابه واسمه وتسمى الصباية، ثم راية عظيمة في رأسها خصلة من الشعر تسمى الجاليس. ويتول أمر هذه الأعلام كلها الأمير علم. (القلشندي: صبح الأعشى، ج ٤، ص ٤٨ ج ٥، ص ٤٥٦، ٤٥٨). هذا وفي ركوب الأفضل في خدمة العادل إشارة إلى استبداده للاعتراف به ملكا بدلا من العزيز. (Blochet: Op. cit. p. 230. N. 2).

(٢) يزوإن الأثير (الكامل في التاريخ، ج ١٢، ص ٧٩) ما حدث تلك السنة من الوحشة إلى عدم وثوق الظاهر صاحب حلب بمحسن نيسة عمه العادل نحو أولاد أخيه. وابن الأثير معاصر لا يستأن بقوله، وهذه عبارته: "وكان أبلغ الأسباب في ذلك وثوق الأفضل بالعادل، وأنه بلغ من وثوقه أنه أدخله ببلده وهو غائب عنه. ولقد أرسل إليه أخوه الظاهر غازي صاحب حلب يقول له: أخرج عمتنا من بيننا فإنه لا يجيء علينا مع خير، ونحن ندخل لك تحت كل مارتد. وأنا أعرف به منك وأقرب إليه، فإنه عمي مثل ما هو عمك، وأنا زوج ابنته. ولو علمت أنه يريد لنا خيرا لكنت أنا أول به منك. فقال له الأفضل: أنت سيئ الظن في كل أحد. أي مصلحة لعنتي أن يؤذينا؟ ... وهذا كان أبلغ الأسباب، ولا يعلها كل أحد". (٣) بياض في من يقدر خمس كلمات، وليس في ب (١٤١) أي إشارة إليه.

للأكراد والمهرانية موافقتهم ، فأتقادوا إليهم . وكان مقدم أسراء الأكراد الأمير حسام الدين أبو الهيجاء السمين ، فاجتمع بالأكراد مع الأسدية . واتفقوا بأجمعهم على مفارقة العزيز (١٢٤) والانضمام إلى العادل والأفضل ، ومضايقة العزيز . و [عقدوا النية على] مكتبة من بني منهم بمصر ، أن يستقبلوا العزيز ويحولوا بينه وبين القاهرة ، فيصير [بذلك] بين الفريقين ، ويؤخذ باليد .

- فلما كان في عشية الرابع من شوال رحل الأمير أبو الهيجاء بالأكراد والمهرانية والأسدية ، وهم لا يسون لامة الحرب ، ولحقوا بالعادل فسرّ بهم ، لأنهم معظم الجيش . فلما أصبح نهار الخامس من شوال رحل العزيز يريد مصر ، وهو متخوف من الأسدية المقيمين بالقاهرة . وكان نائبه بها الأمير بهاء الدين قراقوش الأسدي ، فلم يتغير على العزيز ، ووصل إلى القاهرة في (٢) ... فاستقر بها .

- ١٠ ثم إن العادل خرج بالأفضل من دمشق ، ومعه الصاكري يد أخذ القاهرة ، لما داخله من الطمع في العزيز . واتفق مع الأفضل على أن يكون للعادل ثلث البلاد المصرية ، ويكون ثلثها للأفضل . فاجابه إلى ذلك ورحلا من دمشق ، وخرج [معهم] أيضا [المنصور] صاحب حماة ، وعز الدين بن المقدم ، وسابق الدين [عثمان] بن الداية صاحب شيزر . واستخلف [الأفضل] بدمشق [أخاه] الملك الظاهر خضر [صاحب

(١) في س ١٠١ . (٢) بياض في س وليس في ب (٤١ ب) إشارة ما إليه . (٣) في س سابق . انظر بعض أخباره بالحاوية التالية . (٤) بنو ضبط في س ، وهي قلعة تشتمل على كورة بالشام ، على حد قول ياقوت (معجم البلدان ، ج ٣ ، ص ٣٥٣) . وتقع قرب المعرة ، بينها وبين حماة يوم ، في وسطها نهر الأرتد (Orontes) . وقلعة شيزر شهرة كبرى في التاريخ ، فقد كانت مقر إمارة بني معقل للكنانيين ، منذ ٥٤٧ هـ (١٠٨١ م) حتى سنة ٥٥٢ هـ (١١٥٧ م) . وبها ولد أسامة بن معقل الشاعر ، صاحب كتاب الاعتبار ، في اليوم السابع والعشرين من شهر جمادى الثانية سنة ٤٨٨ هـ (٤ يولي ١٠٩٥ م) ، أي قبل ابتداء الحروب الصليبية بضع سنين . وقد غلب أسامة في تلك الحروب ووضعه ، وكما به الاعتبار المذكور ثبت للكرات ملحة خافية عنها ، وقد وصف فيها ابن معقل تجاربه وأعماله . هذا وملاحظاته عن عادات الفرنج وأز ياتهم زمن الحروب الصليبية فريدة في بابها . (Hitti : Usamah Ibn Munqidh) وقد اتى ملك المناطة لقلعة شيزر سنة ٥٥٢ هـ ، بوفاة آخر أمرائها تاج الدولة ناصر الدين محمد ، من جراء زوال عنيف حاق بشيزر ، حتى فيه معظم أهل به ، أيضا . وفي نفس العام استولت الإسماعيلية على شيزر ، ثم أخذها منهم =

بصرى^(١١) . وانضم إليهم عز الدين جريدك النورى نائب القدس . فلما وصلوا تل العجول^(١٢) ، أخلع [الأفضل] على جميع الأسدية ، وعلى الأكراد الأفضلية ، وأعطاهم الكوسات^(١٣) . وسار الأفضل إلى القدس ، وتسلمه من جريدك ، وأعطاه بيسان وكوكب والجولان^(١٤) والمنيحة^(١٥) . ثم سار المسكر حتى نزل على بلبس ، وبها جموع الصلاحية والعززية ، ومقدمهم نحر الدين جهار كرس على الصلاحية ، والأمير هكدي بن يعلى الحميدى على طائفة الأكراد ، فتألمهم العادل والأفضل .

وكانت أيام زيادة ماء النيل ، والأسعار غالية والعلف متعذر . فبلغ العسكر الواصل الجهد ، وندم أكابرهم على ما كان منهم . وهذا والعززية أهل بلبس بالمراكب المشحونة بالرجال والعدد . فبلغ ذلك الأسدية ، فركبوا إلى المراكب ، وأخذوا بعضها وغرقوا بعضها . وأمروا خلقاً ، وسلم ثمانية مراكب عادت إلى القاهرة . واشتد الحصار على بلبس حتى كادت تؤخذ ، وضاق العززية بالقاهرة ، وقلت الأموال عنده . وكان محبباً إلى الرعية ، لما فيه من حسن السيرة ، وكثرة الكرم والرفق . فلما نازل العادل والأفضل (٣٤ ب) بلبس احتاج إلى استخدام الرجال ، فلم يجد عنده مالا ، فبذل له الأغنياء جملة أموال ، فلم يقبلها .

= السلطان نور الدين محمود بن زكى سنة ٥٦٤ هـ ، وأقام عليها مجد الدين أبابكر بن الداية ، وهو أخوه من الرضاع ، ولهذا سمى بابن الداية . ومات مجد الدين سنة ٥٦٥ هـ ، وخلفه على شيزر أخوه شمس الدين بن عبد الداية ، ثم سابق الدين ميثان المذكور بالمتن . انظر (Enc. Isl. Art. Shaizar) ، وكذلك أباشامة : كتاب الروضتين ، ص ٩٥ ، ١٤٩ — ١٥٠ ، في Rec. Hist. Or. IV ، وابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج ١١ ، ص ٢٢٠ .

(١) راجع (Lane-Poole: Saladin. Table II, in pocket) . (٢) جهة بين عكا والمائدة (ابن شداد : النوادر السلطانية والمسائل السياسية ، ص ١٥٣ ، حاشية ٤١ ، في Rec. Hist. Or. III) .

(٣) الكوسات من رسوم السلطات وآلاته ، "وهي صنوجات من نحاس شبه الترس الصنبر ، يدق بأحدها على الآخر بإيقاع مخصوص" ، ويؤتى ذلك الكوسى . (الفتوحى : صبح الأضنى ، ج ٤ ، ص ١٣٤٩) . أما إعطاء الكوسات لمولانا الأمراء ، بسد خلق الأفضل عليهم ، فالراجح أن معناه أنه منع كلامهم رتبة أمير طليعانه ، فيصبح من حق الواحد منهم أن يكون له طليعانه خاصة تدق كوساتها على يابه . (انظر خليل بن شاهين : زبدة كشف الممالك ، ص ١١٣ ؛ وأيضاً Quatremère : Maml. II. pp. 147) . (٤) بنير ضبط فى س ، وهى غربة — وقيل جبل — من نواحي دمشق ، ثم من عمال الأردن . (ياقوت : معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ١٥٩) . (٥) بنير ضبط فى س ، وهى غربة من قرى دمشق بالنوطة . (ياقوت : معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ٦٧٣) .

وكان القاضي الفاضل قد تنزه عن ملابسة الدولة ومخالطة أهلها، واعتزل لما رأى من اختلال الأحوال .

- وكان عبد الكريم بن علي البيهقي يتولى الحكم والإشراف في البعيرة مدة طويلة، فحصل من ذلك مالا جماً . ثم حدث بينه وبين أخيه القاضي الفاضل مشاجرة اقتضت انفضاح حاله عند الناس بعد احترامهم إياه، فصرف عن عمله . وكان متروكاً بامرأة موسرة من بني ميسر^(١)، فسكن بها في نجر الإسكندرية، وأساء عشرتها، لسوء خلق كان فيه . فسار أبوها إلى الإسكندرية، وأثبتت عند قاضيا ضرابته . فضى القاضي بنفسه إلى الدار، فلم يقدر على فتح الباب الذي من داخله المرأة . فامر بنقب الدار، وأخرج المرأة وسلمها لأبيها، وأعاد بناء النقب . فغضب عبد الكريم وسار إلى القاهرة، وبذل للأمير نجر الدين جهاركس خمسة آلاف دينار مصرية، ووعد خزانة الملك العزيز بأربعين ألف دينار على ولاية قضاء الإسكندرية؛ وحمل ذلك بأجمعه إلى نجر الدين جهاركس . فاحضر جهاركس إلى العزيز، وهو حينئذ في غاية الضرورة إلى المال، وقال : "هذه خزانة مال قد آتيتك بها من غير طلب ولا تمب"، وعرفه النجر . فاطرق [العزيز] ملياً، ثم رفع رأسه وقال : "أعد المال إلى صاحبه، وقل له إياك والعود إلى مثله، فما كل ملك يكون عادلاً، وعرفه أني إذا قبلت هذا منه أكون قد بعث به أهل الإسكندرية، وهذا لا أفعله أبداً" . فلما سمع هذا جهاركس وجم، وظهر في وجهه التغير . فقال له العزيز : "أراك واجماً، أظنك أخذت على الوساطة شيئاً" . قال : "نعم ! خمسة آلاف دينار" . فاطرق العزيز، ثم قال : "أعطاك مالا تتفجع به، وأنا أعطيك في قبالة

(١) اختصاص وظيفة الإشراف المقصود هنا مراقبة الأمور المالية عامة في جهة معينة، من قبل سلطان أو أمير، ويسمى توليها المشرف . (والفلقشنى : صبح الأعشى، ج ٤، ص ٢٥٠، ٢٧٠، ٢٨٠، ٢٩٠، ٣٠٠، ٣١٠، ٣٢٠، ٣٣٠، ٣٤٠، ٣٥٠، ٣٦٠، ٣٧٠، ٣٨٠، ٣٩٠، ٤٠٠، ٤١٠، ٤٢٠، ٤٣٠، ٤٤٠، ٤٥٠، ٤٦٠، ٤٧٠، ٤٨٠، ٤٩٠، ٥٠٠، ٥١٠، ٥٢٠، ٥٣٠، ٥٤٠، ٥٥٠، ٥٦٠، ٥٧٠، ٥٨٠، ٥٩٠، ٦٠٠، ٦١٠، ٦٢٠، ٦٣٠، ٦٤٠، ٦٥٠، ٦٦٠، ٦٧٠، ٦٨٠، ٦٩٠، ٧٠٠، ٧١٠، ٧٢٠، ٧٣٠، ٧٤٠، ٧٥٠، ٧٦٠، ٧٧٠، ٧٨٠، ٧٩٠، ٨٠٠، ٨١٠، ٨٢٠، ٨٣٠، ٨٤٠، ٨٥٠، ٨٦٠، ٨٧٠، ٨٨٠، ٨٩٠، ٩٠٠، ٩١٠، ٩٢٠، ٩٣٠، ٩٤٠، ٩٥٠، ٩٦٠، ٩٧٠، ٩٨٠، ٩٩٠، ١٠٠٠) . انظر أيضاً (Dozy : Suppl. Diet. Ar. & Blochet : Op. cit. p. 233. N. I.) . وبالفلقشنى (قس المرجع، ج ٥، ص ٤٠٤) وظيفة أخرى، يسمى صاحبها المشرف أيضاً، وإنما عمله الإشراف على المطبخ السلطاني، ومراقبة الألبسة به .

(٢) لها صلة البيت الذي منه ابن ميسر، صاحب كتاب تاريخ مصر، الذي نشره (Henri Massé) . انظر فهرس الكتب العربية بدار الكتب الملكية المصرية، ج ٥٥، ص ١٧ .

ما تنتفع به مرات عديدة“ ، ثم وقع له بخطه إطلاق جهة طنبجة^(١) ، ومقلها في السنة سبعة آلاف دينار . فلامه أصحابه ، وألحوا عليه في الاقتراض من القاضي الفاضل ، فاستدعاه إلى مجلسه ، بمنظرة من دار الوزارة كانت تشرف على الطريق . فنجد ما عين القاضي الفاضل استعجابه منه ، ومضى إلى دار الحرم ، احتراماً له من مخاطبته في القرض . فلم يزل الأمراء به حتى أخرجوه من (١٢٥) عند الحرم . فلما اجتمع بالفاضل قال له ، بعد أن أطنب في الشاء عليه : “قد علمت أن الأمور قد ضاقت على” ، وقلت الأموال عندى ، وليس لى إلا حسن نظرك ، وإصلاح الأمر إما بمالك أو برأيك أو بنفسك“ . فقال [القاضي الفاضل] : “جميع ما أنا فيه من نعمتك ، ونحن نقدم أولاً الرأى والحيلة ، ومتى احتيج إلى المال فهو فى يدك“ .

١٠ وانفق أن العادل — لما اشتد على أصحابه الغلاء والضيق — استدعى القاضي الفاضل برسول قدم منه على العزيز، فسيره إليه . وقد قيل إن العزيز لما جرى على المراكب التي جهزها إلى بلبيس ما جرى ، خاف على الملك أن يخرج من يده ، فسير إلى عمه في السر يعرفه أنه قد أخطأ ، وأنه قد عزم على الخلق ببلاد المغرب ، ويسأله الاحتفاظ بحرمه وأولاده . ففرق له العادل ، وأمدعى [القاضي] الفاضل . فلما قرب منه ركب إلى لقائه وأكرمه ، وما زال حتى تقرر الأمر على أن الأسدية والأكراد يرجعون إلى خدمة العزيز ، من غير أن يؤاخذهم بشيء ، ويرد عليهم إقطاعاتهم ، ويحلف العزيز لهم ويخلفون له ؛ وأن يكون العادل مقبلاً بمصر عند العزيز ، ليقترز قواعد ملكه ؛ وأن العزيز والأفضل يصطلمان ، ويستقر كل منهما على ما بيده . فساد [القاضي] الفاضل ، وقد تقترز الأمر على ما ذكر ، وحلف كل منهم لصاحبه على الوفاء .

٢٠ وخرج العزيز من القاهرة إلى بلبيس ، فالتقاء عمه العادل وأخوه الأفضل ، ووقع الصلح التام في الظاهر . ورحل الأفضل يريد الشام ، ومعه الأمير أبو الهيثم السمين ،

(١) فى س طنبجى . (٢) فى س بالقائل قط .

- وصار الساحل جميعه مع الأفضل . وعاد العزيز إلى القاهرة ، وصحبته عمه العادل ،
فأثله في القصر من القاهرة . وأخذ [العادل] في إصلاح أمور مصر ، والنظر في ضياعها
ورباعها ، وأظهر من محبة العزيز شيئاً زائداً ، وصار إليه الأمر والنهى ، والحكم والتصرف ،
في سائر أمور الدولة ، جليها وحقيها . وصُرف القاضي محي الدين محمد بن أبي عصرون عن
قضاء مصر ، ووُيِّىَ ^(١) أبو الحسن على بن يوسف بن عبد الله بن بندار ^(٢) دمشق .

- وفيها جدد العزيز الصلح بينه وبين الفرنج . وفيها ورد كتاب ملك الروم ، ^(٣) يتضمن أن كلمة
الروم اجتمعت عليه ، وأنه أحسن إلى المسلمين وأحرم بإقامة الجامع ، فأقيمت الصلاة فيه
يوم الجمعة الصلاة مع الخطبة ، و[أنه] عمر جانباً منه كان انهدم من ماله ، فتمكن من
في القسطنطينية من المسلمين من إقامة الجمعة والجماعة بها . والتس [ملك الروم] الوصية بالبطرك
والنصارى ، وأن يُمكنوا من إخراج موانعهم بالشمع الموقد ، وإظهار شعائهم بكنائسهم ، وأن
يُفْرَجَ عن أسارى الروم بمصر . وفيها عزل زين الدين على بن يوسف [بن بندار] عن القضاء ،
في حادى عشر جمادى الأولى ، بمحيي الدين أبي حامد محمد بن عبد الله بن هبة الله بن عصرون .



- [سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة] . وأهلت سنة اثنتين وتسعين ، ففى أولها وصل الملك
الأفضل إلى دمشق ، وتفرقت السراكر إلى بلادها . ولزم الأفضل الزهد ، وأقبل على العبادة ،
وصارت أمور الدولة بأسرها مفوضة إلى وزيره ضياء الدين ابن الأثير ، فاختلفت به الأحوال
غاية الاختلال ، وكثر شاكوه . وضبط العادلُ أمور مملكة مصر ، وغير الإقطاعات ، ووفر
الإرتفاعات وعمال (٣٥ ب) الأعمال ، وغمَّر الأموال ، وقرب إلى العزيز الأمير عز الدين أسامة ^(٤) ،
فصار صاحب سره وحاجبه ، والواسطة بينه وبين عمه . واختص الأمير صارم الدين قايمعاز
التجعى بالعادل ، وصار صفوته .

(١) فى س ابى . (٢) مضبوط على سمية فى باغوت (معجم البلدان ، ج ٦ ، فهرس الأعلام ،
ص ٣٥٢) ، وكذلك ضبط فى القاموس المحيط لغيروز ابادى . (٣) داب الأميراطور إسحاق الثانى على محافة
المسلمين حتى أكر حكمه سنة ١١٩٥ م . (انظر ص ١٢٥ ، حاشية ١) . (٤) فى س ساه .

[وفي] يوم السبت ثاني عشر [المحرم] ^(١١) رفعت يد ابن أبي عصرون وأبدى نوابه من الحكم، وإصر أن يستقل في بيته، وأن يخرج عن مصر؛ فأغلق بابه، وشرع في تجهيز نفسه، وتوسل في إقامته. وفي سابع عشره خلع على زين الدين علي بن يوسف [بن بندار]، وأعيد إلى القضاء، عوضاً عن ابن أبي عصرون.

وفي أول صفر حبس الملك العزيز ناحية الحسبة من المنوفية على زاوية الإمام الشافعي بالجوامع المتبق بمصر، وفوض تدريسها إلى البهاء بن الجيزي.

وفي صفر وشهر ربيع [الأول] كثرت الطرقي من الأموات على الطرقات، وزادت عدتهم بمصر والقاهرة في كل يوم عن مائتي نفس؛ وبقي بمصر من لم يوجد من يكفنه، وأكثرهم يموت جوعاً. وانهى القمح إلى مائة وثمانين ديناراً المائة أردب، وانهب إلى ثلاثة أرباط بدرهم. وعمد الضعفاء إلى شراء الحار، وغدوا إلى البحر وترددوا إليه، ليستقوا منه في الحار، ويبيعوها بثلث درهم الجرة. وقد لا يجدون من يشتريها منهم، فيصيحون: "من يتصدق علينا بثلث هذه الجرة، ومن يشتريها منا بكسرة؟". وزاد السعر، وضاق الخناق، وهلك الضعفاء، وفشا الموت، وأكثره في الجباع. وصارت الأقفاس التي يحمل فيها الطعام يحمل فيها الأموات، ولا يقدر على النجوش إلا بالنوبة. وامتدت الأيدي إلى خطف ألواح الخبز، — ويضرب من ينهب، وتُسج رأسه، ويسال دمه، ولا ينتهي ولا يرى ما في يده مما خطفه. وعدم القمح إلا من جهة الشريف ابن ثعلب، ^(١٢) فإن مراكبه تتواصل وتبيع بشونه ^(١٣).

(١) في ص ٨٠. (٢) في ص تجهيزه. (٣) بغير ضبط في ص، واسمها أيضاً العامرة. (P. Omar Toussoun : Op. cit. T. I. 2. p. 267.)

(٤) كان ابن ثعلب من أغنياء الصعيد، وكان محل إقامته غالباً بلدة دروت (ديروط ؟) قرب رام بالصعيد، وهي قرية كثيرة البساتين والفل، أنشأ فيها الشريف المذكور جامعا على فريضة المتى، وهي بحري يوسف الحالي. (بافوت : معجم البلدان، ج ٢، ص ٥٧٠) - انظر أيضاً المقرئ : المواقف والاعتبار، ج ١، ص ٧١، ٢٠٥، و (P. Omar Toussoun: Anc. Branches Du Nil. P. 71). (٥) العبارة الآتية الواردة في ورقة مفصلة بين الصفتين ٣٥ ب، ٣٦ أ، وليست لها علاقة بالحق، وقد أوردت هنا لوقعها =

(١) وورد الخبر في تاسع صفر بأن تابوت الملك الناصر صلاح الدين نُقل في يوم عاشوراء ، من قلعة دمشق إلى تربة عملت له ، فكان يوما مشهودا . وفي تاسع عشره قدم الملك الزاهر (٢) داود [مجير الدين] صاحب البيرة ، وسابق الدين عثمان صاحب شيز ، وبهاء الدين بن شداد قاضي حلب ، فخرج المادل لتلقيهم ببركة الحب ، وقدم العماد الكاتب [أيضا] .

- وورد الخبر بأن عربان الغرب هبطوا إلى البحيرة ، واشتروا القمح كل وَيْسَة بدينار ، وأن بلاد الغرب قد صدمت فيها الأموات في السنة الخالية ، واقطعت عنها الأمطار السنة الحاضرة . وزاد الجراد بالشام ، وعظم خطبه . وكثرت بمصر والقاهرة الأمراض الحادة والحُميات المحرقة ، وزادت وأفرطت . وغلت الأشرية والسكر وعقاقير المطار ، وبيعت بطيخة بأربعة وعشرين درهما . وصار الفروج لا يقدر عليه ، و انتهى سعر القمح إلى مائتي دينار كل مائة أردب . وظلّ الأمر في الغلاء ، وعدم القوت ، وكثرت السُّؤال ، وكثرت الموتى بالجوع .

== بقالة الكلام السابق . نصها : "قال القاضي الفاضل في مبادياته : وفي يوم الإثنين السادس والعشرين من صفر ، يئى ستة اثنين وقسمين ونحسائة ، ورد خير من عدة ألسنة ، وتضمنت كتب ، واستفجده كل سامع ، وبجه كل فهم ، فذكرناه بغير الشراء (كذا) . وهو أنه حضر إلى ديوان الخليفة ينفذاجاعة من هجاج خراسان ، وأخبروا بتراطى الأخبار على ألسنة السفار ، بأن مولود ولد في بشار ، كما يولد غيره من البشر ، وأنه ساعه وقوعه على الأرض رباً ونموا خارفا للعادة . وبعد ثلاثة أيام من ولادته تكلم بكلام محصل ، وخاطب كل قوم بلغتهم مدة ثلاثة أيام أخرى . وقال لمسائل من كلامه قبل أوانه ، وقيل إنه ما تكلم في المهد إلا عيسى المسيح ، فقال لى أسرة به ، ولا تسجيروا منى ولا من خلق ، فأثنى الذى يبعى . يندى ملك الدنيا وأقاليمها السبعة . وهذا آخر ما سمع منه ، ثم سكت . واستمر نومه لى ثلاث سنين ، وبعث على حاله وصورته ، وهى صورة جميلة مرضية ، لا تقابله عين إلا ارتدت عنه ، وقد ستر وجهه عن العيون . وشعره أبيض كأنه شريط القنصة ، ولا يحمله رجل ولا نخل . وقيل له وقت كلامه : ما مراكوك بك ؟ ، فقال يخلق الله دابة تخلقى . وبأ كل لحوم الخليل والغنم ذبيحة ، ولا يحل ميتة ، وشرب لبن الخليل ، وإذا قصد كان قاعدة فى طول الرجل الطويل " . هذا ولعل مباديات القاضي الفاضل هى المسماة بالمجديدات فى (Enc. Isl. Art. Al-Kādi al-Fāḍil) .

(١ و ٣) هذه العبارة الواردة بين الرقن فى المتن موجودة بهامش الصفحة فى س ، غير أن المؤلف لم يشركامادة إلى المرض المناسب لما يقطن ، على أنها واردة على هذا الترتيب فى ب (١٤٢) . (٢) آخر أرلاد صلاح الدين ، حسب جاء فى (Lane Poole : Saladin. Table II. in pocket) . ومولده سنة ٥٧٤ هـ . انظر أيضا أباشامة (كتاب الروضتين ، ص ١٠٦ ، فى (Rec. Hist. Ar. V. (٣) انظر حاشية ٣

وخطف الخبز متى ظهر، وشوهد من يستف التراب، ومن يأكل الزيل. وازدحم الناس على الطير الذي يرمى من مطابخ السكر. وكثرت الأموات أيضا بالإسكندرية، وتزايد وجود الطرحي بها على الطرقات. وعدمت المواساة، وعظم هلاك الأغنياء والفقراء وانكشاف الأحوال. وشوهد من يبحث المزابل القديمة على قشور الترمس، وعلى نقاضات الموائد وكساعات الأدر^(٢)، ومن يقفل بابه ويموت، ومن عى من الجوع (١٣٦) ويقف على الحوانيت ويقول: "أشئوني رائحة الخبز".

واستخدم رجل في ديوان الزكاة، وكتب خطه بمبلغ اثنين وخمسين ألف دينار، لسنة واحدة من مال الزكاة. وجعل الطواشي [بهاء الدين] قراقوش الشاذ في هذا المال، وألا يتصرف فيه، وأن يكون في صندوق مودعا للهبات التي يؤمر بها. ووقع لابن ثعلب [الشريف] الجعفري بخبز مبلغه في السنة ستون ألف دينار، ودفع له كوس^(٣) وعلم. وآل الأمر إلى وقوف وظيفة الدار المزينة [عليه] من لحم وخبز، وإلى أن يتمحل في بعض الأوقات لاكلها، لبعض ما يتبلغ به [أهلها] من خبز، وكثر عجيجهم وشكواهم، فلم يسمع.

وفي شهر ربيع الآخر صُرف صادم الدين خطيج الغزي عن شد الأموال بالدواوين، وسلم الشد إلى بهاء الدين قراقوش^(٤)، مضافا إلى شد الزكوات، فكل شد المال له. وفيه كثر الموت، بحيث لم تبق دار إلا وفيها جنازة أو مناعة أو مريض. واشتد الأمر، وغلت العقاقير، وعلم الطبيب، وصار من الأطباء لا يُخلص إليه من شدة الزحام. وصار أمر الموتى أكثر أشغال الأحياء، وما ينقضي يوم إلا عن عدة جنازات من كل حارة. وعدم من يحفر، وإذا وجد لم يعق الحفر، فلا يلبث الميت أن تظهر له رائحة. وصارت الجبانات لا يستطاع مقابقتها، ولا زيارة قبورها. وأخذت الأسعار في الانحلال.

(١) في س عدم - (٢) في س الادبر ضبط، وهو بالجمع دار. (القاموس المحيط لقيروا بادي).
(٣) في س يقول لباه. (٤) في س قراغش. (٥) في س حجر. (٦) انظر ص ١٢٦،
حاشية ٣.

(٧) أمثف ما بين الأقواس بد مراجعة (Blochet : Op. cit. P. 239) - (٨) في س قراغش.

وفي جمادى الأولى تواترت الأخبار باختلال الحال بدمشق ، فوقع العزم على المسير إلى الشام . ووقع الشروع في الإتفاق في الحاشية ، فقبضوا شهراً واحداً . وكان قد استحق لهم أربعة عشر شهراً ، فإن المادة قصرت عن نفقة ذلك لهم ، فأحيل بعضهم على جهات . وامتنع الجاندارية من قبض شهر ، وأنهى ذلك إلى العزيز ، فكتب إلى خطلبا بإخراجهم إلى الخيم ، ومن تقاعد عن الخروج قيده الطواشي قراقوش^(١) ، واستخدمه في السور . فخرجوا بأنفس غير طيبة ، وألسنة بالشكوى معلنة . وكان المال الذي أُتفق في الحاشية قد اقترض من الأمراء ، وأحيل به على الجوالى لسنة ثلاث وتسعين . وخرج العزيز إلى الخيم ، وحرك الأمراء تحريكاً قوياً ، وسير المجناب^(٢) إلى البلاد تحت الأجناد ، فتابع خروج الناس . ووقع الرحيل من بركة (٣٦ ب) الحب في ثامنه ، فرحل السلطان العادل والعزيز ، وجميع الأسدية والماليك .

- ١٠ وفشت الأمراض الحادة ، فما ينقضى وقت إلا عن عدد كثير من الجنائز . وغلت الأدوية ، وبلغ الفروج إلى ثلاثين درهماً ، والبطيخة إلى مائة درهم . وورد الخبر بأن قوص وأعمالها فيها أمراض فاشية ، وأموات لا تتلاحق . وكثر الوباء والموت بالإسكندرية . وفي آخره انحلت الأسعار ، وتزلت القسلة إلى ثمانين ديناراً كل مائة أردب ، وأبيع الخبز سبعة أرتال بدرهم . وقل السؤال ، وارتفع الموتان ، بعد أن جلب من قوص فراريج أبيع كل

(١) الجاندارية فئة من ماليك السلطان أو الأمير ، ومنها الخاصكية . وهي مركبة من قططين فارسين أحدهما جان ومناه سلاح ، والثاني دارومناه مسك . أما الجدار بالميم فوطف أثر ، وهو " الذي يصدى لإلباس السلطان أو الأمير ثيابه ، وأصله جاما دار ... من قططين فارسين ، أحدهما جاما ومناه الثوب ، والثاني دارومناه مسك " . (القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ٥٩) . هذا وموضوع وظيفة أمير جاندار السلطان " أن صاحبها يستأذن على دخول الأمراء للخدمة ، ويدخل أمامهم إلى الديوان ... " (نفس المراجع ، ج ٤ ، ص ٢) . انظر أيضاً (Enc. Isl. Art. İjāndār) ، وما هناك من المراجع .

(٢) في س قراقوش . (٣) مذكر وظيفة الخاجب أكثر من مرة ، غير أنه أرجو . شرحها إلى هنا ، وعمل صاحبها أن " ينصف بين الأمراء والجند تارة بنفسه ، وتارة بمراجعة النائب إن كان ، وإليه تقديم من يعرض وعن يرد ، وعرض الجند وما ناسب ذلك ... " (القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ٤ ، ص ١٩) . انظر أيضاً (Enc. Isl. Art. Hājib) ، وما يليها من المراجع .

عشرة فراربح بسبعة دنائير ، وهذا لم يسمع بمثله في مصر قبل ذلك . وفيه نودى في القاهرة ومصر بأن الشريف ابن تغلب مقدم على الحاج ، فليجهز أرباب الثياب .

وفي جمادى الآخرة وقف الحلال فيما ينفق في دار السلطان ، وفيما يصرف إلى عياله ، وفيما يقتات به أولاده . وأفضى الأمر إلى أن يؤخذ من الأسواق مالا يؤزن له ثمن ، وما يُغصب من أربابه . وأفضى هذا إلى غلاء أسعار المأكولات ، فإن المتعيشين من أرباب الدكاكين يزبدون في الأسعار العامة بقدر ما يؤخذ منهم السلطان . فاقضى ذلك النظر في المكاسب الخبيثة : وُحِّن باب المزور والخمر بائى عشر ألف دينار ، وُفِّسح في إظهاره وبيعه في القاعات والحوانيت ؛ ولم يقدر أحد على إنكار ذلك . وصار ما يؤخذ من هذا السحت ينفق في طعام السلطان وما يحتاج إليه ، وصار مال الثغور والجوالى إلى من لا يبالي من أين أخذ المال .

وفيهِ وصل العادل والعزير إلى الداروم ، وأمر بانحراق حصنها ، فُتِّم على الأمراء والجاندارية؛ فشق على الناس تخريبه ، لما كان به من الرق للساقرين . وانتهى المكان إلى دمشق — وقد استعد الأفضل للحرب في أول شهر رجب — فغاصرها إلى أن ملكها في العشرين منه ، بعد عدة حروب ، خان الأفضل فيها أمراؤه . فلما أخذ المدينة نزل الأفضل من القلعة إليهما ، فاستحيا العادل منه ، لأنه [هو] الذى حمل العزير على ذلك ، ليوطى لنفسه ، كما يأتى . وأمره [العادل] أن يعود إلى القلعة ، فلم يزل بها أربعة أيام ، حتى بعث إليه العزير أيبك طُطيس أمير جندار ، وصارم الدين خطاطج الأستاذار ، فأخرجاه وأخرجاه (١٣٧) عياله وعيال أبيه . وأُتِزل [الأفضل] في مكان ، وأوفى ما كان عليه من دين ، وما للهواشى من الجوامك . فبلغ ذلك نيفا وعشرين ألف دينار ، بيع فيها بركه وجماله وبغاله ، وكتبه ومالكيه وسائر

(١) في س مندا . (٢) راجع تفصيلات تلك الخلية في ابن الأثير (الكامل في التاريخ ، ج ١٢ ، ص ٨٠) . (٣) انظر نفس المرجع والجزء والصفاة المذكورة بالخاصة السابقة . (٤) مشروط على مطلوبه في (Blochet : Op. cit. P. 241) (٥) في س أبيه ، وإذا صح هذا فقد اشترك العزير في إخراج أخوته ، والراجح أنهم من أم أخرى . (٦) البرك المنافع الخاص من ثياب وقاش ، وفي (Quatremère : Maml. I. I. p. 253) لغة عديدة لاستعمال هذا اللفظ ، منها "أخذ ما تخطف ... من مال ودواب وبرك" . انظر أيضا (Dozy : Supp. Dict. Ar.)

ماله ، فلم توف بما عليه ، وقسا عليه أخوه وعمه لسوء حفظه . ثم بعث إليه عمه العادل يأمره أن يسير إلى صرخد ، فلم يجد عنده من يسير بأهله ، حتى بعث إليه جمال الدين محاسن عشرة أوصوله إلى صرخد . وأخذت من الملك الطافر مظفر الدين خضر بصرى ، وأعطيت للـك العادل ، وأمر [الطافر] أن يسير إلى حلب ، فلحق بأخيه الطاهر [صاحبها] .

- و يقال إن العادل كان قد قرر مع الملك العزيز - وهو بالقاهرة - أن الملك العزيز إذا غلب أخاه الأفضل على دمشق وأخذها منه أن يقيم بها ، ويعود العادل إلى مصر نائباً عن العزيز . فلما ملك العزيز دمشق ، وأخرج أخاه الأفضل منها ، انكشفت له مستورات مكائده . فندم على ما قرره معه ، وبعث إلى أخيه الأفضل سرا يعتذر إليه ، ويقول له : " لا تنزل عن ملك دمشق " . فظن الأفضل هذا من أخيه خديعة ، وأعلم عمه العادل به ، فقامت قيامته ، وعتب [على] العزيز وأنبه . فأنكر [العزيز] أن يكون صدر هذا منه ، وحنق على أخيه الأفضل ، وأخرجه إلى صرخد على أقيع صورة . واخفى الوزير ضياء الدين [ابن الأثير] الجزرى خوفاً من القتل ، ثم لحق بالموصل .

- واستقر الأمر بدمشق للعزيز في رابع عشر شعبان : فأظهر العدل ، وأبطل عدّة مكوس ، ومنع من استخدام أهل الذمة في شيء من الخدم السلطانية ، وألزموا لبس الغيار . ثم رحل عنها ليلة التاسع منه يريد القاهرة ، واستخلف عمه [العادل] على دمشق ، وسار إلى القدس ،

(١) في س واخذ .

(٢) لابن الأثير (الكامل في التاريخ ، ج ١٢ ، ص ٨٠) رواية أخرى في هذا الصدد ، ونصها : " ... مجلس [العزيز] يوماً في مجلس شرايه ، فلما أخذت منه الخمر ، جرى على لسانه أنه يعيد البلد إلى الأفضل . فقل ذلك إلى العادل في وقته ، فغصرا المجلس في ساعته ، والعزيز سكران . فلم يزل به حتى سلم البلد إليه ، وخرج منه ، وعاد إلى مصر . وسار الأفضل إلى صرخد . وكان العادل يذكر أن الأفضل سعى في قتله ، فلهذا أخذ البلد منه ، وكان الأفضل ينكر ذلك ويثير أمته ، والله يحكم بينهم يوم القيامة فيا كانوا فيه يخفون " . (٣) في س الجبرى بشير ضبط ، والنسبة إلى بلدة جزيرة ابن عمر ، على القنات ، وهي موطن آل الأثير . (Enc. Isl. Art. Bu al-Athir) . (٤ و ٥) العبارة التي بين القوسين واردة في س ، ب (٤٥) ، غير أنها لا توجد في ترجمة (Blochet) Op. cit. P. 242 أما الغيار فهو اللبس الذي يميز به أهل الذمة عن المسلمين في القرون الوسطى ، ومثله الزنار . (عبط المحيط ، و (Dozy : Supp. Dict. Ar.)

فلحها من أبي الهيجاء [السمين]، وسلبها إلى الأمير شمس الدين مستقر الكبير، وسار أبو الهيجاء إلى بغداد.

ووصل العزيز إلى القاهرة يوم الخميس رابع شهر رمضان، فصارت دمشق وأعمالها إقطاعاً للملك العادل، وليس للعزيز بها سوى الخطبة والسكة فقط. وفي ثامن عشره ركب العزيز إلى مقياس مصر وخلفه، ونودي فيه بزيادة ثلاثة أصابع من الذراع السابعة عشرة. وفي العشرين منه نُقِصَ سد الخليج، فركب العزيز لذلك؛ وكثر المتفرجون وأزدحم الفوجاء، وحلوا المعنى وتراجوا بالجماعة، وقُلت أعين، وخُطفت مناديل. وكانت (٣٧ ب) العادة جارية بأن يقر شهر رمضان من اعتصار الخمر، ولا يجهز بشراء العنب والجرار، ولا يحث نفسه أحد بفسخ الحرمة وهتك الستر. وفي هذا الشهر غلا سعر الأعناب لكثرة المعصر منها، وتظاهر به أربابه لتحكيز تضمينه السلطاني، واستيفاء رسمه بأيدي مستخدميه. وبلغ ضمانه سبعة عشر ألف دينار، وحصل منه شيء حمل إلى العزيز فصنع به آلات الشرب. وفيه كثر اجتماع النساء والرجال على الخليج - لما فتح -، وعلى ساحل مصر، وتلوث النيل بمصاصي قبيحة. واستقر جلوس العزيز للظالم في يوم الإثنين والخميس.

وفي ثاني شوال كان النوروز^(٤)، بخرى الأرض فيه على العادة من رش الماء،

(١) يقول (Blochet : Op. cit. p. 235. N. I.)، قلا عن كتاب النجوم الزاهرة لأبي الهامان بن تقي

بردي، إن أبا الهيجاء هذا كان مقرط السن. فلما ذهب إلى بغداد لقت سمه أنظار الخرافين هناك، وصنوا قدورا

تشبه في ضمايتها، وأصمها أبا الهيجاء. وقد رأها أبو الهيجاء في أسواق بغداد، فضحك منها. (٢) في ص

عشر. (٣) في ص وتقليد. (٤) يقول المقرري (المواضع والاختيار، ج ١، ص ٤٩٣

— ٤٩٤) عن النوروز ما نصه: "وكان النوروز القبطي ... من جملة المرامم [بمصر]، تستطلي فيه الأسواق،

ويقلى فيه سعى الناس في الطرقات، وتفرق فيه الكسوة لرجال أهل الدولة وأولادهم ونسبهم ... وقال القاضي

الفاضل في تعليق التشديدات لسنة أربع وثمانين وخمسة، يوم الثلاثاء رابع عشر رجب يوم النوروز القبطي، وهو مستل

توت، وتوت أول سنتهم. وقد كان بمصر في الأيام الماضية والدولة الخالية، يسي دلة الخلفاء الفاطميين، من مواسم

ببلاياهم ... فكانت المنكرات ظاهرة فيه، والفواش صريحة في يومه. ويركب فيه أمير موسوم بأمير النوروز،

ومعه جمع كثير، وينسل على الناس في طلب رسم رتبته على دور الأكابر بالجل الكبار، ... ويقع باليسود

من الهبات. ويجمع المؤنثون والفاشقات تحت قصر الزقوة بحيث يشاهدن الخليفة، وبأيديهم الملاهي. وترتفع ==

واستجد فيه التراجم بالبيض والتصانيع بالأطباع^(١١). وتوالى زيادة النيل، فأنشئ الناس في إظهار المنكرات، ولم ينههم أحد. وفيه وقفت وجوه المال، وانقطعت جباية الديوان بمصر، ولجبل على الجهات بأضعاف ما فيها، وبقيت وجوه قصرت الأيدي عن استخراجها. وانتمى^(١٢) العالمون إلى من حاهم، فلم يحصر صاحب الديوان على ذكر من يحجمهم، فضلا عن أخذ الحق منهم، ورفع يده عن حماية من حاه. وآل الأمر إلى أن صار ما يقام برسم طوارئ الساطن وراتب داره من ضمان الخمر والمزر. وكانت هذه سنة ما تقدمها أنشئ منها، ولا علم أن همه من المهم القاصرة انحطت إلى مثلها.

وفي رابع عشرة نرج الشريف ابن ثعلب سائرا بالحاج، وخيم على سفاية ريدان^(١٣). وكثر

== الأسماء، وكثر بنو الخمر والمزور بها ظاهرا بينهم، وفي الطرقات. ويراى الناس بالماء، وبالماء، والخمر، وبالماء مزوجا بالأفذار. فإن غلط مستور وخرج من داره لقيه من يرشه، ويضرب ثيابه، ويستخف بحمته. فلما أدى نفسه، وإما فضح. ولم يجر (ص ٩٤) الخال في هذا التوروز على هذا، ولكن قد رش الماء في الحارات، وأحيا المنكر في القصور أرباب الحارات. وقال [القاضي الفاضل] في سنة اثنين وتسعين وخمسة: وجرى الأمر في التوروز على العادة من رش الماء، واستجد فيه هذا العام التراجم بالبيض والتصانيع بالأطباع، وانقطع الناس عن التصرف، ومن نظره في الطريق رش بمياه نجسة، وتترقب به. قال مؤلفه (المقرئ) رحمه الله تعالى، إن أول من اتخذ التوروز جشيد، ويقال في اسمه أيضا جشاد، أحد ملوك الفرس الأول، وممناه اليوم الجديد، ولقرس فيه آراء وأعمال على مصطلحهم، غير أنه لا يقع في هذا اليوم، الذي اتخذ القبط في مصر عيداً لهم، بل يقع يوم الاعتدال الربيعي، أي ٢١ مارس من كل سنة. انظر (Blochet : Op. cit. p. 243. N. I.).

(١ و ٢) البشارة التي بين الرقين موجودة في س، ب (ص ١٤٥)، لكنها غير واردة في ترجمة (Blochet : Op. cit. p. 243). (٣) في س أجت. (٤) جمع عامل، وهو من يتولى تنظيم الحسابات الدبرانية وكتاباتها. (الفقشندى : صبح الأعشى : ج ٥، ص ٤٦٦). وكان هذا القبط يطلق في الأصل على أمير العمل أو الجهة، ثم نقله العرف إلى هذا الكاتب، ونحصره به دون غيره. ويسمى المقرئ (الواعظ والاعتبار : ج ١، ص ١٠٥) القاتمين بذلك الوظيفة بالماملين. (٥) حلت هذه التسمية محل لقب "مولى الديوان". (انظر ص ٣ حاشية ٤ وكذلك الفقشندى نفس المرحع والجزء والصفحة المذكورة بالحاشية السابقة : و (G. - Demomhynes. Pref. P. LXXII. N. I.). (٦) جبهة قرب الباسية الحالية بالقاهرة، وقد ذكرها قوت (معجم البلدان ج ٣، ص ١٠٠) أنها بين القاهرة وبلبيس. وكانت في الأصل بيتاً لربدان الصقلي، أحد خدام الخليفة العزيز بالله الفاطمي. (المقرئ : المواظ والاعتبار : ج ٢، ص ١٣٩). وعرفت فيما بعد بالربانية، وعندها انتهز آتريجيوش المالك الجلي سنة ٩٢٢ هـ، أمام الجيش الثاني، بقيادة السلطان سليم الأول، وصارت مصر بيد ذلك ولاية حامية.

القتل بالقاهرة بأيدي السكاري، وأعلن المنكرها، فلم تنسلخ ليلة إلا عن جراح وقتل بين
المعبردين . وكثر ذلك حتى خففت الأمتعة والمآكل من الأسواق، نهراً نادراً وليلاً وأتباً .
واستقرت المظالم للطواشي قراقوش^(١)، يجلس فيها بظاهر الدار السلطانية؛ وحماية الديوان وشدة
الأموال لفخر الدين جهاركس، مع اقتباضه عنها؛ وأستادارية الدار لصارم الدين خطلج .

• وفي تاسع عشره كسر بحر أبي المنجا، وبأشر العزيز كسره . وزاد النيل فيه أصبعا، وهي
الأصبغ الثامنة عشرة^(٢)، من ثمانى عشرة ذراعا؛ وهذا الحد يسمى عند أهل مصر الجبة الكبرى .

وفي ثاني عشره رحل الحاج . وتجدد ما كان قد درس ذكره ونسى حكمة في (١٣٨)
مصر، منذ عهد الخليفة الحافظ لدين الله، من سنة أربعين وخمسة، من الرفاع^(٣) التي كان
القبط يختلفونها، ويتوصلون بها إلى المصادرات، ونحار البيوت، وعمارة الجبوس، وإساءة
السمعة عن سلطان الوقت . فاجمع ابن وهيب وكاتب نصراني وغيرهما على أوراق عملت،
وانتدب الأسعد بن مماتي والشاذ للكتشف والرفع إلى نحر الدين جهاركس .

وفي ذى القعدة كثر وثوب السكاري بمن يلقونه ليلاً، وضربهم إياه بالسكاكين، فلا تخلو
ليلة من قتل أو قتيلين . ولم يؤخذ لأحد بتار، ولا وقع كشف عن مقتول منهم، ولا تمكن
والى القاهرة من متهم . ووجد في الخليج ستة نفر قتل مربرطين، فلم يسأل عنهم، ولا وقع
إنكار لأمرهم .

وفي ذى الحجة عزم العزيز على تقض الأهرام، وتقل حجارتها إلى سور دمياط . فقبل له
إن المؤونة^(٤) تعظم في هدمها، والفائدة تقل من حجرها . فانتقل رأيهم من الهرمين إلى الهرم
الصغير - وهو مبنى بالحجارة الصوان - فشرع في هدمه . وفيه سار العزيز إلى الإسكندرية،
واستخلف بالقاهرة بهاء الدين قراقوش، ونفر الدين جهاركس .

(١) في س قراخس . (٢) في س عشر . (٣) جمع رفة، وهي الرقة ترفع إلى السلطان
لتبليغ خلاصة أو غيرها . (محيط المحيط، ص (Dozy : Supp. Diet. Ar.)) (٤) في س السنة .
(٥) اتدى السلطان العزيز من بابيه صلاح الدين في هدم الأهرام، واستخدام أجهارها في بناء الأسوار . فزأى أم =

وتوفى في هذه السنة القاضي الأشرف أبو المكارم الحسن بن عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الله بن الحباب قاضي الإسكندرية . وولى عوضه الفقيه أبو القاسم شرف الدين عبد الرحمن ابن سلامة في سابع عشرى شوال . ومولد ابن الحباب سنة سبع وثلاثين وخمسمائة، وأقام حاكما بالإسكندرية ثمانيا وعشرين سنة . وكان كريم النفس صحيح المودة، وطالت مدته في الحكم بالإسكندرية، من سنة أربع وستين إلى أن مات بها في ثالث جمادى الآخرة . وفي خامس ذى الحجة مات القاضي الرشيد ...^(١) ابن سناء الملك . قال القاضي الفاضل فيه : "وهم صاحب الذى لا تحلفه الأيام ، ولا يعرف له نظير من الأقوام : أمانة سمينة، وعقيدة ود متينة، ومحاسن ليست بواحدة ، ومساع في نفع المعارف جاهدة . وكان حافظا لكتاب الله، مشتغلا بالعلوم الأدبية، كثير الصدقات، فضعه الله، والأعمال الصالحات، عرفه الله بركاتها" .

١٠

وفيهما حج بالناس الشريف ابن ثعلب . وخرجت المراكب الحربية من مصر، فظفروا ببطس للفريج، وفيها أموال فغنموها . وفيها بنى الأمير نضر الدين جهازكس قيساريته بالقاهرة . وفيها زلزلت مصر. ومات العلم عبد الله بن علي بن عثمان بن يوسف المغزوى، يوم الجمعة حادى عشر جمادى الأولى؛ ومولده في شهر رمضان سنة تسع وأربعين وخمسمائة، [وقد] قرأ على ابن برى، وله شعر .

١٥

= صلاح الدين هدمت بعض أهرام الجيزة، على يد بها الدين عراقوش، وبنيت بأجوارها قلعة الجبل، والصور المحيط بالقاهرة ومصر . وكذلك قلعة الزيزلينا، سور دياط، كما في المتن . غير أن القزويني (المواظ والاعتبار، ج ١، ص ١١٤ و ١٢١) يقول إن العزيز أراد قرض الهرم الصغير لإنتاج ما تحته من كنوز، وأقام عماله على ذلك شهرا، ثم تركوه عن عجز . هذا وليس بالقصص الوارد بالمواظ والاعتبار عن الأهرام إشارة إلى أن العزيز أراد بناء سور دياط من أجوارها . (قس المرجع، ج ١، ص ١١١ - ١٢٢) .

(١) ياض في ص . (٢) يذكر القزويني (المواظ والاعتبار، ج ٢، ص ٨٧) هذه القيسارية، ويقول : "وأيت جماعة من التجار الذين طافوا البلاد يقولون لم ترق شيء من البلاد مثلها، في حسنها وعظمتها، وإحكام بنائها" . [وقد] بنى [نضر الدين] بأعلاها مسجدا كبيرا، وربما سقفا" .

♦ ♦ ♦

[سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة] • ودخلت سنة ثلاث وتسعين، وفيها أقيمت الخطبة للعزیز بحلب، وضربت السكة باسمه، بصلح وقع بين العزیز وبين أخيه الظاهر • [وقد] تولاه القاضي بهاء الدين [أبو المحاسن] بن شداد، وغرس الدين قلعج، قدما من حلب إلى العزیز بالقاهرة بهدايا، فانقصد الصلح بين الأخوين على ذلك. وعادا إلى القاهرة، فخطب للعزیز في شهر ربيع الأول، (٢٨ ب) وضربت السكة باسمه • وفيه تحرك الفرنج على بلاد الإسلام، فخرج العادل من دمشق، وسير جيشا إلى بيروت لهم ربضها •

وفيها مات الملك العزیز ظهر الدين سيف الإسلام طفتكين بن نجم الدين أيوب ملك اليمن في شوال، وقام من بعده بمملكة اليمن ابنه الملك المعز فتح الدين أبو الفداء إسماعيل • وفيها فتح الملك العادل صاحب دمشق ياقا عنوة، وغنم وأسر كثيرا، يقال إنهم سبعة آلاف نفس، ما بين ذكر وأُنثى • وفيها سار [العادل] من ياقا إلى صيداء وبيروت فأخربهما، ونُهبَت بيروت، وقر من كان بها • وبعث [العادل] إلى الملك العزیز يستجده، فسير إليه عسكريا خرج من القاهرة أول شوال، وسار إلى بلبيس • ثم بدا للعزیز [أمر]، فسكر العسكري ولم يسر •

♦ ♦ ♦

[سنة أربع وتسعين وخمسمائة] • ودخلت سنة أربع وتسعين، فانتشر من وصل في البحر من الفرنج ببلاد الساحل، وملكوا قلعة بيروت، وقتلوا عدة من المسلمين

(١) موضع ما بين القوسين ياض في س • واسم القاضي وألقابه: "الإمام العالم بهاء الدين" قاضي قضاء المسلمين، مرضى أمير المؤمنين أبو المحاسن يوسف بن رافع بن نجم المعروف بأبن شداد، قاضي حلب المحروسة". وهو مؤلف كتاب التوارد السلطانية والمحاسن اليوسفية، المذكور بجوامع هذا الجزء. انظر (Rec. Hist. III. P. 3). (٢) في س وضرب • (٣) عبارة المقرئ عن هذه الحوادث مختصرة إلى حد محل، فراجع ابن الأثير (الكامل في التاريخ، ج ١٢، ص ٨٤) •

(٤) يوجد في (Blochet : Op. cit. P. 246. N 1.) ترجمة لثبة من كتاب سير الأبا البطارقة عن وصول تلك المراكب الفرنجية إلى الشام، وحوادث الملك العادل مع بجوشها •

في أطراف بلاد القدس، وأسروا وغنموا شيئا كثيرا. فبعث الملك العادل إلى القاهرة يطلب من العزيز نجدة، فسارت إليه المساكن من مصر، ومن القدس وغيرها. ثم خرج الملك العزيز بنفسه، ومعه سائر عساكر مصر لقتال الفرنج، فزل على الرملة في سادس عشر صفر، وقدم الصلاحية والأسدية، وعليهم الأمير شمس الدين سنقر الدوادار، وسرا سنقر وعلاء الدين شقير، وعدة من الأكراد؛ فلحقوا العادل وهو على بيتين^(١). وسار العزيز في أثرهم، فكانت بينهم وبين الفرنج وقائع شهيرة، آلت إلى رحيل الفرنج إلى صور. وركب العادل والعزيز أقفيتهم. فقتلوا منهم. وترك العزيز المساكن عند العادل، ورجع إلى القاهرة في ثامن جمادى الآخرة، قبل انفصال الحال مع الفرنج، من أجل أن ميمون القصري، وأسامة وسرا سنقر، والجحاف، وابن المشطوب، كانوا قد عزموا على قتله فلما بلغه ذلك رحل إلى القاهرة فخرج الناس إلى لقاءه، وكان يوما مشهودا. ووقعت الهدنة بين العادل وبين الفرنج لمدة ثلاث سنين، وعاد العادل إلى دمشق.

وفي رجب تجدد للعادل والعزيز رأي في تخريب عسقلان، وتغذية جدرانها وهدم بيانيها. فتدب من القدس جماعة لتغليقها وحط أبرجة سورها، فتلقت مدينة لا مثل لها، وفتر لا نظير

(١) الدوادار اسم فارس مركب من قتلين، أحدهما عربي وهو الدواة، والثاني دارومناه بمسك، وصاحب وظيفة الدوادارية هو الذي يحمل دواة السلطان [أو الأمير] أو غيرها، ويتولى أمرها مع ما يلحق ذلك من المهمات، نحو "تليغ الرسائل عن السلطان أو الأمير وإبلاغ عامة الأمور، وتقديم القصص إليه، والمشاورة عن من يحضر إلى الباب الشريف، وتقديم البريد، ...". (الفقششي: صبح الأعشى، ج ٤، ص ١٩، ج ٥، ص ٤٦٢؛ والمقرئى: المواعظ والاعتبار، ج ٢، ص ٢٢٢). انظر أيضا (Enc. Isl. Art. Duwatdār).
(٢) ضبطت هذه الأسماء على متونها في Blochet: Op. cit. P. 247؛ وابن الأثير: الكامل في التاريخ، ص ٨٩، في ١. (Rec. Hist. Or. II).

(٣) بنير ضبط في س، وهي بلدة في جبال بني حامر المطللة على بانياس، بين دمشق وصور. (ياقوت: معجم البلدان ج ١، ص ٨٢٤). (٤) في س سامة، وبقيّة الأسماء مضبوطة عن المرجعين المذكورين بحاشية ٣.
(٥) احتشد المقرئى في حوادث هذه الخوارة على ابن الأثير مع تعديل لطيف. (الكامل في التاريخ، ج ١٢، ص ٨٤).
(٦) في "لملقها وحط أبرجة سورها فلقب مدسه..." وفي محيط المحيط: النلق عند الباقين جربيل في وسط المداك بكرة، نلق المقصود هنا أن المدونين هدموا الأسوار بشتة أغلقتها.

له في الثغور، وعمارة لا تخلف الأيام ما تلف بها، لعجز الملوك عن ممانعة الفريخ بالسلاح، واضطراهم إلى هدم المدن وتغية رسومها.

وفي شعبان ركب قاضي القضاة صدر الدين بن درباس رُقبة الهلال، (١٢٩) وكلف الشهود ما بين شمعتين كل شاهد إلى شمعة. فخرجوا بالشموع، وقد كثر الجمع والسمع، واحتفل الموكب، ونقلت على الشهود الوطأة. وفيه أمر الملك العزيز بمنع البناء في المواضع التي كان الأمراء قد شرعوا في بنائها على النيل، واستولوا فيها على الساحل، فخرج الجاندارية وأزيموا كل من حفر أساسا بدمه، فامتثل الأمر.

وفي شهر رمضان أمر العزيز بقطع أشجار بستان البغدادية تجاه [قصر^(١) القلوة، وجعله ميدانا. وفيه كثرت الظاهر بعصير المنب واستباحة الحرمات، وعدم المنكر لهذا الأمر، فلا المنب حتى بلغ أربعة أرباع بدرهم. وفيه قصر مد النيل، وارتفعت الأسعار، وهدمت الأرزاق من جانب الديوان، وتصدت وجوه المال حتى عم المرتقة الحرمان. واستبيح ما كان محظورا من فتح أبواب التاويلات، وأخذ ما بأيدي الناس بالمصادرات: فأخذ خط شخص يعرف بابن خالد بمبلغ ألف دينار، وصور جماعة [آخرون]، وصار الإغناق في السباط السلطاني في هذه الوجوه.

وفي يوم عيد الفطر أقيمت سنة العيد بظاهر البلد، وحضر العزيز الصلاة والخطبة، وعمّ الأمراء وأرباب المهائم بخلعه، وقدم سباط توسعت المهمة فيه. وفي ثالث عشره وفي النيل ستة عشر ذراعا، فركب العزيز في سادس عشرة لتخليق المقياس، وقبح الخليج في ثامن عشره، وتظاهر الناس في هذه الأيام بالمتكرات من غير منكر. وفي ثالث عشره كان التوروز، فجرى الرسم في لعبه على العادة.

(١) أحد مباني القاطنين، واسمه أيضا منظر القلوة، وموقعه على الخليج بالقرب من القنطرة، ويشرف من شرقيه على البستان الكائن في وسط من غربيه على الخليج والبساتين إلى نهر النيل. ومع أن البستان البغدادي من هذه البساتين، على سبيل الترجيح، فإن القريري لم يذكره في باب بساتين القاهرة (القريري: المواضع والاعتبار، ج ١، ص ٤٦٧، ٤٨٧، ج ٢، ص ٤٢٧).

وفي يوم السبت سابع عشر ذى القعدة قُتل ابن مرزوق بالقاهرة، قتله ابن المنوفى قاضى بليس غيلة، بدار سكنها بالفهادين، وحفر له فيها ودفته، ومملوكا صغيرا معه، وبَطَط فوقه، وجعل عليه شعيرا. فُشِّق ابن المنوفى، بعد ما طيف به على جمل مصر والقاهرة.

وفي هذه السنة توجه العادل من دمشق إلى مدينة ماردين، ونازلها وأخذ ربضها. وفيها خرج الملك الكامل محمد بن العادل من حرّان، وقاتل عسكر الموصلية. وفيها غار الفرنج، ونهبوا وأسروا خلقا، وأتوا إلى عكا. فباد العادل إلى دمشق في رمضان، ثم خرج بعد شهر إلى الشرق يريد ماردين. وفيها اذعى [معز الدين إسماعيل بن سيف الإسلام طغتكين] مَلِكُ اليمن الإلخية نصف نهار، وكتب كتابا وأرّخه من مقر الإلخية، ثم رجع عن ذلك، واذعى الخليفة، وزعم أنه من بنى أمية، ودعا لنفسه في سائر مملكته بالخلافة، وقطع الدعاء من الخطبة لبني العباس، وليس ثيابا خضرا وعمائم خضرا مذهبة. وأكره من كان في مملكته من [أهل] الذمة على الإسلام، وخطب بنفسه، وعزم (٣٩ ب) على قصد مكة، وجهز من بنى له بها دارا، فأسره الشريف أبو عزيز قتادة.



[سنة خمس وتسعين وخمسمائة] • ودخلت سنة خمس وتسعين وخمسمائة، والعادل مضايق مدينة ماردين، والمعز صاحب اليمن قد تجهز يريد مكة، والعزيز صاحب مصر قد سار إلى الاسكندرية، من آخر ذى الحجة. فتصيد [العزّيز] إلى سابع الحزم، وركض خلف ذئب فسقط عن فرسه، ثم ركب وقد حم، فدخل القاهرة يوم عاشوراء فلم يزل لما (١) يقع خط الفهادين بالقاهرة فجا بين الجوارسية والمناخ (كذا). (المقرئى : الواضع والاعتبار، ج ٢، ص ٣٦) •

(٢) في "وفيا اذعى المعز بن العزيز". ويظهر أن المقرئى خلط في هذه التسمية، فليس في ملوك اليمن، حسبما جاء في النقشندى (صبح الأضنى، ج ٥، ص ٣٠). بهذا الاسم، وقد يرجع هذا الخلط إلى أن المعز هذا كان يسمى بالعزّيز إسماعيل. (Lane-Poole : Muh. Dyns. pp. 79, 98). وقد تولى المعز هذا ملك اليمن بعد وفاة أبيه يزيد، سنة ٥٩٣ هـ. (٣) توجد في (Blochet : Op. cit. p. 249. N. 1) عدة روايات من مراجع مختلفة عن سبب موت العزيز.

به حتى مات، منتصف ليلة السابع والعشرين منه، ودفن بجوار قبر الشافعي، رحمة الله عليه. وكان عمره سبعا وعشرين سنة وأشهرًا، ومدة ملكه ست سنين تقص شهرًا وستة أيام. وكان ملكًا كريمًا، عادلًا رحيمًا، حسن الأخلاق شجاعًا، سريع الاقبياد مفرط السخاء. سمع الحديث من الشافعي، وابن عوف، وابن بريق، وحدث. وكانت الرعية تحبه محبة كثيرة، وكان يعطي المشرة آلاف دينار، ويعمل سماطًا عظيمًا يجمع الناس لأكله، فإذا جلسوا للأكل كل كره منهم أكله، ولا يطيب له ذلك، وهذا من غرائب الأخلاق^(١).

وفيها عظمت الفتنة في عسك غياث الدين محمد [بن بهاء الدين سام] ملك الغورية، وسببها أن الإمام نغرا الدين محمد بن عمر الرازي [الفقيه الشافعي المشهور]، كان قد بالغ غياث الدين في إكرامه، وبني له مدرسة بقرب جامع هراة، ومعظم أهلها كرامية. فأجمعوا على منازعته،

(١) يوجد في (Blochet: Op. cit. pp. 250, N. 2) تحليل لطيف لتلك الناحية من خلق العزيز، وهو أنه كان يكره بشرة الأموال العامة في أغراض خاصة. (٢) تجيء الأخبار الواردة هنا تحت هذه السمة متقولة بتصرف لطيف عن ابن الأثير. (الكامل في التاريخ، ج ١٢، ص ٩٩-١٠١) أروع مرجع آخر مصدره ابن الأثير. (٣) انظر ص ٨٠. تقع بلاد النور الجيلة بأفغانستان بين هراة وغزنة، وعاصمتها فيروز كوه. وكانت ملكة إسلامية، سقطة بشؤونها منذ أوائل القرن الخامس الهجري، ثم فتحها محمود الغزنوي سنة ٤١١ هـ، واستمرت تابعة للدولة الغزنوية، وصاهر ملوكها سلاطينهم حتى سنة ٥٣٦ هـ، حين قضى التتر الزكبان على الدولتين الغزنوية والغورية معًا. ثم جاء غياث الدين بن سام المذكور، فأسس ملكًا جديدًا على أنقاض الدولتين، من سنة ٥٦٩ هـ، وطاعه في ذلك أخوه معز الدين. ومات غياث الدين سنة ٥٩٩ هـ، خلفه معز الدين، حتى قتل غيلة سنة ٦٠٢ هـ. ولم يسل عمر الدولة الغورية بعده، بل دالت أجزاؤها للأمراء والفتواد، حتى أزالها السطاط خوارزم شاه. (Enc. Isl. Art. Ghōrids) وكذلك (Lane-Pole: Mnh. Dyns. pp. 176, 289-294)

(٤) الكرامية إحدى الفرق الدينية في الإسلام. ويذكر المقرئ (المواظ والاعتبار، ج ٢، ص ٣٤٩) في باب ذكر الفرق، أنها ما نصه: "الكرامية أتباع محمد بن كرام البستاني، وهم طوائف: الحيسية والإسماعيلية والجنسية، وغير ذلك. إلا أنهم يمدون فرقة واحدة، لأن بعضهم لا يكفر بغيرها. وكلهم مجسمة، إلا أن فيهم من قال هو (الله) قائم بنفسه، ومنهم من قال هو أجزاء مؤتلفة، وله جهات ونهايات. ومن قول الكرامية إن الإيمان هو قول مفرد، وهو قول لا إله إلا الله، وسوا. اعتقد أولًا. وزعموا أن الله جسم، وله حد ونهاية، من جهة السفلى، وتجوز عليه ملاقة الأجسام التي تحته. وأنه على العرش، والعرش عاص له. وأنه محل الحوادث، من القول والإرادة، والإدراكات والمرئيات والمسوحات. وأن الله لو علم أحدًا من عباده لا يؤمن به، لكان خلقه إمامهم عيانًا، وأنه يجوز =

- ومجموعا عند غياث الدين معه، وكبيرهم القاضي [مجد الدين^(١١)] عبد المجيد بن عمر بن القدوة. فتكلم الإمام نغر الدين مع ابن القدوة، واستطال عليه وبالغ في شتمه، وهو لا يزيد على أن يقول: "لا يفعل مولانا! لا أخذك الله!" [استغفر الله!]^(١٢). فغضب الملك ضياء الدين له، ونسب الإمام [الرازي] إلى الزندقة ومذهب الفلاسفة. وقام من الغد ابن عمر بن القدوة بالجامع، وقال في خطبته: "ربنا آمنا بما أنزلت وأتبعنا الرسول، فأكتنبت^(١٣) مع الشاهدين. أيها الناس! إنا لا نقول إلا ما سمع عندنا عن رسول الله، وأما علم أرسطو، وكفریات ابن سينا، وفلسفة الفارابی، فلا نعلمها. فلائى حال يُشتم بالأمس شيخ من شيوخ الإسلام، يذب عن دين الله وسنة نبيه؟ وبكى وأبكى، فثار الناس من كل جانب، وامتلات البلد فتنة. فسكتهم السلطان غياث الدين، وتقدم إلى الإمام نغر الدين بالعود إلى هراة، فخرج إليها. ثم فارق غياث الدين ملك النورية مذهب الكرامية، وتقلد الشافعى رحمه الله.

١٠

السلطان الملك المنصور ناصر الدين

محمد بن الملك العزيز عماد الدين عثمان بن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب، ولد بالقاهرة في (٥٠) جمادى الأولى، سنة خمس وعشرين وخمسمائة، ومات أبوه وعمره تسع

== أن يعزل نيا من الأعياء والرسل، ويجوز عديم على الأنياء كل ذنب لا يوجب حدا، ولا يسقط عدالة. وأنه يجب على الله تعالى تواتر الرسل، وأنه يجوز أن يكون إمامان في وقت واحد. وأن عليا ومعاوية كانا إمامين في وقت واحد، إلا أن عليا كان على السنة، ومعاوية على خلافتها. وانفرد ابن كرام في الفقه بأشياء، منها أن المسافر يكفيه من صلاة الخوف تكبيرتان. وأجاز الصلاة في ثوب مستغرق في التجماسة. وزعم أن الصلاة والصوم والزكاة والحج، وماثر العبادات، تصح بغير نية، وتكفى نية الإسلام، وأن النية تجب في النواقل. وأنه يجوز الخروج من الصلاة بالأكل والشرب والجماع عدا. ثم البقاء عليها. وزعم بعض الكرامية أن الله عليم، أحدهما يسلم به جميع المطومات، والآخر يسلم به العلم الأول. انظر أيضا (التبرستانى: الملل والنحل ص ٧٩ — ٨٥؛ والسماطى: كتاب الأنساب، ص ٤٧٧).

- (١) أنيف ما بين التوسمين، وكذلك بقية الاضافات في هذه الفقرة، من ابن الأثير (الكامل في التاريخ، ج ١٢، ص ٩٩). (٢) في لا وأخذك، وفي ابن الأثير (تقس المربع والجزء والصفحة) الا وأخذك. (٣) ابن عم الملك غياث الدين وزوج ابنته، وكان أشد الناس كراهة للفنن الرازي. انظر تقس المربع. (٤) بعض حروف هذا القفظ ضائع في ص. (٥) بياض في ص.

ستين وأشهر . وقد أوصى له أبوه بالملك من بعده ، وأن يكون مدبر أمره الأمير بهاء الدين قراقوش الأسمى . فأجلس على سرير الملك في غد وفاة أبيه ، يوم الإثنين حادى عشر المحرم ، وجعل قراقوش أتابكا^(١) . وحلف له الأمراء كلهم ، ما خلا عماء الملك المؤيد نجم الدين مسعود والملك المغزى ، فانهما أرادا أن تكون الأتابكية لهما ، وجرت بينهما منازعة ، ثم حلفا . ووقع الخلف بين أمراء الدولة ، فطعن عدة منهم في قراقوش ، بأنه مضطرب الرأى ضيق المعن ، ولا يصلح لهذا الأمر . وتصب جماعة معه ، ورأوا أنه أطوع من غيره . وكثر التزاع في ذلك ، وصاروا إلى القاضي الفاضل ، لياخذوا رأيه ، فامتنع من المشورة عليهم ، فتركوه . وأقاموا ثلاثة أيام يحصون الرأى ، حتى استقر على مكتبة الملك الأفضل ، ليحضر أتابكا عوض قراقوش ، بشرط ألا يرفع فوق رأسه السنجق ، ولا يذكر له اسم في خطبة (٤٠) ولا سكة ، وأن يدبر أمر الملك المنصور مدة سبع سنين ، فإذا تم هذا الأجل سلم إليه الأمر والتدير ، وسيروا إليه القصاد بذلك . وأقيم الملك الظاهر مظفر الدين خضر بن السلطان صلاح الدين مباشر نيابة السلطنة ، حتى يقدم الأفضل . فخرج الأفضل من صرخد للبليت بقبينا من صفر ، في تسعة عشرة نفسا ، متنكرا ، خوفا من العادل .

وكان الأمير نغراو الدين جهار كس — لما قزر أمراء مصر أمر الأفضل ، وكتبوا إليه بالحضور — كره ذلك ، وكتب إلى الأمير فارس الدين ميمون القصرى صاحب نابلس ، ينهاء عن الموافقة على إقامه الأفضل . فوقع الأفضل على القاصد ، وأخذ منه الكتاب ، وعلم ما فيه ، وقال له :

(١) في س اناك بنير ضبط . ويتألف هذا القلب من لفظين تركيين ، وهما أبا بمعنى أب ، وبك بمعنى أمير . وأصله أتب السلاطين السلاجقة منذ أيام ملكشاه بن ألب أوسلان (٤٦٥ — ٤٨٥ هـ) كانوا يطلقون لفظ أتابك على كبير من أمراءهم ، يولونه الوصاية والزعامة من يدم على سلطان أو أمير قاصر صغير . وكثيرا ما تزوج الأتابك من أم الموصى به ، فصاح العلاقة بين السلطان ووصيه شبه أبوية . ثم أطلق هذا القلب ، في أيام الخانيك بمصر ، على مقدم العساكر أو القائد العام ، على اعتبار أنه أبو العساكر والأمراء جميعا ، وكان يسمى أتابك العساكر . انظر (Gibb : Damascus Chronicle. pp. 23-24) ، وكذلك (G. - Domombynes : Op. cit.) . و Pref. pp. XXVII, LVI.) ، والفتشندى : ص ٤٤ ، ج ٤ ، ص ١٨ ، وابن تبرى بردى : النجوم الزاهرة ، ج ٧ (Glossary) ؛ وأيضا (Enc. Isl. Art. Atā) . (٢) في س تسمه عشر .

- ”ارجع فقد قضيت الحاجة“ . وسار الأفضل ، ومعه ذلك القاصد ، حتى وصل بلبس ، وقد خرج الأمراء إلى لقائه ، في خامس شهر ربيع الآخر . فقتل في خيمة أخيه الملك المؤيد [مسمود] . وكان نغر الدين جهاركس يؤمل أنه ينزل في خيمته ، فشق ذلك عليه من فعل الأفضل ، ولم يجد بدا من الحجى إلى عنده ، فآكرمه الأفضل . ثم لما فرغ [الأفضل] من طعام أخيه ، صار إلى خيمة نغر الدين وأكل طعامه ، لحانت من نغر الدين التفاته ، فرأى القاصد الذى بعثه إلى نابلس ، فدهش وخاف من الأفضل ، وأخذ يستأذنه في التوجه إلى العرب المخالفين ليصلح أمرهم ، فأذن له . وللحال قام [نغر الدين] واجتمع بزين الدين قراجا وأسد الدين صراسنقر ، وسار بهما مجدا إلى القدس ، فإذا بشجاع الدين طغرل السلاح دار سائر إلى مصر . فالتفتوه عن الأفضل ، وسادوا به إلى القدس ، فاتفق معهم الأمير صارم الدين صالح نائب القدس ، ووافقهم أيضا الأمير عز الدين أسامة وميمون القصرى ، وقدا إلى القدس ، ومع ميمون سبجانة فارس متخبة . وكتبوا الملك العادل ، يستدعونه لأتابكية الملك المنصور .

- وأما الأفضل فإنه سار من بلبس إلى القاهرة ، فخرج المنصور وتلقاه ، في سابع ربيع الآخر ، وكانت مدته شهرين و... وتحكم الأفضل . ولما استقرا بالقاهرة كتب الأفضل إلى عمه الملك العادل ، يخبره بوصوله إلى مصر ، حفظا لدولة ابن أخيه ، وأنه لا يخرج عما يأمره به . فورد جوابه بأن العزيز إن كان مات عن وصية فلا يُبدل عنها ، وإن كان مات عن غير وصية ، فيكتب الأعيان خطوطهم لك بذلك ، حتى نرى الرأى . فاستولى الأفضل على أمر مصر كله ، (٤٠ ب) ولم يبق للنصور غير مجرد الاسم فقط . وعزم [الأفضل] على قبض من يقى من الأمراء الصلاحية [بمصر] ، ففتر منهم جماعة ، ولحقوا بفخر الدين جهاركس بالقدس . وقبض الأفضل على جماعة منهم الأمير علاء الدين شقيق ، والأمير

(١) في م ساه . (٢) يباخر في م . (٣) الصف الثاني من هذا الاسم محجوب بركة ملصقة في م ، ولكنه في ب (٤٨ ب) .

عن الدين البكي الفارس، والأمير عز الدين أيك فطيس، وخطبا، ونهب أموالهم. ثم برز إلى بركة الحب، فأقام أربعة أشهر، وحلّف بها الأمراء والأجناد. قبله عن أخيه الملك المؤيد [مسمود] أنه يريد الوثوب عليه، فقبضه ومجنه.

وبعث الملك الظاهر [غازي صاحب حلب] إلى أخيه الأفضل يحثه على سرعة القدوم من مصر إلى دمشق، واغتنام الفرصة في أمرها، [والملك العادل غائب عنها في حصار ماردن]. فقبض الصلاحية [بالشام ٩] على القاصد، وأهانوه ثم أطلقوه؛ فسار إلى الأفضل، وبلغه رساله أخيه الظاهر. فرحل [الأفضل] من بركة الحب ثالث شهر رجب، ومعه الملك المنصور، فأقام بالعباسة خمسة أيام. واستخلف على القاهرة [سيف الدين] يازكج [الأسد]، ثم سار إلى دمشق، فقتل عليها في ثالث عشر شعبان. وقد بلغ العادل خروجه من مصر، وهو على حصار ماردن، فرب ابنه الكامل محمداً على حصارها، وسار في مائتي فارس إلى دمشق فقدمها في ثمانية أنفس، لكثرة ما أسرع في السير، قبل منازلة الأفضل لها [بيومين]، وتلاحق به أصحابه. وقدم الأفضل فقتل الشرفين والميدان الأخضر، وهجم بعض أصحابه [على] البلد وأحرقوا، وصاحوا: "يا أفضل يا منصور!". فصاحت العامة معهم بذلك، لميلهم إلى الأفضل. فبرز إليهم العادل، وأخرجهم من البلد، وامتنع بها. ففر من أمراء

(١) أرسل أسد الدين شيركوه ابن عم الأفضل إلى مصر رسلًا بحث الأضل أيضا على الإسراع إلى دمشق. (ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ١٢، ص ٩٤) - (٢) انظر نفس المربع والجزء، ص ٩٣ - ٩٤ (٣) قرية بين بليس والصلاحية، وهي (ياقوت: معجم البلدان، ج ٣، ص ٥٩٩ - ٦٠٠) أول ما بلغ القاصد لمصر من الشام من الديار المصرية، وصيت باسم العباسة بنت أحمد بن طولون، فاتها خربت إلى هذا الموضع مودة لبنت أخيها فطر التدي، بنت تاجرويه بن أحمد بن طولون، لاسمحت إلى الخليفة المعتضد الباسي، وضربت هناك فاطمها، ثم بنيت هناك قرية، فسيت باسمها. راجع المقرئ: (المواظع والاعتبار، ج ١، ص ٢٢٢ و ٢٢٣؛ P. Omar Tausoun. Op. cit. 1. 1. P. 58؛ Blochet: Op. cit. p. 254. N I. ر.) (٤) في س. أياكوج، وقد تقدّم ذكره أكثر من مرة.

(٥) في س. محمد - (٦) راجع ابن الأثير (الكامل في التاريخ، ج ١٢، ص ٩٤). (٧) كذا في س. وبغير ضبط. أنظر ابن نغرى ردى: النجوم الزاهرة، ج ٢، ص ٣٨٩، حيث ورد في وفاة صاحب الوزير أبي علي المردقاني، أن من أعماله بناء المسجد على الشرف شمال دمشق، ويسمى مسجد الوزير.

- الأفضل عثة، فأنحر حينئذ عن دمشق إلى نحو الكسوة . فدرس العادل إلى جماعة من في صحبة
الأفضل [بكلام منه] : "إني أريد الرجوع إلى الشرق، وأترك الشام ومصر لأولاد أئمتي"،
فقتلوا الأفضل عن الحرب . وبذل [العادل] لهم مالا، فغشى ذلك من مكروه عليهم . وخذلوا
الأفضل، بأن أشاروا عليه بترك القتال حتى يقدم [أخوه] الظاهر من حلب . فامسك
[الأفضل] عن الحرب مدة، والعادل يكتب الأمراء ويستميلهم شيئا بعد شيء، وهم يأتونه
فيذل لهم المال، ويوسع عليهم، إلى أن قدم الظاهر من حلب في آخر شعبان . فقوى به الأفضل،
ورحلا إلى مسجد القدم، وحاربا العادل وحاصراه، حتى غلت الأقوات بدمشق لشدة
الحصار . فقدمت الصلاحية من القدس نصره للعادل، فاشتد عضد العادل بقدمهم، (١ : ١) (١)
وجهاز إلى القدس من يمنة الميرة الواصلة من مصر إلى الأفضل، فوجدوا ياركج قد أخرج
سبعمائة من عسكر مصر نجدة للأفضل، فقاتلهم وكسروهم وغنموا مامعهم . وصارت أهل
دمشق في جهد من الغلاء، واحتاج العادل إلى القرض، فأخذ مالا من التجار . وقوى
الزحف على البلد حتى أشرف على الأخذ، وهم العادل بالتسليم، فاتفق وقوع الخلف بين
الظاهر وبين أخيه الأفضل .

♦ ♦ ♦

- [سنة ست وتسعين وخمسمائة] . وأهلت سنة ست وتسعين، والأخوان على
حصار عجمها العادل بدمشق، وقد خربت البساتين والدور، وقطعت الأنهار، وأحرقت
الغلال، وقلت الأقوات . وعزم العادل على تسليم دمشق، لكثرة من فارقه وخرج عنه إلى
الأفضل، فكتب إلى ابنه الكامل يستدعيه، وكتب إلى نائب قلعة جعبر أن يسلمه ما يستدعيه
من المال، وكانت أموال العادل بها . فسار إليه الكامل في العسكر الذي معه، وأخذ
(١) في س قندوا . والمشهور أن قل فند لا يتبدى بين، وإنما يتبدى قبل وفي محيط المحيط فنده على الأمر بمعنى
أرادته من ولعل هلقريزي استباح لنفسه استعمال هذا الفصل مقرونا بين، يؤدي عكس المعنى المعروف . على أن فند
تستعمل بدون حرف جر بمعنى حجر .

(٢) مسجد بدمشق وبه دفن صلاح الدين . (أبو شامة : كتاب الروضتين، ص ٩٥ - ٩٦، ١٢٣،
في Rec. Hist. Or. V. - (٣) في س ياركج .

من قلعة جبرار بمائة ألف دينار، وقدم على أبيه فقوى بقدمه قوة عظيمة، ووقع الوهن في عسكر الأفضل والظاهر، لكثرة من خامر منهم. ودس المادل ميكدة بين الأخوين، وهى أن الظاهر كان له مملوك يقال له ^(١)أيك، وقد شغفه جبا، ففقدته وطن أنه دخل دمشق فعلق. ^(٢)ويلغ ذلك المادل، فبعث إليه [بكلام فيه]: "أن محمود بن الشكرى أفسد مملوكك، وحمله إلى الأفضل". فقبض [الظاهر] حينئذ على ابن الشكرى، وظهر المملوك عنده، فاشك في صدق ما قاله عمه، ونفر من أخيه وامتنع من لقائه. وكان البرد قد اشتد، فرحلا إلى الكسوة، وسارا إلى مرج الصفر، ثم سارا إلى رأس الماء. فغلت الأسعار، وقوى البرد، فرحل الظاهر على القريتين. ورحل الأفضل [بمساكره] يريد مصر، وتركوا من أنقالم ما عجزوا عن عمله فأحرقوه، وهلك لهم عدة ممالك ودواب. ودخل الأفضل إلى بليس في خامس عشر شهر ربيع الأول، فأشير عليه بالإقامة بها.

وورد الخبر بأن المادل خرج من دمشق، ونزل تل المجول، وأنه كتب الإقامات للبربان، واستدعى الكنانة. فجمع الأفضل الأمراء، وركب ودار على سور بليس، وأمر قراقوش ^(٣) (ب) بحفظ قلعة الجبل، وأن يهتم بحفر ما بقى من سور مصر والقاهرة، وأنه يمدق الحفر حتى يصل إلى الصخر، ويعمل التراب داخل المدينة على حافة الحفر، ليكون مثل الباشورة ^(٤)، ويستعمل الأبقار فيه، ويعمل ذلك فيما بين البحر وقلعة المقص، حتى لا يبقى إلى البلد طريق إلا من أبوابها.

(١) في س أبك بغير ضبط . (٢) في س الكرى بغير ضبط . (انظر أبا الفداء: المختصر في أخبار البشر، ص ٧٦، في Rec. Hist. Or. I.) (٣) جمع إقامة، وهو ما يلزم الساكن من الموزنة واللفظ . انظر Quatréme: Maml. I. 1. P. 28.) حيث توجد أمثلة عدة لاستعمال هذا اللفظ، وأرى فيها "ونجحت الإقامات من التدمير والفتيق ...". (راجع أيضا Dozy, Suppl. Diet. Ar.) (٤) الباشورة الحاطة الظاهري، أو ما يرى منه . (محيط المحيط) . وتجمع حل بواشر، ويقال بها في الفرنسية كلمة (Bastion) أو (Guérite) . (راجع أيضا Dozy: Suppl. Diet. Ar.)

- وفي ثاني ربيع الآخر نزل العادل قَطِيَّة^(١) . فهم الأفضل . بحرق بليس ، ففرت القلوب منه ، وقطع أرزاق المرتقة من جانب السلطان ، ومن الأقباس على مكة والمدينة والفقهاء وأرباب العلم ، لِيُثَلِّقَ الذي لَيند . فاستأخذ ، ولا انقطع الطلب من الأجناد ، وثار الضجيج من المساكين . ووصل العادل فواقه الأفضل ، فانكسر منه وانهمز . فتبعهم العادل إلى بركة الحب ، نعيم بها وأقام ثمانية أيام . ولحق الأفضل بالقاهرة ، فدخلها يوم الثلاثاء سابع ربيع الآخر ، وخامر جماعة عليه ، وصاروا إلى العادل . وأجالت الضرورة الأفضل إلى مراسلة العادل ، فطلب [منه] أن يعوضه عن ديار مصر بدمشق ، فامتنع [العادل] ، وقال : " لا تحوجني أن أخرق ناموس القاهرة ، وأخذها بالسيف . اذهب إلى صرخد ، وأنت آمن على نفسك " . فلم يجد [الأفضل] بدا من التسليم ، لتخاذل أصحابه عنه . فسلم العادل القاهرة ، ودخلها يوم السبت ثامن عشر ربيع الآخر ، وخرج منها الأفضل منهزما في ذلك اليوم . وكان الوزير ضياء الدين بن الأثير قد قدم إلى مصر ، وتمكن من الأفضل ، فلما تسلم العادل القاهرة فر ولحق بصرخد . وكانت مدة استيلاء الأفضل على ديار مصر سنة واحدة وثمانية وثلاثين يوما ، وخرج إلى بلاد الشرق فأقام بِسْمِيسَاط^(٢) . وكان مدة إقامته بالقاهرة لا يقدر أن يخلو بنفسه في ليل ولا نهار ، وكان الأمراء قد حجروا عليه أن يخلو بأحد ، وكانت الضرورة ملجئة إلى موافقتهم .

١٥

وأقام العادل بالقاهرة على أتاكبة الملك المنصور ، وحلف له الأمراء على مساعدته ، ليقوم بأتابكية المنصور إلى أن يتأهل للاستقلال بالقيام بأمر المملكة ، فلم يستمر ذلك^(٣)

(١) في س قَطِيَّة بغير ضبط ، وهي قرية في طريق مصر إلى الشام ، في وسط الزبل ، قرب القردا . (ياقوت : معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ١٤٤) . (٢) في تلك اليلة توفي القاضي القاسم عبد الرسيم بن علي البساس . (ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج ١٢ ، ص ١٠٢) . (٣) بغير ضبط في س ، وهي مدينة في طرف بلاد الروم ، على الشاطئ الغربي للفرات . (ياقوت : معجم البلدان ، ج ٣ ، ص ١٥١) . أنظر أيضا (Blochet : Op. cit. p. 260, N. 1.) (٤) يباس في س ، يشتل سطرين تحريما ربه آثار كتابة محوثة .

فانتقض الأمر في الحادى والعشرين من شوال ، وذلك أن الملك العادل أحضر جماعة من الأمراء وقال لهم : "إنه قبيح بى أن أكون أتاك بصبي ، مع الشيخوخة والتقدم . والملك ليس هو بالإرث ، وإنما هو لمن غلب . وإنه كان يجب أن أكون بعد أئى الملك الناصر (١٢) (١) صلاح الدين ، غير أنى تركت ذلك إكراما لأئى ، ورعاية لحقه . فلما كان من الاختلاف ما قد علمتم ، خفت أن يخرج الملك عن يدي ويد أولاد أئى . فسمت الأمر إلى آخره ، فما رأيت الحال ينصلح إلا بقيامى فيه ، ونهوضى بأعبائه . فلما ملكت هذه البلاد ، وطئت نفسى على أتاكبة هذا الصبي ، حتى يبلغ أشده . فرأيت المصيبات باقية ، والفتن غير زائلة ، فلم آمن أن يطرا على ما طرا على الملك الأفضل ، ولا آمن أن يجتمع جماعة ويطلبون إقامة إنسان آخر ، وما يعلم ما يكون عاقبة ذلك . والرأى أن يمضى هذا الصبي إلى الكُتَّاب ، وأقيم له من يودبه ويعلمه . فإذا تاهل وبلغ أشده نظرتُ فى أمره ، وقت بمصالحه . وهذا الأسدية كلهم مع العادل على هذا الرأى ، فلم يجد من عداهم بدأ من موافقته ، لحقوا له ، وخلصوا المنصور في يوم الخميس . وخطب للعادل من الغد يوم الجمعة حادى عشرى شوال ، فكانت سلطنة المنصور سنة واحدة وثمانية أشهر وعشرين يوما .

السلطان الملك العادل سيف الدين أبو بكر بن أيوب

ولما حلف له الأمراء استولى على سلطنة مصر ، في حادى عشرى شوال ، وخطب له بديار مصر وأرض الشام وحران والرها وميفارقين ، واستحلف الناس بهذه البلاد ، وضربت السكة باسمه . واستدعى [العادل] ابنه الملك الكامل ناصر الدين محمدا ، فحضر إلى القاهرة في يوم [الخميس] ^(٢) ثمان بقين من رمضان ، ونصبه نائباً عنه بديار مصر ، وجعل الأعمال الشرقية إقطاعاً ، كما كانت إقطاعاً للعادل في أيام السلطان صلاح الدين ، وجعله ولى عهده ، وحلف له الأمراء .

(١) في س محمد . (٢) يسان في س . ويقع أول رمضان سنة ٥٩٦ هـ يوم الخميس ١٥ يونيو سنة ١٢٠٠ م ، ورواق الثانى والعشرين من الخميس أيضا . (Wüstenfeld-Mahles'sche Tabellen).

وفيه أقيمت الخطبة للمادل بجماة وحلب ، وضربت السكة باسمه . وفيها توقفت زيادة النيل ، فلم يمر إلا ثلاثة عشر ذراعا تنقص ^(١) ثلاثة أصابع . وشرق معظم أرض مصر ، فارتفعت الأسعار . وفيها استناب العادل بدمشق ابنه الملك المعظم شرف الدين عيسى ، واستناب ببلاد الشرق ابنه الملك الفائز ، وأقر بحلب ابن أخيه الملك الظاهر [غازي بن صلاح الدين] ، وبجماة الملك المنصور [بن تقي الدين عمر] .

وفيه أخرج الملك العادل ابن ابن أخيه الملك المنصور محمد بن العزيز غثان بن صلاح الدين من مصر ، ومعه إخوته وأخواته [ووالدته] ^(٢) ، فساروا إلى الشام . ثم سيعم إلى الرها ، فهربوا منها إلى حلب ، وبقي الملك المنصور بمدينة الرها ، حتى مات سنة عشرين وستمائة ، وكان [قد أصبح] أميراً عند الظاهر صاحب حلب .

- ١٠ ومات في هذه السنة إبراهيم بن منصور بن المسلم أبو إسحاق المعروف بالعراق ، خطيب الجامع العتيق بمصر ، في حادي عشرى جمادى الأولى ، عن ست (٤٢ ب) وثمانين سنة . و[مات] القاضي الفاضل عبد الرحيم بن علي بن الحسن بن الحسن بن أحمد بن الفرج بن أحمد الحمصي ، العسقلاني مولداً ، اليبساني ، أبو علي محيي الدين ، في سابع ربيع الآخر . و[مات] ^(٣) (١) في س إلا .

(٢) راجع أبا الفداء (المختصر في تاريخ البشر ، ص ٦٤ ، ٦٥ ، ٦٦ ، ٧٧ ، في (Rec. Hist. Or. I.)).
(٣) نفس المرجع ، ص ٨١ . (٤) معظم هذا القطع مطبوس بيقظة من المداد في س . (٥) يقول أبو الفداء (المختصر في تاريخ البشر ، ص ٨١ ، في (Rec. Hist. Or. I.)) إن المنصور هذا " أقام بحلب عند عمه الظاهر " . (٦) كان والد القاضي الفاضل يتفقد القضاء بمدينة بيسان ، فلهذا نسبوا إليها . (المحرزي : المواعظ والاعتبار ، ج ٢ ، ص ٣٦٦) . هذا ونفس المرجع والمجلد ، والصفحة ترجمة طيبة للقاضي الفاضل منها : " قال ابن خلكان : وزر [القاضي الفاضل] للسلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب ، ويمكن منه غاية التمكن . وبرز في صناعة الإنشاء ، وفاق المتقدمين ، (ص ٣٦٧) وله فيه الفرائب مع الإثثار . أخرى أحد الفضلاء اللغات المثلين على حقيقة أمره ، أن مسودات رسالته — في المجلدات والتعليقات في الأوراق — إذا جمعت ما تنص عن مادة ، وهو يجسد في أكثرها ، وقال عبد العلي البغدادي : دخلنا عليه فرأيت شيخنا ضئيلاً ، كله رأس وقلب ، وهو يكتب ويملأ على اثنين ، ووجهه وشفاة تظلم ألوان الحركات ، لقوة حرصه في إخراج الكلام ، وكأنه يكتب بحجة أعضائه . وكان له غرام في الكتابة وتحصيل الكتب ، وكان له الدين والصفاء والتميز ، والمواظبة على أوراد الليل ، والصيام وقراءة القرآن . وكان قليل اللذات ، كتب الحسانات ، دائم التمجيد ، ويشغل بعلوم الأدب وتفسير القرآن . غير أنه كان خفيف البضاعة من الشعر ، ولكن قوة الدراية ترجع له قوة الفن . وكان لا يكاد يضيغ من زمانه شيئاً إلا في طاعة ، وكتب في الإنشاء ما لم يكتب غيره " راجع أيضاً (Enc. Isl. Art. Al-Kaḍī al-Fāḍil) . (٧) اعتبر : (Blochet : Op. cit. p. 264) هذا تاريخ مولده ببيسان ، والمحرر أنه ولد بمسقلان في ١٥ جمادى الثانية سنة ٥٢٩ هـ . (٣ أبريل سنة ١١٣٥ م) ، انظر المرجعين المذكورين بالهامية السابقة .

الأمير ذو الرياستين أبو الطاهر محمد بن ذي الرياستين أبي الفضل محمد بن محمد بن بنان الأنباري^(١) في ليلة الثالث من ربيع الآخر، ومولده بالقاهرة سنة سبع وخمسمائة .

وفي هذه السنة ولد بالقاهرة مولود له جسد واحد، ورأس فيه وجهان ، في كل وجه عينان، وأذنان وأنف وحاجب . وولد أيضا بها مولود له غرة كغرة الفرس، ويده ورجلاه مجملتان، وألتيه مألعة . وولد بها أيضا مولود أشيب الرأس؛ نعجة لها أربع أيادي، وأربع أرجل .^(٢) ووُجد في بطن نعجة ذبحت خروفاً، صدره ووجهه صورة إنسان ، وله أطافير الآدمي .

♦ ♦ ♦

سنة سبع وتسعين وخمسمائة^(٣) . فيها قبض الملك العادل على أولاد أخيه [صلاح الدين]، وهما الملك [المؤيد مسعود] الملك [المنز] صفاق ، ومعهما في دار بهاء الدين قراقوش بالقاهرة . [و] قسّم الأمير نغر الدين جهار كس بانياس من الأمير حسام الدين إشارة ، بعد حصار وقتال . وفيها حدث الوحشة بين الملك العادل وبين الصلاحية ، من أجل أنه خلع المنصور بن العزيز . وكتب الأمير فارس الدين ميمون القصرى من نابلس إلى العادل بإنكار خلع المنصور، فأجابه العادل جواباً خشناً، وتكررت المكتبة بينهما غير مرة . فكتب ميمون إلى الصلاحية يفريهم بالعادل ، فلم يجد فيهم نهضة للقيام .

وفي أثناء ذلك حدثت وحشة بين الظاهر صاحب حلب وبين عمه العادل، وسير إليه وزيره علم الدين قيصر ونظام الدين^(٤) ، فتمعنهما العادل أن يعبرا إلى القاهرة، و[أمرهما]

(١) انظر ابن الأثير : تاريخ الدولة الأتابكية ، ص ٨٩ ، ٩٠ ، في (Rec. Hist. Or. II.) .

(٢) في ص أربعة أيادي وأربعة أرجل . (٣) وقع خطأ في عنوان هذه السنة في ترجمة (Blochet : Op. cit.) .

(٤) ١٠٢٦ حيث كتب سنة ست وتسعين وخمسمائة ، والصواب ما هنا . (انظر أبا شامة : كتاب الروضتين ، ص ١٤٩ ،

في (Rec. Hist. Or. V.) . وقد يبرز هذا إلى اضطراب ترتيب الحوادث حتى أول سنة ٥٩٨ هـ . أما عن منشأ

هذا الخطأ فانظر ص حاشية . (٤) انظر أبا شامة (نفس المربع والجوزء) والصفحة المذكورة

بالحاشية السابقة) . (٥) لم يشر ابن الأثير (الكامل في التاريخ ، ج ١٢ ، ص ١٠٦) إلى ذلك الرسول الثاني ،

وكل ما ورد به أن "الظاهر أرسل أميراً كبيراً من أمرائه إلى عمه العادل ..." .

- أن يقيا بليس، ويُمَلّا قاضى بليس ما مهمما من الرسالة . فعادا مغضبين ، واجتمعا بميمون القصرى فى نابلس ، وما زالا به حتى مال إلى الأفضل وإلى أخيه الظاهر . فلما وصلا إلى حلب شق على الظاهر ما كان من عمه ، وكاتب الصلاحية ورغبهم ، وكاتب ميمون القصرى . وشرع الأفضل أيضا فى مكانتهم وهو بصرخد ، وانضوى إلى الأفضل الأمير عز الدين أسامة^(١)، صاحب عجلون وكوكب ، وحلف له . فبلغ ذلك العادل فيقظ نفسه ، وكتب إلى ابنه المعظم صاحب دمشق بمحاصرة الأفضل فى صرخد ، فجمع ونرج من دمشق . فاستخلف الأفضل على صرخد أخاه الملك الظاهر خضر ، وسار إلى أخيه الظاهر بحلب فى عشرين جمادى الأولى . فنزل المعظم على بصرى ، وكاتب نفر الدين جبار كس وميمون القصرى ، ومرهما بالمسير إليه لحصار صرخد . فلم يجبا ، وجعا من يواقهما ، وصارا إلى الظاهر بصرخد . وكتبوا إلى الظاهر بحلب يحثونه على الحركة وأخذ دمشق ، فوافته الكتب وعنده الأفضل ، فجمع الناس وعزم على المسير . ثم سار [الظاهر] ، فلم يوافقه المنصور صاحب حماة ، فحاصره مدة ، ثم رحل عنه بغير (١٤٣) طائل ، فنازل دمشق ومعه الأفضل ، وأتته الصلاحية [هناك]^(٢) .

- فخرج العادل من القاهرة بمساكره ، واستخلف على القاهرة ابنه الملك الكامل محمد^(٣) ، وسار حتى نازل نابلس . وقدم [العادل] طائفة من العسكر ، فساروا إلى دمشق ، واستولوا عليها ، قبل نزول الأفضل والظاهر عليها . فقدموا بعد ذلك ، وضايقا دمشق ، فى رابع عشر ذى القعدة ، واشتد القتال حتى كادا يأخذان البلد . فوقع بينهما الاختلاف ، بمكيدة دبرها العادل ، ففترت الهمة عن القتال . وذلك أن العادل كتب إلى [كل من] الأفضل وإلى الظاهر سرا ، بأن : "أحاك لا يريد دمشق إلا لنفسه ، وقد اتفق معه العسكر فى الباطن على

(١) فى س ساه .

(٢) فى س ساه . (٣) راجع ابن الأثير (الكامل فى التاريخ) ج ١٢ ، ١٠٥ - ١٠٧ ،

لتنج هذه الحوادث بتفصيل . والراجح أن المقرئى اقتبس الوارد هنا باختصار من ابن الأثير أو من مصدر آخر مرجعه ابن الأثير . (٤) فى س ساه .

ذلك . فافعلنا لهذا الخبر، وطلب كل منهما من الآخر أن تكون دمشق له فامتنع . فبعث العادل في السر إلى الأفضل يبعده بالبلاد التي عينت له بالشرق، وهي رأس عين، والخابور، وميافارقين، وغير ذلك . وبذل له مع ذلك مالا من مصر في كل سنة، بمبلغ خمسين ألف دينار . فانخدع [الأفضل] وقال للأمرءة الصلاحية ومن قدم إليه من الأجناد : ” إن كنتم جئتم إلى فقد أذنت لكم في العود إلى الملك العادل، وإن كنتم جئتم إلى أنى فأتتم به أخير“ . وكانوا يحبون الأفضل من أجل أنه لين المريكة، فقالوا كلهم : ” لا نريد سواك، والعادل أحب إلينا من أخيك“ . فاذن لهم في العود إلى العادل، فسار إليه الأمير نغر الدين جهار كس، والأمير زين الدين قراجا، ولاء الدين شقير، والحجاف، ومسعد الدين بن علي الدين قيصر . فوقع الوهن والتقصير في القتال، بعد ما كانوا قد أشفوا على أخذ دمشق .

واقضت هذه السنة والأفضل والظاهر على منازلة دمشق . وفيها تضررت الأقوات ١٠ وبادار مصر، وتزايدت الأسعار، وعظم الفلاء حتى أكل الناس الميتات، وأكل بعضهم بعضا، وتبع ذلك فناء عظيم . وابتدأ الفلاء من أول العام، فبلغ كل أردب قمح خمسة دنانير . وتمادى الحال ثلاث سنين متوالية، لا يجد التيل فيها إلا مدا يسيرا، حتى عدت الأقوات . وخرج من مصر عالم كبير بأهاليهم وأولادهم إلى الشام، فأتوا في الطرقات جوعا . وشنع الموت ١٥ في الأغنياء والفقراء، فبلغ من كفته العادل من الأموات — في مدة يسيرة — نحو من مائتي ألف إنسان، وعشرين ألف إنسان . وأكلت الكلاب بأسرها، وأكل (٢٣ ب) من الأطفال خلق كثير، فكان الصغير يشويه أبواه وبأكلاته بعد موته، وصار هذا الفعل لكثرة بحيث لا ينكر . ثم صار الناس يحال بعضهم على بعض، ويؤخذ^(١) من قدر عليه فيؤكل، وإذا غلب القوى ضعيفا ذبحه وأكله . وقُد كثير الأطباء، لكثرة من كان يستدعيهم إلى المرضى، فإذا صار الطبيب إلى داره ذبحه وأكله . واتفق أن شخصا استدعى طبيا، فخافه الطبيب وسار ٢٠ معه على تخوف . فصار ذلك الشخص يكثر في طريقه من ذكر الله تعالى، ولا يكاد يتر بغير

إلا ويتصدق عليه، حتى وصلا إلى الدار، فإذا هي خربة . فارتاب الطيب بما رأى ، وبينما هو يريد الدخول إليها إذ خرج رجل من الخربة ، وقال للشخص الذى قد أحضر الطيب :
 "مع هذا البطء جئت لنا بصيد واحد؟" . فارتاع الطيب ، وقرع على وجهه هاربا . فلولا عناية الله به ، وسرعة صدوه ، لقبض عليه .^(٢)

- دخلت مدينة القاهرة ومصر من أكثر أهلها، وصار من يموت لا يجد من يواريه ، فيصير علة أشهر حتى يؤكل أو يبل^(٣) . واتفق أن النيل توقف عن الزيادة في سنة ست وتسعين ، تغاف الناس ، وقدم إلى القاهرة ومصر من أهل القرى خلق كثير . فلما حلت الشمس برج الحمل تحمّزك هواء أعقبه وباء . وكثر الجوع ، وعدم القوت ، حتى أكلت صغار بنى آدم : فكان الأب يأكل ابنه مشويا ومطبوخا ، وكذلك الأم . وظفر الحكام منهم بمجاعة ، فمقابوهم حتى أصبحهم ذلك . وفشا الأمر : فكانت المرأة توجد وقد خبات في عبا كتف الصغير أو نطفه ، وكذلك الرجل . وكان بعضهم يدخل بيت جاره فيجد القدر على النار ، فيتنظرها حتى تنزل لياكل منها ، فإذا فيها لحم الأطفال ؛ وأكثر ما كان يوجد ذلك في أكابر البيوت . ويوجد النساء والرجال في الأسواق والعربات ، [و] معهم لحوم الأطفال . وأحرق في أقل من شهرين ثلاثون امرأة ، وجد معهن لحوم الأطفال . ثم فشا ذلك حتى اتخذ الناس غذاء وعشاء والفوه ، وقُلّ منهم منه ، فأنهم لم يجدوا شيئا من القوت ، لا الحبوب ولا الخضروات .

فلما كان قبل أيام زيادة النيل — في سنة ست وتسعين [هذه] — احترق الماء في برمودة ، حتى صار فيها بين المقياس والبحيرة بغير ماء ، وتغير طعم الماء وريحه . وكان القاع ذراعين ،

(١) في س ومصر . (٢) في س والقبض عليه . (٣) الموضع المناسب للعبارة التالية إلى سطر ١٦ ص ١٥٨ — وقد وردت في س على ورقة مفصلة بين الصفحتين ٤٣ ب ٤٤ ، ٤٤ أ — ونحوحت سنة ست وتسعين ونسبته . غير أن المؤلف أشار بسلامة عند لفظ "يبل" ، وكتب "واتفق أن النيل" . بهاش الصنعة ، في اتجاه الورقة المذكورة ، ثم بدأ الكتابة كما هنا ، مكررا الجملة الافتاحية المشار إليها . والراجع أن المؤلف قصد بإيراد هذه الأخبار ، التابعة لسنة ست وتسعين ، استقصاء أمر الوباء والمجاعة في سنة سبع وتسعين من أوله في العام السابق . وقد أدى هذا إلى تضليل (Blochet : Op. cit. pp. 265-271) في ترتيب السنين . انظر ص ١٥٤ حاشية ٣ .

وأخذ يزيد زيادة ضميقة إلى سادس عشر مسرى، فزاد إصبعا، ثم وقف . ثم زاد زيادة قوية،
أكثرها ذراع، حتى بلغ خمسة عشر ذراعا وست عشرة إصبعا . ثم انحط من يومه، فلم يُتفع
به . وكان الناس قد فنوا، بحيث بقى من أهل القرية الذين كانوا نحسائة نفرا ما نفرا
أو ثلاثة . فلم تجد الجسور من يقوم بها، ولا القرى من يعمل مصالحها . وعدمت الأبقار،
بحيث أبيع الرأس بسبعين دينارا، والمزبل بستين دينارا . وجافت الطرقات بمصر والقاهرة
وقراها . ثم أكلت الدودة ما زُرِع، فلم يوجد من التقاوى ولا من العرما يمكن به رده .

ودخلت سنة سبع وتسعين وخمسمائة والناس تأكل الأطفال، وقد صار أكلهم طبعاً وعادة،
ومحجر الحكام من تأديهم . وأبيع القمح — إن وجد — بثمانية دنائير [الأردب]، والشعير والفل
بسته دنائير . ودمد الدجاج من أرض مصر، بغلبه رجل من الشام، وباع كل فروج بمائة
درهم، وكل بيضين بدرهم . وهذا وجميع الأفران إنما تعد بأخشاب المساكن، حتى دخلت
سنة ثمان وتسعين . وكان كثير من المساكين يخرجون ليلاً، ويأخذون أخشاب الدور الخالية،
ويبيعونها نهاراً . وكانت أزقة القاهرة ومصر لا يوجد بها إلا مساكن قليلة، ولم يبق بمصر
عاصر إلا شط النيل . وكانت أهل القرى تخرج للحرق فيموت الرجل وهو ماسك المحراث .

وفي هذه السنة قدم غلام سنه نحو عشرين — من عرب الحوف بالشرقية — إلى
القاهرة، أسمر حلو السمرة، حل طنه خطوط بيض ناصعة البياض، متساوية القسمة،
من أعلاه إلى أسفله، كأحسن ما يكون من الخطوط . وفيها مات [الأمير بهاء الدين] قراقوش
الأسدي، في غرة شهر رجب بالقاهرة، ودفن بسفح المقطم .

♦ ♦ ♦

سنة ثمان وتسعين وخمسمائة . في أول المحرم رحل الأفضل والظاهر عن
دمشق . فصار الظاهر إلى حلب، ومعه جماعة من الأحرار الصلاحية، منهم فارس الدين
مميون القصري، ومرا سنقر، والفارس البكي، فأقطعهم الإقطاعات وأكرمهم . وتوجه

(١) في س. ب. (٢) في س. و. ي. (٣) في س. م. وقد أثبت هذا الرسم لاحتمال قرأته "عشرة" .

- الأفضل إلى حصص، وبها أمه وأهلُه عند الملك المجاهد. وقدم العادل إلى دمشق، ونزل بالقلعة؛ ثم سار منها إلى حماة، ونزل عليها بساكره. فقام له الملك المنصور بجميع كلفة ونفقاته، وأظهر أنه يريد حلب. فخافه الظاهر واستعد للقائه، ورأسل العادل وبعث إليه بهدايا جليلة ولأطفه. فانظم الصلح بينهما: على أن يكون للعادل مصر ودمشق، والسواحل وبيت المقدس، وجميع ما هو في يده ويد أولاده من بلاد الشرق؛ وأن يكون للظاهر حلب وما معها، وللنصور حماة وأعمالها، وللجيهان حصن والرحبة وتدمر، وللأعيد بعلبك وأعمالها، وللأفضل سيمساط وبلادها لا غير؛ وأن يكون الملك العادل سلطان البلاد [جميعها]. وحلقوا على ذلك. فخطب للعادل بحلب، في يوم الجمعة حادى عشر جمادى الآخرة. وأقطع الأفضل قلعة النجم مع سروج وسمساط. وجهز العادل ابنه الأشرف مظفر الدين موسى إلى [الجزيرة]، ليتسلم حران والرها وما معها، ويستقر بالجزيرة؛ و[يستقر] الأوحى أيوب أخوه في ميفارقين. وترتب قلعة جبر ابنه المحافظ نور الدين أرسلان. وأقر [العادل] ابنه الملك المعظم شرف الدين عيسى بدمشق. وعاد العادل من (١٤٤) حماة إلى دمشق، وقد اتفقت كلمة بنى أيوب.

وفيها قتل المعز إسماعيل بن سيف الإسلام ظهير الدين طختكين بن نجم الدين أيوب : وذلك أنه لما ملك اليمن — بعد أبيه — خرج عليه الشريف عبد الله الحسنى. ثم خرج عليه

- (١) بنير ضبط في س، وهي التي تعرف برجة مالك بن طوق، بينها وبين دمشق ثمانية أيام، وبين حلب خمسة أيام، وبين بغداد مائة فرسخ، وبين الرقة نيف وعشرون فرسخا. وهي بين الرقة وبغداد، على شاطئ الفرات، جنوبي قريشيا. (ياقوت : معجم البلدان : ج ٢، ص ٧٦٤). (٢) بنير ضبط في س، وهي مدينة قديمة مشهورة في برية الشام، بينها وبين حلب ستة أيام. (ياقوت : معجم البلدان، ج ١، ص ٨٢٨)؛ انظر أيضا (Blochet : Op. cit. p. 272. N. 2). (٣) في س قلعة نجم، بلا تعريف، وبنير ضبط. وهي قلعة جبلية مطلة على الفرات، وعندها جسر قدير عليه القوافل من حران إلى الشام. وكانت تعرف قديما بقلعة منبج، وعرفت كذلك بمجر منبج، فلما تبعد عنها خمسة وعشرين ميلا قطعت. (ياقوت : معجم البلدان، ج ٤، ص ١٦٥). انظر أيضا (Blochet : Op. cit. p. 273. N. 1). (٤) بنير ضبط في س، وهي بلدة قريبة من حران. (ياقوت : معجم البلدان، ج ٣، ص ٨٥). راجع أيضا (Blochet : Op. cit. p. 372. N. 2). (٥) ضمير الهاء عائد على الأشرف موسى. (٦) الهاء هنا عائدة على الملك العادل.

نحو ثمانمائة من ممالكه ، وحاربوه وامتنعوا منه بصنعاء ، فكسروهم وجلاهم عنها . فادعى الرومية ، وأمر أن يكتب عنه ويكتب بذلك ، وكتب : " صدرت هذه المكتبة من مقر الإلمية " . ثم خاف [المزمع إسماعيل] من الناس ، فادعى الخلافة ، وانتسب إلى بنى أمية ، وجعل شعاره الخضر . ولبس ثياب الخلافة ، وعمل طول كل ثم خمسة وعشرين شهرا في سعة ستة أشبار . وقطع من الخطبة الدعاء لبني العباس ، وخطب لنفسه على منابر اليمن ، وخطب هو بنفسه يوم الجمعة . فلما بلغ ذلك عمه العادل سير بالإنكار عليه ، فلم يلتفت إلى قوله ، وأضاف إلى ذلك سوء السيرة وقبح العقيدة . فثار عليه ممالك أبيه ، لهوجه وسفكه الدماء ، وحاربوه وقتلوه . ونصبوا رأسه على رمح ، وداروا به بلاد اليمن ، ونهبوا زبيد تسعة أيام . وكان قتله في رابع عشر رجب ، من سنة ثمان وتسعين . وقام من بعده أخوه الناصر أيوب — وقيل محمد ، وترتب سيف الدين سنقر أتابك الماسكر ، ثم امتقل سنقر بالسلطنة .

وفيها كان الغلاء بمصر ، فلما طلع النيل رويت البلاد ، وانحل السعر .



سنة تسع وتسعين وخمسمائة . فيها وصل الفرنج إلى عكا ، وتحرك أهل صقلية لقصد ديار مصر . فقدم من حلب خمسمائة فارس ومائة راجل ، نجدة إلى العادل وهو بدمشق . فورد كتاب ناصر الدين منكورس بن تمارتيكين ، صاحب صهيون ، يخبر بتزلو صاحب الأرمن على جسر الحديد لحرب أنطاكية ^(١) ، وأرسل أكثر الفرنج عادوا من عكا إلى البحر ، ولم يبق بها إلا من عجز عن السفر ، وأن بها غلاء عظيما ^(٢) .

(١) مضبوط على مطبوعه في أبي شامة (كتاب الروضتين ، ص ٣٦٧ ، في Rec. Hist. Or. IV) ، وقد ضبطه (Blochet: Op. cit. p. 275) بضم الخاء . (٢) صاحب الأرمن في تلك السنة (Leon II) ، أي ابن لاون الذي تقدم ذكره . راجع أيضا (Enc. Isl. Art. Armenia) . (٣) بلدة على نهر حاة أوالناسي ، يمر بها النهر في مجراه من حاة إلى شيزر ، ثم إلى بحيرة أنطية ، فدركوش بجسر الحديد ، ومنها إلى أنطاكية (G.-Demombynes : Op. cit. p. 171) . (٤) في س عظيم .

وفى نازل الأشرف موسى بن العادل ماردین مدة، ومعه الأفضل^(١). ثم تقرر الصلح على أن يحمل
[ناصر الدين أرسلان الأرمني صاحب ماردین^(٢)] للعادل مائة ألف وخمسين ألف دينار صورية،
ويخطب له بها، ويضرب السكة باسمه. فعاد الأشرف إلى حران. وفيها جهز العادل الملك
المنصور بن العزيز [عثمان] من مصر إلى الرها بأمره وإخوته، خوفا من شيعته. وفيها شرع
العادل في بناء قصير^(٣) دائر على سور دمشق بالجحر والجحر (٤؛ ب)، و[في] تعميق الخندق
• وإجراء الماء إليه. وقدم من عند العادل إلى القاهرة خلق لحفظ دمياط من الفرنج.

وفى قصد الفرنج من طرابلس، ومن حصن الأكراد وغيرها، مدينة حماة. فركب إليهم
المنصور في ثالث رمضان، وقا تلهم فهزمهم، وأسر منهم وغنم، وعاد مظفرا. فورد أنطرب بوصول
الفرنج إلى عكا من البحر في نحو سبعين ألفا، وأنهم يريدون الصلح مع الأرمن على حرب
المسلمين. ونرج جمع من الإستانار^(٤) من حصن الأكراد والمرقب، في شهر رمضان أيضا. فخرج
• إليهم المنصور، وقتل منهم مقتلة عظيمة، وأسر جماعة، وانهمز من بقى.

وفى بلغ العادل أن الملك الأفضل على ابن أخيه كاتب الأمراء، فأمر ابنه الأشرف
[موسى] أن يتزع منه رأس عين وسروج، وكتب إلى الظاهر أن يأخذ منه قلعة نجم، ففعلا
ذلك، ولم يبق معه سوى سيمياط لا غير. فسير [الأفضل] أمه إلى العادل لتشفع فيه،
فقدمت عليه إلى دمشق، فلم يقبل شفاعتها، وأعادها خائبة. وكانت هذا عيرة، فإن
•

(١) في س ومعه الاصل مده. (٢) أضيف ما بين القوسين بعد مراجعة ابن الأثير (الكامل في التاريخ، ج ١٢، ص ١١٧، وكذلك Lane - Poole: Muh. Dyns. p. 168). (٣) القصير حافظ قصير دون الحصن، أو دون سور البلد. (محيط المحيط). ويقابله في الفرنسية (Avant - Mur)، وفي الإنجليزية (Barbecan) أو (Screen-wall). راجع (Dozy: Supp. Dict. Ar.). (٤) في س الاستبانة. ثم با، ونحرف الاسم هكذا شائع في هذا الجزء من السلوك، ولعله التلق الذي تواتر في اللغة العربية، فنفخه على اللسان. وسيمياط إلى الرمم الواردة بالسن بالياء أولا، بنرتنيه، قربه من أصل مطوقة في اللغات الأوربية.

صلاح الدين لما نازل الموصل خرجت إليه الأتابيكات^(١)، ومنهن ابنة نور الدين محمود بن زنكي، يستغثن إليه في أن يبقى الموصل على عز الدين مسعود، فلم يجبهن وردهن خاتبات . فعوقب [صلاح الدين] في ولده الأفضل على^٢ بمثل ذلك، وعادت أمه خاتبة من عند العادل . ولما بلغ الأفضل امتناع عمه عن إجابة سؤال أمه قطع خطيبته، ودعا للسلطان ركن الدين سليمان ابن قلع أرسلان السلجوقي، صاحب الروم .

وفيها زاد ماء النيل زيادة كثيرة، ورخصت الأسعار . وفيها انقضت دولة الهواشم بمكة^(٣)، وقدم إليها حنظلة بن قتادة بن إدريس بن مطاعن من ينبع . فخرج منها مكث بن عيسى بن قليشة^(٤) إلى نخلة، فأقام بها ومات سنة ستمائة . ثم وصل محمد بن مكث إلى مكة، فحاربوه وهزموه . ثم قدم قتادة أبو عزيز بن إدريس، فاستقر بمكة هو وولده من بعده أمراء إلى أعوام كثيرة .

♦ ♦ ♦

سنة ستمائة . فيها تقزّر الصلح بين العادل وبين الفرنج ، وانعقدت الهدنة بينهما ، وتفزقت العساكر . وفيها نازل ابن لاون أنطاكية حتى هم عليها ، وحصر الإبرنس بقلعتها .

(١) بقصد المؤلف آل بيت نور الدين محمود بن زنكي . وعادة المفرزي هنا أيضا تدل بوضوح على أنه انتبس بحرية من ابن الأثير (الكامل في التاريخ، ج ١٢، ص ١١٩) . (٢) كان أمراء مكة، منذ سنة ٣٥٦ هـ (٩٦٦ م)، من بيت أبي محمد جعفر بن موسى الحسني الهاشمي . وكانوا تابعين للدولة الفاطمية، بشمال إفريقية ومصر، حتى استقر أبو الفتح بن أبي محمد جعفر ضا لفة قصيرة . ثم تنلب بنو فائق على مكة، وانزعوها من بني موسى . وتلام في إمارتها بيت حنّى هاشمي آخر سنة ٤٦٣ هـ (١٠٧٠ م)، وبقيت في يد أمراء هذا البيت الأخير إلى سنة ٥٩٩ هـ (١٢٠٢ م)، حين جاء قتادة بن إدريس المذكور في المقن ، وهو السبط العاشر من ولد موسى الحسني الهاشمي المتقدم ذكره، والسادس عشر من علي بن أبي طالب . وهذا وقد بقيت مكة في يد أمراء بني قتادة حتى مجي الوهابيين . (الفقشعي : صبح الأمتى ، ج ٤، ص ٢٦٧ - ٢٧٥) و (Hogarth: A Hist. of Arabia, pp. 82 et seq.) . انظر أيضا (Enc. Isl. Arts. Mecca, Katāda).

(٣) ضبط في س بفتح القاء فقط . انظر (الفقشعي : صبح الأمتى ، ج ٤، ص ٢٧١) . (٤) في س الإبرنس . وبقصد المؤلف الأمير محمد الرابع (Bohemond IV of Antioch) ، وهو الذي حالف القاهرة صاحب حلب ، كما فصل أبوه (Bohemond III) من قبله، ضد (Leon I) صاحب أرمينية . انظر (Stevenson : Crusaders In The East. PP. 298-300) .

نخرج الظاهر من حلب نجدة له ، ففزع ابن لاون . وفيها أوقع الأشرف [موسى بن العادل]
بمسكر الموصل ، وهزمهم ونازلها ، وبها السلطان نور الدين أرسلان شاه بن مسعود بن مودود
ابن عماد الدين زنكي أتابك بن آقستقر . ونهب [الأشرف] البلاد كلها قبيحا ، وبعث إلى أبيه
العادل بالبشارة ، فاستعظم ذلك وما صدقه ، وسر به سرورا كثيرا .

- وفيها ملك الإفرنج مدينة القسطنطينية من الروم ^(١٢) . وفيها تجمع الإفرنج بعكا من كل جهة .
(١٤٥) يريدون أخذ بيت المقدس . نخرج العادل من دمشق ، وكتب إلى سائر أملاك
يطلب النجدة ، فقتل قريبا من [جبل] الطور على مسافة يسيرة من عكا . وعسكر الفرنج
بمرج عكا ، وأغاروا على كفرناح ^(١٣) ، وأمرؤا من كان هناك ، وسبوا ونهبوا . واتقضت هذه
السنة والأمر على ذلك .

- وفيها مات ركن الدين سليمان بن قلع أرسلان بن مسعود بن قلع أرسلان بن سليمان بن
قطلموش بن ينفو أرسلان بن سلجوق صاحب الروم ، في سادس ذى القعدة . وقام من بعده
ابنه عز الدين قلع أرسلان ، وكان صغيرا ، فلم يستتب أمره . وفيها عاد الأشرف [موسى]
ابن العادل إلى حران بأمر أبيه . وهم العادل برحيله إلى مصر ، فقدم عليه ابنه الأشرف ، ثم
عاد إلى حران .

- وفيها خرج أسطول الفرنج إلى مصر ، وعبر النيل من جهة رشيد . فوصل إلى قوّة ، وأقام
خمسة أيام بنيب ، والعسكر تجاهه ليس له إليه وصول ، لعدم [وجود] الأسطول [العادل] ^(١٤) . وفيها

(١) في س وفيها . وقد صححت حتى لا يحدث لبس مثل الذي وقع فيه كاتب نسخة ب (٥٣ ب) ، وأتى
إلى اضطراب (Blochet : Op. cit. P. 282. N. 2) في ترجمته . (٢) لم ين الميرزى بذكر تفاصيل

هذا الحادث التاريخي العظيم ، كما فصل ابن الأثير (الكامل في التاريخ ، ج ١٢ ، ص ١٢٤ — ١٢٦) .
(٣) بئر ضبط في س ، ويسمى أيضا جبل طايور ، وهو أقرب إلى طبرية وحطين منه إلى عكا . (انظر باقوت :

معجم البلدان ج ٣ ص ٥٥٧ و ١٢٤ . G.-Demombynes : Op. cit. p. 124. N. 4) (٤) بئر ضبط
في س ، وهو بلد بين طبرية والناصرية . (باقوت : معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ٢٩٠) ، وكذلك (G.-Demombynes :

Op. cit. pp. 123, 124) (٥) في س قلع في الموضين . (٦) عبارة الميرزى هنا ، وعلى على عن
الوزال (سطر ٢ بالصفحة التالية) مقولة بنصها تقريبا عن ابن الأثير (الكامل في التاريخ ، ج ١٢ ، ص ١٣٠) .

أوقع الأمير شرف الدين قراقوش^(١) [التقوى] المظفرى ببلاد المغرب ، فقبض عليه وحمل إلى ابن عبد المؤمن . وفيها كانت زلزلة عظيمة ، عمت أكثر أرض مصر والشام ، والجزيرة وبلاد الروم ، وصقلية وقبرس ، والموصل والعراق ، وبلغت إلى سبعة بلاد المغرب . وفيها ملك الفرنج قسطنطينية من أيدي الروم ، فلم يزالوا بها حتى استعادها الروم منهم ، في سنة ستين وسقانة .

♦ ♦ ♦

سنة إحدى وسقانة . فيها تم الصلح بين الملك العادل وبين الفرنج ، وتقررت الهدنة مدة ، وشرطوا أن تكون يافا لهم ، مع مناصفات لد والرملة ، فأجابهم [العادل] إلى ذلك . وتفرقت العساكر ، وسار العادل إلى القاهرة ، فقتل بدار الوزارة ، واستمر ابنه الكامل بقلعة الجبل ، وشرع في ترتيب أمور مصر . وفيها مات الأمير عز الدين إبراهيم بن الجويني^(٢) ، وإلى القاهرة ، في سلخ جمادى الأولى . وفيها ورد الخبر بأن الفرنج أخذوا القسطنطينية من الروم . [وفيها] غارت الفرنج الإستبارية على حماة في جمع كبير ، لأن هدهم انقضت ، فقتلوا ونهبوا ، ثم عادوا . وفيها قدم الملك المنصور صاحب حماة على عمه الملك العادل بالقاهرة ، فسر به وأكرمه ، ثم رجع بعد أيام . وفيها أغار الفرنج على حصص ، وقتلوا وأسروا . ففرج العادل من القاهرة إلى بركة الحب ، ثم عاد . وفيها أغار فرنج طرابلس على جبلة واللاذقية ، وقتلوا عدة من المسلمين ، وغنموا وسبوا شيئا كثيرا .

وفيها أخذ الصاحب صفى الدين عبد الله بن شكر يفرى الملك العادل بأبي محمد مختار ابن أبي محمد بن مختار المعروف بابن قاضي دارا ، وزير الملك الكامل ، حتى نقم عليه وطلبه . تخلف عليه الكامل ، وأخرجه (٤٥ ب) من مصر — ومعه ابنه نقر الدين وشهاب الدين — إلى حلب ، فأكرمهم الملك الظاهر . ثم ورد عليه من الكامل كتاب يستدعيه إلى مصر ،

(١) في س يا الهين - (٢) يشير ضبط في س ، والجوينية إلى بلدة جوين ، وهي إحدى ثلاث بلاد بهذا الاسم . انظر (Enc. Isl. Arts. Djuwain & Djuwaini) . (٣) في س قسطنطينية ، ويوجد في (Blochet: Op. cit. p. 84. N. 1.) ترجمة من الفارسية لما جاء في كتاب جامع التواريخ لرشيد الدين عن فتح الفرنج اللاتين لقسطنطينية .

نخرج ونزل بين المباركة ظاهر حلب . فلما كان في ليلة الرابع والعشرين^(١) من ذى القعدة ، أحاط به نحو الخمسين فارساً في أثناء الليل ، وأيقظوه وقتلوه . ثم قالوا لعلمانه : ” احفظوا أمولكم ، فما كان لنا غرض سواه “ . فبلغ ذلك الظاهر فارتاع له ، وركب بنفسه حتى شاهده ، وبعث الرجال في سائر الطرقات ، فلم يقف لقتله على خبر ، فكانت هذه القضية من أعجب ما سمع .

سنة اثنتين وسمائة^(٢) . فيها قبض على الأسعد أبي المكارم بن مهدي بن ماني صاحب الديوان ، في جمادى الآخرة ، وعُلق برجليه . وفيها قبض على الأمير عبد الكريم ، أخى القاضي^(٣) الفاضل ، وأخذ خطه بعشرين ألف دينار وأداها . وأخذ من [شرف الدين إبراهيم بن

(١) في ص الرابع عشرين . (٢) في ص ثلثه . (٣) أخبار هذه السنة كلها مكتوبة على هامش الصفحة ، ويسبقها هامش مشطوب نصه : ” وفيما مات ركن الدين سليمان بن قلع أرسلان بن سعد صاحب قونية ، ملك بعده ابنه قلع أرسلان بن سليمان “ . وقد تقدمت هذه الوفاة في ص ١٦٣ (٤) في ص الأخير . (٥) موضع ما بين القوسين بياض في ص . وكان ابن قريش هذا كاتب ديوان الانشاء ، وينبأ أنه كان موسراً فقد ابقى بالقاهرة فتدا عرف باسمه ، وعن هذا الفتدق وبأنه كتب المقرري (المواظ والاعتبار ، ج ٢ ، ص ٩٣) في باب ذكر الخانات والفتادق ، مانصه : ” فتدق ابن قريش ، استجده القاضي شرف الدين إبراهيم بن قريش ، كاتب الإنشاء ... [واسمه] إبراهيم بن عبد الرحمن بن علي بن عبد العزيز بن علي بن قريش ، أبو إسحاق القرشي الخزوي المصري ، الكاتب شرف الدين ، أحد الكتاب المجيدين خطأ وإنشاء . خدم في دولة الملك العادل أبي بكر بن أيوب ، وفي دولة ابنه الملك الكامل ، بديوان الإنشاء . وسمع الحديث بمكة ومصر . وحدث . وكانت ولادته بالقاهرة ، في أول يوم من ذى القعدة ، سنة اثنتين وسبعين وخمسة . وقرأ القرآن وحفظ كثيراً من كتاب المذهب في الفقه ، على مذهب الإمام الشافعي . وبرع في الأدب ، وكتب بخطه ما يزيد على أربعمائة مجلد . ومات في الخامس والعشرين من جمادى الأولى ، سنة ثلاث وأربعين وسمائة “ .

هذا وقد تقدم ذكر والده شرف الدين هذا في ص ٨٥ ، واسمه القاضي المرتضى عبد الرحمن بن قريش ، وهو الذي تولى قراءة العهد الذي أرسى به السلطان صلاح الدين يوسف في حياته لآل بيته ، سنة ٥٧٩ هـ . وكان القاضي المرتضى قيسارية بالقاهرة ، عرف باسمه كاعرف الفتدق الذي بناه ابنه من بعده بفتدق ابن قريش . وقد وصف المقرري (المواظ والاعتبار ، ج ٢ ، ص ٨٦) تلك القيسارية ، في باب ذكر القياسر ، وترجم أيضاً لصاحبها ، بما نصه : ” هذه القيسارية في صدر سوق الجبلون الكبير ، بجوار باب سوق الوراقين . ويسلك إليها من الجبلون ومن سوق الأغصافين ، المملوك إليه من البدقانيين . وبهذه الآن سكن الأرميني (كذا) ، وبهذه سكن البرازين . قال ابن عبد الظاهر : =

عبد الرحمن [بن قريش خمسة آلاف دينار . وفيها باشر التاج ...] ^(١) بن الكهكي ديوان الجيش .
وفيها ضرب الصاحب صفى الدين عبد الله بن علي بن شكر الفقيه نصرا في وجهه بالدواة ،
فأدماه ^(٢) .

♦ ♦ ♦

- سنة ثلاث وستمائة . فيها كثرت الفارات من الفرنج على البلاد ، فخرج الملك
العادل إلى العباسية ، ثم أغد السير ^(٣) إلى دمشق . ثم برز منها إلى حصص ، فأتته العساكر من
كل ناحية ، فاجتمع عنده عشرات آلاف . وأشاع أنه يريد طرابلس ، فلما انقضى شهر
رمضان توجه إلى ناحية حصن الأكراد فتأمله ، وأسر خمسمائة رجل وغنم . واقتنع قلعة
أخرى . ثم نازل طرابلس ، وعاتت العساكر في قسراها ، ولم يزل على ذلك إلى أيام من
ذى الحجة . ثم عاد إلى حصص - وقد هجرت العساكر - فبعت صاحب طرابلس يلتبس
الصلح ، وسير مالا وتلاثمائة أسير وعدة هدايا ، فاتفق الصلح في آخر ذي الحجة . ١٠
- وفيها حدثت وحشة بين العادل وبين ابن أخيه الملك الظاهر ، صاحب حلب . فترددت
بينهما الرسل حتى زالت ، وحلف كل منهما لصاحبه . وكثر في هذه [السنة] تخريب العادل
لقلاع الفرنج وحصونهم . وفيها عزل الصاحب ابن شكر البدر ابن الأبيض قاضى العسكر ،
وفقر مكانه نجم الدين خليل بن المصمودى الحموى . وفيها قدم مانع بن سليمان شيخ آل دعيج ^(٤)
من غزنة ، ^(٥) التي فيما بين بغداد ومكة ^(٦) . ١٥

= استجدها القاضي المرضي بن قريش ، في الأيام الناصرية الصلاحية ، وكان مكانها إسبيلاً (...) ... وهوالقاضي
المرضى صفى الدين أبو الجعد عبد الرحمن بن علي بن عبد العزيز بن علي بن قريش الخزرجي ، أحد كتاب الانشاء ، في أيام
السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب . قتل شهيداً على عكا ، في يوم الجمعة عاشر جمادى الأولى ، سنة ست وخمسين
وخمسمائة . ودفن بالقديس ، ومولده في سنة أربع وعشرين وخمسمائة . وسمع السلفى وغيره " . (١) بياض في س .
(٢) يظهر أن قلة أخبار هذه السنة في السلوك راجع إلى وقوع منظر حوادثها بحلب ، فراجع في تاريخ حلب لابن العديم .
انظر (٢) (Blochet : Op. cit. p. 286, N. L.) . (٣) أغد السير ، وفي السير : أسرع . (محيط المحيط) .
(٤ و ٥) العبارة الواردة بين الرقعتين موجودة بهامش الصفحة في س ، وهي في ب (١٥٥) آخر أخبار السنة خطأ ،
ولست في (Blochet : Op. cit. P. 287) بتاتا . (٥) بنير ضبط في س ، انظر قاموس المحيط .
(٦) بنير ضبط في س ، وهي في الطريق بين مكة والكوفة . (بافوت : معجم البلدان ، ج ٣ ، ص ٨٠٠ ، ٩٢٧) .
(٧) انظر حاشية ٤ .

ومات [في هذه السنة] عبد الرحمن بن سلامة قاضي الإسكندرية بها، يوم الأربعاء ثامن صفر . وفيها تقي الأشرف ...^(١١) بن عثمان الأعور، واعتقل أخوه علم الملك . و [فيها] ماتت أم الملك المعظم بن العادل بدمشق ، في يوم الجمعة عشرين ربيع الأول ، ودفنت بسفح قاسيون .

♦ ♦ ♦

- سنة أربع وستائة . فيها عاد الملك العادل إلى دمشق، بعد انعقاد الصلح بينه وبين ملك الفرنج بطرابلس . و [فيها] بعث [العادل] استأذنه الأمير ^(١٢) الذكي العادل، وقاضي المسكن نجم الدين خليل المصمودي ، إلى الخليفة في طلب التشريف والتقليد ، بولاية مصر والشام والشرق و خلاط . فلما وصلا إلى بغداد أكرمهما الخليفة الناصر لدين الله، وأحسن إليهما وأجابهما، وسير الشيخ شهاب الدين أبا عمر بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عموي ^(١٣) الشهروردي ، ومعه التشريف الخلفي ^(١٤) والتقليد، وخلعة للصاحب صفى الدين بن شكر، وخلع لأولاد العادل :
- ١٠ وهم الملك (١٤٦) المعظم، والملك الأشرف، والملك الكامل . فعندما قارب [الشيخ أبو حفص] حلب خرج الملك الظاهر بمساكره إلى لقائه، وأكرم نزله . وفي ثالث يوم من قدومه أمر بكربى فنصب له ، وجلس عليه للوعظ . وجلس الظاهر ومعه الأعيان، فصدع بالوعظ حتى وجلت القلوب ودمعت العيون . وأخبر [الشيخ] في وعظه بأن الخليفة أطلق — في بغداد وغيرها — من المؤن والضرائب، ما مبلغه ثلاثة آلاف ألف دينار . ثم سار من حلب، ومعه
- ١٥

(١) يياض في س . (٢) مضبوطة هكذا في س .

(٣) نسبة إلى سهرورد، وهو بلد بأرض أبلجبال، جنوبي السلطانية، على الطريق بين همدان و زنجان . وقد خرج من هذا البلد جماعة من العلماء والصالحين، ومنهم أبو حفص عمر الله كورغا، وكنيته في ياقوت (معجم البلدان)، ج ٣، ص ٢٠٣ — ٢٠٤) أبو نصر . وهو صوفي شافعي المذهب، وكان إمام وقته لسانا وحالا . وقد تقدم عند أمير المؤمنين الناصر لدين الله، حتى جعله مقدما على شيخو بغداد، وأرسله في الرسائل العظيمة . وقد صنف الشهروردي هذا كتابا سماه عوارف المعارف . انظر (Enc. Isl. Arts., Suhraward & Suhrawardi) . (٤) اصطلاح عامة المؤرخين على هذه النسبة رغم خطأها . (٥) في س و خلاط . (٦) توجد بين ملصق الصفحتين ٤٥ و ٤٦ أ ورقة، بها نبذة طويلة، يرجع أنها من أخبار حصار الفرنج دباط سنة ٦١٥ هـ، وقد لصقت بين هاتين الصفحتين خطأ، فأرجو إيراد ما بها إلى موضعه المناسب .

القاضي بهاء الدين بن شداد ، وقد دفع إليه الظاهر ثلاثة آلاف دينار ، برسم النثار إذا لبس
 عمه العادل خلعة الخليفة . وبعت الملك المنصور من حاة أيضا مبلغا للثار . وخرج السكر
 من دمشق إلى لقائه ، ثم خرج العادل بابنه الأشرف موسى والمعظم عيسى ، وبرز سائر
 الناس لمشاهدة ذلك ، فكان يوما مشهودا . ولما دخل [الشيخ أبو حفص دمشق] جلس
 العادل في دار رضوان ، وأفيضت عليه الخلع ، وهي جبة أطلس أسود واسعة الكم بطراز
 مذهب ، وعمامة سوداء بطراز ذهب ، وطوق ذهب بجوهر ثقيل . وقُلد [العادل أيضا]
 بسيف محلي ، جميع قراه من ذهب . وركب حصانا أشهب بركب ذهب ، ونُشر على رأسه
 علم أسود ، مكتوب فيه بالبياض ألقاب الخليفة ، مركب في قصبة ذهب . وتقدم القاضي
 ابن شداد فنثر الذهب ، وقدم له خمسين خلعة ، وتثرت رسل الملوك بعده . ثم لبس الأشرف
 والمعظم خلعتيهما ، وهما عمامة سوداء ، وثوب أسود واسع الكم . ثم خُلع على الصاحب
 صفي الدين بن شكر الوزير كذلك . وركب العادل - ومعه ابنه ووزيره - بالخلع الخليفية ،
 وقد زينت البلد . ثم عادوا إلى القلعة ، واستمرت زينة البلد ثمانية أيام . وقرأ التقليد الصاحب
 صفي الدين على كرسي ، وخطب العادل فيه بشاهنشاه ، ملك الملوك ، خليل أمير المؤمنين .
 وكان الوزير في حال قراءته قائما على الكرسي ، والعادل وسائر الناس أيضا قيام ، إجلالا
 للخليفة . ثم سار الشهاب السهروردي إلى مصر ، فأفاض على الملك الكامل الخلعة الخليفية ،
 وجرى من الرزم كما وقع بدمشق ، ثم عاد إلى بغداد .

وفيهما أمر العادل بزيارة قلعة دمشق ، وفرق أبراجها على الملوك ، فمروها من أموالهم .
 وفيها اتسعت مملكة العادل ، فلما تمهدت له الأمور قسم مملكته بين أولاده . فأعطى ابنه
 الملك الكامل ناصر الدين (٦٤٦ ب) محمدا مملكة مصر ، ورتب عنده القاضي الأعز نضر الدين
 مقدم بن شكر . وأعطى ابنه المعظم شرف الدين عيسى من العريش إلى حمص ، وأدخل

(١) الثار ، بكسر التو ، ما يثر في العرس للماضين ، و يضم التو ، ما يثر من المساند في كل ثواب . (المهبط).

(٢) في س محمد .

في ولايته بلاد الساحل الإسلامية، وبلاد النور وأرض فلسطين، والقدس والكرك، والشوبك وصرخد . وأعطى ابنه الملك الأشرف مظفر الدين موسى البلاد الشرقية، وهي الرها وما معها من حران وغيرها . وأعطى ابنه الملك الأوحده نعيم الدين أيوب خلاط وميفارقين وتلك النواحي . وكان الأوحده قد بعث إليه أهل خلاط ليملكها، فسار من ميفارقين وملكها .

- وفيها تكل الملك الكامل محمد بناء قلعة الجبل، وتحول إليها من دار الوزارة بالقاهرة، فكان أول من سكنها من ملوك مصر . وتقل إليها أولاد [الخليفة] العاضد [الفاطمي] وأقاربه، في بيت [على] صورة حبس، فأقاموا به إلى أن حولوا منه، في سنة إحدى وسبعين وستائة^(١) . وفيها توفي الأمير داود بن العاضد في محبسه، وكانت الإسماعيلية تزعم أن العاضد عهد إليه، وأنه الإمام من بعده . فاستأذن أصحابه [الملك] الكامل أن ينوحوا عليه ويندبوه، فأذن لهم . فبرزت النساء حاسرات، والرجال في ثياب الصوف والشعر . وأخذوا في تدبه والنياحة عليه، واجتمع معهم من كان في الاستار من دعائهم . فلما تكامل جمعهم أرسل الكامل إليهم طائفة من الأجناد نبهوا ما عليهم، وقبضوا على المعروفين منهم . فلابهم السجون، واستصفي أموال ذوي اليسار منهم . ففر من بقي، وزال من حينئذ أمر الإسماعيلية من ديار مصر، ولم يحسر أحد بعدها [أن] يتظاهروا بمذهبهم .

♦ ♦ ♦

- سنة خمس وستائة^(٢) . فيها سار الكرج ونهبوا أعمال خلاط، وأسروا وغنموا، فلم يحسر الأوحده أن يخرج إليهم من مدينة خلاط . فلما بلغ ذلك الملك العادل أخذ في التجهيز لحرب

(١) قبالة هذه الفقرة، هامش الصفحة في س، ما نصه : "انظر أول من سكن قلعة الجبل من الملوك، ومدة احتلال [بقايا] الفاطميين"، وهو يخط بخالف . (٢) بقية أخبار هذه السنة واردة ورقة منفصلة بين ملحق الصفحتين ٤٦ ب، ٤٧ أ تحت عنوان نصه : "سنة أربع وستائة" . (٣) في س مبرز .

(٤) في س الكرج، بنير ضبط . والكرج آمة من المسيحيين، مساكنها بجبال القوقاز (جبال قفق)، المجاورة لتفليس . وكانت جهة أجناس مقلهم، ثم استولوا على تفليس من المسلمين سنة ٥١٥ هـ، حينما جاء في ياقوت (معجم البلدان، ج ١، ص ٧٨، ٨٥٨) . ولم يزالوا ممتلكين على تفليس، وأجناس مقلهم، حتى أغار عليهم خوارزم شاه جلال الدين، سنة ٦٣١ هـ، فاستولوا على تفليس منهم .

الكرج، وسار الأشرف من دمشق يريد بلاده بالشرق . وفيها قتل الملك معز الدين سنجر شاه ابن غازي بن مودود بن زنكي بن آقسنقر الأتابكي، صاحب الجزيرة . قتله ابنه محمود، وقام في الملك من بعده . وفيها بعث الأمير سيف الدين سقز، أتابك اليمن، عشرة آلاف دينار مصرية إلى الملك العادل، عليها اسمه .

وفيها مات القاضي مكين الدين مطهر بن حمدان، بقلعة بصرى في شهر رجب . ومات هلال الدولة وشاب بن رزين، وإلى القاهرة، وعُزل الأمير سيف الدين علي بن كهدان عن ولاية مصر، وعُزل الأسعد بن حمدان عن الشرقية، وباشرها خشخاش الوراق . وفيها توفي قاضي القضاة صدر الدين أبو القاسم عبد الملك بن عيسى بن درباس الماراني، يوم الأربعاء خامس رجب . و[كان قد] قدم مصر في رابع رجب، سنة خمس وستين وخمسمائة، فتكون مدة مقامه بديار مصر أربعين سنة .



سنة ست وستمائة . فيها خرج العادل من دمشق يريد محاربة الكرج، ومعه الملوك [من بنى أيوب: وهم الملك المنصور صاحب حماة، والملك المجاهد صاحب حمص، والملك الأجدد صاحب بعلبك. وأرسل إليه الملك الظاهر غازي صاحب حلب جيشاً]، فنزل [العادل] حران، وأتمته التجيدات [مع ولديه الملك الأوحده صاحب خلاط وميفارقين، والملك الأشرف موسى، وغيرهما]. فاستولى على نصيبين، ونازل سنجار، وبها الملك قطب الدين محمد بن زنكي . فكانت بينهما عدة وقائع، بعث في أثنائها صاحب سنجار إلى الخليفة الناصر [لدين الله]، وإلى الملك [الظاهر غازي صاحب حلب، وإلى كينخسرو بن قلج أرسلان صاحب الروم، وغيرهما] يستنجد بهم على العادل . فقال إليه عدة من الملوك، عوناه على العادل، ففارقوه

(١) مضبوط على سمي له في ياقوت (معجم البلدان، ج ٤، ص ٤٥) . (٢) مضبوط على منظومة في أبي شامة (تخات الرومانيين، ص ١٢٤، ١٦٦، في Rec. Hist. Or. V.) . (٣) راجع Blochet: Op. cit. p. 292. N. I. وابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ١٢، ص ١٨٧-١٨٩. (٥) في س الملوك . وقد أضيف ما بين القوسين من المرجعين المذكورين بالخاتمة السابقة .

عدة ممن كان معه على حصار سنجان ، ودسوا إلى جماعة من أصحابه الدسائس ، ففسدت أحواله . وقدم عليه رسول الخليفة^(١) [وهو هبة الله بن المبارك بن الضحاك] يأمره بالرحيل ، فقال له عن الإمام [الخليفة] الناصر : " قال لك بجائى يا خليلي ارحل " . فعاد [العادل] إلى حران ، ونزعت العساكر عنه .

- و[فيها] حصلت بين العادل وبين [وزيره] صاحب ابن شكر منافرة ، أوجبت غضبه وسفروه إلى البرية . فركب المنصور صاحب حماة ، ونفر الدين جهار كس صاحب بانياس ، حتى لحقاه في رأس عين ، وقدموا به على العادل فرضى عنه ، ومن حينئذ انخبط منزله .
- وفيها مات الملك المؤيد نجم الدين مسعود بن صلاح الدين يوسف بن أيوب برأس عين . وقيل إنه سُم ، فحمل إلى حلب ليدفن بها . وفيها عاد الملك العادل إلى دمشق . وفيها ولى الأمير المكرم بن الحلبي قوص ، في ذى القعدة .

* * *

- سنة سبع وستمائة . فيها ظفر الملك الأوحده بن العادل بملك الكرج ، (١٤٧) ففدى نفسه منه بمائة ألف دينار ، وخمسة آلاف أسير من المسلمين . وأن يقرم الصلح ثلاثين سنة ، وأن يزوجه ابنته بشرط ألا تفارق دينها . فأطلقه [الأوحده] ، وردت على المسلمين عدة قلاع .
- وفيها مات الأوحده ، ومَلَكَ خلاط بعده أخوه الأشرف . وفيها تحرك الفرنج إلى الساحل ، واجتمعوا في عكا . فخرج الملك العادل من دمشق ، فوقع بينه وبينهم صلح . وأخذ العادل في عمارة قلعة الطور بالقرب من عكا ، وسار إلى الكرك ، فأقام بها أياما . ثم رحل إلى مصر ، فدخل القاهرة ، ونزل بدار الوزارة .

وفيها مات الأمير نفر الدين جهار كس . وفيها تحرك الفرنج [ثانيا] ، فتجهز العادل للسفر إلى الشام . وفيها كُفِّت يد صاحب صفى الدين بن شكر عن العمل . وفيها مات السلطان

(١) راق ابن المبارك إلى الملك العادل رسول ثان ، أتى معه من بغداد ، وهو الأمير آق باش ، أحد خواص عماليك الخليفة الناصر لدين الله . (ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج ١٢ ، ص ١٨٩) . (٢) في ص ورد .

نور الدين أرسلان شاه بن السلطان مسعود الأتابكي صاحب الموصل ، في شهر رجب . وكانت مدة ملكه سبع عشرة سنة وأحد عشر شهرا . وقام من بعده ابنه الملك الفاهر عز الدين مسعود ، وقام بتدبيره الأمير بدر الدين لؤلؤ الأتابك ، مملوك أبيه .

وفيهما شرب ملوك الأطراف كأس الفتوة للخليفة الناصر ، ولبسوا سراويل الفتوة [أيضا] . فوردت عليهم الرسل بذلك ، ليكون اتخاؤهم له . وأمر كل ملك أن يسقي رعيته ويلبسهم ، لتنتمي كل رعية إلى ملكها ، ففعلوا ذلك . وأحضر كل ملك قضاة مملكته ، وفقهاءها وأمرائها وأكابرها ، وألبس كلا منهم له ، وسقاه كأس الفتوة . وكان الخليفة الناصر مغرما بهذا الأمر ، وأمر الملوك أيضا أن تنسب إليه في رمي البندق ، وتجعله قدوتها فيه .

(١) في س الفتوة بئر ضبط ، وتكررت بنقط الغاء فقط ، وبئر ضبط أيضا . ويماش الصفحة العبارة الآتية : "أخطر كأس الفتوة وسراويلها" ، بخط مخالف . وبالخاشية التالية شرح لذلك كله . (٢) يذكر زيدان (تاريخ القدر الإسلامي ، ج ٥ ، ص ١٥٤ - ١٥٤) نبذة عن البندق ، في باب ألعاب الخلفاء وملاهم ، وقد أشار إلى أنه انتسب من عدة مراجع مشهور بها ، كالقزويني وابن الأثير وابن خلدون وأبي الفداء وأبي الفرج صاحب الأغانى ، ونصه : "البندق كانت تصنع من الطين ، أو الحجارة أو الرصاص ، أو غيرها ، وهي فارسية يلفظونها واستألفها ، ويسمون أيضا الجلاهاقات ، جمع جلاحق ... وانتسب العرب هذه اللعبة في أواخر أيام [الخليفة] عثمان بن عفان ، وعقدوا ظهورها في المدينة منكرا ، ثم ألغوها حتى شكلوا فرقا من الهند ترى بها ... وكان رماة البندق في العصر العباسي طائفة كبيرة ، يخرجون إلى ضواحي المدن ، يتسابقون في رميه على الطير ونحوه ، ويعدون ذلك من قبيل الفتوة . و يظن في رماة البندق أن يشتغلوا بتطير الحمام ، ولهم زى خاص ، يمتاز بسرراويل كانوا يلبسونها ، ويسمون سرراويل الفتوة . وكان البارون من أهل بغداد يلبسونها في أواخر الدولة ، حتى إذا أفضت الخلافة إلى الناصر لدين الله العباسي ، المتوفى سنة ٦٢٢ هـ ، جعل لرمي البندق شأنا ، لأنه كان ولما به ، وبالعاب بالحمام المناسب . وكان يلبس سرراويل الفتوة ، وقد بلغ من رغبته في ذلك ، حتى جعل رمي البندق فنا ، لا ينقطع إلا القرن يشربون كأس الفتوة ويلبسون سرراويلها ، على أن يكون بينهم روابط وثيقة ، نحو ما عند بعض الجمعيات السرية . وجعل [الخليفة] نفسه رئيس هذه الطائفة ، يدخل فيها من شاء ، ويحرم من شاء . وكتب [الناصر] سنة ٦٠٧ هـ إلى ملوك الأطراف ، الذين يمتدحون بحملته ، أن يشربوا له كأس الفتوة ، ولبسوا سرراويلها ، وأن يتسبوا إليه رمي البندق ، ويجعلوه قدوتهم فيه ، فأجابوه إلى ذلك . فن أراد الانتظام في سلك هذه الطائفة بأن يناد ، فيلبس الخليفة السرراويل بنفسه . فطلعت الفتوة في البلاد جميعها ، إلا من لبس سرراويلها معه ، ومنع الرمي بالبندق ، إلا من يتسب إليه . فأجاب به الناس في العراق وغيره ، إلا إنسانا [واحدا] اسمه ابن السفت من بغداد ، [فإنه] هرب إلى الشام . فأرسل الخليفة إليه برغبة يبذل المال ، ليرى عنه ويتسب في الرمي إليه ، فلم يفعل . فلامه بعضهم على ذلك ، فقال : يكفى فخرا أنه ليس في الدنيا أحد لا يرى تحفيته إلا أنا . =

وفيها قدم إلى القاهرة كلام^(١١) الفرنجي الجنوى تاجرا، فأتصل بالملك العادل، وأهدى إليه نفائس . فأعجب [العادل] به، وأمره بملازمته . وكان [كلام] في باطن الأمر عينا للفرنج، يطالهم بالأحوال، فقبل هذا للعادل، فلم يلتفت إلى ما قيل عنه .

ومات فيها يوسف بن الأسعد بن حمات، في رابع بن جمادى الأولى، بالقاهرة . ومات^(١٢) الأمير سياروخ، في خامس عشر رجب .

وفيها قتل غياث الدين كيخسرو بن قلج أرسلان [السلجوقي] صاحب قونية، [وقد حدث ذلك في أوائل السنة، وهو يواقع الأرمن حلقاه الروم، عند بلدة خونا من أعمال آذربيجان] . وكان قد [غلبه أخوه ركن الدين سليمان بن قلج أرسلان على قونية، وأجلاه إلى الفرار منها سنة اثنين وتسعين وخمسمائة . ثم مات ركن الدين سليمان سنة ستمائة، وقام بعده في قونية ابنه قلج أرسلان بن ركن الدين . وعند ذلك] عاد كيخسرو [إلى بلاده]، بعد فراره إلى حلب [وغيرها] . ومملك [كيخسرو] قونية ثانيا، بعد خطوط جرت له، وقد قبض أهلها على

== وكان لرى البندق شأن كبير في المصور الإسلامية الوسطى، بالعراق والشام ومصر وقارس وغيرها . وخط البندقيتين بالقاهرة ينسب إلى صناعة أفراس البندق . ثم تفتتوا في رى البندق بالمرابيق أو الأنايب، بضغط الهواء من مؤخر الأنبوب، بمشب (١٥٤) أنابيب البندق . فلما اخترعوا البارود، صاروا يرمون البندق به من تلك الأنايب، وصموا هذه الآلة بتدقية، نسبة إليه . ومن قبل رى البندق رى النشاب في البرجاس، وهو غرض في الهواء، أو على رأس رخ أو نحوه، يطلبون إصابته بالنشاب . وهي لعبة فارسية، أول من لعبها من الخلفاء الرشيد . راجع أيضا ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ١٢، ص ٢٨٦ - ٢٨٧؛ والمقريزي : المواظ والاعتبار، ج ٢، ص ٣١ - ٣٢؛ و (Doz) : Supp. Diet. Ar. . هذا ويرى (Blochet : Op. cit. P. 297. N. 1.) أن النظام الذى ابتدعه الخليفة الناصر العباسى أصل هيئات وحشيات القروسية الأوربية في القرون الوسطى .

(١) كذا في س بغير ضبط، والراجع أن هذا الرسم قريب اسم (Guillaume)، على أنه يوجد في أبي الفداء. (المختصر في أخبار البشر، ص ١٥، في Rec. Hist. Or. I.) تحت سنة ٥١٨ هـ، أى في أوائل أيام الحروب الصليبية بالشام، أن جوسلين كورتني، صاحب تل باشر والرها فيا بعد، وقع أسيرا في يد المسلمين، "وأسرعه ابن خاله كلام"، واسمه الصحيح (Galeran) . انظر (Rec. Hist. Or. I. Index) . (٢) كذا في س وبغير ضبط، وترجمه (Blochet : Op. cit. p. 297) إلى (Shābrokh) . (٣) أخيه ما بين الأقواس في هذه الفقرة لتوضيح العبارة، وذلك بعد مراجعة (Enc. Isl. Art. Kaikhusraw I.) .

قلع أرسلان بن ركن الدين . ثم قُتل كيخسرو بعد ما استفحل أمره، وولى ابنه [عز الدين] كيكالوس بن غياث الدين .

وفيه كانت وقصة بين حاج العراق وبين أهل مكة بنى، قُتل فيها عبد للشرى قتادة اسمه بلال، قُتل لها سنة بلال .



- ١٠ • سنة ثمان وستمائة . فيها قبض الملك العادل على الأمير عز الدين أسامة الصلاحى، نائب كوكب وعجلون، واعتقله وأخذ جميع ماله، وسيره إلى الكرك، فاعتقل فيها هو وولده . وتسلم الملك المعظم قلعة كوكب وعجلون، وهدم قلعة كوكب، وعفى أثرها . وفيها توجه الملك العادل إلى الإسكندرية، لكشف أحوالها . وفيها قدم بهاء الدين بن (٤٧ ب) شداد من حلب إلى القاهرة، يخطب صفية [خاتون] ابنة العادل شقيقة الكامل، لابن عمها الظاهر . فاجيب إلى ذلك، وعاد مكرا . وفيها ماتت أم الملك الكامل، يوم الأحد خامس عشرى صفر، فدفنت عند قبر الإمام الشافعى . ورتب ابنها عند قبرها القزاء والصدقات، وأجرى الماء من بركة الحبش إلى قبة الشافعى، ولم يكن قبل ذلك . فقتل الناس أبنية القرافة الكبرى إلى هذه القرافة من حيثئذ، وعمروها .

(١) فى ص سامة .

(٢) كان ابن شداد وزير الظاهر صاحب حلب منذ سنة ٥٩١ هـ، وهو القاضي بهاء الدين أبو الحسن يوسف بن رافع المشهور، صاحب كتاب النوارى السلطانية والحسان الیوسفیة . ويوجد ابن شداد آخر، وهو مؤرخ أيضا، وأسمه هو الدين أبو عبد الله محمد، توفى سنة ٦٨٤ هـ، وله كتاب الملائق الخطيرة فى ذكر أمراء الشام والجزيرة . (Enc. Isl. Art. Ibn Shaddād) . كانت هذه البركة تعرف أولا ببركة المنافر وبركة حبر، وعرفت أيضا بإصطبل فرقة . وهى من أشهر برك مصر فى القرون الوسطى، وموقعها بظاهر مدينة القسطنطينية من قبلها، فيما بين الجبل والنبيل . وكانت أرضها مواتا، فزورها قوة بن شريك الميسى أمير مصر (٩١ — ٩٦ هـ) من قبل الأمويين، وأحيائها وقرمها قصبا، ولهذا عرفت بإصطبل فرقة، كما عرفت بإصطبل قماش أيضا . ثم تغيرت عليها الأسماء، حتى ما زالت تعرف ببركة الحبش، وجعلت وفقا على الطالبين، بنى على بن أبي طالب، فاشتهرت ببركة الأشراف . وكانت بركة الحبش من أكبر متزهات مصر، يهرع إليها الناس فى أعياد النوروز والظلماس والجلاد والمهرجانات وعيد الشحاتين . وقد بنى عندها الخليفة الأمر الفاطمى منقولة، سميت بمنقولة بركة الحبش . وكان ماء النيل يدخل إلى هذه البركة من خليج بنى داغل، على باب مصر من الجهة الغربية، وهو الذى عرف أيام المقرئى بباب القنطرة . (المقرئى : المواقظ والاحبار، ج ٤١ ص ٤٨٦ ج ٢، ص ١٥٢ — ١٥٧) .

وفيه خرج العادل من القاهرة، فسار إلى دمشق، وبرز منها يريد الجزيرة، فوصل إليها ورتب أحوالها، وعاد إلى دمشق، ومعه كلام الفرنجى .

- وفيه انقضى أمر الطائفة الصلاحية، بانقضاء الأمير قراجا، والأمير [عز الدين] أسامة^(١)، والأمير [نغر الدين] جهار كس، وصفت حصونهم للعادل وابنه المعظم . وفيها قتل أولاد العاضد [الفاطى] وأقاربهم إلى قلعة الجبل، في يوم الخميس ثانى عشرى رمضان . وتولى وضع القيود في أرجلهم الأمير نغر الدين الطونبا أبو شمرة بن الدويك، والى القاهرة . و[كانت] عدتهم ثلاثة وستون نفسا .

- وفيه كانت بمصر زلزلة شديدة، هدمت عدة دور بالقاهرة ومصر . وزلزلت الكرك والشوبك، فأت تحت الهدم خلق كثير، وسقط عدة من أبراج قلعها . ورؤى بدمشق دخان نازل من السماء إلى الأرض، فيما بين المغرب والعشاء، عند أرض قصر عاتكة .

- وفيه مات الموفق بن أبى الحكم التينسى، في يوم الأحد سابع عشر ربيع الأول . ومات ظافر بن الأرسوفى بمصر، في سلخ رجب . وفيها اجتمع بالإسكندرية ثلاثة آلاف تاجر، وملكان من الفرنج . فسار العادل وقبض [على] التجار، وأخذ أموالهم، وسجن الملكين .

- وفيه، أعنى سنة ثمان وستمائة، كانت فتنة بين حاج العراق وبين أهل مكة، سببها أن حشيشا جاء لقتل الشريف قتادة، فقتل شريفا اسمه أبو هارون عزيز، ظلما منه أنه قتادة . فثار الفتنة، وانهزم أمير الحجاج، ونهب الحاج عن آخره . وفر من مكة من بمكة

(١) في من مامع فتح السين والمم . (٢) كذا في ص، وبغير ضبط . وليس بالمراجع المتداولة بالحراش ما يشير بشئ. يذكر لى هذا الأمير، على أنه يوجد في ابن شداد (الوارد الطائفة)، ص ٣٠٦، في Rec. Hist. Or. III. من اسمه الطنبا، وقد خصمه الناشر إلى التونبا مع التشكك، وعرفه بأنه كان عتقا للام العادل . (٣) على هذه الكلمة البارة الآتية، وهى شطوية، لتدارك المؤلف ذكرها قبل ذلك (ص ١٧٤)، ونصها : "مات أم الملك الكامل بالقلعة في يوم الأحد خامس عشرى صفر" . (٤) في من سكدهه . (٥) البارة التالية، إلى آخر حوادث السنة، موجودة على ورقة مفصلة، بين الصفحتين (٤٨ ب، ٤٩ أ) . وراخ أن هذه الورقة لصقت هناك خطأ، إذ بالبارة الدليل الكافى ليرى ذلك .

من نواب الخليفة، ومن المجاورين . فبعث الشريف قتادة ولده راجح بن قتادة إلى الخليفة
يستنزله عما جرى، فقبل عذره، وعفى عنه .



سنة تسع وسمائة . فيها نزل العادل بعساكره حول قلعة الطور ، وأحضر الصنائع
من كل بلد، واستعمل جميع أمراء العسكر في البناء ونقل الحجارة . فكان في البناء خمسمائة بناء ،
سوى الفعلة والنحاتين . وما زال مقيا حتى جلت . وفيها قدم ابن شداد من حلب إلى دمشق
بمال كثير وخلع ، برسم عقد نكاح صفية [خاتون] ابنة العادل، على ابن عمها الظاهر صاحب
حلب ، فخرج إلى لقائه عامة الأمراء والأعيان . وعقد النكاح في المحرم ، على مبلغ خمسين
ألف دينار . وبث الثار على من حضر بقلعة دمشق ، وذلك في المحرم . ثم جهزت إليه
بجلب في جملة عظيم ، من جملة قاش وآلات ومصاغ ، يحمله خمسون بغلا ، ومائة بختي ،
وثلاثمائة حمل ، وجواري في المحامل ، على مائة حمل ، منهن مائة مغنية يلعبن بأنواع
الملهي ، ومائة جارية يعملن أنواع الصنائع البديعة . فكان دخولها إلى حلب يوما عظيما .
وقدم لها الظاهر تقادم : منها خمسة عقود جواهر بمائة وخمسين ألف درهم ، وعصابة
جواهر لا نظير لها ، وعشر قلائد غير مذهب ، وخمس قلائد بغير ذهب ، ومائة وسبعون^(١)
قطعة من ذهب وفضة ، وعشرون تحفا من ثياب ، وعشرون^(٢) جارية ، وعشرة خدام .

وفيها عزل الهمام بن هلال الدولة من ولاية القاهرة ، وولى نحر الدين الطونبا أبو شعرة^(٣)
مملوك المهراني في ... [وفيها] تغيير الملك العادل على الوزير صفى الدين بن شكر ، ورفع يده
من الوزارة ، وأبقى عليه ماله وأخرجه إلى آمد ، فلم يزل بها حتى مات العادل . وفيها فوض
العادل تدير مصر ، والنظر في أموالها ومصالحها ، إلى ولده الملك الكامل ؛ فرتب [الكامل]

(١) في س حله . (٢) البنتى الواحد من الإبل الخراسانية ، وهي جمال خضراء ذات منامين ووبر أسود ،
تستعمل في أسفار الشتاء ، والجمع بختا وبخت . (محيط المحيط : Lane : Lexicon) . (٣) في س
حص . (٤) في س وسجين . (٥) في س وعشرين ، في الموضعين . أما التخت ففراش يصان فيه
الثياب . (محيط المحيط) . (٦) انظر ص ١٧٥ ، حاشية ٢ . (٧) يياض في س .

القاضي الأعز غفر الدين مقدم بن شكر، ناظر الدولتين . وفيها خرج العادل من الشام يريد خلاط، (٤٨) فسار إليها ودخلها، وفيها ابنه الأشرف، [و] قد استولى على ما بها من الأموال.

♦ ♦ ♦

سنة عشر وسمائة . فيها تخوف الظاهر صاحب حلب من عمه العادل، وأخذ في الاستعداد، ثم ترأس إلى سكني الحال . وفيها ولدت صفية ابنة العادل لابن عمها الظاهر مولودا، سماه محمدا، ولقبه بالملك العزيز غياث الدين، وذلك في خامس ذي الحجة .
فزيت حلب، واحتفل الظاهر احتفالا زائدا، وأمر فصيح له من الذهب والفضة جميع الصور والأشكال ما وُزن بالقناطير، وصاغ [له] عشرة موهود من ذهب وفضة، سوى ما عمل من الأنبوس والصنديل والعود وغيره . ونُسج للصبي ثلاث فرجيات من لؤلؤ، في كل فرجية أربعون حبة ياقوت ولؤلؤ ورمز (٢) ودرعان وخوذتان وبركستان (٤) و (٥) كل ذلك من لؤلؤ، وثلاثة سروج مجوهرية، في كل سرج عتة قطع من جوهر رائع وياقوت وزمرد؛ وثلاثة سيوف، علاقتها وقبضاتها من ذهب مرصع بأنواع الجواهر؛ وعدة رماح من ذهب، أستها جوهر .

وفيها حج الظاهر خضر بن صلاح الدين يوسف بن أيوب من حلب، فلما قارب مكة صدّه قصاد الملك الكامل محمد بن العادل عن الحج، وقالوا: "إنما جئت لأخذ بلاد اليمن"،

(١) توجد بقالة هذا القطع، بعاش الصفحة في س، العبارة التالية: "وفيها مات شهاب الدين بن ظهير الدين... ابن الطار بأقاهرة في رجب . ومات الملك الأوح [أيوب] بخلاط" . ويظهر أن القسري أعطى مكان هاتين الواقعتين، لأن الأوح نجم الدين أيوب بن العادل، وصاحب خلاط، توفي سنة ٦٠٧ هـ . (راجع أبا القسدا: المختصر في أخبار البشر، ص ٨٦، في Rec. Hist. Or. I، in Lane-Poole: Saladin. Table II، pocket . (٢) في س أوبين . (٣) اللؤلؤ هو اليختم، حسب جاء في القفطشي (صح الأعشى، ج ٢، ص ٩٩ — ١٠٠) . انظر ص ٥٠، حاشية ٨، وكذلك (Dozy: Supp. Diet. Ar.) : (٤) في س ودرعين وخوذتين . (٥) في س وبرك اسطوان، بقصة على الواو فقط . والبركستان فاشية الحصان المزركشة، وتكون لغير الخيل، كالقبيلة . (Dozy: Supp. Diet. Ar.) . ويأخذ هذا في الإنجليزية (Caparison)، وفي الفرنسية (Caparaçon)، وأصلهما من القبط الإيباني (Caparazon)، كما جاء في المأجم الإنجليزية والفرنسية . (٦) في س لث . (٧) في س ثلاث .

فقال [الظاهر خضر] : "يا قوم! قيدوني، ودعوني أقضى مناسك الحج". فقالوا : "ليس معنا مرسوم إلا بردك". فردّ إلى الشام، من غير أن يحج، فقام الناس لذلك .

وفيهما مات الأمير نغر الدين إسماعيل وإلى مصر بها . وفيها دخل بنو مَرِين إحدى قبائل زناتة من القفر، ونهبوا أعمال المغرب ، وحاربوا الموحدين وهزموهم ، وكان أمير بني مَرِين إذ ذاك عبد الحق بن محيو بن أبي بكر بن حمامة بن محمد بن ورصيص بن فُكُوس بن كوماط بن مَرِين .

♦ ♦ ♦

[٢٦] سنة عشر وستمائة . فيها حُفِر خندق مدينة حلب ، فوجد فيه بلاطة صَوَان، عليها أحرف مكتوبة بالقلم السرياني، فترجموه بالعربية، فإذا هو : "لما كان العالم محدثا دل أن له محدثا، لا كَهْو"؛ وكتب [تحت هذه الأحرف] : "نخسة آلاف من السنين خلون من الأسطوان الصّغير" . فقلّمت البلاطة، فوجد تحتها سبع عشرة قطعة من ذهب وفضة وصورى ، على هيئة اللّين ، فاعتبرت فكان الحاصل منها ذهبا ثلاثة وستين رطلا بالحلي، وكان منها فضة أربعة وعشرين رطلا، وحلقة ذهب وزنها رطلان ونصف رطل، وصورى عشرة أرطال ونصف، فكان الجميع زنته قنطار واحد بالحلي .

(١) كذا في س .

(٢) العبارة الآتية إلى آخر السّنة، واردة في ورقة منفصلة في س، بين الصفحتين (٤٧ ب، ٤٨ أ) . وقد حذف كاتب النسخة ب (٥٨ ب) العنوان كعادته، واكتفى بكتابة "وفيها حفر خندق ... " . (٣) في س : محدث . (٤) أشكلت هذه الكلمة على المقرئى، فكتب فوقها "كذا"، وضبط كلمة الصغير بفتح الصاد، ولم يستطع الناشر أن يصل إلى توضيحها من المراجع والوسائل التي تيسرت له . هذا وقد ترجم Blochet: Op. cit. p. 304 العبارة كلها إلى : "Ces inscriptions étaient datées de cinq mille ans à très peu de chose près". (٥) كذا في س، وقد كتب المقرئى فوق هذا اللفظ أيضا "كذا" .

(٦) في س وستون . (٧) في س وعشرون . (٨) توجد "كذا" فوق هذا القنطار أيضا . (٩) وردت أخبار هذا الحفر، وظهور البلاطة، وما تحتها من مدّن، في البنى (عقد الجمان، ج ١، قسم ٢، ص ٣٤٣)، وفي ابن العباد (شذرات الذهب، ج ٥، ص ٣٩) دون أية إشارة إلى لفظي "الأسطوان" و"صورى"، ولا إلى الكتابة الرّبانية .

سنة إحدى عشرة وستمائة . فيها فز الملك المنصور بن العزيز [عثمان بن صلاح الدين يوسف] من اعتقال عم أبيه الملك العادل، وخلق بالظاهر صاحب حلب، [ولاد به] هو وإخوته، فأكرمهم [الظاهر] . وفيها تجمع فرنج قبرس وعكا وطرابلس وأنطاكية، و[انضم إليهم] عسكار بن لاون ملك الأرمن، لقصد بلاد المسلمين، نفاقهم المسلمون . وكان أول ما بدأوا به بلاد الإسماعيلية، فتأزوا [قلعة] أنطواي، ثم ساروا عنها إلى أنطاكية . وفيها ظفر السلطان عز الدين كيكافوس بن كيكافوس بن قلع أرسلان السلجوقي، صاحب بلاد الروم، بالأشكري ملك الروم . وفيها خرج الملك العادل من الشام يريد مصر، فزل في القاهرة بدار

(١) بغير ضبط في س، ووقع هذا الحصن الجليل على نحة عشر ميلا من أنطوس .

(Le Strange: Palest. Under Moslems. p. 485, & Index).

(٢) يطلق المأثرون من مؤرخي المسلمين هذا الاسم على أباطرة الدولة البيزنطية، منذ أوائل القرن السابع الهجري . ذلك لما استولت جيوش الفرنج اللاتين، الذين عرفت حلهم بالحرب الصليبية الرابعة، على القسطنطينية سنة ٦٠٠ هـ (انظر ص ١٦٣)، خلوا إمبراطورها (Alexius III)، وأقاموا بدله واحدا منهم، وأسمه (Baldwin, Count of Flanders) . ثم ما لبث الوطنيون من البيزنطيين أن وجدوا في (Theodore Lascaris I) زوج ابنة الإمبراطور المخلوع، زعيما لهم في حركة إخراج اللاتين، فخرجوه إمبراطورا بمدينة نيقية سنة ١٢٠٦ م . وحكم "الأشكري" (Lascaris) هذا إمبراطورية الروم بيقية، حتى وقاه سنة ١٢٢٢ م . (Cumh. Med. Hist. IV. pp. 423, 425, 427). وهذا الإمبراطور هو الذي قتل السلطان غياث الدين كيكافوس السلجوقي، سنة ١٢١٠ م . (انظر ص ١٧٣). ثم ظفربه عز الدين كيكافوس بن كيكافوس، كما في المتن، وكان قد وقع في يد التركان، فأسلوه إليه . (أبو الفداء: المختصر في تاريخ البشر، ص ٨٦، ٨٧، في ٨٧، وكان وخلف الأشكري هذا في إمبراطورية نيقية زوج ابنته، وأسمه (John III)، حتى توفي سنة ١٢٥٤ م . ثم حكم الإمبراطورية بعد هذا الإمبراطور ولده الوحيد (Theodore Lascaris II)، حتى توفي سنة ١٢٥٨ م . وقد ترك هذا الإمبراطور التاج لولده فاضرا على عرش نيقية، وأسمه (John IV)، فخلعه وصيه (Michael Paleologus)، وأعلن نفسه إمبراطورا سنة ١٢٥٩ م، باسم (Michael VIII)، وهو الذي وصفه القلقشندي (صبح الأعشى، ج ٥، ص ٤٠٢) بأنه "طريق من بطارقة الروم"، شهرة لشكري، وأسمه ميخائيل، "يقصد بذلك كان (Patricius)، أي من الأشراف، وليس من رجال الدين . (انظر محيط المحيط، و Cumh. Med. Hist. IV. pp. 503, 504). وهذا الإمبراطور الجديد هو الذي استرجع القسطنطينية، سنة ١٢٦١ م، من الفرنج اللاتين، وبسط سلطان الدولة البيزنطية عليها، كما كان من قبل . (Op. Cit. IV. pp. 509-516). ويلاحظ أن ميخائيل هذا ليس من بيت الأشكري الأول، بل هو سليل أسرة أخرى بالقسطنطينية، غير أن اسم الأشكري غلب على أباطرة الدولة البيزنطية عامة . (القلقشندي: قس المرجع والمجلد، والصفحة) . انظر أيضا ابن الأثير (الكامل في التاريخ، ج ١٢، ص ١٢٦) .

الوزارة، واستمر ابنه الكامل بقلمة الجليل . و [أمر العادل أن يقيم] معه كلاً [الفرنجي الجنوى] بدار الوزارة . وفيها ورد الخبر بموت سقر أتابك اليمن ، واستقر بعده الملك الناصر أيوب [صاحب اليمن في ملكه]، وقام بأتابكته غازي .

وفيها شرع الملك العادل في تليط جامع بني أمية [بدمشق]، وكانت أرضه حُرّاً وجُوراً، وتولى العمل الوزير صفى الدين بن شكر . وفيها تأمل أهل دمشق وغيرها بالقراطيس السوداء (٣)، ثم هطلت بعد ذلك، وفُتيت . وفيها تولى سهم الدين عيسى القاهرة في شوال، وتولى جمال الدين ابن أبي المنصور وكالة بيت المال [بها] . ومات سعد بن سعد الدين بن كوجيا في عشرين ربيع الآخر .

وفيها حج الملك المعظم عيسى بن العادل من دمشق، وحج معه الشريف سالم بن قاسم بن مهنا الحسيني أمير المدينة النبوية . فعزم الشريف قتادة أمير مكة على مسكه، فلم يتمكن منه، فعاد [الشريف سالم] محمبة الملك المعظم إلى دمشق . فبعثه المعظم على عسكر إلى مكة، فمات في الطريق قبل وصوله مكة، فقام بهاز بن قاسم — وهو ابن أخيه — بتدبير الجيش . فجمع قتادة، وسار إلى ينبع ولقيه، فهزم قتادة .

♦ ♦ ♦

سنة اثنى عشرة وسمائة . فيها نازل الفرنج [قلعة] الخواي، وحاربوا الباطنية، ثم صالحوهم . وفيها سير الخليفة الناصر [لدين الله] كتابه الذي ألفه وسماه روح العارفين، إلى الشام ومصر وغيرها، ليُسَمَّع . وفيها ملك الفرنج أنطالِيَّةَ، وقتلوا من بها من المسلمين .

(١) في س "رسمه كلام (كذا) بدار الوزارة" وقد أضيف ما بين القوسين لتوضيح العبارة . (انظر ص ١٧٣) .
(٢) ضبط الفرزي الحرف الأول من الكلمتين بالضم . وفي محيط المحيط : الجوة هي الحفرة، وما اغتض من الأرض، وأجمع جود . (٣) معنو القراطيس هنا القضبان من الفضة، (Dozy : Suppl. Dict. Ar.)، فiran وصفها بالسواد بدل على أنها من نحاس . (انظر ص ٩٩، حاشية ١) . (٤) كذا في س، وبغير ضبط، وهو موقوف في (Blochet : Op. cit. p. 306) إلى (Koukīn) .

(٥) كتاب في الحديث . انظر (Blochet : Op. cit. p. 306. N. 3) . (٦) في س اطلاكمة، وبغير ضبط . ونظراً لفرزي واضح من بقية العبارة، بالصفة التالية . وأضافة لفرحين، بآسيا الصغرى، على شاطئ البحر الأبيض المتوسط . (ياقوت : معجم البلدان، ج ١، ص ٣٨٨) .

وكانت بيد الملك [غياث الدين كبحسرو، منذ فتحها سنة اثنتين وسمائه، إلى أن أجله الفرنج عنها سنة سبع وسمائه. ثم استردها منهم الملك] الغالب عز الدين كيكاولس [سنة ثلاث عشرة وسمائه، بعد أن بقيت بأيدي الفرنج تلك المدة. وفي هذه السنة أيضا سار عز الدين إلى بلاد الأرمن، وحاصر قلعة جابان، وهزم عندها جيوش الأرمن، ورجع إلى قيصرية قبل أن يستولى على قلعة جابان. ثم طلب الأرمن الصلح، وأجابهم إليه عز الدين]، (٨، ب) فأخذ [في مقابل الصلح] من بلاد الأرمن قلعة لؤلؤة [ولؤ زاد].

وفيها مات الملك المعظم أبو الحسن على بن الخليفة الناصر [لدين الله، وهو أصغر أولاده]، فلبس قدم نبيه على ملوك الأطراف جلسوا في المزاء، لابسين شعار الحزن، خدمة للخليفة.

وفيها سير الملك الكامل ابنه الملك المسعود صلاح الدين يوسف إلى اليمن، فخرج في جيش كثيف من مصر، وصار إلى بلاد اليمن، فاستولى على معانها، وظفر بصاحبها الملك سليمان شاه ابن سعد الدين شاهنشاه بن الملك المظفر تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن نجم الدين أيوب. فسيره تحت الحوطة إلى مصر، فأقام بالقاهرة إلى سنة سبع وأربعين وسمائه، فخرج إلى المنصورة غازيا، فقتل شهيدا. وذات بلاد اليمن لالك المسعود.

وفيها عاد الملك العادل من الشام إلى القاهرة، فلما قرئ عليه ما أنفق على الملك المسعود في خروجه إلى اليمن استكثره. وأنكر [العادل] خروجه، فإنه كان بشير أمره. وأمر [العادل] ١٥ بالقاضي الأعز فُضرب وقيد، واعتقل بقلعة الجزيرة، ثم حمله إلى قلعة بصرى، فسجنه بها. وفيها

(١) أنضيف ما بين الأقواس التوضيح، وهذا بعد مراجعة (Enc. Isl. Arts, Kaikans I. & Kaikhusraw, I.).

وقد ضبطت الأعلام، التي استزنتها المارة، على مطويعها في هاتين المقالتين.

(٢) أفرد ابن الأثير (الكامل في التاريخ، ج ١٢، ص ٢٠١ - ٢٠٢) خلافا لوفاء أبي الحسن هذا، قال فيه إن الخليفة حزن عليه حزنا لم يسمع بمثله، حتى أنه أرسل إلى أصحاب الأطراف يتألم عن إلقاء رسول إليه يميزه بولده، ولم يقرأ كتابا ولا سمع رسالة، واقتطع وخلا به يومه وأحرانه، وروى عليه من الحزن والجزع ما لم يسمع بمثله... وسمع الصراخ العظيم من داخل التربة، قتيلا إن ذلك صوت الخليفة... " (٣) في س معانها.

- مات ابن سوروس^(١) بن أبي غالب بطريق اليعاقبة ، في يوم الخميس عيد الفطاس ، سنة اثنين وثلاثين وسبعمائة للشهداء - وهو الرابع عشر من رمضان - وله في البطركية مدة ست وعشرين سنة وأحد عشر شهرا وثلاثة عشر يوما . وكان أولا يتجر إلى بلاد اليمن ، ففرق [مرة] ، وجاء الخبر بأن لم يسلم سوى بمشاشته . وكان لأولاد الجباب معه مال ، فأبسوا منه . فلما أجمع بهم أعلمهم أن ما لهم سلم ، فإنه كان قد عمله في مقابر من خشب ، وسميها في المركب ، وأحضره إليهم . فتميز عندهم بذلك ، حتى مات البترك مرقص بن زرة . فتحدث ابن سوروس في البتركية للقس أبي ياسر ، وكان مقيا بالعدوية . فحسن له بنو الجباب أن يقوم هو بأمر البتركية ، فتحدث في ذلك ، وزكوه قتولى . وكان معه يومئذ سبعة عشر ألف دينار مصرية ، فزفها في مدة بطركيته على الفقراء ، وأبطل الديارية ، ومنع الشرطونية ، ولم يأكل في ولايته كلها لأحد من النصارى خبزا ولا قبل لصغير ولا لكبير منهم هدية . وكان القس داود بن يوحنا - المعروف بابن لقلق ، من أهل الفيوم - ملازما للشيخ نشء الخلافة أبي الفتوح بن الحقاط ، كاتب الحيوش

- (١) في س اساسوس ، وبغير ضبط ، واسمه أبر المحاذ بن أبي غالب بن سوروس ، وانخفض اسم هذا البندس لهذا تولى البطريركية سنة ٥٨٥ هـ .
(Butcher : Church of Egypt. II, pp.115, 120, 123; Blochet : Op. cit. p. 308, N. 1.)
(٢) كما في س ، وبلاحظ أنها وارودة ، وكذلك لفظ البطريركية انشتق منها ، بالنسبة بدل الفاء ، في نفس الصفحة في س . (انظر سطر ٦٦ هـ ٧) .
(٣) بغير ضبط في س ، انظر (Blochet : Op. cit. p. 308, N. 1.) . (٤) بغير ضبط في س .
انظر بعض أخباره في (Butcher : Op. cit. II, pp.87-89 et seq.) . (٥) في س اساسوس .
(٦) غرة جنوبي القسطنطينية ، على شاطئ النيل ، بها دير اسمه دير الطير . (يانقوت : معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ٦٨٦ ج ٤٣ ص ٦٢٤) . (٧) في س الخشاب . (٨) نسبة إلى الديار ، وهو رئيس الدبر ، ويظهر أن الطريق كان يفرض على الأديرة ضريبة بهذا الاسم . (المقرئى : الخواص والاعتبار ، ج ٢ ، ص ٥٠١) . (٩) بغير ضبط في س ، وفي محيط المحيط : "شرطن الأسقف الراعب ، أى رسمه قسا ، بوضع يده عليه . وهو مأخوذ من الشرطونية ، عبرت خرتوتيا باليونانية ، وسمتها وضع اليد ... " . ويضخ من قول المقرئى أن الشرطونية كانت ما يدهه القس للكنيسة عند ترسيه . (Dozy Suppl. Diet. Ar.) .
(١٠) بغير ضبط في س . انظر (Butcher : Op. cit. II, p. 124) . (١١) في س نشو .

المادية ، و [كان] يسافر معه ويصلي به . فلما (١٤٩) مات ابن سوروس سأل أبو الفتح^(١) الملك العادل أن يولى القس داود البتركية ، فأجابته وكتب له توقيعا بذلك ، من غير أن يعلم الملك الكامل . فلم يعجب بعض النصارى ولاية داود ، وقام منهم رجل يعرف بالأسمد ابن صدقة ، كاتب دار القضاة بمصر ، وجمع كثيرا من النصارى المصارين بمصر ، وطلع في الليلة التي وقع الاتفاق على تقديم القس داود في صبيحتها ، ومعه الجمع إلى تحت قلعة الجبل . واستأفوا بالملك الكامل ، وقالوا : "إن هذا الذي يريد أبو الفتح عمله بطركا بنير أمره ما يصلح . ونحن في شريعتنا لا يقدم البطرک إلا باتفاق الجمهور عليه" . فخرج إليهم الأمر [من عند الكامل] بتطبيب قلوبهم . وفي سحر النهار ركب القس داود ، ومعه الأساقفة - وعالم كبير من النصارى - ليقدّموه بكنيسة المعلقة بمصر ، وكان ذلك يوم الأحد عيد الزيتونة . فركب الملك الكامل إلى أبيه ، وعرفه أن النصارى لم يتفقوا على بطركية داود ، ولا يجوز عندهم تقديمه إلا باتفاق جمهورهم . فسير الملك العادل إلى الأساقفة ليحضروهم حتى يتحقق الأمر ، فوافاهم الرسل مع القس داود ، عند زقاق كنيسة الحمراء . فأحضرت الأساقفة إلى الملك العادل ، ودخل داود إلى كنيسة الحمراء ، وأكمل أمره ، وخلا الكيسي من بطريق ، تسع عشرة سنة ومائة وستين يوما .^(٥)

(١) في سانسوس . (٢) لم يترجم (Blochet: Op. cit. p. 309) ما يلي هذا من أخبار تلك الأزمنة في الكنيسة القبطية ، على أنها موجودة في ب (١٥٩) . (٣) في س الفلاح بنفرضبط ، وكانت دار الفلاح قدفا بجاء باب زويلة ، يرد إليه القروا كه على اختلاف أصنافها ، ما ينبت في بساتين ضواحي القاهرة . (المقرئى : المراسم والاحتبار ، ج ٢ ، ص ٩٣) . وكان بدشت أيضا دار مشابة لها ، اسمها دار البطيخ والفاكهة

(G.-Domombynes : Op. cit. p. 151).

(٤) موضع هذه الكنيسة بخط قناطر السباع ، فيما بين القاهرة ومصر ، وقد بنيت سنة ١١١٧ هـ ، وكانت تعرف أركيا بكنية يرمثا (يوحنا) . وكانت مظنة عند النصارى ، لاقطاع كثير من المتصلين بها ، ويحمل إليها نصارى مصر سائر ما يحتاج إليه ، ويثبون إليها بالنفوس الخليفة والصدقات الكثيرة . (المقرئى : المراسم والاحتبار ، ج ٢ ، ص ٥٠٢) . (٥) وافق الملك الكامل أخيرا على اعتلاء القس داود كرسى البطركية ، وتسمى باسم كيرلس الثالث (Cyril III). انظر (Butcher : Op. cit. II. pp. 123-126, 131-132, 135-138, 139 et seq).

وفي جمادى الأولى صرف الملك العادل زكى الدين الطاهر بن محيى الدين محمد بن على القرشى عن قضاء دمشق، وألزم جمال الدين عبد الصمد بن محمد بن أبى الفضل الحرساني بولاية القضاء [بها]، وله [من العمر] اثنان وتسعون سنة. وفيها قدم إلى القاهرة من الشرق رجل معه حمار، له ستام كستانم الجبل، يقص ويدور، ويستجيب له إذا دعاه.



- سنة ثلاث عشرة وستمائة . فيها ولي بهاء الدين ... (٢) ... بن الجهمزى خطابة القاهرة، في ثالث عشر المحرم . وولى أبو الطاهر المحلى خطابة مصر، في ثاني صفر. [وفيها] سار الملك العادل من القاهرة إلى الإسكندرية، فرتب أمورهما وعاد . وفيها قدم البهاء بن شداد برسالة الظاهر من حلب إلى العادل، وهو بالقاهرة. فرض الظاهر في خامس عشرى جمادى الأولى، ومات في ليلة الثلاثاء العشرين من جمادى الآخرة، عن أربع وأربعين سنة وأشهر، ومدة تملكه بحلب إحدى وثلاثون سنة . وكان قد سمع الحديث وأسمعه بحلب، وكان سفاكا للدماء، شهما يقظا صاحب سياسة، وله شعر حسن . وقام من بعده ابنه الملك العزيز غياث الدين محمد، وعمره يومئذ ستان وأشهر، بعهد [من] أبيه . وكان الملك العادل - عند ما مرض الظاهر - رتب بريدا من مصر إلى حلب يطالعه بنجره، فأماه نفيه قبل كل أحد . فأحضر [الملك العادل] ابن شداد، وقال له : " يا قاضى ! صاحبك قد مات في ساعة كذا من يوم كذا " . فعاد ابن شداد إلى (٤٩ ب) حلب .

١٥

وفيها كان ابتداء خروج التتر من بلادهم الجوانية إلى بلاد العمم . وفيها قدم الشريف قاسم من المدينة النبوية، فأغار على جدة، فخرج إليه الشريف قتادة أمير مكة، وكسره يوم عيد النحر .

(١) نسبة إلى حرسنا، وهي قرية كبيرة، في وسط بساين دمشق، على مسافة فرسخ منها، في الطريق إلى حصص . وكان الشيخ عبد الصمد "نقطة محاسنا"، وكان فيه عسر وعلل، في الحديث والحكومة، ومولده سنة ٥٢٠ هـ . (ياقوت : معجم البلدان، ج ٢، ص ٢٤١) - انظر ص ١٨٨ . (٢) بياض في س . (٣) - في س ثلاثين . (٤) في س وأشهر .

* * *

سنة أربع عشرة وستمائة . فيها وصل الشيخ صدر الدين بن حويّنه من بغداد،
بجواب رسالة الملك العادل إلى الخليفة الناصر [لدين الله] .

وفيهما نتابعت أعداد الفرنج في البحر من روما وغيرها إلى عكا، وفيهم عتة من ملوكهم —
وقد نقضوا الصلح، وعزموا على أخذ القدس، وسائر بلاد الساحل وغيرها — فعظم جمعهم .
نفرج العادل من مصر بمساكره ، وسار إلى لد . فبرز الفرنج من عكا في خلق عظيم ، فحمل
العادل على نابلس، ونزل في بيسان . فقال له أبنه المعظم لما رحل : " إلى أين أباه ؟ " . فنبه
[العادل بالعجمية] ، وقال : " [من أقاتل ؟] أقطعت الشام عماليك، وتركته من ينفعني من
أبناء الناس [الذين يرجعون إلى الأصول] ، وذكر كلاما في هذا المعنى^(١) .

فقصده الفرنج ، فلم يطق لقائهم ، فلقه من معه . فاندفع من بين أيديهم على عتبة فيق ، وكتب
بمحضين دمشق ، وتقل الغلات من داريّا إلى القلعة^(٢) ، وإرسال الماء على أراضي داريّا وقصر حجاج^(٣)
والشاعور . ففرغ الناس وابتهلوا إلى الله ، وكثر حجيجهم بالجامع . فزحف الفرنج على بيسان —
وقد اطمان أهلها بتزول العادل عليهم — فاتتهبوها وسائر أعمالها ، وبذلوا في أهلها السيف ، وأسروا

(١) في س ص د - انظر أبا البداء (المختصر في أخبار البشر ، ص ٩٥ ، ١١٤ في Rec. Hist. Or. I.) وكذلك (Blochet : Op. cit. p. 311. N. 2.) .

(٢) يوجد في (Blochet : Op. cit. p. 311. N. 3.) تفصيلات من كتاب مرجع الكرب لابن راصل ،
عن تلك الحملة الصليبية ، وهي المروقة في التاريخ بالخماسة . (٣) أخيف ما بين الأقواس من أبي ثامة
(كتاب الروضتين ، ص ١٦٢ - Rec. Hist. Or. V.) . (٤) بغير ضبط في س ، وفق بلدة ،
(ياقوت : معجم البلدان ، ج ٣ ص ٩٣٢) بين دمشق وطبرية ، ويقال لها أخيف أيضا . (Blochet : Op. cit. p. 312. N. 3.)
(٥) بغير ضبط في س ، وهي قرية كبيرة من قرى دمشق بالهولة ، واللبه إليها داراني ،
على غير قياس . (ياقوت : معجم البلدان ، ج ٤ ص ٥٣٦) . (٦) يطلق لفظ قصر ، مضافا لاسم آخر ،
على كثير من المرافق حول دمشق ، مثل قصر أم الحاكم ، وقصر بني حاصر . ويقع قصر حجاج ، وهو بغير ضبط في س ،
عند ظاهر باب الجابية ، وهو محلة كبيرة . ترجع نسبتهما إلى حجاج بن عبد الملك بن مروان . (ياقوت : معجم البلدان ،
ج ٤ ص ١١٠) . انظر أيضا (Blochet : Op. cit. p. 312. N. 3.) . (٧) بغير ضبط في س ، وهي

محلة بالباب الصغير ، ظاهر مدينة دمشق . (ياقوت : معجم البلدان ، ج ٤ ص ٢٣٦) .

وغنموا ما يحل وصفه . وانبثت سراياهم فيما هنالك ، حتى وصلت إلى نوى .^(١) ونازلوا بانياس ثلاثة أيام ، ثم عادوا إلى مرج عكا ، وقد أنكروا في المسلمين أعظم نكاية . وانبثت أيديهم بالأسرى ، والسبي والغنائم ، وألفوا بالقتل والتحريق ما يتجاوز الوصف . فلم يتمكنوا بالمرج سوى قليل^(٢) ، ثم أغاروا ثانيا ، ونهبوا صيدا والشقيف ، ورجعوا . وذلك كله من نصف شهر رمضان إلى يوم عيد الفطر .

ونزل العادل بمرج الصفر ، ورأى في طريقه رجلا يحمل شيئا ، وهو يمشي تارة ويقعد أخرى ، فقال له : "يا شيخ ! لا تعجل ، ارفق بنفسك" . فقال له : "يا سلطان المسلمين ! أنت لا تعجل ، أو أنا ؟ إذا رأيناك قد سرت من بلادك ، وتركتنا مع الأعداء ، كيف لا تعجل ؟" .

- وعند ما استقر العادل بمرج الصفر ، كتب إلى ملوك الشرق ليقدموا عليه : فأول من قدم عليه أسد الدين شيركوه ، صاحب حمص ، [وهو ابن ناصر الدين محمد بن أسد الدين شيركوه ، عم السلطان صلاح الدين يوسف^(٣)] . ثم إن العادل جهز ابنه المعظم عيسى [صاحب دمشق] ، بطائفة من العسكر إلى نابلس ، كي يمنع الفرنج من بيت المقدس . فنازل الفرنج قلعة الطور ، التي أنشأها العادل ، وجردوا في قتال أهلها ، حتى تمكنوا من سورها ، وأشرفوا على أخذها . فقدر الله أن بعض ملوكهم قُتل ، فانصرفوا عنها إلى عكا ، بعد ما أقاموا عليها سبعة عشر يوما . واتقصت السنة والحال على ذلك ، من إقامة الفرنج بمرج عكا ، والعادل بمرج الصفر .

(١) غير ضبط في س ، وهي بلدة من أعمال حوران ، وقيل هي قصبها ، بينها وبين دمشق مئتان . (ياقوت : معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ٨١٥) .

(٢) في س قليل . (٣) انظر (Lane-Poole : Saladin, Table II, in pocket) .

(٤) كان قائد الصليبيين في تلك الواقعة "ملك الهنك" ، وهو (André II. Roi de Hongrie) ، وقد اصرف بساكر كما في المتن . أما "بعض ملوكهم" ، الذي قتل في تلك الملحمة ، فاحمه غير موجود في المراجع المتداولة في هذه الحواشي ، وغاية ما هنالك أنه "كند كبير" ، أي (grand comte) . وقد حاول ابن أخت ملك المجر ، بعد انفصال الفرنج عن الطور ، أن يستولى على جبل صيدا ، فجاهه المسلمون هناك وأسروه ، بعد أن قتلوا معظم عساكره . (أبو شامة : كتاب الروضتين ، ص ١٦٢ — ١٦٥ ، في Rec. Hist., Or. V.) .

وفيها مات القاضي الأجل قاضي قضاة الشام أبو القاسم عبد الصمد بن محمد بن أبي الفضل بن علي بن عبد الواحد الأنصاري الخزرجي البغدادي السعدي الدمشقي الشافعي جمال الدين بن الحرساني، في رابع ذى الحجة، ومولده بدمشق في أحد الربيعين، سنة عشرين ونحسمائة. و[مات] الأمير الكبير بدر الدين محمد بن أبي القاسم بن محمد الهكاري، قتله الفرنج على حصن الطور، فنقل إلى القدس، ودفن بترته. و[مات] الشجاع محمود بن الدباغ، مضحك الملك العادل، وترك مالا جزيلا.

سنة خمس عشرة وسمائة. فيها اجتمع رأي الفرنج على الرحيل من عكا إلى مصر، والاجتهاد في تملكها. فاقبلوا في البحر، وأرسوا على دمياط، في يوم الثلاثاء رابع شهر ربيع الأول - الموافق لثامن حزيران - على برجية^(١٦) (١٥٠) دمياط، فصار النيل بينهم وبين البلد. وكان إذ ذاك على النيل برج منيع، في غاية القوة والامتناع، فيه سلاسل من حديد، عظام القدر والغلظ، تمتد في النيل تمتع المراكب الواسلة في بحر الملح من عبور أرض مصر. وتمتد هذه السلاسل في برج آخر يقابله، وكانا مشحونين بالمقاتلة، ويعرف اليوم مكانهما في دمياط بين البرجين.

(١) مضبوط في بعض النسخ. (٢) الجيزة في اللغة الناحية وجانب الرادى، (محيط المحيط، والمقرئى: المواقظ والاعتبار، ج ١ ص ٢٥٥) ولعل تلك التسمية راجعة إلى وقوع الجبهات المسماة بهذا الاسم عند مجازي النهر.

(٣) تقدم ذكر اهتمام السلطان صلاح الدين يوسف بهذين البرجين، وسلاسلهما (انظر ص ٧٢، حاشية ٢)، وقد أقاض معظم المؤرخين في وصفهما، لمناسبة استيلاء الصليبيين على أحد البرجين، كما سيأتي فيقول أبو شامة (كتاب الزوضنين، ص ١٦٧ - ١٦٨ في Rev. Hist. Or. V): "قلت وأذكر وأنا بدمشق، حين بلغ الناس أخذ [الفرنج] برج السلطة. وقد شنق [على من يهره مشقة شديدة. منهم شيخنا أبو الحسن السعدي، ورأيت بصرب يدا على يد، ويضرم أمر ذلك. وصممت الفقيه عز الدين بن عبد السلام بسأله عنه، فقال: هو قتل الديار المصرية، وصدق. قال لما رأيت في سنة ثمان وعشرين [وسمائة] ... بأن لي حصنة ما أشار الشيخ إليه. وذلك أنه برج عال. منى في وسط النيل، ودمياط بمخاضه على حافة النيل من غربه، وفي ناحيته سلاسل، تمتد إحداها على النيل إلى دمياط، والأخرى على النيل إلى البحيرة، فيمتد (كذا) كل سلسلة عبور المراكب من ناحيتها، إذا أراد ذلك، حين قتل نفسه. فهوصل البلاد بالديار المصرية، إذا أوقعت السلطان امتنع على المراكب العبور (١٦٨) إليها، ومن لم يكن (كذا) السلطة بربط المراكب، وبلغت إلى القاهرة ومصر، وإلى قوص وأسوان، وانه المستعان". انظر أيضا ابن الأثير (المكامل في التاريخ، ج ١٢ ص ٢٠٨ - ٢١٧ والمقرئى: المواقظ والاعتبار، ج ١ ص ٢١٣ - وما بعدها). هذا وقد اتهمه المقرئى في رواية هذه الحوادث، في كتابه هنا، وفي المواقظ والاعتبار، على ابن الأثير، اتهاماً كلياً، وحرفياً تحريماً.

- وصار الفرنج في غربي النيل ، فأحاطوا على معسكرهم خندقاً ، وبنوا بدائرهم سوراً . وأخذوا في محاربة أهل دمياط ، وعملوا آلات وممرات ، وأبراجاً [متحركة] ، يزحفون بها في المراكب إلى برج السلسلة ليلكوه ، حتى يتمكنوا من البلد . فخرج الكامل بمن بقي عنده من العسكر ، في ثالث يوم من سقوط الطائر ، فحسب خلون من ربيع الأول . وتقدم إلى والي الغربية بجمع سائر العربان ، وسار في جمع كثير . وخرج الأسطول ، فأقام تحت دمياط . وتزل السلطان [الكامل] بتاحية العادلية ، قريباً من دمياط ، وسير البعوث ليمنع الفرنج من العبور ، وصار يركب في كل يوم عدة مرار من العادلية إلى دمياط ، لتقدير الأمور وإعمال الحيلة في مكيدة الفرنج .

- وأخ الفرنج في مقاتلة أهل البرج ، فلم يظفروا بشيء ، وكثرت ممراتهم وآلاتهم ، وتعادى الأمر على ذلك أربعة أشهر . وهذا [الملك] العادل يجهز عساكر الشام شيئاً بعد شيء إلى دمياط ، حتى صار عند الكامل من المقاتلة ما لا يكاد يمحصر عدده .

وفي أثناء ذلك ورد الخبر بحركة الملك [الغالب عن الدين] كيكلوس السلجوقي ، سلطان الروم ، إلى البلاد الشامية ، بموافقة الملك الصالح صاحب آمدوغرته من ملوك الشام ، وأنه وصل إلى منبج ، وأخذ تل بآشور . وانفق [كيكلوس] مع الملك الأفضل على بن صلاح الدين

(١) جمع مرة ، وهو نوع من السفن الكبار . (انظر ما على ، وكذلك : Blochet : Op. cit. p. 315) حيث ترجمت إلى (gros navires) . وفي القريزي (المواعظ والاعتبار ، ج ١ ، ص ٢١٦) أن الصليبيين هاجموا برج ديب ط بعد أن " عملوا برجاً من الصواري على سفينة (كذا ، ولعل المقصود بطلة) كبيرة ، وأطلقوا بها حتى أسدوها إليه ، وقاطنوا من به " . (٢) في ص وأبراج . (٣) يسمى القريزي (قس المرجع والمجلد ، والصفحة) هذا الموضع بالقرية العادلية ، والمتركة فقط ، وروايت أنه لا علاقة بين هذه الناحية وبين بلدة المتركة الحالية ، الواقعة على بحيرة المتركة . انظر (P. Ouar Toussoun : Op. Cit. 1. 2. Pl. II. b.) . (٤) في ص كبر .

(٥) في ص منبج ، وبغیر ضبط . ومنبج مدينة قديمة ، تقع على مسافة ثلاثة فراسخ من القرات ، وعشرة فراسخ من حلب ، ومنها البحري وأبو فراس الحمداني . (انقوت : معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ٦٥٤ - ٦٥٦) .

(٦) بغیر ضبط في ص ، وهو قلعة حصينة ، وكورة أيضاً ، في شمال حلب ، بينها وبين حلب يومان . (انقوت : معجم البلدان ، ج ١ ، ص ٨٦٤) .

[صاحب سيمساط] أنه يسلمه ما يفتحته من البلاد ، فلم يف [كيكاؤس^(١)] بما وعد ، وسلم ما فتحه لنوابه . فتقاعد عنه كثير من الناس ، وأوقع العرب بطائفة من عسكره ، فقتلوا وأسروا منهم كثيرا ، ونهبوا لهم شيئا له قدر ، فرجع إلى بلاده بغير طائل .

هذا والعدل بمرج الصفر ، فيينا هو في الاهتمام بأمر الفرنج ، إذ ورد عليه الخبر بأخذ الفرنج برج السلسلة بدمياط ، فتأوه تأوها شديدا ، ودقَّ بيده على صدره أسفا وحزنا ، ومرض من ساعته . فرحل من المرج إلى عاليق^(٢) ، وقد اشتد مرضه ، فمات في سبع جمادى الآخرة يوم الخميس . فكنم أصحابه موته ، وقالوا قد أشار الطبيب بعبور دمشق ليتداوى . فعمل في مخفة ، وعنده خادم ، والطبيب راكب بجانب المخفة ، والشربدار يصلح الأشرطة ، ويمهلها إلى الخادم ليشرها السلطان ، يومئذ الناس بذلك أنه حي ، إلى أن دخل قلعة دمشق ، وصارت بها الخزان والحرم وجميع البيوت . فأعلم بموته ، بعد ما استولى ابنه الملك المعظم على جميع أمواله ، التي كانت معه ، وسائر رخته ونقله ، ودفنه (هـ ب) بالقلعة . فاخبط الناس حتى ركب المعظم ، وسكن^(٣)

(١) أضيف ما بين الأقواس بد مراجعة (Enc. Isl. Art. Kaikaus. I.)

(٢) بغير ضبط فس ، وهي قرية يظهر دمشق . (Le Strange: Palest. Under Moslems. p. 391.)
(٣) تقدم أشياء هذا الاسم المركب ، عند الكلام على الأستاد والدرادار ، والسلمدار والجدار ، وغيرها . ومدلول وظيفة الشربدار ظاهر ، وهو الخدمة بشرابمئاته السلطان ، أو الأمير . غير أنه ينبغي التنبيه إلى أن تلك الوظيفة كانت من وظائف الخدم ، أو الحرف الصناعية . (الفنقشدى : صبح الأعشى : ج ٥ ، ص ٤٦٩) . أما الأمير الذي يسوق السلطان على المواشي ، ويهيئ على مد الباط وتقطع اللحم ، وسق المشروب بعد رفع الباط ، فاسمه السابق (فص المرجع والجزم) ص ٤٥٤ . وكانت هناك وظيفة أخرى تنطق بطعام السلطان ، أو الأمير ، وهي وظيفة الجاشنكير ، ويقوم صاحبها بفوق المأكول والمشروب ، قبل السلطان أو الأمير ، نحو ما من أن يدس عليه فيه سم أو نحوه . وتتركب هذه الكلمة من لفظين فارسين ، أحدهما باشا ومعناه الذوق ، والثاني كير وهو بمعنى المتعاطي . (فص المرجع والجزم ، ص ٤٦٠) .

(٤) بغير ضبط فس . وهو لفظ فارسي معناه المتاع . وفي (Quatremère : Maml. I. I. p. 333) أمثلة توضيح استعمال هذا اللفظ . منها أن أميرة جت "بجمل زائد ورخت عظيم وريك هائل" . والرخوانية هم الذين يتولون العناية بمتاع السلطان ، أو الأمير ، في الأسفار . هذا ورخت الخادم الحصان ، ألبه الرخت ، وهو — في الغالب — البركستوان المتقدم ذكره (انظر ص ١٧٧) . والحصان المرخت ، الذي عليه رخت جميل . (Dozy : Supp. Diet. Ar.)

أمر الناس ، ونادى في البلد : "ترجوا على السلطان الملك العادل ، وادعوا لسلطانكم الملك المعظم . أبقاه الله" . فبكى الناس بكاء كثيرا ، وأشدت حزنهم لفقده .

- وكان مولده في المحرم سنة أربعين — وقيل سنة ثمان وثلاثين — ونعمانية بدمشق .
- وسمع من السلفى وابن عوف ، وعُرفت مواقفه في جهاد العدو بشغور دمياط ، في سنة خمس وستين ونعمانية ، في أيام الخليفة العاضد ، وفي مدينة عكا . وملك دمشق في سنة اثنين وتسعين ونعمانية ، وكانت مدة ملكه لها ثلاثا وعشرين سنة . وملك مصر ، في سنة ست وتسعين ، فكانت مدة ملكه لها تسع عشرة سنة وشهرا واحدا وتسعة عشر يوما . ورُزق في أولاده سمادة قلما يتفق مثلها الملك ، فبلغوا تسعة عشر ولدا ذكرا ، سوى البنات . وهم : الملك الأوحده نجم الدين أيوب ، صاحب خلاط ، وكان قصيرا في الغاية ، شهما مقداما ، سفاكا للدماء ، مات في حياة أبيه ؛ والملك الفائز إبراهيم ، والملك المغيث عمر — و[قد] توفيا أيضا .
- في حياته — وترك عمر ابنا سمي بالملك المغيث شهاب الدين محمود ، رآه عمه الملك المعظم عيسى ؛ والملك الجواد شمس الدين مودود ، ومات في حياته [أيضا] — وترك الملك الجواد [ولدا اسمه] مظفر الدين يونس بن مودود ، بقى عند عمه الملك الكامل بمصر ، ثم ملك دمشق وغيرها ، وكان جوادا شجاعا ، والملك الكامل ناصر الدين محمد ، صاحب مصر ، والملك المعظم شرف الدين أبو العزائم عيسى ، صاحب دمشق ، وشقيقاه الملك العزيز عماد الدين عثمان ، صاحب بانياس — وكان جوادا شهما — والملك الأحمده محمد الدين حسن ، ومات في حياة أبيه بالقدس ، ودفن في مدرسة بنيت له ، ثم نقل إلى الكرك ؛ والملك الأشرف مظفر الدين موسى ، صاحب الشرق وخلاط ، بعد أخيه الملك الأوحده ؛ والملك مظفر شهاب الدين غازي ، صاحب ميافارقين ؛ وشقيقاه الملك المزمجر الدين بققوب ، والملك القاهرة بهاء الدين تاج الملوك إسماعيل ؛ والملك الصالح عماد الدين إسماعيل ، صاحب بصرى ، ثم دمشق ؛ والملك
- المفضل قطب الدين أحمد ، ومات بمصر في أيام أخيه الكامل بالقيوم ، ووصل في تابوت

إلى القاهرة ، في نصف رجب سنة ثمان عشرة وسقانة ؛ والملك الأعمد تقي الدين عباس ، وهو أصغرهم ، ولد في سنة ثلاث وسقانة ، ومات آخرهم ، بدمشق ، في سنة سبع وستين (١٠١٠) وسقانة ، في أيام الملك الظاهر بيبرس ؛ والملك الحافظ نور الدين أرسلان ، صاحب قلعة جعبر ؛ والملك الظاهر بهاء الدين خضر ؛ والملك المغيث شهاب الدين محمود ؛ والملك الناصر صلاح الدين خليل .

ووزر [لك العادل] ^(١) ضبيعة الملك أبو سعيد بن أبي اليمن بن النحال مدة قصيرة ، وكان نصرانيا فسلم على يده ، بعد عودته مع الأفضل على " صلاح الدين إلى مصر ، في سنة اثنين وثمانين وخمسائة . فلما مات [ابن النحال] استوزر [العادل] الصاحب صفى الدين عبد الله بن شكر الدمي ، فنجبر وسطا ، وتمكن من السلطان ، واستولى عليه ، وعظم قدره . وأوقع [ابن شكر] بعتة من الأكابر ، وصادر أكابر كلب الدولة ، واستصفى أموالهم . ففتر منه القاضي الأشرف ابن القاضي الفاضل إلى بغداد ، واستشفع بالخليفة الناصر [لدين الله] ، وأحضر كتاب شفاعته إلى العادل . وفتر منه علم الدين بن أبي الجحاج ، صاحب ديوان الجيش ، والأسعد بن ممان صاحب ديوان المال ، إلى حلب ، فأكرمهما الملك الظاهر ، حتى ماتا عنده . وصادر بنى حدائق وبنى الجباب وبنى الجليس ، وأعيان الكتاب المستوفين ^(٢) ، والعادل لا يمارضه في شيء . هذا

(١) في مس " ووزر له ضبيعة الملك أبو ... " .

(٢) جمع مستوفى ، بكسر الفاء ، وهو حبا جاء في القلقشندي (صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ٤٦٦) من كتاب الأموال بالدواوين ، وعمله ضبط الديوان التابع له ، والتنبيه على ما فيه صلته ، من استخراج أمواله ونحو ذلك . وقد تقدم أنه لما تضاءل منصب الوزارة منذ الأيوبيين ، تحول كثير من أعماله إلى النظار (انظر ص ٥٣ ، حاشية ٤) وأول هؤلاء ناصر الدولة ، أو ناظر الدواوين ، وكانت أولا يماون الوزير في تصرة العامة ، وهذه تشغل سائر شؤون الدولة بمصر والشام . وبقي بعده مستوفى الصعبة ، وهو يشارك الوزير بمداونه أيضا في الأمور العامة ، مثل كتابة المراسم وتسجيلها . ويليه في المرتبة مستوفى الدولة ، وهو كستوفى الصعبة في القنود ، وربما اندمجت الوظائف أحيانا . ويلاحظ أن هؤلاء الكتاب كانوا يمينون على عامة الدواوين ، على أنه كان لكل ديوان ناظر ، ويخضعه المستوفى والشاهد . فمستوفى الخاص في ديوان الخاص ، ومستوفى المرحمات في ديوان المرحمات . وقد ظلت وظيفة هذا الأخير على وظيفة ناظر المرحمات التي ألفت ، وأصبح المستوفى بدواونه هو المتصرف . (G.-Demombynes : Op. cit. Index III). هذا وقد بنى اسم المستوفى في بلاد فارس إلى القرن التاسع عشر الميلادي ، وكان يطلق من كبار آب السالية . (Morier : Hajji Baba In England, pp. 17, 21a).

- وهو يتفَضَّب على السلطان، [واستمر على هذا الحال] إلى أن غضب [على السلطان مرة]، في سنة تسع وستائة، وحلف أنه ما بقي يخدمه . فأخرجه السلطان [العاقل] من مصر، بجميع أمواله وحرمه، فكان يُنقل على ثلاثين جملاً . وحسَّن أعداؤه للسلطان أن يأخذ ماله، فامتنع [واكتفى^(١) بإخراجه إلى آمد] . وسار [صفي الدين] إلى آمد، فأقام عند الصالح بن أرتق . فأقام العادل من بعده القاضي الأعز نفار الدين مقدم بن شكر، ثم نفى عليه في سنة اثنتي عشرة وستائة، وضربه وقيده، وأخرجه من مصر، ولم يستوزر بعده أحدا .

- ومن أعجب الانقافات أن الملك الأفضل على بن صلاح الدين يوسف لم يملك مملكة إلا وأخذها عمه العادل منه : فأول ذلك أن أباه أقطع حران والرها وميفارقين ، في سنة ست وثمانين وخمسة، فسار إليها، حتى [إذا] بلغ حلب رده أبوه ، وبعث الملك العادل إليه . ثم ملك الأفضل بعد أبيه دمشق ، فأخذها العادل منه . ثم ملك مصر بعد ذلك، فأخذها منه العادل . ثم ملك صرخد، فأخذها منه العادل، وعوضه قلعة نجم وسروج ، ثم استرجعها منه بعد ذلك .

- فلما تمهدت [للك العادل^(٢)] الممالك قسمها بين أولاده ، فلك هو وأولاده من خلاط إلى اليمن . ورأى [العاقل] في أولاده ما يجب، من اتساع الممالك وكثرة الظفر بالأعداء، بحيث لم يسمع عن ملك أنه رأى في أولاده (١٠١ب) ما رآه العادل ، فإنه اجتمع في كل منهم من النجابة والنبيل، والكفاية والمعرفة، والفضيلة وعلو الهمة، ما لا مزيد عليه . ودانت لهم البلاد، وملكوا خيار البلاد . وكان كثيرا ما يتردد [العاقل] في ممالك أولاده، وأكثر أوقاته يصيف بدمشق، ويشقى بمصر. وكان أكلهما، يأكل خروفا مشويا بمفرده، وله اقتدار زائد على التكاح، ومُنِعَ في دنياه بأرض عيش، وتمكن من السعادة في سائر أحواله . وكان حميد السيرة، حسن العقيدة، كثير السياسة، صاحب معرفة بدقائق الأمور، قد حكته التجارب، فسعدت آراؤه، ونجحت تدبيراته . وكان لا يرى محاربة أعدائه، ويستعمل في مقاصده

(١) انظر ص ١٧٦ . (٢) في س "فلما تمهدت له..." .

المكائد والخذع . فهادنته الفسرج لقوة حزمه وشدة ثيقظه ، وغزارة عقله وقوة كيدته ، ومكره ومداومته على المخادعة والمخاتلة ، وكثرة صبره وحلمه وأثاته ، بحيث إنه كان إذا سمع ما يكره يفضى عنه تجاوزا وصفحا ، كأنه لم يلفه . و [كان] لا يُخْرِج المال إلا عند الاحتياج إلى إخراجهِ ، فيسمع حينئذ يبذل الكثير منه ، ولا يتوقف فيما ينفق ، فإذا لم يحتاج إلى إخراج المال ضنَّ به وأمسكه . فتأبَّت له بذلك أغراضه كما يجب ، وانقادت له الأمور مثل ما يُختار . وكان يحافظ على أداء الصلوات في أوقاتها ، ويحب السنة ، ويكرم العلماء ، مع العظمة وقوة المهابة المتمكنة في القلوب . وله صنف الإمام نضر الدين الرازي كتاب تأسيس التقديس ، وبعث به إليه من بلاد نراسان .

ومات [الملك العادل] عن خمس وسبعين — وقيل ثلاث وسبعين — سنة . وترك مالا كثيرا ، منه في خزائنه — التي استولى عليها ابنه المعظم — سبعمائة ألف دينار مصرية ، سوى ما كان له في الكرك ، فاحتوى عليه أيضا الملك المعظم . وكتب [المعظم] إلى أخوته بموت أبيه ، فجلس الملك [الكامل] للجزاء ، في معسكره بظاهر ديباط ، وارتاع لموت أبيه خوفا من الفرنج .

السلطان الملك الكامل ناصر الدين

أبو المعالي محمد بن الملك العادل أبي بكر بن أيوب ، سادس ملوك مصر [من الأيوبيين] . استقل بمملكة مصر بعد موت أبيه ، بهداه إليه في حياته ، وكانت سلطته بعد السابع من جمادى [الآخرة سنة خمس عشرة وستمائة ، (١٠٢)] عند ما وصل إليه نبي أبيه ، وهو بالمتزلة العادلية على محاربة الفرنج — وقد ملكوا البر النربي ، واستولوا على برج السلسلة ، وقطعوا السلاسل المتصلة به ، لتعبر مراكبهم في بحر النيل ، وتمكنوا من أرض مصر . فنصب الملك الكامل عوضا من السلاسل جسرا عظيما ، يمنع الفرنج من عبور النيل . فقاتل الفرنج عليه قتالا كثيرا حتى قطعوه ، وكان قد أفق على هذا البرج والجسر ما ينف

(١) في س فئات . (٢) ما بين القوسين يياض في س ، ما خلا عبارة " من جمادى " ، فإنها محبوبة بوجه ملصقة فوقها . ولكنها في ب (٦٢) .

- على سبعين ألف دينار . فأمر الكامل بتفريق عدة من المراكب في النيل ، منعت الفرنج من سلوكه ، فسدل الفرنج إلى خليج هناك يعرف بالأزرق^(١) ، كان النيل يجري فيه قديما . فحفروه حفرا عميقا ، وأجروا فيه الماء إلى البحر الملح ، فجرت سفنهم فيه إلى ناحية بورة^(٢) ، على أرض جيزة دمياط ، تجاه المنزلة التي فيها الكامل ، ليقاقلوه من هناك . فلما استقروا في بورة حاذوه ، وقاقلوه في الماء ، وزحفوا إليه غير مرة ، فلم ينالوا منه غرضا طائلا . ولم يضر أهل دمياط ذلك ، لتواصل الأمداد والميرة إليهم ، وكون النيل يحجز بينهم وبين الفرنج ، بحيث كانت أبواب المدينة مفتحة ، وليس عليها حصر ولا ضيق البتة .
- هذا والعربان تحفظ الفرنج في كل ليلة ، بحيث منعه ذلك من الرقاد ، خوفا من غاراتهم . فتكالب العرب عليهم حتى صاروا يحتطفونهم نهارا ، ويأخذون الخيم بمن فيها . فأكن لهم الفرنج عدة كثرة ، وقتلوا منهم خلفا كثيرا . وأدرك الناس الشتاء ، فهاج البحر على معسكر المسلمين ، وغرق الخيم ، فظلم البلاء ، واشتد الكرب . وألح الفرنج في القتال ، ولم يبق إلا أن يملكوا البلاد . فأرسل الله سبحانه ريحا قطعت مراسي مرمة كانت للفرنج من عجائب الدنيا ، فزوت تلك المرمة إلى البر الذي فيه المسلمون فلكوها ، فإذا هي مصفحة بالحديد ، لا تعمل فيها النار ، ومساحتها خمسمائة ذراع ، وفيها من المسامير مازنة الواحد منها خمسة وعشرون رطلا .
- وبعث السلطان إلى الآفاق سبعين رسولا ، يستجد أهل الإسلام على قتال الفرنج ، ويستعظمهم على إلقاء المسلمين منهم وإغاثتهم ، ويخوفهم من تغلب الفرنج على مصر ، فإنه متى ملكوها لا يتمتع عليهم شيء من الممالك بعدها . فسارت الرسل في شوال ، فقدمت النجيدات من حماة وحلب^(٣) .

(١) انظر الحاشية التالية .

(٢) مضبوطة هكذا في س ، وهو الضبط الصحيح ،

وهي بلدة على ساحل البحر الأبيض المتوسط ، في الشمال الغربي من دمياط ، ومنها السكك البرية المعروفة بمصر . (ياقوت : معجم البلدان ، ج ١ ص ٧٥٥ و ٧٥٦ ، N. 2. و Blochet : Op. cit. P. 320.) ومن هذا يتبين أن بحري الخليج الأزرق بين بورة وشمال المنزلة العادلية . وفي جنوبي المنزلة العادلية موضع اسمه بستان بورة . انظر (P. Omar Toussoun : Op. cit. I. 2. Pl. II. b.)

(٣) و ٤) ما بين الرقين وأرد بورة مفصلة بين الصفحتين (٤٥ ب - ٤٦ أ) من س ، (انظر ص ١٦٧ ، حاشية ٦) ، وليس بالحق إشارة ، كمادة المؤلف ، إلى موضع هذا الغامش ، على أنه لاشك في منابته هنا ، فإنه موجود بنصه ، وعلى تزيه كما هنا ، ضمن حوادث حصار دمياط ، بالقريري (المرواظة والاعتبار ، ج ١ ص ٢١٦) .

إلا أنه لما قدم على المعسكر موت العادل وقع الطمع في الملك الكامل، وثار العرب بنواحي أرض مصر، وكثر خلافهم واشتد ضررهم. واتفق مع ذلك قيام الأمير عماد الدين أحمد ابن الأمير سيف الدين أبي الحسين على بن أحمد الهكاري، المعروف بابن المشطوب، وكان أجل الأمراء الأكبر، وله لقيف من الأكراذ الهكارية، يتقادون إليه ويطيعونه، مع أنه كان وافر الحرمة عند الملوك، معدودا بينهم كواحد منهم، معروفا بعلو الهمة وكثرة الجود، وسعة الكرم والشجاعة، تنابه الملوك، وله وقائع مشهورة في القيام عليهم. ولما مات أبوه، وكانت نابلس إقطاعا له، أرصد ثلثها السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب لمصالح القدس، وأقطع ابنه عماد الدين هذا بقيتها، فلم يزل قائم الجاه من الأيام الصلاحية. فاتفق [عماد الدين] مع جماعة من الأكراذ والجند على خلع الملك الكامل، وتليك أخيه الفائز إبراهيم، ليصير لهم التحكم في المملكة. ووافقه على ذلك الأمير عز الدين الحميدى، والأمير أسد الدين الهكاري، والأمير مجاهد الدين، وعدة من الأمراء.

فلما بلغ الكامل ذلك دخل عليهم، فإذا هم مجتمعون وبين أيديهم المصحف، وهم يحلفون لأخيه الفائز. فعند ما رأوه تفرقوا، فغشى على نفسه منهم، وخرج. فاتفق قدوم صاحب صفى الدين بن شكر من آمد، فإنه كان قد استدعاه [الكامل] بعد موت أبيه. فنتفاه [الكامل] وأكرمه، وأوقفه على ما فيه جماعة الأمراء، فثجمه وضمن له تحصيل المال وتدير الأمور. فلما كان في الليل ركب [الكامل] من المنزلة العادلية، في الليل جريدة، وسار إلى أثموم طناح^(١)، فقتل بها. وأصبح السكر وقد قتلوا السلطان، فركب كل أحد هواه، ولم يبرح واحد منهم على آخر. وتركوا أمتاعهم وخيامهم وأموالهم وأسلحتهم، ولم يأخذ كل (٥٢ ب) أحد إلا [ما] خف حمله. فبادر الفرنج عند ذلك، وصبروا برمياط وهم آمنون، من غير منازع ولا مدافع، وأخذوا كل ما كان في معسكر المسلمين، وكان شيطا

(١) بعض حروف هذه العبارة متأكل في س، ولكنه في ب (٦٣ ب). (٢) بنير ضبط في س، وكانت

عاصمة الدولة والمرتاحة، وتقع شرق المنصورة، وجنوب دكنر الحالية. (إفروت: معجم البلدان، ج ١، ص ٢٨٢)

و P. Omar Toussoun : Op. cit. I. 2. Pl. I. & P. 244 .

لا يقدر قدره ، وذلك لبضع عشرة ليلة خلت من ذى القعدة . فكان نزول الفرج قبالة دمياط في يوم الثلاثاء ثاني شهر ربيع الأول سنة خمس عشرة [وسمائه] ، ونزولهم في البر الشرق — حيث مدينة دمياط — يوم الثلاثاء سادس ذى القعدة سنة ست عشرة .

فتزلزل الملك الكامل ، وهم بمفارقة أرض مصر ، ثم ثبتت ^(١) ، فتلاحق به العسكر . وبعد

يومين وصل إليه أخوه الملك المعظم عيسى صاحب دمشق — وهو بأشموم — في ثامن عشر ذى القعدة . فقويت به شوكته ، وأعلمه بما كان من أمر ابن المشطوب ، فوعده بأزالته عنه .

ثم ركب المعظم إلى خيمة ابن المشطوب ، واستدعاه للركوب معه للسارة ، فاستمهل حتى يلبس خُفَّه ونِسابه ، فلم يمهله وأعجله . فركب معه وهو آمن ، وسيره حتى خرج به من المعسكر وبعده عنه . فالتفت إليه [المعظم] ، وقال : ” يا عماد الدين ! هذه البلاد لك ، أشتى

أن تهبا لنا “ . وأعطاه نفقة ، وأسلمه إلى جماعة من أصحابه يثق بهم ، كان قد أعدمهم لهذا الأمر ، وأمرهم أن يلازموه إلى أن يخرج من الرَّمْل ^(٢) ، ويحفظوا به إلى أن يدخل إلى الشام . فما وجد [ابن المشطوب] سبيلا إلى الامتناع ، ولا قدر على المداغة ، لأنه بمفرده بينهم . فساروا به على تلك الحالة إلى الشام ، فزل بحماة عند [الملك] المنصور ، ومعه أربعة من خدمه .

ولما سار ابن المشطوب رجع المعظم إلى أخيه الكامل ، وتقدم إلى أخيه الفائزبان

يمضي إلى الملوك الأيوبية بالشام والشرق رسولاً عن الملك الكامل ، بسبب إرسال عساكر الإسلام ، لاستنقاذ دمياط وأرض مصر من الفرج . وكتب الكامل إلى [أخيه] الأشرف [موسى] شاه أرمْن ، يستحثه على سرعة الحضور ، وصنر المكتبة بهذه الآيات :

يا مُسعدى ! إن كنت حقاً مُسقى • فانهض بفسير طيب وتوقف

(١) في م س ثبت .

(٢) بفر ضبط في م ، و يعرف برمل الغرابي أيضاً ، ويطلق هذا الاسم على الأراضي الصحراوية بين الباسة والعرش . (المقرئى : المواظ والاعتبار ، ج ١ ، ص ١٨٢ — ١٨٣) . (٣) في م شاهارمن ، ويقصد المؤلف به الأشرف موسى الأيوبي ، صاحب مملكة خلاط ، وكانت هذه الإيالة الأرمينية الصغيرة قد آلت إلى الأيوبيين بعد زوال أسرة سيف الدين بكتر ، سنة ٥٦٠ هـ . (ظر Enc. Isl. Arts. Armenia & Begtimur) .

وَاحْتُتْ قُلُوبُكُمْ مَرْقَلًا أَوْ مَوْجِفًا • تَجْعَمُ فِي سِيرِهَا وَتَعَسَفُ
وَأَطْوِي الْمَنَازِلَ مَا اسْتَطَعْتُ وَلَا تُنْخِجُ • إِلَّا عَلَى بَابِ الْمَلِكِ الْأَشْرَفِ
وَأَقْرِ السَّلَامَ عَلَيْهِ مِنْ عَيْدِهِ • مَتَوَقَّعٌ لِقُدُومِهِ مَنَشُوفٌ
وَإِذَا وَصَلْتَ إِلَى حِمَاهُ فَقُلْ [لَهُ • عَنَى بِحَسَنِ] تَوْصِلُ وَتُلْطِفُ
(١٥٢) إِنْ نَأَتْ عَيْدُكَ عَنْ قَلِيلٍ تَلْقَاهُ • مَا يَنْ كُلَّ مَهْنَدٍ وَمَتَقِفٍ
أَوْ تَبْطِ عَنْ إِنْجَاهِهِ فَلَقَاؤُهُ • بَلْ فِي الْقِيَامَةِ فِي عَرَاصِ الْمَوْقِفِ

فسار الفاتر — وكان الفرض إخراجهم من أرض مصر — فصى إلى دمشق ، ورحل
إلى حماة ، ثم سار إلى الشرق . فانتظم أمر الكامل ، وقوى ساعده ، وترتبت قواعد ملكه ،
وسار عنه المعظم .

١٠ هذا والفرنج قد أحاطوا بدمياط من البحر والبر ، وأحرقوا بها وحاصروها ، وضيقوا
على أهلها ، ومنعوا الأقوات أن تصل إليهم . وحفروا على معسكرهم المحيط بدمياط خندقا ،
وبنوا عليه سورا . وأهل دمياط يقاتلونهم أشد قتال ، وأنزل الله عليهم الصبر ، فثبتوا مع
قلة الأقوات عندهم وشدة غلاء الأسعار . وأخذ الكامل في محاربة الفرنج ، وهم قد حالوا
بينه وبينها ، ولم يصل إليها أحد من عنده سوى رجل من الجندارية . [وكان هذا الرجل
قد قدم إلى القاهرة من بعض قرى حماة .] [و] يسمى شمائل ، فتوصل حتى صار يخدم
١٥ في الركاب السلطاني جاندارا . وكان يخاطر بنفسه ، ويسبح في النيل — ومراكب الفرنج به
محيطة . [والنيل] قد امتلأت به شوانى الفرنج — فبدخل إلى مدينة دمياط ، وبأى السلطان
بأخبار أهلها . فإذا دخل إليها قوى قلوب أهلها ، ووعدهم بقرب وصول التجيدات . فخطى بذلك
عند الكامل ، وتقدم تقدما كثيرا ، وجعله أمير جانداره وسيف نعمته ، وولاه القاهرة ،
وإليه تنسب خزنة شمائل . وكان في دمياط من أهلها الأمير جمال الدين الكافى ، فكتب
٢٠ هذه الأبيات ، وألقاها إلى الملك الكامل في سهم نشاب ، وهى :

(١) ما بين القوسين محبوب بركة موصفة موفى في س ، ولكه في ب (١٦٤) . (٢) في س فينوا .
(٣) مصبوغة هكذا في س .

- يا مالكي! دمايط تغر هُذمت • شرفاته كادت تحت أصوله
 يغريك من أركى السلام تحية • كالمسك طاب دقيقه وجليله
 ويقول عن بعد وإناك سامع • حتى كأنك جاره وتزيله
 يأبى الملك الذى ما إن يرى • بين الملوك شبيهه وعديله
 هذا كتاب موضح من حلقى • ما ليس يمكنى لديك أقبولة
 أشكو إليك عدو سوء أهدقت • بجميعه فرسانه وخيولة
 فالبر قد منعت إليه طريقه • والبحر عز لنصره أسطولة
 فقصوه باد على أبراجه • وحينئذ وبكاؤه وعويله
 ولو استطاع لآثم بآبك لآثدا • ^(١) لعله سدت عليه سيوله
 (٥٣ب) ورسوله في أن تجيب دعاه • دين الإله وخلقه ورسوله ^(٢)
 فقد انتهت أداؤه وتحكت • علاقه ونما عليه نحوه
 وبقي له رمق يسير يرجي • أن يشتفى لما دعاك عليه
 فاحرس حالك بزمه تشفى بها • داء لمشلك يرجي تليسه
 فانه أعطاك الكثير بفضلله • ورضاه من هذا الكثير قليله
 فالعذر في نصر الإله ودينه • ما ساع عند المسابن قبوله
 والثغر ناظره إليك محذوق • ما إن يمل من الدموع هموله
 ولئن قصدت عن القيام بنصره • جفت نضارته وبارت ذبوله
 ووهت قوى القرآن فيه ورفقت • صلبانه وتلى به الإنجيله
 وعلاصدى الناقوس في أرجائه • وخفى على سمع الورى تهليله
 هذا وحفك وصف صورة حاله • حقا وبجملته وذات تفصيله
 وكفالك يابن الأكرمين بأنه • أضحى عليك من الورى تمويله

(١) هذا القبط غير واضح في س ، ولكنه في ب (٦٤ ب) . (٢) كذا ورد البيت في س ، ب .

حقوق رجاء فيك يامن لم ينبغي • أبدا لأبى جوده تأميلة
واذخر ليوم البعث فعلا صالحا • الله ضامن أجره وكفيله

فلما وقف السلطان على هذه الآيات أمر أهل القاهرة ومصر بالنفير للمجهاد، ونرجحت السنة والحال على ذلك .

وفيها استدعى الملكُ الغالب كيكاوس بن كيخسرو بن قلج أرسلان، ملك الروم، بالملك الأفضل نور الدين على بن صلاح الدين يوسف - وكان بسميساط، ويخطب للآل الغالب. فلما قدم عليه أكرمه، وحمل إليه شيئا كثيرا من المال والخيل وال سلاح وغيره، وتحالفا على المسير إلى المملكة الحلبية وأخذها، بشرط أن يدفعها الملك الغالب، هي وسائر ما يفتحه، إلى الملك الأفضل، ليعم له فيها الخطبة والسكة، وبصير في طاعته. فإذا تم ذلك سارا إلى الشرق، وأخذ حرا ن والرها وغيرها. فسارا بالعساكر وأخذوا قلعة رعبان، فسلمها الأفضل، ومال إليه الناس، واجتمعوا على الملك الغالب، لمحبتهم في الأفضل . ثم سارا إلى قلعة تل باشر، فحصرها حتى ملكها، فلم يسلمها الملك الغالب للأفضل، وأقام فيها نائبا من قبله . فغمرته الأفضل [وقترت^(٢)] همته، وعلم أن هذا أول الغدر . وأعرض أهل البلاد أيضا عن [الملك الغالب^(٣)]، واستعد أهل حلب، واستدعوا (١٠٤) الملك الأشرف من بحيرة قدس، وكان نازلا عليها تجاه الفرج . فقدم إليهم بمساكره، وحضرت عرب طى وغيرها، إلى ظاهر حلب . فحينئذ الأفضل للآل الغالب التوجه إلى منبج، فسارا إليها . فواقع العرب مقدمة الملك الغالب، فانهزمت، وأسّر العربُ وأصحاب الأشرف كثيرا منهم . فرجع عند ذلك الملك الغالب إلى بلاده، وسار الأشرف، فاستولى على رعبان وتل باشر .

وفيها مات الملك القاهر عز الدين مسعود بن أرسلان شاه بن مسعود بن مودود بن عماد الدين زنكي بن آقستقر، صاحب الموصل، ثلاث بقين من ربيع الأول، وكانت مدة

(١) بقية ضبط في س، وهي بلدة بين حلب وبسميساط، قرب الفرات. (ياقوت: معجم البلدان، ج ٢، ص ٧٩١).

(٢ و ٣) ما بين الأقواس محجوب بوجه ملصقة قوله في س، ولكنه في ب (١٦٥).

ملكه سبع سنين وتسعة أشهر . وقام من بعده ابنه نور الدين أرسلان شاه ، وعمره عشر سنين ، فذبر أمره الأمير بدر الدين لؤلؤ الأتابك ، فأقرهما الخليفة الناصر .

♦ ♦ ♦

- سنة ست عشرة وسمائة . فيها قَدِمَ الملك المظفر تقي الدين محمود بن المنصور محمد ابن عمر بن شاهنشاه بن أيوب — صاحب حماة — إلى الملك الكامل ، نجدة في عسكر كثيف ، ومعه الطواشي مرشد المنصوري . تلقاه السلطان وأعظم قدره ، وأنزله على ميمته ، وهي المنزلة التي كانت لأبيه وجده ، عند السلطان صلاح الدين يوسف . ووصل الفاتح إبراهيم بن العادل إلى أخيه الأشرف موسى ، برسالة أخيهما الكامل للاستنجاد على الفرنج ، فأكرمه وأمسكه عنده ، فإن الغرض إنما كان إخراجهم من أرض مصر .

- وفيهما اشتد قتال الفرنج ، وعظمت نكايتهم لأهل دمياط ، وكان فيها نحو العشرين ألف مقاتل . فهتكهم الأمراض ، وغلت عندهم الأسعار ، حتى أبيعت البيضة الواحدة من بيض الدجاج بـعشرة دنانير . وانتلأت الطرقات من الأوثان ، وعدمت الأقوات ، وصار السكر في عزة الباقوت ، وفقدت الخوم فلم يقدر عليها بوجه ، وأكلت بالناس الحال إلى أن لم يبقى عندهم غير شئ يسير من القمح والشعير فقط . فقتل الفرنج السور ، وملكوا منه البلد يوم الثلاثاء خمس بقين من شعبان ، فكانت مدة الحصار ستة عشر شهرا واثنين وعشرين يوما . وعند ما أخذوا دمياط وضوا السيف في الناس ، فلم يعرف عدد من قُتل لكثرتهم .

- ورحل السلطان بعد ذلك بيومين ، ونزل قبالة طَلْعًا ، على رأس بحر أنشوم [ورأس بحر] دمياط ، وخيم بالمنزلة التي (٥٤ ب) عُرفت بالمنصورة . وحصن الفرنج أسوار دمياط ، وجعلوا جامعها كنيسة ، وبنوا سراياهم في القرى يقتلون ويأسرون ، فمظم الخطب واشتد البلاء . وتَدَبَّ السلطان الناس وفرقهم في الأرض ، فخرجوا إلى الآفاق يستصرخون الناس لاستنقاذ أرض مصر من أيدي الفرنج . وشرع السلطان في بناء الدور والقنادق ، والحمامات والأسواق ،

(١) ما بين القوسين محجوب في م نسخة مخطئة فرفه ، ولكنه في ب (٦٥ ب) .

بمئة المنصورة . وجهاز الفرنج من حصل في أيديهم من أسارى المسلمين في البحر إلى عكا ، وبرزوا من مدينة دمياط يريدون أخذ مصر والقاهرة . فنازلوا السلطان تجاه المنصورة ، وصار بينهم وبين العسكر بحر أشموم وبحر دمياط ، وكانت الفرنج مائتي ألف رجل وعشرة آلاف فارس . فقدم السلطان الشواني تجاه المنصورة ، وهي مائة قطعة . واجتمع الناس من أهل القاهرة ومصر وسائر النواحي ، ما بين أسوان إلى القاهرة . ووصل الأمير حسام الدين يونس ، والفقيه تقي الدين طاهر المحل ، فأخرجوا الناس من القاهرة ومصر ، ونودى بالغير العام ، وألایق أحد ، وذكروا أن ملك الفرنج قد أقطع ديار مصر لأصحابه . فقال ^(١) : [٩] :

”يهددونا بأهل عكا أن يملكونا وأهل يافا
ومن لنا أن يلوا علينا فالروم خير من الريافا“

١٠

بني أهل الريف ، فإنه كان قد كثرتسلطهم ، وطعموا في أمر السلطان ، واستخفوا به ، لشغله بالفرنج عنهم . وخرج الأمير علاء الدين جلدك ، والأمير جمال الدين بن صيرم ، لجمع الناس مما بين القاهرة إلى آخر الحواف الشرقي ، فاجتمع من المسلمين عالم لا يقع عليه حصص .

(١) لم يذكر المؤلف صاحب هذين البيتين ، وليس بالحقيرزي (المواظ والاعتبار) ج ٢ ، ص ٢١٣ وما بعدها ذكر لها بناتا ، في باب حصار دمياط .

(٢) قسم العرب ، بعد فتحهم مصر ، أرض ذلك النيل إداريا إلى قسمين ، وهما الحواف والريف . وكان الحواف يشمل جميع الأراضي الواقعة شرق فرع دمياط ، من عين شمس إلى دمياط والقرما . وكان الريف عبارة عن بقية أراضي الدلتا إلى الإسكندرية . ثم عدل ذلك التقسيم في القرن الثالث الهجري ، وصارت أراضي دلتا النيل ثلاثة أقسام ، وهي الحواف الشرقي ، والحواف الغربي ، وجزن الريف . وكان الحواف الشرقي عبارة عن الحواف القديم ، ما خلا الأراضي الواقعة شمال بحر أبي صير ، والحواف الغربي هو الأراضي الواقعة غرب فرع رشيد . ويشمل أيضا أراضي رشيد وشباس وما ، الواقعة شرق هذا الفرع . أما بقية الأراضي الواقعة بين فرعي النيل ، وكذلك الأراضي الواقعة شمال بحر أبي صير ، فسميت بجزن الريف . وقد بقى هذا التقسيم إلى منتصف القرن الخامس الهجري ، ثم تغير ذلك كله ، سنة ٨٩٧ هـ ، إلى ما يشبه الأقسام الإدارية الحالية . (الفقشندی : صبح الأعشى ، ج ٣ ، ص ٣٨٥ - ٣٨٦ ر ٢١٧ ، P, Omar Toussoun : Op. cit. I, 1, pp. 1-4, I, 2, p. 217.

وأُزيل السلطان على ناحية شَارِمَسَاحَ^(١) ألقي فارس، في آلاف من العربان، ليحولوا بين الفرينج وبين دمياط . وصارت الشوانى — ومعها حراقة كبيرة — إلى رأس بحر المحلة، وعليها الأمير بدر الدين بن حسون، فانقطعت الميرة عن الفرينج من البر والبحر .

- وقدمت التجيدات [للكامل] من بلاد الشام . وخرجت أُمم الفرينج من داخل البحر تريد مدد الفرينج على دمياط ، فوافى دمياط منهم طوائف لا يحصى لم عدد . فلما تكامل جمعهم بدمياط خرجوا منها، في حذم وحديد، وقد زين لهم سوء عملهم أن يملكوا أرض مصر، ويستولوا منها على ممالك البسيطة كلها . فلما قدمت التجيدات كان أولها قدوما الملك الأشرف موسى بن العادل، وآخرها على الساقة الملك المعظم عيسى، وفيها بينهما بقية الملوك : وهم المنصور صاحب حماة، والناصر صلاح الدين قلع أرسلان، والمجاهد صاحب حمص، والأشبح بهرام شاه صاحب بعلبك، وغيرهم . فحال الفرينج مارأوا . وكان قدوم هذه التجيدات في (هـ ١) ثالث عشرى جمادى الآخرة سنة ثمان عشرة، وتابع قدوم التجيدات حتى بلغ عدد فرسان المسلمين نحو الأربعين ألفا . فخاربوا الفرينج في البر والبحر، وأخذوا منهم ست شوانى وجلاسة وبطسة، وأمسروا منهم ألفين ومائتى رجل . ثم ظفروا أيضا بثلاث قطائع، فنضمضع الفرينج لذلك، وضاق بهم المقام، وبعشوا يسألون في الصلح، كما سيأتى إن شاء الله .

(١) غير ضبط في س، وهي قرية بالدقهلية الحالية، وقطع على فرع دمياط . شمال شرين، وبينها وبين دمياط خمسة فراسخ . (ياقوت : معجم البلدان، ج ٣، ص ٢٣٢؛ و P. Omar Toussoun: Op. cit. I. ص 175. Pl. II, b.) انظر أيضا الحاشية التالية . (٢) بحر المحلة تربة متفرعة من بحر طنج، الذى يخرج من فرع دمياط، عند بلدة ميت عطارة قرب بنها الحالية . وكان يخرج بحر المحلة جنوب بلدة حنت، ثم يسير نحو الشمال الغربى، مارا بالمهايم وبلقينة، حتى يصب في فرع دمياط، قبالة شادوساح على الشاطئ الآخر (P. Omar. Toussoun: Mem. Anc. Branches Du Nil, p. 98)

(٣) واضح أن هذا اللفظ معرب كلمة (galeasse) الفرضية . والجلاسة نوع من السفن الحربية الكبيرة، كان شائع الاستعمال في البحر الأبيض المتوسط؛ ويقابلها في الإيطالية (galenzza)، ومرادها في الإنجليزية قريب من هذا أيضا . (٤) في س ومائتين رجلا . (هـ) جمع قطيعة، وهي القشة من الجنود، وفي (D xy: Supp. Dict. Ar.) مثل من استعمال هذا اللفظ، نصح: "فيث إليه الناصر بالقطائع والجيش لقتاله" .

وفيها مات قطب الدين محمد بن عماد الدين زنكي بن مودود، صاحب مسنجر . وقام من بعده ابنه عماد الدين شاهنشاه^(١)، ثم قتله أخوه الأجد عمر . ومات نور الدين أرسلان شاه، صاحب الموصل . فقام من بعده الأمير بدر الدين لؤلؤ، بأمر أخيه ناصر الدين محمود بن القاهرة عز الدين، وعمره ثلاث سنين .

• وفيها أمر الملك المعظم عيسى بنحرب القدس، خوفا من استيلاء الفرنج عليها، بنحرب أسوار المدينة وأبراجها كلها، إلا برج داود — وكان من غربي البلد — فإنه أبقاء . ونحرب معظم من كان في القدس من الناس، ولم يبق فيه إلا نكريس . ونقل المعظم ما كان في القدس من الأسلحة وآلات القتال، فنقل على المسلمين بنحرب القدس وأخذ دمياط . وفيها هدم المعظم أيضا قلعة الطور، التي بناها أبوه العادل، وعفى آثارها . وفيها خرجت كتب الخليفة الناصر [لدين الله] إلى سائر الممالك، بإنجاد الملك الكامل بدمياط . ١٠

وفيها مات عز الدين كيكلاس بن غياث الدين كيكسرو بن قلع أرسلان بن مسعود بن قلع أرسلان، ملك قونية، بعد ما ملك أرزن الروم من عمه طغرل شاه بن قلع أرسلان، وملك أنكورية^(٢) من أخيه كيقباد، فصار سلطان الروم . وقام من بعده أخوه علاء الدين كيقباد .

• وفيها ابتدأ ظهور التار — ومساكنهم جبال طمفاج من أرض الصين، بينها وبين بلاد التركستان ما يزيد على ستة أشهر — واستولوا على كثير من بلاد الإسلام . وكانوا لا يدينون بدين، ١٥

(١) في س هاشاه .

(٢) بنير ضبط في س، وهي بلدة بأرمينية، في الشمال للشرق من خلاط . واسمها الأصل في القديم (Theodosiopolis)، ثم سماها العرب قاليقلا، أيام الفتح الإسلامية الأولى، وأطلقوا هذا الاسم أيضا على الأراضي المحيطة بها . أما اسم أرزن الروم فيرجع إلى سنة ٤٤١ هـ، حين هدم السلاجقة بلدة أرزن، وهي قرب خلاط أيضا، فخرج أهلها الأرمين إلى قاليقلا، وأطلقوا عليها أرزن الروم . (ياقوت: معجم البلدان، ج ١، ص ٢٠٥ - ٢٠٦ هـ و Eno. Isl. Art. Erzerum) . (٣) بنير ضبط في س، وهي أنقرة الحالية . (ياقوت: معجم البلدان، ج ١، ص ٣٩٠ - ٣٩١) . (٤) في س ك قباد . انظر (Enc. Isl. Art. Kuikobud) .

(٥) في س كيقباد . (٦) مضبوطة هكذا في س، وهي اسم أطلقه الترك على شمال الصين، وقد أخذوه من اليونانية، ثم استعاره العرب من الترك . انظر (Blochet: Op. cit. p. 330. N. B.) .

إلا أنهم يعترفون بالله تعالى، من غير اعتقاد شريعة . فلكوا الصين — وكان ملكهم يقال له جينكرخان — ثم ساروا إلى تركستان وكاشغر، فلكوا تلك البلاد، وأغاروا على أطراف بلاد السلطان علاء الدين محمد بن خوارزم شاه نكش بن ألب أرسلان محمد بن جفري بك داود ابن ميكائيل بن سلجوق . ثم استولوا على بخارى وغيرها من بلاد المعجم .

♦ ♦ ♦

- سنة سبع عشرة وستمائة . أهدت واقضت ، والحرب قائمة بين المسلمين وبين الفرنج على ديباط، في مقلة المنصورة . وفيها استولى التتر على سمرقند، وهزموا السلطان علاء الدين، وملكوا الري وهمدان وقزوین، وحاربوا الكرج، وملكوا فرغانة والترمذ وخوارزم، (٥٥ ب) وخراسان ومرو ونيسابور، وطوس وهراة وغزنة .
- وفيها ملك الأشرف موسى بن العادل ماردين وسنجار . وفيها مات الملك المنصور ناصر الدين محمد بن عمر بن شاهنشاه بن أيوب بن شادى صاحب حماة — وكان إماما مفتيا ١٠ — في عدة علوم، وله شعر جيد — في ذى القعدة، عن خمسين سنة، منها مدة ملكه ثلاثون سنة . وكان ابنه الأكبر الملك المظفر تقي الدين محمود في معسكر خاله الملك الكامل، بالمنصورة على مقاتلة الفرنج . فقام بمملكة حماة الملك الناصر فليج أرسلان بن المنصور، وكان عمره سبع عشرة سنة . فشق ذلك على أخيه المظفر، واستأذن الملك الكامل في العود إلى حماة، فلما منه أنه يملكها، فإنه كانت ولي عهد أبيه . فآذن له [الملك الكامل]، وسار فلقى الملك المعظم ١٥ في الغور، خوفاً من التعرض إلى أخيه، فأقام بدمشق . ثم رجع [المظفر] إلى الملك الكامل، فأقطعته إقطاعاً، وأقام في خدمته .

وفيها كثرت مصادرة صاحب صفى الدين بن شكر أرباب الأموال، بمصر والقاهرة، من التجار والكتاب : وقَرَّرَ التبرع على الأملاك، وهو مال جُبي من الناس . وأحدث [ابن شكر] حوادث كثيرة، وحصل مالا جماً .

٢٠

(١) في س جنكم خان . (٢) في س سلجق .

(٣) في س الزبد . (٤) في س. هاهناه . (٥) في س هين . (٦) في س مقابله .

وفيها قوى طمع الفرينج في ملك ديار مصر، وعزموا على التقدم إلى المسلمين، ليدفعوهم عن منزلهم، ويستولوا على البلاد. فاقضت السنة وهم تجاه المسلمين على رأس بحر أشمووم ودمياط. وفيها غلت الأسعار بأرض مصر، فبلغ القمح ثلاثة دنانير كل أردب، فكانت من أشق السنين وأشدّها على أهل مصر.

وفيها مات الشريف أبو عزيز قتادة بن أبي مالك إدريس بن مطاعن بن عبد الكريم بن عيسى بن حسين بن سليمان بن علي بن عبد الله بن محمد بن موسى بن عبد الله بن موسى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، سلطان مكة، في آخر جمادى الآخرة بمكة، عن تسعين سنة. وله شعر جيد، وقدم مصر غير مرة، ومعه أخوه أبو موسى عيسى، وكانت ولادته ومرباه بالينبع. وملك مكة بعده ابنه حسن بن قتادة، فسار راجح بن قتادة مغازيا له، وقطع الطريق في الموسم بين مكة وعرفة، فقبض عليه أقباش^(١) أمير الحاج العراقي. فبعث الشريف حسن لأقباش يمهده بمال يسلمه راجحا، فوعده راجح بأكثر من ذلك، فعزم [أقباش] على أن يسلمه مكة، [وتقدم لمقاتلة أميرها]، فقتل [أقباش]، وفر راجح إلى الملك المسعود باليمن.

♦ ♦ ♦

سنة ثمان عشرة وستمائة. فيها اشتدت قوة الفرينج، بكثرة من قدم إليهم في البحر. فتابع الملك الكامل الرسل في طلب النجدة، فقدمت عليه الملوك كما تقدم. واشتد القتال بين الفريجين برا وبحرا، وقد اجتمع من الفرينج والمسلمين ما لا يعلم عندهم إلا الله. وكانت العامة تترك على الفرينج أكثر ما يكره عليهم المسكر، وتقدم جماعة (١٠٦) من العسكر إلى خليج من النيل في البر الغربي، يعرف ببحر المحلة، وقاتلوا الفرينج منه. وتقدمت الشواني الإسلامية في بحر النيل، لتقاتل شواني الفرينج، فأخذوا منها ثلاث قطع برجلها وأسلحتها.

(١) مضبوط على منطوقه في (Blochet : Op. cit. p. 336). (٢) عبارة المقريزي هنا عن حوادث

مكة مقتضبة، وقد أضيف ما بين الأقواس من ابن الأثير (الكامل في التاريخ، ج ١٢، ص ٢٦١ - ٢٦٣) حيث توجد تفاصيل كثيرة. (٣) في ص ٦٦.

[هذا] والرسول تردّد من عند الفريخ في طلب الصلح بشروط: منها أخذ القدس وعسقلان وطبرية، وجبلّة واللاذقية، وسائر ما فتحه السلطان صلاح الدين من بلاد الساحل. فأجابهم الملوك إلى ذلك، ما خلا الكرك والشوبك. فأبى الفريخ، وقالوا: "لا نسلم دمياط حتى تسلموا ذلك كله"، فرضى الكامل. فامتنع الفريخ، وقالوا: "لا بدّ أن تعطونا خمسمائة ألف دينار، لنعمر بها ما نرغب من أسوار القدس، مع أخذ ما ذكر من البلاد، وأخذ الكرك والشوبك أيضا".

فاضطّر المسلمون إلى قتالهم ومصابتهم، وعبر جماعة من المسلمين في بحر المحلة إلى الأرض التي عليها معسكر الفريخ، وفتحوا مكانا عظيما في النيل. وكان الوقت في قوة الزيادة، فإنه كان أول ليلة من نوت، والفريخ لا معرفة لهم بحال أرض مصر، ولا بأمر النيل. فلم يشعر الفريخ إلا والماء قد غرق أكثر الأرض التي هم عليها، وصار حائلا بينهم وبين دمياط، وأصبحوا ١٠ وليس لهم جهة يسلكونها، سوى جهة واحدة ضيقة. فأمر السلطان في الحال بنصب الجسور عند بحر أشوم طناع، فنها الفراغ منها، وعبرت المساكن الإسلامية عليها، وملك الطريق التي تسلكها الفريخ إلى دمياط، فاحتصروا من سائر الجهات. وقدّر الله سبحانه بوصول مرقّة عظيمة في البحر للفريخ، وحولها عدّة حراقات تحميها، وسائرهما مشحونة بالميرة والسلاح، وسائر ما يحتاج إليه. فأوقع بها شوانى الإسلام، وكانت بينهما حرب، أنزل الله فيها نصره ١٥ على المسلمين، فظفروا بها وبما معها من الخواقات.

فقت ذلك في أعضاد الفريخ، وألقى في قلوبهم الرعب والذلة، بعد ما كانوا في غاية الاستظهار والعتت على المسلمين، وعلموا أنهم مأخوذون لا محالة. وعظمت نكاية المسلمين بهم، برميهم إياهم بالسهام، وحلهم على أطرافهم. فأجمعوا أمرهم على مناهضة المسلمين، فلما منهم أنهم يصلون إلى دمياط، غفروا خيامهم وبجانيقهم، وعزموا على أن يحيطوا حطمة واحدة. ٢٠

(١) في س "..." في غاية الاستظهار على المسلمين والعتت". (٢) كذا في س، ب (١٦٨)، وبالعبارة

ثى. من الفروض لكثرة الضائر، ولذا أورد ما يجالها في ابن الأثير (الكامل في التاريخ، ج ١٢، ص ٢١٥) فتوضح، ونصه: "وعساكر المسلمين محيطة بهم، يرمونهم بالشباب، ويحملون على أطرافهم".

فلم يجدوا إلى ذلك سبيلا، لكثرة (هـ ب) الوحل والمياه التي قد ركبت الأرض من حولهم .
فصجزوا عن الإقامة لقلة الأزواد عندهم ، ولأنوا إلى طلب الصلح ، وبمشوا يسألون الملك
الكامل - وأخوته الأشرف والمعظم - الأمان لأقاربهم ، وأنهم يسلمون دمياط بغير عوض .

فاقتضى رأى الملك الكامل إجابتهم ، واقتضى رأى غيره من إخوته مناهضتهم ، واجتثاث
أصلهم ألبتة . فخاف الملك الكامل إن فعل ذلك أن يمتنع من يقي منهم بدمياط أن يسلمها ،
ويحتاج الحال إلى منازلها مدة ، فإنها كانت ذات أسوار منيعة ، وزاد الفرينج عند ما استولوا
عليها في تحصينها ، ولا يؤمن في طول محاصرتها أن يفد ملوك الفرينج نجدة لمن فيها ، وطلبا لئلا
من قُتل من أكابرهم . هذا وقد سبجرت عساكر المسلمين ، وملت من طول الحرب ، فإنها
مقيمة في محاربة الفرينج ثلاث سنين وأشهر^(١) .

وما زال الكامل قائما في تأييد الفرينج إلى أن وافقه بقية السلوك ، عل أن يعث
الفرينج بهائن من ملوكهم - لا من أمراءهم - إلى أن يسلموا دمياط . فطلب الفرينج أن
يكون ابن الملك الكامل عندهم رهينة ، إلى أن تعود إليهم رهانتهم . فتقرر الأمر على ذلك ،
وحلف كل من ملوك المسلمين والفرينج ، في صابح شهر رجب . وبعث الفرينج بعشرين ملكا
من ملوكهم رهنا ، منهم يوحنا صاحب عكا^(٢) ، وثائب البابا^(٣) . وبعث الملك الكامل إليهم بابنه
الملك الصالح نجم الدين أيوب ، وله من العمر يومئذ خمس عشرة سنة ، ومعه جماعة من
خواصه . وعند ما قدم ملوك الفرينج جلس لهم الملك الكامل مجلسا عظيما ، ووقف الملوك من
إخوته وأهل بيته بين يديه بظاهر البرم^(٤) ، في يوم الأربعاء التاسع عشر من شهر رجب ، فهال

(١) في س و أشهر .

(٢) يقصد الخلف (Jean de Brienne, roi titulaire de Jérusalem) ، وهو قائد هذه الحملة
الصليبية في أرها . (Rec. His. Or. II, 1. P. 124. N. 4) . (٣) نائب البابا في تلك الحملة هو
(Cardinal Pelage) . قس المرجع والخز، والصفحة (N. 5) . (٤) بغير ضبط في س ، ويرجى في
(P. Omar Toussoun : Op. cit. I, 1. Pl. II, b.) ذكر قبرمون البحرى والبرمون القليل ، وكلاهما شال

بحر تنيس ، بين المنصورة وشرين .

الفرنج ما شاهدوا من تلك العظمة وبهاء ذلك التاموس . وقدمت قسوس الفرنج وراهبانهم إلى دمياط ، ليسلموها إلى المسلمين ، قسماها المسلمون في يوم الأربعاء التاسع عشر من شهر رجب . فلما تسلمها المسلمون قدم في ذلك اليوم من الفرنج نجدة عظيمة ، يقال إنها ألف مركب ، قَدَّ تَأْنِجْهِمْ إِلَى [ما] بعد تسليمها من الفرنج صنعا جميلا من الله سبحانه . وشاهد المسلمون عند [ما] تساموا دمياط من تحصين الفرنج لها ما لا يمكن أخذها بقوة ^(١) البتة .

وبعث السلطان بن كان عنده في الرهن من الفرنج ، وقدم الملك الصالح ومن كان معه . وتقررت الهدنة بين الفرنج وبين المسلمين مدة ثمانى سنين ، على أن كلا من الفريقين يطلق ما عنده من (١٥٧) الأسرى . وحلف السلطان وأخوته ، وحلف ملوك الفرنج ، على ذلك . وتفرق من كان قد حضر للقتال ؛ فكانت مدة استيلاء الفرنج على دمياط سنة واحدة وعشرة أشهر وأربعة وعشرين يوما . ثم دخل الملك الكامل إلى دمياط بمساكره وأهله ، وكان لدخوله مسرة عظيمة وابتهاج زائد . ثم سار الفرنج إلى بلادهم . وعاد السلطان إلى قلعة الجبل ، في يوم الجمعة ثاني عشر شهر رمضان . ودخل الوزير الصاحب صفى الدين عبد الله بن علي ابن شكر في البحر ، وأطلق من كان بمصر من الأسرى ، وكان فيهم من أسرى الأيام الصلاحية . وأطلق الفرنج من كان في بلادهم من أسرى المسلمين .

وانفق ^(٢) أنه لما رحل الفرنج اجتمع في ليلته عند الملك الكامل أخوانه المعظم عيسى والأشرف موسى على حالة أنس ، فأمر الأشرف جاريته ست الفقير ، فغنت على عودها : —

ولما طحنى فرعون عكا بيفيه • وجاء إلى مصر ليفسد في الأرض

أتى نوحوم موسى وفي يده العصا • فأغرقهم في اليم بعضا على بعض

(١) كان من شروط الصلح أن تكون هدنة بين المسلمين والصليبيين لمدة ثمانى سنين ، لا يستثنى منها سوى أصحاب الديار من ملوك أرميا ، فإن لم أن يقضوها إذا شاءوا . ولقد كانت الهدنة التي وصلت دمياط ، بعد إضفاء شروط الصلح ، من عند فردريك الثاني (Frederic II) إمبراطور القسطنطينية الرومانية المقدسة . وكان يحس قنائه أن يكسر الهدنة ، دون أن يخل بشروط الصلح ؛ غير أن وجود الرهائن لدى الكامل أخاف الصليبيين من عواقب ذلك ، فسلموا دمياط حسب الشروط . (Iano-Poole : A Hist. Of Egypt. p. 224) .

(٢) قباله هذا الخبر ، يباحث الصفحة في ص ، فقط "لطيفة" ، بخط مخالف .

فطرب الأشرف، وقال لها : « كَرِّى » . فشق [ذلك] على الملك الكامل، وأمرها فسكت، وقال لجاريته : « فَنِّ أَنْتِ » . ففنت على المود : —

أيا أهل دين الكفر قوموا لتنظروا • لما قيد جرى في وقتنا وتجمدا
أعباد عيسى إن عيسى وقومه • وموسى جميعا ينصرون محمدا

فأعجب الكامل بها ، وأمر لها بخمائة دينار، ولجارية أخيه الأشرف بخمائة دينار .
فنهض القاضي الأجل هبة الله بن محسن، قاضى غزوة، وكان في جملتهم، وأنشد : —

حباؤه إله الخلق فتعالنا بدا • مينا وإنعاما وعزا مجتدا
تهلل وجه الدهر بعد قطوبه • وأصبح وجه الشرك بالظلم أسودا
ولما طوى البحر الخضم بأهله الـ • طغاة وأضخى بالمراكب مزبدا
أقام لهذا الدين من سَلَّ عزمه • صقيلا كما سل الحسام مجزدا
فلم تر إلا كل شِلْوٍ ^(٢) ^(٣) مجتدل • ثوى منهم أومن تراه مقيدا
ونادى لسان الكون في الأرض رافعا • عقيرته في الخالفين ومنشدا
أعباد عيسى إن عيسى وحزبه • وموسى جميعا ينصران ^(٤) محمدا

ويقال إن هذا المجلس كان بالمنصورة . ولما استقر الملك الكامل على تخت ملكه

سارت الملوك إلى ممالكها، وعمت بشارة أخذ (٥٧ ب) المسلمين دياط آفاق الأرض . فإن التاركانوا قد دمروا ممالك الشرق، وكادت مصر مع الشام يتأصل شأفة أهالها الفرنج، حتى من الله بحجبل صنعه وخفى لطفه، وتصر عباده المؤمنين، وأيدهم يمينه، بعد ما ابتل المؤمنون، وزلزلوا زلزالا شديدا .

وقدمت على الملك الكامل تهاى الشعراء بهذا الفتح، فكان أولهم إرسالاً شرف الدين

ابن عتيق، بكلمته التى أولها : —

- (١) قس بأهله . (٢) التلوة، والتلا، الجسد أو العضو من أعضائه . (محيط المحيط) .
(٣) قس مجتدل . (٤) هكذا في س، وقد تقدمت بصورة الجمع، في البيت فيه، سطر ٤ .

- سلوا صهوات الخيل يوم الوغى عنا • إنا جهلت آياتنا والقنا اللدنا
غداة التقينا دون دمياط بحفلا • من الروم لا يحصى يقينا ولا ظنا
قد اجتمعوا رأيا ودينا وهمة • وعزموا وإن كانوا قد اختلفوا منا
تداعوا بأنصار الصليب وأقبلت • جموع كأن الموج كان لهم سفنا
وأطعمهم فينا غرور فأرقلوا • إلينا سراعاً بالجهاد وأرقلنا
فأبرحت سمر الرماح توشهم • بأطرافها حتى استجاروا بنا منا
سقيناهم كأساً نفت عنهم الكرى • وكيف ينال الليل من عدم الأمانا
لقد صبروا صبرا جميلا ودافعوا • طويلا فما أجدى دفاع ولا أغنى
بدا الموت من زرق الأسنة أحمر • فآلقوا بأيديهم إلينا فأحسننا
وما برح الإحسان منا بحجة • نوزتها من صيد آباءنا الإبننا
وقد جرّبونا قبلها في وقائع • تعلم غمر القوم منا بها الطمنا
أسود وغى لولا وقائع سمرنا • لما لبسوا قيدا ولا سكنوا سجننا
وكم يوم حرّما وقينا هجرة • وكم يوم قر ما طلبنا له إنا
فإن نعم الملك في وسطه الشقا • ينال وحلو العيش من مره يُحنى
يسير بنا من آل أيوب ماجد • أبى عزمه أن يستقر بنا معنى
كريم الثنا عار عن العار باسل • جميل المنيا كامل الحسن والحسنى
سرى نحو دمياط بكل مُبَدِّع • إمام يرى حسن الثنا المغنم الأمنى
ماثر مجد خفرتها سيوفه • طوال المدى يفنى الزمان ولا تنفى
وقد عرفت أسياقنا ورقابهم • مواقعها منا فإن عاودوا عدنا
منحناهم منا حياة جديدة • فهاشوا بأعناق مقلدة منا
ولو ملكونا لاستباحوا دماونا • ولو غا ولكنا ملعنا فأصبحنا

وقال :

فسيما بما ضمت أباطح مكة • وبمن حواه من الحبيج الموقف
(١٥٨) لولم يقسم موسى بنصر محمد • لرق على درج الخطيب الأسقف
لولاه ما ذل الصليب وأهله • في ثمر دمياط وعز المصحف

• ووردت أيضا قصيدة القاضي الأجل بهاء الدين زهير بن محمد بن علي القوصي ، وفيه
من الشعراء •

وفيها ملك الشتر مراغة وهمدان وآذربيجان وتبريز^(١) . وفيها مات الملك الصالح
ناصر الدين محمود بن محمد بن قرا أرسلان بن سقمان بن أرتق الأرتقي ، صاحب حصن كيفا ،
وقام من بعده ابنه الملك المسعود داود . وفيها ركب الملك الكامل من قلعة الجبل إلى
منظرة الصباح صفي الدين بن شكر - التي على الخطيب بمصر - في ذي القعدة ، وتحدث معه
في قى الأمراء الذين وافقوا الفائر . وكانوا في جيزة دمياط لمبارتها ، فكتب لهم بالتوجه من
أرض مصر إلى حيث شاموا ، فاضوا بأجمعهم من الجيزة إلى الشام ، ولم يتعرض [الملك الكامل]
لشيء من موجودهم ، وقرق أخبازهم على ممالكهم . وفيها مات أمين الدين مرتفع بن الشعار ، وإلى
مصر ، في يوم الجمعة ثالث محرم . ومات متولي تونس وبلاد إفريقية الأمير أبو محمد
عبد الواحد بن أبي حفص عمر بن يحيى بن أبي حفص عمر بن وتودين الميتاني ، في يوم الخميس
أول المحرم ، و [كان] قد ولي [تونس] من قبل الناصر أبي عبد الله محمد بن يعقوب المنصور بن
يوسف الممري بن عبد المؤمن ، ملك الموحدين ، في سنة اثنين وستائة . و [كان أبو محمد قد]
قدم أكبر بنيّه ، الشيخ أبا زيد عبد الرحمن بن عبد الواحد ، فقام بأمر تونس ، حتى قدم
أخوه أبو محمد عبد الله بن عبد الواحد ، متوليا إفريقية من قبل المادل عبد الله بن

(١) في س نوريز ، وبير ضبط ، وإيدال الباء وارا هو التلق "إلجاري على آلة العامة" . (الفتنسي : صبح

الأضحى ، ج ٤ ، ص ٣٥٧) (٢) في س فرارسلان .

(٣) مضبوطة هكذا في س (انظر ص ٦٢ ، حاشية ١) . (٤) بغير ضبط في س . انظر

(٥) مضبوطة هكذا في س . (Enc. Isl. Art. Hafside)

المنصور يعقوب، [ملك الموحدين]، في خامس رمضان منها، فاستمر [أبو محمد عبد الله] حتى قام أخوه أبو زكريا يحيى بن عبد الواحد. [هذا] والامير أبو محمد عبد الواحد بن أبي حفص هو أول من قام من الخفصيين بإمرة تونس، وهو جد ملوك تونس الخفصيين.

♦ ♦ ♦

- سنة تسع عشرة وستمائة. فيها قدم الأشرف موسى إلى مصر، فأقام بها عند
- [أخيه] السلطان [الملك الكامل] مدة، ثم عاد في رمضان. وفيها أوقع التتر بالكرج. وفيها
- قدم المظفر موسى على أخيه الكامل بمصر. و[فيها] قدم الملك المسعود يوسف بن الكامل
- من اليمن إلى مكة في ربيع الأول، وقد رحل عنها الشريف حسن بن قتادة، وقدم معه راجح
- ابن قتادة [إلى] مكة. فرد الملك المسعود على أهل الحجاز أموالهم ونخلهم، وما أخذ لهم من
- الدور بمكة والوادي، ثم عاد إلى اليمن بعد ما حج، ومنع أعلام الخليفة من التقدم، وقدم
- أعلام أبيه على أعلام الخليفة. وبدأ منه بمكة ما لا يُحمد، من رمي حمام الحرم بالبندق من
- فوق زمزم، ونحو ذلك. فهم أهل العراق بقائه، فلم يقدروا على ذلك عجزاً عنه. واستتاب
- [الملك المسعود] بمكة الأمير نور الدين عمر بن علي بن رسول، ورتب معه ثلثمائة فارس. وكان
- الشريف حسن بن قتادة قد تزل ينزع. وولى [الملك المسعود] أيضاً راجح بن قتادة السرين
- وحمل ونصف الخلاف. فجمع الشريف حسن وسار إلى مكة، وكسر ابن رسول، وملك
- منه مكة.

- (١) قول الملك المسعود، واسمه صلاح الدين يوسف، بلاد اليمن سنة ٦١٢ هـ (١٢١٥ م)، بعد المظفر سليمان. (Lane-Poole: Muh. Dyns. pp. 79, 98-99.)
- (٢) انظر ص ٢٠٦.
- (٣) المعروف أن الملك المسعود أسد ولاية مكة، في تلك السنة، إلى علي بن رسول، والده نور الدين عمر بن علي ابن رسول، المذكور هنا. (Lane-Poole: Muh. Dyns. p. 99.)
- (٤) بنير ضبط في س، وهي بلد قريب من مكة، على ساحل البحر، قرب جدة. (ياقوت: معجم البلدان، ج ٤، ص ٨٩.)
- (٥) مضبوطة هكذا في س، ويسميتها ياقوت (معجم البلدان، ج ٢، ص ١٨٧) الحبال، وهي بلدة على الحدود، بين اليمن والحجاز، وبغربها جبل حل، ولبالها مرسى حل. (Enc. Isl. Art. Hali.)
- (٦) هكذا في س، بنير ضبط، ولعل المقرئ قد قصد الحقيقة، وهي موضع أسفل مكة. (ياقوت: معجم البلدان، ج ٤، ص ٤٤٣.)
- أما الخلاف فهو مرادف الكورة، وقضى كوراء اليمن الخاليف، وقد ذكرها ياقوت (تقس المربع والجزء، ص ٤٤٤ - ٤٤٥ ج ٦، فهرس)، وعنها تسعة وعشرون ومائة.

وفيه مات الأمير عماد الدين أبو العباس أحمد بن الأمير سيف الدين أبي الحسن علي بن أحمد الهكاري، المعروف بابن المشطوب، أحد الأمراء الصلاحية، في الاعتقال بحران، في ربيع الآخر.

♦ ♦ ♦

سنة عشرين وستمائة . فيها أخذ المعظم عيسى المرة وسامة^(١)، ونازل حماة . فشق ذلك على أخيه الأشرف — وكان بمصر — وتحدث مع الكامل في إنكار ذلك . فبعث [السلطان الكامل] إلى المعظم يسأله في الرحيل عن حماة، فتركها وهو حقيق . وفيها حج الملك الجواد^(٢) والملك الفائز من القاهرة، وقدما علم الخليفة على علم السلطان الملك الكامل في طلوع عرفة^(٣) . وفيها خرج الأشرف من مصر إلى بلاده، ومعه خلق الملك الكامل والتقليد بسلطنة حلب للعزيز ناصر الدين محمد بن الظاهر غازي . فوصل إلى حلب في شوال، وتلقاه العزيز — وعمره عشرين سنين — فأفاض عليه الخلع الكاملية، وحمل الفاشية بين يديه، وأقام عنده أياما، ثم (هـ ٥٨ ب) سار إلى حران .

وفيهما عم الجراد بلاد الصراق والجزيرة، وديار بكر والشام . وفيها أوقع التتر بالروس . وفيها شق سهم الدين عيسى وإلى القاهرة نفسه — وهو معتقل بدار الوزارة — ليلة الخميس سادس شوال .

(١) بغير ضبط في س، وهي بلدة من ناحية البرية، من أعمال حماة، بينهما مسيرة يومين، "ولا يعرفها أهل الشام إلا بسبيلية". (بافوت : معجم البلدان، ج ٣، ص ١٢٣) . (٢) يوجد فوق هذين القطين في س كلمة "حد". (٣) اسمه يونس، وهو ابن مودود بن العادل بن أيوب . (أبو الفداء : المختصر في أخبار البشر، ص ١١٤، في I. Rec. Hist. Or.) . (٤) على هذا في س ياض، قد مر طرقياً، فيه آثار كعبة محمودة محواتا . (٥) أصل الفاشية السرج أو النطاء المزركش، الذي يوضع على ظهر الفرس، فوق البرذعة . وكان سلاطين الأيوبيين — والمماليك بعدهم — يخرجون في المراكب و بين أيديهم فاشية، وفيها يقول الفلقشتدي (صبح الأعشى، ج ٤، ص ٧) ما نصه : "وهي فاشية سرج من آدم غير مزودة بالذهب، يحاطها الناظر جميعها مصنوعة من الذهب، يحمل بين يديه (السلطان) عند الركوب في المراكب الخفيفة، كالجادين والأعياد ونحوها، يحملها الركاب دارية، وأفضلها على يديه، يلتفتا بها وشالاً، وهي من خواص هذه الملكة". انظر أيضاً (Dozy : Suppl. Diet. Ar.)

♦ ♦ ♦

سنة إحدى وعشرين وستمائة . فيها ملك التتر^(١) وقاشان^(٢)، وهذان . وفيها اختلف الحال بين المظفر غازي، صاحب إربل، وبين أخيه الأشرف . ففرج المعظم من دمشق يريد محاربة الأشرف، فيبعث إليه الكامل يقول له : "إن تحركت من بلدك سرت وأخذته منك" . فخاف وعاد إلى دمشق . وفيها مات الوزير الأعز أبو العباس أحمد، المعروف بفخر الدين مقدم بن شكر، في آخر شعبان بالقاهرة . وفيها أخذ عسكر مصرينع من بني حسن، وكانوا قد اشتروها بأربعة آلاف مثقال، فلم تزل بيد المصريين إلى سنة ثلاثين .

♦ ♦ ♦

سنة اثنتين وعشرين وستمائة . فيها فر الملك الجواد مظفر الدين يونس بن مودود من مصر في البحر، خوفا من عمه الملك الكامل، ولحق بعمه المعظم . وفيها تخوف الكامل من أمرائه، لميلهم إلى أخيه الملك المعظم . فقبض على جماعة، وبعث إلى الطرقات من يحفظها، وبعث عدة ورسل إلى الملوك الذين في خدمة أخيه الأشرف بإسراهم بالاتفاق .
وَأَلَّا يَخْلَفُوهُ .

وفيها عاد السلطان جلال الدين بن خوارزم شاه [علاء الدين محمد بن تكش] إلى بلاده، وقوى أمره على التتر، واستولى على عراق العجم، وسار إلى ماردین وأخذها، وسار إلى خوزستان . وشاقق [جلال الدين] الخليفة الناصر [لدين الله]، وسار حتى وصل بعقوبا^(٣)، وبينها وبين بغداد سبعة فراسخ، فاستمد الخليفة للمصار . ونهب جلال الدين البلاد، وأخذ

(١) بغير ضبط في س، وهى من بلاد القرس، بالعراق العجمي، بين إصفهان وسادة . وكان اسمها في الأصل كَشْدَان، فأسقط بعض حروفها، وحربت إلى قم . (ياقوت : معجم البلدان، ج ٤، ص ١٧٥ — ١٧٧ ؛ و Enc. Isl. Art. Kumm) . (٢) بغير ضبط في س، وهى بالعراق العجمي أيضا، على مسيرة ثلاثة أيام من إصفهان، وتذكر عادة مع قم، التي تبعد عنها نحو مئتي فرسخا . (ياقوت : معجم البلدان، ج ٤، ص ٤١٥ ؛ و Enc. Isl. Art. Kashān) . (٣) في س عدد . (انظر الصفحة السابقة، حاشية ٣) .

(٤) في س جلال الدين، بباثرفضة في س، وقد صححت بغير تنبيه بعد هذه الميزة . انظر ابن الأثير (الكامل في التاريخ، ج ١٢، ص ٢٠٦، وفيها) . (٥) بغير ضبط في س، ويقال لها بالعقوبا أيضا، وهى من أعمال طريق نخراسان، وتبعد عن بغداد عشرة فراسخ . (ياقوت : معجم البلدان، ج ٤، ص ٦٧٢) .

منها ما لا يقع عليه حصر، وفصل أشنع ما يفعله التتر. فكتبه الملك المعظم، واتفق معه بمبادنة لأخيه الكامل، ولأخيه الملك الأشرف، صاحب البلاد الشرقية. فسير السلطان جلال الدين ابن القاضي مجد الدين - قاضي المالک - في الرسالة إلى الملك الأشرف، ثم إلى الملك المعظم، ثم إلى الملك الكامل، فتظاهر بأنواع الفسوق. وسار جلال الدين إلى عراق العجم، فلما هذان وتبريز^(١) وأوقع بالكرج.

وفيها مات الملك الأفضل على بن صلاح الدين يوسف، صاحب سميساط، بجأة بسميساط في صفر، ومولده بمصر يوم عيد الفطر سنة خمس - وقيل ست - وستين وخمسمائة. وهو أكبر أولاد أبيه، وإليه كانت ولاية عهده. وسمي [الأفضل] من ابن عوف وأبن برى. واستقل بمملكة دمشق بعد موت أبيه، فلم ينظم له أمر لقله حظه، وأخذها منه أخوه العزيز عثمان، صاحب مصر. ثم صار [الأفضل] أتابكا للنصورين العزيز (١٠٩) بمصر، وحصر دمشق، وبها عمه [العالل]، وأشرف على أخذها منه، فقطع عليه سوء الحظ، وعاد إلى مصر، وفي أثره عمه العادل، فأتزع منه مصر، ولم يبق معه سوى صرخند. ثم قصد [الأفضل] دمشق ثانيا، مع أخيه الظاهر غازي صاحب حلب، فلم يتم أمرهما لاختلافهما، وصار بيده سميساط لا غير. فلما مات أخوه الظاهر طمع في حلب، وخرج إليها مع السلطان عز الدين بككاس السلجوقي ملك الروم، فلم يتم لها أمر. وعاد [الأفضل] إلى سميساط، فلم يزل بها يجمع النقص حتى مات كندا. وكان فاضلا أدبيا حليما، حسن السيرة متجاوزا، يكتب الخط المليح، جامعا لعدة مناقب، إلا أنه كان قليل الحظ. وشعره جيد: كتب إلى الخليفة الناصر [لدين الله] - لما أترع منه دمشق أخوه العزيز عثمان وعمه العادل أبو بكر - في سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة، كتابا يشكو إليه اغتصابها ميراثه من أبيه، وأوله:

مولاي! إن أبا بكر وصاحبه عثمان قد أخذوا بالسيف لارت على
فانظر إلى حظ هذا الإسم كيف لقي من الأواخر ما لاق من الأول

(١) في م. توير. - (٢) هذا الخط مطبوس بمداد في م، ولكنه في ب (٧٠ ب).

(٣) ولد الأفضل على سنة ٥٩٦ هـ. (Lane-Poole: Saladin. Table II, in pocket).

وله أيضا في معناه :

أما آن للسعد الذي أنا طالب
تري [هل] يرى الدهر أبدى شيعي
لإدراكه يوما يرى وهو طالب
تمكّن يوما من نواصي التواصب
فاجابه الخليفة بقوله :

وإني كتابك يا بن يوسف معلنا
غضبوا عليا حقه إذ لم يكن
بالود يخبر أن أصلك طاهر
بعد النبي له يثرب ناصر
وأصبر فتاصرك الإمام الناصر
فأبشر فإن غدا يحكون حسابهم

ومن شعره :

أيام من يسود شعره بغضابه
لساء من أهل الشيبة يحصل
ها فاختضب بسواد حظي مرة
ولك الأمان بأنه لا ينصل^(١)

وقام من بعده بسمياط أخوه الملك المفضل قطب الدين موسى شقيقه ، فاختلف عليه أولاد الأفضل .

وفيه مات الخليفة الناصر لدين الله أحمد بن المستنصر بأمر الله الحسن بن المستنجد بالله يوسف ، في ثاني شهر شوال ، ومولده في العاشر من شهر رجب سنة ثلاث وخمسين وخمسمائة . وله في الخلافة سبع وأربعون سنة ، غير سنة وثلثين يوما . وكانت أمه أم ولد ، يقال لها زمرد ، وقيل زرجس . وكان شهيدا أبي النفس ، حازما متيقظا ، صاحب فكر صائب ، ودهاء ومكر . وكان مهيبا ، وله أصحاب (٩٠ ب) أخبار — بالعراق وفي الأطراف — يطالعونه بجزئيات الأمور وكلياتها . فكان لا يخفى عليه أكثر أحوال رعيته ، حتى أن أهل العراق يخاف الرجل منهم أن يتحدث مع امرأته ، لما يظن أن ذلك يطلع عليه

(١) العبارة الآتية مكتوبة بهامش الصفحة في س ، بخط مخالف ، ونصها : " هذان البيتان ... الافضل " ، والياض مكان ألفاظ تعذرت قراءتها . ويلاحظ أن خط هذه العبارة يشبه كثيرا خط كاتب الجملة " ملكة محمد المقرري " ، الواردة بصفحة العنوان . (انظر ص ه ، حاشية ه) . (٢) لم يترجم Blochet : Op. cit. P. 351) بعد هذا القسط شيئا مما هنا من أخبار الناصر لدين الله ، مع وروده بخطوطه السلوك التي ترمي منها . وقد تصد (Blochet) هذا الحذف ، لوجود ترجمة ذلك الخليفة في رقيات الأيمان ، لابن خلكان . (٣) في س مهابة .

الخليفة، فيماقّب عليه . وعمل شخص دعوة ببغداد، وغسل يده قبل أضيائه ، فعمل الخليفة بذلك من أصحاب أخباره ، فكتب في الجواب : ”سوء أدب من صاحب البلد ، وفضول من كاتب المطالعة“^(١) . وكان ردىء السيرة في رعيته، ظالماً عسوفاً : خرب العراق في أيامه، وخصّرت أهله في البلاد ، فأخذ أملاكهم وأموالهم . وكان يحب جمع المال ، ويأبشّر الأمور بنفسه، ويركب بين الناس ويجتمع بهم، مع سفك الدماء، وفعله للأشياء المتضادة : فيقتصب الأموال ويتصدق . وشغف برعى الطير بالبنق، وليس سراويلات الفتوة ، وحمل أهل الأمصار على ذلك^(٢)، وعمل سالم بن نصر الله بن واصل الحموي في ذلك رسالة بديعة . وصنف الناصر [لدين الله] كتاباً في مروياته، سماه روح العارفين، وأسمعه [للفقهاء بمصر والشام]^(٣)، وله شعر . وفي خلافته خرب التتر بلاد المشرق، حتى وصلوا إلى همدان ، وكان هو السبب في ذلك : فإنه كتب إليهم بالعبور إلى البلاد، خوفاً من السلطان علاء الدين محمد بن خوارزم شاه، لما هم بالاستيلاء على بغداد، وأن يجعلها دار ملكه، كما كانت السلجوقية . ولم يمت [الخليفة الناصر لدين الله] حتى عمى، وقبل كان يبصر بإحدى عينيه . وقام من بعده في الخلافة ابنه الظاهر بأمر الله^(٤) أبو نصر محمد — بعهد من أبيه — يوم مات أبوه، وعمره ما ينيف على خمسين سنة . وكان يقول ”مَنْ يَفْتَحْ ذِكَاكَهُ الْعَصْرَ مَتَى يَسْتَفْتَحْ؟“^(٥)، ولما ولى

(١) في هامش الصفحة في س العبارة الآتية: ”انظر إذا تخدم الشخص أضيائه لئلا يديه“، وهي بخط مخالف .
 (٢) انظر ص ١٧٢، سطر ٤ . (٣) انظر ص ١٨٠، سطر ١٥ . (٤) لهذه التسمية سبب، وهو — كما جاء في ابن الأثير (الكامل في التاريخ، ج ١٢، ص ٢٨٧) — أن الخليفة الناصر لدين الله كان قد خلع ولده أبا نصر محمد، وهو أكبر أبنائه، من ولاية العهد، وولى بدله ولده الصغير علياً، لشدة حبه له . ثم حدث أن علياً توفى سنة ٦١٢ هـ (انظر ص ١٨١ - سطر ٧)، فاضطر الخليفة إلى إعادة أبيه إلى ولاية العهد . فلما توفى الناصر، وأصبح أبو نصر خليفة، لقب نفسه بالظاهر بأمر الله، وقصد بذلك أن أباه أراد صرف الأمر عنه، فظهر وولى الخلافة بأمر الله . (٥) في س ابى . (٦) أقاض ابن الأثير (الكامل في التاريخ، ج ١٢، ص ٢٨٧ - ٢٨٩) في ذكر أعمال الخليفة الجديد، ومما قال : ”ولما ولى [الظاهر بأمر الله] الخلافة أظهر من العدل والإحسان ما أعاده به عهد العبرين، فزقل إنه لم يزل الخلافة بعد عمر بن عبد العزيز مثله لكان القابل (كذا) صادقاً؛ فإنه أعاد من الأموال المنصوبة، في أيام أبيه وقيله، شيئاً كثيراً... (٢٨٩) ... ومن حسن نية الناس أن الأسفار في الموصل وديار الجزيرة كانت ظلية، فرخصت الأسعار . وأطلق حل الأظعمة إليها، وأن يبيع كل من أراد البيع لفئة... وأمر أن يباع من الأمراء، التي له طعام أرضهم مما يبيع فيه، فظفروا ذلك، فرخصت الأسعار، وهم أيضاً، أكثر مما كانت أولاً... ولقد سمعت عنه كلمة أعجبتني جداً، وهي أنه قيل له في الذي يخرجه ويطلقه من الأموال، التي لا تسمع نفس بعضها، فقال لم : ”أنا فتحت هذا المكان بعد العصر، فأكون أول الخليل! فكأن أحسن؟“ .

أظهر العدل، وأزال عنة مظالم، وأطلق أهل السجون، وظهر للناس، وكان من قبله من الخلفاء لا يظهرون إلا نادرا .

- وفيهما وصل الملك المسعود من اليمن إلى مكة، ومضى إلى القاهرة من طريق عيذاب ،
 فقدم على أبيه الكامل بقلمة الجبل ، ومعه هدايا جليظة . وفيها مات الوزير صاحب
 صفى الدين عبد الله بن أبي الحسن على بن الحسين بن عبد الخالق بن الحسين بن الحسن
 ابن منصور بن إبراهيم بن عماد بن منصور بن علي الشيبى ، أبو محمد المعروف بابن شكر ، الفقيه
 الديلمى المالكي ، في يوم الجمعة ثامن شعبان - وقيل شوال - بالقاهرة ، ودفن برباطه منها .
 وكان مولده بدمية ، إحدى قرى مصر البحرية ، في تاسع صفر سنة ثمان وأربعين وخمسمائة ؛
 وسمع من ابن عوف وغيره ، وحدث . وكان جبارا (١٦٠) جباها عاتيا ، غانيا بتقدمة
 الأراذل وتأخر الأماثل ؛ أفقر خلقا كثيرا .

١٠

وفيهما قدم الشريف قاسم الحسينى أمير المدينة ، بمسكر إلى مكة، وحصرها نحو شهر،
 وبها نواب الملك الكامل، فلم يتمكن منها، بل قُتل .

♦ ♦ ♦

- سنة ثلاث وعشرين وستمائة . فيها تآكدت الوحشة بين المعظم وبين أخويه
 الكامل والأشرف . وفيها بعث الخليفة الظاهر بأمر الله التشاريف للملك بنى أيوب ، على
 يد محيى الدين أبى المظفر بن الحافظ جمال الدين أبى الفرج بن الجوزى : فبدأ بالأشرف
 موسى صاحب البلاد الشرقية ، وأفاض عليه الخلع الخليفة ، ثم بالعزيز غياث الدين محمد
 ابن الظاهر صاحب حلب ، فأفاض عليه قرابة واسعة الكم سوداء ، وعمامة سوداء مذهبة ،

(١) بغير ضبط فى م ، والنسبة إلى دمية ، وهى إحدى قرينين متجاكبين على النيل ، تسمى كل منهما دمية ،
 قرب دباط . (بالحوت : معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ٦٠٢) - (٢) اشتهر فى عالم التأليف من أسرة ابن الجوزى
 اثنان ، هما : عبد الرحمن بن علي بن محمد أبو الفرج جمال الدين ابن الجوزى ، الحنبل الفقيه الموزن ، صاحب
 كتاب المعظم والمضط المقتزم فى التاريخ ، مات بتقداسنة ٥٩٧هـ ، (Enc. Isl. Art. Ibn al-Djawzi) ؛
 وسبط ابن الجوزى ، واسمه شمس الدين أبو المظفر يوسف بن كرمظو ، وهو ابن بنت عبد الرحمن المذكور ،
 ولد بتقداسنة ٥٨٢هـ ، وتوفى بدمشق سنة ٦٨٤هـ ، وهو صاحب كتاب مرآة الزمان فى تاريخ الأعيان .
 (Enc. Isl. Art. Ibn al-Djawzi, Silkt)

وثوباً مطرزا بالذهب أيضاً؛ ثم ألبس المعظم عيسى، صاحب دمشق، بدمشق. وسار إلى القاهرة بالتقليد والخلق للكل الكامل، ولأولاده الملك الصالح نجم الدين أيوب والملك المسعود، وللصاحب صفى الدين بن شكر. فبرز الملك الكامل إلى ظاهر القاهرة، وليس الخلع الخليفة هو وولده^(١). وكان صاحب صفى الدين قد مات، فألبس [الكامل] الخلع التي باسمه للقاضي نغر الدين سليمان بن محمود بن أبي غالب أبي الربيع الدمشقي، كاتب الإنشاء. صعب [الكامل] من باب النصر، وشق القاهرة إلى أن صعد قلعة الجبل، فكان يوماً مشهوداً.

وفيها قبض الملك الكامل على أولاد الصاحب صفى الدين بن شكر، وأحاط بجميع موجوده، واعتقل ابنه تاج الدين يوسف، وعز الدين محمد، في قاعة سهم الدين، بدرج الأسواني^(٢) من القاهرة. ولم يستوزر [الكامل] بعد ابن شكر أحداً.

وفيها سافر الملك المسعود من القاهرة إلى اليمن. وفيها كثروهم الملك الكامل من عسكره، فإن المعظم أرسل إليه في جملة كلام: "وإن قصدتني لا أخذك إلا بعسكرك". فوقع في نفسه الخوف ممن معه، وهم أن يخرج من مصر، فلم يحسر. وخرج المعظم فنازل حصص، ونحرب قراها ومزارعها، ولم ينل من قلعتها شيئاً، لامتناعها هي والمدينة عليه. فلما طال مقامه على حصص رحل عنها، لما أصاب عسكره ودوابه من الموت. وقدم عليه أخوه الأشرف جريدة، فسر به سروراً عظيماً، وأكرمه إكراماً زائداً.

وفيها مات الخليفة الظاهر بأمر الله [أبو نصر] محمد بن الناصر، في رابع عشر شهر رجب، فكانت خلافته تسعة أشهر وتسعة أيام؛ وكان حسن السيرة كثير المعروف. واستقر في الخلافة من بعده ابنه المستنصر بالله أبو جعفر المنصور، وعمره عشرون سنة؛ فوردت عليه رسل ملوك الأطراف. وبعث الملك الكامل (٦٠ ب) في الرسالة معين الدين حسن بن

(١) في س: والتوب مطر. (٢) في س: ولده. (٣) يقول القرني (المواظ والاختار، ج ٢، ص ٢٧)، في باب ذكر الدروب والأزقة، إن درب الأسواني "ينسب إلى القاضي أبي محمد الحسن بن هبة الله الأسواني المعروف بابن عتاب"، فقرأ أنه لم يذكر شيئاً من قاعة سهم الدين.

شيخ الشيوخ [صدر الدين] بن حويه ؛ فلما قدم بغداد قال نياية عن الملك الكامل ، وهو بين يدي الوزير مؤيد الدين أبي الحسن محمد بن محمد القمي : «عبد الدولة المقدسة المستنصرية يقبل العتبات ، التي يستشفى بتقيل ثراها ، ويستشفى بتسكه من عيوديتها بأوثق عراها ، ويوالى شكر الله تعالى على إمالة ليل العزاء ، الذي عم مصابه ، بصبح الهناء الذي تم نصابه ، حتى ترحح عن شمس الهدى شفق الإشفاق ، فجعل كلمتها العليا ، وكلمة معادها السفلى ، وزادها شرفا في الآخرة والأولى » . وفيها قدم رسول علاء الدين كيقباد ، ملك الروم ، بتقديمه جليته إلى الملك الكامل .

♦ ♦ ♦

سنة أربع وعشرين وستمائة . فيها سافر الأشرف إلى بلاده من دمشق ، بعد ما حلف للمعظم أنه يعاضده على أخيه الملك الكامل ، وعلى الملك المجاهد صاحب حمص ، والناصر صاحب حماة . وفيها سافر رسول علاء الدين كيقباد ، ملك الروم ، من مصر إلى مخدومه . وفيها تأكدت الوحشة بين الكامل وبين أخويه المعظم والأشرف ؛ وخالف [الكامل] من اتقاء أخيه المعظم إلى السلطان جلال الدين بن خوارزم شاه ، فبعث الأمير نغر الدين يوسف ابن شيخ الشيوخ [صدر الدين بن حويه] ^(١) إلى ملك الفرنج ، يريد منه أن يقدم إلى عكا ،

(١) تقدم ذكر شيخ الشيوخ صدر الدين بن حويه ، في أخبار الملك العادل ، تحت سنة ٦١٤ هـ (انظر ص ١٨٦) . وقد توفى بالموصل سنة ٦١٧ هـ وترك من الأولاد أربعة ، عرف كل منهم بأبي الشيخ ، وهم نغر الدين وعماد الدين وكال الدين وسمين الدين . وذكرهم المقرئ جيمافيا على ، عند ذكر وفاة السلطان الكامل ، فترجم لهم ، وقال إن أهمهم — وهي أئمة القاضي شهاب الدين بن عسرون — أرضعت الملك الكامل ، فهم أخوته من الرضاعة . انظر أيضا أبا الفداء (المنتصر في أخبار البشر) ص ٩٥ ، ١١٤ ، في I. (Rec. Hist. Or.) .

(٢) انظر الحاشية السابقة . (٣) يقصد المقرئ بذلك الفرنج فردريك الثاني (Frederic II.) ، إمبراطور الدولة الرومانية المقدسة . وكان هذا الإمبراطور قد نذرو يوم تنويجه ، سنة ١٢١٥ م (٦١٢ هـ) ، أن يرافق الحملة الصليبية ، المعروفة في التاريخ الأوروبي بالخاصة ، والتي كان غرضها الديار المصرية . غير أن أمورا داخلية عاثت ، فلم يستطع الوفاء ، وسارت الحملة بقيادة (Jean de Brienne) ، وحاصرت دمياط (انظر ص ١٨٨) ، وما بعدها . حل أن الإمبراطور لم يأل جهدا في بث الدعوة لحملة في اتقاء بلاده ، بل أرسل بحملة ألمانية سنة ١٢٢١ م (٦١٨ هـ) ، شاع أن سيراتها ، ولكنه لم يفعل . وهذه الحملة هي التي وصلت الشواطئ المصرية بعد إضاء شروط الصلح بين الملك الكامل والصليبيين ، (انظر ص ٢٠٨) ، وما بعدها) . ولقد كان سلوك الإمبراطور مجلبة لنضب الباريات ، الذين تأخروا

ووعده أن يعطيه بعض ما بيد المسلمين من بلاد الساحل، ليشغل سر أخيه المعظم؛ فتجهز الإمبراطور ملك الفرنج قصد الساحل.

وبلغ ذلك المعظم، فكتب إلى السلطان جلال الدين يسأله النجدة على أخيه الكامل، ووعده أن يخطب له، ويضرب السكة باسمه. فسير إليه [جلال الدين] خلة لبسها، وشق بها دمشق، وقطع الخطبة لالك الكامل. فبلغ ذلك الكامل، فخرج من القاهرة بساكره، ونزل بليس في شهر رمضان. فبعث إليه المعظم: "إني نذرت لله تعالى أن كل مرحلة ترحلها تقصدي أنصدق بألف دينار؛ فإن جميع عسكرك معي، وكنتهم عندي، وأنا أخذك بسكرك". وكتب [المعظم مكتبة] بهذا في السر، ومعها مكتبة في الظاهر [فيها]: "باني مملوكك، وما خرجت عن عبتك وطاعتك، وحاشاك أن تخرج وتقابلني، وأنا أول من أتجذك، وحضر إلى خدمتك، من جميع ملوك الشام والشرق". فظهر الكامل هذا بين الأمراء، ورجع من العياصة إلى قلعة الجبل، وقبض على عتة من الأمراء (١٦١) ومالك أبيه، لمكاتبهم المعظم: منهم نغر الدين الطنبا الحيشي، ونغر الدين الطنبا الفيومي — وكان أمير جانداده؛

على كرسى البايبرية ربما، فأراد الإمبراطور سنة ١٢٢٧م (٥٦٢٤هـ)، أن يستلج رضا البابا القائم إذ ذاك، وهو (Gregory IX)، فأبحر من جنوى إيطاليا، على رأس حملة صليبية ضخمة. غير أنه اضطر إلى العودة قبل أن تبحر سفنه المياه الإيطالية، بسبب حيايته. فأعتبر البابا المرض تمازوا، وأعلن منحه على الإمبراطور، وصب جام غضبه عليه، بإعلان حرمانه من الكنيسة. (Excommunication). بل إنه لما شفى الإمبراطور، وعزم عزمًا أجددًا على الذهاب إلى الشام، منه البابا من الرحيل منها. ورغم ذلك أبحر الإمبراطور، وعلى رأسه حرمان الكنيسة، وحملة هي المعروفة في التاريخ الأوروبي بالسادسة. ووصل الإمبراطور عكا، في سبتمبر سنة ١٢٢٧، (شوال سنة ٥٦٢٤). انظر (Stevenson: Crusaders In The East, pp. 307-310). هناك جاء نغر الدين بن حويه، رسولاً من عند الكامل، وستأني بقة أخبار السلطان والإمبراطور فيا على (١) عبارة السلوك هنا متباينة لما في أبي الفداء (المختصر في أخبار البشر، ص ١٠٢، في Rec. Hist. Or. I)، وهذا يرجع الظن بأن المقرئ قد اقتبس هنا من أبي الفداء، مباشرة أو عن طريق غير مباشر. (٢) في س. الانبرطوز، وهذه قراءة غريبة فقط (Imperator) اللاتينية، أو ما يراده في اللغات الأوربية الحديثة، ولعل التشويه مقصود. أما الصيغة الغالبة في كتب المؤرخين المسلمين لهذا القبط فهي "الانبرور"، وهي قريبة من منطوقه في الفرنسية والإنجليزية. (٣) مضبوط في س، بضم الحاء، وكسر اليا، فقط. واسمه في البني (عقد الجمان، ج ١٨، قسم ١، ص ٤١) نغر الدين الطنبا. (٤) كذا في س. واسمه في البني (فلس المراجع والجزء والقسم والصفحة) نغر الدين الفيومي.

وقبض أيضا على عشرة أمراء من البحرية العادلية، واعتقلهم وأخذ سائر موجودهم؛ واتفق في السكر ليسير إلى دمشق .

وفيها وصل رسول ملك الفرنج بهدية سنية وتحف غريبة إلى الملك الكامل، و[كان فيها] مدة خيول، منها فرس الملك، بمركب ذهب مرصع بجوهر فانس . فتلقاه الكامل بالإقامات، من الإسكندرية إلى القاهرة؛ وتلقاه بالقرب من القاهرة بنفسه، وأكرمه إكراما زائدا، وأتزله في دار الوزير صفى الدين بن شكر . واهتم الكامل تجهيز هدية سنية إلى ملك الفرنج: فيها من تحف الهند واليمن، والعراق والشام، ومصر والمعجم، ما قيمته أضعاف ما سيره؛ وفيها سرج من ذهب، وفيها جوهر بعشرة آلاف دينار مصرية . وعين الكامل للسيرة هذه الهدية بحال الدين بن مقذ الشيزي .

وفيها وصل رسول الأشكرى^(١) في البحر إلى الملك الكامل . فسار المعظم من دمشق لتخريب القدس، فخرّب قلاعا وعدة صهاريج بالقدس، لما بلغه من حركة ملك الفرنج .

وفيها جهز الملك الكامل كمال الدين ومعين الدين، ولدى شيخ الشيوخ ابن حويه — ومعهما الشريف شمس الدين الأرموي، قاضى السكر — إلى المعظم . و[أمر السلطان الكامل] أن يدير الكال بجواب المعظم إلى [الملك] المجاهد [أسد الدين شيركوه] بمجس، ويسرفه الحال؛ و[أن] يتوجه المعين إلى بغداد، برسالة إلى الخليفة؛ فتوجه في شعبان .

وفيها اتفق عيد الفطر يوم عيد اليهود وعيد النصارى . وفيها [حقن الملك العادل أبو بكر ابن الملك الكامل في تاسع شوال .

(١) في س عشر . (٢) ورد لفظ "البحرية" هنا بموجب الالتفات، فالعريف أنه لم يطلق على أجداد السلاطين الأيوبيين إلا بعد أن أسس الملك الصالح أيوب (١٢٣٧ — ١٢٤٧) جيشا جديدا من المليك، أسكنهم قلعة الروضة على بحر النيل، "وسماهم بهذا الاسم . " (الفقشندى : ص ٤ ، ص ١٦ ؛ و Enc. Isl. Art. Bahri (٣) انظر ص ١٢٥ ، حاشية ٤ . (٤) إمبراطور الدولة البيزنطية في نيقة تلك السنة هو (John III Ducas Vatatzes) ، ١٢٢٢ — ١٢٥٤ م ، ١٢٧٩ — ١٢٥٢ (٥) انظر مدى (Camb. Med. Hist. IV. pp. 427 — 428.) انظر أيضا ص ١٧٩ ، حاشية ٢ . (٥) انظر مدى التخريب الذي أحدثه المعظم بالقدس في (Enc. Isl. Art. Al-Kude) .

- وفيه مات الملك المعظم أبو الفتح عيسى بن الملك العادل، صاحب دمشق، يوم الجمعة
 سلخ ذي القعدة بدمشق، ودفن بقلعتها، ثم نقل إلى الصالحية . ومولاه بدمشق، في سنة ثمان
 وسبعين وخمسمائة . وكان قد خافه الملك الكامل، فسر بموته . وكان كريما شجاعا، أدبيا ليئا،
 قويا متغاليا في التصب لمذهب أبي حنيفة - رحمه الله -، وشارك في النحو وغيره . وقال له
 أبوه [مرة]: "كيف اخترت مذهب أبي حنيفة، وأهلك كلهم شافعية؟" فقال: "يا خوند!^(١)
 أما ترغبون أن يكون فيكم رجل واحد مسلم؟" وصنف كتابا سماه المصمب، في الرد
 على الخطيب [البغدادى]، أبي بكر أحمد بن ثابت، فيما تكلم به في حق أبي حنيفة، في تاريخ
 بغداد . وكان مقداما، لا يفكر في عاقبة، جبارا مطرعا للاباس، وهو الذى أطمع الخوارزمي
 في البلاد . وكانت مدة ملكه - بعد أبيه - ثمانى (٦١ ب) سنين وسبعة أشهر غير ثمانية
 أيام . فقام من بعده ابنه الملك الناصر داود، وعمره إحدى وعشرون سنة . وسير [الناصر]^(٢)
 كتبه إلى عمه الملك الكامل، بجنس [الكامل] للعزاء، وسير إليه الأمير علاء الدين بن شجاع
 الدين جللك المظفرى الثقوى بالخلة وسنجد السلطنة، وكتب معه بما طيب قلبه . فليس
 [الناصر] خلة الكامل، وركب بالسجق . ثم أرسل إليه الكامل يريد منه أن يترك له قلعة
 الشوبك، ليجعلها خزانة له . فامتنع من ذلك، وبهذا وقعت الوحشة بينه وبين عمه الكامل .
 وفيها أمر الملك الكامل بخريب مدينة تيس، فخربت أركانها الحصينة وعمارتها المكيئة،
 ولم يكن بديار مصر أحسن منها، واستمرت من حينئذ خرابا .
 وفي شهر رجب من هذه السنة دعا لنفسه بتونس الأمير أبو زكريا يحيى بن عبد الواحد
 ابن أبي حفص، وتلقب بالسلطان السعيد . فلم ينازعه أحد في ملكة إفريقية، وكان قد
 ضعف أمر بني عبد المؤمن .

(١) العبارة الآتية زائدة بهامش الصفحة في س، وهي بخط مخالف، ونصها: "مات الملك المعظم عيسى
 رحمه الله تعالى عليه". (٢) فقط ترك أرفايسى، وأصله خدارند بضم الخاء، ومعناه السيد أو الأمير،
 ويخطبه القكور والإناث مل السواء . والتخوند في اصطلاح عشاريين من كاتب في الزينة دون الأمير، ووفق
 الشيخ أراقدوم . (محيط المحيط، و Dory: Supp. Diet. Ar.) . (٣) في س ركان .
 (٤) في س شربن . (٥) في س نصير . (٦) في س طلب .



سنة خمس وعشرين وستمائة . فيها سير الملك الكامل شيخ الشيوخ ابن حويه بالنخ^(١)، إلى ابن أخيه الناصر داود بن المعظم، بدمشق . فحمل الرسول الفاشية بين يديه، ثم حملها عمه^(٢) : [الملك] العزيز [عثمان صاحب بانياس]، و [الملك] الصالح [عماد الدين إسماعيل، صاحب بصرى^(٣)] . و [فيها] جهز [الملك الكامل] أيضا النخل للجاهد، صاحب حصص .

- وفيها استوحش الملك الكامل من ابن أخيه الناصر داود، وعزم على قصده، وأخذ دمشق منه . وعهد [الكامل] إلى ابنه الملك الصالح نجم الدين أيوب بالسلطنة من بعده [بديار مصر]، وأركبه بشعار السلطنة، - وشق [الصالح] القاهرة، وحملت الفاشية بين يديه، تداول حملها الأمراء بالتوبة - وأتله بدار الوزارة، وعمره يومئذ نحو اثنتين وعشرين سنة .
- وفيها ظلم الأجد بهرام شاه بن عز الدين فرخشاه - صاحب بعلبك - وتعدي، وأخذ أموال أهل بعلبك وأولادهم . فقام عدة من جنده مع العزيز نغر الدين عثمان بن الصادل في تسليمه بعلبك، فصار [العزيز] إليها ونالها . فقبض الأجد [على] أولئك الذين قاموا معه، وقتل بعضهم، واعتقل باقيهم . ثم إن الناصر داود، صاحب دمشق، بعث إليه من رحله عن بعلبك قهرا، فغضب وسار إلى الملك الكامل، ملتحجا إليه . فسر به [الكامل] ، ووعدته باتراج بعلبك من الأجد وتسليمها إليه .

- وفيها ظلم الناصر داود أهل دمشق، وأخذ أموالهم ، واشتغل باللهو، وأعرض عن مصالح الدولة . فشق ذلك على الكامل، وجعله سببا لإخذه به، وتجهيز في شهر رجب للسير لمحاربه، واستتاب على مصر ابنه الملك الصالح نجم الدين أيوب، وأقام معه الأمير نغر الدين يوسف بن شيخ الشيوخ، ليحصل الأموال ويدير أمور المملكة . ونخرج [الكامل] من القاهرة يوم الأحد تاسع عشر شعبان - في عساكره المتوافرة - ومعه المظفر تقي الدين محمود

(١) يقصد المقرري واحدا من أبناء شيخ الشيوخ صدر الدين بن حويه . (انظر ص ٢٢١، حاشية ١)

(٢) في ص ١ عماله . (٣) أضيف ما بين الأقواس من المعنى (فقد الجان) ج ١٨، قمر ١، ص ٥٨ .

ابن المنصور، وقد وعده أن يسلمه حاة، [وكانت بيد أخيه قلع أرسلان]؛ والملك الجواد مظفر الدين يونس بن مودود بن العادل، وكان قد رباه عمه الملك الكامل بعد موت أبيه، وأقطعه البعيرة من ديار (١٦٢) مصر.

فلما بلغ الناصر خروج عمه لم يعل إلى استعطافه، والتجأ إلى عمه الأشرف . فسار الكامل بالسكر والعربان إلى تل العجول، وبتت منها إلى نابلس والقدس وأعمالها . وسير [الكامل] الأمير حسام الدين أبا علي بن محمد بن أبي علي الهذلي - أحد أصحاب المظفر تقي [الدين] محمود - إلى القاهرة، فاستخدمه الملك الصالح، وجعله أستاذاره . فاستولت أصحاب الملك الكامل على نابلس والقدس .

وبلغ ذلك الناصر، خلف عسكره، واستعد للحرب . وقدم إليه عمه الصالح صاحب بصرى، والأمير عز الدين أيلك من صرخد، [وأصله مملوك أبيه المعظم]، فقويت بهما . نفسه . وسير [الناصر] يستدعي عمه الأشرف من البلاد الشرقية، مع الأمير عماد الدين بن موسك، ونفر القضاة نصر الله بن بصاقة، وأرد فهما بالأشرف بن القاضي القاضي . فأجاب [الأشرف] إلى معاونته، واستأب في بلاده الملك الحافظ بن العادل، وسار [إلى دمشق] . فلقاه [قلع أرسلان] صاحب حماة، من سلمية، بأموال وخيول، وتلقاه [أسد الدين شيركوه]، صاحب حمص، وأولاده . وقدم [الأشرف] إلى دمشق، فلقاه الناصر في أحراب شهر رمضان، وزين دمشق لقدمه، فدخل القلعة وعليه شاش علم كبير، وهو مشدود الوسط بتنديل . وقد مر الناصريه سرورا كبيرا، وحجته في بلاده وأمواله . فأعجب الأشرف بدمشق، وعمل في الباطن على اتراعاها لنفسه من الناصر . ثم قيم [إلى خدمة الأشرف بدمشق] المجاهد

(١) انظر ص ٢٠٥، سطر ٩، وما بعده .

(٢) أضيف ما بين القوسين بعد مراجعة ابن الأثير (الكامل في التاريخ، ج ١٢، ص ٣١٦) .

(٣) حيلة القسري هنا شبه سكتيرا ما يقابلها في أبي الفداء (المختصر في أخبار البشر، ص ١٠٣،

في (Rec. Hist. Or. I. (٤) في ص فصب .

(٥) أضيف ما بين القوسين من أبي الفداء (المختصر في أخبار البشر، ص ١٠٣، في (Rec. Hist. Or. I. (

أسد الدين شيركوه بن محمد، صاحب حصص . وسار العزيز بن العادل إلى خدمة الملك الكامل، وهو في الطريق، فسر بقدمه، وأعطاه شيئاً كثيراً .

- وسير الأشرف إلى الكامل الأمير سيف الدين علي بن قلع، يشفع في الناصر، ويطلب منه إبقاء دمشق عليه، ويقول: "إنّا كلنا في طاعتك، ولم نخرج عن موافقتك"، فأكرم الملك الكامل الرسول. ثم سار الأشرف — ومعه الناصر — من دمشق، يريدان ملاقة الملك الكامل والتراى عليه، ليصلح الأشرف الأمر بينهما . فلما بلغ الكامل مسيرهما شق عليه، وورحل من نابلس يريد العود إلى القاهرة. فنزل الأشرف والناصر بنابلس، فأقام بها الناصر، ومضى الأشرف والمجاهد إلى الكامل . فبلغه قدوم الأشرف وهو بتل العجول، فقام إلى لقائه، وقدم به إلى مسكره. ونزلا فكان الاتفاق بينهما على انتزاع دمشق من ابن أخيها الناصر داود، وأن تكون للأشرف وما معها إلى عقبة فيق، ويكون للكامل (٦٢ ب) ما بين عقبة فيق وغزة من البلاد والحصون، وهو الفتح الصلاحي بأسره؛ ويكون للناصر — عوضاً من دمشق — حران والرقبة وسروج ورأس عين، وهي ما كان مع الأشرف؛ وأن تُترع بعلبك من الأجدد بهرام، وتعطى لأخيها العزيز عثمان؛ و[أن] تُترع حماة من الملك الناصر قلع أرسلان بن المنصور، وتعطى للظفر بن الدين محمود بن المنصور؛ وأنف تؤخذ من المظفر سلبية، وتضاف إلى المجاهد صاحب حصص .

١٥

وفيها مات طائفة الملل والثر جتكرخان^(١)، بالقرب من صاروباي^(٢)، ومُسل ميتاً إلى كرمي

(١) في س جتكرخان . (٢) هكذا في س بغير ضبط، وليس في المراجع المتداولة في هذه الحواشي ما يشير بشيء من هذا البلد . على أنه ورد في (Enc. Isl. Art. Bālik) أن لفظ بائي ترك قديم، معناه بلد، وأنه كثيراً ما يضاف إلى اسم آخر، مثل خان بائي وبشاي، وهذا الثاني اسم بلد في التركستان الصيني، ومعناه المدن الخمس (Pentapolis)، انظر (Ibid. Art. Bishbālik) . راجع أيضاً القلقشندي (صبح الأعشى، ج ٤، ص ٧٩ — ٤٨٠)، إذ يقول إن خان بائي عاصمة الصين، وإنها بأقصى الشرق عند بلاد الخطا، وإنها عبارة من مدينتين، قديمة وجديدة، والجديدة منها اسمها ديدو . ويقول القلقشندي أيضاً (خمس المراجع والجزء، ص ٤٨١، ٤٨٤) إن بيلاد الصين هذا اسمه جاتق، وإنه قاعدة بلاد الخطا . أما عن مكان وفاة جتكرخان =

ملك الخطأ^(١١) . ورُبَّ بعده ابنه الأصغر عوضه جانا كبيرا ، على كرمي مملكة الخطأ ؛ وأخذ إخوته الثلاثة بقية الأقاليم .

وفىها خرج التار إلى بلاد الإسلام ، فكانت لهم عدة حروب مع السلطان جلال الدين [خوارزم شاه] ، كسرى فيها غير مرة ، ثم ظفر أخيرا بهم ، وهزمهم . فلما خلا سره منهم سار إلى خلاط — من بلاد الأشراف — فنهب وسبي الحريم ، واسترق الأولاد ، وقتل الرجال ، ونهب القرى ، وفصل ما لا يفعله أهل الكفر . ثم عاد إلى بلاده ، وقد زلزل بلاد حران والرها وما هنالك ، ورحل أهل سروج إلى منبج . وكان [قد] عزم على قصد بلاد الشام ، لكن صرفه الله عنها .

وفىها قدم الإمبراطور ملك الفرنج إلى عكا ، باستدعاء الملك الكامل له ، كما تقدم ، ليشغل سرّ أخيه المعظم ، فاتفق موت المعظم . ولما وصل ملك الفرنج إلى عكا بعث رسوله إلى الملك الكامل ، وأمره أن يقول له : " الملك يقول لك كان الجيد والمصلحة للساكنين أن يبدلوا كل شيء ، ولا أجيء إليهم . والآن قد كنتم بذلتهم لناجي — في زمن حصار ديباط — الساحل كله ، وإطلاق الحقوق بالإسكندرية ، وما قلنا . وقد فصل الله لكم ما فصل من ظفركم ، وإعادتها إليكم . ومن ناجي ؟ [إن] هو إلا أقل غلمانى ، فلا أقل من إعطائى ما كنتم

= فالعروف أنه مات قرب بلدة (Tsin-ton) ، في أرض مملكة (Hsia) ، وهي مقاطعة (Kan-su) ، بالصين الحالية (Lamb : Genghiz Khan : pp. 192-194. & Enc. Isl. Art. Cingiz-Khan.)

(١) بطريق قس ، وأطلق اسم يطلق على بلاد مناحة للصين ، يسكنها جنس من الترك . (الفقشندى : صبح الأعشى ، ج ٤ ، ص ٤٨٣) . و يطلق اسم الخطأ أيضا على بلاد الصين جميعها في القرون الوسطى . (Enc. Isl. Art. Khitā.)

وقد دفن جنكيزخان بالتركتان الصينى ، في بلدة برخان خيدون (Burkhan-Khaludun) ، عند منابع نهري (Onon & Kerlen) ، وهي وطنه الأصل . (Enc. Isl. Art. Cingiz-Khan : Lamb : Op. cit.)

(٢) في ص فان كبير . وقد ترك جنكيزخان إمبراطورية متباعدة الأطراف ، تمتد من بحر قزوين إلى شواطئ الصين . وقسمها في حياته بين ثلاثة من أولاده ، وهم تولى وجوش وشغلاى . أما راجهم — وهو أصغرهم ، واسمه أرغلاى — فقد آت إليه أملاك آبيه الأصلية ، وذلك حسب العرف المغولى ، وكانت حجارة من بلاد التركستان الصينى ، التي ورثها جنكيزخان عن أبيه يسوجان . (Enc. Isl. Art. Cingiz, Khan.)

(٣) في ص وسار . (٤) في ص الابرطور . (٥) في ص ائى .

بذقوه له . " تخير الملك الكامل ، ولم يمكنه دفعه ولا محاربته ، لما كان تقدم بينهما من الاتفاق ؛ فراسله ولاطفه ، وسَفَر بينهما الأمير غفر الدين بن الشيخ . وشرع الفرنج في عمارة صيداء — وكانت مناصفة بين المسلمين والفرنج ، وسورها خراب — فعمروها وأزالوا من فيها من المسلمين . وخرجت السنة والكامل على تل العجول ، وملك الفرنج بكا ، والرسل تتردد بينهما .

♦ ♦ ♦

سنة ست وعشرين وستمائة . فيها غلت الأسعار بالساحل ودمشق ، ووصلت نجدة من حلب إلى القور . و [فيها] قفز [الأمير عز الدين] ^(١) أيدمر المعظمي إلى الملك الكامل ، فأحسن إليه . ففارق (١٦٣) الناصر داود من نابلس ، لما بلغه اتفاق الأشرف مع الكامل عليه ، وعاد إلى دمشق . فبلغ الأشرف وهو بتل العجول ذلك ، فسار ليدركه ، فوافاه بقصير ابن معين الدين من القور ، تحت عقبة فيق . وأعلمه [الأشرف] — بحضور الملك الصالح ١٠ إسماعيل ، والملك المغيث ، والأمير عز الدين أيك المعظمي — أنه اجتمع بالملك الكامل للإصلاح بينهما ، وأنه اجتهد وحرَّص " على أن يرجع عنك فامتنع ، وأبى إلا أن يأخذ دمشق . وأنت تعلم أنه سلطان البيت وكبيرهم ، وصاحب الديار المصرية ، ولا يمكن الخروج عما يأمر به . وقد وقع الاتفاق على أن تسلم إليه دمشق ، وتُؤمَّض عنها من الشرق كذا " ، وذكر ما وقع الاتفاق عليه .

١٥

فلسا فرغ [الأشرف] من كلامه قام الأمير [عز الدين] أيك ، [وهو أكبر أمير ^(٢) الناصر داود] ، وقال : " لا كيد ولا كرامة ، ولا تسلم من البلاد حجرا واحدا ؛ ونحن قادرون على دفع الجميع ومقاومتهم ، ومعنا العساكر المتوافرة " . وأمر الملك الناصر بالركوب فركبا ، وقُوِّضت الخيام ، وصارا إلى دمشق ؛ وتحلف عن الناصر عمه الصالح ، وابن عمه المغيث .

(١) انظر ص ٢٣٤ ، سطر ٤ . (٢) أنصف مابن القوسين بعد مراجعة ابن الأثير (للكامل في التاريخ ج ١٢ ص ٢١٦) . وعز الدين أيك هو أول سلاطين الخاليف البحرية بمصر ، بعد نجر الدر . (أبر شامة : كتاب الروشني ، ص ٢٠٠ ، في Rec. Hist. Or. V. (٣) في ص ٣٥٠ .

ولما وصل الناصر إلى دمشق استعد للحصار، وقام معه أهل البلد، لمحبتهم في أبيه . وسار
الأشرف بن معه ، وحاصر دمشق ، وقطع عنها أنهارها — بأناس^(١) ، والقنوت^(٢) ، [ويزيد^(٣)]
وقورا] — فخرج إليه العسكر وأهل البلد وحاربوه .

وفي أثناء ذلك كثرت ردد الأمير نغر الدين بن شيخ الشيوخ، والشريف غمّس الدين
الأرموي قاضي العسكر، بين الملك الكامل وبين الإمبراطور فردريك ملك الفرنج، إلى أن
وقع الاتفاق أن ملك الفرنج يأخذ القدس من المسلمين، ويبقيها على ما هي من الخراب،
ولا يحدد سورها، وأن يكون سائر قرى القدس للمسلمين، لاحكم فيها للفرنج؛ وأن الحرم
— بما حواه من الصخرة والمسجد الأقصى — يكون بأيدي المسلمين، لا يدخله الفرنج إلا للزيارة
فقط، ويتولاه قوام من المسلمين، ويقيمون فيه شعار الإسلام من الأذان والصلاة؛ وأن
تكونت القرى التي فيما بين عكا وبين يافا، وبين لدن وبين القدس، بأيدي الفرنج، دون
ما عداها من قرى القدس . وذلك أن الكامل توطّأ مع ملك الفرنج، وخاف من غائلته،
عجزا عن مقاومته . فأرضاه بذلك، وصار يقول : " إنا لم نسمع للفرنج إلا بكائس وأدّر
خراب، والمسجد على حاله، وشعار الإسلام قائم، ووالى المسلمين متحكم في الأعمال
والضرباع " . فلما اتفقا على ذلك عقدت الهدنة بينهما، مدة عشرين وخمسة أشهر
وأربعين يوما، أولها ثامن (٦٣ ب) عشرى شهر ربيع الأول من هذه السنة . واعتذر ملك
الفرنج للأمير نغر الدين بأنه لولا يخاف انكسار جاهه، ما كلف السلطان شيئا من ذلك، وأنه
ماله غرض في القدس ولا غيره، وإنما قصد حفظ ناموسه عند الفرنج .

(١) في س نهر - (انظر حاشية ٤) . (٢) نهر من نهيرات دمشق، وهو ثالث فروع نهر بردى البسة،
(انظر حاشية ٣) ، ويخرج منه عند بلدة دتر، وعل يهتبه بإقليم بأناس . (ياقوت : معجم البلدان، ج ١ ،
ص ٤٨٢ ، ٤٧٦ ، ٥٥٦) . ويسمى هذا النهر أيضا نهر بأناس . (Le Strange : Palest. Under Moslems, p. 266.)

(٣) رابع فروع بردى، ويسمى أيضا نهر القنات . أما فروع بردى الأخرى، فهي نهر يزيد، ونهر قورا، ونهر مزه
— أو المزه — ، ونهر داريا، ونهر بردى، وهو السابع . (Le Strange : Op. cit. pp. 265-267) .

(٤) أخيف ما بين الفوسين بعد مراجعة أبي شامة (كتاب الروضتين، ص ١٨٦ ، في (Rec. Hist. Or. V. (٥) في س الأبرهوز .

- وحلف الملك الكامل وملك الفرنج على ما تقرر، وبعث السلطان فنودى بالقدس بخروج المسلمين منه، وتسليمه إلى الفرنج. فاشتد البكاء، وعظم الصراخ والعويل، وحضر الأئمة والمؤذنون من القدس إلى نجيم الكامل، وأذنوا على بابيه في غير وقت الأذان. فعز عليه ذلك، وأمر بأخذ ما كان معهم من السُتُور والقناديل الفضة والآلات، وزجرهم. وقيل لهم: "امضوا إلى حيث شئتم". فمعظم على أهل الإسلام هذا البلاء، واشتد الإنكار على الملك الكامل، وكثرت الشتاعات عليه في سائر الأقطار.

- وبعث الإمبراطور بعد ذلك يطلب تبتين وأعمالها، فسلمها الكامل له. فبعث يستأذن في دخول القدس، فأجابته الكامل إلى ما طلبه، وسير القاضي شمس الدين قاضي نابلس في خدمته، فسار معه إلى المسجد بالقدس، وطاف معه ما فيه من المزارات، وأُعجب [الإمبراطور] بالمسجد الأقصى وبقبة الصخرة؛ وصعد درج المنبر، فرأى قسيساً بيده الإنجيل، وقد قصد دخول المسجد الأقصى، فزجره وأنكر بعينه، وأقسم لئن عاد أحد من الفرنج يدخل هنا بغير إذن ليأخذن ما فيه عيناه، "فإنما نحن بمالك هذا السلطان الملك الكامل وعبيده، وقد تصدق علينا وطيكم بهذه الكنائس، على سبيل الإتيان منه، فلا يتعدى أحد منكم طوره"، فانصرف القس وهو يرد خوفاً منه. ثم نزل الملك في دار، وأمر [شمس الدين] قاضي نابلس المؤذنين ألا يؤذنوا تلك الليلة، فلم يؤذنوا ألبتة. فلما أصبح قال الملك للقاضي: "لم لم يؤذن المؤذنون على المنائر؟" فقال له [القاضي]: "منهم المملوك أعظما مالاً، واحتراماً له". فقال له [الإمبراطور]: "أخطأت فيما فعلت، والله إنه كان أكبر غرضي في المبيت بالقدس أن أسمع أذان المسلمين وتسميحهم في الليل".

(١) في س الانبراطور . (٢) يقول (Blochet : Op. cit. P. 373. N. I.) إن المقرئ نقل

تفاصيل زيارة الإمبراطور لبيت القدس من كتاب مفرج الكرب في أخبار بني أيوب لابن واصل، وإن هذا الأخير كتب تلك الأخبار من حديث له مع القاضي شمس الدين، الذي رافق الإمبراطور.

(٣) نقل العين (عقد الجمان، ج ١٨، قسم ١، ص ٨٢ - ٨٣) من كتاب مرآة الزمان، لسيط ابن الجوزي، أخباراً بطريقة من زيارة الإمبراطور فردد بك لبيت القدس، وهي على طرائقها مهمة أيضاً، لاختلاف الرواية ==

ثم رحل [الإمبراطور] إلى عكا . وكان هذا الملك عالماً متبحراً في علم الهندسة والحساب والرياضيات^(١)، وبست إلى الملك الكامل بعدة مسائل مشكلة في الهندسة والحكمة والرياضة ، فعرضها على الشيخ علم الدين قيصر الحنفى - المعروف بتعاسيف - وغيره ، فكتب جوابها . وعاد الإمبراطور من عكا إلى بلاده في البحر ، آثر جمادى الآخرة . وسير الكاملُ جمالَ الدين الكاتب الأشرفى إلى البلاد الشرقية وإلى الخليفة ، في (١٦٤) تسكين قلوب الناس وتطمين خواطرهم من اتزعاجهم لأخذ الفرج القدس .

وفي خامس جمادى الأولى - وهو يوم الأحد - وقعت الحوطة على دار القاضي الأشرف أحمد بن القاضي الفاضل ؛ وحملت خزائن الكتب جميعها إلى قلعة الجبل ، في سادس عشره ، وبجملته الكتب ثمانية وستون ألف مجلد . وحمل من داره - في ثالث جمادى الآخرة - خشب خزائن الكتب مفصلة ، [وحملها] تسعة وأربعون مجلداً^(٢) . وكانت [الجمال التي حملت الكتب تسعة وخمسون مجلداً ، ثلاث دفعات^(٣) .

== بخصوص ما حدث من المؤذنين بالقدس - ونصها : - "وفي المرأة : وجرى للأنيروز (كذا) عجيب ، منها أنه لما دخل [قبة] الصخرة رأى قسيساً قاعداً عند القدم ، يأخذ من الفرج (٨٢) قراطيس . بلغا إليه [الأنيروز] ، كأنه يطلب منه الدواء ، فلكه فرماه إلى الأرض ، وقال يا خنزير ! السلطان تصدق علينا بزيارة هذا المكان ، [وأتم] فخلطون فيه هذه الأفاعيل ؟ لن عاد [و] دخل واحد منكم على هذا الوجه لأتقتله . قال السبط : وحسبى صورة الحال قوام الصخرة ؟ [قال] ، ونظر [الأنيروز] إلى الكتابة التي في القبة ، وهي : "طهر هذا البيت المقدس صلاح الدين من المشركين" ، فقال ومن هم المشركون ؟ وقال [الأنيروز] لقوام : هذه الشباك التي على أبواب الصخرة من أجل أيش ؟ قالوا فلا يدخلها الصائغين ، فقال قد أتى الله إليكم بالمتنازير . قالوا ولما دخل وقت الظهر ، وأذن المؤذنون ، قام جمع من كان معه من القرائين والفتاوى ، وسلمه وكان من صقلية يقرأ عليه المنطق ، فجلسوا وكانوا مسلمين . قالوا وكان الأنيروز أشقر أبيض ، في عينه ضعف ، لو كان عبداً ما سواى ما أتى درهم . قالوا والظاهر من كلامه أنه كان دهرانياً ، وإنما كان يتلاعب بالنصرانية . قالوا وكان الكامل قد تقدم إلى القاضي شمس الدين ، قاضى نابلس ، أن يأمر المؤذنين مادام الأنيروز في القدس [أن] لا يصعدوا المنائر ، ولا يؤذنوا في الحرم . فألقى القاضي أن يعلم المؤذنين ، فصدع عبد الكريم المؤذن في تلك الليلة وقت السحر ، والأنيروز نازل في دار القاضي ، فيحمل يقرأ الآيات التي تخص بالصاعدي ، مثل قوله تعالى (ما اتخذ الله من ولد) ، (ذلك عيسى بن مريم) ، ونحو هذا . فلما طلع الفجر ، استدعى القاضي عبد الكريم وقال له أيش علمت ؟ السلطان رسم بكذا وكذا . قال فأغرفني التوبة (كذا) ، فلما كانت الليلة الثانية ، ما صدع عبد الكريم المائدة . فلما طلع الفجر استدعى الأنيروز القاضي ، وكان قد دخل القدس في خدمته ، وهو الذي سلم إليه القدس . فقال له يا قاضى ! أين ذاك الرجل الذي طلع بأرصة أسس المنارة ، وذكر ذلك الكلام ؟ ففره أن السلطان أوصاه ، فقال الأنيروز أعطاهم يا قاضى ! ففردون أتم شامركم وشرعكم ودينكم لأجل ؟ فلو كنتم عندي في بلادى ، هل كنت أبطل ضرب النافوس لأبلكم ؟ الله الله لا تفتلوا . هذا أول ما تنقصون عنهنا^(٤) . (١) في من الرياضى . (٢) في من الانبرطور . (٣) في من حلا الجلاء ، وقد وردت كلمة جعل ، التي قلبها ، بالحاء أيضاً . (٤) في من ملاب دفعات .

وفي يوم السبت ثاني عشرى وجب منها، حُلَّت الكتب وانخرأت^(١) من القلعة إلى دار
الفاضل، وقيل إن عدتها أحد عشر ألف كتاب وثمانمائة وثمانية كتب، ومن جملة الكتب
الماخوذة كتاب الأيك والفصون، لأبي العلاء الممرى، في مئين مجلداً.

وفيها وصل ملك ملطية، فكثرت غاراته وقتله وسببه. وفيها اشتد تسليج الملك الناصر
[داود] بدمشق على عمه الملك الكامل تسليمه القدس للفرنج. فنشرت قلوب الرعية، وجلس
الحافظ شمس الدين سبط ابن الجوزى بجامع دمشق، وذكر فضائل بيت المقدس، وحزن
الناس على استيلاء الفرنج عليه، وبسَّع القول في هذا الفعل. فاجتمع في ذلك المجلس مالا يحصى
عده من الناس، وعلت أصواتهم بالصراخ، واشتد بكاءهم، وأنشد الحافظ شمس الدين
قصيدة، أبياتها ثلثائة بيت، منها:

١٠ على قبة المصراع والصخرة التي • تُخَانرنا في الأرض من محضرات
مدارس آيات خلت من • تلاوة • ومترل وحى مقفر العرصات^(٢)
فلم ير بدمشق أكثر بكاء من ذلك اليوم.

وكان الأشرف على منازلة دمشق، فبعث إلى الكامل يستحثه. فرحل [الكامل] من
تل المعجول بعد طول مقامه بها، فتلقاه في قرية بيتا [أخوه] العزيز عثمان، صاحب بانياس،

(١) في س "حلت الكتب من القلعة إلى دار الفاضل والخراين". (٢) يقول ابن خلكان (وفيات الأعيان،
Wüstenfeld، ج ١، ص ٥٩) في ترجمة أبي العلاء، عن ذلك الكتاب، ما نصه: "ويفنى أن له كتاباً سماه الأيك
والفصون، وهو المعروف بالهزمة والردف، يقارب مائة جزء، و[هو] في الأدب أيضاً. وسكن ل من وقف على
المجلد الأول بعد المائة، من كتاب الهزمة والردف، وقال لا أعلم ما كان يموزه بعد هذا المجلد..."

(٣) ملك ملطية في تلك السنة هو علاء الدين أبو الفتح كيقباد بن غياث الدين كيكسرو، ٦١٦ — ٥٦٣٤.
(Eno. Isl. Arts. Kaikobad & Malatya). وملطية مدينة قديمة، شمالاً أعلى القرات، ويطلقها العامة
يكسر الماء وتسمى يد الماء، وهي يثير ضبط في س. (ياغوت: معجم البلدان، ج ٤، ص ٦٣٣ — ٦٣٥).
(٤) هذه العبارة، من أول السطر هنا، غير مترجمة في (Blochet: Op. cit. p. 377)، على أنها واردة في ب
(٥) أخذ السبط هذا البيت الثاني من قصيدة له عبد العزيز الغزالي. (أبو الفداء: المختصر في أخبار البشر،
ص ١٠٤، في (Rec. Hist. Or. I.، ولا حظ أن (Blochet: Op. cit. p. 378) ترجم هذين البيتين،
وهذا على غير عادته، فإنه يحذف الشرع ترجمه.

(٦) مضبوطة في س بفتح النون، وهي بلدة قرب الرملة، وبها قبر أحد الصعابة، بضمهم يقول هو قبر أبي هريرة،
و بضمهم بقول قبر عبد الله بن أبي سرح. (ياغوت: معجم البلدان، ج ٤، ص ١٠٠٧). (٧) انظر
أبا الفداء (المختصر في أخبار البشر، ص ٨٦، في (Rec. Hist. Or. I.

بابنه الظاهر غازي . فوصل [الكامل] العزيز بمخمين ألف دينار ، وابنه غازي بعشرة آلاف دينار ، وقاش نقيس وخلع سنية . وأمر [الكامل] فقُصِرَتْ له خيمة عظيمة ، وحولها بيوتات ، وسائر ما يحتاج إليه من الآلات والخيام ، برسم أصحابه وماليكه . ثم وصل إليه أيضا الأمير عز الدين أيذر المعظمي ، فدفع إليه [الكامل] عشرة آلاف دينار . — وقيل عشرين ألف دينار — وكتب له على الأعمال القوسية بمشرين ألف أردب غلة ، وأعطاه أملاكه صاحب صفى الدين بن شكر ، ورباعه وحمامه .

وسار [الكامل] إلى دمشق ، فقتل على ظاهرها في جمادى الأولى ، وجدَّ هو والأشرف في حصارها ، حتى اشتد عطش الناس في دمشق ، لانقطاع الأنهار عنهم ؛ ومع ذلك فالحرب بينهم قائمة في كل يوم إلى آخر رجب . فقلت الأسمار ، وفقدت أموال الناصر ، وفارقه جماعة من أصحابه ، وصاروا إلى الكامل والأشرف . فأخذ الناصر في ضرب أوانيهِ من الذهب والفضة دنائير ودرام ، وفرقها حتى فُقد أكثر ما كان عنده من الذخائر . وناصحته العامة مناصحة كبيرة ، وأبلوا في عسكر الكامل والأشرف بلاء عظيما .

[وفي أثناء ذلك] قدم القاضي بهاء الدين بن شداد ، ومعه أكابر حلب وعدوهم ، من عند الملك العزيز [محمد بن الظاهر غازي بن صلاح الدين] ، صاحب حلب ، لترويج ابنه الملك الكامل بالملك العزيز . ففرج الملك الكامل من (٦٤ ب) خيمته بمسجد القدم إلى لقائه ، وأنزله قريبا منه . ثم أحضره ، فقدم مقدمة كانت معه من الملك العزيز . وعقد العقد للملك العزيز على الخاتون فاطمة ابنة الملك الكامل الأمير عماد الدين عمر بن شيخ الشيوخ ، على صداق مبلغه خمسون ألف دينار ، فقبل العقد ابن شداد في سادس عشر شهر رجب .

فضعف قلب الملك الناصر [داود] ، وقلت أمواله ؛ ففرج ليلا من قلعة دمشق في آخر شهر رجب ، ومعه نفر يسير ، وألقى نفسه على باب محيم الكامل . ففرج إليه [الكامل] ،

(١) في ص ضرب . (٢) في ص قدم . (٣) أخيف ما بين القوسين بسد مراجة (Enc. Isl. Art. Halab) . وقد تول العزيز حلب سنة ٥٦١ هـ ، وهو ابن بنت الملك العادل ، وخاله الملك الكامل . (٤) في ص "وعقد العقد على الخاتون فاطمة ابنة الملك الكامل الأمير عماد الدين عمر بن شيخ الشيوخ لملك العزيز" .

وأكرمه إكراما زائدا، واسطه وطيب قلبه، بعد عتب كثير، وأمره أن يعود إلى القلعة، فعاد إليها. ثم بعد يومين بعث الكامل بالأمير نغر الدين بن شيخ الشيوخ إلى القلعة — وكان يوم الجمعة — فصلّى بها الجمعة، وخرج ومعه الناصر داود إلى الملك الكامل، فصالحا. وعوّضه [الكامل] عن دمشق بالكرك والشوبك وأعمالها، مع الصلت والبقاء والأغوار جميعها، وبألبس وأعمال القدس وبيت جبريل. ثم نزل الناصر عن الشوبك للكامل فقبلها، وصار للكامل مع الشوبك بلد الخليل عليه السلام، وطبرية وغزة، وعسقلان والزملة ولذ، وما بأيدي المسلمين من الساحل.

وُفُتحت أبواب دمشق في أول يوم من شعبان، فشق ذلك على أهل دمشق، وتأسفوا على مفارقة الناصر، وكثر بكائهم. ثم تسلمها الملك الأشرف. وبعث الكامل قصاده لتسلم بلاد الأشرف، وهم الأمير نغر الدين بن شيخ الشيوخ، والخادم شمس الدين صواب، وجماعة. فقتلها حران والرها ومروج، ورأس عين والركة، وغير ذلك.

وسافر الناصر داود بأهله إلى الكرك. وسار الكامل إلى مائة، [وبها الناصر صلاح الدين فليج أرسلان بن المنصور محمد بن تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب]. وقدم [مع الكامل] المظفر تقي الدين محمود بن المنصور محمد بن [تقي الدين] عمر بن شاهنشاه بن أيوب في جماعة،

(١) أصيب ما بين الأعراس بعد مراجعة ابن الأثير (الكامل في التاريخ، ج ١٢، ص ٣١٧ — ٣١٨). وسبب تدخل الكامل بين الآخرين، حسبما جاء في نفس المرجع والبرز والمقعة، أن أباها المنصور محمد صاحب حاة، كان قد خلف أكابره، قبل وفاته سنة ٥٦١٧هـ، على تولية ابنه الأكبر المظفر تقي الدين بن يده. فلما توفي المنصور كان المظفر عند خاله الملك الكامل، يمارونه في مقاعة الصليبيين على دمياط (انظر ص ٢٠١، سطر ٣ — ٦، ص ٢٠٥، سطر ٩ — ١٣). وكان أخوه الناصر صلاح الدين فليج أرسلان، عند خاله الملك المظفر، صاحب دمشق. فالتفت فليج أرسلان فرقة غياث أخيه، وذهب إلى حاة، واستولى عليها وعلى قلعتها. ثم حاول المظفر أن يأخذها منه، ولم يفلح، ففرج إلى الكامل، وأقام في خدمته. (انظر ص ٢٥٠، سطر ١٣ — ١٧). فلما سار الكامل لمحاربة الناصر داود، كان المظفر تقي الدين معه، وقد وعده الكامل أن يسلمه حاة. (انظر ص ٢٢٦، سطر ١). فلما انتهى الملك الكامل من أمر الناصر، سار إلى أرسلان جيشا، حاصر حاة عدة أيام. ثم قرع فليج تسليمها، فنزل من القلعة، وذهب إلى الكامل، وهو في طريقه إلى حران والبلاد الشرقية، فاعتقله حتى سلحت حاة وقلعتها إلى المظفر تقي الدين. (راجع أيضا أبا الفداء: المختصر في أخبار البشر، ص ٩٥، في Rec. Hist. Or. I.)

فنازل حماة حتى سلم صاحبها الناصر قلع أرسلان، وسبق إلى الملك الكامل وهو بإسبانية، فأهانته واعتقله. وتسلم المظفر حماة، فكانت مدة الناصر بمحاجة قس [سنتين] تقص شهرين. وبعث الكامل بالناصر صاحب حماة إلى مصر، فاعتقل بها.

ثم سار الملك الكامل يريد البلاد الشرقية، فقطع القرات، ودخل قلعة جعبر. ثم توجه إلى الرقة، وخافه ملوك الشرق، فعبد بالقة عيسد الفطر. وسار إلى حران والرها، واستخدم بها عسكرياً [عدته] نحو ألفي فارس. فقدمت عليه رسل ماردن وأمد، والموصل وإربل؛ و[حضر إليه أيضاً] عدة ملوك. وبعث [الكامل] نغسر الدين بن (١٦٥) شيخ الشيوخ إلى الخليفة؛ وأطلق ابن أخيه الملك الناصر قلع أرسلان من اعتقاله، وخلع عليه، وأعطاه بآرين^(١)، وكتب له بها توقيعاً، وأمر أن يُحمل إليه ما كان في قلعة حماة - وهو أربع مائة ألف درهم - وكتب إلى المظفر تقي الدين بتسليم ذلك إليه. فوصل [الناصر] إلى بآرين^(٢) وتسلمها.

ثم ورد الخبر على الكامل بأن [جلال الدين] خوارزم شاه نازل خلاط، ونصب عليها عشرين متجنقاً، [وكان وصوله إليها] في نصف شوال. و[كانت خلاط لللك الأشرف، وبها عسكره، فأرسلوا إلى الملك الكامل] يسألون في نجدة، فلم يرسل الكامل إليهم أحداً.

وورد الخبر بإقامة الخطبة في ماردن لللك الكامل، وضربت السكة باسمه [هناك]. ثم تواتت الرسل من خلاط، وكلها تطلب إلى الكامل أن يبعث الأشرف لنجدة البلد. فبعث الكامل يطلب عساكر حلب وحماة وحمص، فخرجت عساكر حلب [إلى خلاط، ومعها الأشرف] ^(٦). ثم ورد الخبر بأن الفرنج قد أغارت على بآرين، [وأنهم نهبوا ما بها، وأسروا وصبوا] ^(٨).

(١) في س فرين. انظر ص ٦٠، حاشية ٣. (٢) في س فوصل إليها وتسلمها. راجع ابن الأثير (الكامل في التاريخ، ج ١٢، ص ٣١٨). (٣) في س فرود. (٤) في س الجوانزي. (٥) أخيف ما بين القوسين من قس المرجع والجزء (ص ٣١٨ - ٣٢٠). (٦) أخيف ما بين الأقواس من قس المرجع والجزء (ص ٣٢٠). (٧) في س فرود. (٨) أخيف ما بين القوسين من قس المرجع والجزء (ص ٣١٩).

وفيه مات الملك المسعود يوسف بن الملك الكامل بمكة، عن ست وعشرين سنة، منها مدة ملكه باليمن أربع عشرة سنة، [وهو آخر ملوك بني أيوب ببلاد اليمن] . وترك [المسعود] ابناً يقال له صلاح الدين يوسف، ولقب بالملك المسعود، كلقب أبيه . [وبقي يوسف هذا حتى مات في سلطنة عمه الملك الصالح نجم الدين أيوب، صاحب مصر] . ثم ولي ابنه موسى ابن يوسف بن يوسف [بن الكامل] مملكة مصر، ولقب بالأشرف، شركة مع المعز أيك، كما سيأتي إن شاء الله تعالى .

فاشتد حزن الملك الكامل على [ولده يوسف] ، وتسلم بماليكه ونزائنه وأولاده، وليس لشدة حزنه البياض . وكان المسعود قد استخلف على اليمن نور الدين علي بن رسول التركاني، فتغلب عليها، وبعث إلى الملك الكامل عدة هدايا، وقال : "أنا نائب السلطان على البلاد"، فاستقر ملك اليمن في عقبه بعد ذلك .



سنة سبع وعشرين وسمائة . أهلت والملك الكامل ببحران، وانخوارزي على خلاط، والأشرف محاصر ببلبك . وفيها قدم الأمير نغر الدين بن شيخ الشيوخ من بغداد . و[فيها] ورد رسول الإمبراطور، ملك الفرنج، بكتابه إلى الملك الكامل ببحران، ومعه أيضا كتاب للأمير نغر الدين بن شيخ الشيوخ . وفيها سار الكامل من حران إلى الرقة .

وفيها استولى الأشرف بن العادل على بلبك، بعد ما أقام على حصارها عشرة أشهر . وعرض الأئمة مجد الدين بهرام شاه بن فرخ شاه بن شاهنشاه بن نجم الدين أيوب بن شادي،

(١) كره الملك المسعود المقام باليمن، لما أصابه من المرض بها، وكان قد تولاهما مدة سنة ٦١٢ هـ، أي في عهد جده العادل . (انظر ص ١٨١، سطر ٩ - ١٣) . ثم استنداه أبوه الملك الكامل إليه، سنة ٦٢٦ هـ، ليوليه دمشق، وذلك بعد وفاة الملك العظيم موسى . فصار المسعود عن اليمن قاصدا الشام، فترك بمكة . وهو آخر ملوك اليمن من الأيوبيين . (الخرزرجي - المقود القزويني، ج ١ ص ٣٠ - ٤٤٤ واتفق شدي : صبح الأعشى، ج ٥ ص ٣٠) . (٢) أضيف ما بين القوسين بن العيني (عقد الجمان، ج ١٨، ص ١٠٩ - ٩٧ - ٩٨) . (٣) في س نوى . (٤) في س طيه . (٥) العبارة الآتية واردة بها شئ الصفة، بخط مخالف، ونفسا : "أول مدة استيلاء أولاد رسول علي بمكة بلاد اليمن" . (٦) في س الأبرطوز . (٧) في س شاهان شاه .

حوضاً من بعلبك وأعمالها، قُصير دمشق^(١) والزبداني^(٢)؛ فكانت مدة ملكه بعلبك تسعاً وأربعين سنة . قبعت الكامل الأمير نغر الدين عثمان الأستاذار إلى الأشرف، في مهمات تتعلق به؛ وولى كمال الدين بن شيخ الشيوخ نائباً بالجزيرة .

و[فيها] قدم رسول السلطان علاء الدين كيقباد السلجوقي، (هـ ٦٥ ب) صاحب الروم، على الملك الكامل؛ [وأخبره] بأنه جهز خمسة وعشرين ألفاً إلى أرزنجان^(٣)، وعشرة آلاف إلى ملطية، "وأنا حيث نأمر". فطاب قلب السلطان [الكامل] بذلك، وكان مهتماً من أمر الخوارزمي .

وفيها سار الأشرف، صاحب دمشق، من الشام إلى جهة الشرق، فوصل إلى الكامل وهو بالرقّة؛ ووصل أيضاً مانع بن حديشة أمير العرب . وفيها ملك الخوارزمي مدينة خلّاط، بعد حصار طويل، وقتل شديد، في ثامن عشر جمادى الأولى؛ فوضع السيف في الناس، وأسرف في القتل والنهب . فرحل الملك الكامل يريد مصر، لأمر منها أنه بلغه موت ولده [الملك] المسعود [صاحب اليمن]، فكتمه . و[كان قد] ورد عليه [أيضاً]، من أم ولده العادل، تخاب تشكو فيه من [ابنه] الملك الصالح نجم الدين أيوب، وأنه قد هزم على التوش على الملك، واشترى جماعة كبيرة من الممالك الأتراك؛ وأنه أخذ مالا جزيلا من التجار، وأتلف جملة من مال بيت المال؛ "ومتى لم تتدارك البلاد، وإلا غلب عليها، وأخرجني أنا وابنتك الملك العادل منها" . فانزعج [الكامل] لذلك، وغضب غضبا شديدا . ثم ورد عليه الخبر بأن ابنه الصالح اشترى ألف مملوك، [فهمز على الرحيل إلى مصر] . فرتب الطواشي شمس الدين

(١) بنير ضبط في س، وهي ضجة بشمال دمشق، على الطريق بينها وبين حمص، وبها خان يعرف بالقصر، فبانه مجرى ماء . ويخترق الطريق من القصر إلى دمشق سلسلة من البساتين . (ياقوت : معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ٥٠٣ هـ و Le Strange : Palest. Under Moslems. P. 489) . (٢) بنير ضبط في س، وهي كورة بين دمشق و بعلبك، ومنها يخرج نهر بردى، وتخلق أحساها زبدان، وبها بلدة اسمها الزبداني أيضا . (ياقوت : معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ٩١٣ هـ و Le Strange : Op. cit. P. 553) . (٣) بنير ضبط في س، وهي من بلاد أرمينية، بين خلّاط وأرزن الروم، وأهلها يقولون أرزنكان بالكاف . (ياقوت : معجم البلدان ، ج ١ ، ص ٢٠٥) .

صواب العادى نائباً في أعمال المشرق، وأعطاه إقطاع [أمير] مائة فارس، زيادة على ما يده من الديار المصرية، وهى أعمال أنحم بكالها، وقاى والقبايات وديجوة، بمائة مائتين وخمسين فارساً، فصار أمير ثلاثمائة وخمسين فارساً. ورتب [الملك الكامل] كمال الدين بن شيخ الشيخ وزيراً.

(١) تقدم ذكر رتبة أمير مائة عرشاً (انظر ص ٧٥، سطر ٣)، وأرجى الكلام عنها إلى هنا. وهى مرتبة حربية، خاصة بأرباب السيف، وتقرن عادة بقلب مقدم ألف، يقال أمير مائة مقدم ألف. والمقصود تلك التسمية المركبة وظيفية واحدة، يكون فى خدمة حاملها مائة ملوك (فارس ؟) وهو فى نفس الوقت مقدم فى الحروب على ألف جندى من أجناد الحقبة. وكانت أصحاب هذه المرتبة أعلى مراتب الأُمراء، من عهد السلاجقة بالشرق إلى عهد المماليك بمصر. وربما زاد الواحد منهم المئزرة أو العشرين ملوكاً، أو أكثر من ذلك، فيكون أمير ثلاثمائة، كما ورد هنا (انظر سطر ٣)، والظاهر أن هذا كان غريباً نادراً. وكان بيد هؤلاء الأُمراء، أيام المماليك بمصر، جميع المناصب العليا، فكان منهم نائب السلطنة، ونائب النية، ونائب الوجه البحرى، والحداد الكبير، والأسنادار، ونائب دمشق، ونائب حلب، وما يساوى ذلك من الوظائف الكبرى.

وبل هؤلاء الأُمراء من يحمل رتبة أمير أرجين، ويسمون أُمراء طيلخانة. لأحقبتهم فى دق الطبول على أبوابهم، كما يفعل السلطان وأُمراء المئات، ولكن على صورة مصغرة. ويظهر أنهم كانوا يسمون بأُمراء طيلخانة تمييزاً لهم عن من أقل منهم من الرتبة، وليس لهم طيلخانة. وقد ترد رتبة أمير أرجين إلى أُمرة سبعين أو مائتين، أى أن يكون فى خدمته ما يساوى أحد هذين العددين. ومن الوظائف التى يرى إستادها إليهم وظيفية الحداد الثانى، ووالى القاهرة، ووالى القلعة، ونائب الإسكندرية، ونائب طرابلس وحماة بالشام. وبأى بيد هؤلاء أُمراء المشرات، ومن هذه الطبقة فصار الولاية ونحوهم، مثل والى القسطنطينية وشاد الدواوين، ووالى انقرة.

ثم تلى أُمراء الخمسات، وهؤلاء كانوا قليلين، وأكثرهم من أولاد الأُمراء المتوفين، تعطى الواحد منهم هذه الرتبة رعاية لسلفه، وكانوا يعتبرون من أكابر الأجناد. (الفقشندى: صبح الأعشى، ج ٤، ص ١٤ - ٢٨، ٥٠ - ٥١، ٦٣ - ٦٧، ابن شاهين: زبدة كشف الممالك، ص ١١١ - ١٢٠، القرطبى: المواعظ والاعتبار، ج ٢، ص ٢١٥ - ٢٢٠). انظر أيضاً Gr.-Demombynes: Op. cit. Pref. PP. XXXIII et (P. 189). أما عن أصل هذا التقسيم العشرى، فالظاهر أن السلاجقة والأيوبيين، والمماليك من بعدهم، نقلوه بتعديل من أوطانهم الأولى: عن (Morier: Hajji Baha of Ispahan, p. 31) أن قبيلة من التركان بشمال فارس كانت تستمد القزور، فدعى رئيسها أصحاب المشرات وأصحاب المئات.

ومما يجب ملاحظته أن هذا التقسيم العشرى المذكور فى (Morier: Op. cit. pp. 187, 206) فى وصف بعض رتب الجيش الفارسي فى القرن التاسع عشر، مثل (Min (ashii) ومعناه مقدم ألف، و(On Bashi)، أى مقدم عشرة، و(Penja Bashi)، أى رئيس خمسين. وهذا التقسيم موجود أيضاً فى الجيش العثمانى والجيش المصرى الحالى. (٢) تقدم التعريف بقاى والقبايات. (انظر ص ٨٢، حاشية ٤١، ص ٩١، حاشية ٣). أما دجوة - بنير ضبط فى - فعل الشاطئ الشرق لقرع دياط، جنوبي نهب الحالية، أى أنها من مديرية القليوبية. انظر (P. Omar Toucon: Op. cit. I. 1. Pl. II. a). وكانت دجوة فى زمن ياقوت (صميم البلدان، ج ٥، ص ٥٥٥) من أعمال كورة الشرقية، وذلك قبل أن تصبح القليوبية قسماً إدارياً منفصلاً. (انظر ص ٢٠٢، حاشية ٢). لكن ياقوت يقول إنها على فرع رشيد، ويرجح أيضاً نقلها بضم القال.

وتوجه [الكامل] إلى مصر، فدخلها في رجب، وتغير على ابنه الملك الصالح تغيرا كبيرا، وقبض على جماعة من أصحابه وبجنهم، وأزعمهم إحصار الأموال التي تروط فيها الملك الصالح، وخلع الصالح من ولاية العهد^(١).

وفيها واقع الملك علاء الدين كيقباد السلطان جلال الدين [خوارزم شاه]، وكسره، وقتل كثيرا ممن كان معه. وخلص [جلال الدين] في عدة من أصحابه إلى تبريز^(٢)، وكان ذلك في سابع عشر رمضان. فلك الأشرف، صاحب دمشق، مدينة خلاط.

وفيها بلغ قاع النيل بمقياس مصر ذراعين، وامتت زيادة ماء النيل ثلاثة عشر ذراعا وثلاثة عشر أصبعا لا غير، فارضعت الأسعار.

وفيها قصد الفرنج حماة، فأوقع بهم المظفر تقي الدين، وقتل عدة منهم، وأمر كثيرا، وذلك في رمضان.

وفيها (١٦٦) مات الملك الأجد مجد الدين بهرام شاه بن فرخشاه بن شاهنشاه بن نجم الدين أيوب، صاحب بعلبك، ليلة الأربعاء ثامن عشر شوال. وكانت مدة ملكه تسعا وأربعين سنة، وكان أديبا شاعرا. ومات الملك الظافر خضر بن صلاح الدين يوسف بن أيوب، وكان يعرف بالمشعر^(٣).

♦ ♦ ♦

سنة ثمان وعشرين وستمائة. فيها عاد الأشرف إلى دمشق. وفيها انفرد

العزيز صاحب حلب بالملك، وقد بلغ ثمان عشرة سنة، وتسلم الخزان من أتابكة شهاب الدين

(١) البشارة الآتية واردة في س، ولكنها مشطوبة، وهي: "وعهد إلى ابنه الملك العادل أبي بكر، وعمره يومئذ إحدى عشرة سنة، وكان الكامل يحبه ويجب أمه حيا كبيرا". وهذه البشارة واردة بالقرن (انظر ص ٦٣٠ هـ)، فالراجع أن المقرئ قد أدارك ذلك التكرار، فسطبه هنا. (٢) في س جلال الله. (٣) في س توريز، وفي ابن الأثير (الكامل في التاريخ، ج ١٢، ص ٣٢٠) أن جلال الدين مضى منهزما إلى آذربيجان، فزل عند مدينة نحوى، يضم الحما. وفتح الوار. انظر (ياقوت: معجم البلدان، ج ٢، ص ٥٠٢).

(٤) يقول ابن خلكان (الفتاوى من ترجمة السلطان صلاح الدين، ص ٤٢٧ هـ، في Rec. Hist. Or. III) إن الظافر خضر عرف بهذا القب، وسماء المستند، "لأن أباه — رحمه الله تعالى — لما قسم البلاد بين أولاده الكبار، قال: وأنا مشعر، فطلب عليه هذا القب".

طغرل . فقام بتدبير الملك قياما مشكورا ، وسير القاضي بهاء الدين بن شداد إلى الملك الكامل ، بسبب إحضار صفيّة خاتون ابنة الكامل - [وهي] زوجة العزيز - ، فأقام بالقاهرة ^(١) حتى سنة تسع وعشرين وستائة . وفيها قدم الأشرف من دمشق على الملك الكامل - ومعه الملك المعظم ، صاحب الجزيرة - في عاشر جمادى الأولى ، فسر السلطان بقدميهما .

- وفيها سار الملك الكامل إلى الإسكندرية ، وترك الأشرف بالقاهرة ، واستصحب معه صاحب الجزيرة ، بعد ما أتم عليه إضاماً موفوراً .

وفيها تحرك التتر . و [فيها] قدم الملك مجير الدين بن العادل إلى القاهرة ، وكان مأسورا عند الخوارزمي . فسر به الكامل ، وأكرمه هو وأخوه تقي الدين عباس .

- وفيها مات السلطان جلال الدين بن خوارزم شاه ، بعد ما هزمه التتر ببعض قرى ميفارقين ^(٢) ، قتله بعض الأكراد . و [فيها] وصل التتر إلى إربل ، وقتلوا من الساميين ما لا يحصى عددهم إلا خالفهم .

- وفيها شرع الملك الكامل في حفر بحر النيل ، الذي فيما بين المقياس و بر مصر ، وعمل فيه بنفسه ، واستعمل الملوك والأمراء والجند . فلما قُرِعَ [من الحفر] صار في أيام احتراق النيل يُمنى من المقياس والروضة إلى الجزيرة ، واستمر الماء فيما بين مصر والروضة لا ينقطع في زمن الاحتراق البتة . وكان السلطان قد قسّط حفر هذا البحر على الدور التي بالقاهرة ، ومصر والروضة ، بالمقياس ^(٣) . واستمر العمل فيه - من مستهل شعبان إلى آخر شوال - مدة ثلاثة أشهر .

(١) انظر ص ٢٤٣ (سطر ١٣) .

(٢) كان جلال الدين بن خوارزم شاه أكرمه ، وكان تغلب المغول على بلاده نذر السوء والخطر على العالم الإسلامي ، إذ بدأوا بعد ذلك يهزرون على العراق . وقد خلف البيت الخوارزمي في كرمان ، جنوبي فارس ، أحد رجال جلال الدين ، واسمه براق حاجب ، واعترف بولايته عليها أوشاى بن جمكز خان ، ومنه تغلب قلع خان . (Lane-Poole: Muh. Dyns. P. 179) .

(٣) بهامش الصفحة في س العبارة الآتية ، بخط مخالف : " انظر حفر النيل بين المقياس ومصر " .

(٤) كذا في س ، بنير ضبط - انظر المقرئ (المواظ والاحتياط ج ١ ، ص ٣٤٥) حيث ورد في هذا الصدد : " وقسّط [الكامل] مكان الحفر على الدور بالقاهرة ومصر والروضة والمقياس " .

وفيها قدم رسول الخليفة [المستنصر بالله] بالخلع والتقليد للملك الكامل ؛ وميز بزيادات كثيرة ؛ لم تفعل في حق غيره ، من السلجوقية وغيرهم . و [وردت] خلع للملك الأشرف أيضا . وفيها تسلطن عمر بن علي بن رسول باليمن ، ونشر دعوته .

♦ ♦ ♦

سنة تسع وعشرين وسمائة . فيها تكل استيلاء التتر على إقليم أرمينية وغلط ، وسائر ما كان بيد الخوارزمي . فاهتم الخليفة [المستنصر بالله] ^(١) غاية الاهتمام ، (ب) وسير عدة رسل يستجد الأشرف من مصر ، ويستجد العربان وغيرهم . وأخرج [الخليفة] الأموال ، فوقع الاستخدام في جميع البلاد لحركة التتر .

و [فيها] خرج الملك الكامل من القاهرة في جمادى الآخرة ، واستخلف على مصر ابنه الملك العادل أبا بكر ، وأسكنه قلعة الجبل مع أمه ؛ وأخرج الصالح أيوب معه ، وقدم الأشرف — والمعظم صاحب الجزيرة — بالعساكر . ومضى الكامل جريدا إلى الشوبك والكرك ، وصار إلى دمشق ، ومعه الناصر داود صاحب الكرك بمساكره ، وقد زوجه بابنته عاشوراء خاتون ، وعقد عقده عليها بعتلة الجيون ^(٢) . وأقام [الكامل] بدمشق يسرح العساكر ، وجعل في مقدمتها ابنه الملك الصالح أيوب .

وورد الخبر بدخول التتر بلاد خلاط ، فأسرع [الكامل] في الحركة ، وخرج من دمشق ، فزل سامية — وقد اجتمع بها عساكر يضيق بها القضاء — ، وصار منها في أنهرات رمضان على البرية . وتفرقت العساكر في عدة طرق لكثرتها ، فهلك منها عدة كثيرة من الناس والدواب ، لقلة الماء .

(١) يرجع اهتمام الخليفة المستنصر بأمر التتر إلى ثلاثة أمور : أولا أن غارات التتر ، التي ستؤدي إلى اجتياح الدولة العباسية من بغداد ، كانت قد وصلت أراضي العراق الأعلى ؛ وثانيا أن بعض البلاد التي استولى عليها التتر من جلال الدين خوارزم شاه ، كانت قبل ذلك من أملاك الخليفة ، مثل مدينة ششروبلدة دقوقا ؛ وثالثا أن جلال الدين كان قد مزع على الاستنجد بالخليفة ، ولم يمنعه من ذلك سوى مطاردة التتر له ، واضطراره إلى الاختفاء ، حتى وفاته . (ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج ١٢ ص ٣٢٣ — ٣٣٠) .

(٢) بنهر ضبط في ص ، وهي بلدة بالأردن . (بأقوت : معجم البلدان ، ج ٤ ص ٣٥١) .

- وأته رسل ملوك الأطراف، وهم عز الدين بيقرا، ونغر الدين بن الدماغان، رسل الخليفة المستنصر بالله، وألبسوه خلعة السلطنة. فاستدعى [الكامل] عند ذلك رسل الخوارزمي، ورسول الكرج، ورسول حماة وحمص، ورسول الهند، ورسول الفرنج، ورسول أتابك سعد صاحب شيراز، ورسول صاحب الأندلس^(١)، ولم يجتمع هذه الرسل عند ملك في يوم واحد قط غيره. وقدم عليه بهاء الدين الزدى — شيخ رباط الخلاطية — من بغداد، وجماعة من الثماس، يحثونه على الغزاة.

- فرحل التتر عن خلاط، بعد منازلها عدة أيام. وجاء الخبر برحيلهم والكامل بحران، فجهاز عماد الدين بن شيخ الشيوخ رسولا إلى الخليفة. وسار إلى الرها، وقدم الساسكر إلى آمد، وسار بعدهم. قتل على آمد، ونصب عليها عدة مجانيق. فبعث إليه صاحبها يستعطفه، ويبدل له مائة ألف دينار، وللأشرف عشرين ألف دينار، فلم يقبل. وما زال عليها حتى أخذها، في سادس عشرى ذى الحجة، وحضر صاحبها إليه بأمان، فوكل به حتى سلم جميع حصونها. فأعطى السلطان حصن كيفا لابنه الملك الصالح نجم الدين أيوب.
- وفيها وردت هدية من ماردين. وفيها سار ابن شداد من القاهرة بالستر العالى الصاحبة غازية خاتون، ابنة الكامل وزوجة الملك المظفر، صاحب حماة والستر العالى الصاحبة فاطمة، ابنة الكامل وزوجة [الملك] العزيز، صاحب حلب. وخرج معهما أيضا الأمير نغر الدين البانياسي، والشريف شمس الدين قاضي العسكر.

(١) في م اصرا. والرسم الوارد هنا منقول من (Blochet : Op. cit. P. 391).

(٢) تقدمت وفاة جلال الدين الخوارزمي، تحت سنة ٦٢٨ هـ (انظر ص ٢٤١)، ولعل المقرئ يقصد بالخوارزمي هنا السلطان براق صاحب، الذي استقل بكرمان بعد وفاة جلال الدين. (انظر ص ٢٤١، حاشية ١).

(٣) كانت الهند الإسلامية (Hindustan) تابعة للدولة الفورية، منذ سنة ٥٨٦ هـ، حين فتحها عز الدين محمد الفوري، ودل عليها ملوكه قطب الدين أيك. ثم استقل قطب الدين هذا بالهند الإسلامية، سنة ٦٠٢ هـ، بعد وفاة عز الدين وانقسام الدولة الفورية. وكذلك استقل ناصر الدين كاشا بالسند، وهو ملوك غوري آخر.

(Lane - Poole : Muh. Dyns. pp. 293—299).

(٤) لعل المؤلف يقصد بن نصر ملوك غزنة، وأولهم محمد بن غالب بن يوسف بن نصر (٦٢٩—٦٧١ هـ).

(٥) في م الثماس.

(Lane - Poole : Muh. Dyns. pp. 27—29).

وفيها مات الأمير نغر الدين عثمان بن قزل، أستاذار الملك الكامل، [و] صاحب المدرسة الفخرية بالقاهرة، في ثامن عشر ذي الحجة، بحران .

وفيها بعث الملك المنصور عمر بن علي بن رسول، صاحب اليمن، [عسكرا إلى مكة^(١)]، فيه الشريف راجح بن قتادة، فلكها من الأمير شجاع الدين طفتكين، نائب الملك الكامل، في ربيع الآخر. وفز [شجاع الدين] إلى نخلة^(٢)، ثم إلى ينبع، وكتب يعلم الملك الكامل بذلك . فبعث إليه [الكامل] عسكرا سار بهم إلى مكة، فقدموها في شهر رمضان، وملكوها بعد ما قتلوا جماعة، وكان مقدم المسكر الأمير نغر الدين يوسف بن الشيخ .

♦ ♦ ♦

سنة ثلاثين وستمائة . فيها أنعم الكامل على ابنه الملك الصالح نجم الدين أيوب بحصن كيفا، ومسيره إليها . وعاد [هو] إلى الديار المصرية، ومعه الملك السعود، صاحب آمد . فلما وصل قلعة الجبل أفرج عنه، وأحسن إليه، وأعطاه إمرة بديار مصر . ١٠

و [فيها] قبض [الكامل] على جماعة من الأمراء المصرية . وفيها استولى الملك المنظر، صاحب حماة، على حصن بادرين، واترعه من أخيه (١٦٧) الناصر قلع أرسلان . فسار [قلع أرسلان] إلى خاله الكامل، فقبض عليه، واعتقله في قلعة الجبل حتى مات .

وفيها جهز الملك الكامل عسكرا من الفنز والهربان إلى ينبع، من أرض الحجاز — عليهم علاء الدين آق سنقر الزاهدى في شوال، وعقبتهم سبعائة . وسبب ذلك ورود الخبر ١٥

(١) ما بين القوسين محجوب بركة ملصقة في س، ولكنه وارد في ب (٧٩ ب) .

(٢) ينير ضبط في س، وهي المرحلة الأولى للصادر عن مكة، واسمها نخلة حمود، تميزها لها عن نخلة الشابة، الواقعة على طريق اليمن، على مسافة ليّتين من مكة، وتتميزها عن نخلة الجمانية، التي تقع على الطريق بين مكة والبصرة . (باقرت : معجم البلدان، ج ٤، ص ٧٦٩ — ٧٧٠) . (٣) في س فقدما .

(٤) قصد الملك الكامل بهذا أن يبعد الصالح عن مصر، فيظفر بذلك الجتوله، ولولاه التادل، ولئلا العهد من بعده . انظر (Blochet: Op. cit. p. 393. N. I.) .

(٥) في س بقرين . (٦) يياض في س .

بمسير الشريف راجع من اليمن بمسك إلى مكة ، وأنه قدمها في صفر ، وأخرج من بها من المصريين بنيرقال . فقدم الزاهدي في الموسم ، وتسلم مكة ، ورجع بالناس ، وترك بمكة ابن علي^(١) ، ومعه خمسون فارساً ، ورجع إلى مصر .

وفيما توفي الفخر سليمان بن محمود بن أبي غالب الدمشقي ، كاتب الإنشاء . فاستحضر

الملك الكامل تاجها يقال له الأمين الحلبي ، كان عند الأمير عز الدين أيك — أستاذ الملك

(١) في س مجل ، وبغير ضبط ، وهو مترجم إلى (Ibn Mahalla) في (Blochet : Op. cit. P. 394) .

انظر الخزرجي (المقدود التوفيق ، ج ١ ، ص ٥٠) ؛ وكذلك الترجمة الإنجليزية للرجع عنه ، (Vol. I. P. 97) .

(٢) يوجد في (Blochet : Op. cit. p. 395. N. I.) ثبت لأسماء أصحاب ديوان الإنشاء بمصر ، من عهد

الخليفة العزيز بن العزيز بن العزيز بن العزيز ، (٣٦٥ — ٣٨٦هـ) ، إلى حكم السلطان الأشرف إيتال ، (٨٥٧ — ٨٦٥هـ) ،

أحد سلاطين دولة المماليك البرجية . وقد كان له ديوان الإنشاء النصيب الأكبر من عناية الدين كثيراً في موضوع الأنظمة

الحكومية المصرية في القرون الوسطى ، وأهم الكتب التي ألفت فيه ، وأكثرها ذيوماً ، كتاب التبريد بالمصطلح الشريف ،

لشهاب الدين بن يحيى الدين بن فضل الله المصري ، الذي تولى في ديوان الإنشاء بمصر ، في عهد السلطان الناصر محمد

ابن علاء (٦٩٣ — ٧٤١هـ) ، انظر (Enc. Isl. Art. Fadl Allah) ، وكتاب صبح الأعشى في كتابة

الإنشاء ، ومؤلفه شهاب الدين أبو العباس أحمد بن علي بن أحمد بن عبد الله القلقشندي ، المتوفى بالقاهرة في عام

جمادى الثانية سنة ٨٢١هـ ، راجع (Enc. Isl. Art. kalkashandi) ، وكتاب المقصد الرفيع المنها المهادي

لصناعة الإنشاء ، لبهاء الدين محمد بن خلف الله بن عبد الله بن عبيد الله المصري الخالدي ، وقد كتبه حوالي سنة ٨٣٦هـ ،

انظر (G. - Demombynes : Op. cit. Pref. pp. V-VI) .

أفرد القلقشندي المجلد الأول والثاني من كتابه في الشريف بهذا الديوان ، وتعدد الصفات والمؤهلات التي

تتم لصاحبه ، وفي بحث نشأته في الإسلام إلى زعمه ، وسيفتصر هنا على الموضوع الأخير . يقول القلقشندي (ج ١ ،

ص ٩١ — ١٠٤ ج ٣ ، ص ٤٩٠ — ٤٩٢ ج ٥ ، ص ٤٦٤ — ٤٦٥) إن هذا الديوان أول ديوان

وضع في الإسلام : وذلك أن النبي عليه السلام ، كان يكتب أمراء وأصحاب سراياه ، وقد كتب أيضاً إلى من

قرب من ملوك الأرض يدعوهم إلى الإسلام ؛ ومن استكتب عليه السلام أبابكر الصديق وعمر بن أبي طالب .

وفي الدولة الأموية كان أمر الكتابة مقوضاً إلى كاتب ، وعرف متولياً بهذا الاسم . ومن أشهر من كتب الأمويين

عبد الحميد بن يحيى الكاتب ، وكان في عهد مروان بن محمد ، آخر الخلفاء الأمويين بدمشق . فلما جاءت الدولة العباسية

كان ديوان الإنشاء يضاف تارة إلى الوزارة ، وتارة يهد إلى كاتب يختص به . وفي الحالة الأولى أضيف لقب الكتابة

إلى الوزارة ؛ أما في الثانية ، فحيث كان الديوان مشهوراً بديوان الرسائل ، كما في العصر العباسي الأول ، كتب متوليه

بصاحب ديوان الرسائل ، أو متولى ديوان الرسائل ، وربما قيل صاحب ديوان المكاتبات ، أو متولى ديوان المكاتبات ؛

وحيث كان الديوان مشهوراً بديوان الإنشاء ، لقب متوليه بصاحب ديوان الإنشاء ، وربما جمع فقط الديوان تعظيماً

المعظم - في خدمته يكتب له . فلما حضر [الأمين] ليكتب بين يديه خلع عليه ، وأعادته إلى صاحبه ، فترده استحياء من الناس . وبعت الكامل إلى ميا فارقين ، فأحضر الجلال بن نباتة ليستكتبه ، فلما حضر خلع عليه ، وأعادته ولم يستكتبه ، فاستكتبه الأشرف صاحب دمشق .

= لمثوله ، فيقال صاحب ديوان الإنشاء بالملك الإسلامية . ومن أشهر من وزراء الباطنيين وكناهم يحيى بن خالد البرمكي ، وابن الحفص مخرج كتاب كلية ودعة .

ولما كانت بلاد المغرب والأندلس الإسلامية بأيدى تواب الخلفاء ، لم يكن أولئك التواب بديوان الإنشاء في ولايتهم ، فخرجهم من البداية ، وقصر غاية الولاية على الكتابة لديوان الخلافة . فلما هربت طائفة من بني أمية إلى الأندلس ، وتأسست على يدحم دولة مستقلة عن الدولة العباسية ، جرى أمرائها على سنن ما كان عليه أبائهم بالشام من ألقاب الخلافة ، مضاهين بني العباس ببغداد . فأقاموا شعار الخلافة ، واتخذوا ديوان الإنشاء ، واستخدموا بلغاء الكتاب . ومن أشهرهم من الكتاب أبو الوليد بن زيدون ، وابن الخطيب وزير ابن الأحمر ، صاحب غرناطة .

أما ديوان الإنشاء بمصر ، فله خمسة أديار : الدور الأول ما كانت عليه الأمر من الفتح إلى بداية الدولة الطولونية (٢٠ - ٢٥٤ هـ) ، وفيه لم يكن لتواب الخليفة غاية بديوان الإنشاء ، لاختصار المكاتبات على ما يلزم لأجواب الخلافة . والدور الثاني ما كان عليه الأمر في الدولتين الطولونية والإخشيدية (٢٤٥ - ٣٥٨ هـ) ، وفي خلال ذلك ترتب ديوان الإنشاء بمصر ، ومن أشهر من كتاب الطولونيين أبو جعفر محمد بن أحمد بن مودود بن عبدكان . والدور الثالث ما كان عليه الأمر زمن الدولة الفاطمية (٣٥٨ - ٥٦٥ هـ) ، وفيه صرف الفاطميون مزيد عنايتهم لديوان الإنشاء ، وكان يعرف صاحبه بكتاب الدست الشريف ، وولي في زمنهم جماعة من أكابر الكتاب ، ما بين مسلم وذمي ، مثل الحافظ الشيخ الأجل أبي الحسن علي بن أسامة الحلبي ، وأبي المنصور بن مسعود بن النصراني ، وابن أبي الدم اليهودي . وقد تخرج القاضي الفاضل عبد الرحيم اليماني في ديوان الإنشاء الفاطمي ، في عهد الحاض ، آرخلفاء تلك الدولة . والدور الرابع من ابتداء الدولة الأيوبية إلى اغراضها (٥٦٥ - ٦٤٧ هـ) ، وفيه أسند السلطان صلاح الدين كتابة الإنشاء إلى القاضي الفاضل ، ومن تولاها أيضا في تلك الدولة بهاء الدين زهير ، في عهد الملك الصالح نجم الدين أيوب . والدور الخامس ما كان عليه الأمر في دولتي المماليك البحرية والمملوكية (٦٤٧ - ٩٢٢ هـ) ، وفي أوائل هذا الدور كان صاحب ديوان الإنشاء يكتب نارة بكتبه أيام الدولة الفاطمية - وربما عرعه أحيانا بكتاب الدرر - وتارة وليه جماعة يبرعهم بكتاب الدست . وفي الأمر على ذلك إلى أن ولي الديوان القاضي فتح الدين بن عبد الظاهر ، في أيام السلطان المنصور علاون ، فكتب بكتاب البر ، ونقل لقب كاتب الدست إلى طبقة دونه من كتاب الديوان ، واستمر ذلك إلى زمن الظفندي . ومن مشاهير أصحاب ديوان الإنشاء إلى عهده محي الدين بن فضل الله المصري ، وهو والد شباب الدين صاحب التعريف ، ومنهم شباب الدين نفسه ، وأخوه بدر الدين . (انظر أيضا المقرئ : المرواط والاحبار ، ج ١ ، ص ٤٠٢ ؛ ابن شاهين : زبدة كشف الممالك ، ص ٩٣ - ١٠٢ ؛

وفي يوم الثلاثاء ثامن عشر رمضان سُلطن الملك الكامل ولده الملك العادل سيف الدين أبا بكر، وأركبه بشمار السلطنة، وشق به القاهرة، وعمره يومئذ إحدى عشرة سنة . وكان الكامل يحبه، ويحب أمه حيا زائدا .

وفي ذى القعدة وصل محي الدين يوسف بن الجوزي من بغداد، بالتقليد من [الخليفة] المستنصر [بالله] للـك الكامل .

وفيا أبطل السلطان المعاملة بالفلوس ، في القاهرة ومصر ، قُلف مائ كثير للناس . وفيها مات الأمير حسام الدين مانع بن حديثة ، أمير العربان من آل فضل ، فأمر الأشرف بعده ابنه مهنا . وفيها قدم الناصر داود صاحب الكرك إلى مصر ، فقتل بدار الوزارة من القاهرة ، وركب في خدمة عمه الملك الكامل .

- ١٠ وفيها مات العزيز نغر الدين عثمان بن العادل بدمشق ، يوم الاثنين عاشر رمضان . وفيها مات الملك المعظم مظفر الدين كوكبكي بن زين الدين علي كوجك ، ملك إربل ، في تاسع عشرى شعبان ، عن أربع وعشرين سنة ؛ وكان يهتم بعمل المولد النبوي في كل سنة اهتماما زائدا . فقتل إربل من بعده نواب الخليفة ، وصارت مضافة إلى مملكة بغداد .



- سنة إحدى وثلاثين وسمائة . فيها قصد السلطان علاء الدين كيقباد بن كيخسرو السلجوقي ، صاحب بلاد الروم ، مدينة خلاط . نفرج الملك الكامل من القاهرة بسكوكه ، ليلة السبت خامس شعبان ، واستتاب ابنه الملك العادل . فوصل إلى دمشق ، وكتب إلى ملوك بني أيوب يأمرهم بالتجهيز ، للسير بساكرهم إلى بلاد الروم .

(١) انظر ص ٢١٩ ، حاشية ٢ . (٢) كانت الفلوس في مصر على نوعين ، أحدهما المطبوع بالسكة ، وتانيهما غير المطبوع . وكان الصف الثاني عبارة عن قطع مكسرة من النحاس الأحمر ، أو الأصفر ، ويبر عنها بالحق . (الفقششي : صبح الأعشى ، ج ٣ ، ص ٤٤٣ — ٤٤٤) . (٣) القبايل المصرية بالثناء عصرهم في تاريخ تلك البلاد ، انظر (Gibb : Damascus Chronicle. Introd. pp. 17-19) . وكانت ديار آل فضل ممتدة من حمص إلى حمير ، وإلى الرحبة والبصرة ، على الفرات . وآل فضل هم القطة الأول من ربيعة بن حازم ، وقد نشأ ربيعة هذا في أيام الأتابك زنكي ، وهو ينسب إلى عزيز بن سلمان ... بن طويه . بن كهلان بن قحطان . (الفقششي : صبح الأعشى ، ج ١ ، ص ٣٢٤ — ٣٢٥ ، ج ٤ ، ص ٢٠٣ — ٢٠٨) .

وخرج [الكامل] من دمشق، فقتل على سلبية في شهر رمضان، ورتب عساكره، وسار إلى منبج، فقدم عليه عسكر حلب، وضمه من العساكر. فسار وقد صار معه ستة عشر دهليزاً^(١)، ستة عشر ملكاً — وقيل بل كانوا ثمانية عشر ملكاً. فعرضهم [الكامل] على البيرة^(٢) أطلاباً بأسلحتهم، فلكثر ما أعجب بنفسه قال: "هذه العساكر لم تجتمع لأحد من ملوك الإسلام". وأمر بها فسارت شيئاً بعد شيء نحو الدربند^(٣)، وقد جدَّ السلطان علاء الدين في حفظ طرقاته بالمقاتلة. ونزل الكامل على النهر الأزرق، وهو بأول بلد الروم. ونزل عساكر الروم فيما بينه (٦٧ ب) وبين الدربند، وأخذوا عليه رأس الدربند، وبنوا عليه سوراً يمنع العساكر من الطلوع، وقالوا من أعلاه، قتلنا الأقوات عند عسكر الكامل.

واتفق — مع قلة الأقوات وامتناع الدربند — نفور ملوك بني أيوب من الملك الكامل، بسبب أنه حفظ عنه أنه لما أعجبت كثرة عساكره بالبيرة، قال لخواصه: "إن صار لنا ملك الروم فإنا نموض ملوك الشام والشرق مملكة الروم، بدل ما بأيديهم، ونجعل الشام والشرق مضافاً إلى ملك مصر". فغدر من ذلك المجاهد صاحب حمص، وأعلم به الأشرف موسى صاحب دمشق. فأوجس في نفسه خيفة موسى، وأحضر بنى عمه وأقاربه من الملوك،

(١) الدهليز هنا الخيمة، التي تراقى السلطان في الحرب. وتختلف عن غيرها — من الخيم والدهاليز الكبيرة، التي تقام للسلطان في الصيد والنزه — بكونها خيمة قاعة بذاتها، ليس بيوتانها خيم صغيرة، كالتي تقام عادة لتجهيز حاجات السلطان في أيام السلم. (Dozy: Supp. Diet. Ar.)

(٢) جمع طَب، وهو قنطرة ردي، سماء الأمير الذي يقود مائتي فارس في ميدان القتال، و يطلق أيضاً على قائد المائة أو السجين. وكان أول ما استعمل هذا القنطرة بمصر والشام أيام السلطان صلاح الدين، ثم عدل مدلوله، فأصبح يطلق على الكتيبة (battaillon) من الجيوش. (Dozy: Supp. Diet. Ar.)

(٣) غير ضبط في ص. وليس المراجعة بلدة الدربند، المسماة أيضاً باب الأيواف، والرواقعة على الشاطئ الغربي لبحر قزوين، شمالي باكو، وقبالة تفليس. (ياقوت: معجم البلدان، ج ٢، ص ٥٦٤؛ الفقهستدي: صبح الأعشى، ج ٤، ص ٣٦٤). إنما هي قنطرة فارسية، سماء في الأصل سنبلة من حديد، يقفل بها باب الدكان، ويقال لها دروند أيضاً. (Dozy: Supp. Diet. Ar.). ثم استعملت كما هنا، بمعنى المضائق والطرقات، (يحيط المحيط)، وأراد القزويني بها الحماير الضيقة، الرواقعة شمالي البيرة والنهر الأزرق. (انظر الحاشية التالية).

(٤) أحد نهيرات القرات الأعلى، ويحيرى بين هسنا وحسن منصور. (ياقوت: معجم البلدان، ج ٤، ص ٨٣).

وأعلمهم ذلك ، فاتفقوا على الملك الكامل ، وكتبوا إلى السلطان علاء الدين بالميل معه وخذلان الكامل . وسيروا الكتب [بذلك] ، فاتفق وقوعها في يد الملك الكامل ، فكتمها ورحل راجعا .

- فأخذ [السلطان علاء الدين كيقباد] ، ملك الروم ، قلعة نحربرت^(١) ، وست قلاع أخر كانت مع الملوك الأرتقية ، في ذى القعدة . فاشتد حق [الملك الكامل] ؛ لما حصل على أمرائه وعساكره من صاحب الروم في قلاع نحربرت ؛ ونسب ذلك إلى أهله من الملوك ، فتكرما بينه وبينهم .

- وفيها مات الملك المفضل قطب الدين موسى بن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب ، في ذى الحجة . وفيها بث المنصور [عمر بن علي بن رسول] ، ملك اليمن ، عسكريا وخرانة مال إلى الشريف راجح [بن قتادة]^(٢) ، فأخرج من بمكة من المصريين .

- وفيها حضر الشيخ أبو عبد الله محمد بن عمر القرطبي سماعاً ، بزقاق الطباخ بمدينة مصر ، في أول يوم من شهر رجب ؛ و[كان] هناك الشيخ أبو عبد الله القرشي^(٣) ، وأبو جاس القسطلاني ، وجماعة [غيرهم] . فلما أنشد القوال صفق أبو يوسف الدهماني بيديه ، وارتفع عن الأرض متربعا ، إلى أن بلغ إلى أنبذارية المجلس^(٤) ، ودار ثلاث دورات ، ثم نزل إلى مكانه . فقام الشيخ القرطبي ، وقرر ارتفاع الأنبذارية ، فكان أطول من قامته رافعا يديه .

(١) في س نحربرت ، في الموضمن (سطر ٦) ، بنبر ضبط ، وإسقاط التاء الوسطى هكذا جاء في الشر . وهو اسم أرضي ، يطلق على حصن زباد ، من بلاد الروم ، في أقصى ديار بكر . (بافوت : معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ٤١٩) .

(٢) في س حقه . (٣) انظر الخزرجي (العقد القوي ، ج ١ ، ص ٤٩ — ٥٠ — ٥٤ — ٥٥) . (٤) ليس بالمراخط والاختيار للقرشي ذكر لهذا الزقاق ، في باب أزقة القاهرة ومصر ، غير أنه يوجد جامع الطباخ (قصر المربع : ج ٢ ، ص ٣١٥) ، وقد جدد الحاج على الطباخ ، قيل سنة ٥٧٤٦ هـ ، وموقع هذا الجامع يحيط باب الوق ، بجوار بركة الشفاف .

(٥) في س القرشي . (٦) مضبوطة على منطوقها في (Blochet : Op. cit. P. 404. N. 1.) حيث هي مترجمة إلى (lambris) ، أي السقف .



سنة اثنتين وثلاثين وسمائة . فيها عاد الملك الكامل إلى قلعة الجبل من بلاد الشرق - في جمادى الأولى - ، وقد توحش ما بينه وبين أخيه الأشرف ، صاحب دمشق ، وغيره من الملوك . فقبض [الكامل] على المسعود صاحب آمد ، واعتقله في برج هو وأهله ، يوم الاثنين سادس عشر جمادى الأولى ، ثم لآلته لم . فلك صاحب الروم الزها وحران بالسيف ، وعاد إلى بلاده ، بعد ما استولى على ما كان بهما من الأموال . فلما بلغ الكامل ذلك أمر الساسكر أن تجهز لسير إلى الشرق ، وأقطع ابن الأمير صلاح الدين الإربلى صانفير بالقليوبية ، وجعل أقارب والده وماليكه معه ، وعدتهم سبعة عشر رجلا .

وفيا بعث ابن رسول إلى الشريف راجح [بن قتادة] بخزانة مال ، ليستخدم عسكريا . فلم يتمكن من ذلك ، لأنه بلغه أن السلطان الملك الكامل بعث الأمير أمد الدين جفريل ، أحد المماليك الكاملية ، إلى مكة بسمائة فارس . [وحضر جفريل إلى مكة] ، ففر منه الشريف راجح بن قتادة إلى اليمن ، وملك [جفريل مكة] في شهر رمضان ، وأقام العسكرية بها .

وفيا مات الملك الزاهر أبو سليمان مجير الدين داود بن صلاح الدين يوسف بن أيوب ، صاحب البيرة ، في سابع صفر . فاستولى العزيز ، صاحب حلب ، عليها من بعده . و [فيها] مات (١٦٨) الأمير شمس الدين صواب ، الطواشي الكامل ، بخران في أواخر شهر رمضان .



سنة ثلاث وثلاثين وسمائة . فيها استقر وباء كثير بمصر مدة ثلاثة أشهر ، فمات بالقاهرة ومصر خلق كثير ، بلغت عدتهم زيادة على اثني عشر ألفا ، سوى من مات بالريف .

(١) يبر ضبط في س ، وهي بمركز قلوب ، غربي ناحية بهادة ، وشمال كفر الحارث . وإليها ينسب الشيخ يحيى ابن علي الصانفي ، المتوفى سنة ٧٧٢ هـ . (علي مبارك : انعطاف التوفيقية ، ج ١٣ ، ص ٢٤ - ٢٦) . هذا والقاهرة الحالية طريق اسمه شارع الصانفي . (٢) في س جفريل ، وبفسر ضبط ، وفي القلقشندي (صبح الأعشى ، ج ٤ ، ص ٢٧٣) جبريل ؟ وفي الخرجي (العقود القلوية ، ج ١ ، ص ٥٥) جبريل . انظر (Blochet : Op. cit. P. 405. N. 2.) . (٣) في س "وملكها في شهر رمضان" ، وقد أضيف ما بين الأقواس ، بعد مراجعة الخرجي (قس المرجع والجزء والصيغة) .

وفيه سار التتر إلى جهة الموصل ، قتلوا ونهبوا وسبوا . وفيها سار الناصر داود ، صاحب الكرك ، إلى الخليفة [المستنصر بالله] ، خوفاً من عمه الملك الكامل ، فإنه كان قد ألزمه حتى طلق ابنة الكامل ، فغشى أن ينتزع منه الكرك . فوصل إلى بغداد ، فأكرمه الخليفة ، ومنعه من الاجتماع به ، رعايةً للـك الكامل . ثم اجتمع به سرا ، وخلع عليه ، وبعث معه رسولا مُشْرِئاً^(١) من خواصه إلى الكامل ، يشفع فيه . فلما وصل [الرسول] إلى الكامل تلقاه ، وقبل الشفاعة .

وفيه سار الملك الكامل من القاهرة بساكره يريد بلاد الشرق ، فنزل الرها حتى أخذها ، يوم الأربعاء ثالث عشر جمادى الأولى ؛ وأسر منها زيادة على ثمانمائة من الأمراء ، وهدم قلعتها . ونازل حران ، وأخذها بعد حصار وقتال ، في رابع عشر جمادى الآخر^(٢) ، وأسر من كان بها من أجناد السلطان علاء الدين ، وأمرائه ومُقدِّميه الصُّوباشية^(٣) ، وكانوا سبعمائة وخمسة وعشرين رجلا ، فمات كثير منهم في الطرقات . ثم نزل [الكامل] على دُيُوس^(٤) ، وخرَّبها . فورد عليه الخبر بأن التتر قد وصلوا إلى سنجار ، في مائة طُلب ، كل طُلب خمسمائة فارس . وأخذ [الكامل] قلعة السويداء عنوة^(٥) ، وأسر من بها في سابع عشر جمادى الآخر^(٦) ، وهدمها ؛ وأخذ قَطِيناً ، وأسر من بها في رجب . وفي تاسع عشره بعث [الكامل] جميع الأسرى إلى ديار مصر ، وعدتهم تزيد على الثلاثة آلاف ، وعاد إلى دمشق ، وسلم الشرق لابنه الملك الصالح [أيوب] .

(١) الشربوش فلسفة طويلة أعجمية ، (محيط المحيط) ، وتليس بدل العامة ، وكانت شارة لأمراء ، فلا يلبسها رجال العلم ، كالقضاة والكتاب وغيرهم . وقد أُلغى استعمالها بمصر زمن المماليك البرجية . (Dozy: Supp. Dict. Ar.).
(٢) في ص "ربيع" ، وهفوة المقرئ هنا ظاهرة . (٣) في ص السوباشية ، بغير ضبط . والصواب في قطف فارس ، معناه "الوكيل في الضيقة" ، من قبل صاحبها ؛ وفي اصطلاح أرباب السياسة الأمين الذي يحبس النساء في بيته . "والعامة تقول السوباشي" ، (محيط المحيط) و (Dozy: Supp. Dict. Ar.) ، ولعل رسم المقرئ يغلط على آخر . (٤) بغير ضبط في ص ، وهي بلدة كبيرة من نواحي الجزيرة ، بينها وبين ماردن فرخان ، ويقال لها قوج حصار . (ياقوت معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ٦١٢) . (٥) بغير ضبط في ص ، وهي بلدة قرب حران . (ياقوت معجم البلدان ، ج ٣ ، ص ١٩٧) . (٦) بغير ضبط في ص ، أو في ياقوت (معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ٩٠٢) ، وهي بلدة على نهر الزاب الأعلى ، شمال الموصل . انظر (Blochet: Op. cit. p. 408)

وفيه هدمت دنيسر ، وعدة بلاد كثيرة من بلاد صاحب ماردين . وفيها خرج عسكر الروم ، بعد عود الكامل ، وحاصر آمد وأحرب داراً ، في خامس ذى القعدة .

وفيه استولى الفرنج على مدينة قرطبة بالأندلس . وفيها قدم أنبا كيرلس داود بن تلقى بطركا على الإسكندرية للبيعة ، في يوم الأحد ثالث عشرى يؤونة ، سنة إحدى وخمسين وتسعمائة للشهداء ، الموافق لتاسع عشرى رمضان . فأقام [في البطركية] سبع سنين وتسعة أشهر وعشرة أعوام ؛ وكان عالماً ، محباً للرياسة ، وجمع المال ، وأخذ الشرطونية . وكانت أرض مصر قد خلت من الأساقفة ، [قيل اعتلائه كرسي البطركية] ، فقدم جماعة من الأساقفة بال كبير . وصرت به شذائد كثيرة ، فإن الراهب عماد المرشار كان قد سعى في ولايته البطركية ، وشرط عليه ألا يقدم أسقفاً إلا برأيه ، فلم يف له ، ولا التفت إليه . فانحرف عنه ورافقه ، فوكل عليه وعلى عتق من أقاربه وألزامه . وقام أيضاً عليه الشيخ السي بن التبعان الراهب ، وعائنه وذ كرمثاله ، وأنه إنما تقدم بالرشوة ، وأنه أخذ الشرطونية ، فلا تصح له كهنوتية ، على حكم القوانين . ومال معه جماعة ، وعقدوا له مجلساً بحضور صاحب (٦٨ ب) معين الدين ابن شيخ الشيوخ ، في أيام الملك الصالح نجم الدين أيوب ، وأثبتوا عليه أموراً شتعة ، وعزموا على خلعه . فقام معه الكتاب المستوفون بديار مصر ، وتحدثوا مع صاحب معين الدين ، فغزوا مالا حمله [البطريك] إلى السلطان ، واستمر [أنبا كيرلس] على بطركيته حتى مات ، يوم

(١) بلدة في لحف جبل ، بين حصين وماردين . (باقوت : معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ١٦٦ — ١٧٠) .
(٢) انظر ص ١٨٣ — ١٨٤ . (٣) أضيف ما بين القوسين بعد مراجعة (Butcher : Op. cit. II. p. 139.) (٤) كما في س ، بشر ضبط ، وق (Ibid: Op. cit. II. P. 142.) ، راجع اسمه (Hamid) ، وكان زعيم الثورة ضد البطريق . وقد يكون قنط المرشار تقريباً لاسم دير (Mnecarius) (بوادى الطرون ، وهو أحد الأديرة الكبيرة بمصر) ، في القرون الوسطى ، وعماد هذا — أوحامد — راجعاً به . وكان هذا الدير تابعاً للبطريك مباشرة ، ففصل طبعه في أموال الدير أحفظ الراهب عماد — أوحامد — وأثاره ، عن الوجه المذكور بالقرن . (Ibid: Op. cit. II. P. 140.) (٥) مضبوط هكذا في س . ولمسلم في الفتوة . انظر (Blochet : Op. cit. P. 409)

(٦) تفاصيل هذه الحوادث موجودة في (Butcher : Op. cit. II. pp. 140-151.)

الثلاثاء رابع عشر برمهات، سنة تسعائة وتسع وخمسين للشهداء، الموافق لسابع رمضان سنة أربعين وستائة، و خلا الكبرى بعده سبع سنين وستة أشهر وستة وعشرين يوما .

وفى بها بخت الملك المنصور عمر بن على بن رسول، ملك اليمن، عسكرا إلى مكة، مع الشهاب بن عبد الله، ومعه خزائن مال، فقاتله المصريون وأسروه، وحملوه إلى القاهرة مقيدا .

♦ ♦ ♦

سنة أربع وثلاثين وستائة فيها سار الملك الكامل من دمشق يريد القاهرة، فوصل إليها، وصعد قلعة الجبل في ... (١) ثم خرج إلى دمياط، فقدم عليه يحيى الدين يوسف ابن الجوزى رسولا من الخليفة، وهو بها . وسافر [يحيى الدين ؟] إلى [السلطان علاء الدين كيقباد بن غياث الدين كيقسرو بن قلع أرسلان]، صاحب الروم، ومعه الحافظ زكى الدين عبد العظيم المنذرى، رسولا من جهة الملك الكامل .

وفى مات الملك العزيز غياث الدين محمد بن الظاهر غازى بن صلاح الدين يوسف ابن أيوب، صاحب حلب، يوم الأربعاء رابع عشرى شهر ربيع الأول، عن ثلاث وعشرين سنة وأشهر . وقام من بعده ابنه الناصر صلاح الدين أبو المظفر يوسف، وعمره نحو السبع سنين . وقام بتدبير أمره الأميران ثوؤل الأمانى، وعز الدين عمر بن محلى، وبينهما وزير الدولة جمال الدين الأكرم، يراجع الستار الرفيع صفية خاتون ابنة الملك العادل، على لسان جمال الدولة إقبال . وحضر الأمير بدر الدين بدر بن أبى الهيجاء، وزين الدين قاضى حلب، إلى الملك الكامل، بزرديّة المزركر أغندة، وخوذته ومركوبه . فأظهر [الكامل] الألم لموته، وقصّر

(١) يياض في ص . (٢) انظر الصفحة التالية، (سطر ١٢) .

(٣) في ص مجلى، بنى ضبط، وقد تقدم مثل هذا الاسم، (ص ٢٤٥، سطر ٤) وصحح هناك كما كانت . انظر أيضا (Blochet : Op. cit. P. 411.) .

(٤) في ص صفة . راجع ص ١٧٤ (سطر ٩) .

(٥) الكرافند المصطف القصر، ليس فوق الزردية، ويصنع من القطن — أو الحرير — المبطن النجد (rembourrée et piquée)، والجمع كواغنديات . وهو لفظ فارسي (محيط المحيط، Dozy : Supp. Dict. Ar.)، ويقابله في الإنجليزية لفظ (Surcoat)، انظر (Scott : Talisman, P. 3)، وفي الفرنسية (Jacqueté) .

- في إكرامهما؛ وحلف للناصر، وشرط أشياء، وأعاد الرّسولين. ثم أرسل خلعة للناصر يغير مركوب،
ومعها عدة خلع للأمرء الخليليين، وخلعة للصالح صلاح الدين أحمد بن الظاهر غازي، صاحب
صيتاب. فاستوحشت أم الظاهر من أخيها الكامل، ولم توافق على لبس أحد من الأمراء
انلخ. فلبس الناصر وحده خلعة الكامل، وردّ الرّسول الوارد إلى الصالح [صلاح الدين] بخلعته.
وفيها تنكر الأشرف، صاحب دمشق، على الملك الكامل؛ وراسل أهل حلب، فوافقوه
على منع الكامل من بلاد الشام، ومكاتبه السلطان علاء الدين، صاحب الروم، ليكون مهمم.
فانتظمت كلمة ملوك الشام على مخالفة الملك الكامل، فانزعج الملك الكامل، وعزّ ذلك عليه.
وكان حين بلغه الخبر بالإسكندرية، فخرج منها ليلاً، وسار إلى قلعة الجبل، وشرع في تدير أمره.
فاتفق موت السلطان علاء الدين كيقباد بن غياث الدين كيخسرو بن قلع أرسلان، ملك الروم،
وقيام ولده غياث الدين كيخسرو بن [علاء الدين] كيقباد من بعده، في سابع شوال، قبل اجتياحه
بالخافض زكي الدين عبد العظيم [المنذرى]، رسول السلطان. (١٦٩) فبعث ملوك الشام رسلهم
إلى السلطان غياث الدين كيخسرو بن علاء الدين كيقباد بن كيخسرو بن قلع أرسلان السلجوقي،
صاحب الروم، يمزونه في أبيه، ويحلقونه على ما اتفقوا عليه من مخالفة الملك الكامل. وسير
الكامل أفضل الدين محمد الخونجي يمزى غياث الدين بأبيه، ومعه ذهب برسم الصدقة عنه،
وثياب أطلس برسم أغشية القبر. وفيها كان الوباء أشد من السنة الماضية. وفيها ضرب
الملك الكامل الفلوس.

وفيها بعث [الملك الكامل] القاضي الأشرف بن [القاضي] الفاضل إلى الملك الناصر داود،
صاحب الكرك، يدعوه إلى موافقته. فرحل [الملك الناصر] إلى القاهرة، مع القاضي الأشرف؛
(١) عبارة من كاتق: "فاتفق موت السلطان علاء الدين وقيام ولده من بعده..."، وقيل أنها من نصه:
"كي قباز (كذا) بن غياث الدين كيخسرو قلع أرسلان ملك الروم، وملك بعده ابنه عاب الدين كيخسرو بن كي قباز".
وقد أدمع هذا المامش على النحو الوارد بالمتن. (٢) انظر ص ٢٥٣ (سطر ٩). (٣) في كيقباد.
(٤) سطر عبارة المقرئ، من هنا إلى آخر أخبار هذه السنة، مشابهة في أسلوبها وألفاظها، لما في أبي الفداء
(المختصر في أخبار البشر، ص ١١٢ — ١١٣، في ١١٣، Rec. Hist. Or. 1.) وقد أخيف ما بين الأقواس من
ذلك الموضع.

فسر الكامل بقدمه ، وركب إلى لقائه ، وأنزله بدار الوزارة ، وقدم له أشياء كثيرة ، وخلف عليه .
وقلده [الكامل] دمشق ، وأمر من عنده من الأمراء والملوك الأيوبيين ، فحملوا الفاشية بين يديه بالنوبة ، فكان أول من حملها الملك العادل أبو بكر بن الكامل ، ثم البقية واحدا بعد واحد ، إلى أن صعد قلعة الجبل . وجند [الناصر] عقده على مطلقة عاشوراء خاتون ابنة الكامل ، في تاسع عشر ذي الحجة . فلما بلغ الأشرف ذلك أوقع الحوطة على نابلس ، وأخذ ما كان فيها .
للناصر داود .

و [فيها] سير الملك الصالح نجم الدين أيوب بن الكامل ، صاحب حصن كيفا ، يستأذن •
أباه في استخدام من خالف [السلطان غياث الدين كيخسرو] ، صاحب الروم . من الحوارزمية . فأذن له في ذلك ، واستخدمهم عنده بالبلاد الجزرية ، فتقوى بهم .

وفيها استولى التار على إربل ، وقتلوا كل من فيها ، وسبوا ونهبوا ، حتى تنت من كثرة القتلى ، ثم رحلوا عنها .

وفيها قدم من جهة ملوك الشام إلى الملك الكامل رسول ، فبلغه عنهم أنهم قالوا : "إنا اتفقت كلمتنا عليك ، فلا تخرج من مصر إلى الشام ، واحلف لنا على ذلك" . فاتفق مرضى الأشرف بالدرب ، فكان لا يستقر بباطنه طعام ألبنة ، حتى اقتضت السنة وهو مريض ، من شهر رجب .

١٥

وفيها قدم عسكر من اليمن إلى مكة ، فخارهم الأمير أسد الدين جفري ، وكسرهم .
فقدم الملك المنصور عمر بن رسول ، وملك مكة بنير قتال ، وتصديق بال ، وترك بها جماعة .
فقدم الشريف شيبه بن قاسم ، أمير المدينة ، وملك مكة منهم ، ونهجم ، ولم يقتل أحدا .

(١) في من بالدرب . والقرب عند الأطباء مرض استغلاق البطن الحصل ، والفرق بينه وبين الهضة أن القرب لا يكون معه قه ، وهو من الأمراض المزمنة . أما الهضة فيكون معها قه ، وهي من الأمراض الحادة . (عيسط المحيط) . (٢) كذا في س ، وبني ضبط . انظر ص ٢٥٠ ، حاشية ٢ . (٣) في من شحه . انظر (الفتاوى : ص ٤ ، ج ٤ ، ص ٣٠٠) .

♦ ♦ ♦

سنة خمس وثلاثين وستمائة . فيها مات الأشرف موسى بن العادل أبي بكر
 ابن أيوب، صاحب دمشق بها، يوم الخميس رابع المحرم، وعمره نحو من ستين سنة، ومدة
 ملكه بدمشق ثمانى سنين وأشهر . ولم يترك سوى ابنة، [تزوجها الملك الجواد يونس بن
 مودود بن الملك العادل] . فقام من بعده بدمشق أخوه الملك الصالح عماد الدين إسماعيل،
 صاحب بصرى، بعهد من أخيه له . فاستولى [الملك الصالح عماد الدين] على دمشق وبعلبك،
 وبعث ابنه الملك المنصور محمودا إلى الشرق، ليقسم متجار ونصيين والخابور من نواب الأشرف،
 وبعث إلى المجاهد صاحب حصص، وإلى المظفر صاحب حماة، وإلى الحليين [أيضا]،
 ليحلفوا له ويتفقوا معه — على القاعدة التى تقررت بينهم (٦٩ ب) وبين الأشرف — على
 مخالفة الكامل . فأجابوا إلا صاحب حماة، فإنه مال مع الكامل، وبعث إليه يعالسه بميله
 إليه، ففسر الكامل بذلك . ثم إن [الملك] الصالح [عماد الدين] صادر جماعة من الدماشق،
 الذين قيل عنهم إنهم مع الملك الكامل، منهم العلم تعاسيف، وأولاد مزهر، وحبيصم
 في بصرى .

فتجهز الكامل، ونخرج من قلعة الجبل بمساكره، بكرة يوم الخميس ثالث عشرى صفر،
 واستناب على مصر ابنه الملك العادل . وأخذ معه الناصر داود، وهو لا يشك أن الملك
 الكامل يطم إلى دمشق، لما كان قد تقرر بينهما . فكتب [الكامل] نائب قلعة مجلون

- (١) أضيف ما بين القوسين من أبي الفداء (المختصر فى أخبار البشر، ص ١١٣، فى (Rec. Hist. Or. I.)).
 (٢) قبالة هذه العبارة، بالهاشى فى س، فقرة بمناتها تقريبا، ونصها: "واستخلف بعده اخاه الملك الصالح عماد الدين
 اسمعيل، وحلف له الامراء واركبه فى حياته بالنجى". (٣) فى س محمود . (٤) بغير ضبط فى س،
 والمختصر اسم لتركيد، منهج حد رأس عين، ومعه فى الفرات، بعد أن يلقى بهر نصيين وغيره . وتقع على نهر الخابور
 بلدان جمة، طلب على كثير منها اسمه، (ياقوت: معجم البلدان، ج ٢، ص ٣٨٤)، فيكون البلد الوارد بالمتن أحدها .
 (٥) أى علم الدين . انظر ص ٢٢٢، سطر ٣ . (٦) ، (٧) العبارة بين الرقعين، منقولة بنصها من أبي الفداء
 (المختصر فى أخبار البشر، ص ١١٣، فى (Rec. Hist. Or. I.))، وقد وضعت بدل ما ورد فى السلوك، لوضوحها
 مع، وهذا نصه: "... وحرلا يشك انه يتسلم دمشق لما تقرر". (٨) فى س: "فكتب نائب قلعة مجلون،
 حتى سلها . ونزل الكامل على دمشق، بمسجد القدم". انظر (Blochet: Op. cit. p. 417. N. 2.).

حتى سلمها ، وزل على دمشق بمسجد القدم ، في ثالث عشر ربيع الأول ، وقد تحصنت وأتتها التجيدات . فحاصرها وقطع عنها المياه ، وضايقها حتى غلت بها الأسعار ، وأحرق العقبة^(١) والطواحين^(٢) ، وألح على أهلها بالقتال . وكان الوقت شتاء ، فاذعن الصالح [إسماعيل] ، وسلم دمشق لأخيه الكامل ، فوضه عنها بعلبك والبقاع ، وبصرى والسواد . وكان السفير بينهما صاحب محي الدين أبو المظفر يوسف بن الشيخ أبي الفرج بن الجوزي ، رسول الخليفة ، الوارد ليوقع الصلح بين ملوك بني أيوب .

فسلم الكامل دمشق في عاشور جمادى الأولى ، وسار الصالح [إسماعيل] إلى بعلبك ، لإحدى عشرة بقية من جمادى الأولى . فقتل الملك الكامل بالقلعة ، وأمر بنصب الدهليز بظاهر دمشق ، وسير المظفر صاحب حماة إلى حمص ، وأطلق الفلك المسيري من بحين قلعة دمشق — وكان قد سمجته الملك الأشرف — ، ونقل الأشرف إلى تربته .

وأمر [الكامل] في يوم الإثنين سادس جمادى الآخرة ألا يصل أحد من أئمة الجامع المغرب ، سوى الإمام الكبير فقط ، لأنه كان يقع بصلاتهم تشويش كبير على المصلين .

وورد الخبر باستيلاء الصالح [نجم الدين أيوب] بن الكامل على سنجار ونصيبين وخابور . وقدم رسول الخليفة بمالي إلى الملك الكامل ، ليستخدم به عسكريا للخليفة ، فإنه بلغه توجه التتار إلى بغداد . فقام الملك الكامل لمأسلم إليه كتاب الخليفة ، ووضعه على رأسه ، وكان حملة ما حضر من المال مائة ألف دينار مصرية . فأمر الملك الكامل أن يخرج من بيت المال مائتا ألف دينار ، ليستخدم بها العساكر ، وأن يخرج من عساكر مصر والشام عشرة آلاف ، نجدة للخليفة ،

(١) بئر ضبط في س ، وتسمى أيضا البقية ، وهي قرية من ضواحي دمشق . G. — Demombynes : (٢) بئر ضبط في س ، و يافوت : معجم البلدان ، ج ١ ، ص ٥٥٧ . (٣) بئر ضبط في س ، وهي حسب جاء في يافوت (معجم البلدان ، ج ٣ ، ص ٥٤٤) موضع قرب الرملة ، غير أن القرائن تدل على أنها موضع قرب البقية ، من ضواحي دمشق . (٤) في س الملك . انظر (Blochet : Op. cit. P. 418.)

حيث يدل هذا الاسم ، وترجم إلى (Falak-ad-Din) . (٥) أضيف ما بين القوسين بدمر أجرة أبي القداء (المختصر في أخبار البشر ، ص ١١٥ ، في (Rec. Hist. Or. I.))

وأن يكون مقدم السكاك الناصر داود ، وألا يُصَرَّف مما حضر من المال شيء ، بل يعاد بكامله إلى خزنة الخليفة . فتولى استخدام الأجناد الأميران ركن الدين الهيجواى ، وعماد الدين ابن موسك ، وأن يكونا مع الناصر [داود] فى خدمته . فاستخدم [الناصر] السكاك ، وسار إلى بغداد ، وهم نحو ثلاثة آلاف فارس .

وشرح الكامل يتجهز لأخذ حلب ، فخاف المجاهد صاحب حصص ، وبعث ابنه [المنصور إبراهيم]^(١) ، فتقرر الأمر على أن يحمل [المجاهد] كل سنة لذلك الكامل ألف درهم ، فعفا عنه .

وكان منذ دخل الكامل إلى قلعة دمشق قد حدث له زكام ، فدخل فى ابتدائه إلى الحمام ، وصُبَّ على رأسه الماء الحار . فاندفعت المواد إلى معدته ، فتورم وعرضت له حمى ، فنهاه الأطباء عن القيء ، وحذروه منه . فاتفق أنه تقيا (١٧٠) لوقته ، فى آخر نهار الأربعاء حادى عشرى شهر رجب ، بقاعة القضاة من قلعة دمشق ، فدفن بها بكرة القند ، وعمره نحو من ستين سنة ، وذلك بعد موت أخيه الأشرف بنحو ستة أشهر . فكانت مدة ملكه دمشق هذه المرة أحدًا وسبعين يومًا ، ومدة مملكته بمصر ، بعد موت أبيه ، عشرين سنة وثلاثة وأربعين يومًا — وقيل وخمسة وأربعين يومًا — ، و [كانت] فى أيام أبيه نحوها . فحكم مصر قريبًا من أربعين سنة ، ومولده فى الخامس والعشرين من ربيع الأول ، سنة ست ومبشرين ونحوه .

وكان يحب أهل العلم ، ويؤثر مجالستهم ، وشغف بسماع الحديث النبوى ، وحدث بالإجازة من أبى محمد بن برى ، وأبى القاسم البوصيرى ، وعدة من المصريين ، وغيرهم . وتقدم عنده أبو الخطاب بن دحية ، وبنى له دار الحديث الكملية بالقاهرة ، وجعل عليها أوقافًا .

(١) أخفى ما بين القوسين بعد مراجعة (Lane - Poole : Saladin. Table II. in pocket). هذا فى أبى الفداء (المختصر فى أخبار البشر ، ص ١١٤ ، فى (Rec. Hist. Or. I.) أن المجاهد أرسل نساءه إلى الملك الكامل ، ليشغله عنه ، "فدخلن على الملك الكامل ، فلم يفتن إلى ذلك" . (٢) فى س احد . (٣) كانت تلك المدرسة ، حسب ما جاء فى القرزى (المواظ والاحتبار ، ج ٢ ، ص ٣٧٥) ، أول بيت للحديث بالقاهرة ، ونها يقول : "هذه المدرسة بخط بين القصرين من القاهرة ، وتعرف بدار الحديث الكملية ، أنشأها السلطان =

وكان يناظر العلماء ، وعنده مسائل غريبة من فقه ونحو يمتحن بها ، فمن أجاب عنها قدمه وحفظ عنده . و [كانت] تبيت عنده بالقلعة جماعة من أهل العلم : كالجبال الغني الصوى ، والفقيه عبد الظاهر ، وابن دحية ، والأمير صلاح الدين الإبريلي ^(١) — وكان أحد الفضلاء — فينصب لهم أسرة ينامون عليها بجانب سريره ، ليسامروه . فنفتت العلوم والآداب عنده ، وقصده أرباب الفضائل ، فكان يطلق لمن يأتيه منهم الأرزاق الوافرة الدارة . فمن قصده التاج بن الأرموى ، وأفضل الدين الخولنجي ، والقاضي الشريف شمس الدين الأرموى ، قاضي المسكر ، وهؤلاء أئمة وقهم في المقول والمقول .

وكان مهيباً ، حازماً شديد الآراء ، حسن التدبير لماليك ، عفيفاً عن الدماء . وبلغ من مهابته أن الرمل — فيما بين المريش ومصر — كان يتر فيه الواحد ، بالذهب الكثير والأحمال [من] الثياب ، من غير خوف . ومُرق مرة فيه بساط ، فأحضر [الكامل] العريان ^{١٠} الذين يخفرون الطريق ، وألزمهم بإحضاره وإحضار سارقه . فبذلوا عوضه شيئاً كثيراً ، وهو يأبى إلا إحضار السارق ، أو إتلاف أنفسهم وأموالهم بدله ، فلم يجدوا بداً من إحضار السارق والبساط .

وكان يباشر أمور الملك بنفسه ، مرب غير اعتماد على وزير ولا غيره . واستنوز أولاً ^{١٥} الصاحب صفي الدين بن شكر ، ست سنين ، وانكشف بصره وهو يباشر الوزارة حتى مات ، = الملك الكامل ناصر الدين محمد بن الملك العادل أبي بكر بن أيوب بن شاذي بن مروان ، في سنة اثنين وعشرين وستائة . وهي ثاني دار عملت لحديث ، فإن أزل من بن دارا [لحديث] على وجه الأرض الملك العادل نور الدين محمود بن زكي بدستق . ثم بن الكامل هذه الدار ، ووقفها على المشتغلين بالحديث النبوي ، ثم بن يدهم على الفقهاء الشافعية . ووقف عليها الربيع الذي يجوارها ، على باب الخرقش ، ويمتد إلى الحرب المقابل للجانب الآخر . وهذا الربيع من إنشاء الملك الكامل ، وكان موضعه من جملة القصر الغربي ، ثم صار موضعاً يسكنه القضاة . وكان موضع المدرسة سوقاً للرفيق ، وداراً تعرف بابن كستوك . وأول من ولي تدريس الكلامية الحافظ أبو الخطاب عمر بن الحسن بن علي بن دحية ، ثم أخوه أبو عمرو عثمان بن الحسن بن علي بن دحية ، ثم الحافظ عبد العظيم المنذرى ، ثم الرشيد الطائر . وما برحت يده أعيان الفقهاء ، إلى أن كانت الحوادث والمحن ، منذ سنة ست وثمانمائة ، فثلاث كما تلاثني غيرها ، وولي تدريسها صبي ، لا يشارك الأماشي إلا بالصورة ، ولا يتنازع الهيئة إلا بالنطق ، واستمر فيها دهرًا لا يدسر بها ، حتى نبت ، أو كادت تنضج ، ولا حول ولا قوة إلا بالله . ^(١) في ص ليسامروه . ^(٢) في ص مهاباً .

وكان الأمير نحر الدين عثمان الأستادار يتردد إليه في الأشغال . فلما مات الصاحب [صلى الدين] لم يستوزر [الكامل] بعده أحدا ، بل كانت يستنهض من يختار في تدبير الأشغال (٧٠ ب) : فأقام معين الدين بن شيخ الشيوخ مدة ، وسماه نائب الوزارة ، ومرة أقام تاج الدين يوسف بن الصاحب صفي الدين ، ومرة جمال الدين بن البورى . وصار يباشر أمور الدولة بنفسه ، ويحضر عنده الدواوين ، فيحافقهم ويحاسبهم . وإذا ابتدأت زيادة النيل خرج بنفسه وكشف الجسور ، ورتب في كل جسر من الأمراء من يتولاه ، ويجمع الرجال لعمله . ثم يشرف على الجسور بعد ذلك ، فتي اختل جسر عاقب متوليه أشد العقوبة ، فعمرت أرض مصر في أيامه عمارة زائلة .

وأخرج [الكامل] من زكوات الأموال ، التي كانت تُجبي ، سهمى الفقراء والمساكين ، وجعلها مصروفين في مصارفهما ، ورتب عليهما جامعات الفقهاء والفقراء والصلحاء . و [كانت] يعمل في كل ليلة جمعة مجلسا لأهل العلم عنده ، ويجلس معهم للباحثة . وكان كثير السياسة ، وأقام [في] كل طريق خفراء تحفظ المسافرين . إلا أنه كان مُفرى بجمع المال ، مجتهدا في تحصيله : وأحدث في البلاد حوادث سماها الحقوق ، لم تكن في أيام من تقدمه . وله شعر ، منه قوله :

إذا تحققتُ ما عند صاحبكم من النرام فذاك للقدر يكفيه
أتم سكتنم فؤادى وهو متلكم وصاحب البيت أدرى بالذى فيه

وفيه يقول البهاء زهير بن محمد ، من قصيدة عند فتح دمياط : —

هو الكامل المولى الذى إن ذكرته فيا طرب الدنيا ويا فرح العصر
به ارنجت دمياط قهرا من العدى وطهرها بالسيف والملة الطهر
لك الله من ملك إذا جاد أوسطا فناهيك من عرف وناهيك من نكر
يقصر عنه المدح من كل مادح ولو جاء بالشمس المنيرة والبدر

- وكان أولاد الشيخ صدر الدين بن حويه هم أكابر دولته وأعيانها ، وهم الأمير نغر الدين يوسف ، وعماد الدين عمر ، وكمال الدين أحمد ، ومعين الدين حسن . وكان نغر الدين [قد] ترك لبس العمامة ، ولبس الشربوش والقباء ، وتادم السلطان . وكان فاضلاً أدبياً ، يشارك في فنون ، وأخوته لهم فضائل ، وإليهم مشيخة الخاقاه الصلاحية سعيد السعداء ، وتدرّس المدرسة الناصرية ، بجوار قبر الشافعي من القرافة ، وتدرّس المشهد الحسيني بالقاهرة .
- وما منهم إلا من تفتّم على الجيوش ، وبأثر الحرب . وأرضعت أمهم — [وهي] ابنة القاضي شهاب الدين ابن عسرون — الملك الكامل ، فصاروا إخوته من الرضاع .
- فلما مات السلطان [الكامل] اتفق أولاد الشيخ ، والأمير سيف الدين على بن قلع ، وأخوه الأمير عماد الدين ، والملك الناصر داود ، وأرباب الدولة ، على تخليف الأجناد للملك العادل أبي بكر بن الملك الكامل — وهو يومئذ يخلف أباه بقلعة الجبل — على ديار مصر ، وأن يُرتَّب للملك الجواد مظفر الدين يوسف بن مودود بن العادل أبي بكر بن أيوب ، في نيابة دمشق . وكثّموا ذلك [الأمر الثاني] عن الناصر داود ، وحلقوا [على ذلك] في يوم الخميس ثاني عشر رجب . وبعثوا الأمير نور الدين علي بن (١٧١) الأمير نغر الدين عثمان الأستاذار إلى الناصر داود ، فأخرجوه من دمشق إلى الكرك ، واستقر الجواد بدمشق ، نائباً لابن عمه الملك العادل . وسار العسكر من دمشق إلى مصر ، وتأخر بدمشق أمراء [عدة] — في جمع ١٥ من عسكر مصر وممالك الأشراف — لحفظها ، ومقدمهم عماد الدين عمر بن شيخ الشيوخ . فبذل الجواد الأموال ، وطمع في الاستبداد بملك دمشق ، وألزم الخطيب بذكره في الخطبة بعد العادل .

(١) المدرسة الناصرية أول مدرسة بديار مصر . أنشأها السلطان الناصر صلاح الدين يوسف الأيوبي ، سنة ٥٦٦هـ ، برسم الفقهاء الشافعية ، وكان حيث يتولى دأوة مصر لحقيقة القاضي القاضي . وأول من دلى التدريس بها ابن زين التجار ، فمرفت به . ثم مرفت بالمدرسة الشريفة ، فسبى إلى الشريف القاضي شمس الدين الأرموي ، قاضي العسكر ، وكان قد درس بها أيضاً . واشتهرت بهذه التسمية الثانية إلى زمن المقرئ ، أي حتى القرن التاسع الهجري . (المقرئ : المواقف والاختيار ، ج ٢ ، ص ٣٤٥ — ٣٤٦) .



كَمَل طبع كتاب " السلوك للقرنيزى " بمطبعة
دار الكتب المصرية فى يوم الأربعاء ٥ ذوالحجّة
سنة ١٣٥٢ (٢١ مارس سنة ١٩٣٤) م.

محمد تديم
ملاحظ المطبعة بدار الكتب
المصرية

(مطبعة دار الكتب المصرية ١٩٣٢/٥٣ / ١٥٠٠)

بجته التأليف والترجمة والنشر ١٩١٤

كِتَابُ السُّلُوكِ لِمَعْرِفَةِ دُولِ الْمُلُوكِ

للتقّ الدين أحمد بن علي المقرئ

قام بنشره

محمد مصطفى زيادة (Ph. D.)

مدرس قسم التاريخ بكلية الآداب بالجامعة المصرية

الجزء الأول - القسم الثاني

الطبعة
مطبعة دار الكتب المصرية

١٩٣٦

(ج)

تصدير

للقسم الثاني من الجزء الأول من كتاب السلوك للمقرزى

يشمل هذا القسم بقية ما كتب المقرزى في الدولة الأيوبية بمصر، وشطرًا من تاريخ دولة المماليك الأولى حتى آخر عهد السلطان سلامش ثاني أولاد السلطان الظاهر بيبرس . وهذا يقابل ما كان قد يق ما ترجمه (Blochet) من كتاب السلوك في (Blochet : Histoire d'Egypte de Makrizi ، والجزء الأول مما ترجمه منه (Quatremère : Histoire des Sultans Mamlouks de l'Egypte, 2 Volumes)^(١)

♦ ♦ ♦

ولقد آتى على ظهور القسم الأول من الجزء الأول من هذا المؤلف الطويل نحو ستين ، وعُثِرَتْ في أثنائها ، بالبحث في المتحف البريطاني بلندن صيف ١٩٣٤ ، على بعض معلومات مكملة لما قد كنت ناقشته في تصدير القسم الأول المذكور من حيث النسخ الخطية المعروفة من كتاب السلوك ، وما طبع منها بلغته أو مترجما أو ملخصا ، ومن حيث الرسم الإملائي الذي نحاه المقرزى في الكتابة . ولما كان غرضي في تصدير هذا القسم الثاني لا يعدو ما كان من غرضي عند تصدير القسم الأول ، وهو مجرد التعريف بكتاب السلوك ومؤلفه ، وبالنحو الذي سرْتُ طبعه في نشره وتحريره ووضع حواشيه ، فإنى لهذا مقتصر هنا على إضافة تلك المعلومات التكميلية المشار إليها ، على أن أرجئ كتابة مقدمة شاملة وافية للجزء الأول كله عند تمامه .

ولذا فإنى أضيف هنا الى قائمة النسخ الخطية المذكورة في تصدير القسم الأول نسخة موجودة في مكتبة الجامعة بكامبردج بإنجلترا ، تحت رقمي ٥٢٦ ، ٥٢٧ ، وهي مكونة من الجزئين الأول والرابع . انظر (Browne : A Handlist of the Muhammadan Manuscripts in the library of the University of Cambridge p. 97. Camb-ridge University Press, 1900). وهناك نسخة أخرى يملكها (Mr. A. G. Ellis) ،

الأمين المساعد للقسم الشرق بالمتحف البريطاني سابقا ، وقد تفضل حين وجودى بلندن في الصيف المذكور فسمح لي بالاطلاع عليها ، وهي مكونة من الجزء الثالث فقط . وهاتان النسختان ، وغيرهما مما هو مقطوع بوجوده في شتى المكاتب والمتاحف من كتاب السلوك كما تقدم بتصدير القسم الأول ، ستكون كلها موضع مقارنة ومفاضلة ، لابد منها قبل اختيار أحسن النسخ من الناحية العلمية ، لتهيئة الأجزاء الباقية للطبع .

♦ ♦ ♦

أما ما طبع من كتاب السلوك بلغته العربية الأصلية ، أو مترجما أو ملخصا ، فيوجد (W. D. Tiesenhause : Recueil de Materiaux Relatifs à l'Histoire de la Horde d'Or, Tome I. pp. 417-442). كل ما أورده المقرئ في كتابه خاصا بمغول القفجاق المعروفين باسم القبيلة الذهبية ، من سنة ٦٥٢ هـ إلى سنة ٨١٩ هـ ، مجموعا على هيئة متن متصل مرتب على حسب السنين . وتوجد أيضا في مجموعة المستشرق (Sylvestre de Sacy) المعروفة باسم كتاب الأيس المقيد للطلاب المستفيد وجامع الشذور من منظوم ومشتور (ج ١ ، ص ١٧٠ - ١٧٦) ، قطعة من السلوك خاصة بسنة ٧٩٦ هـ ، وهي مترجمة إلى الفرنسية في نفس المرجع المسمى في تلك اللغة باسم : (Sylvestre de Sacy) Chrestomathie Arabe, 3 Tomes, Paris, 1824-1826 ، حيث توجد القطعة المشار إليها في (Tome 1. pp. 484-498) . ويوجد أيضا في (Petitots : Collection des Mémoires sur l'Histoire de France, Série I, Tome III. pp. 3-37, Paris 1824) تلخيص لما جاء في كتاب السلوك من حكم العادل الثاني إلى سنة ٦٤٨ هـ .^(١)

♦ ♦ ♦

أما عن الرسم الإملائي فقد أشرت في تصدير القسم الأول إلى طريقة المقرئ في نسخته التي كتبها بيده ، وهي المسماة هنا س ، إذ دأب على إهمال الهمزات بأنواعها إهمالا تاما في سائر المخطوطة ، وتهاون في القلق حتى إن كثيرا من الألفاظ وارد بغير قطع الينة ، ووقع في بعض أخطاء نحوية ، كما ضبط بعض الألفاظ ضبطا خطأ . ولا عيب في شيء من هذا كله على المقرئ ، فإنه سار على أنماط الكتابة والإنشاء الشائعة في عصره ، ومخطوطته هذه في الواقع

ذخيرة لدراسة دور من أدوار تطور الكتابة العربية ، فضلا عن أن غلطاته النحوية نفسها دليل على حال اللغة في العصر الذي عاش فيه .

ذلك أن الخط العربي ، كما نعرفه في العصر الحاضر ، نتيجة سلسلة طبيعية من التطورات والتغير ، وخاصة في مسألة نقط الحروف . وقد كان الكتاب في عصر المقرئ ، وما سبقه من العصور أيضا ، يكهون كثرة النقط ، ويعتبرونها إما تنظما أو جهلا من الكاتب ، أو سوء ظن بالمكتوب إليه . وقد أوضح ذلك الفقه شندى (صبح الأعشى ، ج ٣ ، ص ١٥٤) ، وهو من معاصري المقرئ ومن كتاب ديوان الإنشاء ، في العبارة التالية : "النقط مطلوب عند خوف اللبس [فقط] ، لأنه إنما وُضع لذلك ؛ أما مع أمن اللبس فالأولى تركه ، فلا يُظلم الخط من غير فائدة ... أما كتاب الأموال فإنهم لا يرون النقط بحال ، بل تعاطيه عندهم عيب في الكتابة " .



وبعد فأريد أن أختم هذا التصدير القصير بكلمات شكر قلبية من عاوني في إخراج هذا القسم الثاني من الجزء الأول من كتاب السلوك . وأولم الأستاذ أحمد أمين ، الأستاذ بكلية الآداب ، ورئيس لجنة التأليف والترجمة والنشر ، فقد أولاني بمثل ما أولاني به أثناء إخراج القسم الأول من دأب العناية والتشجيع ، وقرأ جميع هذه الصفحات قبل أن أعتمدها نهائيا للطبع ، وإني أشكره مرة أخرى لتفضله بكتابة حاشية رقم ١ في صفحة ٥٥٧ . وأبدى شكرى أيضا لصديق عهد نديم افندى ، ملاحظ مطبعة دار الكتب المصرية ، فقد مهد إخراج هذا القسم بفنه وإتقانه ، بغاه في مستوى المطبوعات الكبرى التي اشتهرت مطبعة تلك الدار بإخراجها . وآخر قولى هنا أن أقدم شكرى لمن تولانى من أصدقائى ، داخل كلية الآداب وخارجها ، بالنقد العلمى وبالتشجيع والتثبات الطيبة ما

محمد مصطفى زيادة

مصر الجديدة ، في ١١ جادى الآخرة ١٣٥٥

٢٩ أغسطس سنة ١٩٣٦

اسماء المراجع المذكورة في حواشى القسم الثانى

تحتوى القائمة التالية على أسماء المراجع الإضافية التى استلزمها هذا القسم
من الجزء الأول من كتاب السلوك

مراجع عربية مخطوطة ومطبوعة

ابن أبى الفضائل (مفضل...) : كتاب النهج السديد والذئ الفريد فيما بعد تاريخ ابن العميد .

(Texte Arabe publié et traduit en français par E. Blochet. Patrologia Orientalis T. XII. Fasc. 3, T. XIV. Fasc. 3. Firmin Didot, Paris. 1911, 1920).

ابن شاكركر (نفر الدين محمد... بن أحمد الكتبي) : فوات الوفيات . (بولاق، ١٢٩٩هـ) .

ابن واصل (جمال الدين أبو عبد الله محمد بن سليم) : مفتاح الكروب فى أخبار بنى أيوب ،
جزءان . صور شمسية بدار الكتب المصرية ، رقم ٥٣١٩ تاريخ ، مأخوذة من النسخة
الخطية الموجودة بالمكتبة الأهلية بباريس .

السيوطى (جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر بن محمد) : تاريخ الخلفاء أمراء المؤمنين القائمين
بأمر الأمة . (إدارة الطباعة المنيرية ، ١٣٥١هـ) .

النويرى^(١) (شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب) : نهاية الأرب فى فنون الأدب ، ٣٢ جزءا .
صور شمسية بدار الكتب المصرية ، رقم ٥٤٩ معارف عامة ، مأخوذة من النسخة الخطية
الموجودة بالمكتبة الأهلية بباريس .

(١) قطع دار الكتب المصرية هذا المؤلف الكبير ، وقد انجزت منه أحد عشر جزءا .

(٣)

مراجع أوروبية

- BOUQUET (MARTIN)**: Recueil des Historiens des Gaules et de la France.
Tome 20. (Imprimerie Royale, Paris 1840).
- BROWNE (E. G.)**: A Literary History of Persia. 4 vols. (Cambridge University Press, 1909-1930).
- D'OHSSON (LE BARON C.)**: Histoire des Mongols depuis Tchinguiz Khan etc.
4 Tomes. (Les Frères Van Cleef, La Haye, 1834-1835).
- G. - DEMOMBYNES**: Masālik el-Absar fi Mamālik el-Amṣār, d'Ibn Faḍl Allah al-Omari. Tome I. L'Afrique, Moins L'Egypte. Traduit et annoté avec une Introduction et 5 cartes. (Bibliothèque des Geographes Arabes T. II. Geutner, Paris, 1927).
- JOINVILLE (SIRE DE)**: Saint Louis, King of France. Translated by James Hutton. 7th ed. (Sampson Low, London, 1910).
- MAYER (L. A.)**: Saracenic Heraldry. (Clarendon Press, Oxford, 1933).
- OMAN (SIR CHARLES)**: A History of the Art of War in the Middle Ages;
2 vols. (Methuen, London, 1924).
- ZERTHESTÉNN (K. V.)**: Beiträge zur Geschichte der Mamlūkensultane. (Brill, Leiden, 1919).

تصحیحات

صفحة	سطر	الصفحة المراد إبانها
٢٨٨	١٤	الخامس
٢٨٩	٢٢	يوجد
٢٩٤	٢٥	بإقطاع
٣٠٧	٢٣	؛ ومثل ذلك عند الفرس،
٣٢٣	١٨	آخر
٣٣٣	٨	طنّاح
٣٣٦	٢١	فإنه
٣٣٩	١١	بديار
٣٤٧	٤	العلائي
٣٤٨	١٥	فإنه
٣٥٠	١٩	لفظ
٣٥٦	٢٠	غيرها
٣٥٨	١٢	عُتّة
٣٦٥	١	وجاعة أنحرمن ملوك النصارى
٣٨٩	١٦	(انظر ص ٣٩٣، سطر ١٠، وما يليه)
صفحة	سطر	الصفحة المراد إبانها
٣٩٤	١٤	السعيدية
٤٠٢	٢٢	تحمس
٤٠٣	١٧	الأحمر ^(٤)
٤٠٨	١٠	الأمر
٤٠٨	١٧	عن الدين
٤٤٧	٢٢	الصقلى
٤٤٨	٢١	وترجمه إلى
٤٥٣	٢١	والأقلام
٤٦١	١٠	(ص ٤٣٩، حاشية ٣)
٥٠٢	٢٣	Op. Cit. I. 1.
٥١٠	١٦	رتب
٥١٦	٢٠	Quatremère
٥٣١	٢٢	وتجمع
٥٦٧	٢٢	Quatremère

المقريزي

كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك

الجزء الأول - القسم الثاني

السلطان الملك العادل [الثاني]

سيف الدين أبو بكر بن الملك الكامل محمد بن الملك العادل أبي بكر بن أيوب . أمه الست السوداء، المعروفة ببنت الفقيه نصر، ومولده في سنة سبع عشرة وستمائة . استقر الأمر له بسلطنة مصر ودمشق، في يوم الخميس ثاني عشر رجب، سنة خمس وثلاثين وستمائة، الموافق لسادس عشر برمهات . وخطب له بالقاهرة ومصر في رابع شعبان، وهو السلطان السابع من بني أيوب بديار مصر . فقدمت عليه القصاد من دمشق ب وفاة أبيه واستقراره من بعده، فشرع الأمير سيف الدين قلع في تخليف الأمراء للملك العادل في داره . وحط [الملك العادل] المكوس، ووسع في العطاء وفي الأرزاق على كل أحد .

- (١) أضيف الوصف للتمييز بين هذا السلطان وولده الملك العادل أبي بكر بن أيوب .
- (٢) لما توفي الملك الكامل بدمشق، وافق الأمراء وأرباب الدولة الذين كانوا يرتفع على سلطة ابنه الملك العادل بعده، وقوية ابن عمه الملك الجواد يونس بن مودود بن العادل بن أيوب نائباً للسلطة بدمشق، وجمع معظم الأمراء والجيوش المصرية إلى القاهرة، لإقامة سلطة العادل بها، وبين بعضهم بدمشق لوازرة الجواد في نيابة السلطة هناك . (انظر ص ٢٦١) . وكان من الراجحين إلى القاهرة، حسبما جاء في ابن واصل (مفرج الكرب في أخبار بني أيوب، ص ١١٤) الأمير سيف الدين قلع، وثلاثة من أولاد شيخ الشيوخ ابن حويه، وهم مجير الدين وكال الدين وسعين الدين . وكان من الباقين بدمشق عماد الدين عمر رابع أولاد شيخ الشيوخ، وكذلك الأمير من الدين قلع أخو الأمير سيف الدين قلع المذكور هنا، وقد سماه المقرئ (ص ٢٦١، سطر ٩) باسم عماد الدين .
- (٣) أضيف ما بين القوسين بعد مراجعة ابن واصل (قوس المربع، ص ١١٤ ب) .
- (٤) المكوس جمع مكس، ومن معانيه في اللغة المصرية التي "كانت تؤخذ من يائس السلع في الأسواق في الجاهلية" . (عجمت المحيط) . والمكوس في مصطلح مؤرخي مصر الإسلامية كل ما تحصل من الأموال لـ ديوان السلطان، أو لأصحاب الإقطاعيات، أو لموظفي الدولة، خارجاً عن الحراج الشرعي، وتسمى أيضاً المال الحلال، (انظر ص ٨٠، حاشية ٣)، وقد عرفت هذه الأموال في مصر باسم المكوس، منذ الدولة الفاطمية . ومن أنواعها ما كان يؤخذ في القنطرة البحرية والبحيرة على المخابر الواقعة من الخارج، وما كان مقرراً بالقاهرة والقسطنطين على غنظ المحاصيل والمصنوعات والأماكن، مثل مكس القوافل، ومكس البازار، ومكس فتق القطن، ومكس مدينة البحر بالبحيرة، وغيرها . وكانت المكوس السلطانية تبلغ في زمن المقرئ بضاً ومئتين ألف دينار . (المقرئ : المرواظ والاعتبار، ج ١، ص ١٠٣ — ١١١ ج ٢، ص ١٢١ — ١٢٤، القلقشندي : صبح الأعشى، ج ٤، ص ٤٦٨ — ٤٧١) .

وفي رابع شعبان خطب له بمصر، وأعلن بموت الملك الكامل . وفي رابع عشر شعبان ضربت السكة باسمه .

وفي ثامن عشر رمضان نقش الدينار والدرهم باسمه . وفي عشرينه قرئ توقيعه على المنبر، بإطال جميع المكوس .

• وفي سابع عشر شوال وصل محي الدين [أبو محمد] يوسف بن الجوزي ، رسولاً من بغداد ، بتعزية الملك العادل ، وهناه بالملك من قبل الخليفة . وكان [العادل] قد بعث إلى دمشق بالخلع والسجق ، فركب الجواد بالخلع في تاسع عشر رمضان . وفيها أنفق العادل على الساکر .

وفي ثاني ذى القعدة استخلف ابن الجوزي الملك العادل لخليفة المستنصر . وفيه ورد الخبر بأن الناصر داود تحالف هو والجواد ، وقد اتفقا خريجا عن طاعة العادل . ووصل الناصر [داود] إلى غزة ، وخطب بها لنفسه . ثم وقع بينه وبين الجواد خلف ، فأظهر الجواد أنه عاد إلى طاعة الملك العادل .

ولما قربت الساكر الواردة من دمشق إلى القاهرة ركب العادل إلى لقائهم وأكرمهم ، وسير إليهم في منازل الأموال والخلع والحبول ، فخذوا له الأيمان والمهود ، فاستقر أمره . وأخرج [العادل] الأموال ، وبنها في الأجناد ، وأكثر من العطاء والبذل ، حتى بئد في مدة يسيرة ما جمعه أبوه في مدد متطاولة . وأخذ في إبعاد أمراء الدولة عنه ، وقطع رواتب أرباب

(١) تقدم ذكر محي الدين أبي محمد يوسف بن الجوزي رسولاً من الخليفة العباسي ببغداد إلى بني أيوب أكثر من مرة ، (انظر ص ٢١٩ ، ٢٥٧) . وهو ابن أبي الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن الجوزي الفقيه الحنبلي المورخ ، صاحب كتاب المتظم والمقتضب المأثور في التاريخ ، وخالف شمس الدين أبي المظفر يوسف بن كرمغلو ، المعروف ببسط ابن الجوزي ، صاحب لب مرآة الزمان . وقد محي الدين هذا ببغداد سنة ٥٨٠ هـ ، وتقلب في عدة وظائف بها ، فعلى الحامية ، ودرس بالهدسة المستنصرية لملاحة الحناجة ، وسفر لخليفة العباسي في الرسائل إلى الملوك ، ثم صار أستاذ داراً ببغداد . وكانت وفاته بها ، قبلًا في رقة القتر ، سنة ٥٩٣ هـ . (ابن خلكان : وفيات الأعيان (Wüstenfeld) ، ج ٤ ، ص ٦٧ — ٦٩) . انظر أيضاً (ابن واصل : فتوح الكروب ، ص ٣٢٤ ب) .

الدولة ، واختص بمن أنشأه . ففقرت قلوب الأكابر منه ، واشتغل [هو] عنهم بالانهماك في شرب الخمر ، وكثرة اللهو والفساد .

^(١١) وسار الناصر داود من الكرك ، واستولى على غزة والسواحل . واستجد عسكريا كبيرا ، وبرز عن غزة . وبعث إلى الملك العادل يريد منه المساعدة على أخذ دمشق .

وقوى المجاهد [أسد الدين] صاحب حصص بعد موت الكامل ، وأغار على حاة وحصرها . واستعد أهل حلب ، واستجدوا عسكريا من الخوارزمية ، وعسكرا من التركمان ، و [كان قد] صار اليهم عتة من أصحاب الملك [الكامل] ، فأكروهم ، وبعثوا إلى السلطان غياث الدين [كيخسرو بن كيقباد] ، ملك الروم ، يسألونه إرسال نجدة ، فأتمهم بخيار عسكريه ، وخرجوا فلكوا المعزة ، ونازلوا حاة ، وقاتلوا المظفر صاحبها ، فثبت لهم ، وامتنع عليهم وقاطعهم .

وكان الملك الصالح نجم الدين أيوب بن الكامل على الرحبة ، منازلها ، فلما بلغه موت

(١) و (٢) البارة الواردة بين الرقبن مشطوية في س ، ويظهر أن المقرري عمد إلى شطبها لسبق ذكر بعض أخبار الناصر داود (ص ٢٦٨ سطر ٩) ، وقد أثبت هنا لعدم تناقضها مع تلك الأخبار . وفي ابن واصل (مفرج الكروب ، ص ٣١٤ ب) أن الملك العادل لم يجيب الناصر داود إلى ما أراد ، " فأرسل الناصر إليه ثانيا : إن أباك السلطان الملك الكامل كان قد التزم أن يعيد إلى ملكه والهدى (انظر ص ٢٥٦ سطر ١٤) ، و [أما] أنا فقد وليت على البلاد الساحلية لأنها من جعلها ، فساتني على تسليم دمشق وباقى البلاد ، وأكون من قبلك ، ومن طاعتك ، كما كنت مع أيك . وترددت بينه وبين الملك العادل الرسائل في هذا المعنى " .

(٣) أخيف ما بين القوسين بسند مزعومة ابن واصل (قس المرجع ، ص ٣١٤ ب — ٣١٥ أ) ، حيث توجد معلومات أخرى عن حركات المجاهد صاحب حصص ، بعد وفاة الملك الكامل .

(٤) أخيف ما بين القوسين من ابن واصل (قس المرجع ، ص ٣١٦ أ) .

(٥) انظر ص ١٥٤ سطر ١٠ وابن واصل (قس المرجع ، ص ٣١٦ أ) .

(٦) بغير ضبط في س ، وقطع الرحبة على شاطئ نهر القرات ، جنوبي قرقسيا ، وهي على مسافة مائة فرسخ من بغداد ، وثيف وعشرين فرسخا من الرقة . وتسمى رحبة مالك بن طوق ، نسبة إلى مالك بن طوق بن عتاب النخعي ، الذي أسسها في خلافة المأمون . (ياقوت : معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ٧٦٤ — ٧٦٧) . وكانت الرحبة من أعلام المجاهد صاحب حصص ، وحاصرها الصالح نجم الدين أيوب تنفيذا لتعليمات أبيه الملك الكامل إليه . (ابن واصل : قس المرجع ، ص ٣١٥ ب) .

أبيه الملك (٧١) الكامل رحل عنها، فطمع فيها من معه من الخوارزمية، وخرجوا عن طاعته، وهما بالقبض عليه، فقصده سنجار، وامتنع بها مدة، وترك خزانته وأقاله، فأتبها الخوارزمية، وتحكوا في البلاد الجزرية. وطمع فيه السلطان غياث الدين [كيخسرو بن كيقباد]، ملك الرومية، وبعث إلى الناصر [صلاح الدين أبي المظفر يوسف]، صاحب حلب، توقيعا بالرها وسروج، وكانا مع الصالح [نجم الدين أيوب]، وأقطع المنصور ناصر الدين الأرتقي، صاحب مardin، مدينة سنجار ومدينة نصيبين، [وهما] من بلاد الصالح [أيضا]، وأقطع المجاهد [أسد الدين شيركوه]، صاحب حمص [بلدة] مائة وغيرها من بلاد الخابور، وعزم السلطان غياث الدين كيخسرو على أن يأخذ لنفسه من بلاد الصالح أيضا آمد وسيمساط.

وصار [الملك الصالح] محصورا بسنجار، فطمع فيه الملك الرحيم بدر الدين لؤلؤ - صاحب الموصل -، وحصره بسنجار في ذي القعدة، وأراد حمله إلى بغداد في قفص حديد، كراهة فيه، لما كان عنده من التيجور والظلم والكبر. فلما أشرف [بدر الدين لؤلؤ] على أخذ سنجار بعث الصالح [إليه] القاضي بدر الدين يوسف بن الحسن الزراري قاضي سنجار، بعد ما حلق لحيته، ودلّاه من السور. وكان القاضي الزراري متقدما في الدولة الأشرفية، ولّاه [الملك] الأشرف [موسى] - لما ملك دمشق - قضاء بعلبك. ثم [بعد موت الملك الأشرف]،

(١) انظر ص ٢٥٥، سطر ٨. (٢) انظر ص ٢٥٣، سطر ١٢. (٣) انظر ص ٢٥٧، سطر ١٣.
(٤) أخيف ما بين القوسين من ابن واصل (قس المرجع، ص ٣١٧ ب)، انظر أيضا ص ٢٢٣. سطر ١٤.
(٥) بلدة على نهر الفرات، وموضعها بين الرقة وحيت. وإلى هذه البلدة بلغ الخليفة العباسي القائم بأمر الله، هاربا من بغداد، حينما طارعه أرسلان الباسري، سنة ٥٤٥٠ (٥٨٠ م). انظر (ياقوت: معجم البلدان، ج ٣، ص ٥٩٤ - ٥٩٥). (Muir: The Caliphate, p. 580 et seq.)

(٦) و(٧) عبارة السلوك هنا مقتضية، وضع بدلها الجملة الواردة بين القوسين، بعد مراجعة ابن واصل (قس المرجع، ص ٣١٧ ب). ونص عبارة السلوك كالآتي: "وعزم على أن يأخذ منه أيضا آمد وسيمساط".

(٨) بغير خط في ص، انظر ابن واصل (قس المرجع، ص ٣١٨ أ). (٩) انظر ص ٢٥٦، سطر ١٠.
(١٠) أخيف ما بين القوسين بعد مراجعة ابن واصل (قس المرجع، ص ٣١٨ أ). ويلاحظ أن عبارة السلوك في سائر ترجمة القاضي الزراري، وما يليها من أخبار سقارته، وما وقع لك الصالح نجم الدين أيوب، تشبه كثيرا في أسلوبها وألفاظها ما يقابلها في ابن واصل، ومنه أخيف ما بين الأقواس فيما يلي بصدده الأخبار.

ولاه الصالح نجم الدين [أيوب] قضاء سنجار . وكان كثير التجلد جدا واسع البر والمعروف ؛ وله ممالك وغلان وحواشي ، لم من التجلد ما ليس لغيرهم . فصار كأحد الأمراء الأكابر ، وصار يقعد لسائر من يرد عليه من أهل العلم وذوى البيوتات .

- فوجه [القاضي] في خفية الى الخوارزمية ، واستالم وطيب خواطرم ، بكثرة ما وصلهم به . فقالوا إليه ، بمد ما كانوا قد اتفقوا مع صاحب ماردن ، وقصدوا بلاد [الملك] الصالح [نجم الدين أيوب] ، واستولوا على الأعمال ، وتزلوا حران . — [وكان الملك الصالح قد ترك بها] [ولده] المغيث فتح الدين عمر بن الصالح ، [تخلف من الخوارزمية ، وسار تخفيا] حتى فرأى قلعة جبر . فساروا خلفه ، ونهبوا ما كانت معه ، وأقلت منهم في شرملة يسيرة الى منبج . فاستجار بسمة [أبيه ، صاحبة ضيفة خاتون] ، أم الملك المزي ، صاحب حلب ، فلم تقبله . فرأى الى حران ، وفيها إناة كتاب أبيه يأمره بموافقة الخوارزمية ، والوصول بهم إليه ، لدفع بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل . فاجتمع [المغيث عمر ، والقاضي بدر الدين قاضي سنجار] بالخوارزمية ، واتلم لهم القاضي أن يقطعوا سنجار وحران والزها . فطابت قلوبهم ، وحلفوا للملك الصالح ، وقاموا في خدمة ابنه الملك المغيث ، وساروا معه الى سنجار ، فأخرج منها عسكر الموصل ، يريدون بلادهم . وأدركهم الخوارزمية ، وأوقعوا بهم وقعة عظيمة ، فرمها بدر الدين لؤلؤ بمفرده على فرس سابق ، ثم تلاحق به عسكره . واحتوت الخوارزمية على سائر ما كان معه ، فاستنفوا بذلك . — وهوى الملك الصالح [بالخوارزمية وبهذا الفتح] قوة زائدة ، وعظم شأنه ، وسير الخوارزمية الى آمد ، وطيها عسكر [السلطان غياث الدين كيقصرو] ،

(١) في من التصل ، وهي مكررة بالحاء في سياق العبارة نفسها . انظر ابن واصل (قس المرجع ، ص ١٣١٨) .
(٢) في من "معه" ، وهذا خطأ ، يدل عليه ما سبق ذكره بالقسم الأول من الجزء الأول من السلوك ، (انظر ص ١٧٤ سطر ٤٩ ص ١٧٦ سطر ٦ ص ٢٥٣ ، سطر ١٤) ؛ راجع أيضا ابن واصل (قس المرجع ، ص ٣١٨ ب) . هذا ولقد سبق ورود اسم صاحبة ضيفة مصحفاً بلفظ "ضيفة" ، بالصفحات المشار إليها من السلوك ، ويريد الناشر أن يشاركها هذا ذلك الخطأ الذي وقع فيه سابقاً . أما أصل تسميتها بهذا الاسم فهو أنه كان عند أبيها الملك السادل بن أيوب يوم مولدها يحب ضيفه ، فأسماعها ضيفة . (ابو القداء : المختصر في أخبار البشر ، ص ١٢١ ، في Rec. Hist. Or. I. .) (٣) أخرج الناس عن الطريق أي انكشفوا عنه ؛ وأخرج الجنت عن المكان أي تركوه . (محيط المحيط) .

صاحب الروم، وبها (١٧٢). المعظم غياث الدين تورانشاه بن الملك الصالح [نجم الدين أيوب]، وهو محصور منهم، فأوقى بهم ورجلهم عن آمد، فخرج الصالح من سجنار إلى حصن كيفا.

وبعث الملك العادل من مصر إلى أهل حلب يريد منهم أن يحرروا معه على ما كانوا عليه مع أبيه الملك الكامل - من إقامة الخطبة له على منابر حلب، وأن تضرب له السكة - فلم يجب إلى ذلك.

وقدم رسول [غياث الدين كيخسرو] ملك الروم، فزوج غازية خاتون ابنة العزيز للسلطان غياث الدين، وأنكح الملك الناصر - صاحب حلب - أخت السلطان غياث الدين (١)؛ وتولى العقد صاحب كمال الدين [بن أبي جراحة] بن المديم، وخرج في الرسالة إلى بلاد الروم، وعقد لملك الناصر صاحب حلب على ملكة خاتون أخت السلطان غياث الدين (٢). فبعث غياث الدين رسولا إلى حلب، فأقيمت له بها الخطبة.

ونخرج الملك الجواد من دمشق في أول ذي الحجة، يريد محاربة الناصر صاحب كرك، (٣)

(١) أصل هاتين البيعتين، حبايا. في ابن راسل (نفس المرجع، ص ٣١٦ ب - ٣١٧ ب) أن غياث الدين كيخسرو بعث إلى حلب، بسد إقحاذ النجدة العسكرية التي طلبها منه صاحبة ضيفة خاتون، يطلب من صاحبة أن تزوجه بنت ابنها الملك العزيز، وأن يزوج السلطان الملك الناصر، صاحب حلب، أخت غياث الدين.

(٢) اشترى ابن المديم في عالم التأليف بكتابه المسمى بنية الطلب في تاريخ حلب، ويختصر لهذا الكتاب اسمه زيادة الحب في تاريخ حلب. وكان مولده بحلب، سنة ٥٨٨ هـ (١١٩٢ م)، ومارس التدريس وتولى القضاء بها. وقد وزر أيضا لملك العزيز صاحب حلب، ولابنه الملك الناصر بعده، وسفر بأمرهما عدة مرات إلى بغداد والقاهرة. ولما انتال التيار للفرى إلى حلب، سنة ٦٥٨ هـ (١٢٦٠ م)، هرب ابن المديم مع الملك الناصر إلى القاهرة. ثم استعده إليه هولاكو التتري، ليولى منصب قاضى قضاء الشام، لكنه مات بالقاهرة سنة ٦٦٠ هـ (١٢٦٢ م).

انظر (Enc. Isl. Art. Kamal Al-Din).

(٣) في س "أيه"، انظر ص ٨.

(٤) كذا في س.

فالتقى بالقرب من نابلس^(١)، فانكسر الناصر كسرة قبيحة، في يوم الأربعاء رابع عشر ذى الحجة، وانهمز الى الكرك. فغتم الجواد ما كان معه، وعاد الى دمشق، ونزق سقاية ألف دينار وخمسة آلاف خلة، وأبطل المكوس والنجور، وحى المغاني. وعاد من كان في دمشق من عسكر مصر - ومعهم الأمير عماد الدين بن شيخ الشيوخ - الى القاهرة، بسناجق الناصر، في سادس عشر ذى الحجة. فلم يسحب الملك العادل ذلك، وخاف من تمكن الملك الجواد.

وفيها [فيها] قصد التار بغداد، فبعث اليهم الخليفة جيشا، قُتل كثير منه، وفر من بقي. وفيها مات قاضي القضاة بدمشق، [وهو] شمس الدين أبو البركات يحيى بن هبة الله بن الحسن ابن سفي الدولة الشافعي، في خامس ذى القعدة. فأعيد في سابعه قاضي القضاة شمس الدين أحمد بن الخليل الخواري، ورث مراكر الشهود - وكانوا أولا بدمشق وراقين يورقون المكاتب - وغيرها، فإذا فرغوا من الوراقه مشوا الى بيوت العدول، فيشهدونهم على ما يريدون، واقتدى بعد ذلك أهل القاهرة ومصر بهم.

وفيها تولى الشريف شمس الدين محمد بن الحسين الأرموي قضاء العسكر وحقابة الأشراف بديار مصر، وقرى بجبله بجامع مصر، بمحضرة الأمير جمال الدين [موسى] بن يعمور والملك (١) بغير ضبط في س، وهي أرض فلسطين، بينها وبين بيت المقدس عشرة فراسخ. وهي بلدة رومانية الأصل، بنيت لذكرى الإمبراطور (Vespasian)، وأطلق عليها اسم (Flavia Neapolis)، ومنه اشتقت التسمية العربية (Enc. Isl. Art. Nablus). وفي ياقوت (معجم البلدان، ج ٤، ص ٧٢٣ - ٧٢٤) قصة لطيفة في أصل اسم نابلس، نصها: " (ص ٧٢٣) وسئل شيخ من أهل المعرفة، من أهل نابلس، لم سميت بذلك، فقال إنه كان هاهنا واد فيه حبة، قد استمنت فيه، وكانت عظيمة جدا، وكانوا يسمونها بلقهم لس. فاحتالوا على حبي (ص ٧٢٤) فطوها وانزعوا ثيابا، وجامروا بها فطخواها على باب هذه المدينة، فقبل هذا تاب لس، أي تاب الحبة. ثم كثر استعمالها حتى كتبوها متصلة، نابلس هكذا، وغلب هذا الاسم عليها ... ".

(٢) كذا في س، وبغير ضبط. وقد تريم هذا الاسم في (Blochet : Op. cit. p. 431) الى (Sani).
(٣) كذا في س، بضم الخاء وضع الواو فقط، ولعل النسبة الى نوى، وهي بلد من أعمال آذربيجان، يقب اليه الثياب الخوية. (ياقوت : معجم البلدان، ج ٢، ص ٥٠١، وما بعدها).

(٤) ضبط هذا الاسم، وأضيف ما بين القوسين، بعد مراجعة المصنف (عقد الحاشي)، ص ٢١١، في (Rec. Hist. Or. II. 1.)، رأي شامة (كتاب الروضتين، ص ١٩٥، في (Rec. Hist. Or. V.)).

المسرى^(١) . وفيها بطلت الفلوس . وفيها سار الملك المنصور نور الدين عمر بن علي بن رسول من اليمن يريد مكة ؛ فأحرق الأمير أسد الدين جفريل^(٢) ما كان معه من الأتقال ، وخرج هو ومن معه من مكة في سابع شهر رجب ، قبل وصول ملك اليمن بيومين . فالتقوا بين مكة والسرير ، فانهمز العرب أصحاب الشريف راجح ، وأسر الأمير شهاب الدين بن عبدان من أمراء اليمن . فقبده الأمير جفريل ، وبست به إلى القاهرة ؛ وسار هو إلى المدينة النبوية . قبله موت السلطان الملك الكامل ، فسار بمن معه إلى القاهرة ، فدخلوها في أثناء شهر شعبان متفرقين . وأقام عسكر اليمن بمكة .



سنة ست وثلاثين وستمائة . فيها قبض الملك الجواد على صفى الدين بن مرزوق ، وأخذ منه أربعمائة ألف دينار ، وبجته بقلعة حصص ، فكث ثلاث سنين لا يرى الضوء . وأقام الجواد بدمشق خادما لزوجته يقال له الناصح ؛ فعباد الناس ، وأخذ منهم مالا كبيرا .

وقبض [الملك الجواد] على عماد الدين عمر بن شيخ الشيوخ ، ثم خاف من أخيه نضر الدين . وقلق من ملك دمشق ، وقال : ” إيش أعمل بالملك ؟ باز وكلب أحب إلى من هذا ” . ثم خرج إلى الصيد ، وكتب الملك الصالح نجم الدين أيوب بن الكامل ، على أن يعوضه عن دمشق بمحمن كيفما وسنجدار . فسر الصالح بذلك وتحرك للسير إلى دمشق .

(١) كان الملك هذا وزيرا للكل العادل ، واسمه فلك الدين عبد الرحمن المسرى ، انظر المقرئى (المرواط والاختيار ج ٢ ، ص ٥١) ، وقد تقدم ذكر هذا الوزير بالقسم الأول من هذا الجزء . انظر القهرس .

(٢) في ص ” جفريل ” ، هنا وفي سطره أيضا . (انظر ص ٢٥٠ ، حاشية ٢) .

(٣) ضبط هذا الاسم على منطوقه في (Blochet : Op. cit. p. 432) . (٤) في ص ” زروحه ” .

(٥) كان عماد الدين بن الشيخ قد دبح من دمشق إلى القاهرة (انظر ص ٢٧٣ ، سطر ٤) ؛ ويضج بما هو وارد هنا ، وما جاء في ص ٢٧٦ ، سطر ٧ ، أنه ظل منتقلا بين العاصمةين الشامية والمصرية ، ثم سافر أخيرا إلى دمشق ، وبين جاسق وفاته . انظر ابن واصل (نفس المرحع ، ص ٣١٩ ب) .

وفيها قدم رسول ملك الروم الى القاهرة بالعزاء لملك العادل . وفيها أفرج أهل حلب عن حصار حماة ، بعد ما ضاق الأمر على المظفر صاحب حماة ؛ فلما رحلوا عنه هدم قلعة بارين وكانت حصينة .

- وفيها استوحش الأمراء الأكابر من الملك العادل ، لتقريبه الشباب والقراي^(١) ، وإعطائهم الأموال والإقطاعات ، والافتداء (٧٢ب) بأرائهم ، ولكثرة تحججه ، واشتغاله باللهو عن مصالح الدولة . فطعم الناصر داود صاحب الكرك في ملك مصر ، فسار اليها ومعه تعداد فاقرة : ما بين جوارى جنيكات^(٢) ، وعوديات ورقاصات ، وأواني للشرب بديعة . فخرج العادل الى لقائه في ثامن شوال ، وأكرمه . وقدم له الناصر ما اتخذه له من الجوارى والأواني وغيرها ، فصادف منه الغرض ، وعوضه عنه بأمثاله . ولأزم الناصر القيام بخدمة العادل والإقامة في بابه : فتارة يعمل حاجب الباب ، وتارة أستاذ دارا ، وتارة دوا دارا ، ليدخل في كل وقت عليه ، ويتوصل متى شاء اليه ، وهو يظن أنه يستميل الأمراء عن العادل الى جهته . فلما تمكن [الناصر داود] منه أوممه من الأمير نضر الدين بن شيخ الشيوخ ، بأنه قد اتفق مع الملك المنز

(١) أطلق هذا القبط أيام الدولة الفاطمية بمصر على الأطفال من أسرى الحروب ، إذ كان يدفع بهم " الى الأساذين فيربوهم ، ويشعلون الكتابة والرماية ، ويقال لهم القراي ، وفيهم من صار أميراً من صيان خاص الخليفة ... " . (المفرزي : المواظ والاحبار ، ج ٢ ، ص ١٩٤) .

(٢) في ص " وكثرة " .

(٣) في ص " خشكات " ، وبغير ضبط . والجنيكات الجوارى اللاتي يلعبن على المنك ، وهو من آلات الطرب ، وأصل القبط فارسي معرب . (محيط المحيط) . وقد ترجم (Blochet : Op. cit. p. 433) قبط الجنيكات وما يلبسه بالآتي : " des jeunes esclaves joueuses de harpe et de luth , et des danseuses " . والجنيك بكسر الجيم ، لاعب آلة الجنيك أو غيرها من آلات الموسيقى ؛ وقد أطلق قبط الجنيك أيضاً ، في عصر المماليك بمصر ، على رقاصات المتدييات والأفراح ، ووجه جنك . وكان أولئك الرقاصون من غلمان وشبان الأيمن ، واليهود واليونان والترك ، وبعض ثياهم من لبوس الرجال ، وبعضها من لبس النساء ؛ وكانوا يرسلون شعورهم ويصفرونها . وفي مصر الحلة الفرنسية على معسكر قبط الجنيك يطلق على بنات اليهود اللاتي احترن تعلم الرقص ، وكمن يغتربن في زفات العرس أحياناً ، وابتكات ظهور الخير ، ويلعبن على الزباب والدف - (Dozy. Supp. Dict. Ar.) .

(٤) الهلة هنا مأخوذة من الملك العادل .

مجير الدين [يعقوب]^(١١)، وأمال إليه عتة من الأمراء . وحسن له القبض عليه ، فأنخدع له [الملك العادل] ، وقبض على نفر الدين واعتقله بقلعة الجبل^(١٢) ، وأخرج عنه الملك المعز من أرض مصر ، ومعه أخوه الأجدد تقي الدين عباس .

فلما تم للناصر ما أراد خيل العادل من الملك الجواد نائبه على دمشق ، بأن الأمراء قد مالت إليه ، وقام بأمره الأمير عماد الدين عمر بن شيخ الشيوخ . فباغ ذلك العباد ، نخاف أن يتفق عليه ما اتفق على أخيه ، واجتمع بالملك العادل ، والترم له بإحضار الملك الجواد إلى طاعته بمصر . فسيره [العادل] من القاهرة ، ليحضر الملك الجواد من دمشق ، فأكرمه الجواد . وأخذ العباد في التحدث معه في المسير إلى الملك العادل ، فسوف به وماطله ، حتى فطن العباد بامتناعه ، فأحضر حينئذ الولاة والمشدين والتواب والدواوين^(١٣) بدمشق وأعمالها ، وقال لهم : " قد عزل السلطان الملك العادل الجواد عن نيابة دمشق ، فلا تدفعوا إليه مالا ، ولا تقبلوا له قولا " . فعز ذلك على الملك الجواد ، ووكّل بهما الدين ، وبجته بقلعة دمشق . وتقرر الأمر بين الملك الجواد وبين المجاهد ، صاحب حصص^(١٤) ، أن يكونا يدا واحدة ، وواقفهما الأمير عماد الدين بن قلعج ، نائب الملك الجواد بدمشق . فأروا أن أمرهم لا يتم إلا بقتل العباد

(١) كان المعز مجير الدين يعقوب ، وهو أحد أخوة الملك الكامل ، وعم الملك العادل ، مقبلا بمصر منذ قدم إليها ، وهو أخوه تقي الدين عباس سنة ٦٢٨ هـ ، في عهد الملك الكامل . (انظر ص ١٩١ ، سطر ١٩ ، ص ١٩٢ ، سطر ٤١ ص ٢٤١ ، سطر ٤٧ وما يلي هنا أيضا ، سطر ٣) .

(٢) يقول ابن واصل (نفس المراجع ، ص ٣٢٤ ب) إن العادل قبض على مجير الدين بن شيخ الشيوخ ، لا نفر الدين ، وأن جريته كانت حسبا أخبر بها الناصر داود ، مكتبة الصالح نجم الدين أيوب ، واستنصاه إياه على صرة القدم بসাكره الى الديار المصرية .

(٣) بغير ضبط في ص . وفي محيط المحيط خيل فلان عن القدم ، أي كعهم ، ومثاه جين ونخوف .

(٤) الدواوين جمع ديوان ، وكان يطلق على موظفي الدواوين الحكومية عامة ، من باب إطلاق اسم المكان على القائم بأعماله . انظر (Dozy : Suppl. Dict. Ar.) . على أن استعمال القرطبي لهذا اللفظ هنا يدل على أن "الدواوين" كانوا من كبار الموظفين ، كالولاة والتواب والمشدين .

(٥) في ص "دمشق" ، وخطا القرطبي هنا ظاهر .

ابن شيخ الشيوخ : فبعثوا إلى تواب الإسماعيلية في ذلك ، ودفنوا إليهم مالا وقرية ^(٢) ؛ فسيروا فدائين قتلاه على باب الجامع ، في سادس عشر جمادى الأولى . وأشيع أنها غلطا في قتله ، وإنما كانوا يريدان قتل الملك الجواد ، فإنه كان كثير الشبه به . فبلغ ذلك الملك العادل فشق عليه ^(٤) .

(١) الإسماعيلية في الأصل فرقة من الشيعة ، سميت بذلك الاسم كما عرفت أيضا بالسبعية ، لأن أصحابها اعتبروا الإمامة متبعية عند الإمام السابع ، وهو إسماعيل بن جعفر الصادق ، المتوفى بالمدينة سنة ١٤٣ هـ ، في حياة أبيه . نال أتباع تلك الفرقة الدينية السياسة ، كما نال أتباع نظائرها من فرق الشيعة ، كثير من الضر والأذى ، على يد خلفاء الصدد الأول من الدولة العباسية . فاستأنوا بالفتنة ، وتسلوا في الجهات البعيدة عن مركز الخلافة ملجأ ، مثل ذلك لجوء أمرو ولدى الإمام إسماعيل ، واسمه علي ، إلى الشام ثم بلاد المغرب . وكان أكبر ولدى الإمام إسماعيل ، واسمه محمد ، قد بلغ أيضا إلى جهة دماوند قرب الري ، وتغلّت سلطته وأتباعهم بين بلاد خراسان ، ثم كندهار ، ثم الهند ، حيث توجد حتى الآن بقايا إسماعيلية ، يرأسها الزعيم الهندى أغا خان .

ومن النابهن في تاريخ الإسماعيلية الأول عداقه بن ميون للقدح الأهوازي ، المتوفى سنة ٢٦١ هـ ، وهو القى من سلالة مؤسس الدولة الفاطمية بالمغرب ، ثم بمصر . ومن المشهورين أيضا حسن بن الصباح ، المتوفى سنة ٥٦٨ هـ ، وهو مؤسس شعبة الإسماعيلية ، المعروف أتباعها باسم الحشيشيين (Assassins) . وقد تفرع من هذه الشيعة ، التي أسسها ابن الصباح في قلعة أَلَمُوت (Alamut) ، في الشمال الغرب من بلاد فارس ، فرع بالشام مركزه الأول حلب ، وهذا الفرع الشامي هو الذى يقصد القريرى هنا . وتختلف شعبة ابن الصباح عن الإسماعيلية الأولى في نظامها وأسايلها ، فقد كانت تلك الشيعة الجديدة عبارة عن جمعية سرية ، على أعضائها الطاعة العمياء للرئيس الأكبر ، والاعتزال والقتل أهم أساليبها . (Enc. Isl. Arts. Assassins & Ismailiya) .

(٢) كذا في س ، بنقط كاملة ، وبغير ضبط .

(٣) في س "فدائين" ، والقصد في نظام جماعة الحشيشيين هو الشخص الذى يناط به اغتيال من تقرر الجماعة قتله من أعضائها (Enc. Isl. Art. Fida'i) . هذا والمفهوم من عبارة القريرى هنا أن تلك الجماعة كانت توجد أحيانا للقتل ، في مقابل مبلغ من المال ، دون أن تكون لها مصلحة أخرى .

(٤) تختلف عبارة القريرى هنا ، بصدد ما حدث لعاد الدين بن شيخ الشيوخ ، عما يقالها في ابن واصل (نص المرجع ، ص ٣٢٠ ، وما بعدها) ، في كثير من التفاصيل . وهذا ما جاء في ابن واصل ، فلجأ به الروايتين ، والمقارنة بين المرجعين ، ونصه مصححا : " (٣٢٠ ب) ... ولما تحقق ذلك العادل بن الملك الكامل ، صاحب مصر ، استقل ابن عمه الملك الجواد بن مودود بملك دمشق ، وعصيانها ، أحضر أولاد شيخ الشيوخ الأربعة ، وهم مجير الدين وعهاد الدين وعصين الدين وكال الدين ، وقال [لم] : أتم منيتم على ملك دمشق ، فإن أبى الملك الكامل فضحا ، وتوفى وهو ماله كها . فسلم دمشق ونزائنها إلى الملك الجواد ، فطلب على (٣٢٠ أ) دمشق ، وضع =

وفي العشرين من شوال ورد الخبر بوصول عسكر الملك الصالح نجم الدين أيوب، محبة ولده الملك المنبث جلال الدين عمر، إلى ^(١)جيتين . فجمع الملك العادل والملك الناصر الأمراء وعانقوا على قتال الصالح : وخرج الناصر داود من القاهرة، في تاسع ذى القعدة، لقتال الصالح؛ وجهز العادل جماعة من الأمراء، وعدة من العساكر بديار مصر، لتأخذ دمشق . وقدم [الملك العادل] إلى الملك الجواد رسولا بكتاب فيه أنه (١٧٣) يعطيه قلعة الشوبك وبلادها، وتقر الإسكندرية، وأعمال البحيرة وقلوب، وعشر قرى من بلاد الجيزة بديار مصر، ليتل عن نيابة السلطنة بدمشق، ويحضر إلى قلعة الجبل، ليعمل برأيه في أمور الدولة . فلما ورد

الخوائن ، وما أعرف عود دمشق إلى ، وانزعاجها من يد الملك الجواد ، إلا منكم ... فشن عماد الدين بن شيخ التبرخ وجرعها ذلك العادل ... فسير الملك العادل عماد الدين بن شيخ الشيخ لهذا الأمر بهم (كما) ... ولما وصل عماد الدين إلى دمشق ، التقاه الملك الجواد ، فأثله عنده في القلعة . فطالبه عماد الدين بتسليم دمشق إلى السلطان الملك العادل ، وأله أنه إن لم يسلم دمشق إليه ، نزلت العساكر المصرية إليه ، وملكوها به عوة ، وقبض عليه واعتقل . وإن سلها قبل أن تنزل العساكر إليه أعطى عونا فها خزا جيدا كثيرا ، بالديار المصرية ، وأحسن إليه . فأجابه الملك الجواد بجواب منقط (كما) . وكانت المسالك الأشرقية ، ومقدمهم عز الدين أيك الأحرار قد رحلوا من دمشق على حجة ، بسد رجوع الملك الجواد إلى دمشق ، وساروا إلى الملك العادل ، وخدعوا عنه . ولما علم الملك الجواد تصميم الملك العادل على انزعاج دمشق منه ، وعلم أنه لا طاقة له بقتاله ، وأنه إن سلم دمشق إلى الملك العادل لم يحل إلا خزا بالديار المصرية ... فقد ذلك سير [الملك الجواد] الشيخ كمال الدين بن طلحة إلى السلطات الملك الصالح نجم الدين أيوب ، يطلب منه أن يعرضه عن مدينة دمشق بمنجار والرفة وعاعة ، ويسلم هو دمشق إليه ... فضى كمال الدين بن طلحة بذلك إلى الملك الصالح ، فأجاب الملك الصالح إلى ذلك ، وحلف لابن عمه الملك الجواد على العوض المذكور؛ وزاده الحدية (انظر الصفحة التالية : سطر ٧) ، وجعلها باسم عهده من ممالك الملك الجواد ، يقال له رزقي (في الأصل ردي)، وكان أخص ماله به . ولما وقع الاتفاق بينهما على ذلك ، توجه الملك الصالح إلى دمشق . فلما علم الملك الجواد تخربه (كما) ، خاف الملك الجواد من عماد الدين بن الشيخ أن يفسد ما بينه وبين الملك الصالح ، فلا يحصل على ما وقع التفرير (٣٢١ ب) عليه ، من العوض الذي طلبه . فهدس [الملك الجواد] على عماد الدين رجلا وقف (في الأصل وقف) له بقعة منقطا ، فسأله عماد الدين إلى القصص لياخذها من ذلك الرجل ، فضره ذلك الرجل بسكين فقتله . ثم قبض [الملك الجواد] على ذلك الرجل ، واحتقه مدة ، ثم أطلقه . وأظهر الملك الجواد الحزن الكثير على قتل عماد الدين ... وجهز الملك الجواد عماد الدين ، وحملت بجنازة إلى الجامع بدمشق ، وصل عليه فيه . وتأسف الناس وحزنوا لقتله ، رحمه الله .

(١) تقع هذه البلدة بين نابلس وبيسان ، وهي من أرض الأردن . (ياقوت : معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ١٨٠) .

عليه ذلك أوهمه نائبه عماد الدين قطع من أنه متى دخل مصر ، قبض عليه الملك العادل ، وطالبه أولاد عماد الدين ابن شيخ الشيوخ بدمه ، فامتنع من تسليم دمشق .

فبرز الملك العادل من القاهرة يريد دمشق ، يوم الثلاثاء مسلخ ذى الحجة ، ونزل بلييس .
(١) تخاف الجواد ، وعلم عجزه عن مقاومة العادل ، فبعث كمال الدين عمر بن أحمد بن هبة الله بن طلحة

- خطيب جامع دمشق ، إلى الملك الصالح نجم الدين أيوب ، صاحب حصن كيفا وديار بكر وغيرها من بلاد الشرق ، يطلب منه أن يتسلم دمشق ، ويروضه عنها سنجار والرقعة وعانة . فوقع ذلك من الملك الصالح أحسن موقع ، وأجابه إليه ، وزاده الجديفة ، وحلف له على الوفاء .
(٢) ورتب [الملك الصالح] ابنه الملك المعظم توران شاه على بلاد الشرق ، وألزمه الإقامة بمحس كيفا ، وأقام ثوابا بآمد وديار بكر ، وسلم حران والرها وجميع البلاد الجزرية لقوارضية الذين في خدمته ، وطلب نجدة من الأمير بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل — وكان قد صالحه — ، فبعث إليه [بدر الدين] نجدة .

- وسار [الملك الصالح] من الشرق يريد دمشق ، فقطع الجواد اسم الملك العادل من الخطبة ، وخطب للآل الصالح نجم الدين أيوب بن الكامل ، وضرب السكة باسمه . ودخل الصالح إلى دمشق ، في مستهل جمادى الأولى ، ومعه الجواد بين يديه بالناشية . وقد ندم [الجواد] على ما كان منه ، وأراد أن يستدرك الفأث فلم يقدر ، وخرج من دمشق والناس تلتمه في وجهه ، لسوء أثره فيهم . وبعث الصالح إليه برد أموال الناس إليهم ، فأبى وسار . و [كان قد] وصل مع

(١) بئر ضبط أو ققط في س ، وقد ترجم (Blochet : Op. cit. p. 43f) هذا القبط إلى (Talaha) .

(٢) بئر ضبط في س ، وهي اسم قلعة في كورة بين النهرين ، التي بين نصيبين والموصل ، وأعمالها منصبة بأعمال

حسن كيفا . (ياقوت : معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ٤٢) . هذا وفي ابن واصل (قص المروج ، ص ٢٢١) أن البلدة التي زادها الملك الصالح أيوب هي الحديثة ، وهي واردة هناك ببئر ققط البية . والحديثة اسم يطلق على مواضع عدة : منها حديثة الموصل ، وتقع على نهر دجلة ، قرب الزاب الأعلى ؛ وحديثة القرات ، وتعرف بحديثة النورة ، وهي على بضعة فراسخ من الأنبار ، والحديثة أيضا من قرى غوطة دمشق ، ويقال لها حديثة جرش . (ياقوت : معجم البلدان ،

ج ٢ ، ص ٢٢٢ — ٢٢٦) .

الصالح أيضا الملك المظفر صاحب حماة ، وقد تلقاه الجواد ، فكان دخوله يوما مشهودا ، فاستقر بقلعة دمشق .

ونخرج الجواد إلى بلاده ، فكانت مدة نيابته دمشق عشرة أشهر وستة عشر يوما ، صرف فيها الأموال التي كانت في خزانة الملك الكامل كلها ، وكانت تزيد على ستمائة ألف دينار مصرية ، سوى القماش وغيره ، وسوى ما ظلم فيه الناس من التجار والكتاب ، وسوى ما أخذه من صفى الدين بن مرزوق لما صدره ، وكان ينفى على خمسمائة ألف دينار .

فلما استقر الملك الصالح بدمشق سار المظفر إلى حماة ، وقدمت الخوارزمية ، فأنزلوا مدينة حمص - وهو معهم - مدة ، ثم فارقوها بغير طائل ، وعادوا إلى بلادهم بالشرق . وقد زوج الملك الصالح أخته من أمه ، وأبوها الفارس قليب مملوك أبيه الملك الكامل ، لمقدم الخوارزمية (٧٣ ب) الأمير حسام الدين بركة خان .

وفي أثناء ذلك تواترت رسل المظفر صاحب حماة إلى الملك الصالح يستعنه على قصد حمص ، وكتب الأمراء من مصر تستدعيه إلى القاهرة ، وتعهده بالقيام بنصرته . فبرز الملك الصالح من دمشق إلى البنية .

وكانت الخوارزمية ، وصاحب حماة ، على حصار حمص ، فأرسل [المجاهد أسد الدين] شريكوه مالا كثيرا فزقه في الخوارزمية ، فرحلوا عنه إلى الشرق ، ورحل صاحب حماة إلى حماة .

(١) الضمير عائد على الملك المنقر ، صاحب حماة . انظر ابن واصل (تقس المرجع ، ص ٣٢٢ ب) ، وأيضا مطر ١٤ هـ .

(٢) في ص "قلب" ، وبغير ضبط ، انظر ابن واصل (تقس المرجع ، ص ٣٢٠ ب) ، و (Blochet : Op. cit. p. 437) .

(٣) بغير ضبط في ص ، واسمها أيضا البنية ، وهي إحدى نواحي دمشق ، بينها وبين أذرعات . (بأوت : معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ٤٩٣) .

(٤) أخبف ما بين القوسين من ابن واصل (تقس المرجع ، ص ٣٢٢ ب) .

وعاد الملك الصالح الى دمشق طالبا مصر، وخرج منها الى الخربة^(١) وعيّد بها عيد الفطر، وعسكر تحت نَيْبَةِ الْعُقَاب^(٢)؛ وقد تغير فلا يدرى أينذهب الى حصن أم الى مصر، وما زال بمسكته الى أول شهر رمضان. فعاد الى دمشق، وتقدم الى الأمير حسام الدين أبي علي ابن محمد بن أبي علي [المذبذبي]^(٣)، أستاذاره بدمشق، أن يرسل بطائفة من العسكالى جيتين، فرحل، ولم يزل [هو] تحت عقبة الكرسي، على بحيرة طبرية، الى آخر رمضان.

فلما وردت الأخبار بحركة الملك الصالح الى القاهرة، خرج من أمراء مصر سبعة عشر أميراً — منهم الأمير نور الدين علي بن نغر الدين عثمان الأستاذار، والأمير علاء الدين بن الشهاب أحمد، والأمير عز الدين أيبك الكريدى العادلى، والأمير عز الدين بلان المجاهدى، والأمير حسام الدين لؤلؤ السعودى، والأمير سيف الدين بشطر الخوارزمى، والأمير عز الدين قضيب البان العادلى، والأمير شمس الدين سقندر الدينسرى^(٤) — فى عتدة كثيرة من أتباعهم وأجنادهم، وخلق من مقدى الحلقة والممالك السلطانية. وساروا يريدون الملك الصالح بدمشق.

(١) بنير ضبط فس، ويقصد المقرزى هنا خربة القوص (انظر ما يلى، ص ٢٨٢، سطر ١١)، وهى واقعة على الطريق بين دمشق وديان. (أبو شامة: كتاب الروتين، ص ١٦٢، فى Rec. Hist. Or. V.)
(٢) بنير ضبط فس، وهى بمنزلة طريق المسافر من دمشق الى حصن. (بافوت: معجم البلدان، ج ١، ص ٩٣٦).
(٣) أخيف ما بين القوسين من ابن واصل (قس المرجع، ص ٣٢٣). وكان الملك الصالح قد عين هذا الأمير أتابكا لولده الملك المظفر توران شاه، فلما عزم على الذهاب الى الديار المصرية، استدعاه اليه بدمشق، وأعادته الى أستاذارته، كما كانت من قبل، وبقى به فى كل الأمور. وهذا وكان من رجال الملك الصالح فى ذلك الوقت أيضا جمال الدين بن واصل، صاحب كتاب مفرج الكرب، وقد رافق السكر الصلاح الى مصر، وكذلك جاءه ابن زهير، الشاعر المشهور، وكان يتنقل عند الملك الصالح منصب كاتب الإنشاء. (ابن واصل: قس المرجع والصفحة، وأيضاً ص ٣٢٣ ب).

(٤) صححت هذه الأسماء، وكل قطب بعضها، بعد مراجعة ابن واصل (قس المرجع، ص ٣٢٣ ب)، وكذلك (Blochet: Op. cit. pp. 438-439). ويلاحظ أن الأسماء الواردة هنا تزيد بكثير عما ورد فى ابن واصل، وربما استقى المقرزى هنا من كتاب سير الأياد البطارقة. راجع (Blochet: Op. cit. p. 438. N. 5.)
(٥) كانت الجند السلطانية، زمن الأمير بين والممالك بمصر، مكونة من طيقتين، وهما الممالك السلطانية وأجناد الحلقة. وقد وصفها النقاشدى (صلى الله عليه وسلم)، ج ٤، ص ١٥٠ — ١٦٠، فقال إن الممالك السلطانية كانت عند السلطان "أعظم الأجناد شأناً، وأرفعهم قدراً، وأشدّهم الى السلطان قرباً، وأوفرهم اتصالاً، ومنهم تقرر الأمر له رتبة بتدريجه".

وذلك أن الملك العادل تقدم بتوجهه العسكر الى الساحل ، وقدم عليهم الركن الميجابوى ، وأفق فيهم . فلما نزلوا بليس اختلقوا ، وخامر جماعة من الأمراء على العادل ، وعزموا على المسير الى الملك الصالح . فبعث العادل إليهم الأمير نغر الدين بن شيخ الشيوخ ، وبهاء الدين مَلَكِيَشُو ، لطيب خواطرهم ، فلم يحيوا . وخرج من القاهرة عثة من الحلقة ، ومعهم طائفة ، ومنعوا من غلق باب النصر ، وساروا طائفة بعد طائفة على حجة .

فقطع العادل الى من بقى معه من الأمراء الأكراد بمحاربة من خامر عليه ببليس ، قبل قدوم هؤلاء عليهم . فاقتل الأكراد مع الأتراك ببليس ، [و] انكسر الأتراك المحاصرون ، وأخذ منهم أمير ، وانهمزم باقيهم وهم في طلبهم الى ناحية سُنَيْكَة . فلحق بهم من خرج من الحلقة ومضوا جميعا الى تل السجول ، وعادت الخزانة التي كانت معهم سالمة الى القاهرة . ثم بعثوا يطلبون من العادل المغوى ، فأمنهم وحلف لهم ، فلم يرجعوا ، وساروا الى الملك الصالح . فلما بلغوا غزاة أمر الملك الصالح أستاذاره بالعود الى خربة اللصوص ، وخرج [هو] ببقية عسكره من دمشق ، لليتين بقيتا من شهر رمضان .

== أما أجناد الحلقة فهم " عدد جم ، وخلق كثير ، ور بما دخل فيهم من ليس بصفة الجند ، من المتصمين وغيرهم ، بواصة الزول من الإقطاعات ... ولكل أربعين قسا منهم مقدم منهم ، ليس له عليهم حكم إلا إذا خرج العسكر [في الحرب] ، كانت مواقفه معهم ، وترتهم في موقعهم إليه . ومن الأجناد طائفة ثلاثة ، يقال لهم البحرية ، يبيتون بالقلعة ، وحول دهايز السلطان في السفر ، كالحرس . وأول من رتبهم ، وسماه بهذا الاسم ، السلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب ... " .
(١) كذا في س ، بضمه حل الميم فقط . وقد ترجم (Blochet : Op. cit. p. 440) هذا الاسم الى (Malkishou) .

(٢) في س " فيظن " ، والمقصود أن العادل أرسل رسالة — أى رسالة ، الى الأمراء . ولفظ رسالة ، وجمعه بطائى ، عرب الكلمة اليونانية بتا كيون . (محيط المحيط) . انظر أيضا القلندرى (صح الأعشى ، ج ٧ ، ص ٢٣١ ، وما بعدها) . (٣) في س " الفخاميرى " . (٤) بنى ضبط في س ، أوفى ياغوت (معجم البلدان ، ج ٣ ، ص ١٧١) . وهي قرية بالشرقية ، بين بليس والبابية ، حل الشاطئ للقبلى لقرعة بصلط ، والها ينسب شيخ الإسلام زكريا الأنصارى ، فاضى فضاء الشافعية في دولة السلطان الأغرف قايتباى ، ومؤلف كتاب المنهج وفتح المتأخر في مذهب الإمام الشافعى . (مبارك : الحلط الترفيقية ، ج ١٢ ، ص ١٢ — ١٣) .

ونزل [الملك الصالح] الخربة، ووصل الأمير نور الدين بن نجر الدين بن معه، فسرهم سرورا كثيرا . وأخذوا في تقوية عزمه على قصد مصر، فرحل واستولى على نابلس والأغوار، وأعمال القدس والسواحل؛ وبعث ابنه الملك المغيث فتح الدين عمر إلى دمشق؛ وأقطع من قدم عليه من أمراء مصر نابلس وأعمالها، ليتقوا بمَنَّلها . فخرج الناصر داود من مصر، وصار إلى الكرك .

فازرع الملك العادل وأمه لقدم الصالح ازتعابا عظيما، وخافاه خوفا كبيرا، واضطربت مصر اضطرابا زائدا . وخرج نجر القضاة نجم الدين بن بصافة في الرسالة إلى الملك الصالح من الكرك عن الناصر داود : بأنه في نصره الملك الصالح ومعاوته، ويسأله دمشق وجميع ما كان لأبيه . فلم تقع موافقة على ذلك، فسار [الناصر] إلى الملك العادل، ونزل بدار الوزارة من القاهرة، ليعينه على محاربة أخيه الملك الصالح .

فقدم في ذي الحجة صاحب محبي الدين بن الجوزي، برسالة الخليفة إلى الملك الصالح، لبصالح أخاه الملك العادل، فأجَّل [الملك الصالح] قدومه إجلالا (١٧٤) كثيرا . ومع ذلك فإن كتب الأمراء — وغيرهم — ترد في كل قليل على الملك الصالح من مصر، تعده بالقيام معه، وأن البلاد في يده، لاتفاق الكلمة على سلطته .

وفيها مات المنصور ناصر الدين أرق بن أرسلان التركماني الأرتقي، صاحب ماردین، — قتل ابنه وهو سكران، واستولى بعده على ماردین .

وفيها وقعت بين جرم وجذام وتلبة بالشرقية حروب قتل فيها كثير منهم، وقتل شيخهم شمش بن نجم . فجرد الملك العادل إليهم الأمير بهاء الدين بن ملكيشو، ليصلح بينهم . وكان السلطان في بلبيس، قد خرج في سلع ذي الحجة من قلعة الجبل، بساكر مصر .

(١) ليس فيما سبق هنا، أوفى ابن واصل، أوفيه من المراجع المتداولة في هذه الحرائق، ما يدل على أن الناصر داود ذهب إلى القاهرة، قبل مقاومة الملك الصالح أولا، كما يستنتج مما يلي، سطر ٩ . (٢) في "خاتمه" .

(٣) بنير ضبط في س، واسمه في ابن واصل (نفس المربع، س ١٣٢٣) نجر الدين نصر الله بن بركة .

(٤) في س "شمش بن نجم"، وبنير ضبط . وقد أحصى الفقهشي (صبح الأعشى، ج ٤، ص ٦٧ وما بعدها) القبائل العربية بنو الحار المصيرية، غير أنه ليس بين أسماء أمراء القبائل التي أوردتها ما يساعد على ضبط هذا الاسم، أو تعيين القبيلة التي كان منها .

* * *

سنة سبع وثلاثين وستمائة . أملت والملك العادل على بليس بمساكره يريد الشام ، لمحاربة أخيه الملك الصالح . فأقام على بليس ، فقصد الأمراء القبض عليه ، وعمل بعضهم دعوة ، وحضر إليه العادل . ففطن بما هم عليه ، فقام [و] دخل الخريشته لقضاء الحاجة ، ونرج من ظهر الخريشته ، وركب فرسا وساق إلى القلعة . فبعث إليه الأمراء يطلبونه ، فأظهر أنه ما دخل القاهرة إلا لكسرة الخليج ، وأنه سيعود إليهم . ثم أبلغته الضرورة حتى خرج إلى العباسية ، في رابع عشر المحرم ، وقبض على جماعة من الأمراء .

وفي نصف صفر توجه الناصر داود من العباسية إلى الكرك ، وصحبته [الأمير سيف الدين علي] بن قليج ، وجماعة من أمراء مصر . فبلغ العادل عن نغر الدين يوسف بن شيخ الشيوخ أنه يكتب الصالح ، فقبض عليه واعتقله . وهذا وعي الدين أبو المظفر يوسف ابن الشيخ جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي أخذ في الإصلاح بين الملوك ، على أن تكون دمشق للصالح [نجم الدين أيوب] ، ومصر للعادل ، وأن يُرد إلى الناصر داود ما أخذ من بلاده . وكان [عبي الدين بن الجوزي] مقبياً عند الصالح ، وابنه شرف الدين يتردد من نابلس إلى مصر في السفارة ، حتى تقارب الأمر . ثم قدم [عبي الدين] إلى مصر ، ومعه جمال الدين يحيى بن مطروح ، ناظر ديوان الجيوش لذلك الصالح ، فأقيا الرسالة ، وأقاما عند الملك العادل .

(١) على هذا في ص عبارة مشطوبة بخط مستقيم ، ونصها : "وقدم طائفة إلى طرف الرمل ، ومعه الناصر داود" . ويوجد في ابن واصل (قس المرجع ، ص ٣٢٥ ب) ما يقابل هذه العبارة ، غير أنها لم تثبت هنا في المتن ، احتراماً لإرادة المقرئ .

(٢) في "الترشيد" بغير ضبط ، وهو قنطاري ، ومعناه الخفية . (Steingass: Pers.-Eng. Dict.).

(٣) كتب المقرئ (المواظ والاحبار ، ج ١ ، ص ٤٧٠ — ٤٧٩) . انظر أيضاً المقرئ (قس المرجع والجزم ، ص ٤٩٣ ج ٢ ، ص ١٨٥) فضلاً عن ذكره ما كان يعمل بالقاهرة ومصر يوم كسر الخليج أيام التاتاريين .

(٤) في ص "وهود لهم" .

(٥) أضيف ما بين القوسين من ابن واصل (قس المرجع ، ص ٣٣٠ ب) .

(٦) أضيف ما بين القوسين من ابن واصل (قس المرجع ، ص ٣٢٥ ب) .

- وكان قد أخذ الصالح يكتب عمه الملك الصالح عماد الدين إسماعيل في الوصول إليه بنابلس، وبعث إليه الطيب سعد الدين الدمشقي، ومعه حمام ليسرح إليه بالبطائق على جناحها ما يتجدد. فاتفق أمر عجيب: وهو أنه لما وصل [سعد الدين] إلى قلعة بعلبك أنزله الصالح عماد الدين إسماعيل بنار، وبذل عوض الحمام [الذي في قصص سعد الدين] بحمام آخر، من حمام القلعة بعلبك. وأخذ [الصالح عماد الدين] في التدبير على أخذ دمشق، وارتاعها من يد ابن أخيه الملك الصالح نجم الدين أيوب، وأرسل جواسيسه سرا إلى ابن أخيه الملك العادل، بما عزم عليه من أخذ دمشق، وأنه متم إليه وفي طاعته، وإذا ملك دمشق خطب له على منابرها، وضرب السكة باسمه. وكتب [الصالح عماد الدين إسماعيل] أيضا إلى المجاهد — صاحب حمص — في معاوته؛ وهو يواصل كتبه مع ذلك إلى الملك الصالح نجم الدين، بعده بالوصول إلى نصرته. وشرع [الصالح عماد الدين] في جمع الرجال، فظن بذلك الطيب سعد الدين، وكتب البطائق على أجنحة الحمام بهذا الأمر إلى الملك الصالح نجم الدين. فكان كما سرح [سعد الدين] منها طائرا وقع في برجه بقلعة بعلبك، فأتى به السراج إلى الملك الصالح عماد الدين. ثم إن الصالح عماد الدين زور بطاقة عن الطيب سعد الدين: فيها "إن المولى الملك الصالح عماد الدين في الاهتمام للسير إلى المسكر المنصور، وإنه باق على الطاعة"؛ وسرح هذه البطاقة (٧٤ ب) المزورة على جناح طائر من الطيور التي وصلت مع الطيب سعد الدين. فلما وقف عليها الملك الصالح نجم الدين، ظن أنها من عند رسوله، فطاب قلبه. ووالى الصالح عماد الدين إرسال البطائق المزورة، وكلما سرح الطيب طائرا بطاقة وقع في قلعة بعلبك، فيصل إلى الصالح عماد الدين.

- واتفق مع ذلك أمر آخر من عجيب ما يحسرى: وهو أن المظفر صاحب حماة كان متميا إلى الصالح نجم الدين، ومهما بنصرته، ويخطب له في بلاده؛ [وكان] الحليون (١) أخيف ما بين القوسين بعد مراجعة ابن واصل (نفس المربع، ص ١٣٢٦)، هذا وعيادة السلوك هنا تشبه ما يقابلها في ابن واصل (نفس المربع ٣٢٥ ب — ١٣٢٦)، في ترتيب الحقائق والتفاصيل. والراجح أن القرطبي استقن هنا من ابن واصل، غير أنه تسبب تغيير بعض الألفاظ، وتعديل بعض الجمل.

والمجاهد صاحب حصص معاندين له ^(١) ، ومساعدين عليه . فعلم المظفر صاحب حماة ما عليه خاله الصالح عماد الدين صاحب بعلبك ، من قصد دمشق ، وموافقة المجاهد صاحب حصص له . وكانت عساكر دمشق مع الصالح نجم الدين [أيوب] على نابلس ، وهم خمسة آلاف ، وليس بدمشق من يحفظها ، يخاف الملك المظفر صاحب حماة على دمشق ، وباطن الأمير سيف الدين [عل] بن أبي علي [المذباني] على أنه يظهر الحرد ^(٢) [عليه] ويفارقه ، ويومئذ أكبر البلد بأن المظفر قد عزم على تسليم حماة إلى الفرنج ، لما حصل عنده من الثمن من المجاورين له ، وأخذ بلاده منه . وقصد المظفر بهذه الحيلة مكيكة صاحب حصص ، وأن الأمير سيف الدين إذا ذهب بالمسكر وأكابر الرعية إلى دمشق أقاموا بها وحفظوها ، حتى يتوجه الملك الصالح إلى مصر ، أو يعود إلى دمشق . فأنظر سيف الدين

(١) في ص "معاونون له ومساعدون" ، وإنما طلب التغير الوارد بالمتن ، إضافة فعل "كان" بين القوسين ، بالصفحة التالية سطر ٣٠ ، وذلك لاتسجام العبارة كلها .

(٢) في ص "برعل" ، انظر ابن واصل (قوس المرجع ، ص ١٣٢٧) ، وأضيف ما بين القوسين من قسم المرجع والصفحة . وهذا الأمير سيف الدين هو أخو الأمير حسام الدين بن أبي علي ، وأرباب ، وقد تقدم ذكره هنا . (انظر ص ٢٨١ سطر ٤ ؛ وكذلك ابن واصل : قوس المرجع ، ص ١٣٢٨) .

(٣) معنى الحرد هنا الغضب ، والفعل حرد ، وهو لازم ويصحب بحرف الجر "عل" . (محيط المحيط) .

(٤) في ص "الصالح" انظر ابن واصل (قوس المرجع ، ص ١٣٢٧) .

(٥) عبارة المقرئ في هذا ليست واضحة تماماً ، وهذا لأنه قصد اختصار ما جاء في الأصل الذي يرجع أنه نقل منه ، وهو ابن واصل (قوس المرجع ، ص ٣٢٦ ب — ١٣٢٧) ، فغير المتنى قليلاً . وهذا نص ما ورد في مفرج الكروب ، مصححاً : "قال جمال الدين بن واصل صاحب هذا التاريخ : ومن الفرائض التي وقعت في هذه السنة ما نذكره الآن ، وهو أن كما قد ذكرنا آتياً ، الملك المظفر ، صاحب حماة ، إلى ابن خاله السلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب ، وأنه ماضى جيرانه كلهم بسبب الائتلاء إليه ، وإلى والده من قبله . وبلغه أن الملك الصالح عماد الدين إسماعيل صاحب بعلبك ، قد اتفق هو والملك المجاهد صاحب حصص ، على قصد دمشق وأخذها من الملك الصالح نجم الدين أيوب . وتحقق [المظفر] أن الملك الصالح مقيم بنابلس في المساكن كلها ، وأنه لم يترك بدمشق مع ولده الملك المنبث [حضر] عسكرياً يحفظها ، وأنه متى قصد صاحب حصص وصاحب بعلبك (١٣٢٧) أخذت لا محالة ، فرأى [المظفر] من المصلحة أن يسير جماعة من عسكره وأهل بيته يحفظونها . وكان الأمير سيف الدين علي بن أبي علي المذباني غالباً على أمره كله ... فانفق الملك المظفر مع سيف الدين علي بن أبي علي ، أن يظهر سيف الدين الحرد على الملك المظفر =

الغضب على المظفر، وأخذ قطعة من العسكر، ومن أكابر حماة، ونرج فصار حتى نزل على حصص، عند بحيرة قدس. فلم يخف على المجاهد صاحب حصص ما دبره المظفر من مكيدته، ونرج من حصص، وبست إلى الأمير سيف الدين يريد الاجتماع به. فأتاه [سيف الدين] مغردا، وأعلمه بأنه كره مجاورة المظفر، لما هو عليه من الميل للفرنج، والعزم على تسليمهم حماة. فأظهر له [الملك المجاهد] البشر ولاطفه، واستدعاه إلى ضيافته بداخل حصص. فلما صار به إلى القلعة، استدعى أصحابه ليتزلوا في البلد، فدخل بعضهم وامتنع بعضهم من الدخول إلى حصص. فلما تمكن المجاهد من الأمير سيف الدين قبض عليه، واعتقله هو ومن دخل من أصحابه، وفر الباقيون. فهاجم [المجاهد] من صار في قبضته أشد العقوبة، واستصنى أموالهم، وما زال بسيف الدين حتى هلك. فضمف المظفر لثلف رجال عسكره.

- ١٠ وسار الصالح عماد الدين - ومعه المجاهد - إلى دمشق في جمع كبير، وأخذها وأظهرها طاعة الملك العادل (١٧٥) صاحب مصر؛ وكان ذلك في صايع عشرين صفر. ثم ملكا قلعة دمشق، واعتقلا الغيث بن الصالح نجم الدين.

- فبلغ ذلك الملك الصالح وهو بنابلس، فكتب الخبر، وقدم الأمير حسام الدين محمد بن أبي حل الهذباتي أستاذاره في جماعة، وسار بعده يريد دمشق. فلما وصل ابن أبي حل إلى الكسوة علم بأخذ دمشق من يدهم، فرجع إلى الصالح - وقد نزل بيسان - فأعلمه الخبر،

ومفارقه، ويوم سيف الدين أكابر حماة بأن الملك المظفر قد عزم على تسليم حماة للفرنج، لما قد حصل عنده من التين من إساءة المجاورين له، وضد أخذ بلده. وتصد الملك المظفر وسيف الدين، بهذا الذي اتفقا عليه، أن تم هذه الحيلة على الملك المجاهد صاحب حصص، فلا يتعرض لسيف الدين، ولا للعسكر الذي معه، ولا لأكابر حماة، الذي (كذا) معه أيضا، حتى يعضوا إلى دمشق، فيحفظوها لملك الصالح نجم الدين أيوب إلى أن يملك الديار المصرية، ويرجع إلى دمشق.

(١) كان من وقع في قبضة الملك المجاهد أيضا الحكيم زين الدين سعد الله بن سعد الله بن واصل، وهو ابن عم مؤلف مفرج الكرب. (انظر ابن واصل: نفس المرجع، ص ١٣٢٨).

(٢) في س "تلائن". (٣) و (٤) في س "يرجع".

(٥) كذا في س، وعجالة "من يدم"، غير لازمة، على أنها أقيمت محافظة على المتن.

وسار معه حتى وصل القصير المعني من النور . فاشتهر عند العسكر أخذ دمشق ، لورود مكاتبات الصالح عماد الدين إليهم ، باستمالتهم إليه . ففسدت نياتهم ، وطعموا في الملك الصالح نجم الدين ، ثلاثي أمره ، وفارقوه . فبق [الصالح نجم الدين] في دون المائة من أمرائه وأجاده ، وتركه من كان معه من أهل بيته وأقاربه ، وتركه أيضا بدر الدين قاضي سنجار — وكان أخص أصحابه . وصاروا كلهم الى دمشق ، وقد أسوا من أن يقوم بعدها للصالح [نجم الدين] قائمة . وثبت معه الأمير حسام الدين بن أبي علي ^(٢١) أمستاداره ، وزين الدين أمير جانداره ، وشهاب الدين بن سعد الدين ^(٢٢) كورجا — وكان أبوه سعد الدين ابن عمه الملك الكامل — ، والأمير شهاب الدين البواشي ^(٢٣) ، ونحو الثمانين من مماليكه ، وثبت معه أيضا كاتبه بهاء الدين زهير . وهرب الطواشي شهاب الدين فاجر ، وأخذ معه شيئا كثيرا من قماش الصالح ، وعدة من مماليكه الصغار وغلمان ، وصار مع من لحق بدمشق .

فقت في عضد الصالح مفارقة المسكره ، وأيقن بزوال أمره . ورحل في الليل ، فلقبه طائفة من العربان يريدون أخذه ، فخار بهم بمن معه ، حتى خلص منهم الى نابلس ، فقتل بظاهرها .

ولما وصل العسكر المحاصر على الصالح [نجم الدين] الى دمشق ، قبض الملك الصالح عماد الدين على أخويه [الملك المعز] [نجيب الدين] [يعقوب] ، و [الملك الأجدد] [نقي الدين]

(١) القصير المعني هو قصر معين الدين ، راجع ابن واصل (نفس المرجع ، ص ٣٢٩) .

(٢) كان ابن واصل ، مؤلف كتاب مفرج الكرب ، (نفس المرجع ، ص ٣٢٩ ب) من فاروق الى دمشق مع حاكم الملك الصالح نجم الدين أيوب ، وقد أشار الى هذا بعبارة لطيفة نصها : "وكننت أما مع العسكر الذين دخلوا الى دمشق ، خواريت ، ولم أظهر خوفا من صاحب حصص" . (٣) في من "يوعل" .

(٤) ضبط هذا الاسم على منطوقه في (Blochet : Op. cit. p. 449) ، وهو في ابن واصل (نفس المرجع ، ص ٣٢٩ ب) شهاب الدين بن سعد الدين بن كمي (٥) .

(٥) ضبط هذا الاسم على منطوقه في (Blochet : Op. cit. p. 449) ، ويظهر أن النسبة الى البواشي ، وهو جمع باشق ، والباشق طائر حسن الصورة صغير الجثة ، تصطاد به الصائير ، وهو سرب القطط الفارسي بأشبه . (محيط المحيط) .

[عباس]؛ واعتقل الأمراء المصريين [أيضا] : وهم عز الدين أبيك الكردي^(٢١)، وعز الدين قضيبي البان، ومستقر الدينمري، وبلبان المجاهدي، وتوجه نور الدين بن غفر الدين عثمان إلى بغداد .

وافتح تغير الملك العادل على الناصر داود، فحارقه من بليس - وصحبته الأمير [سيف الدين] على بن قلع -، وسار إلى الكرك، وكاتب الصالح نجم الدين ووعده النصرة، (وكان ذلك خدعة منه) . ثم سار [الناصر] إلى نابلس بمساكره، وقبض على الملك الصالح نجم الدين، ويقال بل بعث إليه من أخذه، بعد ما صار وحده، وأركبه على بغلة في إهانة^(٢٢)، بغير مهماز ولا مقرعة، في ليلة السبت ثاني عشر ربيع الأول .

وبعث [الناصر] به إلى الكرك، ولم يترك معه غير مملوك واحد، يقال له ركن الدين بيبرس، وبعث معه جاريته شجر الدر، أم ولده خليل، وأنزله بالقلة، وقام له بجميع ما يحتاج إليه، بحيث لم يختل من حاله سوى أنه فقد الملك قطع^(٢٣) .

وأقام بهاء الدين زهير عند الناصر داود، هو وجماعة المبالك، بعد ما خبرهم فاختاروا (٧٥ ب) الإقامة عنده . وطلب الأمير حسام الدين بن أبي علي، وزين الدين أمير جاندار، [من الناصر] المسير إلى دمشق فسيرهما؛ وعند ما قدما دمشق اعتقلهما الصالح عماد الدين . وفي سابع عشر ربيع الأول عاد الملك العادل إلى القاهرة، بعد ما بعث الركن ...^(٢٤) ١٥ الميجابوي على جماعة، لحفظ الساحل . فلما بلغ الملك العادل ما جرى على أخيه - من أخذه

(١) أضيف ما بين القوسين من ابن واصل (نفس المربع، ص ٣٢٩)، وكان المكان من فارق الصالح نجم الدين أيوب إلى دمشق . (٢) تقدم اسم هذا الأمير، في ص ٢٨١، سطر ٨، حيث كتبه القرزى "الكردي" .

(٣) أضيف ما بين القوسين بعد مراجعة ابن واصل (نفس المربع، ص ٣٣٠ ب - ٣٣١ أ) .

(٤) في س "أهه" .

(٥) يرجد فوق هذا القطع في إشارة إلى عبارة بهاس الصفحة، وليس ثمت ما يدل عليه هذه الإشارة سوى كلمة "الناصر"، وهي شطوبة .

(٦) في س "يويل" - (٧) يياض في س .

ذليلاً، ونهب أمواله، ومجنه بالكرك — مَرَّه ذلك سروراً كثيراً، وظن أنه قد أمن . ونودي
بزينة القاهرة ومصر فزيّنا، وعَمِلَ مماطاً عظيماً في الميدان الأسود تحت قلعة الجبل؛ وعمل
قصوراً من حلى، وأحواضاً من سكر ولبنون، وألغا ونحمة رأس شواء، ومثلها طعاماً؛
فكان ما عمل من السكر ألف ونحمة أبلوجة . ونادى [الملك العادل] في العامة بالخضور
إلى السباط، فحضر الجليل والحقير . وبلغ ذلك الصالح نجم الدين، وهو معتقل بالكرك .

ولم يقع الملك العادل بسجن أخيه، حتى [أنه] بعث الأمير علاء الدين بن التابلسي إلى الناصر
داود، يطلب منه أن يبعث إليه بأخيه الصالح في قفص حديد تحت الاحتفاظ، ويئذله
في مقابلة إرساله أربعمائة ألف دينار ودمشق؛ وحلف على ذلك أيماناً عظيمة . فلما وصل
الكتاب إلى الناصر أوقف عليه الملك الصالح، وأدخل إليه بالقاصد الذي أحضره . ثم كتب
[الناصر] إلى الملك العادل : ” وصل كتاب السلطان، وهو يطلب أخاه إلى عنده في قفص
حديد، وأنت تعطيني أربعمائة ألف دينار مصرية، وتأخذ دمشق من هي بيده، وتعطيني
إياها . فأما الذهب فهو عندك كثير، وأما دمشق فإذا أخذتها من هي معه، وسأبتها إلى“،
صليت أخاك إليك . وهذا جوابي والسلام“ .

فلما ورد هذا الجواب على الملك العادل أمر بتجهيز المسافر، ليخرج إلى الشام؛ ونخرج
محيي الدين بن الجوزي من القاهرة، ومعه جمال الدين بن مطروح رسول الصالح نجم الدين،
و[كان] قد استجار به، بعد ما قبض على الصالح نجم الدين ومجنه بالكرك .

وكتب الناصر داود إلى آبن عمه الملك الصالح نجم الدين أيوب، وهو محبوس عنده
بالصرك :

(١) ليس في ابن واصل (قس المرجع، ص ٣٢٢ أ) شيء من تفاصيل هذا التفرج؛ ويستدل من أمثال هذه
الزيادات، التي اقتصرت على السلوك من مفرج الكرب، أن المقرئ — بفرض اعتاده على كتاب ابن واصل أحياناً —
لم يحذف بذلك المرجع وحده .

(٢) في ص ”ملت“ . (٣) لا يوجد في ابن واصل (قس المرجع، ص ٣٢٢ أ) شيء من نص هذا
الجواب، أو أي إشارة إلى إرساله من عند الناصر، وهذا مثل آخر للقارة بين محتويات السلوك ومفرج الكرب .

(٤) خير الماء، مما طالع على محي الدين بن الجوزي . راجع ابن واصل (قس المرجع، ص ٣٢٢ ب) .

وإذا مَسَّكَ الزمانُ بضرٍ عَظُمَتْ عنده الخُطوبُ وبيَّثَتْ
وتوالَتْ منه نواثِبُ أخرى سَمِعَتْ عندها النفوسُ ومَلَّتْ
فاصطَبِرْ وانتظرْ بلوغَ الأمانِ فالزَّايَا إذا توالَتْ تولَّتْ

وهذه الأبيات لغيره . فكتب إليه الصالح [نجم الدين أيوب] يشكوه، وكتب فيما كتب
إليه أبيات شمس المعالي قابوس وشمكير^(١) :

قل للذي بصروف الدهر صيرنا هل حارب الدهر إلا من له خطر
أما ترى البحر تطفو فوقه جيف ويستقر بأقصى قعره الدرر
وإن تكن عبثت أيدي الزمان بنا وما لنا من تمادى يؤسه ضرر
ففي السماء نجسوم لا عداد لها وليس يكسف إلا الشمس والقمر

وزاد فيها الرشيد النابلسي :

وكم على الأرض من خضرَاء مودقة وليس يرجم إلا ما له ثمر

وفي أثناء هذا الاختلاف بين الملوك عَمَّر الفريخ في القدس قلعة، وجعلوا برج داود أحد
أبراجها، وكان قد تَرَك لما حَرَّب الملك المعظم أسوار القدس . فلما بلغ الناصر داود عمارة
هذه القلعة سار إلى القدس، ورمى عليها بالمجانيق حتى أخذها، بعد أحد وعشرين يوما —

في يوم تاسع جمادى الأولى — عتوة، بمن معه من عسكر مصر . وتأخر أخذ برج داود إلى
خامس عشره، فأخذ [من الفريخ] صلحا على أنفسهم دون أموالهم . وهدم [الناصر]^(٢) برج
داود، واستولى على القدس، وأخرج منه الفريخ، فصاروا إلى بلادهم .

وانفق يوم فتح القدس وصول محي الدين بن الجوزي إلى [الملك الناصر داود]، ومعه
جمال الدين [بن] مطروح . فقال [جمال الدين بن مطروح، يمدح الملك الناصر داود، ويذكر

(١) كما في ص .

(٢) أضيف ما بين القوسين بعد مراجعة ابن واصل (نقى المربع، ص ٣٢٢ ب) .

(٣) في ص "أله"، وقد حذف الضمير وأثبت ما تحته لتوضيح، وذلك بعد مراجعة ابن واصل (نقى المربع

والصفحة) .

مضاياهاته لعمه الملك الناصر صلاح الدين يوسف، في فتح القدس، مع اشتراكهما في اللقب والفعل، وهو معنى لطيف مليح :
 (١)

المسجد الأقصى له عادة سارت فصارت مثلاً سائراً
 إذا غدا بالكفر مستوطناً أن يبعث الله له ناصراً
 فناصر طهره أولاً وناصر طهره آخراً

وفي يوم الأحد رابع عشر ربيع الأول، وقع بين الفرنج وبين السكر المصري المقيم بالساحل حرب، انكسر فيها الفرنج، وأخذ [من الفرنج] ملوكهم وأكادهم، وممانون فارساً وماتان ونمسون راجلاً - وصلوا إلى القاهرة، وقُتل منهم ألف وثمانمائة، ولم يقتل من المسلمين غير عشرة .

ثم سار ابن الجوزي إلى دمشق، وحاول إصلاح الحال بين الصالح عماد الدين، وبين الناصر داود، وبين الملك العادل . فلم يأت له ذلك، فعاد إلى القاهرة في رمضان، وقد وصل الملك ابن سنقر بخمسة الملك العادل وابنه، وأمه وامراته وكتبه .

ونزل ابن مطروح عند المظفر بجماة، فبعثه في الرسالة إلى الخوارزمية بالشرق، يستحثهم على القيام بنصرة الملك الصالح نجم الدين، واستصحب معه أيضاً رسالة الناصر داود، [ومنها]:
 (٢) "إني لم أترك الملك الصالح بالكوك إلا صيانة لمهجته، خوفاً عليه من أخيه الملك العادل، ومن

(١) أضيف ما بين القوسين من ابن واصل (نفس المراجع، ص ٣٣٢ ب - ٣٣٣ أ) وقد قبلت الأبيات التالية على نصها في فريض الكرب أيضاً . (٢) في "ملوكهم" . (٣) لا يوجد في المراجع المتداولة في هذا الحواشي، ما يدل على أسماء الملوك والأstad (جمع كند، وهو عرب لفظ comte)، الذين ينجح المقرري هذا عنهم . أما أصل هذا النشاط الحربي فهو أن الهدنة بين المسلمين والصليبيين، منذ أيام السلطان الملك الكامل والإمبراطور فردر يك الثاني، كانت قد انتهت . وقد وصلت حملة صليبية إلى الشام، سنة ٦٣٧هـ (١٢٣٩ م)، وكان أم فوادها (Theobald Count of Champagne and King of Navarre) راجع (Stevenson: Crusaders In The East, p. 713). هذا وقد (Blochet : Op. cit. p. 453-454) أخبر مطولة عن حركات الفرنج ذلك السنة، وعمما وقع لأسرام بالقاهرة، وهي مترجمة من كتاب سير الأبد البطارية .

(٤) في "باني" .

عنه الملك الصالح عماد الدين ؛ وسأخرجه وأملكه البلاد ، فتحركوا على بلاد حلب ، وبلاد حمص . " فسار إليهم [ابن مطروح] وقضى الأمر معهم ، وعاد الى حماة .

فاتفق موت الملك المجاهد أسد الدين شيركوه بن ناصر الدين محمد بن شيركوه ، صاحب حمص ، يوم التاسع عشر من شهر رجب ، فكانت مدة ملكه بحمص نحواً من ست وخمسين سنة . وقام من بعده ابنه الملك المنصور ناصر الدين إبراهيم ، واتفق مع الصالح عماد الدين على المعاهدة .

فصار الناصر داود مواحشاً للملك العادل ، بسبب أنه لم يرافقه على أخذ دمشق ؛ والملك العادل مواحشه ، لأنه لم يسامه الملك الصالح نجم الدين ؛ والناصر أيضاً مواحشاً للصالح عماد الدين ، ويهتده بأنه يطلق الملك الصالح نجم الدين ، ويقوم معه في أخذ البلاد ؛ والمظفر صاحب حماة لا يخطب للعادل من حين قطع الخطبة للصالح نجم الدين ، لميله الى الصالح نجم الدين . ١٠ فلما دخل شهر رمضان ، سير المظفر القاضي شهاب الدين إبراهيم بن عبد الله بن عبد المنعم ابن أبي الدم - قاضي حماة - رسولاً الى الملك العادل بمصر ، وحمله في الباطن رسالة الى الناصر داود بالكرك ، أن يطلق الصالح نجم الدين ، ويساعده على أخذ البلاد . فبلغ [القاضي شهاب الدين الملك] الناصر ذلك ، وتوجه الى مصر .

فأفرج الناصر داود عن الملك الصالح نجم الدين ، في سابع عشر من رمضان ، واستدعاه إليه ، وهو بنابلس . فلما قدم عليه التقاه وأجله ، وضرب له دهليز السلطنة ، واجتمع عليه مما يليكه وأصحابه ، الذين كانوا عند الناصر : منهم الأمير شهاب الدين بن كوجبا ، وشهاب الدين بن النرمس ، وكتابه بهاء الدين زهير . وتقدم الناصر للخطيب بنابلس في يوم عيد الفطر ، فخطب ^(١) للملك الصالح ، وأشاع (٧٩ ب) ذكره . وسار [الناصر داود والصالح نجم الدين] الى القدس ،

(١) أخيف ما بين القوسين به مراجعة ابن واصل (قس المرجع ، ص ٢٣٣ ب) .

(٢) أخيف ما بين القوسين به مراجعة ابن واصل (قس المرجع ، ص ١٣٣ ا) .

(٣) في "النرمس" ، انظر ابن واصل (قس المرجع ، ص ١٣٣ ا) . (٤) في "وساروا" .

(٥) كان النرمس من ذهاب الصالح والناصر الى القدس ، أن يخطف كل منهما لصاحبه على الصخرة المقدسة .

ابن واصل (قس المرجع ، ص ١٣٣ ا) .

وتحالفا على أن تكون ديار مصر للصالح، والشام والشرق للناصر، وأن يعطيه ما تتي ألف دينار . فكانت مدة اعتقال الملك الصالح سبعة أشهر وأياما .

ثم سارا إلى غزة، فورد الخبر بذلك على الملك العادل بمصر، فانزعج وأمر بخروج الدهليز السلطاني والعساكر، وبرز إلى بليس في نصف ذى القعدة، وكتب إلى الصالح عماد الدين أن يخرج بمساكر دمشق، فخرج الصالح عماد الدين بمساكره إلى القوار . تخاف الملك الصالح والملك الناصر من لقاء عساكر مصر والشام عليهما ، ورجعا من غزة إلى نابلس، ليتحصنا بالكرك .

وكان الملك العادل قد شره في اللعب، وأكثر من تهديم الصبيان والمسائر وأهل اللهو، حتى حسبت نفقاته في هذا الوجه خاصة ، فكانت ستة آلاف ألف وعشرين ألف ألف درهم، وأعطى [العادل] عبدا أسود، عمله طشت داره، يعرف بابن كرسون، منشورا

(١) لم يرد هذا الشرط الأخير في ابن واصل (تقس المربع، ص ٣٣٦)، والمراجع أن الصالح هو الذي وعد الناصر بما تتي ألف دينار .

(٢) جمع سخرة، وهو الشخص الذي تسخر الناس معه، أو الهول الذي يلعب لإضحاك النظارة (personne dont on se moque, dont on se joue, marmouset, petit garçon, petit homme mal buffon, baladin) . (Dozy : Suppl. Dict. Ar.) انظر fait, ..

(٣) كانت وظيفة الطشت دار من الوظائف الصغرى، وصاحبها تابع الطشت خاتاه السلطانية، وهي حسابا جاء في القلقشندي (صبح الأضنى، ج ٤، ص ١٠ - ١١) "بيت الطشت، سميت بذلك لأن فيها يكون الطشت الذي تفصل فيه الأيدي، والطشت الذي ينسل فيه القماش [السلطاني] ... وفي الطشت خاتاه يكون ما يليه السلطان، من الكورة والأقية وسائر الثياب، والسيف والخلف والرموزة، وغير ذلك . وفيها يكون ما يجلس عليه السلطان، من المقاعد والخضاد والسجادات التي يصل عليها، وما شاكل ذلك . وفيها أيضا مهتار من كبار المهتارية، يعرف بمهتار الطشت خاتاه، وتحت يديه عدة ظنان، بعضهم يعرفون بالطشت دارية، وبعضهم يعرف بالزخترانية" . انظر أيضا (تقس المربع، ج ٥، ص ٤٦٩) . هذا والطشت لفظ عام، وصوابه الطشت، أو الطس، وكلاهما معرب اللفظ الفارسي تست، وهو إتاء، فعل اليد - (محيط المحيط) .

(٤) ضبط هذا الاسم على منطوقه في (Blochet : Op. cit. p. 458) .

(٥) المنشور في مصطلح النورليني الأيوبية والممالك بمصر، عبارة عن أمر سلطاني مكتوب بالخط من أرض أو مال، أو غير ذلك . وكانت المنابر على أربعة أصناف، يكتب كل صنف منها في قطع معين من الورق، يختلف باختلاف طوائف رجال الدولة . (القلقشندي : صبح الأضنى، ج ١٣، ص ١٥٨ وما بعدها) .

بجسين فارسا ، فلما خرج به من باب القلعة^(١) بقلمة الجبل وجده الأمير ركن الدين الهبيلاوى ، أحد الأمراء الأكابر ، فأراه المنشور، فحق وصكه في وجهه، وأخذ منه المنشور . وصار بين الأمراء وبين الملك العادل وحشة شديدة، وفترة عظيمة .

- وانفق ما تقدم ذكره إلى أن نزل [العادل] ببليس ، فقام الأمير عز الدين أيك الأسمر
- — مقدم الأشرية، وباطن عنة من الأمراء والنماليك الأشرية على خلع العادل والقبض عليه . ووافقهم على هذا جوهر التوبى وشمس الخواص — وهما من الخدام الكاملية، وجماعة أخر من الكاملية : وهم مسرور الكامل ، وكافور الفاترى . وركبوا ليلًا وأحاطوا بدليلز الملك العادل ، ورموه وقبضوا عليه ، ووكلوا به من يحفظه في خيمة . فلم يتحرك أحد نصرته، إلا أن الأكراد اهتموا بالقيام له ، فقال عليهم الأتراك والخدام ونهبهم، فانهزم الأكراد إلى القاهرة . ويقال إنه بلغ أيك الأسمر أن الملك العادل سكر مع شبابه وخواصه، وقال لهم : "عن قليل تشربون من دم أيك الأسمر، وهؤلاء العبيد السوء فلان وفلان، ومماهم" . فاجتمعوا على خلعهم، لا سيما لما طلب ابن كرسون منه أن يسلمه الأمير شجاع الدين بن برزقش^(٢) — وإلى قوص، فأمكنه منه وعاقبه أشد عقوبة، وتوقع في عذابه، ولم يقبل فيه شفاعة أحد من الأمراء . وكان الملك العادل قد قربه تقريرا زائدا، حتى كان يقضى عنده الحوائج الجليلة، فأضت الأنفس من ذلك .

١٥ وخلع [العادل] في يوم الجمعة تاسع شوال، فكانت مدة ملكه ستين شهرين وثمانية

(١) كان هذا الباب أحد الأبواب الصغرى بداخل قلعة الجبل، ويتوصل إليه من الباب المدرج، وهو أعظم أبواب القلعة، وموصف في أول الجانب الشرق منها بجناح القاهرة . وكان بين هذين البابين ساحة مستطيلة . يتسنى منها الدركاء واسعة، يجلس بها الأمراء حتى يؤذن لهم بالدخول. وقد سمي باب القلعة بهذا الاسم في زمن المماليك، وذلك أنه كانت هناك قلعة بناها الملك الظاهر بيبرس . (القفقشتى : صبح الأعشى، ج ٣، ص ٣٧٢، وما بعدها؛ المقرئى : الملاحظ والاعتبار، ج ٢، ص ٢٠٤، وما بعدها) .

(٢) كذا في س، وهو في ابن واصل (نفس المرح، ص ١٢٣٧) الخواص، بضمه على الواو .

(٣) في س "شروا" . (٤) في س "لو" .

(٥) كذا في س، وبغير ضبط . وقد ترجمه (Blochet : Op. cit. p. 459) إلى (Barghash) .

عشر يوما ، أولا يوم الخميس ، وآخرها يوم الخميس تاسع شوال سنة سبع وثلاثين وسقائة ،
 أسرف فيها إسرائيلاً أفرط فيه ، (١٧٧) بحيث أن أباه الملك الكامل ترك ما ينيف على سنة
 آلاف ألف دينار مصرية ، وعشرين ألف ألف درهم ، فرقها كلها . وكان [العاذل] يعمل المال
 إلى الأمراء وغيرهم على أقاصص الجالين ، ولم يبق أحد في دولته إلا وشمله إحامه . فكانت
 أيامه بمصر كلها أفراح ومسررات ، ولين جانبها ، وكثرة إحسانه . قال الأديب أبو الحسين
 الجزار في الملك العادل أبي بكر بن الملك الكامل محمد بن الملك العادل أبي بكر بن أيوب : —

هو الليث ينشئ بأسه كل مجتر هو النيث يرجو جوده كل مجتدى

لقد شاد ملكا أسسته جدوده فأصبح ذا ملك أثيل مشيد

وصح به الإسلام حتى لقد غدت بسلطانه أهل الحقائق تقتدى

نقل للذي قد شك في الحق إنما أطلعنا أبا بكر بأمر محمد

يشير بذلك إلى أخيه الملك الصالح نجم الدين أيوب ، فإن أباهما الكامل محمد أقام العادل
 هذا بمصر ، وبعث الصالح أيوب إلى الشرق .

وقال البرهان بن الفقيه نصر ، لما استقر العادل في السلطنة بعد أبيه : —

قل للذي خاف من مصر وقد أمنت ماذا يؤمله منها وخيفته

إن كان قد مات عن مصر محمدنا فقد أقام أبا بكر خليفته

السلطان الملك الصالح

أبو الفتح نجم الدين أيوب بن الملك الكامل محمد بن العادل أبي بكر بن أيوب .
 لما قبض على أخيه الملك العادل ، كان الأمير عز الدين أيبك الأسمر يميل إلى الملك الصالح
 عماد الدين اسماعيل ، صاحب دمشق ، وكانت الخدم والمماليك الكاملية تميل إلى الملك
 الصالح نجم الدين ، وهم الأكثر . فلم يطلق [عز الدين] ^(١) مخالفتهم ، فاتفقوا كلهم ، وكتبوا إلى

(١) أضف ما بين القوسين بعد مراجعة ابن واصل (نص المربع ، ص ١٣٣٧) .

الملك الصالح نجم الدين يستدعونه . فأنته كتبهم ، وقد بلغ هو والناصر داود النسيابة من الخوف ، وزلزالا شديدا ، لضعفهما عن مقاومة عساكر مصر والشام . فأتاهما من الفرج مالم يسمع بمثله ، وقاما لوقتتهما ، وسارا إلى مصر . فلما دخلا الزمل لم يتزلا متزلة إلا وقدم عليهما من أمراء مصر طائفة ، حتى نزلا بلبس ، يوم الاثنين تاسع ، بعد ما خطب له بالقاهرة ومصر يوم الجمعة خامس عشره .

ومنذ فارقا غرة تغير الناصر داود على الملك الصالح [نجم الدين أيوب] ، وتحدث في قتله . فلما نزل بلبس ، سكر الملك الناصر ، ومضى إلى العادل ، وقال له : "كيف رأيت ما أشرت به عليك ، ولم تقبل مني ؟" فقال له [العادل] : "ياخوند ! التوبة" . فقال [الناصر] : "طيب قلبك ، الساعة أطلقك" . ثم جاء [الناصر] ، ودخل على الملك الصالح ، ووقف . فقال له الصالح : "بسم الله اجلس" . قال : "ما أجلس حتى تطلق العادل" . فقال له : "انقعد" ، وهو يكرر الحديث ، فما زال به حتى نام . فقام من فوره الملك الصالح ، وسار في الليل ومعه العادل في محفة ، ودخل به إلى القاهرة ، واستولى على قلعة الجبل ، يوم الجمعة ثالث عشرى شوال ، بغير تعب .

وجلس [الملك الصالح نجم الدين أيوب] على سرير الملك ، واعتقل أخاه العادل ببعض دوره ، واستحلف الأمراء ، وزينت القاهرة ومصر وظواهرهما وقلعة الجبل زينة عظيمة ؛ وصر الناس به سرورا كثيرا ، لنجاسته وشهامته . ونزل الناصر داود بدار الوزارة من القاهرة ؛ ولم يركب الملك الصالح يوم عيد التحرق ، لما بلغه من خلف العسكر .

(١) في س "ستعوه" . (٢) في س "الفرج" .

(٣) أطلق هذا الاسم على الجهة الواقعة بين الریش والباسة ، وساحل البحر الأبيض المتوسط . (المقرئى : المراعظ والاعتبار ، ج ١ ، ص ١٨٢ - ١٨٣) . (٤) بياض في س ، به آثار كتابة ممحوة .

(٥) في س "نزل" .

(٦) كانت هذه الدار قلعة الجبل ، وقد عرفت أيضا بقاعة صاحب ، لإطلاق لقب صاحب أحيانا على الوزير بمصر ، أيام الأيوبيين والمماليك . (المقرئى : المراعظ والاعتبار ، ج ٢ ، ص ٢٠٥ ، ٢٢٣) .

وفي ذي الحجة أحضر الملك الصالح إلى الملك العادل، وسأله عن أشياء، ثم كشف بيت المال والخزانة السلطانية، فلم يجد سوى دينار واحد وألف درهم. وقيل له عما أظفه أخوه، فطلب القضاة والأمراء الذين قاموا في القبض على أخيه، وقال لهم: "لا شيء قبضتم على (٧٧ ب) سلطانكم؟" فقالوا: "لأنه كان سفياً". فقال: "يا قضاة! السفيه يجوز تصرفه في بيت مال المسلمين؟" قالوا: "لا". قال: "أقسم بالله متى لم تحضروا ما أخذتم من المال، كانت أرواحكم عوضه". فخرجوا وأحضروا إليه سبعة ألف وخمسة وثمانين ألف دينار، وأثنى ألف وثلاثمائة ألف درهم. ثم أمهلهم قليلاً، وقبض عليهم واحداً بعد واحد.

واستدعى [الملك الصالح] بالقاضي شهاب الدين إبراهيم بن عبد الله بن عبد المنعم بن علي ابن محمد، المعروف بابن أبي الدم — وكان بمصر منذ قدم من عند المظفر صاحب حماة، وبعث به مكراً إلى حماة، وخلع على ابن الجوزي رسول الخليفة، وكتب معه إلى الديوان العزيز يشكومنه. وكانت الخلع الخليفية قد وصلت إلى القاهرة، فلبسها الملك الصالح، ونصب منبراً صعد عليه ابن الجوزي، وقرأ تقليد الملك الصالح، والملك الصالح قائم بين يدي المنبر على قدميه، حتى فرغ من قراءته. وشيع [الملك الصالح] أيضاً صاحب كمال الدين بن العديم رسول حلب.

وتحفظ السلطان من الناصر داود، لكثرة ما بلغه عنه من اجتياحه بالأمراء سرا، ولأنه

(١) لا يوجد في ابن واصل (نفس المرجع، ص ٣٣٧ ب) شيء من أخبار ذلك المجلس.

(٢) كان صاحب كمال الدين بن أبي بردة، المعروف بابن العديم، قد حضر إلى القاهرة رسولاً إلى الملك العادل، من عند صاحبة ضيقة خاتون، والدة الملك العزيز، صاحب حلب. (انظر ص ٢٧١، سطر ٩). وكانت صاحبة قد أرسلته، حينما جاء في ابن واصل (نفس المرجع، ص ٣٣٨ أ، وما بعدها)، لطلب من العادل أن يبرئ إليها عمامته، بنت الملك العادل الأول، فأجابها إلى ذلك. ثم حدث أن صار الملك الصالح أيوب سلطاناً على مصر، فبذل رحيل ابن العديم من القاهرة، فاستنصره الصالح وأكرمه، وزوده برسالة إلى صاحبة ضيقة خاتون، منها "يقبل [الملك الصالح أيوب] الأرض بين يدي السر السال، ويعرضها آخر مملوكها، وأني عبده بجل الملك الكامل، وأنا أمرض نفسي لخديتها (ص ٣٣٨ ب) واحتال ما ترمم به".

- سأله أن يعطيه قلعة الشوبك، فامتنع السلطان من ذلك . واستوحش [الناصر] فطلب الإذن بالرحيل إلى الكرك، فخرج من القاهرة وهو متفيظ، وقد بلغه أن الصالح إسماعيل خرج من دمشق، ووافق الفرج على أن يسلمهم الساحل، ووصل الفرج إلى نابلس . وتأول السلطان أنه ما حلف للناصر بالقدس إلا مكراً^(١)، لأنه كان إذ ذاك تحت حكمه وفي طاعته . فلما وصل الناصر إلى الكرك طلب من السلطان ما التزم له به من المال، فحمله إليه، وماطله بتجريد العساكر معه لفتح دمشق، مستنداً لما تأوله .

- وفي أثناء ذلك تحمّث الأشرية بالوثوب على السلطان، فغافهم وامتنع من الركوب في الموكب مدة . واستوزر [السلطان] الصاحب معين الدين الحسن بن الشيخ، وسلم إليه أمور المملكة كلها، وهو بركة الحاج، في يوم الخميس حادى عشر ذى القعدة قبل الظهر . فشرع [الصاحب معين الدين] في تدبير المملكة، والنظر في مصالح البلاد . وولدت شجر الدر من الملك الصالح ولداً سمّاه خليلًا، ولقبه بالملك المنصور . وعند ما نزل الملك الصالح العباسية، في يوم الأحد سابع عشر ذى القعدة، قبض على الركن الهيجاوى [الصادق]^(٢) في يوم الاثنين ثامن عشره، وبعثه إلى القاهرة .

- وفياها ولى الشيخ عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم خطابة دمشق، في يوم الأربعاء ثالث ربيع الآخر، ولده الصالح عماد الدين إسماعيل بن العادل، وخطب لصاحب الزوم .

وفياها قتل عثمان بن عبد الحق بن محيى بن أبى بكر بن حمامة، أمير بنى مرين، وهو أوّل من عظم أمره منهم، وغلب على ريف المغرب، ووضع على أهله المغارم، فبأيّاه أكثر القبائل .

(١) انظر ص ٢٩٣، سطراً ١٥، وما يليه .

(٢) في م " خليل " .

(٣) أضيف ما بين القوسين من ابن واصل (قص المربع، ص ٣٣٨) .

(٤) مضبوط هكذا في م .

وامتدت يده إلى أمصار المغرب، مثل فاس وتازا ومكناسة^(١)، وفرض عليها ضرائب تحمل إليه . وقام بعد عثمان أخوه محمد بن عبد الحق .

وفيا قدم الشريف شيعة بن قاسم أمير المدينة إلى مكة ، في ألف فارس من عسكر مصر ، فبعث ابن رسول ملك اليمن بالشريف راجح وعسكري ، ففر شيعة^(٢) من مكة ، وملكها عسكر اليمن .

+ + +

سنة ثمان وثلاثين وستمائة . فيها شرع السلطان الملك الصالح [أيوب] في النظر في مصالح دولته ، وتمهيد قواعد مملكته ، ونظر في عمارة أرض مصر ، وبعث زين الدين بن أبي زكري على عسكر إلى الصعيد ، لقتال العرب . وتبع من قام في قبض أخيه الملك العادل ، فقبض عليهم ، واستصفى أموالهم وقتل عدة منهم . وفزعده من الأشرية ، وقبض على الأمير عز الدين أيبك الأحمر الأشرفي بالإسكندرية ، ونودي بالقاهرة وظواهرها من أخفى أحدا من الأشرية نهب ماله ؛ وأغلقت أبواب القاهرة كلها ثلاثة أيام ، ما خلا باب زويلة ، حرصا على أخذ الأشرية ؛ (١٧٨) فأخذوا وأودعوا السجون . وقبض على جوهر النوبى ، وشمس الخواص مسرور ، بدمياط — وكانا من الخدام الكامية ، ومن أعان على خلع العادل . وقبض على شبل الدولة كافور الفائزى بالشرقية ، وحبس بقلمة الجبل . وقبض على جماعة من الأتراك ، ومن أجناد الحلقة ، وعلى عدة من الأمراء الكامية . وصار [السلطان الملك الصالح أيوب] كلما قبض على أمير أعطى خبزه لملوك من ممالكه وقدمه ، فبقي معظم أمراء الدولة بماليكه ، لثقتهم بهم ، واعتماده عليهم ؛ فتمكن أمره وقوى جأشه .

(١) في س "تازي" ، وبئر ضبط . وهي بلدة بشرق المغرب الأقصى . (الفتشندى : صبح الأعشى : ج ٥ ،

ص ١٥٧ : (Al-'Omari : Masalik el-Ahsar , pp. 141, 164, 165, 171, 220, et carte III.

(٢) بئر ضبط في س ، وهي مدينة بالمغرب الأقصى أيضا ، بينها وبين مراکش أربع عشرة مرحلة ، وتبعد عن فاس مرحلة واحدة . (ياقوت : معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ٦١٥) .

(٣) كذا في س ، وبئر ضبط ، وهو وارد في الخرجى (المقود القرطبية ، ج ١ ، ص ٦٤) "سجبة" .

(٤) بئر قط البنة في س .

وفي تاسع ربيع الآخر، وهو يوم السبت، ولد لملك الصالح نجم الدين أيوب من حظيته ولد ذكر. وأحب [الصالح] أن يبقى له ذكراً، فأمر ببناء قلعة الجزيرة - المعروفة بالروضة - قبالة مصر القسطنطية. وشرع في حفر أساسها يوم الأربعاء خامس شعبان، وأبتدئ بنائها في آخر الساعة الثالثة من يوم الجمعة سادس عشره. وفي عاشر ذي القعدة وقع الهدم في الدور والقصور والمساجد التي كانت بجزيرة الروضة، وتحول الناس من مساكنهم التي كانت بها. وبني [الملك الصالح] فيها الدور السلطانية، وشيد أسوارها، وأنفق فيها أموالاً تتجاوز الوصف. فلما تكامل بناؤها تحول السلطان من قلعة الجبل إليها، وسكنها بأهله وحرمة ومالكيه، وكان مفرى بالمعمر^(١).

وفيها عاد العسكر الذي قصد المسير إلى اليمن في رمضان، خوفاً من الممالك الأشرفية وأتباعهم، وذلك أنهم [كانوا قد] عزموا على الخروج من القاهرة، ونهب العسكر ببركة

(١) يقول ابن واصل (نفس المربع، ص ٣٤٠) إن الملك الصالح أيوب أبقى قلعة جزيرة الروضة لتكون مركزاً لمالكيه وأمرائه، وإن بناء تلك القلعة استغرق ثلاث سنين. وقد أفاض المقرئ (المواظ والاعتبار، ج ٢، ص ١٧٧ - ١٨٥) في وصف هذه الجزيرة وأبنيتها، من أول الإسلام إلى زمنه، وخلاصته أن اسم الروضة كان يطلق في زمنه على الجزيرة التي بين مدينة مصر ومدينة الجيزة، وقد عرفت في أول الإسلام بالجزيرة، وبجزيرة مصر. ثم قيل لها جزيرة الحصن، بعدما بنى بها أحمد بن طولون حصناً سنة ٢٦٣هـ (٨٧٦م)، ليعرّف فيه حرمة وماله. ولم يزل هذا الحصن عامراً أيام بن طولون، وأقيمت به دار الصناعة، التي تنشأ فيها المراكب الحربية. واستمر الحصن داراً للصناعة حتى تول محمد بن طنج الأعمشيد مصر، ٣٢٣ - ٣٣٤هـ (٩٤٥ - ٩٤٨م)، فنقل دار الصناعة إلى ساحل النيل بمصر، وجعل موضعها بالجزيرة بصاً سماه المختار. وكان ذلك سنة ٣٢٥هـ، وظل هذا البستان متزه الأعمشيد بن. وفي زمن الفاطميين بمصر (٣٥٨ - ٥٦٧هـ، ٩٦٩ - ١١٧١م) صارت الجزيرة مدينة عامرة بالناس، لها وال وقاض. وأنشأ الأفضل شاهنشاه بن أمير الجيوش بدر الدين الجلبى بساحتها البحرى مكاناً تزهها سماه الروضة، وتردد إليه كثيراً، ومن حينئذ صارت الجزيرة كلها تعرف بالروضة. ومن غلقات الفاطميين بتلك الجزيرة أيضاً قصر المودج، الذي بناه الخليفة المستمل بالله ليهو به البدوية، بجوار البستان المختار. وما رحبت جزيرة الروضة متزهها حليكا، وسكا للناس، إلى أن ولي الديار المصرية السلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب. فأنشأ القلعة بالروضة، فحرفت بقلعة الخيلاس، وقلعة الروضة، وقلعة الجزيرة، وبالقلعة الصالحة. انظر أيضاً أبا القداء (المختصر في أخبار البشر، ص ١١٩، في Rec. Hist. Or. I)، إذ يسميها قلعة الجيزة؛ وقد سماها أيضاً المقرئ (المواظ والاعتبار، ج ٢، ص ٢٩٧) قلعة جزيرة القسطنطية.

الجلب . فبطل سفرهم ، وبست السلطان منهم ثلاثمائة مملوك إلى مكة ، لأخذها من أهل اليمن ، وعليهم [الأمير محمد الدين] أحمد بن التركاني و [الأمير مبارز الدين علي بن الحسين] بن رطاس . وذلك أن الخبر ورد بأن ملك اليمن بست جيشا لأخذ مكة ، فساروا آخر شهر رمضان ، ودخلوا مكة في أثناء ذى القعدة ، ففر من كان بها من أهل اليمن .

وفيها عاد القاضي بدر الدين قاضي سنجار من بلاد الروم ، وكان قد توجه إليها برسالة الملك الصالح عماد الدين صاحب دمشق . فبلغه أن الملك الصالح نجم الدين ملك مصر ، نخرج من بلاد الروم ، وقد عزم ألا يدخل دمشق ، فضى إلى مصياف من بلاد الإسماعيلية ، وأخذ يتجمل في الوصول إلى مصر . فبلغ ذلك الصالح إسماعيل ، فأرسل إليه ليحضر ، فامتنع من الحضور . واستجار بالإسماعيلية ، فأجاروه ومنموا الصالح [إسماعيل] منه ، وأوصلوه إلى حماة ، فأكرمه المظفر ، وأزله عنده . وكان قد نزل عنده أيضا جمال الدين بن مطروح ، فصارت حماة ملجأ لكل من اتقى للسلطان الملك الصالح نجم الدين ، ومنها يرد إليه بمصر كل ما يتجبد بالشام والشرق .

وفيها أيس (٧٨ ب) الناصر داود من إعطاء الملك الصالح نجم الدين له دمشق ، فأنحرف عنه ، ومال إلى الصالح إسماعيل والمنصور صاحب حمص ، وانفقوا جميعا على الصالح نجم الدين . وفيها أثار الخوارزمية على بلاد قلعة جبر وبالس ونهبوها ، وقتلوا كثيرا من الناس ، ففر من بقى إلى حلب ومنبج . واستولى بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل على سنجار ، وأخرج

(١) بغير ضبط في س ، انظر الخزرجي (العقد القرطبي) ج ١ ، ص ٩٩ ، من الترجمة الإنجليزية) . هذا وقد أضيف ما بين الأقواس ما على ص ٣١٣ سطر ١ ، ومن المتن العربي في الخزرجي (نفس المرجع) ج ١ ، ص ٦٨ . (٢) في س "ابن" .

(٣) بغير ضبط في س ، ومصياص — أو مصياص — (ياقوت : معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ٥٥٦) إحدى حصون الإسماعيلية بالشام ، وهي واقعة على الساحل ، قرب طرابلس ، وعلى مسيرة يوم من حمص ، وفتح من بارين . (Lo Strange : Palest. Under Moslems. P. 507.)

(٤) بغير ضبط في س ، وهي بلدة بالشام ، بين حلب والرها . وكانت أصلا على ضفة الفرات الغربية ، ثم تحول منها مجرى النهر ، حتى صار ينساق في زمن ياقوت (معجم البلدان ، ج ١ ، ص ٧٧ — ٤٧٩) مسافة أربعة أميال .

- (١) منها الملك الجواد يونس بن مودود بن العادل نجم الدين أيوب . فصار [الجواد] إلى الشام ، حتى صار في يد الناصر داود ، فقبض عليه بغزة يوم الأحد ثامن عشر ذي الحجة ، وبعث به إلى الكرك . وانضمت الخوارزمية على صاحب الموصل ، فصاروا نحو الاثني عشر ألفا ، وقصدوا حلب . فخرج إليهم العسكر من حلب ، فانكسر وقتل أكثره ، وغنم الخوارزمية ما معهم . فامتنع الناس بمدينة حلب ، وانتهت أعمال حلب ، وفعل فيها كل قبيح من السبي والقتل والتخريب . ووضعوا السيف في أهل منبج ، وقتلوا فيها ما لا يحصى عدده من الناس ، ونهبوا وارتكبوا الفواحش بالنساء في الجامع علانية ، وقتلوا الأطفال . وعادوا وقد خرب ما حول حلب .

- وكان الخوارزمية يظهرون للناس أنهم يفعلون ما يفعلون خدمة لصاحب مصر ، فإن أهل حلب وحمص ودمشق كانوا حزبا على الصالح صاحب مصر . فصار المنصور (٢) إبراهيم ابن الملك المجاهد صاحب حمص ، بساكره وعساكر حلب ودمشق ، وقطع القنات إلى سروج والزها ، وأوقع بالخوارزمية ، وكسره واستولى على ما معهم ، ومضوا هارين إلى غانة .

- وفيها خاف الصالح عماد الدين من الملك الصالح نجم الدين ، فكاتب الفرنج ، وافق معهم على معاضدته ومساعدته ، وعاربة صاحب مصر ، وأعطاهم قلعة صفد وبلادها ، وقلعة الشقيف وبلادها ، ومناصفة صيدا وطبرية وأعمالها ، وجبل غاملة وسائر بلاد الساحل . وعزم [الصالح عماد الدين] على قصد مصر ، لما بلغه من القبض على المالك الأشرفية والخدام ومقدمي الحلقة وبعض الأمراء ، وأن من بقي من أسراء مصر خائف على نفسه من (١) كذا في ص ، والراجح أن المقريزي هنا ، لحاط بين اسم الملك الجواد يونس بن مودود بن العادل ، واسم أخيه الملك الأوحى نجم الدين أيوب بن العادل ، وقد مات الثان في حياة أبيه . انظر ص ١٩١ ، سطر ٩ . (٢) أخيف ما بين القوسين بعد مراجعة ابن واصل (نفس المرجع ، ص ٣٣٥ ب) . (٣) في ص "الشقيف" . (٤) يطلق هذا الاسم على جهة جبلية قرب الساحل ، في إقليم صفد ، ويوجد بها حصن الشقيف .

السلطان . فتجهز وبعث الى المنصور صاحب حصص ، والى الحليين ، وإلى الفرنج ، يطلب منهم النجدة .

٥ - وأذن [الصالح إسماعيل] للفرنج في دخول دمشق وشراء السلاح ، فآثروا من ابتاع الأسلحة وآلات الحرب من أهل دمشق . فانكر المسلمون ذلك ، ومشى أهل الدين منهم إلى العلماء واستفتوهم ، فأفتى الشيخ عز الدين بن عبد السلام بتحريم بيع السلاح للفرنج ، وقطع من الخطبة بجامع (١٧٩) دمشق الدعاء للصالح إسماعيل ، وصار يدعو في الخطبة بدعاء منه : " اللهم أبرم لهذه الأمة إيراد رشداً ، تميز فيه أوليائك ، وتذل فيه أعدائك ، ويعمل فيه بطاعتك ، وينهى فيه عن معصيتك " ، والناس يرضعون بالدعاء .

١٠ - وكان الصالح غائباً عن دمشق ، فكتب بذلك ، فورد كتابه بمنزل ابن عبد السلام عن الخطابة ، واعتقاله هو والشيخ أبي عمرو بن الحاجب ، لأنه كان قد أنكر ، فاعتقلا . ثم لما قدم الصالح أفرج عنهما ، وألزم ابن عبد السلام بملازمة داره ، وألا يفتي ، ولا يجتمع بأحد ألبنة . فاستأذنه في صلاة الجمعة ، وأن يعبر إليه طيب أو مزين ، إذا احتاج اليهما ، وأن يعبر الحام ، فأذن له في ذلك . وولى خطابة دمشق ، بعد عز الدين بن عبد السلام ، علم الدين داود بن عمر بن يوسف بن خطيب بيت الآبار^(١) .

١٥ - وبرز الصالح من دمشق ، ومعه عساكر حصص وحلب وغيرها ، وسار حتى نزل بنهر العوجاء . فبلغه أن الناصر داود قد خيم على البلقاء ، فسار إليه ، وأوقع به . فانكسر الناصر ، وانهمز إلى الكرك . وأخذ الصالح أنقاله ، وأسر جماعة من أصحابه ، وعاد إلى العوجاء ، وقد قوى ساعده ، واشتدت شوكته . فبعث يطلب نجدة الفرنج ، على أنه يعطيهم جميع ما فتحه السلطان صلاح الدين يوسف . ورحل من العوجاء ، ونزل تل المعجول فأقام أياماً ، ولم يستطع عبور مصر ، فعاد إلى دمشق .

(١) يطلق هذا الاسم على جهة من غوطة دمشق ، وبها عدة قرى ، أهم إحداها بيت الآبار أيضاً . (باقوت :

معجم البلدان ، ج ١ ، ص ٧٧٥) .

وذلك أن الملك الصالح نجم الدين ، لما بلغه حركة الصالح إسماعيل من دمشق ومعه الفريج ، جرد العساكر إلى لقائه ، فالتقاهم . وعند ما تقابل العسكران ساقط عساكر الشام إلى عساكر مصر طائفة ، ومالوا جميعا على الفريج ، فهزموهم وأسروا منهم خلقا لا يحصون . وبهؤلاء الأسرى عمر السلطان الملك الصالح نجم الدين قلعة الروضة ، والمدارس الصالحية بالقاهرة .

وفيها تم الصلح مع الفريج ، وأطلق الملك الصالح الأسرى بمصر من الكنود والفرسان والرجالة . وفي ذى القعدة كانت وقعة بين أحرار الملك الصالح أيوب المقيمين بغزة ، وبين الجواد والناصر ، وكبير أصحاب الملك الصالح ، وكبير كمال الدين بن الشيخ . وفيها استقر الصلح بين الملك الصالح والناصر ، ورحل [الناصر] عن غزة بعد قبضه على الجواد . وفي ذى القعدة وصل الجواد إلى العباسية ، ومعه [الصالح] ابن صاحب حصص ، فأقيم عليهما الملك الصالح ١٠ . نجم الدين أيوب ، ولم يمكنهما من دخول القاهرة . فعاد [الجواد] ؟ ، ولبا إلى الناصر ، فقبض عليه .

وفيها عزل القاضي عبد المهيم عن حلبة القاهرة ، في تاسع المحرم ، واستقر فيها القاضي شرف الدين محمد بن الفقيه عباس ، خطيب القلعة . وفي رابع عشره شرع السلطان الملك الصالح نجم الدين في بناء القنطرة التي على الخليج الكبير ، المجاور لبستان الخشاب ، ١٥ التي تعرف اليوم بقنطرة السد ، خارج مدينة مصر .

(١) انظر حاشية ٦ .

(٢) ، (٣) في س "كمروا" . راجع (Blochet : Op. cit. p. 472) .

(٤) انظر ص ٣٠٣ ، سطر ٢ .

(٥) أضيف ما بين القوسين بعد مراجعة ابن واصل (نفس المراجع ، ص ٣٤١ ؛ ب) .

(٦) العبارة التي تنتهي هنا ، وتبدأ عند حاشية ١ ، وإرادة بهامش الصفحة في س ، وليس بالحق إشارة إلى مكانها المناسب ، وقد أدرجت هنا على ترتيب ورودها في ب (ص ١٩٦) . وهذا ويوجد في أبي القداه (المتنصر في أخبار البشر ، ص ١٢٠ ، في Rec. Hist. Or. I.) أنه لما أيس الملك الجواد من السلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب ، سار مباشرة إلى عكا ، وأقام مع الفريج . فأرسل الملك الصالح إسماعيل إلى عكا ، وبذل للفريج مالا حتى سلوه الجواد ، فاعتقه ثم خقه . انظر مايل ص ٣١٠ سطر ٩ .

وفي سادس عشره أمر [السلطان الملك الصالح أيوب] بتجهيز زُرْدَخَانَه (٧٩ ب) وشَوَارِي (٧٢) وحَرَاقِي إلى بحر القلزم لقصد اليمن، وجرّد جماعة من الأمراء والأجنّاد بسبب ذلك .
وفي خامس عشره نزل خمس نفر في الليل من الطاقات الزجاج إلى المشهد النفسي، وأخذوا من فوق القبر ستة عشر قنديلا من فضة، فقبض عليهم من الفيوم، وأحضروا في رابع صفر . فاعترف أحدهم بأنه هو الذي نزل من طاقات القبة الزجاج وأخذ القناديل، وبرأ بقية أصحابه، فشقّ تجاه المشهد في عاشره، وترك مدّة متطاولة على الخشب، حتى صار عظاما .
وفي سابع عشرى ربيع الأول ولّى الملك الصالح الأمير بدر الدين باخل الإسكندرية، نقله إليها من ولاية مصر .

وفي شهر ربيع الآخر تلب السلطان نوابا عنه بدار العدل، يحلّسون لإزالة المغالمة . بفلس
لذلك اختار الدين ياقوت الجمالى، وشاهدان عدلان، وجماعة من الفقهاء : منهم الشريف

(١) الزردخانة دار السلاح، وهي كلمة فارسية مركبة، وقد أطلقها القرينى على السلاح قسه . ومن معاني الزردخانة أيضا السجن المخصص للجريمين من الأمراء وأصحاب الرتب . (Dozy : Supp. Dict. Ar.) .
(٢) جمع شئى - أوشينة - وهي نوع من السفن الحربية في مصر، يقال لها في اللغة القرصية (Dozy : Supp. Dict. Ar.) فقط "galère" ويظهر أن الثوائى كانت أكبر السفن الحربية في مصر، وأكثرها استعمالا .
وراجع القرينى (المواعظ والاعتبار، ج ٢، ص ١٩٤، ١٩٥) .

(٣) جمع حراقة، وهي نوع من السفن الحربية، كانت تستخدم لحل الأسلحة النارية، كالنار الأخرقية . وكان يسأرم تكل منها التران على العدو . (محيط المحيط) . وكان في مصر نوع آخر من الحراقات، استخدم في النيل لحمل الأمراء ورجال الدولة في الاستراخات البحرية، والمخلفات الرمية . وفي القرينى (المواعظ والاعتبار، ج ٢، ص ١٩٤، ١٩٥) ما يدل على أن معظم الحراقات كانت لتلك الأغراض المحلية : من ذلك أنه لما خرج السلطان الظاهر بيبرس في إحياء البحرية المصرية، بعد إخمادها في عهد ملقه من المالك، "استدعى رجال الأسطول، وكان الأمراء قد استسلموا في الحراقات وغيرها ... واستدعى شوائى القصور إلى مصر، فبقلت زيادة على أربعين قطعة، سوى الحراقات والطراقة، فأنها كانت عدة كثيرة، وذلك في شوال سنة تسع وستين وسبعمائة ..."
وفي القرينى أيضا (نفس المربع والجزد، ص ١٩٥) أنه في سنة ٧٠٢ هـ، أعاد السلطان الناصر محمد بن علاون حملة بحرية لتزويد جزيرة أرواد (رودس)، وجهزت الشوائى بالعدد والسلاح والغلبة والأزودة، "وزيغت الشوائى أحسن زيتا، فخرج معظم الناس لرقبها ... وجرّد الأمراء في الحراقات إلى الروضة" . انظر أيضا ابن الماس (بدائع الزهور، ج ٤، ص ١٥٧)؛ وكذلك (Quatremère : Maml. I. 1. p. 143, N. 17) .

شمس الدين الأرموي، قبيب الأشراف وقاضي العسكر ومدرس المدرسة الناصرية بمصر، والقاضي
نغر الدين بن السركي، والفقير عز الدين عباس. فخرج الناس لدار العدل من كل جانب،
ورفعوا ظلماتهم، فكشفت. واستراح السلطان من وقوف الناس إليه، واستمر هذا بمصر.
وفي ذى الحجة سار القاضي بدر الدين [أبو المحاسن يوسف] السنجاري على الساحل إلى مصر،
فلما قدم على السلطان أكرمه غاية الإكرام. وكان قضاء ديار مصر بيد القاضي شرف الدين
ابن عين الدولة الإسكندري، فصرفه السلطان عن قضاء مصر والوجه القبلي، وفوض ذلك
للقاضي بدر الدين السنجاري، وأبقى مع ابن عين الدولة قضاء القاهرة والوجه البحري.

وفيهما ظهر بيلاد الروم رجل ادعى النبوة، يقال له البابا من التركمان. وصار له أتباع،
وحمل أتباعه على أن يقولوا: "لا إله إلا الله، البابا رسول الله". فخرج إليه جيش صاحب
الروم، فقاتلهم، وقتل بينه وبينهم أربعة آلاف نفس، ثم قتل البابا، فأنجل أمره.
وفيهما وصل رسول التتار من ملكهم خاقان إلى [الملك المنصور شهاب الدين غازي بن

(١) كذا في س، وبغير ضبط، وقد ترجم (Blochet: Op. cit. p. 473) هذا الاسم إلى (Tbn as-Sakri).

(٢) انظر ما على ص ٣٠٩، سطر ٣.

(٣) اسم هذا النبي التركمان، حسبما ورد في (Enc. Isl. Art. Kaikhusraw I) بابا إسحاق، وكان يدعو
إلى الزهد والتشفيق، ويقطع في السلطان غيات الدين كيشرو وحاشيته، لانتقامهم في الترف. وقد انتشر مذهبه
في أنحاء بلاد السلاجقة الروم، وتطلبت مناهضته مجهوداً حروبياً طويلاً، حتى صد مقتل صاحبه. وهذا ويرى
(Blochet: Op. cit. p. 474, N. 3)، أن البابا إسحاق كان من بقايا أتباع القرامطة والفاطميين.

(٤) هذا اللفظ هو الصورة العربية لقب الترك قاقان (Kaghan)، الذي كان يطلق على رؤساء الترك
في القرن السابع الميلادي، وسماء ورئيس الرزماء. وقد استعمل أولئك الترك المتقدمون لقب قاقان — أركان —
أيضاً بمعنى قاقان، وربما كان اختصاراً له. ولبث هذا الاستعمال شاملاً بين الترك حتى أيام ملوك التول، فصار
كلية قاقان — أركان — تطلق على ملك المغول الأعظم، وقصر فقط خان على الملوك الذين يتولون جزءاً من
الإمبراطورية المغولية. ومثل ذلك التمييز موجود في الاستعمال الاصطلاحي لكل من سلطان وملك. فالسلطان هو الملك
الأعظم، كالسلطان صلاح الدين الأيوبي، والملك هو أحد ولاء السلطان من أبناء بيته، كملك المماليك هو الملك
صاحب دمشق، من قبل أخيه صلاح الدين. ومثل ذلك عند الفرس، فإن لقب شاهنشاه يخص ملك الملوك عظيم،
تبعاً له عن لقب شاه فقط، وهو الملك الصغير. انظر (Enc. Isl. Art. Khān, Khān). هذا وإلا يجب أن
الامتنان المقصود هنا هو أروغاي بن جينكرخان. (Lane-Poole: Muh. Dyns. p. 215). (٥) انظر

أبا الفداء (المتخصص في أخبار البشر، ص ١٢١، في Rec. Hist. Or. I)، وأيضاً ص ١٩١، سطر ١٨.

المادل، صاحب [ميفارقين، ومعه كتاب إليه، وإلى ملوك الإسلام، عنوانه : "من نائب رب السماء، ماص وجه الأرض، ملك الشرق والغرب، قاقان". فقال الرسول لشهاب الدين صاحب ميا فارقين : "قد جعلك قاقان سلاخ داره، وأمرك أن تحرب أسوار بلدك". فقال له [شهاب الدين] : "أنا من جلة الملوك (١٨٠)، وبلادى حقيقة بالنسبة إلى الروم والشام ومصر، فتوجه إليهم، وما فعلوه فعلته".

وفي يوم الجمعة حادى عشر ذى القعدة رسم الصالح إسماعيل أن يُخطب على منبر دمشق للسلطان غياث الدين كيخسرو بن كيقباد^(١) بن كيخسرو، ملك الروم، فخطب له، وثر على ذلك الدنانير والدرهم، وكان يوما مشهودا. وحضر رسل الروم وأعيان الدولة، وخطب بذلك في جوامع البلد، وأنعم على الرسول وخلع عليه.



سنة تسع وثلاثين^(٢) وستمائة. فيها شرع الملك الصالح في عمارة المدارس الصالحة بين القصرين. وفيها غلت الأسعار بمصر، وأبيع القمح كل أردب بدينارين ونصف، وقدم جمال الدين بن مطروح من طرابلس — في البحر — إلى القاهرة. وكثرت قصائد المظفر صاحب حماة إلى مصر.

وفي يوم الأحد تاسع عشرى ربيع الأول كشف جميع جرم الشمس، وأظلم الحق، وظهرت الكواكب، وشمل الناس السرج بالتهار.

وفيها قدم الشيخ عز الدين بن عبد السلام إلى مصر، وقد أنجزه الصالح إسماعيل من دمشق. فأكرمه الملك الصالح نجم الدين، وولاه خطابة جامع عمرو بن العاص بمصر، وقاده قضاء مصر والوجه القبلى — يوم عرفة، عوضا عن قاضى القضاة شرف الدين بن عين الدولة، بعد ما كتب السلطان بخطه إلى ابن عين الدولة، في يوم الجمعة عاشر ربيع الآخر [مانصه :]

(١) في ص "كيقباد".

(٢) ليس في خطورة مفرج الكرب لابن واصل المستمعة هنا، ذكر هذه السنة أو التي تليها، حتى سنة ٦٤٤ هـ.

”إن القاهرة لما كانت دار المملكة، وأمرء الدولة وأجنادها مقيمون بها، وحاكمها مخصص بحضور دار العدل، تقدمنا أن يتوفر القاضي على القاهرة وعملها لا غير“ . وفوض السلطان قضاء القضاة بمصر وعملها – وهو الوجه القليل – ليدر الدين أبي المحاسن يوسف السنجاري، المعروف بقاضي سنجار . فلما مات ابن عين الدولة استقر البدر السنجاري في قضاء القاهرة، وفوض قضاء مصر والوجه القليل لابن عبد السلام .

وفيهما كثر تردد الناس إلى نغر الدين يوسف بن شيخ الشيوخ، بعد ما أطلقه السلطان من السجن . ففكر السلطان ذلك، وأمره أن يلزم داره .

- وفيهما بلغ السلطان أن التناصر داود صاحب الكرك، قد وافق الصالح إسماعيل صاحب دمشق، والمنصور إبراهيم صاحب حمص، وأهل حلب، على محاربه . فسير [السلطان] كمال الدين بن شيخ الشيوخ على عسكر [إلى الشام]، فخرج إليه التناصر وقتله ببلاد القدس، وأمره في عدة من أصحابه، ثم أطلقهم، وعادوا إلى القاهرة . وكان من خبر ذلك أنه في يوم الأربعاء ثاني عشر صفر، وقع عسكر الناصر داود على الأمير عز الدين أبيك صاحب صرخند، وقد نزل على القوار، فكسره وأخذ الأتقال . وكان معه الأمير شمس الدين شرف – المعروف بالسبع مجانين^(٢)، وشمس الدين أبو الملاء الكرداني^(٣)، وشرف الدين بن الصارم صاحب تبين . وكان مقدم عسكر الناصر سيف الدين بن قلعج، وجماعة من الأيوبية من عسكر مصر .

وفيهما سار الخوارزمية إلى الموصل، فسلمهم [صاحبها بدر الدين] لؤؤ، وسلمهم نصيبين، ووافقهم المظفر [شهاب الدين] غازي بن العادل، صاحب ميافارقين . ثم ساروا إلى آمد، فخرج إليهم عسكر حلب، عليه (٨٠ ب) المعظم نغر الدين توران شاه بن صلاح الدين، فدفعهم عنها،

(١) في س ”ان“ .

(٢) في ب (١٩٧) ”شمس الدين شره المعروف بالسبع مجانين“ .

(٣) كذا في س، وهو في ب (١٩٧) ”الكرداني“، وترجم في (Blochet : Op. cit. p. 477) إلى

(٤) في س ”تورنشا“ . (Kirdiani).

ونهبوا بلاد مياقارقين، وجرت بينهم وبين الخوارزمية وقائع . ثم عاد المسكر إلى حلب، فغار^(١١) الخوارزمية على رساتيق الموصل .

وفيها فلق المظفر صاحب حماة في شعبان، وهو جالس ببنّة، فأقام أياما ملقى لا يتحرك ولا يتكلم، ثم أفاق، وبطل شقه الأيمن . فسير إليه الملك الصالح [نجم الدين أيوب] من مصر بطبيب يعرف بالنفيس بن طليب النصراني، فلم ينفع فيه دواء، واستمر كذلك سنين وشهورا حتى مات .

وفي خامس عشر ذي القعدة قدم الأمير ركن الدين الطونبا الميجاوى، من القاهرة إلى دمشق، وكان الملك الصالح نجم الدين قد بعثه في شهر رمضان إلى الناصر داود، ليصلح بينه وبين الملك الجواد، حتى يبقى على طاعة الملك الصالح نجم الدين . فلما وصل إلى غزنة هرب إلى دمشق، وأخذ معه جماعة من المسكر، ولحق الجواد بالفريج، وأقام عندهم .

وفيها وصل الملك المنصور [نور الدين عمر بن علي رسول] من اليمن في عسكر كبير إلى مكة، في شهر رمضان، ففر المصريون بعد ما أحرقوا دار الإمارة بمكة، حتى تلف ما كان بها من سلاح وغيره .

♦ ♦ ♦

سنة أربعين وستمائة . في ربيع الأول أبطلت خطبة ملك الروم من دمشق، وخطب لللك الصالح نجم الدين [أيوب] . وفي يوم الجمعة رابع جمادى الأولى دخل الفريج

(١) في ص "غار" .

(٢) جمع رستاق، وهو قنط قاضي، معناه القرية أو محلة العسكر، أو البلد التجاري، ومع الكفة العربية الزدناق، وجمعها الزدناقات والزاديق . (محيط المحيط، ر. Steingass. Pers.—Eng. Dict.)

(٣) كما في ص، غير ضبط وفي (Blochet : Op. cit. p. 478, N. 4) أن إيراد هذا الاسم هكذا خطأ، وأنه يجب أن يكتب الطونبنا، (Altoun bogha) . انظر ص ١٧٥، سطر ٦، وحاشية ٢ بنفس الصفحة .

(٤)، (٥) العبارة الواردة بين القوسين ليست واضحة تماما، وقد لاحظ (Blochet : Op. cit. p. 478, N. 5) نفس الملاحظة .

(٦) أضف ما بين القوسين بعد مراجعة الخزرجي (الغدد الوثائقية، ج ١، ص ٤٤) .

من عكا إلى نابلس، ونهبوا وقتلوا وأسروا، وأخذوا متبر الخطيب؛ وخرجوا يوم الأحد بعد ما أفسدوا أموالا كثيرة. وفي يوم السبت ثامن عشر المحرم وصل إلى القاهرة الشريف علاء الدين هاشم بن أمير سيد، من الديوان^(١). وفي عاشر ربيع الآتومات الشريف علاء الدين هاشم بن أمير سيد.

- وفيها وصل التار إلى أرزن الروم، وأوقع [الملك] المظفر غازي، [صاحب ميافارقين]^(٢)، بالخوازمية. وفيها ماتت ضيفة خاتون ابنة العادل أبي بكر بن أيوب، ليلة الجمعة لإحدى عشرة خلت من جمادى الأولى. فاستبد ابن ابنها الناصر يوسف بن الظاهر غازي بمملكة حلب بعدها، وقام بتدبيره بعد جدته الأمير شمس الدين لؤلؤ الأتابك، والأمير جمال الدين إقبال [الأسود النحوي] الخاتوني، والوزير الأكرم جمال الدين بن القفطلي. وخرج إقبال من حلب بمسك، وحارب الخوارزمية، ثم عاد.

١٠

وفيها مات الخليفة المستنصر بالله أبو جعفر المنصور بن الظاهر بأمر الله أبي نصر محمد ابن الناصر لدين الله أحد العباسي أمير المؤمنين، بكرة يوم الجمعة لعشر خلون من جمادى الآخرة؛ وكان سبب موته أنه فصد بمضغ مسموم. فكانت خلافته سبع عشرة سنة غير شهر، وقيل مات في ثاني عشره. وكانت مدته خمس عشرة سنة، وأحد عشر شهرا وخمسة أيام؛ وله

(١) بشير ضبط في س، وهي سكة يبرو. (ياقوت: معجم البلدان، ج ٢، ص ٧١٥).

(٢) أضيف ما بين القوسين من أبي الفداء (المختصر في أخبار البشر، ص ١٢١، في Rec. Hist. Or. I.). ويلاحظ أنه يوجد خلاف جوهري بين ما هو وارد هنا، في الخوارزمية والمظفر غازي، وبين ما جاء عنها في أبي الفداء (نص المرجع والصفحة)، ونصه: "وفي هذه السنة كان بين الخوارزمية وسهم الملك المظفر غازي صاحب ميافارقين، وبين عسكر حلب وسهم المنصور إبراهيم صاحب حمص، مصاف قريب النابور... فولى المظفر غازي والخوارزمية منزمين أقبح هزيمة... ونهبت وطافات الخوارزمية ونساؤهم... ووصل عسكر حلب وصاحب حمص إلى حلب... لم يدين منصور بن...".

(٣) يوجد هنا أيضا فرق جوهري بين رواية المقرئ، وما يقابلها في أبي الفداء (المختصر في أخبار البشر، ص ١٢١، في Rec. Hist. Or. I.)، هناك أن الملك العزيز، وليس الظاهر غازي، هو أبو الملك الناصر يوسف.

(٤) أضيف ما بين القوسين من أبي الفداء (نص المرجع والصفحة).

من العمر إحدى وخمسون سنة، وأربعة أشهر وسبعة أيام . وكان حازما عادلا ، وفي أيامه عمرت بغداد عمارة عظيمة، وبني بها المدرسة المستنصرية . وفي أيامه قصد التار بغداد، فاستخدم العساكر حتى قيل إنها زادت عدتها على مائة ألف إنسان . فقام من بعده في الخلافة ابنه المستعصم بالله أبو أحمد عبد الله، وقام بأمره أهل الدولة ، وحسنوا له جمع الأموال، وإسقاط أكثر الأجناد . فقطع كثيرا من العساكر، وسالم التتر، وحل إليهم المال .

وفيا بنى بعض غلمان صاحب معين الدين بن شيخ الشيوخ، وزير الملك الصالح [نجم الدين أيوب]، بناءً بأمر غنومه على سطح مسجد بمصر، وجعل فيه طبلخاناه عماد الدين [ابن شيخ الشيوخ] . فأنكر ذلك قاضي القضاة عز الدين بن عبد السلام، ومضى بنفسه وأولاده، حتى هدم البناء، ونقل ما على السطح . ثم أشهد [قاضي القضاة] على نفسه (١٨١) أنه قد أسقط شهادة الوزير معين الدين، وأنه قد عزل نفسه من القضاء . فلما فعل ذلك ولى الملك الصالح عوضه قضاء مصر صدر الدين أبا منصور موهوب بن عمر بن موهوب ابن إبراهيم الجزري، الفقيه الشافعي — وكان ينوب عن ابن عبد السلام في الحكم، في ثالث عشر ذي القعدة .

وفيا قدم مكة الحاج من بغداد، بعد ما انقطع ركب العراق سبع سنين عن مكة . وكان من خبر مكة، شرفها الله تعالى، أن السلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب بعث ألف فارس عليهم الشريف شيمعة بن قاسم أمير المدينة ، في سنة سبع وثلاثين . فبعث الملك المنصور نور الدين عمر بن علي بن رسول من اليمن بآبن النصيري، و[معه] الشريف راجع، إلى مكة في عسكر كبير . ففر الشريف شيمعة بن معه، وقدم القاهرة . فلهجز السلطان الملك الصالح معه عسكرا قدم بهم مكة، في سنة ثمان وثلاثين، وهجوا بالناس . فبعث ابن رسول من اليمن عسكرا كبيرا، فطلب عسكر مصر من السلطان الملك الصالح نجدة ، فبعث إليهم بالأمير (١) في ص "حمين" .

(٢) مايل هذا إلى آخر الوارد تحت هذه السنة ، مكتوب على ورقة مفضلة في ص ، بين صفحتي ٨٠ ب ، ٨١ أ ، وليس من إشارة إلى الموضع الذي أراد القرطبي وصله به ، وليست العبارة المذكورة في ب (٩٨) أ البتة .

مبارز الدين على بن الحسين بن بطاس، والأمير محمد الدين أحمد بن التركاني، في مائة وخمسين فارساً. فلما بلغ ذلك عسكر اليمن أقاموا على السرين، وكتبوا إلى ابن رسول بذلك، فخرج بنفسه في جمع كبير يريد مكة، فصر المصريون على وجوههم، وأحرقوا ما في دار السلطان بمكة من سلاح وغيره. فقدم الملك المنصور نور الدين عمر بن علي بن رسول مكة، وصام بها شهر رمضان، سنة تسع وثلاثين، واستتاب بمكة مملوكه نغر الدين السلاج.

♦ ♦ ♦

سنة إحدى وأربعين وسمائة. فيها قدم التتر بلاد الروم، وأوقعوا بالسلطان غياث الدين كيخسرو بن كيقباد بن كيخسرو بن قلج أرسلان، وهزموه وملكوا بلاد الروم وخلاط وآمد. فدخل غياث الدين في طاعتهم، على مال يحمله إليهم. وملكوا أيضاً سيواس^(٢) وقيسارية^(٣) بالسيف، وقرروا على صاحبهما في كل سنة أربعمائة ألف دينار. ففر غياث الدين منهم إلى القسطنطينية، وقام من بعده ركن الدين ابنه - وهو صغير - إلى أن قُتِل^(٤).

(١) كما في ص، وب، ضبط. واسمه في الخزرج (المقود القلوة، ج ١، ص ٧٧، ٧٩) نغر الدين السلاج.
(٢) بفسر ضبط في ص، وسيواس بلد آسيا الصغرى، يربواديها نهر قزل إرمك، وهي واقعة على مسافة ستين ميلاً من قيسارية، وعلى مسيرة يومين من قوفات. (ياقوت: معجم البلدان، ج ١، ص ٨٩٥، ج ٢، ص ٨٩٥)
ج ٥، ص ٢٢، وأيضاً: Blochet: Op. cit. p. 483, N. 1.

(٣) بفسر ضبط في ص، وقيسارية - أو قيسرية - اسم أطلقه الرومان على كثير من بلاد إمبراطوريتهم بالشرق، وبشمال إفريقيا وإسبانيا أيضاً. ومن هذه قيسرية فلسطين، الواقعة على الشاطئ، على مسافة أربعة وعشرين ميلاً جنوبي حيفا. ومنها قيسرية الروم، وهي المقصودة هنا بالمتن، وتقع على نهر تاراصو، إحدى فروع نهر قزل إرمك. (ياقوت: معجم البلدان، ج ٤، ص ٢١٤) وأيضاً (Enc. Isl. Art. Kaisariya).

(٤) في ص "صاحبا". والمقصود أن سيواس وقيسارية، ومطية أيضاً، كانت قد آلت ثلاثتها منذ سنة ١١٧٤م إلى سلطات السلاجقة الروم، بعد وفاة صاحبا ذى النون بن داتماند. راجع Lane-Poole: Muh. Dyns. p. 156; Enc. Isl. Arts. Kaisariya & Danishinandiya.
(٥) يوجد خلاف جوهرى بين الوارد هنا، عن غياث الدين كيخسرو، وبين ما يقابله في أبي الفداء (المتنصر في أخبار البشر، ص ١٢١ - ١٢٢، في Rec. Hist. Or. I) ونصه: "... هرب غياث الدين كيخسرو إلى بعض المقاتل. ثم أرسل إلى التتر، وطلب الأمان، ودخل في طاعتهم، ثم توفي ... سنة ٦٥٤ ... وخلف [ولده] =

وفيها تكررت المراسلة بين الصالح نجم الدين أيوب، وبين عمه الصالح إسماعيل صاحب دمشق، وبين المنصور صاحب حمص : على أن تكون دمشق وأعمالها للصالح إسماعيل، ومصر للصالح أيوب، وكل من صاحب حمص وحماة وطلب على ما هو عليه؛ وأن تكون الخطبة والسكة في جميع هذه البلاد للـك الصالح نجم الدين أيوب، وأن يطلق الصالح إسماعيل الملك المغيث فتح الدين عمر بن الملك الصالح نجم الدين من الاعتقال، و[أن] يخرج الأمير حسام الدين أبو علي بن محمد بن أبي علي بن باشاك الهذلي، المعروف بابن أبي علي، من اعتقاله ببلبك، وأن ينتزع الصالح إسماعيل الكرك من الملك الناصر داود.

فلما تقرر هذا خرج من القاهرة الخطيب أصيل الدين الإسعدي^(٢) — إمام السلطان — في جماعة، وسار إلى دمشق . فخطب للسلطان [الملك الصالح نجم الدين أيوب] بجامع دمشق وبمحس؛ وأفرج عن المغيث ابن السلطان، وأركب ثم أعيد إلى القلعة، حتى يتم بينهما الحلف؛ وأفرج عن الأمير حسام الدين، وكان قد ضيق عليه وجعل في جب مظلم . فلما وصل [حسام الدين] إلى دمشق خلع عليه الصالح إسماعيل؛ وسار إلى مصر، ومعه رسول الصالح إسماعيل، ورسول صاحب حمص — وهو القاضي عماد الدين بن القطب قاضي حماة، ورسول صاحب حلب . فقدموا على الملك الصالح نجم الدين، ولم يقع اتفاق، وعادت الفتنة بين الملوك .

فاتفق الناصر داود صاحب الكرك، مع الصالح إسماعيل صاحب دمشق، على محاربة الملك الصالح نجم الدين . وعاد رسول حلب، وتآمر ابن القطب بالقاهرة . فبعث الناصر داود

= صغيرين، وهما ركن الدين وعز الدين . ثم هرب عن الدين إلى قسطنطينية، وبقى ركن الدين في الملك تحت حكم القز، والحاكم البرواتة معين الدين طليان . والبرواتة لقبه (١٢٢) وهو اسم الحجاب بالعجمي . ثم إن البرواتة قتل ركن الدين، وأقام في الملك ولدا له صغيرا ... " . هذا وفي (Enc. Isl. Art. Kaikhusraw II.) أن غياث الدين حاول الحرب فعلا إلى بلاد الإفرنج، وسيأتي كل ذلك مفصلا بالحق هنا .

(١) في ص "ما شاك"، انظر (Blochet : Op. cit., p. 484) .

(٢) بغير ضبط في ص "والإسعدي نسبة إلى إسعد"، وهي بلدة بين دجلة وبيبا فارغين . انظر

(Rec. Hist. Or. I. Index.)

والصالح إسماعيل ، ووافقا الفرنج على أنهم يكونون^(١) عوناً لهم على الملك الصالح نجم الدين، ووعداهم أن يسلموا إليهم القدس . وسلماهم (٨١ ب) طبرية وعسقلان [أيضاً] ، فصر الفرنج قلعتهما وحصونهما ، وتمكن الفرنج من الصخرة بالقدس ، وجلسوا فوقها بالبحر ، وعلقوا^(٢) الجرس على المسجد الأقصى .

- فبرز الملك الصالح [نجم الدين أيوب] من القاهرة ، وتزل بركة الحب وأقام عليها .
- وكتب إلى الخوارزمية يستدعيهم إلى ديار مصر ، لمحاربة أهل الشام ؛ فخرجوا من بلاد الشرق .

وفي يوم عيد النحر صرف الملك الصالح نجم الدين قاضي القضاة صدر الدين موهوب الجزري ، وقلد الأفضل الخوئي^(٣) قضاء مصر والوجه القبلي . وفيها هرب الصارم ... المسمودي من قلعة الجبل ، وقد صبغ نفسه حتى صار أسود ، على صورة عبد كان يدخل إليه بالطعام ، فأخذ من يليس ، وأعيد إلى معتقله . وفيها أنشأ شهاب الدين ربحان — خادم الخليفة — رباط الشراي بمكة ، وعمر بركة أيضا .

♦ ♦ ♦

سنة اثنتين وأربعين وستمائة . فيها ورد إلى دمشق كتاب بدر الدين لؤلؤ ، صاحب الموصل ، [وفيه يقول] : " إني قد فزرت على أهل الشام قطيعة للترقى كل سنة ، من الثمن عشرة دراهم ، ومن المتوسط خمسة دراهم ، ومن الفقير درهم " . فقرأ القاضي محيي الدين بن زكي الدين الكتاب على الناس ، ووقع الشروع في جباية المال .

(١) في س " يهكونوا " .

(٢) شاهد جمال الدين بن واصل ، صاحب تلخيص مرآة الكروب ، ما أحدثه الفرنج ببيت المقدس . انظر (السنن) :

عقد الجبلان ، ص ١٩٧ ، في ١ ، (Rec. Hist. Or. II. 1.) .

(٣) في س " الخونجي " ، ربيع ضبط ، والنسبة إلى خروج — أو غزوة — وهي بلدة من أعمال آذربيجان ، بين مراغة وزنجان ، في طريق الري ، وسميت في زمن ياقوت (سمي البلدان ، ج ٢ ، ص ٤٩٩ — ٥٠٠) كاندكان ، أي بلدة صناعات الكافور .

(٤) يياض في س .

وفيها قطع الخوارزمية الفرات، ومقدمهم الأمير حسام الدين بركة خان، وخان بردى،
وصاروخان، وكشلوخان، وهم زيادة على عشرة آلاف مقاتل. فسارت [منهم] فرقة على
بقاع بلبك، وفرقة على غرطة دمشق، وهم يهبون ويقتلون ويسبون. فاجتمع الناس من
بين أيديهم، وتحصن الصالح إسماعيل بدمشق، وضم عساكره إليه، بعد ما كانت قد وصلت
غزة. وهم الخوارزمية [على] القدس، وبذلوا السيف في من كان به من النصارى، حتى
أفنوا الرجال، وسبوا النساء والأولاد؛ وهدموا المباني التي في قامة، ونشوا قبور النصارى،
وأحرقوا رممهم. وساروا إلى غزة فتزلوها، وسيروا إلى الملك الصالح نجم الدين أيوب
— في صفر — يخبرونه بقدمهم. فأمرهم بالإقامة في غزة، ووعدهم ببلاد الشام، بعد
ما خلع على رسلهم، وسير إليهم الخلع والخيل والأموال. وتوجه في الرسالة إليهم جمال الدين
أقوش النجاشي، وجمال الدين بن مطروح.

وجهز [الملك الصالح نجم الدين أيوب] عسكرا من القاهرة عليه الأمير ركن الدين بيبرس،
أحمد مساليكه الأخصاء الذين كانوا معه وهو محبوس بالكرك. فسار إلى غزة، وانضم إلى
الخوارزمية جماعة من القيمرية^(٤)، [كانوا قد] قدموا معهم من الشرق. ثم خرج الأمير حسام
الدين أبو علي بن محمد بن أبي علي الهذلي بسكر، ليقم على نابلس.

(١) روجت هذه الأسماء على منطوقها في (Blochet : Op. cit. p. 487). راجع أيضا أبا الفداء (المختصر
في أخبار البشر، ص ١٢٤، في (Rec. Hist. Or. I.)).

(٢) في ص "مخبروه".

(٣) في ص "النسي"، وقد ضبط هذا اللفظ على منطوقه في (Blochet : Op. Cit. P. 488).

(٤) بغير ضبط في ص، والقيمة نسبة إلى قبر، وهي قلعة في الجبال بين الموصل وخرطاط، كان أهلها في زمن
ياقوت (معجم البلدان، ج ٤، ص ٢١٨) من الأكراد. انظر أيضا أبا الفداء (المختصر في أخبار البشر،
ص ١٣٠، في (Rec. Hist. Or. I.)).

(٥) في ص "بوعل".

- وجهاز الصالح إسماعيل عسكرياً من دمشق، عليه الملك المنصور صاحب حصص . فسار المنصور جريداً إلى عكا، وأخذ الفريق ليجاروا معه عساكر مصر، وساروا إلى نحو غزة، وأتمهم نجدة الناصر داود صاحب الكرك (١٨٢) مع الظهير بن سقر الحلبي والوزير .
- فالتقى القوم مع الخوارزمية بظاهر غزة ، وقد رفع الفريق الصلبان على عسكري دمشق، وفوق رأس المنصور صاحب حصص، والأقصة ^(١) تَصَلَّبَ، وبأيديهم أواني الخمر تسقى الفرسان .
- وكان في الميمنة الفريق، وفي الميسرة عسكري الكرك، وفي القلب المنصور صاحب حصص . فساق الخوارزمية وعساكر مصر، ودارت بين الفريقين حرب شديدة . فانكسر الملك المنصور، وفر الوزير، وقُبض على الظهير والجرح . وأحاط الخوارزمية بالفريق، ووضعوا فيهم السيف حتى أتوا عليهم قتلاً وأسراً، ولم يفلت منهم إلا من شرد . فكان عدة من أسرنهم ثمانمائة رجل، وقُتل منهم ومن أهل الشام زيادة على ثلاثين ألفاً . وحاز الخوارزمية من الأموال ما يحل وصفه، ولحق المنصور بدمشق في تفريسه .
- وقدمت البشارة إلى الملك الصالح نجم الدين بذلك في خامس عشر جمادى الأولى، فأمر بزينة القاهرة ومصر وظواهرها، وقلعتي الجبل والروضة . فبالغ الناس في الزينة، وضربت البشائر عدة أيام . وقدمت أسرى الفريق وروعوس القتلى، ومهمم الظهير بن سقر وعدة من الأمراء والأعيان، وقد أُرْكِبَ الفريق الجبال، ومن مهمم من المقدمين على الخيل .
- وشقوا القاهرة، فكان دخولهم يوماً مشهوداً . وعلقت الزعوس على أبواب القاهرة، وملكت الحلبوس بالأسرى .

(١) في م "الانسا" غير ضبط، والأقصة إحدى صيغ جمع لفظ قس - أوقيس، ويجمع أيضاً على قسان وقساوسة، وقسيين وقسوس . (محيط المحيط) .

(٢) لم يذكر المقرئ هنا أقصى ما أحدث الخوارزمية في تلك الحرب، وهو حسبما جاء في المعنى (عقد الجمان، ص ١٩٨، في ١. Rec. Hist. Or. II) أنهم تصفوا طول الفريق إلى القدس، وهاجموه به " ... وبذلوا في أهله السيف، وسبوا ذرارهم ونساءهم، ودخلوا كنائسهم المعروفة بجماعة، فهدموا المقبرة التي يعتقد النصارى أنها مقبرة المسيح عليه السلام ... " .

وصار الأمير بيبرس ، والأمير ابن أبي على بساكرهما إلى عسقلان ، ونازلاها فامتنعت عليهم لحصاتها . فسار ابن أبي على إلى نابلس ، وأقام بيبرس على عسقلان . واستولت نواب الملك الصالح نجم الدين على غزة والسواحل ، والقدس والخليل ، وبيت جبريل والأغوار ، ولم يبق بيد الناصر داود سوى الكرك والبقعاء ، والصلت وعجلون .

فورد الخبر بموت الملك المظفر تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب — صاحب حماة ، في يوم السبت ثامن جمادى الأولى ، فاشتد حزن الملك الصالح [نجم الدين أيوب] عليه ^(٣) . ثم ورد الخبر بموت ابنه الملك المغيث عمر بقلمة دمشق ، فزاد حزنه ، وقوى غضبه على عمه الصالح إسماعيل . وقدم إلى القاهرة الخطيب زين الدين أبو البركات عبد الرحمن بن موهوب من حماة ، بسيف الملك المظفر ، ومعه مقدمة من عند ابن الملك المنصور ناصر الدين محمد ، لتسع مضمين من شوال .

ونخرج الصاحب معين الدين الحسن بن شيخ الشيخ على (٨٢ ب) الساكر من القاهرة ، ومعه الدهليز السلطاني والخرائن . وأقامه السلطان مقام نفسه ، وأذن له أن يجلس على رأس

(١) في م "أيو" . (٢) في م "يو" .

(٣) الملك المظفر هذا جد المؤرخ أبي الفداء إسماعيل ، صاحب كتاب المختصر في أخبار البشر . وقد ترجم له أبو الفداء في مؤلفه هذا (ص ١٢٢ — ١٢٣ ، في Rec. Hist. Or. I.) وذكر ما حدث في حماة بعده ، ونصه : "وفي هذه السنة توفي جدى الملك المظفر تقي الدين محمود ... وكانت مدة ملكته بحماة خمس عشرة سنة وسبعة أشهر وعشرة أيام ... وكان عمره ثلاثاً وأربعين سنة ... وكان شهيداً نجيباً ، ضلنا ذكياً . وكان يحب أهل الفضائل والعلوم ، واستخدم الشيخ علم (١٢٣) الدين فيصر ، المعروف بشاسيف ، وكان مهندساً فاضلاً في العلوم الرياضية ، فبنى للوك المظفر المذكور أبراجاً بحماة ، وطاحوتاً على النهر العاصي ، وعمل كرة من الخشب مدهونة ، رسم فيها جميع الكواكب المرصودة ، وعملت هذه الكرة بحماة . قال القاضي جمال الدين بن واصل ، وساعدت الشيخ علم الدين على عملها . وكان الملك المظفر يحضر ونحن زعمها ، ويسألنا عن مواضع دقيقة فيها . ولما مات الملك المظفر ... ملك بعده ولده الملك المنصور محمد ... وعمره حينئذ عشرين وشهر ... والقائم بتدبير المملكة سيف الدين طغرل بن ملوك الملك المظفر ، وشاكره الشيخ شرف الدين عبد العزيز بن محمد المعروف بشيخ الشيخ ، والهاشمي مرشد ، والوزير بهاء الدين بن الحاج ، ومرجع الجميع إلى والدة المنصور غازية خاتون ، بنت الملك الكامل " .

(٤) ضمير الها . هنا عائد على الملك الصالح نجم الدين أيوب .

- السياط،^(١) ويركب كما هي عادة الملوك، وأن يقف الطواشي شهاب الدين رشيد أستاذار السلطان في خدمته على السياط، ويقف أمير جاندار والحجاب بين يديه، كعادتهم في خدمة السلطان؛ وكتب إلى الخوارزمية أن يسروا في خدمته. فسار [الصاحب معين الدين] من القاهرة بالساكر إلى غزة، وانضاف إليه الخوارزمية والعسكر. وسار إلى يسان، فأقام بها مدة، ثم سار إلى دمشق فنزلها، وقد امتنع بها الصالح إسماعيل والمتصور إبراهيم صاحب حمص. وعانت الخوارزمية في أعمال دمشق، فبعث الصالح إسماعيل إلى ابن شيخ الشيوخ بسجادة وإبريق وعكاز، وقال له: "اشتغالك بهذا أولى من اشتغالك بقتال الملوك". فلما وصل ذلك إليه جهز إلى الصالح إسماعيل جنكا وزمرا وغلالة حرير، وقال: "السجادة والإبريق والمكاز يليقون بي، وأنت أولى بالجنك والزمرا والغلالة"؛ واستمر [الصاحب معين الدين] على محاصرة دمشق. فبعث الخليفة المستعصم بجي الدين بن الجوزي إلى الملك الصالح نجم الدين ومعه خلعة؛ وهي عمامة سوداء، وقربجة مذهبة، وثنان ذهب، وسيف بذهب، وطوق ذهب، وعلبان حرير، وحصان وترس ذهب؛ فليس [الملك الصالح نجم الدين] الخلعة على العادة. وكانت الأقاويل بمصر قد كثرت بحبسه، وتأخر قدومه. فقال الصلاح... بن شعبان الإبريل: -

(١) السياط هنا المساعدة السلطانية، أو ما يسط على الأرض لوضع الأطعمة وجلبوس الآكلين. (بحيث المحيط؛ و. Dozy: Suppl. Dict. Ar.). وفي القرطبي (المواعظ والأخبار، ج ٢، ص ٢١٠ - ٢١١) وصف للاسمعة السلطانية، زمن الأيوبيين والمماليك، ونصه: "وكانت العادة أن يمد بالقصر في طابق النهار من كل يوم أحملة جليلة لعامة الأمراء، خلا البرانيين وقليل مادم. فبكرة يمد سباط أول لا يأكل من السلطان؛ ثم تان بعده يسمى الخاص، قد يأكل من السلطان وقد لا يأكل؛ ثم ثالث بعده، ويسمى الطائر؛ ومنه يأكل السلطان. وأما في آخر النهار فيمنع سباطان، الأول والثاني [وهو] المسى بالخاص... وفي كل هذه الأسمعة، يؤكل ما عليها ويفرق نوات (كذا)؛ ثم يسبق بعدها الأضياف المدعوة من السكر والأقارب المحلية بما ورد المبردة... وبلغ مصروف السياط في كل يوم عيد القطر من كل سنة تسعين ألف درهم، عنها (لهل سنا) نحو أثنين وثمانمائة دينار تنبيه الدنان والعامة...".

(٢) في ص "سبقي".

(٣) ضير الهاء هنا عائد على يحيى الدين بن الجوزي، ويريد القرطبي بهذه العبارة أن يشير إلى إطاء الخليفة المستعصم بالله في الاعتراف بسلطة الملك الصالح نجم الدين أيوب حتى هذه السنة. راجع (Blochet: Op. cit. p. 492).

(٤) بياض في ص.

قالوا الرسول آتى وقالوا إنه ما رام يوما عن دمشق نزوحا
 ذهب الزمان وما ظفرت بمسلم يروى الحديث عن الرسول صحيفا
 وفيها قُتل أمير بني مرين محمد بن عبد الحق بن عيود بن أبي بكر بن حمامة، في حربه مع
 عسكر الموحدين^(١) . وولى بعده أخوه أبو يحيى بن عبد الحق .
 و[فيها] ورد كتاب [بدر الدين] لؤلؤ من الموصل بجباية قطعة التتر من دمشق، فقرا
 كتابه القاضي محي الدين بن الزكي على العادة .

وفيها استوزر الخليفة أستاذاره مؤيد الدين محمد بن الملقى، في ثامن ربيع الأول،
 عوضا عن نصير الدين أبي الأزهر أحمد بن محمد بن علي بن الناقد . وفيها استولى التتر على
 شهرزور . وفيها بلغ الأردب الفصح بمصر أربعائة درهم نُقْرة^(٢) .

+ + +

سنة ثلاث وأربعين وسبعمائة . فيها كثرت محاربة ابن شيخ الشيوخ لأهل دمشق
 ومضايقته للبلد، إلى أن أحرق قصر حجاج^(٣) في ثاني محرم، ورمى بالمجانيق وألح بالقتال .
 فأحرق الصالح إسماعيل في ثالثه عدة مواضع، ونُهبت أموال الناس، وجرت شدائد، إلى أن

(١) مؤسس دولة الموحدين بالمغرب هو أبو عبد الله محمد بن تومرت، المتوفى سنة ٥٢٢هـ (١١٢٨ م) . وقد
 دال المغرب كله، وإسبانيا الإسلامية أيضا، لما ترك تلك الدولة سنة ٥٥٣هـ (١١٥٨ م) . ثم حدث في سنة ٥٦٣هـ
 (١٢٣٥ م) أن أوقعت الدول المسيحية بإسبانيا هزيمة متكررة بجيوش الموحدين، في وقعة (Las Navas) .
 وهذه الوقعة جعلت انكشاف دولة الموحدين، وتآلب أعدائها من المسلمين والمسيحيين بإسبانيا والمغرب، ومن أولئك
 أمراء بني مرين بمرآكش . واقضت دولة الموحدين ٥٦٦هـ (١٢٦٥ م)، بعد وفاة آخر ملوكها أبي العلاء الواثق .
 (Lane-Poole : Muh. Dyns. pp. 45-47: Enc. Isl. Art. Almohades)

(٢) القطعة ما يفرض من المال على بلد أو إقليم، للاتفاق على الاستعدادات الحربية الدفاعية . (محيط
 المخطوطات : Dozy : Suppl. Dict. Ar.)

(٣) بنير ضبط في س، وهي كورة واسعة في الجبال الواقعة بين إدريل وهمدان، وتبعد عن ديلستان سبعة فراسخ .
 (ياقوت : معجم البلدان، ج ٤٣ ص ٣٤٠ - ٣٤٢)

(٤) بنير ضبط في س، وهو محلة كبيرة في ظاهر باب الحامية من مدينة دمشق، وترجع نسبها إلى حجاج ابن
 الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان . (ياقوت : معجم البلدان، ج ٤٤ ص ١١٠)

أَهْلَ شهر ربيع الأول . ففيه خرج المنصور صاحب حصص من دمشق، وتحت مع بركة خان مقدم الخوارزمية في الصلح، وعاد إلى دمشق . فأرسل الوزير أمين الدولة كمال الدين أبو الحسن^(١) بن غزال المعروف بالسامري إلى صاحب معين الدين بن شيخ الشيوخ، يسأله الأمان ليجتمع به ، فبعث إليه بقميص وفرجية وعمامة ومنديل ، فلبس ذلك وخرج ليلاً، لأيام مضت من جمادى الأولى؛ (١٨٣) فتحدثا ورجع إلى دمشق . ثم خرج في ليلة أخرى ، وقرّر أن الصالح إسماعيل يسلم دمشق، على أن يخرج منها هو والمنصور بأموالهم، ولا يُعترض لأحد من أصحابهم ولا شيء مما معهم؛ وأن يُعوض الصالح عن دمشق ببعلبك وبصرى وأعمالها، وجميع بلاد السواد؛ وأن يكون للمنصور حصص وتدمر والرحبة . فأجاب [أمين الدولة] إلى ذلك، وحلف الصاحب معين الدين لهم؛ نفرج الصالح إسماعيل والمنصور من دمشق .

ودخل الصاحب معين الدين في يوم الاثنين ثامن جمادى الأولى، ومنع الخوارزمية من دخول دمشق . ودبر الأمر أحسن تدبير، وأقطع الخوارزمية الساحل بمناشير كتبها لهم، ونزل في البلد . وتسلم الطواشي شهاب الدين رشيد القلعة، وخطب بها وجماع دمشق وعامة أعمالها للملك الصالح نجم الدين؛ وسلم أيضاً الأمير سيف الدين على بن قلع قلعة مجلون لأصحاب الملك الصالح، وقدم إلى دمشق .

فلما وردت الأخبار بذلك على السلطان أنكر على الطواشي شهاب الدين والأمراء كيف مكثوا الصالح إسماعيل من بعلبك، وقال: "إن معين الدين حلف له، و[أما] أتم فالحقتم" . وأمر [الملك الصالح نجم الدين] أن يسير الركن الميخاوي ، والوزير أمين الدولة السامري، تحت الحوطة إلى قلعة الروضة؛ فسيراً من دمشق إلى مصر، واعتقلا قلعة الجبل . فاتفق مرض الصاحب معين الدين ووفاته بدمشق، في ثاني عشر شهر رمضان، فكتب السلطان إلى الأمير حسام الدين بن أبي علي الهذلي، وهو ببعلبك، أن يسير إلى دمشق ويسلمها؛

فسار إليها وصار نائباً بدمشق، والطواشي رشيد بالقلعة . وأفرج السلطان عن الأمير نغرا الدين يوسف بن شيخ الشيوخ - وكان قد لزم بيته - وخلع عليه وأمره وقدمه، وبالحق في الإحسان إليه، و [كان] لم يبق من أولاد شيخ الشيوخ غيره .

وأما الخوارزمية، فإنهم ظنوا أن السلطان إذا انتصر على عمه الملك الصالح إسماعيل يقاسمهم البلاد؛ فلما مُنوا من دمشق، وصاروا في الساحل وغيره من بلاد الشام، تغيرت نياتهم، واتفقوا على الخروج عن طاعة السلطان . وصاروا إلى دارياً واتبوها، وكتبوا الأمير ركن الدين بيسبرس وهو على غزاة بمسك جيد من عساكر مصر، وحسنوا له أن يكون معهم يداً واحدة ويزوجوه منهم، قال إليهم؛ وكتبوا (٨٣ ب) الناصر داود صاحب الكرك، فوافقهم ونزل إليهم واجتمع بهم وتزوج منهم، وعاد إلى الكرك واستولى على ما كان بيد الأمير حسام الدين بن أبي علي، من نابلس والقدس والخليل، وبيت جبريل والأغوار . ١٠

وخاف الصالح إسماعيل، فكاتب الخوارزمية وقدم إليهم؛ لحلفوا له على القيام بنصرته، ونازلوا دمشق . فقام الأمير حسام الدين بن أبي علي بحفظ البلد أحسن قيام، وألح الخوارزمية - ومهمهم الصالح إسماعيل - في القتال ونهب الأعمال، وضايقوا دمشق، وقطعوا عنها الميرة . فاشتد الفلاء بها، وبلغت الغرارة القمح إلى ألف وثمانمائة درهم فضة، ومات كثير من الناس جوعاً؛ وباع شخص داراً قيمتها عشرة آلاف درهم، بألف وخمسة مائة درهم اشتري بها غرارة قمح، فقامت عليه في الحقيقة بعشرة آلاف درهم؛ وأبيع الخبز كل أوقية وربع بدرهم، والحلم كل رطل بسبعة دراهم . ثم حصدت الأقوات بالجملة، وأكل الناس القطاط والكلاب والميتات؛ ومات شخص بالسجن، فأكله أهل السجن . وهلك عالم عظيم من الجوع والوباء، واستقر هذا البلاء ثلاثة أشهر . وصار من يمر من الجبل يتم ربح قن الموق، لمعجز الناس عن مواراة موتاهم؛ ولم تنقطع مع هذا الجوع والفسوق من بين الناس . ٢٠

(١) بغير ضبط في س، وهي قرية كبيرة بالفرطة من قرى دمشق، والنسبة إليها داراني، على غير قياس (ياقوت: معجم البلدان، ج ٢ ص ٥٣٦) .

- و[أخذ] الملك الصالح نجم الدين مع ذلك في أعمال الجبل والتدبير، وما زال بالمنصور إبراهيم صاحب حصص حتى مال إليه، وانفق [أيضا] مع الحليين على محاربة الخوارزمية .
- نفرج الملك الصالح نجم الدين من القاهرة بمساكر مصر، ونزل العباسية، فوافاه بإرسال الخليفة، وهما الملك...^(١) ابن وجه السبع، وجمال الدين عبد الرحمن بن محي الدين [أبي محمد يوسف]^(٢) ابن الجوزي في آخر شوال، ومعهما التقليد والتشريف الأسود : وهو عمامة سوداء، وجبة وطوق ذهب، وفرس بمركوب بحلية ذهب . فنُصِبَ المنبر، وصعد عليه [جمال الدين عبد الرحمن بن] محي الدين بن الجوزي الرسول، وقرأ التقليد بالدهليز السلطاني، والسلطان قائم على قدميه، حتى فرغ من القراءة . ثم ركب السلطان بالتشريف الخلفي، فكان يوما مشهودا . وكان قد حضر أيضا من [عند] الخليفة تشريف باسم صاحب معين الدين بن شيخ الشيوخ، فوجد [أنه] قد مات؛ فأمر السلطان أن يفاض على أخيه الأمير نفر الدين يوسف ١٠ ابن شيخ الشيوخ، فلبس .

فلما بلغ الخوارزمية مسير السلطان من مصر، ومسير [الملك] المنصور [إبراهيم] صاحب حصص بمساكر حاب، رحلوا عن دمشق يريدون لقاء المنصور . فوجد (١٨٤) أهل دمشق برجلهم فرجا، ووصلت إليهم الميرة، وأثقل السمر .



- سنة أربع وأربعين وستمائة . فيها أرسل الملك الصالح نجم الدين أيوب القاضي ١٥ نجم الدين محمد بن سالم النابلسي، المعروف بابن قاضي نابلس — وكان متقدما عنده — إلى مملوكه الأمير ركن الدين بيبرس . فلما زال يحدده ويمنيه، حتى فارق الخوارزمية، وقدم معه إلى ديار مصر، فاعتقل بقامة الجبل، وكان آخر العهد به .

(١) ياض في س . (٢) موضع ما بين القوسين ياض في س . (انظر ص ٢٦٨، سطر ٥) .

(٣) في س "هاه"، وقد غيرت إلى "حصص" بعد مراجعة ابن واصل (نفس المرجع، ص ٣٣٥، ب،

١٣٤٦-ب، ١٣٤٩) . هذا ولا عبرة بوجود ملك اسمه المنصور محمد بمجة تلك السنة، فإنه كان إبان تلك

الحوادث لا يبدو إحدى عشرة سنة، وليس من المحتمل أن يقود مثل جيش ضد الخوارزمية . انظر أبا الفداء (المختصر

في أخبار البشر، ص ١٢٣، ١٢٤، في Rec. Hist. Or. I)؛ راجع أيضا ما يلي، ص ٣٢٤، سطر ١٧ .

وفيهما عظمت مضرة الخوارزمية ببلاد الشام ، وكثر نهبهم للبلاد ، وسفكهم للدماء
 وإتاهما كهم للحرمات . والتقوا مع [الملك] المنصور [إبراهيم صاحب حصن] وعساكر حلب ،
 وقد انضم إليهم عرب كثير وتركمان ، نصرته للملك الصالح نجم الدين ؛ وذلك بظاهر حصن أول
 يوم من المحرم ، وقيل ثامنه . فكانت بينهم وقعة عظيمة انهزم فيها الخوارزمية هزيمة قبيحة ،
 تبديد منها شملهم ، ولم يبق لهم بعدها قائمة . وقتل مقدمهم بركة خان وهو سكران ، وأسر كثير منهم .
 واتصل من فر منهم بالثار ؛ وفيهم من مضى إلى البلقاء ، وخدم الملك الناصر داود صاحب
 الكرك ؛ فترجج [الناصر] منهم ، واختص بهم ، وقويت شوكتهم . وسار بعضهم إلى نابلس ،
 فاستولوا عليها ، ووصل بعض من كان معهم من انهزم إلى حران ؛ ولحق أليك المعظمي بقاعة
 صرخند ، وامتنع بها . وسار الصالح إسماعيل إلى حلب في عتة من الخوارزمية ، فأنزله الملك
 الناصر صاحب حلب وأكرمه ، وقبض على من قدم معه من الخوارزمية . ووردت البشري بهذه
 الهزيمة إلى السلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب في المحرم ، فزينت القاهرة ومصر والقليتان .
 وسار الأمير حسام الدين بن أبي علي الهذلي من دمشق ، واستولى على بعلبك بغير حرب
 في رجب ؛ وحمل منها الملك المنصور نور الدين محمود بن الصالح إسماعيل ، وأخوه الملك السعيد
 عبد الملك ، إلى الديار المصرية تحت الاحتياط ، فاعتقلوا . وزينت القاهرة لفتح بعلبك زينة
 عظيمة ، هي ومصر . وكان أخذ بعلبك عند السلطان أحسن موقعا من أخذه لدمشق ، حقا
 منه على عمه الصالح إسماعيل .

وانصلحت الحال بين السلطان وبين المنصور صاحب حصن والناصر صاحب حلب ،
 واتفقت الكلمة . وبث السلطان إلى حلب يطلب تسليم الصالح إسماعيل ، فلم يُجب إلى
 تسليمه . وأخرج السلطان صكرا كبيرا ، قدم عليه الأمير نغر الدين يوسف بن شيخ الشيوخ ،

(١) الضمير هنا قائم على المنصور إبراهيم وعساكر حلب .

(٢) في م "الناصر داود صاحب الكرك" ، وخط المقرئ واضح من السطور التالية ، ومن ابن وامل (نفس)

المرجع ، ص ٣٤٦ ب) .

(٣) كان بهاء الدين زهير الكاتب الشاعر المشهور ، هو الذي سار بتلك الرسالة إلى الناصر صاحب حلب .

- وسيره لمحاربة الكرك . فسار (٨٤ ب) إلى غزة، وأوقع بالحوارزية، ومعهم الناصر داود صاحب الكرك في ناحية الصلت ، وكسرههم وبقد شملهم، وفر الناصر إلى الكرك في عدة . وكانت الكسرة على الصلت في سابع عشر ربيع الآخر، وسار [نغر الدين] عنها بعد ما حرقها، واحتاط على سائر بلاد الناصر، وولى عليها التواب . ونازل [نغر الدين] الكرك، ونحرب ما حولها، واستولى على البلقاء، وأضعف الناصر حتى سأل الأمان . فبعث [نغر الدين] يطلب منه من عنده من الخوارزمية ، فسيرهم [الناصر] إليه ، فسار عن الكرك وهم في خدمته . ثم نازل^(١) [نغر الدين] بصرى ، حتى أشرف على أخذها، فقتل به مرض أشفى منه على الموت، وحمل في محفة إلى القاهرة، وبقي العسكر حتى استولوا عليها .

- وقدم المنصور [إبراهيم] صاحب حمص إلى دمشق متحيا إلى السلطان الملك الصالح [نجم الدين أيوب]، فقتل به مرض مات به في صفر^(٢) . فحزن عليه السلطان حزنا كبيرا، لأنه كان يتوقع وصوله إليه . فقام من بعده بمحصى ابنه الأشرف مظفر الدين موسى .

= وقد امتنع الناصر من تسليم الصالح لإسماعيل ، لاستجارته به . وهذا نص ماجاء في ابن واصل (نفس المربع ، ص ٣٤٦ ب) عما حدث : "وأما الملك الصالح عماد الدين إسماعيل فانه بعد الكسرة سار إلى حلب ، فأقام بها ملتجئا إلى الملك الناصر بن الملك العزيز . وأرسل بعد ذلك السلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب إلى الملك الناصر كاتبه بهاء الدين زهراء ، يطلب منه الملك الصالح عماد الدين إسماعيل . فلما ذكر بهاء الدين زهير ذلك الناصر صاحب حلب ذلك شق عليه ، وقال كيف يحسن أن يتجسس إلى خال أبي ، وهو كبير البيت ، وأسيره إلى من يقتله . وليس من المروءة إذا استجار [إنسان] بإنسان أن يحضر ذمته ويصله إلى عنقه ، هذا في . لا يكون أبدا . فرجع بهاء الدين زهير إلى السلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب بهذا الجواب ، فألم لذلك وسكت عنه ، وكان في غاية الحق عليه" .

(١) في ص "فتاوى" .

(٢) كان الملك المنصور إبراهيم مسلولا ، واشتد به ذلك المرض بدمشق ، فأت منه . وقد ترجم له ابن واصل (نفس المربع ، ص ٣٤٩ ب) بالآتي : "كان الملك المنصور صاحب حمص ملكا جليلا شجاعا ، مقدما ذا ممة عالية . وكان له أمر عظيم في عسكر السلطان جلال الدين خوارزمشاه ، في سنة سبع وعشرين وستائة ، مع الملك الأشرف . فان والده كان سيده نجدة له . وكسر الخوارزمية مرتين في الشرق ، وأضعف تركهم ، ثم كسره الكسرة العظمى ببون القصب ، وقتل ملكهم ورفق جمعهم . وكان على خلاف طريقة أبيه في سياسة الرعية ، فان أباه كان عنه حيف كثير وعسف ، فغرب بذلك حمص وبلادها ، وتفرق أهلها في البلاد . فلما ولي المنصور إبراهيم أحسن =

وفيها تسلم الملك الصالح نعيم الدين عجлон، بوصية صاحبها سيف الدين بن قلع عند موته.
وفيها سير الصاحب جمال الدين أبو الحسن [يحيى] بن عيسى [بن] إبراهيم بن مطروح إلى
دمشق وزيرا وأميرا، وأتم عليه بسبعين فارسا بدمشق. وصرف الأمير حسام الدين بن
أبي علي الهذلي عن نيابة دمشق، وولى مكانه الأمير مجاهد الدين إبراهيم، وأقر الطوائف
شهاب الدين وشييد بالقلمة على حاله. فلما دخل ابن مطروح إلى دمشق خرج منها الأمير
حسام الدين، وسار إلى القاهرة. فلما قدم على السلطان، وهو بقلمة الجبل، أقره في نيابة
السلطنة بديار مصر، وأثله بدار الوزارة من القاهرة.

وخرج السلطان بالعساكر في شوال يريد دمشق من قلعة الجبل، واستتاب بديار مصر
الأمير حسام الدين بن أبي علي. فدخل إلى دمشق في سابع عشر ذي القعدة، وكان دخوله
يوما مشهودا. فاحسن إلى الناس، وخلع على الأعيان، وتصدق على أهل المدارس والربط
وأرباب البيوت بأربعين ألف درهم. وسار بعد خمسة عشر يوما إلى بعلبك، فرتب أحوالها،
وأعطى لأهل المدارس والربط وأرباب البيوت عشرين ألف درهم. وسار إلى بصرى، وقد
سأله تواب السلطان من الأمير شهاب الدين غازي، نائب الملك الصالح إسماعيل، فتصدق
على مدارس بصرى وربطها وأرباب البيوت بعشرين ألف درهم. وجهز [السلطان] الأمير
ناصر الدين القيمري، والصاحب جمال الدين بن مطروح، إلى صلخد^(٢١) — وبها الأمير عز الدين
أيك المعظمي، فما زالوا به حتى سلم صلخد، وسار (١٨٥) إلى مصر. وتصدق السلطان

= إلى الرقة، ولطف بهم. وكانت عنده سباحة كف وحسن تاني، فعمرت حصن في أيامه، وتراجع إليها من أهلها من
كان يرح عنها؛ وبث فيهم العدل، وأطلق كثيرا ممن كان حبسه أبوه وأطال حبسه. وكان له أخ يقال له الملك
المسعود، تغاف منه بحبسه بقلمة الرقة، فلم يزل في حبسه إلى أن مات. وكان الملك المسعود رحمه الله ذا حرم
ورأى، إلا أنه كان قليل السادة.

(١) ، (٢) ليس إلا بين الأفراس وجود ظاهر في س، وذلك لورود الاسم كله بغير الحاشي، عند ملحق
صفتي ٨٤ ب، ١٨٥، ولكنه وارد في ب (١٠٢).

(٣) كذا في س بغير ضبط، وهي صرخة المتقدم ذكرها مرارا، وتكتبها باللام أقرب إلى اسمها الأصلي
(Salehah). انظر (Salehah : Palest. Under Moslems, p. 529).

في القدس بألتي دينار مصرية؛ وأمر بئزج سور القدس، فكان ذرعه ستة آلاف ذراع بالهاشمي، فأمر بصرف مثل القدس في عمارته، وإن احتاج إلى زيادة حملت من مصر.

و[فيها] سار الأمير غفر الدين بن شيخ الشيوخ بمسكن إلى طبرية، فنازلها حتى أخذها من يد الفرنج، وهدم ما استجده الفرنج من القلاع. وسار [أيضا] إلى عسقلان، فحاصرها حتى أخذها من الفرنج، وهدم الحصون.

وفيها مات الملك العادل أبو بكر بن الكامل محمد خنقا، بقلة الجبل. وقيل كان خنقه قبل هذه السنة، وقيل بل كان في سنة خمس وأربعين، [والقول الثاني] أثبت. وسبب قتله أنه كان معتقلا في برج العافية من قلعة الجبل، فلما عزم السلطان على المسير إلى الشام، بعث يأمره أن يتوجه إلى قلعة الشوبك ليمتثل بها، فامتنع من ذلك. فبعث [السلطان] إليه من خنقه، وأشاع أنه مات، ثم ظهر أمره. وأُخرج ابنه المغيث عمر إلى الشوبك، فاعتقل بها. ولما مات العادل دفن خارج باب النصر، ولم يحضر أحد يكي عليه ولا يذكره. وترك [العادل] ولدا يقال له الملك المغيث عمر، أُتزل إلى القاهرة عند عماته، ثم أُخرج إلى الشوبك. وكان عمر [العادل] يوم مات نحو ثلاثين سنة، وأقام مسجونا نحو ثمان سنين. وفيها وقع الاختلاف بين الفرنج.

(١) في س "حل".

(٢) موضع ما بين القوسين ياض في س، وقد أضيف ما بينها بعد مراجعة (Enl. Isl. Art. Adil. II)، وما بذيل تلك المقالة من المراجع، وأيضا ابن واصل (نفس المرجع، ص ٣٥١ - ٣٥٢).

(٣) كان لغيث عمر هذا شأن كبير فيها بعد. (انظر تحت سنة ٦٤٨).

(٤) في س "عمرة"، وقد حذف الضمير وأُتيت عائده بعد مراجعة ابن واصل (نفس المرجع، ص ٣٥١) - (١٣٥٢). ويوجد في نفس المرجع (ص ١٣٥٢) ترجمة قصيرة للـك العادل نصها: "كان جوادا كثير البذل، وأخف الخزان الذي (كذا) جمعها والده الملك الكامل في المدة البصرة، وكان قد جمعها [لكامل] في المدة الطويلة. وكانت أيامه زاهية زاهرة، والأسواق غاية الرخص. إلا أنه لم يكن فيه صرامة وحسن سياسة يضبط بها الجند، وقدم الأزدال وأئمة الأكابر، ولم يكن له سعادة مع تقدير الله تعالى، لمرى عليه ما جرى".

(٥) الرابع أن القرطبي يشير هنا إلى ما وقع لماوت تلك السنة (١٢٤٦ م) من أدوار النزاع بين البابا (Innocent IV) والإمبراطور (Frederic II)، والذي انتهى برفاة الإمبراطور سنة ١٢٥٠ م. ويخفى هذا =

* * *

سنة خمس وأربعين وستمائة . فيها عاد [السلطان] الملك الصالح من دمشق إلى ديار مصر، بعد ما أخذ عسقلان وخرها في جمادى الآخرة، و[بعد أن] تسلم أيضا قلعة بارزين^(١) من عمل حماة، في رمضان . وفي عوده إلى مصر عرض له — وهو بالرم — وجع في قلبه، أشفى منه على الموت، ثم عوفي ودخل إلى قلعة مالمسا، وزينت البلدان والقلاع^(٢) فرحا به . وكتب [السلطان] إلى الأمير نفر الدين بن شيخ الشيوخ أن يسير من بلاد القريش بالساحل إلى دمشق، فسار إليها بمن معه من العسكر، وأنهم على من بها من الأمراء وغيرهم، وخلع عليهم . وأخذت عسقلان عنوة، يوم الخميس ثاني عشر جمادى الآخرة، بمساكر السلطان .

= الترجيح أنه لم يقع اختلاف ظاهر بين القريش، بالشام أو فلسطين، تلك السنة . انظر (Stevenson: Crusaders In The East, pp. 322-324) . وهذا وقد أفاض البيهقي (عقد الجلائف، ص ١٩٩ — ٢٠٠، في Rec. Hist. Or. II, 1) في وصف ما حدث بين الإمبراطور والبابا، وذكر حقائق ثابتة من تاريخ أوروبا في القرون الوسطى، ومثل ذلك قليل نادر في المراجع العربية . انظر (Camb. Med. Hist. VI, pp. 157-165) . وهذا نص ما جاء في البيهقي: "وسمى، وهي سنة أربع وأربعين وستمائة، أنه وصلت الأخبار من البحر، بحبة مركب وصل من صقلية إلى الإسكندرية، أن البابا غضب على الأيوبر، وعامل خواصه الملازمين له على قتله وكانوا ثلاثة، وقال [لهم] قد خرج الأيوبر عن دين النصرانية، ومال إلى المسلمين، فاقبلوه وغدوا ببلاده لكم . وأقطع [البابا] كل واحد مملكة: فأعطى واحدا صقلية، والآخر تuscany، والآخر بوليا (Apulia)، وهذه ممالك الأيوبر . وكتب أصحاب الأخبار إلى الأيوبر بذلك، فعد إلى مملوكه فبغله في مكانه على النفت، وأظهر أنه قد شرب دواء . وأرسل إلى الثلاثة، بغاموا والمملوك نائم على النفت، فظنوه الأيوبر، وقد اختفى الأيوبر في مجلس، وسمعه ما في قارس . فلما دخلوا على المملوك مالوا عليه بالسكاكين فقتلوه، فخرج عليهم الأيوبر فذبحهم في يده، وسلخهم وحشا جلودهم تبنا، وعطفهم على باب القصر . وبلغ البابا، فبعث إلى قتاله جيشا، وأخلف واقع بينهم . وهذا الأيوبر هو الذي أسماه الملك الكامل القدس . قال البيهقي، ذكر ألقابه الملك الكبير الأجل، الخطير الأعز الأمير، قيسر المظم، أنبرطور المقتدر بقدرة الله، المنحل بمنزته، مالك السانية (Allemania) واللاترية (Lombardy) وصقلية، وحافظ بيت (ص ٢٠٠) المقدس، معز إمام رومية، مالك ملوك النصرانية، حامي الممالك القريشية، قائد الجيوش الصليبية "

(١) بغير ضبط في س، وكانت تلك البلدة وكفرطاب أيضا في يد عن الدين بن المقدم، سنة ٥٨٦هـ (١١٩٠م). انظر أيضا شامة (كتاب الروضتين، ص ٤٦١، في Rec. Hist. Or. IV).

(٢) في س "البلدين والقلاعتين" .

وفيهما تسلّم نواب السلطان قلعة الصبيبة^(١١) . وحضر إلى حلب من حماة الطواشي شجاع الدين مرشد المنصوري ، والأمير مجاهد الدين أمير جاتدار ، لإحضار سيدة الخواتين عصمة الدنيا والدين عائشة خاتون ، ابنة الملك العزيز محمد بن الظاهر غازي بن صلاح الدين يوسف ابن أيوب . فسارت ومعهما السرايا فاطمة خاتون ، ابنة الملك الكامل محمد بن العادل أبي بكر بن أيوب ، في رمضان — ، وهي في مجمل زائد ، وغففتا مليسة ثوب حرير بذهب مكلل بالجوهر . فقلعها زوجها الملك المنصور صاحب حماة .

وفيهما حكر الناس البستان^(١٢) الكافوري بالقاهرة ، وعمروا فيه الدور . وفيها قبض على الأمير عز الدين أيك المعظمي بدمشق ، وحمل إلى القاهرة تحت الحوطة ، فاعتقل بها في دار صواب . ورافقه ولده بأن ماله الذي حمله من صلخد ، كان مبلغ ثمانين ثرجاً أودعها فلما بلغه ذلك سقط إلى الأرض ، وقال : ” هذا آخر العهد بالدنيا “^(١٣) (٨٥ ب) ، ولم يتكلم بعدها حتى مات . وفيها سار السلطان من قلعة الجبل ، ونزل بقصره في أشعوم طناح . وفيها خُلق الملك العادل أبو بكر بن محمد الكامل ، في ثاني عشر شوال^(١٤) .

(١) يبريظ في ص ، وهي قلعة بانياس . (Le Strange : Palest. Under Moslems, p. 419).
انظر أيضاً (Blochet : Op. cit. p. 503, N. 3).

(٢) كان هذا البستان مطلاً على الخليج ، وقد أنشأه محمد بن طنج الإخشيد أمير مصر ، وأعطى به وجعل له أبراما من حديد ، وكان يزل به ويقيم فيه الأيام . واهتم بشأن هذا البستان من بعد الإخشيد أبناءه ، أبو القاسم أو توجو وأبو الحسن علي ، في أيام إمارتهما على مصر بعد أبيهما . فلما استبد بهما أبو المنك كافور الإخشيد بامارة مصر ، كان كثيراً ما ينزعه به ، ويواصل الركوب إلى الميدان الذي كان فيه ، وكانت خيوله بهذا الميدان . فلما قدم بجوهر السفلى بجيوش الفاطميين لأخذ مصر ، أتاه بجوار هذا البستان ، وجعله من جملة القاهرة ، فصار منزلاً للفقهاء الفاطميين مدة أيامهم . وكانوا يتوصلون إليه من سرايب وأقفاً مبنية تحت الأرض ، يزلون إليها من القصر الكبير الشرق ، ويسبون فيها بالهداب . وما زال هذا البستان طامراً إلى أن زالت الدولة ، فحكر وبقي فيه كاهن كور باليمن هنا ، وحملت السرايب والأقفاً أسرية ومجاوئص في الخليج ، وبقيت كذلك إلى أيام القرزي ، أي القرن التاسع الهجري . (القرزي : المواقظ والاختيار ، ج ١ ، ص ٤٥٧).

(٣) أخرج كيس من الجلد أو الشعر ، ذو عدلين يوضع على ظهر الدابة ، ووجهه خروجة وأتراج ونواج . (عبد المحيط) .

(٤) ليس في المراجع المتداولة في هذه الحواشي ، ما يفسر سبب خروج الملك الصالح نجم الدين إلى أشعوم طناح تلك السنة ، والراجح أنه خرج إليها للاشتغاف والبروج من مرضه السابق . (انظر ص ٣٢٨ ، سطر ٣) .

(٥) في هذا الشهر من تلك السنة ، تقلد عن ابن واصل (نقش المرجع ، ص ١٣٥٢ ب — ب) ، ” توفي بقلعة =

سنة ست وأربعين وستمائة . فيها كتب السلطان من أشموم طناح إلى نائبه
بديار مصر الأمير حسام الدين بن أبي علي ، أن يرسل بالحلقة السلطانية والدليل السلطاني
إلى دمشق ، وأقام [السلطان] بدله في نيابة السلطنة بالقاهرة الأمير الجواد جمال الدين ،
وأبى الفتح موسى بن يسمود بن جلدك . فسار [الأمير حسام الدين] ، ونزل بالقصور التي أنشأها^(١)
السلطان الملك الصالح [أيوب] ، وجعلها مدينة بالساح في أول الرمل ، [وجعل فيها سوقا
جامعا ، ليكون مركز العساكر عند خروجهم من الرمل] ، وسماها بالصالحية . وأقام [حسام الدين
بالصالحية] مقام السلطان ، [وطال مقامه بها نحو أربعة أشهر ثم سار] ليترك الملك الأشرف
صاحب حصص ، فإن الأخبار وردت بمسير عساكر حلب مع الأمير شمس الدين لؤلؤ [الأميني] ،
والملك الصالح إسماعيل ، لأخذ حصص . فلم يتركه [حسام الدين] ، وسلم الأشرف حصص ،
وصارت للناصر صاحب حلب ، وتعرض [الأشرف] عن حصص تل بآشور .

فلما بلغ السلطان ذلك عاد من أشموم طناح إلى القاهرة ، وخرج منها إلى عسكره

= الجبل أيضا بدر الدين سليمان بن داود بن العاضد ، الذي كان آخر الخلفاء المصريين . وكان [دئس] بيت الشيعة
الإسماعيلية ببغداد ، وعادتهم يعتقدون الإمامة بعد موت العاضد في ابنه داود بن العاضد . و [كان هو] وإخوته
محبوسين بقعة الجبل ، وقد منعوا من النساء ليقطع نسلهم . فغضب بعض الشيعة جارية إلى داود بن العاضد ، فوطئها
فولدت له سليمان ، بعد أن أخرجهما الشيعة من القلعة سرا ، وتركوا ولدها في بعض النواحي . فظفر الملك الكامل
به ، فاعتقله في القلعة وبق فيها معتقلا ، والشيعة ودعاتهم يجتمعون به ، ويعتقدون الإمامة فيه بعد أبيه داود .
ولما توفي في هذه السنة ، ما بين ثم من يعتقدون إمامته ، (٣٥٢ ب) إلا أنه يفتي أن فهم من يعتقدون أن لسليمان
هذا ولدا (في الأصل بهذا ولد) مختفيا بالصعيد ، وأنه أمم .

(١) كان الأمير جمال الدين بن يسمود ، قبل تعيينه نيابة السلطنة بالقاهرة ، متوليا لدار الصناعة بها ، فأصبح
متوليا للخزائن . (ابن واصل : قس المرجع ، ص ٣٥٢ ب ، ٣٥٥ أ) .
(٢) في من "انشأ" .

(٣) في من "قام" ، وقد عدل هذا الفعل ، وأضيف ما بين الأقواس بسائر هذه الفقرة ، بعد مراجعة ابن
واصل (قس المرجع ، ص ٣٥١ ب ، ٣٥٢ ب ، ٣٥٣ ب) .

(٤) أطلق هذا الاسم على قلعة حصينة ، وكورة واسعة أيضا ، في شمالي حلب ، بينها وبين حلب يومان . (ياقوت :
معجم البلدان ، ج ١ ، ص ٧٦٤) .

بالصالحية، وسار في عفة لما به من المرض، بسبب ورم مآبضه^(١). [وكان قد] اشتد [به] حتى حصل منه ناصور، وحدث معه قرحة في الصدر؛ إلا أن همته كانت قوية، فلم يُلق نفسه^(٢). وسار [السلطان] إلى دمشق، ونزل بقلعتها.

وبعث [السلطان] بالأمير نغر الدين بن شيخ الشيوخ، ومعه الأمراء والعساكر، وفيهم الأمير ابن أبي علي الهذلي، إلى حمص. فنازلها ورمى عليها بمنجنيق زنة حمجرة مائة وأربعون رطلا، ومعه ثلاثة عشر منجنيقا آخر. وسخر الناس في حمل هذه المنجنيق من دمشق، حتى كان يحمل كل عود ثمة نحو عشرين درهما بألف درهم، فإن الوقت كان شتاء صعبا. وألح [الأمير نغر الدين] في الحصار، إلى أن قدم من بغداد الشيخ نجم الدين البادرائي، رسولاً من الخليفة [المستعصم بالله]، بالصلح بين الحليين وبين السلطان. ففقر والصلح، ورحل العسكر عن حمص، بعد ما أشرف على أخذها^(٣).

١٠

(١) المآبض - أو الأبيض، بطن الزكاة والمرق، وجمعها مآبض وأباض. (بحيث المحيط).

(٢) ألم كل ذلك بالسلطان الملك الصالح أيوب، حسبما جاء في ابن واصل (نفس المرجع، ص ٣٥٣)، وهو مقم بأشوم طناح. وهذا نص عبارة ابن واصل: "وكان الملك الصالح نجم الدين وهو بأشوم طناح (كذا) قد عرض له ورم في مآبضه، ثم فتح وحصل له منه قسريول. وبعد ذلك حصلت له قرحة، تقيقت الأطباء أنه لاخلص له منها، لكنه لم يشر بذلك. وكان من كبر نفسه يحمل ذلك، وكان له همة عالية تحمله على التبعة والحركة، وعرضه وضغه يوجب (كذا) تراخيه على الإيجاد لذلك الأشرف...".

(٣) أجاب السلطان الملك الصالح إلى الصلح، حسبما جاء في ابن واصل (نفس المرجع، ص ٣٥٤ ب)، "للأمرين: أحدهما ما كان به من المرض، والثاني أنه بلغته حركة الفرنج وتصدعهم الديار المصرية، في جميع غلبة من داخل البحر". انظر أيضا (نفس المرجع، ص ٣٥٦)، و (Stevenson: Crusaders In The East. p. 325). هذا وقد كانت أخبار الفرنج، حسبما جاء في السني (عهد الجمان، ص ٢٠١، في Rec. Hist. Or. II.I.). تتواتر إلى الملك الصالح... من جهة الانهوار... فانه كان مصافيا لذلك الكامل أيه، وكذلك له...". ويشير ابن واصل هنا إلى فزع بعض ملوك أروبا، وأولم (Louis IX) ملك فرنسا، من هزيمة الصليبيين عند غزة (انظر ص ٣١٧، سطر ٤)، وتسلبهم بيت المقدس (انظر ص ٣١٨، سطر ٣). وقد قام ملك فرنسا على رأس حملة معظم جنودها من الفرنسيين، وهي المعروفة في تاريخ الحروب الصليبية بالسابعة. ووصلت تلك الحملة جزيرة قبرص في سبتمبر سنة ١٢٤٨ م (رجب سنة ٦٤٦ هـ)، وقصدت مصر بعد انقضاء شتاء تلك السنة، وأخبارها واردة هنا فإلى. راجع أيضا (Stevenson: Op. cit. pp. 324-326).

وقدم من حلب الشيخ شمس الدين الخسروشاہی^(١)، فسأل السلطان على لسان الملك الناصر داود صاحب الكرك، أن يسلم الكرك إلى السلطان^(٢)، ويتناض عنها بالشوك. فأجيب [الناصر دواود] إلى ذلك، وتوجه من يسلم منه الكرك. ثم رجع [الناصر] عن ذلك، لما بلغه من شدة مرض السلطان، وتحرك الفريخ لأخذ ديار مصر. فخرج السلطان من دمشق في محفة، وسار إلى القوز؛ وقدم الأمير حسام الدين بن أبي علي إلى القاهرة، لينوب عنه بها؛ واستدعى بالأمير جمال الدين بن (١٨٦) يغمور من القاهرة، لينوب بدمشق؛ وعزل العاصم جمال الدين بن مطروح عن دمشق، وعزل الطواشي شهاب الدين رشيد عن قلعة دمشق، وفوض ما كان بيدهما للأمير جمال الدين بن يغمور.

وفيهما احترق المشهد الحسيني بالقاهرة، واحترقت المنارة الشرقية بجامع دمشق. [وفيهما] مات قاضي القضاة أفضل الدين الخوئي، في شهر رمضان؛ فولى من بعده ابنه قاضي القضاة جمال الدين يحيى.

وفيهما مات الملك المظفر شهاب الدين غازي بن المادل أبي بكر بن أيوب، صاحب الزها، وقام من بعده ابنه الكامل محمد في سلطنة الزها وميفارقين.

وفيهما عزل الملك المنصور نور الدين عمر بن علي بن رسول صاحب اليمن الأمير نغر الدين ابن السلاج عن مكة وأعمالها؛ وولى عوضه محمد بن أحمد بن المسيب^(٤)، على مال يقوم به، وقود [عنده] مائة فرس، كل سنة. فقدم [ابن المسيب] مكة، وخرج الأمير نغر الدين.

(١) بنير ضبط في ص، والنسبة إلى خسروشاہ، وهي قرية بينها وبين مرو فرسخان. وخسروشاہ أيضا بليدة في قاز، بينها وبين تبريز ستة فراسخ. (ياقوت: معجم البلدان، ج ٢، ص ٤٤٣).

(٢) في ص "فريخ".

(٣) في ص "بوعل"، وقد جمع الأمير حسام الدين بن وظيفي نيابة السلطة وتولية دار الصناعة، كما اخفق وبلا لاین يغمور. انظر ابن واصل (نفس المرجع)، ص ١٣٥٥.

(٤) كما في ص بنير ضبط، واسم في الخزرجي (العقود القرطبية، ج ١، ص ٧٧) ابن المسيب. ويلاحظ أن عبارة المقرئ هنا مشابة في نقلها وترتيبها لما يتألفها في الخزرجي، ويظهر أن المقرئ اعتمد هنا على ذلك المرجع. هذا وقد أضيف ما بين الأقواس، بسائر هذه الفقرة، من نفس المرجع والصفحة.

- فساعت سيرة ابن المسيب، وأعاد الجبايات والمكوس بمكة، وأخذ الصدقة الواردة من اليمن، وأخذ ما كان بمكة من مال السلطان، وبني حصنا بنبطة [يسمى العطشان]، وحلف هذيل^(١) لنفسه، ومنع الجند الثقة. فوثب عليه الشريف أبو سعد بن علي بن قتادة، وقبده وأخذ ماله، وقال لأهل الحرم: "إنما فعلت به هذا لأني تحققت أنه يريد الفرار بالمال إلى العراق. وأنا غلام مولانا السلطان، والمال عندي محفوظ والخيل والمسد، إلى أن يصل مرسومه". فلم يكن غير أيام، وورد الخبر بموت السلطان نور الدين عمر بن رسول.



- سنة سبع وأربعين وستائة. فيها قدم السلطان من دمشق، وهو مريض في حفة، لما بلغه من حركة الفرنج. فترل بأشموم طماح في الحرم، وجمع في دمياط من الأقوات والأسلحة شيئا كثيرا، وبث إلى الأمير حسام الدين بن أبي علي نائبه بالقاهرة، أن يجهز الشواني من صناعة مصر، فشرع في تجهيزها: وسيرها شيئا بعد شيء. وأمر [السلطان] ١٠ الأمير نغر الدين بن شيخ الشيوخ أن يتزل على جيزة دمياط بالعساكر، ليصير في مقابلة الفرنج إذا قدموا. فتحول [الأمير نغر الدين] بالعساكر، فترل بالجيزة تجاه دمياط، وصار النيل بينه وبينها. ولم يقدر السلطان على الحركة لمرضه، ونودي في مصر: "من كان له على السلطان أو عنده [له] شيء، فليحضر ليأخذ حقه"، فطلع الناس وأخذوا ما كان لهم.

- وفي الساعة الثانية من يوم الجمعة لتسع بقين من صفر، وصلت مراكب الفرنج البحرية، وفيها جموعهم العظيمة محبة ريدأفرنس — ويقال له الفرنسيس، واسمه لُويس بن لُويس، وريدأفرنس لقب بلغة الفرنج، معناه ملك أفرنس — وقد انضم إليهم فرنج الساحل كله، فأرسوا

(١) كانت هذيل هذه قبيلة صديرة، ساكنة شرق مكة. (الخرزرجي: القرد القزولية، ج ٣ من الترجمة الإنجليزية، ص ٦٤، حاشية رقم ٣٧٤).

(٢) يقول ابن واصل (تقس المربع، ص ١٣٥٦) إن الأمير نغر الدين نزل على "بحيرة دمياط"، وفي المعنى (مقد الجمان، ص ٢٠١، في (Rec. Hist. Or. II. 1) "بيرة دمياط".

(٣) ضبط المقرري بعض ألفاظ هذه العبارة على النحو المتأخر هنا، وقد رأى عدم إضافة علامات ضبط أخرى، لبيان مدى حاجة عصر المقرري لضبط الألفاظ الأجنبية، ولوضوح العبارة تسهلا. وفي ابن واصل (تقس) =

في البحر بإزاء المسلمين . وسير ملك الفرنج إلى السلطان كتابا ، نصه بعد كلمة كفرهم : " أما بعد فإنه لم يخف عنك أنى أمين الأمة العيسوية ، كما أنى أقول إنك أمين الأمة المحمدية . وإنه غير خاف عنك أن أهل جزائر الأندلس يحملون^(١) إلينا الأموال والهدايا ، ونحن نسوقهم سوق البقر ، وقتل منهم الرجال وزمل النساء ، ونستأسر البنات والصبيان ، ونخلى منهم الديار . وقد أبديت لك ما فيه الكفاية ، وبذلت لك النصيح إلى النهاية . فلو حلفت لى بكل الأيمان ، ودخلت على القسوس والرهبان ، وحملت قداحى الشمع طاعة للصلبان ، ما ردنى ذلك عن الوصول إليك ، وقتالك (٨٦ ب) فى أعز البقاع عليك . فإن كانت البلاد لى ، فإيا هدية حصلت فى يدى ، وإن كانت البلاد لك والقلبة على^(٢) ، فإياك المليا ممتدة إلى . وقد عرفتك وحزرتك ، من عساكر قد حضرت فى طاعنى ، تملأ السهل والجبل ، وعددهم كهدد الحصى ، وهم مرسلون إليك بأسيايف القضا . "

فلما وصل الكتاب إلى السلطان وقرئ عليه ، اغرورقت عيناه بالدموع واسترجع^(٣) . فكتب الجواب بخط القاضي بهاء الدين زهير بن محمد ، كاتب الإنشاء ، ونسخته بعد البسملة وصلواته على سيدنا محمد رسول الله وآله وصحبه أجمعين : " أما بعد فإنه وصل كتابك ، وأنت تهدد فيه بكثرة جيوشك وعدد أبطالك . فنحن أرباب السيوف ، وما قتل منا قرن إلا جددناه ، ولا يبق علينا باغ إلا دمناه . فلورأت عيناك — أيها المغرور ! — حدسيوفنا ، وعظم حروبنا ، وفتحنا منكم الحصون والسواحل ، وإحراقنا منكم ديار الأواخر والأوائل ،

(= المرجع ، ص ٣٥٥ ب) هذا الأسماء والألقاب الواردة هنا ، حقائق عن الملك الفرنسى (Louis IX) ، تشبه بسمة دراية المؤرخين المسلمين بأحوال الدول المماثلة ، ونصها : " وكان هذا أريد أفرنس من أعظم ملوك الفرنجية ، وأشدهم بأسا . وأفرنس هو أمة من الفرنج ، ومعنى ويد أفرنس ملك أفرنس ، فإن ريد فى لغتهم معناها الملك . وكان متدينا بدين النصرانية مرتبطا به ، فحدثته نفسه بأن يستبد البيت المقدس إلى الفرنج ، إذ هو بيت مبرودهم على ما يزعمون ، ولم أن ذلك لا يتم له إلا بملك الديار المصرية . وذكر أن جمعا كان ما بين فارس وراجل خمسين ألفا وأكثر ، وكان خروجهم وحركته فى السنة الماضية ، وقصد أولا جزيرة قبرص " .

(١) فى س : " يحملوا " .

(٢) معنى استرجع هنا أنه قال ، " إنا قد ونا إليه راجعون " . (محيط المحيط) .

لكان لك أن تعض على أناملك بالندم ، ولا بد أن تزل بك القدم ، في يوم أوله لنا وآخره عليك . فهتاك تسمى بك الظنون ، وسيعلم الذين ظلموا أى مقلب ينقلبون . فإذا قرأت كتابى هذا ، فكن فيه على أول سورة النمل : أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ؛ وكن على آخر سورة ص : « وَلَتَمْلِكُنَّ بُرَاهِمَ جَنِّينَ . ونعود الى قول الله تبارك وتعالى ، وهو أصدق القائلين : كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ؛ و[إلى] قول الحكماء : إن الباغى له مصرع ، وبنيك يصرك ، وإلى البلاء يقلبك ، والسلام » .

- وفي يوم السبت نزل الفرنج في البر الذي عساكر المسلمين فيه ، وضربت للآل^(١) ريذا فرنس خيمة حمراء . فتأوشهم المسلمون الحرب ، واستشهد يومئذ الأمير نجم الدين ... بن شيخ الإسلام - وكان رجلا صالحا ، ورتبه الملك الناصر داود مع الملك الصالح نجم الدين ، لما سجن بالكرك ، لمؤانسته . وعن استشهد أيضا الأمير صارم الدين إلبك الوزيرى . فلما أمسى الليل رحل الأمير نغر الدين يوسف بن شيخ الشيوخ بمن معه من عساكر المسلمين ، وقطع بهم الجسر إلى الجانب الشرق ، الذى فيه مدينة دمياط . وخلا البر الغربى للفرنج ، وسار [نغر الدين] بالصكر يريد أشموم طلاح .

- فلما رأى أهل دمياط رحيل الصكر ، خرجوا كأنما يسحبون على وجوههم طول الليل ، ولم يبق بالمدينة أحد ألبنة ، وصارت [دمياط] فارغة من الناس جملة . وفروا (١٨٧) إلى أشموم مع الصكر ، وهم حفاة عراة جياع فقراء ، حيارى بمن معهم من الأطفال والنساء . وساروا إلى القاهرة ، فبهيم الناس في الطريق ، ولم يبق لهم ما يعيشون به . فعدت هذه القعدة من الأمير نغر الدين من أقبح ما يشنع به . وقد كانت دمياط في أيام الملك الكامل ، لما نازلها الفرنج ، أقل ذخائر وعددا منها في هذه النوبة ؛ ومع ذلك لم يقدر الفرنج على أخذها إلا بعد سنة ، عندما فتى أهلها بالوباء والجوع ، وكان فيها هذه المرة أيضا جماعة من شجعان بنى كنانة ، فلم يبق ذلك شيئا .

(١) مضبوط هكذا في س .

(٢) يبايض في س .

وأصبح الفرنج يوم الأحد ، لسبع يقين من صفر ، سائرين إلى مدينة ديباط . فعندما رأوا أبوابها مفتحة ولا أحد يحميها ، خشوا أن تكون مكيدة ، فتمهلوا حتى ظهر أن الناس قد فروا وتركوها . فدخلوا المدينة بغير كلفة ولا مؤنة حصار ، واستولوا على ما فيها من الآلات الحربية ، والأسلحة العظيمة والمعدد الكثيرة ، والأقوات والأزواد والذخائر والأموال والأمتعة وبغير ذلك ، صفوا عفا .

وبلغ ذلك أهل القاهرة ومصر ، فانزعج الناس انزعاجا عظيما ، ويشوا من بقاء كلمة الإسلام بديار مصر ، فملك الفرنج مدينة ديباط ، وهزيمة الساكر ، وقوة الفرنج بما صار إليهم من الأموال والأزواد والأسلحة ، والحصن الجليل الذي لا يُقدر على أخذه بقوة ، — مع شدة مرض السلطان ، وعدم حركته .

وعند ما وصلت الساكر إلى أثنوم [طناح] ، ومعهم أهل ديباط ، اشتد حق السلطان على الكنائين ، وأمر بشقتهم ، فقالوا : ” وما ذنبنا إذا كانت عساكره جميعهم وأمرأته هربوا ، وأحرقوا الزردخان ، ذى شيء نعمل نحن ؟ “ فشقوا لكونهم^(١) خرجوا من المدينة بغير إذن ، حتى تسلمها الفرنج ، فكانت عدة من شق زيادة على خمسين أميرا من الكنائية . [وكان] فيهم أمير حشيم ، وله ابن جميل الصورة ، فقال أبوه : ” باقه اشتقوني قبل أبى “ . فقال السلطان : ” لا ! بل اشتقوه قبل أبيه “ . فشق الابن ، ثم شق الأب من بعده ، بعد أن استبقى السلطان الفقهاء فأقتلوا بقتلهم .

وتغير السلطان على الأمير نغر الدين بن شيخ الشيوخ ، وقال : ” أما قدرتم تحقون ساعة بين يدي الفرنج ؟ هذا وما قتل منكم إلا هذا الضيف الشيخ نجم الدين “ . وكان الوقت لا يسع إلا الصبر والتفاضى ، (٨٧ ب) وقامت الشناعة من كل أحد على الأمير نغر الدين ، تخاف كثير من الأمراء وغيرهم سطوة السلطان ، وهو ما يقتله . فأشار عليهم نغر الدين بالصبر ، حتى يتبين أمر السلطان : ” فإيه على خُطَّة ^(٢) ، وإن مات كانت الراحة منه ، وإلا فهو بين أيديكم “ .

(١) في م ” كونهم “ . (٢) في م ” تحقوا “ .

(١) سنى ” على خة “ أنه قد يروح به المرض ، وفي (Dozy : Supp. Dict. Ar.) مثل هذا المعنى ، وهو ” أمك على خة “ ، وترجمته إلى الفرنسية ” ta mère est dangereusement malade “ .

ولما وقع ما ذكر أمر السلطان بالرحيل إلى المنصورة، وحمل في حراقة حتى أنزل بقصر المنصورة على بحر النيل، في يوم الثلاثاء لخمس بقين من صفر. فشرع كل أحد من العسكر في تجديد الأبنية للسكنى بالمنصورة، ونصبت بها الأسواق، وأصلح السور الذي على البحر وستر بالسائر. وقدمت الشوانى المصرية بالعدد الكاملة والرجال، وجاءت الفزاة والرجال من عوام الناس الذين يريدون الجهاد، من كل النواحي؛ ووصلت عربان كثيرة جدا، وأخذوا في القارة على الفرنج ومناوشتهم. وحصن الفرنج أسوار دمياط، وشغنها بالمقاتلة. فلما كان يوم الاثنين سلع شهر ربيع الأول، وصل إلى القاهرة من أسرى الفرنج الذين تخطفهم العرب ستة وثلاثون أسيرا، منهم فارسان. وفي خامس شهر ربيع الآخر وصل سبعة وثلاثون أسيرا، وفي سابعه وصل اثنان وعشرون أسيرا؛ وفي سادس عشره وصل خمسة وأربعون أسيرا، منهم ثلاثة من الخيالة.

١٠

ولما بلغ أهل دمشق أخذ الفرنج لمدينة دمياط ساروا منها، وأخذوا صيدها من الفرنج، بعد حصار وقتال. فورد الخبز بذلك لخمس بقين من شهر ربيع الآخر، فسر الناس بذلك. هذا والأسرى من الفرنج تصل في كل قليل إلى القاهرة، ووصل في ثامن عشر جمادى الأولى خمسون أسيرا. ومع ذلك والمرضى يترأى بالسلطان، وقواه تتحط، حتى وقع بأس الأطباء من برئه وعافيته، لاجتماع مرضين عظيمين، هما الجراحة الناصورية في مابضه والسهل.

١٥

وأما الناصر داود صاحب الكرك، فإنه لما ضاقت به الأمور استخلف ابنه الملك المعظم [شرف الدين] عيسى، وأخذ معه جواهره، وسار في البر إلى حلب، مستجيرا بالملك الناصر يوسف بن الملك العزيز؛ فأنزله وأكرمه. وسير الناصر بجواهره إلى الخليفة المستعصم بالله، لتكون عنده وديعة؛ فقبض [الخليفة] ذلك، وسير إليه الخط بقبضه. وأراد الناصر بذلك

٢٠

(١) في س "استخلف".

(٢) أخيف ما بين القوسين من ابن واصل (نقس المرجع، ص ٣٥٧ ب).

أن يكون الجوهر في مأمـ ، فإذا احتاج إليه طلبه ، وكانت (١٨٨) قيمته ما ينف على مائة ألف دينار^(١) . فحق ولدا الناصر—[وهما الملك الظاهر شادى^(٢)، والملك الأجد حسن]—، على أبيهما، لكونه قدم عليهما المعظم ، وقبضا على المعظم ، واستوليا على الكرك . وأقام الملك الظاهر شادى — وهو أسن إخوته — بالكرك . وسار الملك الأجد حسن إلى الملك الصالح نجم الدين، فوصل إلى المعسكر بالمنصورة ، يوم السبت لتسع مضي من جمادى الآخرة، وبشـر بأنه هو وأخوه الظاهر أخذوا الكرك له ، وسأله في خبز بديار مصر يقوم بهما . فأكرمه السلطان ، وأعطاه مالا كثيرا ، وسير الطواشي بدر الدين الصوابي إلى الكرك نائبها وبالشوبك . فقتلها [بدر الدين]، وسير أولاد الناصر داود جميعهم ، وأخويه الملك [الملك] القاهرة [عبد الملك] ، والملك المفيث [عبد العزيز] ، ونسأهم وعيالهم كلها ، إلى المعسكر [بالمنصورة] . فأقطعهم السلطان إقطاعا جليلا ، ورتب لهم الرواتب ، وأنزل أولاد الناصر في الجانب الغربي قبالة المنصورة . وكان استيلاء نائب السلطان على الكرك يوم الاثنين ، لاثنتي عشرة بقيت من جمادى الآخرة ، وسر السلطان بأخذ الكرك سرورا عظيما ، وأمر فزينت القاهرة ومصر ، وضربت البشائر بالقلعتين . وجهز [السلطان] إلى الكرك ألف ألف دينار مصرية ، وجواهر وذخائر وأسلحة ، وشيئا كثيرا مما يعز عليه .

وفي ثالث عشر شهر رجب وصل إلى القاهرة سبعة وأربعون أسيرا من الفرنج ، وأحد

(١) لم تقع عين الناصر على تلك الجواهر بعد إيداعها عند الخليفة ، ذلك أن التراسلوا عليها سنة ٦٥٦ هـ (١٢٥٨ م) ، عند ما أخذوا بندقا وقتلوا الخليفة المستعصم بالله . (ابن واصل : نفس المرجع ، ص ٣٥٧) .
(٢) أخيف ما بين القوسين من ابن واصل (نفس المرجع ، ص ٣٥٨) . وفي نفس المرجع والصفحة أن الملك الناصر داود فضل ولده المعظم شرف الدين عيسى على سائر إخوته ، وأقامه مقام نفسه بالكرك ، لأن والدته أم ولد تركية ، كان يميل إليها الملك الناصر داود ميلا كثيرا ، ويجب أنها أكثر من محبة لإخوته الباقين . وكان الناصر ولدا من ابنة عمه الملك الأجد ابن الملك العادل ، وهما الملك الظاهر شادى ، والملك الأجد حسن . وكان الملك الظاهر أكبر أولاده ، وقد ولد بقلعة دمشق ، قبل أن تؤخذ دمشق منه . وكان الملك الأجد نبيا فاضلا ، شاركا في علوم شتى . وهذا وقد كان لناصر أولاد عدا هؤلاء ، من أمهات أخرى .

(٣) أخيف ما بين الأقواس من ابن واصل (نفس المرجع ، ص ٣٥٨ ب) .

عشر فارسا منهم، وظفر المسلمون بعد أيام بمسطح للفرنج في البحر، فيه مقاتلة، بالقرب من نَسْرَاوَة^(١).

فلما كان ليلة الاثنين نصف شعبان، مات السلطان الملك الصالح بالمنصورة، [وهو] في مقابلة الفرنج، عن أربع وأربعين سنة، بعد ما عهد لولده [الملك المعظم] تورانشاه، وحلف له نغر الدين ابن الشيخ وعحسن الطواشي، ومن يثق به، وبعد ما علم قبل موته عشرة آلاف علامة، يستعان بها في المكتابات على كتمان موته، حتى يقدم ابنه تورانشاه من حصن كيفا. وكانت أم [السلطان الملك الصالح] أم ولد، اسمها ورد المنى، وكانت مدة ملكه بمصر عشر سنين إلا خمسين يوما. ففسله أحد الحكماء الذين تولوا علاجه، لكي يشفى موته. وحمل في تابوت إلى قلعة الروضة، وأخفى موته، فلم يشتر إلى ثاني عشر رمضان، ثم نقل بعد ذلك بمدة إلى تربته بجوار المدارس الصالحية بالقاهرة.

والملك الصالح هو الذي أنشأ الممالك البحرية بديار مصر: وذلك أنه لما مر به ما تقدم ذكره، في الليلة التي زال عنه ملكه، بتفرق الأكراد وغيرهم من السكر عنه، حتى لم يشته معه سوى مماليكه، رعى لهم ذلك. فلما استولى على مملكة مصر أكثر من شراء الممالك،

(١) نوع من السفن، جمعه مسطحات، والغالب أنه سمى بذلك لأنه كان له سطح. وقد وصفه: (Dozy Suppl. Diet. Ar.) بالآتي: "sorte de navire, peut-être un navire qui a un pont, un tillac."

(٢) بغير ضبط في ص، وتسمى أيضا نَسْرَو، وكانت تطلق في تلك العصور على بلدة البرلس الحالية، وعلى بحيرة البرلس أيضا. وكانت بلدة نَسْرَاوَة إذ ذاك، حسبما جاء في ياقوت (معجم البلدان، ج ٤، ص ٧٨٠)، انظر أيضا ج ١، ص ٥٩٣)، جزيرة يصاد فيها السمك، وعلى أهلها خمسان خمسين ألف دينار. ولم يكن عندهم ماء عذب، وإنما يأتيهم في المراكب، فاذا لاحتم لم مراكب الماء ضربوا بوق البشارة سرورا، ثم يأتي كل رجل بحيرة يأخذ فيها الماء، ويحملها إلى بيته. راجع أيضا (Enc. Isl. Art. Burullus).

(٣) في ص "امه".

(٤) كانت وفاة السلطان الملك الصالح أيوب، حسبما جاء في ابن راسل (نقص المرجع، ص ١٣٥٩) "ليلة الأحد لأربع عشرة ليلة مضت من شعبان ... فكانت مدة ملكه لـديار المصرية تسع سنين وثمانية أشهر وعشرين يوما. وكان عمره نحو أربعين سنة، لأن مولده سنة ثمان (ثمانية في الأصل) وستمائة".

وجعلهم معظم عسكره ؛ وقبض على الأمراء ^(١١) [الذين كانوا عند أبيه وأخيه ، واعتقلهم وقطع أخبارهم] ، وأعطى [ممالكه] الإمرات ، فصاروا بطانته والمحيطين بدهليزه (٨٨ ب) ، وسماهم بالبحرية لسكناهم معه في قلعة الروضة على بحر النيل .

وكان ملكا شجاعا حازما مهيبا ، لشدة سطوته ونظامه تاموسه ، مع عزه النفس وعلو الهمة ، وكثرة الحياء والمغة وطهارة الذيل عن الخنا ، وصيانة اللسان من الفحش في القول ، والإعراض عن الهزل والعبث بالكلية ، وشدة الوقار ولزوم الصمت ، حتى إنه كان إذا خرج من عند حرمه إلى ممالكه ، أخذتهم الرعدة عند ما يشاهدونه — خوفا منه — ، ولا يبقى أحد منهم مع أحد . و[كان] إذا جلس مع ندماؤه كان صامتا ، لا يستغزه الطرب ولا يتحرك ، وجلساؤه كأنما على رءوسهم الطير . وإذا تكلم مع أحد من خواصه ، كان ما يقوله كلمات نزرة وهو في غاية الوقار ، وتلك الكلمات لا تكون إلا في مهم عظيم ، من استشارة أو تستد مع أمر من الأمور المهمة ؛ لا يبدو حديثه قط هذا النحو ، ولا يحسر أحد يتكلم بين يديه إلا جوابا . وما عُرِف أبدا عن أحد من خواصه أن تكلم في مجلسه ابتداء البتة ، ولا أنه جسر على شفاعته ولا مشورة ولا ذكر نصيحة ، ما لم يكن ذلك بابتداء من السلطان ؛ فإذا انفرد بنفسه لا يدنو منه أحد . وكانت القصص ترد إليه مع الخدام فيوقع عليها ، ويخرج بها الخدام إلى كاتب الإنشاء ؛ ولا يستقل أحد من أرباب الدولة بافراد بأمر ، بل يرجع بالقصص مع الخدام . ومع هذه التهمة والمهابة لا يرفع بصره إلى من يحادثه ، حياء منه وخفرا ؛ ولم يُسمع منه قط في حق أحد من خدمه لفظة فحش ، وأكثر ما يقول إذا شتم أحدا : ”متخلف“ ، لا يزيد على هذه الكلمة ؛ ولا عُرِف قط من النكاح سوى زوجته وجواريه . وكانت البلاد في أيامه آمنة مطمئنة والطرق سابلة ، إلا أنه كان عظيم الكبر زائد الترفع ، بلغ من كبره وترفعه أن ابنه الملك المنفيث عمر ، لما حبسه الملك الصالح إسماعيل عنده ،

(١) أخيف ما بين القوسين بعد مراجعة ابن واصل (نقش المرجع ، ص ١٣٥٩) .

(٢) في ص ”اعظام“ .

(٣) من ”مها“ .

لم يسأله فيه ولا طلبه منه، حتى مات في حبسه . وكان يحب جمع المال، بحيث أنه عاقب عليه أم أخيه الملك العادل، إلى أن أخذ منها مالا عظيما وجواهر نفيسة .

وقتل [السلطان الملك الصالح أيوب] أخاه الملك العادل، ومن حين قتله ما انتفع بالحياة ولا تنهى بها : قتل به المرض، وطرقه الفرج، وقبض على جميع أمراء الدولة، وأخذ أموالهم وذخائرهم . ومات في حبسه ما ينف على خمسة آلاف نفس، سوى من قتل وغرق من الأشرفة في البحر . ولم يكن له مع (١٨٩) ذلك ميل إلى العلم ولا مطالعة الكتب، إلا أنه كان يحرى على أهل العلم والصلاح المعاليم والجرايات، من غير أن يخاطبهم . ولم يخاطب غيرهم، لحبته في العزلة ورغبته في الانفراد، وملازمته للصمت ومداومته على الوقار والسكون .

- ١٠ . وكان يحب الهارة ويأشر الأبنية بنفسه، وعمر بمصر مالم يعمره أحد من ملوك بني أيوب : فأنشأ قلعة الروضة تجاه مدينة فسطاط مصر، وأفق فيها أموالا جمعة، وهدم كنيسة كانت هناك لليعاقة من النصرارى . وأسكن بهذه القلعة ألف مملوك من الترك — وقيل ثمانمائة — سماهم البحرية . وكان الماء حينئذ لا يحيط بها، فلم يزل يفرق السفن، ويرى المجارة فيما بين الحيزة والروضة، إلى أن صار الماء في طول السنة يحيط بالروضة . وأقام جسرا من مصر إلى الروضة، يمر عليه الأمراء وغيرهم إذا جاءوا إلى الخدمة؛ ولم يكن أحد يمر على هذا الجسر راكبا، احتراما للسلطان . بنامت هذه القلعة من أجل مباني الملوك . وبني أيضا على النيل بناحية الأوق قصورا بلغت النهاية في الحسن، جعلها إلى جانب ميدانه الذي يلعب فيه بالكرة، وكان مغرى بلمبها . وبني قصرا عظيما فيما بين القاهرة ومصر، سماه

(١) في س "ولا" .

(٢) أطلق اسم ناحية القوق في الأصل — ومعنى القوق الأرض البية — على الجهة التي انحسر عنها ماء النيل، من ساحل القس إلى منشأة المهراني بالقاهرة . وعرفت تلك الناحية باسم باب القوق، وهو باب الميدان الصالح المذكور هنا؛ وقد بنى ذلك الباب إلى ما بعد سنة ٧٤٠ هـ . (المقريزى : المواعظ والاعتبار، ج ٢، ص ١١٧ —

الكيش ، على الجبل يحسوار جامع ابن طولون . وبني قصرا بالقرب من الملائكة ^(١) في أرض السائح ، وجعل حوله مدينة سماها الصالحية ، فيها جامع وسوق ، لتكون مركزا للمساكن بأول الرمل الذي بين الشام ومصر .

وكان له من الأولاد الملك المنفيث [فتح الدين] عمر ، وهو أكبر أولاده ، مات في سجن قلعة دمشق ، والملك المعظم [غياث الدين] تورانشاه ، وملك مصر بعده ، والملك القاهر ، ومات في حياته أيضا . وولد له أيضا من شجر الدر ولد سماه خيلا ، مات صغيرا ^(٢) .

ولما طال مرضه من الجراحة الناصورية — وفسد عجزه ، وامتد الجرح الى غده اليمن ، وأكل جسمه — اجتهد في مداواتها ، وحدث له مرض السل من غير أن يفتن به . فورد كتابه الى الأمير حسام الدين بن أبي علي بالقاهرة : ” إن الجراحة قد صلحت وجفت رطوباتها ، [ولم يبق إلا ركوبى ولعبي بالصوبلة] ، فتأخذ حطك من هذه البشري ” .
وفي الحقيقة لم تجف الجراحة إلا لفراغ المواد ، وتزايد عليه بعد ذلك المرض حتى مات .

وقيل إنه لم يبعد الى أحد بالملك ، بل قال للأمير حسام الدين بن أبي علي : ” إذا مات لا تسلم (٨٩ ب) البلاد إلا للخليفة المستعصم بالله ، ليرى فيها رأيه “ ، فإنه كان يصر في ولده [المعظم توران شاه ^(٣)] من الهوج . فلما مات السلطان أحضرت زوجته شجر الدر الأمير نضر الدين بن شيخ الشيوخ ، والطواشي جمال الدين محسن — وكان أقرب الناس الى السلطان ،

(١) بنبرسط في س ، أد في ياقوت (صم البلدان) ج ٣ ، ص ٧١٠ . وهي ” بلدة ... دون بليس ، فيها أسواق وبازار (كذا) يرمي الغرب “ . وفي مبارك (الخطب التوفيقية) ج ١٤ ، ص ٥٣ — ٥٤ ، أن هذه البلدة كانت في زمن إحدى مراكز مديرية الشرقية .

(٢) أخيف ما بين الأفراس ، بسائر هذه الفقرة ، من ابن واصل (نفس المربع) ، ص ٣٦٠ ب .

(٣) في س ” خليل “ .

(٤) في س ” إن الجراحة قد صلحت وحسب رطوباتها حاد حطك من هذه البشري “ ، وقد أصلحت العبارة ، وأضيف ما بين القوسين من ابن واصل (نفس المربع) ، ص ٣٦١ ب .

(٥) كان الملك المعظم ، قنلا من ابن واصل (نفس المربع) ، ص ٣٦٠ ب ” حده هوج واضطراب ، وكان أبوه الملك الصالح نجم الدين أيوب يكرمه لذلك “ .

- وإليه القيام بأمر مما يليك وحاشيته — وأعلمتهما بموت السلطان ، ووصتهما بكتيان موته ، خوفا من التفرج . وكان الأمير نغر الدين عاقلا مدبرا ، خليقا بالملك ، جوادا محبوبا إلى الناس . فاتفقا مع شجر الدر على القيام بتدبير المملكة ، إلى أن يقدم الملك المعظم تورانشاه . فأحضرت [شجر الدر] الأمراء الذين بالمعسكر ، وقالت لهم : " إن السلطان قد رسم بأن تحلقوا له ، ولابنه الملك المعظم غياث الدين تورانشاه صاحب حصن كيفا أن يكون سلطانا بعده ، وللاُمير نغر الدين يوسف بن شيخ الشيوخ بالتقدمة على العساكر والقيام بالأتاكية وتدبير المملكة " . فقالوا كلهم سمعا وطاعة ، ظنا منهم أن السلطان حي ، وحلقوا بأسرهم ، وحلقوا سائر الأجناد والمماليك السلطانية .

- وكتب على لسان السلطان إلى الأمير حسام الدين بن أبي على الهذبانى بالقاهرة ، أن يحث أكابر الدولة وأجنادها بالقاهرة . فحضر إلى دار الوزارة^(١) قاضي القضاة بدر الدين يوسف بن الحسن قاضي ستجار ، والقاضي بهاء الدين زهير بن محمد كاتب الإنشاء — وكان الملك الصالح قد أبده لأمر نقمه عليه — ، وحلقا من حضر من الأعيان على ما تقدم ذكره ، وكان ذلك في يوم الخميس ثامن عشر شعبان . واستدعى القاضي بهاء الدين زهير من القاهرة إلى المعسكر بالمنصورة .

- وقام الأمير نغر الدين بتدبير المملكة ، وأقطع البلاد بمناشيره ، وأعاد البهاء زهيراً إلى

(١) تقدم ذكر موضع هذه الدار في ص ٢٩٧ حاشية ٦ ، وفي ص ٣٢٦ أيضا (سطر ٧) ، والراجع أن المقرئ قد صدق دار الوزارة الكبرى بالقاهرة الفاطمية ، وليس دار الوزارة التي كانت بالقلة في عهد الأيوبيين والمماليك . (انظر الحاشية رقم ٦ ، المشار إليها) . وكانت دار الوزارة الكبرى من منشآت العهد الفاطمي ، بناها الأفضل ابن أمير الجيوش بدر الجمال ، بجوار القصر الكبير الشرق ، لتكون مسكنا لمن على إمرة الجيوش . واستمرت تلك الدار الكبرى كذلك سكان زمن الفاطميين ، ثم سكنها سلاطين الأيوبيين أنفسهم ، من عهد السلطان صلاح الدين إلى زمن السلطان الملك الكامل ، وصارت تسمى بالدار السلطانية . وأول من انتقل عنها من الملوك الأيوبيين السلطان الملك الكامل نفسه ، فإنه سكن قلعة الجبل ، وجعل هذه الدار منزلا لمن يرد إلى مصر من الخوفا والرسول ، وبقيت لذلك الغرض زمنا طويلا . (المقرئ : الملاحظ والاعتبار ، ج ١ ، ص ٤٣٨ — ٤٣٩) .

(٢) في ص "زهير" .

منصبه . فكانت الكتب ترد من المعسكر وعليها علامة^(١) السلطان الملك الصالح [نجم الدين أيوب] ، فقيل إنها كانت بخط خادم يقال له سهيل^(٢) ، لا يشك من رآه أنه خط السلطان . ومضى هذا على الأمير حسام الدين نائب السلطنة مدة ، إلى أن أوقفه بعض أصحابه على اضطراب في العلامة ، يخالف علامة السلطان^(٣) . ففحص عن خبر السلطان من بعض خواصه الذين بالمعسكر ، حتى عرف موته . فاشتد خوفه من الأمير نغر الدين ، وخشى أن يتقلب على الملك ، فاحتاط لنفسه .

وأخذ الأمير نغر الدين يطلق المسجونين (١٩٠) ، ويتصرف في إطلاق الأموال والتخلع على خواص الأمراء ، وأطلق السكر والكان إلى الشام . فلم الناس بموت السلطان من حينئذ ، غير أن أحدا لا يحسر أن يتفوق به .

(١) العلامة السلطانية هي ما يكتب السلطان بخطه على صورة اصطلاحية خاصة ، وكانت صورة علامة الملك الصالح نجم الدين أيوب ، حسب جاء في ابن واصل (قص المربع ، ص ٣٦٢ أ - ب) "أيوب بن محمد بن أيوب بن أيوب" . وكان لكل سلطان علامة وتوقيع ، وقد ذكر المقرئ (المواظ والاختيار ، ج ٢ ، ص ٢١١) صور كل منها من عهد السلطان الملك الناصر محمد بن تلالون (٦٩٣ - ٧٠٩ - ١٢٩٣ - ١٣٠٩ م) إلى زنه ، وقصه : "قد جرت العادة أن السلطان يكتب خطه على كل ما يأمر به ، فأما مناشير الأمراء والجنود وكل من له إقطاع ، فانه يكتب عليه علامته . وكتبها الملك الناصر محمد بن تلالون "الله أمل" ، وعمل ذلك الملوك بعده إلى اليوم . وأما تقييد التواب ، وتوقيع أرباب المناصب من القضاة والوزراء ، والكتاب وبقية أرباب الوظائف ، وتوقيع أرباب الرواتب والإطلاقات ، فانه يكتب عليها اسمه واسم أبيه إن كان أبوه حيا ، فيكتب مثلا محمد بن تلالون ، أو شهاب بن حسين ، أو فرج بن بروق . وإن لم يكن أبوه من تلالون ، فيكتب اسمه فقط ، ومثاله بروق أو شيخ . وأما كتب البريد وخلاص الحقوق والفلانات ، فانه يكتب أيضا عليها اسمه ، وربما كثر المكتوب اليه ، فيكتب اليه : أخوه فلان ، أو والده فلان" ، وأخوه يكتب للإمام من أرباب الرتب . والذى يسم عليه السلطان إما إقطاع ، فالرم فيه أن يقال خرج الأمر الشريف ، وإما وظائف ورواتب وإطلاقات ، فالرم في ذلك أن يقال رسم الأمر الشريف . وأعلى ما يسم عليه [السلطان] ما انتخب بخطه أولا أحد له ، ثم ما انتخب بخطه أولا أما بعد حادثة ... وتغز المناشير المفتحة فيها بالمدح أول الخطبة أن تظفر بالسواد ، وتضمن اسم السلطان وألقابه . وقد ظلت الطرافق وقتها هذا" .

(٢) اسم هذا الخادم "سهيل" ، في ابن واصل (قص المربع ، ص ٣٦٢ ب) .

(٣) كان جمال الدين بن واصل ، صاحب كتاب مفرج الكرب (انظر ص ٣٦٣) هو الذي نبه الأمير حسام الدين إلى اختلاف العلامة السلطانية .

وسار من المعسكر الفارس ^(١١) أقطاي، وهو يومئذ رأس الممالك البحرية، لإحضار الملك المعظم من حصن كيفا. وبعث الأمير حسام الدين [محمد بن أبي علي، نائب السلطنة بالقاهرة، من عنده] قاصدا من قبله أيضا. فلما كان يوم الاثنين لثان بقين من شعبان، أمر [الأمير حسام الدين] الخطباء بأن يدعوا يوم الجمعة للملك المعظم، بعد الدعاة لأبيه؛ وأن ينقش اسمه على السكة، بعد اسم أبيه. وتوهم الأمير حسام الدين من الأمير نغر الدين أن يقيم الملك المغيث عمر بن العادل أبي بكر بن الكامل، ويستولى على الأمر؛ فتقلبه من عند عمات أبيه بنات الملك العادل أبي بكر بن أيوب، من القاهرة إلى قلعة الجبل؛ ووكّل به من يحتاط عليه، ولا يسلمه لأحد.

هذا والمكتبات ترد من الأمير نغر الدين، وعنوانها "من نغر الدين الخادم يوسف"، فيجيب عنها الأمير حسام الدين، ويعمل العنوان "المملوك أبو علي"، فيتجاملان في ظاهر الأمر. وأما في الباطن فإن الأمير نغر الدين أخذ في الاستبداد والاستقلال بالملكمة، واخص بالصاحب جمال بن مطروح، وبالقاضي بهاء الدين زهير؛ وصار يركب في موكب عظيم، وجميع الأمراء في خدمته، ويترجلون له عند التزول، ويحضرون ساحله.

ووصل قاصد الأمير حسام الدين إلى حصن كيفا، وطالع الملك المعظم بأن المصلحة في السرعة، ومتى تأخر فأت القوت، وتطلب الأمير نغر الدين على البلاد؛ ثم وصل إليه بعد

(١) مضبوط على منطوقه في (Biochet : Op. cit. p. 521, N. 4)، وهذا الاسم في ابن راضل (نقس المربع، ص ٣٦٣ ب) "أقطاي".

(٢) هذا القبط محبوب بركة ملصقة فوقه في س، ولكنه في ب (١٠٨).

(٣) أخيف مابين القوسين بعد مراجعة ابن راضل (نقس المربع، ص ٣٦٣ ب). وكان القاصد الذي أرسله الأمير حسام الدين أحد مالكي الخواص، يعرف بزين الدين الماشق.

(٤) كان الملك المغيث هذا عند عماته منذ وفاة أبيه، (انظر ص ٣٢٧، مسطر ١، وما يليه)، وكان عمره لما اعتقل بالقلعة حوالي أربع عشرة سنة. (ابن راضل : نقس المربع، ص ٣٦٣ ب).

(٥) يظهر أن الأمير نغر الدين كان قد حدث نفسه بالسلطة في ذلك الوقت، فانه حسبما جاء في ابن راضل (نقس المربع، ص ٣٦٦ أ)، "كان قد انتهى إلى قريب رتبة الملك الصالح نجم الدين أيوب، وكانت همته تترق إلى الملك".

ذلك قُصَادُ نَجْر الدين وشجر الدر . نَجْرَج [المعظم] من حصن كيفا ليلة السبت لإحدى عشرة [ليلة] مضت من شهر رمضان ، في خمسين فارساً من أزماعه . وقصد عانة ليعدى الفرات ، وقد أقام له بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل جماعة ، وأقام له الخليون أيضاً جماعة ، يقبضون عليه . فنجاه الله منهم وعدى الفرات من عانة ، وسلك البرية ، فطاف بنفسه وكاد يهلك من العطش .

هذا وشجر الدر تدير الأمور حتى لم يتغير شيء ، وصار الدهليز السلطاني على حاله ، والسماط في كل [يوم] ^(١) يحد ، والأمراء تحضر الخدمة ، وهي تقول : "السلطان مريض ، ما يصل إليه أحد" .

وأما الفرنج فما هو إلا أن فهموا أن السلطان قد مات [حتى] خرجوا من دمياط ، فارسمهم وراجلهم ، ووزلوا على فارس كور ، وشوانيم في بحر النيل تحاذيهم ، ورحلوا من فارس كور يوم الخميس نحس بقين من شعبان . فورد في يوم الجمعة إلى القاهرة من المعسكر كتاب ، فيه حصص (٩٠ ب) الناس على الجهاد ، أوله : أَنْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا ، وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ، ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ . وكان كتاباً بليفاً فيه مواعظ ^(٢) حجة ، فقرأ على الناس فوق منبر جامع القاهرة ، وحصل عند قراءته من البكاء ^(٣)

(١) ليس لهذا اللفظ وجود في س ، ولكنه في ب (١٠٨ - ١) .

(٢) كذا في س ، وفي ابن واصل (نص المرجع ، ص ٣٦٤ ب) ، ويسمى يا قوت (معجم البلدان ، ج ٣ ، ص ٨٣٨) "الفارسكر" ، وكانت في زمة قرية من كورة الدهلية . وفي الآن من مراكم بديرية الدهلية ، وكانت كذلك أيام مبارك (الخطب التوفيقية ، ج ١٤ ، ص ١٤ - ١٦) .

(٣) يرجع ابن واصل (نص المرجع ، ص ٣٦٤ ب) أن هذا الكتاب كان من إنشاء بهاء الدين زهير .

(٤) لعل المقرئ يرى هذا الجامع الأزهر ، ويحيل إلى هذا الرأي (Blochet : Op. cit. p. 525) ، إذ ترجم العبارة إلى (la grande mosquée du Caire) . على أنه لا يوجد في المقرئ (المواظ والاعتبار ، ج ١ ، ص ٢٢٢) ، أوفى القلقشندي (صبح الأعشى ، ج ٣ ، ص ٣٦٤ ، وما بعدها) ، أوفى ابن واصل (نص المرجع ، ص ٣٦٤ ب) ما يساعد على تعيين الجامع المقصود هنا ، ونص المرجع الثالث كالآتي : " فقرأ هذا الكتاب على الناس بالمنبر بالجامع بالصلاة بالقاهرة " .

والنحيب وارتفاع الأصوات بالضجيج ما لا يوصف . وارتجت القاهرة ومصر ، لكثرة
ارتجاج الناس وحركتهم لسير ؛ فخرج من البلاد والنواحي لجهاد الفرنج عالم عظيم ، وقد اشتد
كرب الخلائق من تمكن الفرنج وقوتهم وأخضعهم البلاد ، مع موت السلطان .

- فلما كان يوم الثلاثاء أول يوم من شهر رمضان واقع الفرنج المسلمين ، فاستشهد الملاي
أمير مجلس ، وجماعة [من الأجناد ^(١)] ؛ وقتل من الفرنج عدة . ونزل الفرنج بشارمساح ،
وفي يوم الاثنين سابه نزلوا البرمون ، فاشتد الكرب وعظم الخطب ، لدقهم وقربهم من
المعسكر . وفي يوم الأحد ثالث عشره وصلوا إلى طرف بر دباط ، ونزلوا تجاه المنصورة ،
وصار بينهم وبين المسلمين بحر أشموم . [وكان معظم عسكر المسلمين في المنصورة بالبر
الشرقي ^(٢)] ، وفي البر الغربي أولاد الملك الناصر داود صاحب الكرك : . وهم الملك الأجد ،
والملك الناصر ، والملك المعظم ، والملك الأوحدي ، في عدة من العسكر . [وكان أولاد الملك
الناصر داود ، الأكابر منهم والأصاغر الذين قدموا القاهرة ، اثني عشر ولدا ذكرا . وكان
بالبر الغربي أيضا أخو الملك الناصر داود : وهما الملك القاهرة عبد الملك ، والملك المقيث
عبد العزيز] . فاستقر الفرنج بمرتلتهم هذه ، وخندقوا طيهم خندقا ، وأداروا سورا وستروه
بالتائر ، ونصبوا المجانيق ليرموا بها على معسكر المسلمين . ونزلت شوانهم بإزائهم في بحر
النيل ، ووقفت شواني المسلمين بإزاء المنصورة ؛ ووقع القتال بين الفريقين برا وبحرا .
وفي يوم الأربعاء سادس عشره قفز إلى عند المسلمين ستة خيالة ، وأخبروا بضائقه

(١) أضف ما بين القوسين من ابن واصل (قس المرجع ، ص ٣٦٤ ب) .

(٢) في س "نزلوا" ، راجع ابن واصل (قس المرجع ، ص ٣٦٤ ب) . وما يجب ملاحظته هنا أن الفرنج
زحفوا تلك المرة على قس الطريق الذي اتبعوه سنة ٦١٥ هـ (انظر ص ١٨٨ ، ١٩٤ — ١٩٥ ، ١٩٧ ، ١٩٨ ،
٢٠١ — ٢٠٣ ، ٢٠٥ ، ٢٠٦ — ٢٠٩) ، وحوادث هذه الحملة مشابهة في كثير من التفاصيل لسابقها . راجع
(Joinville : St. Louis, pp. 40 et seq.)

(٣) أضف ما بين الأقواس ، بآثر هذه الفقرة ، من ابن واصل (قس المرجع ، ص ٣٦٤ ب — ٣٦٥ ،
وكذلك ص ٣٣٨ ، سطر ٢ ، وما يليه .

(٤) في س "المناجيق" .

الفرنج . وفي يوم عيد الفطر أسر كند كبير من الفرنج، له قرابة من الملك ريدا فرنس . واستمر القتال، وما من يوم إلا ويقتل من الفرنج ويؤسر، [وقد] لقوا من عامة المسلمين وسؤالهم نكاية عظيمة، وتخطفوا منهم وقتلوا كثيرا . وكانوا إذا شعروا بالفرنج ألقوا أنفسهم في الماء، وسبحوا إلى أن يصيروا في بر المسلمين . و [كانوا] يتحولون في خطفهم بكل حيلة : حتى أن شخصا أخذ بطيخة أدخل فيها رأسه ، وغطس في الماء إلى أن قرب من الفرنج فظنوه بطيخة، فها هو إلا أن نزل [أحدهم] في الماء ليتناولها إذ اختطفه المسلم، وعام به حتى قدم به إلى المسلمين . وفي يوم الأربعاء سابع شوال ، أخذ المسلمون شيئا، فيه نحو مائتي رجل من الفرنج وكند كبير . وفي يوم الخميس النصف منه (١٩١) ركب الفرنج [والمسلمون]، فدخل المسلمون إليهم بالبر الذي هم فيه، وقاتلوهم قتالا شديدا، قتل فيه من الفرنج أربعون فارسا، وقتل خيولهم . وفي يوم الجمعة تاليه وصل إلى القاهرة سبعة وستون أسيرا من الفرنج، منهم ثلاثة من أكابر الداوية . وفي يوم الخميس ثاني عشره أحرقت للفرنج مرمة عظيمة في البحر، واستظهر المسلمون عليهم استظهارا عظيما .

(١) لا يوجد في (Joinville : Op. cit. p. 50 et seq.) ، أو في غيره من المراجع المتداولة في هذه الحواشي ، ما يدل على اسم هذا الكند الذي أسره ذلك اليوم . على أنه من المرجح أن المقريزي يقصد هنا (Count of Anjou) ، أحد إخوة ملك فرنسا الذين كانوا معه في تلك الحملة ، فإنه كاد يقع في أيدي المسلمين مرة، حوالى التاريخ الوارد هنا . انظر (Joinville : Op. cit. p. 50) .

(٢) يتقابل هذا القطف كلمة "الخرافة" في ابن واصل (تقس المريج، ص ١٣٦٥) ، وكذلك في العيني (عقد الجبان، ص ٢٠٨ ، في ١. Rec. Hist. Or. II.) ، وهم أتباع المسكرات، الذين لا يخشون لفرقة مينة أو قائد خاص .

(٣) في ص "يضلوا" .

(٤) في ص "شفي" ، وفوق يائها المتوسطة علامة السكون .

(٥) أضيف ما بين القوسين من ابن واصل (تقس المريج، ص ٣٦٥ ب) .

(٦) يشير المقريزي هنا إلى البرجين المتحركين اللذين اجتاهها ملك فرنسا حين ذلك على الضفة التالية لبحر آشوم، لوقاية الجنود والعمال المستعدين في إقامة جسر هناك عبر النهر . وقد سلب المسلمون عليها النار الإغريقية ، وألقوا في الرمي حتى أحرقوها . (Joinville : Op. cit. pp. 47, 52) .

- (١١) [وما زال الأمر على ذلك]، إلى أن كان يوم الثلاثاء خامس ذى القعدة، دَلَّ بعض منافق أهل الإسلام الفرنج على مخاض في بحر أشمون، فلم يشمر الناس إلا والفرنج معهم في المعسكر. وكان الأمير نغر الدين في الحسام، فأناه الصريح بأن الفرنج قد هجموا على المعسكر؛ فخرج مدهوشا وركب فرسه من غير اعتداد ولا تحفظ، وساق لينظر الخبر ويأمر الناس بالركوب، وليس معه سوى بعض عماليكه وأجناده. فلقبه طُلُبُ الفرنج الداوية وحملوا عليه، فضر من كان معه وتركوه وهو يدافع عن نفسه؛ فطعنه واحد برمح في جنبه، واعتورته السيوف من كل ناحية، فمات رحمه الله. وزل الفرنج على جديلة^(١٢)، وكانوا ألفا وأربعمائة فارس، ومقدمهم أخو الملك ريد افرنس^(١٣).

(١) المراجع العربية مختلطة في تعيين من دل الفرنج على هذه المخاض، فزأين واصل (عس المرجع، ص ١٢٦٦) أن بعض المسلمين دلو الفرنج على مخاضة بسلون؛ وفي البني (عقد الجمان، ص ٨-٢٠، في Rec. Hist. Or. II. 1.)، أن الفرنج خاضوا من مخاضة في بحر أشمون يقال لها مخاضة بسلون، دلم عليها قوم من سلون ليسوا بمسلمين. وهذا وفي (Joinville: Op. cit. p. 58)، أن هو يا عرض أن يدل الفرنج على مخاضة، في مقابل خمسين قلعة من قنودهم (500 bezants).

(٢) كان ملك فرنسا قد رتب الجيوش على أن تكون قصة الداوية طليعة، وأن تلبها الفرقة التي يتردها أخوه (Count of Artois). انظر (Oman: Art of War In The Middle Ages. Vol. I. p. 345). (٣) في ص "اعترفته".

(٤) بغير ضبط في ص، وهي تل مطل على الشاطئ الجنوبي لبحر أشمون، كان المسلمون قد نصبوا مجانيقهم وأبراجهم عليه، فبالة معسكر الفرنج والبرجين المتحركين على الشاطئ الآخر. انظر (Rec. Hist. Or. II. I. Index). وكذلك (Oman: Op. Cit. I. p. 347).

(٥) يقصد القرينى (Count of Artois) المتقدم ذكره في الحاشية رقم ٢، وكان قد ظلت عليه الحماسة وحسب السبق، فاندفع بمجدد عبوره المخاضة بفرسه نحو كوكبة مقاربة من خيالة المسلمين، فطاردها وتبعها إلى المعسكر ودل بدرجاله ورجال فرقة الداوية التي لحقت به، كان حلف الأمير نغر الدين. ثم تقدم (Count of Artois) إلى معسكر المسلمين، واستول على الجبهة التي كانت بها آلاتهم الحربية (انظر الحاشية السابقة). ويظهر أنه كان قد تمهي الاقتراد بظفر ذاك اليوم، من دون بقية الجيوش الفرنجية، فلم يقف منتظرا وصولهم إلى حيث وصل، بل تقدم مسرعا نحو المتصورة ودخلها منصورا، كما هو مذكور فيما يلي. انظر (Joinville: Op. cit. pp. 54 et seq. et seq.; Oman: Op. cit. I. pp. 346 et seq.).

وما هو إلا أن قتل الأمير غفر الدين ، وإذا بالفرنج اقتحموا على المنصورة . فتفرق الناس وانهمزوا يمينا وشمالا ، وكادت الكسرة أن تكون ، فإن الملك ريد أفرنس وصل بنفسه إلى باب قصر السلطان . إلا أن الله تدارك بلطفه ، وأخرج إلى الفرنج الطائفة التركية ، التي تعرف بالبحرية والجندارية ، وفهم [ركن الدين] مبيرس البندقداري الذي تسلطن بعد هذه الأيام . فحملوا على الفرنج حملة زعزعوهم بها ، وأزاحوهم عن باب القصر . فلما ولوا أخذتهم السيوف والدبابيس ، حتى قتل منهم في هذه النوبة نحو ألف وخمسمائة من أعيانهم وشجعانهم . وكانت رجالة الفرنج قد أتوا الجسر ليدلوا منه ، فلولا لطف الله لكان الأمر يتم لهم بتعديتهم الجسر .

(١) لم يكن ملك فرنسا قد زحف بعد نحو المنصورة ، وإنما المقصود هنا (Counts of Artois) ، فانه تقدم نحو قصر السلطان ، واتخذت جنوده في أزقة المنصورة ، حيث أسطرم السكان والبل من الأبحار والطوب والسام . وفيما الكل على ذلك ، كان المسلمون قد استجمعوا بعض قواهم خارج المدينة ، فدخلت منهم طائفة المنصورة ، وهاجوا الفرنج وقتلوا منهم وأهلكوهم ع آتروهم تقريبا ، وكان (Count of Artois) من قتلوا في هذه المعركة ، كما هو وارد فيما يلي . وهذا والسبب في تسميته هنا باسم ملك الفرنسيين ، أنه لما وقع صريرا وأخذ كراغته لعرضه على المسلمين ، وهو مطرز بزهره الزنبق (Fleur-de-lis) شعار أبناء البيت المالئ في فرنسا ، ظن المتفرجون أن ملك فرنسا كان بين القتل . (Joinville : Op. cit. p. 69 ; Oman : Op. cit. pp. 348-349) . وبعد نزول تلك الطائفة الالمة بساعة تقريبا ، وصل ملك فرنسا إلى ميدان القتال ، وحاول الاستيلاء على "جديفة" التي كان عليها آلات المسلمين . وكان فرض الملك من ذلك أن يستكمل بناء القنطرة من الناحية الجنوبية لصبر الرجال إليه ، وقد نجح في ذلك كله ، غير أن الروح المستوية الجديدة في صفوف المسلمين أذهبت ذلك سدى ، ونجم الليل لحجز بين الفريقين ، كما هو وارد بالمتن فيما يلي . انظرا أيضا (Oman : Op. cit. I. pp. 348 et seq.) .

(٢) البندقداري نسبة إلى البندقدار ، وهو لفظ فارسي مركب ، معناه حامل براوة — أي كبش — البندق ، خلف السلطان أو الأمير . (اللقب شندى : صبح الأعشى ، ج ٢ ، ص ١٣٧ ج ٥ ، ص ٤٥٨) . وقد سمي مبيرس هذا باسم البندقداري ، لأنه كان في أول أمره حاكما لا أميراً يديكن البندقدار ، ثم انتقل إلى الملك الصالح نجم الدين أيوب ، وصار من عمالكة البحرية ، (Lane-Poole : A Hist. Of Egypt. p. 263) . وكان في خدمة السلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب أمير اسمه ركن الدين مبيرس أيضا ، وأصله من عمالكة الملك الكامل ، وهو الذي انتصر بانوارزية وصار مصر على الفرنج ، ثم انقلب مع الخوارجية ضد السلطان ، فزال به حتى اعتقله وأعداه كما سبق ورودده بالمتن . (انظر ص ٣١٦ سطر ١١١ ص ٣١٨ ، سطر ٤١ ص ٣٢٢ سطر ٧ وأيضاً فيما واصل ، نفس المرجع ، ص ٣٥٩) . وقد أدى هذا الشبه بين الاسمين إلى نسبة وقعة غزة خطأ إلى مبيرس البندقداري ، كما يفهم من (Stevenson : Op. Cit. Index) ، وكما هو منصوص في (Barker : The Crusades. pp. 82, 84) .

(٣) في ص "رجال" . انظرا فيما واصل (نفس المرجع ، ص ٣٦٦ أ ، ب) .

وكانت المعركة بين ألفة المنصورة، فانهزموا إلى جديلة مترتهم، وقد حال بين الفريقين الليل، وأداروا عليهم سورا وخذلقوا خندقا . وصارت منهم طائفة في البر الشرقى، ومعظمهم في الجزيرة المتصلة بدمياط . فكانت هذه الواقعة أول ابتداء النصر على الفرنج^(١) .

- وعند ما هجم الفرنج على المعسكر سرح الطائر بذلك إلى القاهرة (٩١ ب)، فانزعج الناس ازباجا عظيما . وقدم المنهزمون من السوق والمسكر، فلم تفلق أبواب القاهرة في ليلة الأربعاء لتوارد المنهزمين . وفي صبيحة يوم الأربعاء وقعت البطاقة تبشر بالنصرة على الفرنج، فزيت القاهرة وضربت البشائر قلعة الجبل، وكثف فرح الناس وسرورهم . وبقي العسكري بمرأه شجير الدر، فكانت مدة تدبير الأمير نغر الدين يوسف بن شيخ الشيوخ، بعد موت الملك الصالح، لملكة مصر، خمسة وسبعين يوما . وفي يوم قتله نهب مالهكة وبعض الأمراء داره، وكسروا صناديقه وخزائنه، وأخذوا أمواله وخيوله وأحرقوا داره .
- ١٠

السلطان الملك المعظم غياث الدين تورانشاه

- ابن الصالح نجم الدين أيوب بن الكامل محمد بن العادل أبي بكر بن أيوب بن شادى بن مروان . سار من حصن كيفا إلى دمشق، لإحدى عشرة [ليلة] مضت من شهر رمضان، فقتل عانة في خمسين فارسا من أصحابه، يوم الخميس النصف من شهر رمضان سنة سبع وأربعين، ونخرج منها يوم الأحد يريد دمشق على طريق السماوة^(٢) في البرية، قتل القصير في دهليز ضربه له الأمير جمال الدين موسى بن يعمور نائب دمشق، يوم الجمعة لليتين بقينا من شهر رمضان . ودخل [المعظم توران شاه] من الهند — وهو يوم السبت سلخه — إلى دمشق،
- ١٠

(١) يمز (Oman : Op. cit. pp. 350-352)، وغيره من المؤرخين الحديثين، هزيمة الصليبيين عند المنصورة إلى تسرع (Count of Artois)، وغناقتة تطلعات أخيه ملك فرنسا . هذا وقد فصل المقرئ (المراغط والاحبار، ج ١، ص ٢١٩ — ٢٢٢) وفاة المنصورة، وأخاف هناك بعض مطومات ليست هنا .

(٢) يشير ضبط في س، وهي الصحراء الممتدة بين الكوفة والنام، واسمها أيضا بادية البصرة . انظر (بافوت : معجم البلدان، ج ٣، ص ١٣١ و ١٣٠ (Le Strange : Palest. Under Moslems. P. 330).

وزل بقلعتها ، فكان يوما مشهودا . وقام الأمير جمال الدين بخدمته ، وحلف له الأمرء ، وتسلطن في يومئذ . وخلع [المعظم] على الأمرء وأعطاهم أموالا جزيلة ، بحيث أنه أنفق ما كان في قلعة دمشق ، وهو ثلاثمائة ألف دينار . واستدعى من الكرك مالا آخر حتى أنفقه ، وأفرج عن كان بدمشق في حبس أبيه ، وأتته الرسل من حماة وحلب تهتبه بالقدوم . ولأربع ماضين من شوال سقطت البطائق إلى المعسكر والقاهرة ، بوصول الملك المعظم إلى دمشق وسلطته بها ، فضربت البشائر بالمعسكر والقاهرة .

وسار السلطان من دمشق يوم الأربعاء سابع عشره يرد مصر ، بسد ما خلع على الأمير جمال الدين ، وأقره على نيابة السلطنة بدمشق . وقدم معه القاضي الأسعد شرف الدين هبة الله بن صاعد الفائزي ، وكان مقيا بدمشق عند الأمير جمال الدين . وقدم معه أيضا هبة الله ابن أبي الزهر بن حشيش الكاتب النصراني ، وقد وعده [السلطان] بوزارة مصر ، فأسلم وتلق بالقاضي معين الدين (١٩٢) . وسيره [السلطان] أول يوم من ذي القعدة إلى قلعة الكرك ، لاحتياط على خزائنها ، فأنتهى أشغالها بها ولحقه في الرمل ، [وأسلم على يده هناك] .

وعند ما تواترت الأخبار في القاهرة بقدوم السلطان ، خرج قاضي القضاة بدر الدين السنجاري ، فلقه بغزة وقدم معه . وخرج الأمير حسام الدين [بن] أبي علي نائب السلطان إلى الصالحية ، فلقه بها يوم السبت لأربع عشرة [ليلة] بقيت من ذي القعدة .

ونزل [السلطان المعظم تورانشاه] في قصر أبيه ، ومن يومئذ أعلن بموت الملك الصالح [نجم الدين أيوب] . ولم يكن أحد قبل هذا اليوم ينطق بموته ، بل كانت الأمور على حالها — والدهليز الصالحى والسباط ويحى الأمرء لتقديمه ، على ما كان عليه الحال في أيام حياته ؛

(١) أنشيف مابن القوسين من ابن واصل (قوس المربع ، ص ٣٦٥) ، واسم هذا الكاتب هناك " النشوين حشيش النصراني ، ولقبه معين الدين " .

(٢) في ص " ايو " .

(٣) كان جمال الدين بن واصل ، صاحب مكتب مفرج الكرب ، مقيا بالقاهرة وقت ذلك ، فخرج مصحبة الأمير حسام الدين إلى الصالحية ، لاستقبال السلطان المعظم . (انظر قوس المربع ، ص ٣٦٦ ب — ١٣٦٧) .

وشجر الدر تدبر أمور الدولة كلها، وتقول : "السلطان مريض، ما إليه وصول" — فلم يتغير عليها شيء، إلى أن استقر الملك المعظم بالصالحية .

- قتل [السلطان المعظم] مملكة مصر، وخلع على الأمير حسام الدين [بن] أبي على خلعة سنية، ومنطقة وسيفاً فيهما ثلاثة آلاف دينار مصرية . وأنشد الشعراء عدة تهانٍ ، وجرت بين يديه مباحثات ومناظرات في أنواع من العلوم . وكان [السلطان المعظم] قد مهر في العلوم، وعرف الخلاف والفقه والأصول؛ وكان جده الملك الكامل يحبه لميله إلى العلم، ويلقى عليه من صفه المسائل المشككة، ويأمره بعرضها وامتحان الفقهاء بها في مجلسه . ولازم [المعظم] الاشتغال إلى أن برع، إلا أنه فيه هوج وخفة، مع غرامه بمجالسة أهل العلم من الفقهاء والشعراء .

- ثم إنه رحل من الصالحية وتزل ^(١) ثلاثة ، ثم نزل بعدها منزلة نائنة ، وسار منها إلى المنصورة . وقد تلقاه الأمراء الخاليك، فنزل في قصر أبيه وجده، يوم الخميس تسع بقين من ذي القعدة . فأول ما بدأ به أن أخذ بمالك الأمير نغر الدين بن شيخ الشيوخ الصغار، وكثيراً من مُخْلِفيه، بدون القيمة؛ ولم يعط ورثته شيئاً، وكان ذلك بنحو الخمسة عشرة ألف دينار . وأخذ يسب نغر الدين ويقول : "أطلق السكر والكان، وأنفق المال وأطلق المحاييس .
- ١٥ لميش ترك لي ؟" .

- وكانت المرة ترد إلى الفرج في منزلتهم من دباط في بحر النيل ، فصنع المسلمون عدة مراكب ، وحملوها وهي مفصلة على الجمال إلى بحر المحلة، وطرحوها فيه وشتموها بالمقاتلة ؛ وكانت أيام زيادة النيل . فلما جاءت مراكب الفرج لبحر المحلة ، وهذه المراكب مكنته فيه، خرجت عليها بنته وقاقتها . ولحال قدم أسطول (٩٢ ب) المسلمين من جهة المنصورة، فَأَخَذَتْ مراكب الفرج أخذاً وببلاً، وكانت اثنتين وتحسين مراكب؛ وقتل منها وأسر نحو ألف

(١) بغير ضبط في س ، وهي قرية صغيرة بمركزية القمح من مديرية الشرقية ، واسمها أيضاً ثلاثة دوى ، تميزا لها من ثلاثة دوى من ناحية المراتحية ، وثلاثة دوى أخرى من ناحية حوف رسيس ، وثلاثة الأبراج من ناحية حوف رسيس أيضاً . (بيارك : الخطب التوفيقية ، ج ٩ ، ص ٤٠ — ٤١) .

إفرنجي، وضم سائر ما فيها من الأرزاد والأقوات، وحملت الأسرى على الجمال إلى العسكر .
فأقطع الممدن دمياط عن الفرنج، ووقع الغلاء عندهم، وصاروا محصورين لا يطبقون المقام
ولا يقدرّون على الذهاب، واستعزى المسلمون عليهم وطعموا فيهم .

وفي أول ذي الحجة، أخذ الفرنج من المراكب التي في بحر المحلة سبع حرايق، ونجا من
كان فيها من المسلمين . وفي ثاني ذي الحجة تقدّم أمر السلطان إلى الأمير حسام الدين
[بن] أبي علي بالمسير إلى القاهرة، والإقامة بدار الوزارة على عادته في نيابة السلطنة . وفيه
وصل إلى السلطان جماعة من الفقهاء منهم الشيخ عز الدين بن عبد السلام، وبهاء الدين
ابن الجيزي، والشريف عماد الدين، والقاضي عماد الدين القاسم بن إبراهيم بن هبة الله بن
إسماعيل بن نهان بن محمد بن المقفّش الحموي - قاضي مصر، وكان قد ولى القضاء بعد موت
الجمال يحيى، في جمادى الأولى -، وسراج الدين الأرموي . بغلس [السلطان المعظم] معهم
وناطرهم^(١) .

وفي يوم عرفة وصلت مراكب فيها الميرة للفرنج، فالتقت بها شواني المسلمين عند
مسجد النصر^(٢)، فأخذت شواني المسلمين منها اثنتين وثلاثين مركبا، منها تسع شواني. فاشتد
الغلاء عند الفرنج، وشرعوا في مراسلة السلطان بطلبون منه الهدنة . فاجتمع يرسلهم الأمير
زين الدين بن أمير جندار، وقاضي القضاة بدر الدين السنجاري، فسألوا أن يسلموا دمياط،
ويأخذوا عوضا عنها مدينة القدس وبعض الساحل، فلم يجابوا إلى ذلك .
وفي يوم الجمعة، لثلاث بقين من ذي الحجة، أحرق الفرنج ما عندهم من الخشب، وأنلفوا
مراكبهم ليفروا إلى دمياط، وخرجت السنة وهم في مترتهم .

(١) كذا في س بغير ضبط .

(٢) حضرا بن واصل، صاحب كتاب مفرج الكرب (نقش المرجع، ص ٣٦٧ ب) أحد هذه المجالس،
وكان موضوع النقاش في الحديث النبوي "ثم اليه صيب لو لم يخف الله لم يمه" .

(٣) أضف ما بين القوسين بعد مراجعة ابن واصل (نقش المرجع، ص ٣٦٨ ب) . انظر أيضا البني (عقد
البحان، ص ٢٠٩، في ١. Rec. Hist. Or. II.) .

- وفي هذه السنة قدم إلى بغداد طائفة من التتر على حين غفلة ، قتلوا ونهبوا وجعل
منهم الناس . وفيها استولى على بن قتادة على مكة ، في ذى القعدة . وفيها قتل الشريف شيعة
أمير المدينة النبوية ، وقام من بعده ابنه عيسى . وفيها قتل الملك المنصور نور الدين عمر بن
على بن رسول صاحب اليمن ، وملك بعده ابنه المنصور شمس الدين يوسف . وفيها مات
مملك تونس أبو زكريا يحيى بن عبد الواحد ابن أبي حفص ، في آخر جمادى الآخرة ، عن
تسع وأربعين سنة . وكان [أبو زكريا يحيى] قد قام وملك تونس ، واستتب بأمرها ودعا
لنفسه ، وقد ضعف أمر ملوك الموحديين من بني عبد المؤمن بن علي . فأقام [أبو زكريا يحيى]
على مملكة إفريقية ثلاثا وعشرين سنة ، وامتدت مملكته إلى تلمسان ووإيجلماسة وسبته ، وبإيمه
أهل إشبيلية وشاذلية والمريّة ومألقة وغرداية ، وخلف مالا جبا . فبوج بعده ابنه محمد
المستنصر . وأبو زكريا هذا هو أول من ملك تونس من الملوك الحفصيين ، و[أما] من كان
قبله منهم فلأنما كانوا عمالا لبني عبد المؤمن . وفيها قبض الشريف أبو سعد بن علي بن قتادة
على الأمير أحمد بن محمد بن المسيب بمكة في آخر شوال ، كما تقدّم في السنة الخالصة ، وقام
[هو] بإمرة مكة .

+++

- سنة ثمان وأربعين وستمائة . في ليلة الأربعاء ثالث المحرم ، رحل الفرنج
بأسرهم من منزلهم يريدون مدينة دمياط ، وانحدرت مراكبهم في (١٩٣) البحر قبالتهم .
فركب المسلمون أفقيتهم ، بعد أن عدوا إلى برهم واتبعوهم . فطلع صباح نهار يوم الأربعاء ،
وقد أحاط بهم المسلمون ، وبذلوا فيهم سيوفهم ، واستولوا عليهم قتلا وأسرا . وكان معظم
الحرب في فارس كور ، فبلغت عثة القتلى عشرة آلاف في قول المقل ، وثلاثين ألفا في قول
المكثر . وأسر من خيالة الفرنج ورجالتهم المقاتلة ، وصناعهم وسوقتهم ، ما يناهز مائة ألف
(١) أسماء هذه المدن ومواضعها معروفة جيدا ، ويكنى هنا بصطلها والتعريف قط بنير المشهور منها ، مثل
شاطبة ، وموقعها شرق قرطبة . (يا قوت : معجم البلدان ، ج ٣ ، ص ٣٣٥) .
(٢) تقع هذه البلدة ، واسمها (Almeria) في الأطلال الحديثة ، على شاطئ إسبانيا الجنوبي ، شرق مملكة
(Malaga) .
(٣) في س "رجالهم" .

إنسان؛ وغم المسلمون من الخيل والبغال والأموال ما لا يحصى كثرة . واستشهد من المسلمين نحو مائة رجل؛ وأبّلت الطائفة البحرية — لا سيما بيرس البندقداري — في هذه التوبة بلاء حسناً، وبأن لهم أثر جميل .

والتجأ الملك ريدافرنس — وصدة من أكابر قومه — إلى تل [المنية^(١)] ، وطلبوا الأمان فأنهم الطواشي جمال الدين محسن الصالحى، وزلوا على أمانه . وأخذوا إلى المنصورة، ف قيد الملك ريدافرنس بقيد من حديد، واعتقل في دار القاضي نضر الدين إبراهيم بن لقان — كاتب الإنشاء ، التي كان يزل بها من المنصورة ، و وكل بحفظه الطواشي صبيح المعظمى . واعتقل معه أخوه^(٢) ، وأجرى عليه راتب في كل يوم . وتقدم أمر الملك المعظم سيف الدين يوسف بن الطودى^(٣) — أحد من وصل معه من بلاد الشرق — بقتل الأسرى من الفرنج، وكان [سيف الدين] يخرج كل ليلة منهم ما بين الثمانية والأربعائة، ويضرب أعناقهم ويرميهم في البحر، حتى فنوا بأجمعهم .

ورحل السلطان من المنصورة ، ونزل بفارس كور وضرب بها الدهليز السلطاني، وعمل فيه برجاً من خشب ، وأقام على طوه . وكتب إلى الأمير جمال الدين بن يحمود نائب دمشق كتاباً بخطه نصه : ” [من] ولده تورانشاه . الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن ، وما النصر إلا من عند الله ، ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ، وأما بنعمة ربك فحدث ، وإن تعدوا

(١) انظر ص ٣٥٧ ط ٩ ، والقصود ما منية عبد الله ، القرية من ناحية شرماسح . انظر التقي (عقد الجمان ، ص ٢١٠ ، I. Rec. Hist. Or. II.) .

(٢) كان ملك فرنسا ثلاثة إخوة ، وهم (Robert, Count of Artois) الذي وقع تيسلاً بالمنصورة ، و (Alphonse of Poitou) ، و (Charles of Anjou) . راجع (Cumb. Med. Hist. VI. p. 338) . وقد أمر المسلمون الآخرين الثاني والثالث ، وأبقهما في الأسر مع غيرهم ، حتى تمت مفاوضات الصلح والقعدة . وبعد ذلك رأى أمراء المسلمين حفظ أحد الآخرين ، وهو (Count of Poitou) رغبة عندهم ، حتى تدفع الفدية المقررة . (Joinville : Op. cit. pp. 102-108) .

(٣) كما في س ، واسمه الطورى في ابن واصل (نص المرجع ، ص ٣٧٠ ب) .

- (١١) نعمة الله لا تحصىها . نبشّر المجلس السّاميّ الجماعيّ ، بل نبشّر المسلمين كافة ، بما من الله به على المسلمين من الظفر بعدو الدين . فإنه كان قد استفحل أمره واستحكم شره ، وبشّ العباد من البلاد والأهل والأولاد ، فنودوا لا تياسوا من روح الله . ولما كان يوم الاثنين مستهل السنة المباركة ، تمّ الله على الإسلام بركتها ، فتحنا الخزانة وبذلنا الأموال وفرقنا (٩٣ ب) السلاح ، وجعنا العربان والمطوعة وخلفا لا يعلمهم إلا الله ، فجاءوا من كل فج عبق ومكان محقق . فلما كان ليلة الأربعاء تركوا خيامهم وأموالهم وأقاربهم ، وقصدوا دمياط هارين . وما زال السيف يعمل في أديارهم عامة الليل ، وقد حلّ بهم الخزي والويل . فلما أصبحت يوم الأربعاء ، قتلنا منهم ثلاثين ألفا ، غير من ألقى نفسه في البحر ، وأما الأسرى فحدث عن البحر ولا حرج . والتجأ الفرنسيين إلى المنية ، وطلب الأمان فأمناه وأخذناه وأكرمناه ، وتسلمنا دمياط بمون الله وقوته ، وجلاله وعظمته “ ، وذكر كلاما طويلا .
- وبعث [المعظم] مع الكاتب غفارة الملك الفرنسيين ، فلبسها الأمير جمال الدين بن يسمور ، وهي أشكر لاط أحر يفرو ستجاب ، [فيها بكلمة ذهب] . فقال الشيخ نجم الدين بن إسرائيل :

(١) يوجد بالفلقشتى (صبح الأعيى ، ج ٥ ، ص ٤٩١ ، وما بعدها) فصل طويل في أصل الألقاب ، وأنواعها المستعملة في المكتابات السلطانية . وينضح منه أن لقب ” المجلس السامى “ ، كان في أوائل الدولة الأيوبية بمصر مقصورا على السلطان فقط ، فلا يكتب به إلى أحد سواه . ثم استقر اصطلاح الدواوين على كتابة هذا القاب في المكتابات الصادرة إلى الخوكة ومن في مناصم ، مثل كبار الأمراء والوزراء وولاة العهد بالسلطنة . وفي عصر دولة المماليك انحط هذا القاب درجة أخرى ، فصار من ألقاب أرباب السيوف والأعلام عامة ، وجعلت ألقاب أخرى كالجناب والقمر والمقام لمن فوّهم في الدولة .

(٢) وأوالجامة هنا عائكة على الفرجح .

(٣) الفجارة المحطف ، وجمعها فجائر . وفي (Dozy : Supp. Diet. Ar.) عدة أمثلة لاستعمال هذا اللفظ ، منها : ” ثم أقم عليهم بالكسوة الثامنة “ من الباتم والفجائر والبراض والأكية “ . راجع أيضا محيط المحيط .

(٤) نوع من القماش ، كان يرد من بلاد بلرقة ، لونه قرمزي (écarlate) . انظر (Dozy : Supp. Diet. Ar.) .

(٥) أضيف ما بين القوسين من أبي شامة (كتاب الروضين ، ص ١٩٦ ، في (Rec. Hist. Or. V.) ، وكان أمير شامة حاضرا ، عند ما لبس الأمير جمال الدين بن يسمور الفجارة المذكورة . هذا والكلمة صرب اللفظ الفرنسي (boucle) ، ومعناه المشبك . (Dozy : Supp. Diet. Ar.) .

إن غفارة الفرنسيين التي * جاءت حياء لسيد الأمراء
كياض القرطاس لونا ولكن * صيبتها سيوفنا بالدماء
وقال [آخر] ^(١):

أَسَيْدَ أَمْلَاكِ الزَّمانِ بِأَمْرِهِمْ * تَجَبَّزَتْ مِنْ نَصْرِ الْإِلَهِ وَوَعْدِهِ
فَلَا زَالَ مَوْلَانَا بِبَيْعِ حَيِّ الْعَدَى * وَيُلِيسَ أَسْلَابَ الْمُلُوكِ عَيْدِهِ

وأخذ الملك المعظم في إبعاد رجال الدولة، فأخرج الملك المنفي فتح الدين عمر بن المادل
أبي بكر بن الكامل من قلعة الجبل إلى الشوبك، واعتقله بها، وأخرج الملك السعيد نغرا الدين
حسن بن الملك العزيز عثمان بن المادل أبي بكر بن أيوب من مصر [إلى دمشق]، فلما وصل
دمشق قبض عليه ابن يغمور واعتقله. وفي يوم الجمعة نلخس مضمين من الحرم، ورد إلى
القاهرة كآب السلطان إلى الأمير حسام الدين أبي علي نائب السلطنة بالتقدم عليه، وأقام
بدله في نيابة السلطنة بالقاهرة الأمير جمال الدين أقوش التجيبي. ووصل الأمير أبو علي إلى
المعسكر، فنزل به مطروح الجانب، بعد ما كان عدة الملك الصالح وعمدته. وبعث المعظم إلى
شجر الدر يتهددها، ويطلبها بمال أبيه وما تحت يدها من الجواهر. فدخلها منه خوف
كثير، لما بدا منه من الهوج والخفة؛ وكاتبته الممالك البحرية بما فعلته في حقه، من تهديد
الدولة وضبط الأمور حتى حضر وتسلم الملكة، وما جازاها به من التهديد والمطالبة بما ليس
عندها. فأتوا لها، وحنقوا من أنفال السلطان. وكان [السلطان المعظم] قد وعد الفارس
أقطاي لما أتاه في حصن كيفا بأن يؤمِّره، فلم يف له بذلك؛ فتكرهه [أقطاي] وكتب (١٩٤)
الشعر، فحرك كتاب شجر الدر منه ساكنا.

وانضاف إلى هذه الأمور، أن [السلطان المعظم] أعرض عن ممالك أبيه الذين كانوا
عنده لمهامته، وأطرح الأمراء والأكابر أهل الحل والعقد، وأبعد غلمان أبيه وزبانية،

(١) أضيف ما بين القوسين من القرطبي (المواظ والاختيار، ج ١، ص ٢٢٢).

(٢) في ص "أه".

- واختص بمجاءته الذين قدموا معه، وولّاهم الوظائف السلطانية . وقدم الأراذل : وجعل الطواشي مسرورا - [وهو] خادمه - أستاذار السلطان ، وأقام صبيحا - وكان عبدا حبشيا غفلا - أمير جاندار ، وأنعم عليه بأموال كثيرة وإقطاعات جليلة ، وأمر أن يُصاغ له عصا من ذهب . وأسماه [السلطان] إلى الممالك وتوعدهم ، وصار إذا سكر في الليل جمع ما بين يديه من الشمع ، وضرب رءوسها بالسيف حتى تنقطع ، ويقول : " هكذا أفضل بالبحرية " ، ويسمى كل واحد منهم باسمه . واحتجب أكثر من أبيه ، مع الانهماك على الفساد بممالك أبيه ، ولم يكونوا بالقون هذا الفعل من أبيه . وكذلك فعل بحظايا أبيه .
- وصار مع هذا جميع الحسل والعقد ، والأمر والنهي ، لأصحابه الذين قدموا معه .
- فغفرت قلوب البحرية منه ، وانفقوا على قتله . وما هو إلا أن مد السباط [بعد نزوله بفارس كور] ، في يوم الاثنين سادس عشر المحرم ، وجلس السلطان على عادته ، تقدم إليه واحد من البحرية - وهو بيرس البندقداري ، الذي صار إليه ملك مصر - وضربه بالسيف .
- فلقاه [المعظم] بيده فبانت أصابعه ، والتجأ إلى البرج الخشب [الذي نصب له بفارس كور] ، وهو يصيح : " من جرحني ؟ " قالوا : " الحشيشة " ، قال : " لا والله إلا البحرية ! والله لا أقبض منهم بقية ! " ، واستدعى المزين [ليداوي يده] . فقال البحرية بعضهم

(١) في س "سرور" . (٢) في س "ياقوا" .

(٣) أخيف ما بين القوسين من أبي الفداء (المختصر في أخبار البشر ، ص ١٢٩ ، في (Rec. Hist. Or. I.)

(٤) في س "فلقا" .

(٥) أخيف ما بين القوسين من أبي الفداء (المختصر في أخبار البشر ، ص ١٢٩ ، في (Rec. Hist. Or. I.)

(٦) المعنى المقصود بهذا اللفظ ، أن الذي جرحه أحد الحشيشين الباغية . انظر ابن واصل (نفس المرحع ، ص ٣٧١ ب) .

(٧) أخيف ما بين القوسين من ابن واصل (نفس المرحع والصفيحة) . هذا وبجارية مفرج الكرب أحسن وصفا

لما حدث السلطان المعظم ، ونصها : " (٣٧١) ولما جرى ما ذكرنا من قفر قلوب السكرم ، خصوصا ممالك أبيه البحرية ، انفق جماعة من ممالك أبيه على قتله . فلما كان بكرة الاثنين ليلة بقيت من المحرم من هذه السنة ، أخص ستة ثمان وأربعين وستة ، مد الملك المعظم السباط في دعليه ، وجلس على طراسته ، وأكل الناس بين يديه وأكل معهم على ما جرت عادة . ثم فرغت الناس من الأكل ، وتفرقت الأمراء إلى وظائفهم ، وقام [المعظم] من مجلسه فطلب الدخول =

لبعض : "تموه وإلا أبادكم"، فدخلوا عليه بالسيف . ففر [المعظم] إلى أعلى البرج وأغلق بابَه ، والدَمَ لَسيل من يده . فأضرموا النار في البرج ، ورموه بالنشاب ، فألقى نفسه من البرج ، وتعلق بأذيال الفارس أقطاي ، واستجار به فلم يجره . وصر [المعظم] هاربا إلى البحر ، وهو يقول " ما أريد ملكا ، دعوني أرجع إلى الحصن . ياساسمين ! ما فيكم من يصطنعني ويميرني ؟ " . [هذا] وجميع العسكر واقفون ، فلم يجبه أحد ، والنشاب يأخذه من كل ناحية . وسبحوا خلفه في الماء ، وقطعوه بالسيف قطعا ، حتى مات جريحا حريقا غريبا ، وفزع أصحابه واختفوا .

وترك [المعظم] على جانب البحر ثلاثة أيام متفتحا ، لا يقدر أحد أن يتجاسر على دفنه ، إلى أن شفع فيه رسول الخليفة ؛ فحمل إلى ذلك الجانب ودفن ، فكانت (٩٤ ب) مدة ملكه أحدا^(٢) وسبعين يوما . وقيل مرة لأبيه في الإرسال إليه ، ليحضر من حصن كيفا إلى مصر ، فأبى . وأخ عليه الأمير حسام الدين أبو علي في طلب حضوره ، فقال : " متى حضر إلى هنا قتلته " . وكان المباشر لقتله أربعة من ممالك أبيه ، وكان [الملك الصالح نجم الدين] لما أراد أن يقتل أخاه العادل ، قال للطواشي محسن : " اذهب إلى أخى العادل في الحبس ، وخذ مملك من الممالك من يخته " ؛ ففرض محسن ذلك على جماعة من الممالك ، وكلهم يمتنع إلا أربعة منهم ، فغضى بهم حتى خنقوا العادل . فقدر الله أن هؤلاء الأربعة هم الذين باشروا قتل ابنه

= إلى خيمة له صغيرة . فدخل عليه ركن الدين بيبرس ، وكان أحد جدارية أبيه وكان يعرف بالتقدياري ، وهو الذي ملك مصر بعد ذلك ... فضرب (٣٧١ ب) الملك المعظم بسيف بخره في كتفه ، ورمى ركن الدين السيف من يده . ورجع الملك المعظم ... إلى مجلسه ، واجتمع حوله الناس وأصحابه وبعض عتاليك أبيه . فقالوا له : أي شيء جرى ؟ فقال : جرى أحد الجري . وكاتب ركن الدين بيبرس واقفا ، فقال : ربما فعل هذا بعض الإسماعيلية ، فقال [المعظم] : ما فعل في هذا إلا البحرية ؛ فخلافت البحرية حينئذ ، واستشرها به " .

(١) رواية ابن واصل (قس المرجع ، ص ٣٧١ ب) مختلفة هنا أيضا ، ونسبها : " وأحضرت نار ليعرق بها البرج ، فزل [المعظم] من البرج ، لحمل عليه التقدياري الذي كان جريحه . فهرب [المعظم] إلى جهة البحر ، وكانت فيه حرايق له ، فأراد أن يسبق بها ويمتنع بها ، فأدركه فارس الدين أقطاي (كذا) ، وضربه بالسيف فقتله ... " (٢) في ص " أحد " .

المعظم أقيح قسلة . ورؤى فى النوم الملك الصالح [نجم الدين] بعد قتل ابنه الملك المعظم تورانشاه ، وهو يقول :

قتلوه شر قتله • صار للعالم مثله

لم يراعوا فيه إلا • لا ولا من كان قبله

ستراهم عن قريب • لأقل الناس أكله

فكان^(١) ما بآى ذكره من الوقعة بين المصريين والشاميين ، بين المعز أيك والناصر [صلاح الدين] يوسف [بن العزيز محمد بن الظاهر غازى بن صلاح الدين يوسف ، وهو صاحب حلب] وعدم فيها عنة من الأعيان . وبقتل المعظم أقرضت دولة بنى أيوب من أرض مصر ، وكانت مدتهم إحدى وعثمانين سنة ، وعنة ملوكهم ثمانية ، كما مر ذكرهم . فسبحان الباقي ، وما سواه يزول .

١٠

الملكة عصمة الدين أم خليل شجر الدر

كانت تركية الجنس ، وقيل بل أرمنية ، اشتراها الملك الصالح نجم الدين أيوب ، وحظيت عنده بحيث كان لا يفارقها سفرا ولا حضرا . وولدت منه ابنا اسمه خليل ، مات وهو صغير . وهذه المرأة شجر الدر ، هى أول من ملك مصر من ملوك الترك المماليك ، وذلك أنه لما قتل الملك المعظم غياث الدين تورانشاه ابن الملك الصالح نجم الدين أيوب ، كما تقدم ذكره ، اجتمع^(٢) الأمر المماليك البحرية ، وأعيان الدولة وأهل المشورة ، بالدخيل السلطانى ، وانفقوا على إقامة شجر الدر أم خليل زوجة الملك الصالح نجم الدين أيوب فى مملكة مصر ، وأن تكون العلامات

١٥

(١ و ٢) هذه العبارة واردة فى س كالاتى : " فكان ما مآى ذكره من الوقعة بين المصريين والشاميين وعدم فيها عدة من الأعيان بين المعز أيك والناصر يوسف " ، وهى مكتوبة على هامش الصفحة ، ما عدا ما بين الأقواس فانه أضيف من أبى شامة (كتاب الروتين ، ص ٢٠١ ، فى Rec. Hist. Or. V. ؛ وابن وأمل : قس المربع ، ص ٣٧٤) .

(٣ و ٤) اعترى بعض حروف الكلمات الواردة بين الرقنين هنا ما محاطا بخطها ، على أنها واردة فى ب

السلطانية على التوقيع تبرز من قبلها، وأن يكون مقدم السكر الأمير عز الدين أيبك التركمانى الصالحى أحد البحريّة . وحلفوا على ذلك فى عاشر صفر، وخرج عز الدين الرومى من المعسكر إلى قلعة الجبل، وأنهى إلى شجر الدر ما جرى من الاتفاق، فأعجبها . وصارت الأمور كلها معدوقة بها، والتوقيع تبرز من قلعة الجبل، وعلامتها عليها "والدة خليل" . وخطب لها على منابر مصر والقاهرة، ونقش اسمها على السكة، ومثاله "المستعصمية الصالحية، ملكة المسلمين، والدة الملك المنصور خليل أمير المؤمنين" . وكان الخطباء يقولون فى الدعاء : "اللهم وأيم سلطان الستر الرفيع، والنجاب المنيع، ملكة المسادين، والدة الملك خليل، وبعضهم يقول، بعد الدعاء الخليفة : "واحفظ اللهم الجهة الصالحية، ملكة المسادين، عصمة الدنيا والدين، أم خليل المستعصمية صاحبة الملك الصالح" .

و[لما حلف الأشراف والأجناد واستقزت القاعدة]، نُدب الأمير [حسام الدين محمد ابن] أبى على للكلام مع الملك ريد افرنس فى تسليم دمياط، بغير بينه وبين الملك مفاوضات

(١) التوقيع جمع توقيع، ومعناه هانسة الأمر بتعيين شخص على إقطاع . (راجع ص ٣٤٤، حاشية ١، والفلقشدى : صبح الأعشى، ج ١٣، ص ١٤٤) . انظر أيضا (G.-Demombynes : Op. Cit. Introd. p. LVIII) . حيث ترمم لفظ توقيع إلى "actes de nomination" .

(٢) كان منصب مقدم العساكر قد عرض، حسبما جاء فى ابن واصل (قوس المرجع، ص ٣٧٢ ب)، أنزل على حسام الدين محمد بن أبى على الهذبانى، ثم حل الطواشى شهاب الدين وشيد، فامتنع .

(٣) كذا فى ص، وهو اسم مفعول من فعل عقد، ومعناه جمع . (لسان العرب) .

(٤) تدل هذه التسمية على أن شجر الدر كانت جارية الخليفة المستنصر، قبل أن يشترها الملك الصالح نجم الدين أيوب . (Lane-Poole : A Hist. Of Egypt. p. 325) . فتر أن صحت جميع المراجع العربية المتداولة فى هذه الحواشى من هذه المسألة، يجعل حل الاعتقاد أن شجر الدر ربما أفترت هذه التسمية فى سكتها وخطبتها، رضىة للخليفة فى بغداد، ولأولى الأمر فى القاهرة . ويؤيد هذا القرض أن الملك الصالح نجم الدين أيوب كان له أرمى تسليم ملكه الى الخليفة المستنصر "ليرى فيها رأيه"، (انظر ص ٣٤٢ سطر ١٣)، فلا أغل من انهاء شجر الدر—وهى المرأة القادرة—الى الخليفة المستنصر على هذا النحو .

(٥) أضيف ما بين الأقواس ههنا هذه الفقرة، من ابن واصل (قوس المرجع، ص ٣٧٢ ب—٣٧٣ أ) .

(٦) فى ص "أبو" .

- ومعاوراً^(١) ومراجعات، آلت إلى أن وقع (١٩٥) الاتفاق على تسليمها من الفرنج، وأن يُخَلَّ عنه لينهب إلى بلاده، بعد ما يؤدي نصف ما عليه من المال المقرر . فبعث الملك ريد أفرنس إلى من بها من الفرنج يأمرهم بتسليمها، فأبوا وعادهم مراراً، إلى [أن] دخل العلم الإسلامي إليها، في يوم الجمعة لثلاث مضين [من] صفر، ورفع على السور وأعلن بكلمة الإسلام وشهادة الحق . فكانت مدة استيلاء الفرنج عليها أحد عشر شهراً وتسعة أيام .
- وأفرج عن الملك ريد أفرنس، بعد ما فدى نفسه بأربعمائة ألف دينار، وأفرج عن أخيه وزوجته ومن بقى من أصحابه، وسائر الأسرى الذين بمصر والقاهرة ، ممن أسرف في هذه الواقعة، ومن أيام العادل والكمال والصلاح . وكانت عدتهم اثني عشر ألف أسير ومائة أمير وعشرة أسارى . وساروا إلى البر الثعري، ثم ركبوا البحر في يوم السبت تاليه، وأقلعوا إلى جهة عكا . فقال الصاحب جمال الدين بن مطروح في ذلك :

قل للفرنجيس إذا جئته * مقال نصيح من قؤول فصيح
أجرك الله على ما جرى * من قل عباد يسوع المسيح^(٢)

(١) أورد ابن واصل (نفس المربع، ص ١٣٧٣) قصة إحدى تلك المحاورات، وليس لها علاقة جوهرية بموضوع تسليم ديباط أرقندية المطالبة، ونصها: "حكى لي الأمير حسام الدين، قال: كان ريد أفرنس ملك الإفرنج طاعلاً لنا إلى الناية . قال قلت له في بعض محاورتي ما سمعته : كيف خطر لك ، مع ما أرى فيه من فضله وعقله وحمته ذهني، أن يقدم على عشب ويركب من هذا البحر، ويأتي إلى هذه البلاد المملوءة خلقاً من المسلمين والعساكر، وينتقد أنها تحصل له ويملكها ؟ وقلت له إن [فيما] ضل غاية التفرير بنفسه وأهل مملكته . قال فضحك ولم يرد جواباً . فقلت له إن من شر بيننا من ركب هذا البحر مرة بعد أخرى، فشرى بنفسه وماله ، لا تقبل شهادته إذا شهد . فقال الملك : ولم ذلك ؟ قال قلت إنا نستدل بذلك على نقصان عقله ، ومن كان ناقص العقل لا ينبغي قبول شهادته . قال فضحك وقال، وأراه لقد صدق هذا للقاتل وما قصر فيما حكى به" .

(٢) يوجد بين الصفتين ٩٤ ب ٩٥ أ في س، ورقة مفصلة بها عدة وفيات، وضمت هناك خطأ، وتد أوردت في مكانها المناسب تحت سنة ٦٥٣ هـ .

(٣) المعروف أن ملكة فرنسا (Margaret of Provence) رافقت زوجها في تلك الحملة، وبقيت بديباط طول مدة وجود الصليبيين بالدار المصرية، وهي التي جمعت المبلغ المطلوب لدفع نصف القدية المقررة (Lane-Poole: A Hist. of Egypt. p. 250) ولكن ليس من المعروف في غير كتاب السلوك أنها أسرت ألبه .

(٤) يوجد فرق هذا اللفظ في س كلمة "نصارى" .

أَتَيْتَ مَعْرًا تَبْنِي مَلِكُهَا * تَحْسَبُ أَنَّ الزَّمْرَ بِأَطْبَلِ رِيحٍ
فَسَاقَكَ الْحَيْنَ إِلَى أَذْنَعِيمٍ * ضَاقَ بِهِ عَن نَّاطِرِكَ الْفَسِيحِ
وَكُلَّ أَصْحَابِكَ أَوْدَعْتَهُمْ * بِحَسَنِ تَدْيِيرِكَ بَطْنِ الضَّرِيحِ
سَبْعُونَ أَلْفًا لَا يُرَى مِنْهُمْ * إِلَّا قَتِيلٌ أَوْ أُسِيرٌ جَرِيحٌ^(١)
أَلْهَمَكَ اللَّهُ إِلَى مِثْلِهَا * لَعَلَّ عَيْسَى مِنْكُمْ يَسْتَرِيحُ
إِنْ يَكُنِ الْبَأْسُ بِذَا رَاضِيًا * فَرُبَّ غَشٍّ قَدْ أَتَى مِنْ نَصِيحِ
فَاتَخَذُوهُ كَاهِنًا لَهُ * أَنْصَحَ مِنْ شِقِّ لَكُمْ أَوْ سَطِيحِ
وَقُلْ لَهُمْ إِنْ أَرْمَعُوا عَوْدَةً * لِأَخْذِ ثَارٍ أَوْ لِفَعْلِ قَبِيحِ
دَارِ ابْنِ لَهْلَهٍ عَلَى حَالِهَا * وَالْقَيْدَ بَاقٍ وَالطَّوْاشِيَّ صَبِيحِ

١٠. واتفق أن الفرنسيين هذا، بعد خلاصه من أيدي المسلمين، عزم على الحركة إلى تونس من بلاد إفريقية، لما كان فيها من الحجة والموتان. وأرسل يستنصر ملوك النصارى، وبعث إلى البابا خليفة المسيح بزعمهم. فكتب [البابا] إلى ملوك النصارى بالمسير معه، وأطلق يده في أموال الكنائس يأخذ منها ما شاء. فأتاه من الملوك ملك الإنكار، وملك

(١) في "اسير اورنج" - انظر أبا القداء (المختصر في أخبار البشر ص ١٢٩)، في (Rec. Hist. Or. I.).

(٢) أي البابا.

(٣) وقعت حركة الملك (Louis IX) على تونس في آخر سنة ٦٦٨ هـ (١٢٧٠ م)، وسيأتي ذكرها هنا غايلاً.

(٤) كذا في س، والمقصود البابا واسمه (Clement IV). انظر (Camb. Med. Hist. VI. p. 189).

(٥) أطلق مؤرخو المسلمين هذا الاسم على ملك إنجلترا في الصور الوسطى، ويوجد بالقلشندى (صح الأعشى، ج ٥، ص ٣٧٥) وصف لإنجلترا وملكها في تلك الأزمنة، ونصه: "جزيرة منكسرة... وبقال منكسرة...، وطول هذه الجزيرة من الجنوب إلى الشمال بانحراف قليل أربعمائة وثلاثون ميلاً، واتساعها في الوسط نحو مائتي ميل، وفيها مدن الذهب والفضة والنحاس والقصدير، وليس فيها كروم لشدة البرد بها، وأهلها يحملون الذهب إلى بلاد الفرنج، ويحاضون عنه بالخراب لندم عديم - وقاعدتها مدينة لتونس.. وصاحب هذه الجزيرة يسمى الانكار...". هذا وبلاحظ أن "الانكار" المذكور هنا لم يكن ملكاً على إنجلترا في وقت الحملة المشار إليها، بل كان ولي العهد فقط واسمه (Edward). أما ملك إنجلترا إذ ذاك فكان اسمه (Henry III)، وهو أبو ولي العهد المذكور.

- (١) امسكونا، وملك تَورل، وملك برشلونة واسمه ريداركون، وجماعة أنرمولوك النصارى . فاستعده السلطان أبو عبد الله محمد المستنصر بالله ابن الأمير أبي زكريا يحيى ابن الشيخ أبي محمد عبد الواحد ابن الشيخ أبي حفص عمر، ملك تونس، وبعث إليه رسله في طلب الصلح، ومعهم ثمانون ألف دينار . فأخذها [الفرنسيس] ولم يصالحهم ، وصار الى تونس آخر ذى القعدة سنة ثمان وستين وستائة ، ونزل بساحل قُرطاجنة في ستة آلاف فارس وثلاثين ألف راجل . وأقام [الفرنسيس هناك] ستة أشهر، فقاتله الماسمون — للنصف من محرم سنة تسع وستين — قتالا شديدا ، قتل فيه من الفريقين عالم عظيم . وكاد الماسمون أن يغلبوا، فانهم الله بالفرج وأصبح ملك الفرنجة ميتا ، بغرت أمور آلت الى عقد الصلح ومسير النصارى . ومن القريب أن رجلا من أهل تونس، اسمه أحمد بن إسماعيل الزيات، قال :
- يا فرنسيس هذه أخت مصر * فتأهب لها إليه تصير
لك فيها دار ابن لقمان قبرا * وطواشيك منكرونيكر
فكان هذا قال عليه ومات..... وكان ريدا فرنس هذا عاقلا داهيا خبيثا مفكرا .

(١ و ٢) كذا في س، وليس في المراجع المتداولة في هذه الحواشي ما يساعد على تعيين المقصود بهذين الاسمين، ما عدا أنه يوجد في (Bouquet: Rec. Des Hist. Des Gaules, Tome 20, p. 447)، ضمن عبارة طويلة، أن سلك فرنسا أبصر إلى تونس برفقة الملوك الآتية أسماؤهم، وهذا هو نص العبارة المذكورة، وهي مكتوبة بالفرنسية القديمة: "Quant li roys Loys attendoit ainsi en sa nef au port de Chatiau Caestre, le vendredi après ensivent vindrent aussi come ensemble toutes les autres nez qui estoient meues dou port de Marseille et dou port d'Aiguemorte. Lors vindrent li roys de Navarre et li euens de Poitiers, li conte de Flandres, messire Jehanne de Bre-taigne, et plusieurs autres desquelz trop long chose seroit lors de nombrer."

انظر أيضا (Ibid. Op. Cit. pp. 21, 305 et seq., 440) .

- (٣) اسم هذا الملك (James VIII. of Aragon)، انظر (Camb. Med. Hist. VI. p. 415) .
- (٤) في س "مائين" .
- (٥) بغير ضبط في س، وقرطاجة الحالية إحدى بلاد تونس بأفريقية، بينها وبين تونس اثنا عشر ميلا .
- (٦) باقوت : مصمم البلدان، ج ٤، ص ٥٧ — ٥٨ .
- (٧) في س "الرباب"، انظر المقرئ (المواضع والاعتبار، ج ١، ص ٢٢٣) .
- (٨) في س "قبر" .
- (٩) على هذا القفظ يباح في س، قدوسه نظريا .

ولما استولى المسلمون على دمياط ، سارت البشائر الى القاهرة ومصر وسائر الأعمال ،
فضربت البشائر وأعلن الناس بالسرور والفرح ، (٩٥ ب) وعادت المساكر الى القاهرة في يوم
الخميس تاسع صفر . فلما كان يوم الاثنين ثالث عشره خلعت شجر الدر على الأمراء وأرباب
الدولة ، وأنفقت فيهم الأموال وفي سائر السكر .

• ووصل خبر قتل الملك المعظم وإقامة شجر الدر [في السلطنة] الى دمشق ، بمسير الخطيب
أصيل الدين محمد بن إبراهيم بن عمر الإسمردي ، لاستحلاف الأمراء [بها] . [وكان] فيها
الأمير جمال الدين بن بقمور نائب السلطنة ، والأمراء القيمرية ، فلم يحميهم وأخذوا
في مقاتلته . واستولى الملك السعيد حسن بن العزيز عثمان بن العادل أبي بكر بن أيوب على
مال مدينة غزة ، وصار إلى قلعة الصبيبة فلحقها . فلما ورد الخبر بذلك إلى قلعة الجبل ،
[في يوم الاثنين ثلاث عشرة ليلة خلت من صفر] ، أحبط بداره من القاهرة ، وأخذ ما كان
له بها . وثار الطواشي بدر الدين لؤلؤ الصوابي الصالحى — نائب الكرك والشوبك ،
وركب إلى الشوبك ، وأخرج الملك المنبث عمر بن العادل [بن الكامل] الصغير من الحلب ،
وملكه الكرك والشوبك وأعمالهما ، وحلّف له الناس ، وقام يدير أمره لصفر سنة .

وكتب الأمراء القيمرية من دمشق إلى الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن العزيز
محمد بن الظاهر غازي بن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب — صاحب حلب ، يخبرونه

(١) في س " ووصل خبر قتل الملك المعظم الى دمشق وإقامة شجر الدر " .

(٢) أضيف ما بين القوسين من ابن واصل (نفس المرجع) ص ١٣٧٤ .

(٣) كانت قلعة الصبيبة ، حسبما جاء في ابن واصل (نفس المرجع والصيغة) بيد الملك السعيد هذا منذ مات
أخوه الملك الظاهر بن العزيز عثمان . ثم أعطاه الملك السعيد لابن عمه السلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب ،
وعرضه السلطان عنها خبزاً بالديار المصرية . فلما قتل السلطان الملك المعظم تورأشاه بن الصالح نجم الدين أيوب ، هرب
الملك السعيد إلى غزة ، وفعل ما فعل على الصورة الواردة في المتن .

(٤) كان السلطان الملك المعظم توران شاه قد أخرج المنبث هذا من محبته بقلعة الجبل ، ثم أجهده إلى الشوبك
بحرقه . (انظر ص ٣٥٨ ، ٤٧٧ وابن واصل : نفس المرجع) ص ٣٧٤ ب) .

(٥) في س " يخبرونه " .

- بامتناعهم من الحلف لشجر الدر، ويحتونه على المسير إليهم حتى يملك دمشق . فخرج من حلب في عساكره مستهل شهر ربيع الآخر، ووصل إلى دمشق يوم السبت ثامنه، ونازلها إلى أن كان يوم الاثنين عاشره زحف [عليها] . ففتح الأمراء القيمرية له أبواب البلد، وكان القائم بذلك من القيمرية الأمير ناصر الدين أبو المعالي حسين بن عزيز بن أبي الفوارس القيمري الكردى . فدخلها [الناصر صلاح الدين] هو وأصحابه بغير قتال، وخلع على الأمراء القيمرية، وعلى الأمير جمال الدين بن بتمور، وقبض على عدة من الأمراء المالكية الصالحية ومجنهم . وملك [الناصر صلاح الدين] قلعة دمشق، وكان بها مجاهد الدين إبراهيم أخو زين الدين أمير جندار، فسلمها إلى الناصر، وبها من المال مائة ألف دينار وأربعائة ألف درهم سوى الأثاث . ففرق الناصر جميع ذلك على الملوك والأمراء، وأعطى شمس الدين ثلوث من خزائنه عشرة آلاف دينار، وخلمة وفسا وثلثائة ثوب، فرد [شمس الدين] ذلك، إلا الخلمة والفرس .

- وكان الخبر قد ورد إلى قلعة الجبل - في سادس ربيع الآخر - بخروج الناصر من حلب، بغد الأمراء والمالكة وغيرهم الأيمان لشجر الدر، ولعن الدين أيبك بالتقدمة على العساكر . ودارت النقباء على الأجناد، وأمرهم بالسفر إلى الشام . وفي يوم الأربعاء ثاني عشره رُسم أن يسير الأمير أبو علي بالعسكر . وفي رابع عشره ورد الخبر بمنازلة الناصر ١٥ لدمشق، فوقع الحت على خروج العسكر . وفي حادى عشره ورد الخبر بأن الناصر ملك دمشق، بتسليم القيمرية البلد له . فقُبض على عدة من أمراء مصر [الذين ليسوا من الترك]، ووقع اضطراب كثير في القاهرة، وقبض على القاضي نجم الدين ابن قاضي نابلس، وعدة (١٩٦) ممن يهتم بالميل إلى الناصر. وتزوج الأمير عز الدين أيبك بشجر الدر، في تاسع عشرى

(١) في س "محمود".

(٢) بعض حروف هذه العبارة محبوب بوزقة ملصقة فوقها في س، ولكنها واضحة تماما في ب (١١٤ ب).

(٣) أضيف ما بين القوسين من ابن واصل (نفس المرجع، ص ١٣٧٥).

شهر ربيع الآخر، وخلفت [عجبر الدر] نفسها من مملكة مصر، ونزلت له عن الملك، فكانت مدة دولتها ثمانين يوماً^(١).

الملك المعز عز الدين أيبك الجاشنكير التركماني الصالحى

كان تركى الأصل والجنس، فانتقل الى ملك السلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب من بعض أولاد التركماني، فعرف بين البحرية بأبيك التركماني، وترقى عنده في الخدم، حتى صار أحد الأمراء الصالحية، وعمله جاشنكيراً، الى أن مات الملك الصالح، وقتل بعده ابنه الملك المعظم. فصار [أيبك] أتابك الصاكر، مع شجر الدر، ووصل الخبر بذلك الى بغداد، فبعث الخليفة المستعصم بالله من بغداد كتاباً الى مصر، وهو ينكر على الأمراء ويقول لهم: "إن كانت الرجال قد عدت عندكم، فأعلمونا حتى نسير إليكم رجلاً".

(١) يقى هنا القسم الذى ترجمه (Blochet) من كتاب السلوك الى الفرنسية، وبه القسم الذى ترجمه من الى الفرنسية أيضاً (Quatremère). انظر صدر القسم الأول من الجزء الأول، صفحة ١ - ك.

(٢) هذا الاسم مركب من لفظين تركيين، وهما آى بك - ومعنى أولها القسم، ومرادف ثانياً في العربية لفظ الأمير. (Quatremère: Hist. des Sultans Mamlouks I. 1. p. 1. n. 2). وبلاحظ أن أسماء معظم سلاطين المماليك، وأسماء كل أمراء دولتهم تقريباً، عبارة عن أسماء أشياء أو حيوانات في اللغات التركية والفارسية والنسرية، مثل ذلك بيوس ومعناه الأمير فهد، وقلاون ومعناه البطة، وطوغان ومعناه الصقر، ويكنبر ومعناه الأمير حديد. ومن أسمائهم أيضاً ما يدل على صفات في إحدى اللغات الثلاثة، ومنها سلاور ومعناه الهاجم، ولذلك ومعناه النيل. راجع (Lane-Poole: Saracenic Art. p. 4. Note).

(٣) أولاد التركماني هم بنو رسول الدين استقلوا باين (Quatremère: Op. cit. I. 1. P. 1. N. 3)، انظر أيضاً (ص ١٨١، ٢١٣، ٢٣٧). وأصل نسبتهم الى التركان، مع أنهم عرب غسانية، حسبما جاء في انزورجى (المفقود الوثائق، ج ١، ص ٢٧-٢٨)، أتوا من بلاد التركان الى بغداد، في خلافة المستنجد (٥٥٥ - ٥٦٦ هـ، ١١٦٠ - ١١٧٠ م)، قسمهم من يرضهم الى غسان، ونسبهم من لا يرضهم الى التركان، "وكانوا بيت شجاعة ورياسة، وكان محمد بن هارون جليل القدر فيهم، فأداه الخليفة الباسى واختصه برساله الى الشام والى مصر... فاضلق عليه اسم رسول وشهره... ثم (ص ٢٨) انتقل [محمد بن هارون] من العراق الى الشام، ومن الشام الى مصر، فمن معه من أولاده... فلما استولى الملك لى أيوب في مصر، لم يزل معهم حصة من بنى رسول... فأجمع رأيهم على تسيرهم الى اليمن بحصة الملك المعظم توران شاه بن أيوب، فخرجوا بحصه... ومن هنا بدأت خلافة بنى رسول باين.

(٤) في ص "جاشنكير".

واتفق ورود الخبر باستيلاء الملك الناصر على دمشق، فاجتمع الأمراء والبحرية للشور^(١)،
واتفقوا على إقامة الأمير عز الدين أيبك مقدم العسكر في السلطنة، ولقبوه بالملك المعز؛ وكان
مشهوراً بينهم بدين وكرم وجودة رأى. فأركبوه في يوم السبت آخر شهر ربيع الآخر، وحمل
الأمراء بين يديه الفاشية نوباً واحداً بعد آخر إلى قلعة الجبل، وجلسوا معه على السباط؛
ونودي بالزينة فزينت القاهرة ومصر.

- فورد الخبر في يوم الأحد تأليه بتسلم الملك المنفي عمر الكرك والشوبك، وبتسلم الملك
السعيد قلعة الصبية. فلما كان بعد ذلك تجمع الأمراء، وقالوا: "لابد من إقامة شخص من
بيت الملك مع المعز أيبك، ليجمع الكل على طاعته، ويطيحه الملوك من أهله". فاتفقوا^(٢)
على إقامة الملك الأشرف مظفر الدين موسى بن الملك [المسعود - ويقال له] الناصر^(٣)
[صلاح الدين] - يوسف بن الملك المسعود يوسف - [المعروف باسم] أقيس - بن^(٤)
الكامل محمد بن العادل أبي بكر بن أيوب، وله من العمر نحو ست سنين، شريكاً للملك
المعز أيبك، وأن يقوم الملك المعز بتدبير الدولة. فأقاموه سلطاناً في ثالث جمادى الأولى،
وجلس على السباط وحضر الأمراء في خدمته يوم الخميس خامس جمادى الأولى. فكانت
المراسم والمناسبات تخرج عن الملكين الأشرف والمعز، إلا أن الأشرف ليس له سوى الاسم
في الشركة لا غير ذلك، وجميع الأمور بيد المعز أيبك. وكان بفزة جماعة من العسكر عليهم

(١) كذا في س، وهي غير ضبط. والمشورة صيغة عامة لفظ "المشورة". (محيط المحيط).

(٢) تلك عبارة ابن واصل في هذا الصدد (قس المرجع، ص ١٣٧٦) على أن سبب اجتماع الأمراء على
إقامة واحد من بني أيوب ليشترك في السلطنة، هو أقتهم وخوفهم من المعز أيبك التركاني. ونصها: "أخو من أن
يكون عز الدين التركاني سلطاناً، فاختاروا أن يقيموا صبياً من بني أيوب، يكون له اسم الملك، ويكون هم الذين
يدبرون الملك، وبأكلون الدنيا باسمه..." (انظر أيضاً ص ٣٧٨، سطر ٦).

(٣) عبارة ص كالآتي: "فأعما على إمامه الملك الأشرف مظفر الدين موسى بن الملك الناصر يوسف بن الملك
المسعود يوسف بن الملك المسعود قيس بن الكامل محمد بن العادل أبي بكر بن أيوب"، وقد صححت إلى الترتيب
الوارد هنا، وأضيف ما بين الأقواس، بعد مراجعة أبي الفداء (المختصر في أخبار البشر، ص ١٣٠، في
Rec. Hist. Or. I.؛ والمقرئ: المراسم والاعتبار، ج ٢، ص ٢٣٧، وابن واصل: قس المرجع، ص ١٣٧٦). هذا
(٤) هذه العبارة الواردة بين الرقنين ليست مترجمة في (Quatremère: Op. cit. I. I. p. 8). هذا
واقيس - أو أطرز، أو طرز - اسم عرف به الملك المسعود يوسف المذكور، وهو الذي كان آخر ملوك
بني أيوب باليمن. راجع ص ٢٣٧، سطر ١ - ٤٦ وكذلك التفتيشي (صج الأعشى، ج ٥، ص ٣٠).

الأمير دكن الدين خاص ترك ، فرجعوا الى الصالحية (٩٦ ب) وافتحوا مع عتة من الأمراء على إقامة الملك المغيث عمر بن العادل الصغير، صاحب الكرك ، وخطبوا له بالصالحية ، يوم الجمعة رابع جمادى الآخرة . فلما ورد الخبر بذلك نودى في القاهرة ومصر أن البلاد للخليفة المستعصم بالله العباسي ، وأن الملك المعز عز الدين أيك نائبه بها ، وذلك في يوم الأحد سادسه . ووقع الحث في يوم الاثنين على خروج العساكر ، وجُددت الأيمان لملك الأشرف موسى والملك المعز أيك ، وأن يبرز اسمهما على التواقيع والمراسيم ، وينقش اسمهما على السكة ، ويخطب لهما على المنابر ، وأقيم شرف الدين أبو سعيد هبة الله بن صاعد القاتزي المنعوت بالأسعد في الوزارة^(١) .

وتسحب من الصالحية الطواشيان شهاب الدين رشيد الكبير، وشهاب الدين الصغير، وركن الدين خاص ترك، وأُقش^(٢) المُشْرِف^(٣) . فقبض على الطواشي شهاب الدين رشيد الصغير، وأحضر الى القاهرة فاعتقل بها ، ونجا الباقون . وسارت الخلع لمن بقى بالصالحية ، وعفى عنهم وأُمنوا ، وأرسل إليهم بنفقة .

وفي يوم الخميس عاشره ركب الملك الأشرف والمعز بالصنائج السلطانية ، وشقفاً القاهرة، والمعز يحجب الأشرف^(٤) ، والأمراء تتناوب في حمل الغاشية واحدا بعد واحد .

وقد تم عساكر الملك الناصر إلى غزة ، نفرج الأمير فارس الدين أقطاي الجندار — وكانت إليه مقدمة الممالك البحرية — من القاهرة، في يوم الخميس خامس شهر رجب، بالتي فارس . وسار إلى غزة، وقاتل أصحاب الناصر وهزمهم .

(١) كان شرف الدين أبو سعيد هذا قبطيا ، وهو أول قبلي دل الوزارة بمصر الإسلامية ، حسب ج.ا. في القرزي (المواظع والاختيار، ج ٢ ، ص ٢٣٧) .

(٢) مضبوط على منقوشة في (Quatremère : Op. cit. I. l. P. 10) .

(٣) تخدم وصف وظيفة المشرف في ص ١٢٧ ، حاشية ١ ، ويريد في I. l. Quatremère : Op. cit. P. 10, N. 9. أمثلة تدل على ماهية تلك الوظيفة بالضبط ، ومنها : "مشرف الممالك مرتبه دون الوزارة" .

(٤) المقصود هنا أن المعز أيك كان يؤدى وظيفة الحاجب في ذلك المركب ، أى أنه كان رابكا أمامه بمصافى يده . انظر (الفتىدى : ص ٤٥١ ، ج ٥ ، ص ٤٥١) . ويريد ذلك ماورد في ابن واصل (نفس المربع) ص ٣٧٦ ب

- وفي يوم الخميس لخمس بقين من رجب، اتفق أهل الدولة على نقل [تابوت] الملك الصالح [نجم الدين أيوب] من قلعة جزيرة الروضة، إلى تربته التي بنيت له بجوار مدارسه الصالحية من بين القصرين . فخرج الناس يوم الجمعة إلى قلعة الروضة، وحملوا السلطان منها، وصلوا عليه بعد صلاة الجمعة . وجميع السكر قد لبسوا البياض، وقطع الممالك شعورهم ، وأقيم عزاءه ودفن ليلاً . ونزل الملكان الأشرف والمعز من قلعة الجبل إلى التربة الصالحية في يوم السبت، ومعهما سائر الممالك البحرية والحدارية، والأشراف والقضاة والأعيان . وظقت الأسواق بالقاهرة ومصر، وأقيم المآتم بالدخوف بين القصرين، واستمر الحضور للعزاء إلى يوم الاثنين . وجعل عند القبر ستاجق السلطان (١٩٧) وبقيته وقوسه وتركائشه^(٢)، وترتبت القراء يقرعون عند قبره .
- ١٠ وفي هذه السنة عزل بدر الدين أبو المحاسن يوسف بن الحسن السنجاري عن قضاء القاهرة ، وولى بعده عماد الدين أبو القاسم ابن المفتش بن القطب الحموي . فلما مات أفضل الدين الخوجي، ولى [ابن القطب الحموي] بعده قضاء مصر . ثم ولى صدر الدين موهوب الجزري قضاء مصر ، عند انتقال ابن القطب إلى قضاء القاهرة . وفي آخر شهر رجب أعيد البدر السنجاري إلى قضاء القاهرة ، وابن القطب إلى قضاء مصر . ثم جمع
-
- (٣٧٧ = ١)، في وصف ذلك المركب . ونصه : "ولما كان يوم الخميس لعشر خلون من جمادى الأولى، ركب السلطان الملك الأشرف مظفر الدين موسى بالساجق السلطانية، (٣٧٧) والملك المعز عز الدين أليك التركاني راكب قدامه ... " على أنه من المعروف أيضاً، حسبما جاء في (10. N. 1. p. 10. cit. I. 1. Quatremère)، أن المزايا كان قد قرر احتجاب الأشرف موسى من الناس، واستدل على ذلك ببيانات من مراجع كثيرة، ومنها : "وزاد [المعز] على ذلك بأن حجب ومنعه من الظهور إلى الناس إلامه " .
- (١) البقعة الصخرة من القماش، توضع بها الثياب أو القسود أو الأوراق الخاصة ، وهي فارسية الأصل، وتجمع على بقة . (محيط المحيط) . وقد تريم (13. N. 12. p. 12. cit. I. 1. Quatremère) هذا اللفظ إلى (coffre)، أي صندوق أو خزانة، على أنه لا يوجد بين الأسئلة الواردة هناك لتدليل على ذلك المعنى ما يشير إلى أن البقعة كانت تصنع من مادة غير القماش .
- (٢) التركائش لفظ فارسي الأصل، ومعناه الكتلة أو الجملة التي توضع فيها النشاب . (Quatremère : Op. cit. Dozy : Supp. Dict. Ar.) و 14. N. 13. p. 13. cit. I. 1.

قضاء مصر والقاهرة للسنجاري ، وصرف ابن القطب عن مصر . وعاد الفارس أقطاي من غزاة الى القاهرة ، في رابع شعبان . وفي خامسه قبض على الأمير زين الدين أمير جاندادر الصالحى ، وعلى القاضي صدر الدين قاضى آمد — وكان من كبراء الدولة الصلاحية ، واعتقلا .

٥ ولا تبقى عشرة بقيت من شعبان وقع المدم في مدينة دمياط ، بانصاق أهل الدولة على ذلك ؛ ونزع المجارون والصناع والفعلة من القاهرة ، فازيلت أسوارها وحميت آثارها ، ولم يبق منها سوى الجامع . وسكن طائفة من ضعفاء الناس في أخصاص على شاطئ النيل من قبلها ، وسموها المنشية وهى موضع دمياط الآن . وليست بقيت منه قبض على الأمير جمال الدين التجيني واعتقل ، وبعده يوم قبض على أقش المعجمى .

١٠ وأخذ الملك الناصر صاحب الشام في الحركة لأخذ مصر ، بتحريض الأمير شمس الدين لؤلؤ الأمينى له على ذلك . ونزع [الناصر] من دمشق بعساكره ، يوم الأحد النصف من شهر رمضان : ومعه الملك الصالح [عماد الدين] ^(١) إسماعيل بن العادل أبى بكر بن أيوب ، والملك الأشرف موسى بن المنصور إبراهيم بن شيركوه ، والملك المعظم تورانشاه ابن السلطان صلاح الدين الكبير وأخوه نصره الدين ، والملك الظاهر شادى بن الناصر داود وأخوه الملك الأجدد حسن ، ^(٢) والملك الأجدد [نقى الدين] عباس بن العادل ، وعدة ملوك .

١٥ فلما ورد الخبر بذلك اضطربت الدولة ، ورُسِمَ يجمع العربان من الصعيد ، وقبض على جماعة من الأمراء اتهموا بالميل مع الملك الناصر في ثانى شوال ، عند ما ورد الخبر بوصول

(١) أخيف ما بين التوسين من ابن واصل (نفس المرجع ، ص ٣٧٩) .

(٢) كان أولاد الناصر داود وأخوته قد انتقلوا الى القاهرة ، في أواخر أيام الملك الصالح نجم الدين أيوب ، (انظر ص ٣٣٨ ، سطرو ٢ ، وما يليه) ، وقد بقوا بها حياجا . في ابن واصل (نفس المرجع ، ص ٣٧٩) ، إلى أيام المعز أيك والأشرف موسى . فلما استول الملك الناصر صلاح الدين صاحب حلب على دمشق ، أمر الملك المعز إخوة الملك الناصر داود وأولاده وأهله بالخروج من الديار المصرية ، ففرلوا وأنضم منهم إلى الناصر صاحب حلب الملك الظاهر شادى وأخوه الملك الأجدد حسن ، كما هو وارد في المتن .

- (١) الى غزوة . وفي غده كثرت الإرجاف ووقع التهيؤ للحرب ، وأحضرت الخيول من الربيع .
وفي يوم الاثنين ثامنه برز الأمير حسام الدين أبوعلى من القاهرة ، وكان الوقت شتاء .
وفي تاسمه (٩٧ ب) برز الأمير فارس الدين أقطاي الجندار — مقدم البحرية — في جمهور
العسكر من الترك . وسارت العساكر في حادى عشره ، واجتمعت بالصالحية .
- وفي يوم السبت ثالث عشره استناب الملك المعز أيبك بديار مصر الأمير علاء الدين البندقدار ،
فواظب الجلوس بالمدارس الصالحية مع ثواب دار العدل ، لترتيب الأمور وكشف المظالم .
ونودى يوم السبت العشر من باطال انهمور ، والجهة المفردة .^(٢)
- وفيه كثرت الإرجاف بوصول الناصر الى القاروم . وفي تاسع عشره خلع الملك المعز على
الملك المنصور محمود ، و[على] أخيه الملك السعيد عبد الملك ، ولدى الملك الصالح إسماعيل
[عماد الدين] — وكانا في حبس الملك الصالح نجم الدين [أيوب] — وأركبهما في القاهرة ،
ليوم الناس أن الملك الصالح أباهما مباطن له على الملك الناصر، حتى يقع بينهما .
- وفي يوم الثلاثاء أول ذى القعدة نودى بالقاهرة أن الصلح انتظم بين الملك المعز
والبحرية ، وبين الملك المنبث عمر بن العادل صاحب الكرك . ولم يكن لما نودى به
حقيقة ، وإنما قصد بذلك أن يقف الملك الناصر عن الحركة .
- وفي يوم الخميس ثالثه نزل الملك المعز من قلعة الجبل فيمن بقى عنده من العساكر ،
وسار إلى الصالحية وبها العساكر التي خرجت قبله ، وترك بقلعة الجبل الملك الأشرف موسى .
فاستقرت عساكر مصر بالصالحية إلى يوم الاثنين سابعه ، فوصل الملك الناصر بعساكره إلى
- (١) الربيع ما مكث الرعى ، وفي (Quatremère : Op. cit. I. 1. p. 16, N. 16) أمثلة عدة
للدلالة على هذا المعنى ، ومنها : ” توجه الى الربيع وأقام به أياماً “ .
- (٢) الجهة هنا الضريبة ، وفي (Ibid : Op. cit. I. 1. p. 17, N. 17) أمثلة كثيرة لتقرير هذا المعنى ،
ومنها : ” نظر الجهات موضوعه التحدث فيها يتحصل من التجار برا وبحرا “ . وعلى ذلك فالجهة المفردة هي الضريبة
المقررة لديوان المقرء ، وهو الديوان الذى يتولى تحققة المالك السلطانية من جاميكات وعليق وكوة ، وإيراده
من البلاد المفردة له . (الفتوشدى : صبح الأعشى ، ج ٣ ، ص ٤٥٧) .

كُراع^(١) - وهي قرية من البعامة ، تقارب ما بين العسكرين . و[كان] في ظن كل أحد أن النصره إنما تكون للناصر على البحرية ، لكثرة عساكره وليل أكثر عسكر مصر إليه . فاتفق أنه كان مع الناصر جمع كبير من مماليك أبيه الملك العزيز ، وهم أتراك يميلون إلى البحرية لعلة الجندية ، ولكراهتهم في الأمير شمس الدين لؤلؤ مدبر المملكة .

ف عند ما نزل الناصر بمنزلة الكراع ، قريبا من الخشي^(٢) بالرمل ، رحل المعز أيبك بعساكر مصر من الصالحية ، ونزل تجاهه بسُموط إلى يوم الخميس عاشره . فركب الملك الناصر في العساكر ، ورتب ميمنة وميسرة وقلبا . وركب الملك المعز ، ورتب أيضا عساكره . وكانت الوقعة في الساعة الرابعة ، فاتفق فيها أمر عجيب قل ما اتفق مثله ، فإن الكسرة كانت أولا على عساكر مصر ، ثم صارت على الشاميين : (١٩٨) وذلك أن ميمنة عسكر الشام حملت هي والميسرة على من يلازمتها حملة شديدة ، فانكسرت ميسرة المصريين وولوا منهزمين ، وزحف أبطال الشاميين وراءهم ، وما لهم علم بما جرى خلفهم . وانكسرت ميمنة أهل الشام ، وثبت كل من القلبين واقتتلوا . ومر المنهزمون من عسكر مصر إلى بلاد الصعيد ، وقد نهب أقاليم . وعند ما مروا على القاهرة خطب بها للناصر ، وخطب له بقلعة الجبل ومصر ، وبات الأمير جمال الدين بن يعضود بالبعامة ، وأحى الحسام للناصر وجهه له الإقامة . هذا والناصر على منزلة كراع ليس عنده خبر ، وإنما هو واقف باستاجقه ونزائنه وأصحابه . وأما ميمنة أهل الشام ، فإنها لما انكسرت قتل منهم عسكر مصر خلقا كثيرا في الرمل ، وأسروا أكثر مما قتلوا .

(١) بشر بن طيط في س ، وقد حدّد المقرئ موضعا فيا ط ، كما ذكر (Quatremère : Op. Cit. I. I. P. 19. N. 18) أنها واقعة بين البعامة والسدير . هذا والكراع في اللغة طرف الشيء ، وكراع الأرض طرفها البعيد . (محيط المحيط) .

(٢) يوجد ياء مش الصفحة في س ، قبالة اسم هذا البلد العبارة الآتية ، وهي بخط يده خط المتن تماما ، ونصها : " الخشي يعرف اليوم بالسعيدة ، فيا بين يليس وبين الصالحية " . ويقع هذا البلد على مسافة ثلاث مراحل من القسلاط ، وكان به خان ، وهو أول الجفار من ناحية مصر ، وآخرها من ناحية الشام . (يا قوت : معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ٤٤٥) .

(٣) بشر في س ، وهي موضع بين الخشي والبعامة . (أبو شامة : كتاب الروضتين ، ص ٢٠١ ، في (Rec. Hist. Or. V.) .

- وتعين الظفر للناصر وهو ثابت في القلب، وتجاهه المعز أيسك أيضا في القلب . نغاف
أمراء الناصر منه أن يقتلهم إذا تم له الأمر، وخامروا عليه وفروا بإطلاعهم إلى الملك المعز :
وهم الأمير جمال الدين أيدغدي العززي ، والأمير جمال الدين أفوش الحسامي ، والأمير
بدر الدين بكتوت الظاهري ، والأمير سليمان العززي ، وجماعة [غيرهم] . نفارت قوى الناصر
من ذهاب المذكورين إلى الملك المعز ، فحمل المعز بمن معه على سناجق الناصر ، فلما منه
أن الناصر تحتها . وكان الناصر — لما فارقه الأمراء إلى عند المعز — [قد] خرج من تحت
السناجق في شزيمة قليلة ، نغاب ما أمله المعز أيسك ، وعاد إلى مركزه خائبا . وقد قوى
الشاميون بذلك ، وتبعوه يقتلون منه وينهبون .

- وسرَّ الأمراء القيمرية بذلك ، وقصدوا الحملة على المعز ليأخذوه ، فوجدوا أصحابهم قد
نفروا في طلب الكسب والنهب . فحمل المعز عليهم وثبتوا له ، ثم انحاز إلى جانب يريد القرار
إلى جهة الشوبك . ووقف الناصر في جمع من العزيزية وغيرهم تحت سناجقه وقد اطمأن ،
فخرج عليهم المعز — ومعه الفارس أقطاي — في نحو ثلثائة من البحرية ، وقرب منه .
فخاض عتة ممن كان مع الناصر عليه ، ومالوا مع المعز والبحرية ، فولى الناصر فارا يريد الشام
في خاصته وغلمانته . واستولى البحرية على سناجقه ، وكسروا صناديقه ونهبوا (٩٨ ب) أمواله .
- وساق المعز يريد الأطلاب ، فوقع بطلب الأمير شمس الدين لؤلؤ ، والأمير حسام الدين
القيصري ، والأمير ضياء الدين القيمري ، وتاج الملوك ابن المعظم ، والأمير شمس الدين الحميدي ،
والأمير بدر الدين الرزاري ، وجماعة [غيرهم] . فبُعد [الملك المعز] شملهم ، وأسَّره المعظم
توران شاه بن صلاح الدين ، وأخاه نصرة الدين محمد ، والملك الصالح عماد الدين إسماعيل بن
العاذل ، والملك الأشرف صاحب حصص ، والملك الزاهر ، والأمير شهاب الدين القيمري ،
والأمير حسام الدين طرنتاي العززي ، والأمير ضياء الدين القيمري ، والأمير شمس الدين
لؤلؤ مدبر المملكة الحلبية ، وأعيان الحلبيين وحلقا كثيرا . وقُتل الأمير شمس الدين الحميدي ،
والأمير بدر الدين الرزاري ، وجماعة [غيرهما] .

وكان الأمير حسام الدين أبو علي الهذباني على ميسرة عسكر المصريين، فلما وقعت الكسرة على الميسرة فخرق عنه أصحابه، وحتطروا عن^(١) فرسه وكاد يؤخذ، لولا [أبه] وقف معه من أركبه، فلحق بالمرز أليك . فأمر الملك المرز بضرب عتي الأمير شمس الدين لؤلؤ، فأخذته السيوف حتى قطع، وضربت عتي الأمير ضياء الدين التميمي . وأتى بالملك الصالح إسماعيل وهو راكب، فسلم عليه الملك المرز وأوقفه إلى جانبه، وقال للأمير حسام الدين أبي علي :
 "ما نُسَلِّمُ على المولى الملك الصالح"، فدنا منه [الأمير حسام الدين] وعاققه وسلم عليه . وجرح الملك المعظم، وابنه تاج الملوك، وضرب الشريف المرتضى في وجهه ضربة عظيمة، وهما يقتله ثم تركوه .

وتنزع أهل الشام كل ممزق، ومشوا في الرمل أياما . وسار الملك الناصر ومعه نوفل الزبيدي وصل^{١٠} السعدى إلى دمشق . وأما العسكر الشامي الذي كسر ميسرة المصريين، فإنه وصل إلى العباسية ونزل بها، وضرب الدهليز الناصري هناك، وفهم الأمير جمال الدين بن يمشور نائب السلطنة بدمشق وعدة من أمراء الناصر، وهم لا يشكون أن أمر المصريين قد بطل وزال، وأن الملك الناصر مقدم عليهم ليسيروا في خدمته إلى القاهرة . فبيناهم كذلك إذ وصل اليهم الخبر بهروب الملك الناصر، وقتل الأمراء وأمر الملوك وغيرهم . فهم طائفة منهم أن يسيروا إلى القاهرة ويستولوا عليها، ومنهم من رأى الرجوع إلى الشام، ثم اتفقوا على الرجوع .

وأما من انتهزم من (١٩٩) عسكر مصر أولا، فلأنهم وصلوا إلى القاهرة في يوم الجمعة حادى عشره، غدي يوم الوقعة . فحاشك الناس في أن الأمر تم لللك الناصر، وأن أمر البحرية قد زال . وكان بقلة الجبل الأمير ناصر الدين إسماعيل ... بن يمشور، أستاذار الملك الصالح [عماد الدين] إسماعيل، في جب هو وأمين الدولة أبو الحسن بن غزال — المتطلب المعروف بالسامري وزير الصالح المذكور، والأمير سيف الدين التميمي، وجماعة [غيرهم أيضا]، لهم

(٢) يماض في ص، يسع فقط واحدا .

(١) في ص "قطر" .

من أيام الملك الصالح نجم الدين أيوب في الاعتقال . فلما بلغهم ذلك خرجوا من الحب ، وأظهروا الفرح والاستبشار ، وأرادوا أخذ القلعة . فلم يوافق الأمير سيف الدين التيمري على ذلك ، وتركهم وقعد على باب دار الملك المعز أيك التي فيها عياله ، وحماها وصد الناس عنها . وصاح البقية : «الملك الناصر يا منصور!» .

- وخطب للناصر بالقلعة ومصر ، وسائر البلاد التي بلغها خبر نصرته . وكان يجامع القاهرة الشيخ عز الدين بن عبد السلام ، فقام على قدميه وخطب خطبتين خفيفتين ، وصلى بجماعة الجمعة ، وصلى قوم صلاة الظهر . فما هو إلا أن انقضت صلاة الجمعة ، [حتى] وردت البشارة بانتصار الملك المعز وهزيمة الناصر ، فدقت البشائر . وقدم جماعة ومعهم نصره الدين ابن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب ، فاعتقلوه بقلعة الجبل . وقبض على الأمير ناصر الدين ابن يعمور ، والوزير أمين الدولة ^(١) [أي الحسن بن غزال] ، ومن كان معهما ، وأعيدوا إلى الحب . ونودي آخر النهار في القاهرة ومصر بالزينة .

- وأما الملك المعز فإنه ساق — بعد ما تقدم ذكره من قتله الأمراء — إلى العباسية ، فلما رأى دهليز الملك الناصر توهم ، وعرج عن الطريق على العلاقة إلى بليس ، ظنا أن واقعة وقعت بالقاهرة . فبلغ من كان بالدهليز الخبر فهدموه في الليل ، وساروا إلى الشام . فبلغ ذلك الملك المعز وهو في بليس ، فرحل يريد القاهرة وقد اطمأن ، ودخلها يوم السبت ^(٢) ١٥ ثاني عشر ذي القعدة الأسرى بين يديه ، وسناجقهم مقلبة وطبولهم مشققة ، وخيولهم وأموالهم بين يديه ، إلى أن وصل إلى بين القصرين . فلبت الممالك بالرياح وتطاردوا ، والملك المعز في الموكب ، وإلى جانبه الأمير حسام الدين أبي علي ، وقدامه الملك الصالح

(١) فوق هذا اللفظ في س إشارة إلى هامش غير موجود بالصقعة ، ولعل المقرئ قصد أن يكمل الاسم على الصورة الواردة بالصقعة السابقة ، ثم أغفل ذلك أوفيه .
(٢) كان السكر الشامي الذي كسر مسيرة المصريين ، وتقدم إلى العباسية فزحل بها ، قد ضرب الدهليز الناصري هناك استنادا لوصول الناصر . (انظر ص ٣٧٦ ، سطر ١٠) .
(٣) في « مشقة » .

إسماعيل تحت الاحتياط . فعند ما (٩٩ ب) وصل إلى تربة الملك الصالح نجم الدين أحمق المالك البحرية بالصالح إسماعيل، وصاحوا : "ياخوند ! أين عينك ترى مدوك إسماعيل؟" ثم ساروا إلى قلعة الجبل، واعتقل الصالح إسماعيل بها وبقيّة الملوك ؛ وألقى الأسرى من الشاميين في الجباب . وعند ما دخل الملك المعز [إلى القلعة] ^(١)، تلقاه الملك الأشرف موسى وهناك بالفطر ؛ فقال الأمير فارس الدين أقطاي للأشرف : "كلما حصل بسعادتك ، وما سعيينا إلا في تقرير ملكك" ، وكان يؤثرياه الأشرف خوفا من استبداد المعز أيك . وكان هذا اليوم من أعظم أيام القاهرة ، واستمرت الزينة بالقاهرة ومصر وقلعة الجبل وقلعة الروضة عتّة أيام .

وفي يوم الاثنين رابع عشره ^(٢) شقّ الأمير ناصر الدين إسماعيل بن يمنور، أستاذ الصالح إسماعيل، وشق بكجا ملك الخوارزمي ، وأمين الدولة أبو الحسن السامري الوزير، على باب قلعة الجبل، ومهمهم المجير بن حمدان من أهل دمشق . وظهر لأمين الدولة من الأموال والتحف والجوهر ما لا يوجد مثله إلا عند الخلفاء، بلغت قيمة ما ظهر له سوى ما كان مودوعا ثلاثة آلاف ألف دينار ؛ ووجد له عشرة آلاف مجلدة ، كلها بخطوط منسوبة ، وكتب نفيسة .

وفي ليلة الأحد السابع والعشرين من ذي القعدة، قُتل الملك الصالح عماد الدين إسماعيل ابن الملك العادل أبي بكر بن أيوب بقلعة الجبل ؛ وعمره نحو الخمسين سنة . قال ابن واصل : من أعجب ما مرّ بي أن الملك الجواد مودودا ، لما كان في حبس الملك الصالح إسماعيل ، سير إليه [الملك الصالح إسماعيل] من خقه ، وفارقه ظنا أنه قد مات ، فأفاق فأراه امرأة هناك ،

(١) أخيف ما بين القوسين من ابن واصل (نفس المرجع ، ص ١٣٨٤) .

(٢) كذا في ص بنير ضبط ، وعرف ب (١١٨) "بكجا" ، وقد ترجمه (Quatremère : Op. cit.

إلى I. 1. p. 30) (Bekdjese) .

(٣) كذا في ص .

(٤) في ص "مودود" .

فأخبرتهم أنه قد أفاق ، فعادوا إليه وخنقوه حتى مات . وفي هذه الليلة لما أُنرجوا الملك الصالح إسماعيل بأمر المعز أَيْسِك إلى ظاهر القلعة ، وكان معهم ضوء فاطقاه ، وخنقوه وفارقوه فلما أنه قد مات ، فأفاق فرائه امرأة هناك ، فأخبرتهم أنه أفاق ، فعادوا إليه وخنقوه حتى مات . فانظر ما أعجب هذه الواقعة ! ودفن هناك ؛ وكانت أمه رومية ، وكان رئيس (٢) النفس نبيل القدر ، مطاعا له حرمة وافرة ، وفيه شجاعة .

وفي ثامن عشره أخرج الملك المعز كل من دخل القاهرة من عسكر الملك الناصر ، إلى دمشق على حبر ، هم وأتباعهم ، ولم يمكن أحدا منهم أن يركب فرسا ، إلا نحو الستة أنفُس فقط ، وكانوا نحو الثلاثة آلاف رجل .

وفيها وصل إلى الملك الناصر من قبل القان ملك التتر طمعا صورة أمان ، فصار يحملها في حياته (٣) ، وسير إلى القان هدايا كثيرة . فلما خرج هولاء واستولوا على الممالك ، تغافل الناصر عنه ولم يبعث إليه شيئا ؛ فعز ذلك عليه ، وصار في كل قليل ينكر تأخر تقديمه الناصر الهدايا والتحف إليه .

(١) قصة خنق الملك الصالح إسماعيل مرتين ، وموافقها في التفاصيل لما حدث في خنق الملك الجواد ، واردة في القاموس الرزقي ابن واصل (نفس المربع ، ص ٣٨٤ ب) . ويلاحظ أن هذه أول مرة في كتاب السلوك ، يشير فيها القرطبي لابن واصل . (٢) في ص " رئيس " .

(٣) كانت قان — أوخاتان — التتر في تلك السنة كيوك (٦٤٤ — ٦٤٦ هـ ١٢٤٦ — ١٢٤٨ م) . انظر (Lane-Poole : Muh. Dyns. P. 215) . وهو ابن أرغش بن جتخان ، واسمه في المراجع الإنجليزية (Kuyuk) ، وفي الفرنسية ((Cuyouk)) . وقد أرسل ذلك الخاتم ، حسبما جاء في (D'Ohsson : Hist. Des Mongols, III, p. 91) إلى الملك الناصر صاحب دمشق صورة أمان ، صار الناصر يحملها في حياته ، كما في المتن هنا .

(٤) الطلعة كلمة تركية ، معناها هنا البراءة (diploma) التي تصدر من قبل السلطان أو الملك ، بالغرض عن مجرم أو ثامن خائف . والطلعة أيضا شعار السلطان أو الأمير (blazon) . انظر (Steingass : Pers. - Eng. Dict.) ، وأيضا (Mayer : Saracenic Heraldry, pp. 18, 33, 53, 206) .

(٥) الحياة هنا الحزام أو الخبطة (Quatremère : Op. cit. I. 1. p. 31, N. 31) ، ومعنى الأصل السير الذي يشد به حزام سرج الحصان . (محيط المحيط) .

وفيهما أكثر ضرر الممالك البحرية بمصر ، ومالوا على الناس وقتلوا ونهبوا الأموال ، وسبوا الحرم وبالقوا في الفساد ، حتى لو ملك الفرنج ما فعلوا فعلهم .
وفي سابع عشرى ذى الحجة ، سار الأمير فارس الدين أقطاي من القاهرة في ثلاثة آلاف إلى غزة ، واستولى (١٠٠) عليها .

٥ وفي هذه السنة قدم البطرك أناسيوس ابن القس أبي المسكرم ، في يوم الأحد رابع شهر رجب ، الموافق لخمس باه سنة سبع [وستين] وتسعمائة للشهداء . فأقام في البطركية إحدى عشرة سنة وخمسة وخمسين يوما ، ومات يوم الأحد أول كيهك سنة ثمان وسبعين وتسعمائة للشهداء ، الموافق لثالث المحرم سنة ستين وتسعمائة هجرية ؛ وخلا الكرسي بعده خمسة وثلاثين يوما . وفيها مات الإمبراطور ملك الفرنج الألمانية بصقلية^(١) ، وقام من بعده ابنه .
١٠ وخرجت هذه السنة والناصر يوسف بدمشق ، وبسده ملك الشام والشرق ، وملكته مصر بيد الملك المعز عز الدين أيبك التركاني ، ويخطب معه للأشرف موسى ، والمعتمد عليه في أمور الدولة من البحرية ثلاثة أمراء : وهم الأمير فارس الدين أقطاي ، وركن الدين بيبس البندقداري ، وسيف الدين بلبان الرشيدى .

١٥ ومات في هذه السنة من الأعيان الملك المعظم غياث الدين توارنشا بن الملك الصالح نجم الدين أيوب بن الملك الكامل محمد بن الملك العادل أبي بكر بن أيوب بن شادى ، قتيلا في يوم الاثنين تاسع عشرى المحرم . ومات الملك الصالح عماد الدين إسماعيل بن العادل أبي بكر بن أيوب بن شادى ، قتيلا في ليلة الأحد سابع عشرى ذى القعدة ، عن نحو خمسين سنة . ومات الأمير شمس لؤلؤ الأمينى ، مقدم عسكر حلب ، قتيلا في يوم الخميس عاشر

(١) اسم هذا الطريق (Athanasius III) ، وهو السادس والسبعون من بطارية الأقباط بالإسكندرية .
(Butcher : Op. cit. I. p. XIV ; II. pp. 163-165).

(٢) أخيف ما بين القوسين بعد مراجعة (Quatremère : Op. cit. I. 1. p. 31).

(٣) في ص " الانرطوز " .

(٤) الإمبراطور القصد هنا هو (Frederic II) ، وقد توفى بمصر (Fiorentino) ، الواقع بين بلدتي (Foggia & Lucera) ، بإقليم (Apulia) بإيطاليا قسما . (Camb. Med. Hist. VI. p. 164).

ذى القعدة . وتوفى رشيد الدين أبو محمد عبد الوهاب بن طاهر بن علي بن فتوح بن رواج^(١) الإسكندري المالكي، عن أربع وتسعين سنة، في ... سنة وتوفى الحافظ شمس الدين أبو الحجاج يوسف بن خليل بن قراجا بن عبد الله الدمشقي بحلب ، عن ثلاث وتسعين سنة .

+ + +

سنة تسع وأربعين وستمائة . فيها استولى الأمير فارس الدين أقطاي على الساحل ونابلس إلى [نهر] الشريعة^(٢)، وعاد إلى القاهرة . فسير الملك الناصر عسكرا من دمشق إلى غزة ليكون بها ، فاقاموا على تل العجول . فخرج المعز أيك ، ومعه الأشرف موسى والفارس أقطاي وسائر البحرية ، وتزل بالصالحية . فاقام العسكر المصري بأرض السائح قريبا من العباسية ، والعسكر الشامي قريبا من ستين ، وترددت بينهما الرسل . وأحدث الوزير الأشعث الفاضلي ظلمات عديدة على الرعية .

- وفيها أمر الملك المعز أيك بإخلاء قلعة الروضة ، فتحول من كان فيها من المالك والحرسية وغيرهم . وفيها عزل قاضي القضاة عماد الدين أبو القاسم بن أبي إسحاق ابن المنقش - المعروف بابن القطب الجوى ، عن قضاء مصر؛ وأضيف [ذلك] إلى قاضي القضاة بدر الدين السنجاري . وسافر الأمير حسام الدين أبو علي إلى الحجاز - وترك طلبه بالسائح وفيه من ينوب عنه - من البحر إلى قوص ، ثم ركب البحر الملح إلى مكة . وفيها أشيع وصول البادرائي رسول الخليفة ، ليصلح بين الناصر والمعز . فلما أبطأ قدومه ، وكثرت الأقاويل ، قال الأمير

(١) كذا في ب (١١٩) ، وهو في س "موج" . (٢) كذا في س . (٣) يباخر في س .

(٤) أطلق هذا الاسم على نهر الأردن ، بعد زمن الحروب الصليبية ، وخصوصا جزؤه الواقع بين بحيرة طبرية إلى المصب في البحر الميت ، ويرمه البدو بهذا الاسم حتى الآن . (Quatremère : Op. cit. I. 1. p. 32. N. 37) ؛

و (Le Strange: Palest. Under Moslems, p. 52) .

(٥) كذا في س ، وقد أوردها (Quatremère: Op. Cit. I. 1. p. 33) على أنها موضع اسمه "سنتين" ،

وترجمها إلى (Sattin) . وهذا وفيما يلي تحت سنة ٦٥٤ ، أن السلطان الملك المعز أقام بساكره بأرض السائح

ثلاث سنين ، فقل المقصود هنا بلفظ "سنتين" مدة زمنية ، وليس موضعا لإقامة الساكر . (٦) جمع حربي ،

وهو الجندي الموكل بحراسة مكان من الأمكنة ، (un soldat destiné à garder une place) .

انظر (Quatremère: Op. Cit. I. 1. p. 33. N. 40) .

شهاب الدين غازي بن أياز المعروف بابن المعيار ^(١١) — أحد المعردين صحبة الأمير جمال الدين موسى بن ينفور : —

يُدَّكرنا زمانُ الزهد ذكرى * زمانُ اللهو في تلّ المعجول

ونطلب مسلما يروي حديثا * صحيفا من أحاديث الرسول

- وفيها وقع بمكة غلاء عظيم . ومات في هذه السنة من الأعيان قاضي القضاء ببغداد، [واسمه] كمال الدين أبو الفضل عبد الرحمن بن عبد السلام بن إسماعيل بن عبد الرحمن بن إبراهيم الدامغانى الحنفى . و [فيها] توفى بهاء الدين أبو الحسن علي بن هبة الله بن سلامة الجيزي الشافعى ، خطيب القاهرة — وقد انتهت إليه مشيخة العلم — عن تسعين سنة ، في يوم و [فيها] توفى الصاحب جمال الدين أبو الحسين يحيى بن عيسى بن إبراهيم بن مطروح — الوزير بالشام، [و] الشاعر [أيضا] — عن سبع وخمسين سنة، في و [فيها] توفى رشيد الدين أبو محمد عبد الظاهر بن نسوان بن عبد الظاهر السعدى شيخ القراءات ... و [فيها] توفى علم الدين فيصير بن أبى القاسم بن عبد الفتى بن مسافر — المعروف بتعاسيف، الفقيه الحنفى ، بدمشق في ... رجب ؛ ومولده بأصفون من صعيد مصر سنة أربع وسبعين وخمسمائة، وهو أحد الأئمة في العلوم الرياضية .

♦ ♦ ♦

- ١٥ سنة خمسين وستمائة . فيها قدم الأمير حسام الدين أبو علي من الحجاز، فزل في المعسكر من أرض السائح بالصالحية . وقدم من بغداد الشيخ نجم الدين عبد الله بن محمد

(١) مضبوط على مخطوطة في (Quatremère : Op. cit. I. 1. p. 35) .

(٢) الوفيات الواردة هنا ، مكتوبة على ورقة منفصلة في س ، بين الصفحتين ٩٩ ب ٤ ، ١٠٠ أ ، ولم يشر القرظي كما دلت على مكانها المناسب ، على أنها وقعت في سنة ٦٤٩ هـ . انظر (Quatremère : Op. cit. I. 1. pp. 35-36, et notes)

(٣) د (٤) و (٥) و (٦) ياض في س .

(٧) يبرسب في س ، وعلى إحدى ثرى المطاعة بالوجه القبلى ، وتقع على الشاطئ الغربى النيل ، وتسمى

أسفون أيضا . (مبارك : التعلل الترفيقية ، ج ٧ ، ص ٥٧ ؛ ياقوت : معجم البلدان ، ج ١ ، ص ٣٠٠) .

ابن الحسن بن أبي سعد البادائي، رسولا من الخليفة للإصلاح بين الملك المعز أيك والملك (١٠٠ ب) الناصر . فتلقاه القاضي بدر الدين الخضر بن الحسن السنجاري من قطيا ، ومعه جماعة، وتحدث [معه] في ذلك . فأراد الناصر أن تمام له الخطبة بديار مصر، فلم يرض الملك المعز، و[زاد بأن] طلب أن يكون بيده — مع مصر — من غزاة إلى عقبة فيق^(١) .

- و[فيها] وردت الأخبار بأن منكوخان ملك الترسير أخاه هولكو لأخذ العراق . فسار وأباد أهل بلاد الإسماعيلية قتلًا ونهبًا وأسرا وسبيًا،^(٢) ووصلت غاراته إلى ديار بكر وميافارقين، وجاءوا إلى رأس عين وسروج ، وقتلوا ما ينيف على عشرة آلاف ، وأسروا مثل ذلك ، وصادقوا قافلة سارت من حران تريد بغداد، فأخذوا منها أموالا عظيمة، من حلتها ستمائة (١) في س "مق" .

(٢) اسم هذا المكان في المراجع الأوربية الحديثة (Mangu) ، وهو ابن تولوي بن جنكخان ، وقد وقع تنويجه وإعلانه خانا أعظم سنة ٦٤٩ هـ (١٢٥١ م) ، في مجمع رؤساء التتر (Kuriltay) تلك السنة ، أي بعد ثلاث سنين من وفاة كيوك . وفي ذلك المجمع قرّر الرأي على تجهيز جيلتين حربيين ، قصد إخماد الصين ويكون قائدها فو بيلاي ، وتذهب الأثرى إلى بلاد فارس بقيادة هولكو ، وكلاهما أخ لمكوخان. (Browne : A Lit. Hist. Of Persia, II, p. 452).

(٣) وصل هولكو إلى بلاد الإسماعيلية الفرس بقوهستان ، وهي بينهات الجبال الواقعة بين هرات ونيسابور، بعد السنة المذكورة هنا بكثير . فقد سار من قراقورم (Karakorum) عاصمة التتر العظمى . سنة ٦٥٠ هـ (١٢٥٠ م)، بتعليمات مشددة لحراها عن الإسماعيلية بفارس ، وهدم الخلافة الباسية ببغداد . ووصل هولكو لبلاد الإسماعيلية سنة ٦٥٤ هـ (١٣٥٩ م) ، وكان عند التعليمات التي لديه : فأتى عليهم ودل جميع مآقلهم بما في ذلك الموت ، وأمر أئمة رؤسائهم وهو شيخ الجبل دكن الدين غورشا، وأرسله إلى (Karakorum) حيث أمر منكوخان بقتله . (Browne : A Lit. Hist. of Persia, II, pp. 452-460)

(٤) أحصى الإسماعيلية بخطر المتول قبل ذلك بمدة سنين ، كما أحست به جميع دول أوروبا أيضا ، وذهب رسول من الإسماعيلية إلى إنجلترا وفرنسة . سنة ٦٣٧ هـ (١٢٣٩ م) ، يرجوهم الفوت على الفصول، ولكنه لم يلق مجيئا . يشهد بذلك ما قاله أسقف مدينة (Winchester) بإنجلترا ، حسبما جاء في. (Browne : Op. cit., III, p. 6) وهذا نصه :

"Let these dogs devour each other and be utterly wiped out, and then we shall see, founded on their ruins, the Universal Catholic Church, and then shall truly be one shepherd and one flock."

حل سكر من عمل مصر، وسمانة ألف دينار؛ وقتلوا الشيوخ والعباثر، وساقوا النساء والصبيان معهم . فقطع أهل الشرق الفرات، وغزوا خاضعين .

فعند ذلك أزال الملك المعز اسم الملك الأشرف موسى من الخطبة، وانفرد باسم السلطنة، وحين الأشرف، واستولى على الخزان . وشرع في تحصيل الأموال : فأحدث الوزير الأسعد شرف الدين هبة الله بن صاعد بن وهيب الصائري حوادث ، وقرّر على التجار وعلى أصحاب المقار أموالا، ورتب مكوسا وضمانات سمّاها الحقوق السلطانية والمعاملات الديوانية، وأخذ الجوال^(١) من الذمة مضاعفة، وأحدث التصقيع والتقويم^(٢) وعدة أنواع من المظالم . ورتب الملك المعز مملوكه الأمير سيف الدين قطز نائب السلطنة بديار مصر، وأمر عدة من مماليكه . فقويت شوكة البحرية وزاد شهرهم، وصار كبيرهم الأمير فارس الدين أقطاي الجندار الصالحى ملجأ لهم، يسألونه في حوائجهم، ويكون هو المتحدث مع الملك المعز . وفيها أقطع الفارس أقطاي ثغر الإسكندرية، وكتب له به منشور . وتعدى ثغر البحرية، وكثر تمردهم وطفائهم .

وخرجت السنة والملك المعز والعساكر بالسائح، وعساكر الشام بغزة، والملك الناصر مقيم بدمشق، والملك المنيف عمر بالكرك . وكان النيل عاليا : بلغ ثمانية عشر ذراعا وسبعة عشر إصبعا، وسدّ باب البحر عند المقدس .

وفيها وقع بمدينة حلب حريق عظيم ظهر أنه من الفرنج، [و] تلف فيه أموال لا تحصى، واحترقت سمانة دار . وجم في هذه السنة ركب العراق .

(١) تقدم شرح لفظ الجوال في ص ٨٦ (حاشية ٤) ، ويزاد عليه هنا أن الجوال جمع جالية، وأن نقسط جالية مطلق على أهل الذمة، وقد "فيل لم ذلك لأن الامام عمر أجلاهم عن جزيرة العرب، ثم نزع هذا الاسم كل من زعمه الجزية من أهل الذمة... وإن لم يجلو من أوطانهم" . (محيط المحيط) - انظر أيضا .

(Quatromère: Op. Cit. II. 1, p. 132. N. 16).

(٢) التصقيع هنا إحسان البيوت والمقارنات ، لأجل فرض ضريبة عليها . والتقويم تقدير قيمة كل من البيوت المحصاة ، من أجل الفرض نفسه . (Quatromère : Op. cit. I. 1. pp. 37, et p. 89. N. 124) .

- ومات في هذه السنة من الأعيان العلامة رضى الدين أبو الفضائل الحسن بن محمد بن الحسن بن حيدر الممرى الهندى الصنغانى الحنفى اللقوى، [مات] ببغداد، ودفن بمكة عن ثلاث وسبعين سنة. وتوفي غفر القضاة أبو الفتح نصر الله بن هبة الله بن عبد الباقي بن هبة الله ابن الحسين بن يحيى بن بصاقة الكاظمي، الكاتب الوزير للناصر داود، [و] الأديب المنشي، في
- وتوفي شمس الدين أبو عبد الله محمد بن سعد بن عبد الله بن سعد الأنصارى القندسي، الفقيه الشافعي المحدث المقرئ، النحوي الأديب الكاتب المجتهد، [مات] بدمشق عن تسع وسبعين سنة. وتوفي مُسنَدُ العراق المؤتمن أبو القاسم يحيى بن نصر بن أبي القاسم بن الحسن بن قبرة التميمي، التاجر السفار، عن خمس وثلاثين سنة، حُتَّتْ بمصر وغيرها. وتوفي تقيب الأشراف — وقاضي العسكر، ومدرّس المدرسة الشرفية بمصر — الشريف شمس الدين أبو عبد الله محمد بن الحسين بن محمد العلوي الحسيني الأرموي، [على ما] حُتَّتْ الأشراف، في ثالث عشر شوال سنة تسعين وستائة. وكان إماما في الفقه والأصول مناضرا، تفقّه على الصدر ابن حويه، وشرح المحصول، ومات عن نيف وسبعين سنة.



- سنة إحدى وخمسين وستمائة. فيها تفرّج الصلح بين الملك المعز أليك وبين الملك الناصر صاحب دمشق، بسفارة نجم الدين البادراني. وقد قدم [نجم الدين] إلى القاهرة، ومحبته عز الدين أزدمر، وكاتب الإنشاء ببغداد نظام الدين أبو عبد الله محمد بن المولى الحلبي، لتمهيد القواعد. فلم يرحا إلى أن انفصلت القضية: على أن يكون للصريين إلى الأردن، وللناصر ما وراء ذلك؛ وأن يدخل فيما للصريين غزة والقدس و نابلس والساحل كله؛

(١) اسم هذا العلامة في بعض المراجع العربية، (انظر Quatremère: Op. cit. I. 1. p. 38. Ns. 50, 51)، حسن بن عمر، ومولده بمدينة لاهور بالهند، سنة ٧٧٥ هـ (١١٨١ م)، ومن مؤلفاته في النور كتاب جمع البحرين في اثني عشر مجلدا، وكتاب الباب الزائر في عشرين مجلدا، وكانت وفاته ببغداد في يوم الجمعة تاسع عشر شعبان.

(٢) يابض في س.

(٣) كذا في س، وهو في ب (١٢٠ ب) "قيمة".

(٤) في س "حدا" . انظر Quatremère: Op. cit. I. 1. p. 38. N. 53).

وأن المعز يطلق جميع من أسره من (١٠١) أصحاب الملك الناصر . وحلف كل منهما على ذلك ، وكتب به العهد . وعاد الملك المعز وعسكره إلى قلعة الجبل في يوم الثلاثاء سابع صفر ، ونزل البادرائي بالقاهرة . وأطلق الملك المعز الملك المعظم نورانشاه بن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب ، وأخاه نصرة الدين ، وسائر أولاد الملوك والأمراء ، وأحضرهم دار الوزارة ليشهدوا حلفه للناصر . ثم قدم [الملك المعز إليك] للناصر تقدمه سنية ؛ وأعطى نظام الدين بن المولى ، ورفيقه عز الدين أزدمر ، عشرة آلاف دينار .

وفيها قويت البحرية - وكبيرهم فارس الدين أقطاي - على المعز ، وكثر تمتعهم واستطاعتهم وتوهمهم على الملك المعز ، وهموا بقتله . وفيها تسلم المصريون قلعة الشوبك ، فلم يبق مع الملك المغيث سوى الكرك والبلقاء وبعض اللقور . وفيها قطع المعز خبز الأمير حسام الدين ابن أبي علي ، فلزم داره ، ثم خرج إلى بلاد الشام بإذن الملك المعز له ، فأكرمه الملك الناصر وأقامه في خدمته بمائة فارس .

وفيها ثارت العربان ببلاد الصعيد وأرض بحري ، وقطعوا الطريق برا وبحرا ، فامتنع التجار وغيرهم من السفر . وقام الشريف حصن الدين ثعلب بن الأمير الكبير نجم الدين علي ابن الأمير الشريف نغر الدين إسماعيل بن حصن الدولة مجيد العرب ثعلب بن يعقوب بن مسلم بن أبي جليل الجعدي ، وقال : "نحن أصحاب البلاد" ، ومنع الأجناد من تناول الخراج ، وصرح هو وأصحابه : "بأننا أحق بالملك من الممالك ، وقد كفى أنا خدما بني أيوب ، وهم خوارج خرجوا على البلاد" . وأنفوا من خدمة الترك ، وقالوا إنما هم عبيد للخوارج ؛ وكتبوا إلى الملك الناصر صاحب دمشق يستحثونه على القدوم إلى مصر .

(١) مضبوط هكذا في س .

(٢) في هامش الصفحة في س تكة لهذا النسب ، نصها : "أبرجيل دحية بن جعفر بن موسى بن إبراهيم بن إسماعيل بن جعفر بن محمد بن علي بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب" ، وفي هامش غلاصق بقالة فقط دحية ، ضبط لهذا الاسم أيضا ، نصه : "بشم الدال المهمة ، وضع الحاء المهمة ، وتشديد الياء آخر الحروف" .

(٣) في س "منوا" . (٤) في س "منشوه" .

- واجتمع العرب - وهم يومئذ في كثرة من المال والخيول والرجال، الى الأمير حصن الدين ثعلب، وهو بناحية تهر ووط^(١) صربان، وأتوه من أقصى الصعيد، وأطراف بلاد البحيرة والفيضة والقيوم، وحلقوا له كلهم. فبلغ عدة الفرسان اثني عشر ألف فارس، وتجاوزت عدة الرجال الإحصاء لكثرتهم. فجهز إليهم الملك المعز أيبك الأمير فارس الدين أقطاي الجندار، والأمير فارس الدين أقطاي المستعرب، في خمسة آلاف فارس. فساروا الى ناحية ذرو^(٢)، وبرز إليهم الأمير حصن الدين ثعلب، فاقتل الفريقان من بكرة النهار الى الظهر. فقدر الله أن الأمير حصن الدين تقطر^(٣) عن فرسه، فأحاط به أصحابه، وأتت الأتراك إليه، فقتل حوله من العرب والعبيد أربعمائة رجل، حتى أركبوه. فوجد العرب قد تفرقوا عنه، فولى منهزما. وركب الترك أدبارهم، يقتلون ويأسرون حتى حال بينهم الليل، فحَوَّوا^(٤) (١٠١-ب) من الأسلاب والنسوان والأولاد والخيول والجمال والمواشي، ما عجزوا عن ضبطه، وعادوا الى المخيم ببليس. ثم عدوا الى عرب الغربية والمنوفية من [قيليق]^(٥) سنيس ولوانة، وقد تجمعوا بناحية سحفا وسنهور، فأوقعوا بهم وسبوا حريمهم وقتلوا الرجال، وتبدد شمل عرب مصر ونهدت بحريتهم من حيثئذ.

(١) بغير ضبط في س. - وقضى تلك الناحية دروت صربام، ودروط صربان، وذووة صربام، ودروط الشريف، ودروط الشريف، والنسبة الأخيرة عائدة على صاحب تلك الناحية، وهو الشريف بن ثعلب. وكان موقع تلك الناحية بين النيل وقرية المنى، التي هي الآن بحر يوسف. وقد حوّلت تلك القرية الى جنوبي دروط صربان، فصارت القرية في غربها. هذا ودروط هي دروط الحالية، إحدى مراكز مديرية أسيوط. (مبارك: الخطط التوقيفية، ج ١١، ص ٣ - ٦٦ ابن شاهين: زبدة كشف الممالك، ص ١١٨). انظر أيضا القسم الأول من هذا الجزء، ص ١٣٠، حاشية ٤.

(٢) بغير ضبط في س، وفي مبارك (الخطط التوقيفية، ج ١١، ص ٧٣) قرينان بهذا الاسم، إحداها بمديرية المنوفية، والثانية في المراشحة، من قسم نومة النبط. والراجح أن الثانية هي المقصودة هنا، بدليل أن مسكر جيش الملك المنركان في بليس. (انظر ما على، سطر ١١).

(٣) في س "تقطر".

(٤) بغير ضبط في س، وكان مقر تلك القليلة مدينة سحفا بالغربية، حسبما جاء في النقش الذي (صحب الأعمش، ج ٤، ص ٧١). انظر أيضا مبارك (الخطط التوقيفية، ج ١١، ص ٤).

(٥) بغير ضبط في س، وكانت لوانة بالمنوفية. (انظر المرجعين السابقين).

ولحق الشريف حصن الدين من بقى من أصحابه، وبعث يطلب من الملك المعز الأمان، فأمنه ووعده بإقطاعات له ولأصحابه، ليصيروا من جملة المسكر وعونا له على أعدائه . فانخدر [الشريف حصن الدين]، وظن أنه الترك لا تستغنى عنه في محاربة الملك الناصر، وقدم في أصحابه وهو مطمئن إلى بليس . فلما قرب من الدهليز نزل عن فرسه ليحضر مجلس السلطان، فقبض عليه وعلى سائر من حضر معه، وكانت عدتهم نحو ألفي فارس وستائة راجل . وأمر [الملك المعز] فنُصبت الأخشاب من بليس إلى القاهرة وشُقَّ الجميع، وبعث بالشريف حصن الدين إلى نهر الإسكندرية، فحبس بها وسلم أبو العجا الأمير شمس الدين محمد بن باخل . وأمر المعز بزيادة القطيعة على العرب، وبزيادة القود المأخوذ منهم، ومعاملتهم بالعسف والتعهر . فذُلُّوا وقلُّوا، حتى صار أمرهم على ما هو عليه الحال في وقتنا .

وفيها صاهر الأمير فارس الدين أقطاي الملك المظفر صاحب حماة، وسير إليه نهر الدين محمد بن الصاحب بهاء الدين على بن حنا - قبل أن يتقلد أبوه الوزارة، وإنما كان قد ترشح لها - لإحضار ابنة المظفر من حماة؛ فحملها إلى دمشق في قهبل عظيم . فطلب أقطاي من الملك المعز أن يسكن قلعة الجبل بالبروس، فشق ذلك عليه وأخذ يحيل في قتله . وكان قد قتل عليه، وصار ليس له مع البحرية أمر ولا نهى ولا حل ولا عقد، ولا يسمع أحد منهم له قولاً : فإن رسم لأحد بشيء لا يمكن من إعطائه، وإن أمر لأحد منهم بشيء أخذ أضماضاً مارسم له به . واجتمع الكل على باب الأمير فارس الدين أقطاي، و[قد] استولى على الأمور كلها . وبقيت الكتب إنما ترد من الملك الناصر وغيره إليه، ولا يقدر أحد يفتح كتاباً، ولا يتكلم بشيء ولا يبرم أمراً، إلا بحضور أقطاي لكثرة خُشْيَاشِيَّتِهِ^(١) .

(١) القطيعة ما يفرضه السلطان على ولاية أو ناحية من المال سنوياً، أو ما يقرره في أحوال غير عادية كالفرامة الحربية (Quatremère : Op. cit. I. I. p. 14. N. 85.) .

(٢) مورد ما يعت به قبائل العرب إلى السلاطين من الهدايا، من نحو الخيل والإبل والحيوانات العزيزة . (Ibid : Op. cit I. I. p. 42. N. 59.) .

(٣) جمع "خشدائش"، وهو صوب القسطنطيني خواجهاناش، أي الزبيل في الخدمة . (Steingass : Pers. Eng. Dict.) . والخشدائش - أو الخوشداشية أو الخنداشية أو الخورجداشية =

وفي هذه السنة حج من البر والبحر عالم كبير، فإنها كانت وقفة الجمعة. وفيها أخذ الشريف جواز بن حسن مكة، وأقام بها إلى آخر ذي الحجة .

- ومات في هذه السنة من الأعيان الشريف أبو سعد الحسن بن علي بن قتادة بن إدريس الحسين أمير مكة، واستقر بعده في الإمامة ابنه أبو نجي، وأخوه إدريس بن علي .
- ومات الملك الصالح أحمد بن الظاهر غازي بن الناصر يوسف بن أيوب بن شادي بن مروان، صاحب عيتاب ، عن إحدى وخمسين سنة . وتوفي كمال الدين أبو محمد عبد الواحد بن عبد الكريم بن خلف بن نيهال الأنصاري الزمّلكاني^(١١) الدمشقي الشافعي، بدمشق . وتوفي جمال الدين أبو القاسم عبد الرحمن بن مكي بن عبد الرحمن الإسكندري ، سبط الحافظ أبي الظاهر السلفي ، وقد انتهى إليه علو الإستاذ .



- سنة اثنتين وخمسين وستمائة . فيها استفعل أمر الفارس أقطاي الجمدار وانحازت إليه البحرية، بحيث كانت أقطاي إذا ركب من داره إلى القلعة شغل بين يديه جماعة بأمره ،

= في اصطلاح عصر المماليك بمصر ، الأمراء الذين نشأوا بمالك عند سيد واحد ، فثبت بينهم رابطة الزمالة القديمة ، ويقال لها في الفرنسية (camarades) . ويوضح هذا المعنى تماماً العبارة الآتية ، وهي من الأمثلة الواردة في (Quatremère : Op. cit. I. 1. p. 43, N. 61) ، ونصها : "كان يعد نفسه غريباً في بيت السلطان ، لكونه لم يكن له نجلدش" . ولهذا الرابطة أثر ظاهر في حوادث تاريخ المماليك بمصر، ومثلها في الأهمية التاريخية علاقة الأستاذ — أو السيد — بمالكه الذين شراهم نفسه . (انظر ص ٩٣ سطر ١٠) . ولعل ذلك راجع إلى قوة الروابط الأخرى بين الأمراء ، إذ كانوا يجلبون من مختلف أسواق النخاسة ، وليس بينهم من الروابط سوى ما جاء عليهم بمصر .

(١) بنير ضبط في ص ، والنسبة إلى زمّلكان ، وهي قرية بقرية دمشق ، يقال لها زمّلكا أيضا . (ياقوت : معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ٩٤٤ — ٩٥٥) . هذا وفي (Quatremère : Op. cit. I. 1. p. 43, N. 63) أن كمال الدين هذا كان ميرزا في علم الحان والبيان ، وأنه تولى التدريس في بلييك والقضاء في صرخد ، وأنه كان شاعرا مجيذا .

(٢) في ص "معمل" ، أو ما يقرب من ذلك . وقد ترجم (Quatremère : Op. cit. I. 1. p. 47) "Toutes les fois que cet officier montait à cheval pour se rendre de sa maison au château, il avait devant lui une troupe de Mamlouks tout prêts à exécuter ses ordres...."

ولا يُنكر [هو] ذلك [منهم] . وكانت أصحابه تأخذ أموال الناس ونساءهم وأولادهم بأيديهم، فلا يقدر أحد على منهم . وكانوا يدخلون الحمامات ويأخذون النساء منها غصبا ، وكثر ضررهم .

[هذا] والمعز يحصل الأموال ، وقد ثقل عليه أقطاي ، فواعد طائفة من مماليكه على قتله : ويث [المعز] إليه وقت القائلة من يوم الأربعاء ثالث شعبان ، ليحضر إليه بقلة الجبل في مشور (١٠٢) يأخذ رأيهم فيه . فركب [أقطاي] على غير أهبة ولا اكتراث ، فعند ما دخل من باب القلعة ، وصار إلى قاعة العواميد ، أغلق باب القلعة ، ومنع مماليكه من العبور معه . فخرج عليه جماعة بالدھليز قد أعدوا لقتله : وهم قُطُر وبَهَادُر وسَجَرُ القَتَمِي ، فهَبَرُوهُ بالسيوف حتى مات . فوقع الصرخ في القلعة والقاهرة بقتله ، فركب في الحال من أصحابه نحو السبعمائة فارس ووقفوا تحت القلعة ، وفي ظنهم أنه لم يقتل وإنما قبض عليه ، وأنهم يأخذونه من المعز . وكان أعيانهم يبرسون البندقاري ، وقلادون الألفي ، وسقرو الأشقر ، ويَسْرِي ، ويسكر ، وبرايق . فلم يشعروا إلا ورأس أقطاي قد رمى بها المعز إليهم ، فسقط في أيديهم وتفرقوا بأجمعهم . وخرجوا في الليل من القاهرة ، وحرقوا باب القراطين فعرف

(١) كان بالقلعة عدة قاعات ، وكلها مخصصة لحاجات السلطان المنزلية ، حسب جاء في ابن شاهين (زبدة كشف الممالك ، ص ٢٦ — ٢٧) ، "ومنها القاعة اليسرى ... ، ومنها القاعة الكبرى وتعرف بالعواميد برسم غوند الكبرى ، ومنها قاعة رمضان [و] بها غوند الثانية ، ومنها قاعة الحظيرة [و] بها غوند الثالثة ، ومنها القاعة المعلقة وبها غوند الرابعة ، ومنها قاعة البربرية برسم السراي ، و [كانت بها] غير ذلك من القاعات (كذا) والحال والأماكن المتسعة مما يطول شرحها " .

(٢) ضبطت هذه الأسماء على منظومها في (Quatremère : Op. cit. I. 1. p. 48) . هذا وليس في نسخة المأثور أن يداب على ضبط جميع أسماء الأمراء المليك لكثرتها ، وهو يحيل القارىء في ضبطها الى (Mayer: Saracenic Heraldry) وإلى (Zetterstœn : Beitrage zur Geschichte Mamlükensultane) .

(٣) في ص "فهموه" ، والمعنى أنهم قطعوه بالسيوف . (يحيط المحيط) .

(٤) في ص "باخذره" .

(٥) ضبطت هذه الأعلام على منظومها في (Quatremère : Op. cit. I. 1. p. 48) ، وكل قطعها مع

أيضا .

بعد ذلك بالباب المحروق إلى اليوم^(١). فمنهم من قصد الملك المغيث بالكرك، ومنهم من سار إلى الملك الناصر بدمشق، ومنهم من أقام ببلاد النور والبقاء والكرك والشوبك والقدس، يقطع الطريق ويأكل بقاء سيفه.

- واتفق أن اتخى عشر من البحرية مروا في تيه بنى إسرائيل، فأقاموا به خمسة أيام حائرين، فلاح لهم في اليوم السادس سواد على بعد فقصدوه: فإذا مدينة عظيمة، ذات أسوار وأبواب حصينة، كلها من رخام أخضر. فطافوا بداخل المدينة، وقد غلب عليها الرمل في أسواقها ودورها، وصارت أوانهم وملابسهم إذا أخذت تتفتت وتبقى هباء. فوجدوا في صوانى بعض البنازين تسعة دنانير، قد نقش عليها صورة غزال حوله كتابة عبرانية. وحفروا مكانا، فإذا بلاطة، فلما رفعوها وجدوا صهرجيا فيه ماء أبدا من الطنج، فشربوا وساروا ليلتهم. فإذا بفرق عرب لخملاهم إلى الكرج، فمضوا تلك الدنانير على الصيارف، فقال بعضهم هذه ضربت في أيام موسى عليه السلام. وسألوا عن المدينة، فقيل هذه المدينة الخضراء، بنيت لما كان بنو إسرائيل في التيه، ولها طوفان من رمل يزيد تارة وينقص أخرى، ولا يقع عليها إلا ثأته. وصرفوا كل دينار بمائة درهم^(٢).

- وسار منهم قشتمر المعجمي^(٣)، وشارباش المعجمي، وسنجر الحاروك، والركن الفارقاني وسنقر الجبيل، وسنقر الحبيشي الكبير، والحبيشي الصغير الحاجب، والصقيل، والفتني، وبلبان النجمي، وبكش المسعودي، وأبوعبية، والنجيمي، ونفر الدين ماما، وأيدمر الجمدار الزومي، وسنقر الزكي، والحسام قريب سكر، وإيدغدنى الفارسي، وبلبان الزهيري، وسنجر^(٤).

(١) ليس في المقرئى (المراخط والاعتبار، ج ١، ص ٣٨٣) ما يزيد هذه المطومات، كان بين موضع باب القراطين أو بوجه أصل تسميته. وهذا الباب المحروق، وهو باب القراطين قبلا كما بالتن، هو باب القاهرة الشرقى. (Lane-Poole: Cairo, p. 189).

(٢) يرى (Quatremère: Op. cit. I.1. p. 49. N. 71)، أن المدينة التي عثر عليها هؤلاء المالك هي البصرة.

(٣) الضمير هنا مأمور على الأمراء الذين خرجوا من القاهرة بعد مقتل أقطاي.

(٤) مضبوط هكذا في س. (٥) مضبوط هكذا في س.

البدرى، وإزدمر السيفى، وإزدمر البواشقى مملوك الرشيدى الكبير، والعتابى، والمستمرى، وسنقر البديوى^(١)، وأبيك الشقارى، وإيدى قنق، وسيف الدين الأشل، والحولافى، وسنجر الشكارى، والمطروشى، وأبيك الفارسى، وأياس المقرى، فى جماعة كبيرة من المالك الصغار الجمدارية الصالحية . وكان الحاكم المقدم على هؤلاء الأمير علم الدين سنجر الباشقردى -- وهو أعقلهم وأعرفهم --، والأمير شمس الدين سنقر الجلى -- وهو أفرسهم وأشهرهم بالشرطة^(٢) . فضى هؤلاء إلى السلطان علاء الدين ملك [السلاجقة] الروم .

فلما أصبح الملك المعز أليك، وعلم بخروج الجماعة من القاهرة، قبض على من بقى منهم، وقتل بعضهم وحبس باقيهم، وأوقع الحوطة على أملاكهم وأموالهم ونسائهم وأتباعهم، واستصنى أموالهم وذخائرهم وشؤونهم . وظفر للفارس أنطلى بأموال عظيمة . ونودى فى القاهرة (١٠٢ ب) ومصر بتهديد من أخفى أحدا من البحرية، وتمكن عند ذلك الملك المعز، وارتفع الإسكندرية إلى الخاص السلطانى، وخفف بمضى ما أحدث من المصادرات والجبايات .

فلما وصل البحرية إلى غزة: وفهم ركن الدين بيبرس البندقدارى، وسيف الدين بلبان الرشيدى، وعز الدين أزدمر السيفى، وشمس الدين سنقر الأشقر، وسيف الدين سكر، وسيف الدين قلاون، وبدر الدين ييمرى -- كتبوا إلى الملك الناصر بأنهم قد وصلوا إلى خدمته، فأذن لهم . وعروا على بلاد الفرنج بالساحل، فقتلوا ونهبوا حتى قابوا دمشق .

(١) مضبوط هكذا فى س .

(٢) قولت هذه الأسماء على مطوفا فى (Quatremère : Op. cit. I. 1. p. 50) ، وكل قطعها به .

(٣) الشطارة هنا المهارة والقدره؛ ويجب فقط الشاطر أيضا، فى العربية والقارسة؛ بمعنى الحص قاطع الطريق، وبمعنى ماعى المراسلات . (Ibid : Op. cit. I. 1. p. 50. N. 72) . انظر أيضا محيط المحيط .

(٤) فى "سكر" . انظر ص ٣٩٠، سطر ١٢ .

(٥) حراء يبره، أى ألم به وأناه طالبا معروفا، وهو فضل شدد . (محيط المحيط) . غير أنه يتضح من بقية الجملة أن المقرئى يجوز فى استعمال هذا الفعل .

نخرج إلى لقائهم الملك الناصر، وخلع عليهم وأعطاهم . [هذا] وهم يثبثون على قصد مصر ، وهو يدافعهم .

- نخاف المعز فائتاهم ، وكتب إلى الناصر يومه منهم ، ويخوفه عاقبة شرهم . وطلب منه الناصر البلاد التي كان قد أخذها بالساحل لأجل البحرية ، وأنها في إقطاعاتهم . فأعادها المعز إلى الملك الناصر ، فأقر كل إقطاع منها بيد من كان له ، وكتب مناشيرها عنه للبحرية .
- وكتب المعز إلى سلطان الروم بأن : "البحرية قوم مناحيس أطراف^(١) ، لا يقفون عند الأيمان ، ولا يرجعون إلى كلام من هو أكبر منهم ، وإن استأمتهم خانوا ، وإن استحلقتهم كذبوا ، وإن وثقت بهم غدروا . فتحرز منهم على نفسك ، فإنهم غدايون مكارون خوانون ، ولا آمن أن يذكروا عليك" . فخاف سلطان الروم منهم ، وكانوا مائة وثلاثين فارسا ، فاستدعاهم وقال : "يا أمراء ! ما لكم ولاستاذكم ؟" فتقدم الأمير علم الدين سنجر الباشقردى ، وقال : "يا مولانا ! من هو أستاذنا ؟" قال : "الملك المعز صاحب مصر" . فقال الباشقردى : "يحفظ الله مولانا السلطان ! إن كان الملك المعز قال في كتابه إنه أستاذنا فقد أخطأ ، إنما هو خوشداشنا ونحن وليناه علينا ، وكان فينا من هو أكبر منه سنا وقدرنا وأفرس وأحق بالملكية . فقتل بعضنا وحبس بعضنا وغرق بعضنا ، فهربنا منه وقستنا في البلاد ، ونحن التجأنا إليك" . فأعجب سلطان الروم بهم ، واستخدمهم عنده .

وفيما وقع الصلح بين الملك الناصر وبين القرينج أصحاب عكا ، لمدة عشرين سنة وأربعين يوما أولا مستهل المحرم ، على أن يكون للقرينج من نهر الشريعة مغربا ، وحلف القرينج على ذلك .

(١) جمع طرف ، وهو هنا الرجل الذي لا يثبت على حصة أحد . (محيط المحيط) . وقد ترجم : (Qentremire) "Des hommes vils, ou des hommes d'une condition inferieure".

(٢) في س "لا ينفقوا" . (٣) في س "لا يرجعوا" .

(٤) كان ما دعى القرينج إلى الصلح تلك السنة ، اضطرابا لرويس التاسع ملك فرنسا ، الذي كان مقبلا بالتمام من رحله من ديباط ، إلى السفر إلى ملكه . (Stevenson : Crusaders In The East, p. 331) .

وفيها أقطع الملك المعز أليك الأمير علاء الدين إيد غدى العزرى دمياط، زيادة على إقطاعه، وارتقاعها يومئذ ثلاثون ألف دينار. وفيها خرج الملك المعز من قلعة الجبل بالساكر وخيم بالباردة قرب العباسة (١٠٣)، خوفًا من البحرية لتزولهم بالعوجاء.

وفيها سَفَر الملك المعز أليك الأشرف موسى بن الناصر يوسف بن الملك المسعود إلى بلاد الأشكرى متقيًا. وفيها دُرس الشيخ عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام بالمدرسة الصالحية بين القصرين. وفيها وصل الشريف عز الدين أبو الفتوح مرتضى بن أبي طالب أحمد بن محمد بن جعفر الحسيني إلى دمشق، ومعه الخويدة ملكة خاتون بنت السلطان علاء الدين كيخباد ملك [السلجقة] الروم، وزوجة الملك الناصر يوسف. فزفت إليه، وقد احتفل بقدموها، وبالغ في عمل الوليمة لها.

وفيها ظهرت نار بعدن رُوِعت القلوب. وفيها ولى المنصور [قضاء] حماة شمس الدين إبراهيم بن هبة الله البارزى، بعد المحي حمزة بن محمد. وفيها مات ملك التتر طرطق خان بن دوشى خان بن جنكخان، فكانت مدته سنة وشهورًا.

(١) بغير ضبط في س، ويوجد قبالة الطر بها مش الصفة البارة التفسيرية الآتية: "الباردة يقال لها السدية"، وعلى هذا تكون بلدة الباردة هي التي سميت فيها بعد باسم الخشي. (انظر ص ٣٧٤، حاشية ٢).
(٢) بدأ الملك الصالح نجم الدين أيوب بناء تلك المدرسة، على قطعة من موضع القصر القاطى المعروف بالكثير شرقى، سنة ٦٤٠ هـ (١٢٤٢ م)، وهي أول مدرسة بمصر رتب بها دروس لقذاف الأربعة. (المقرئى: المواعظ والاختيار، ج ٢، ص ٣٧٤).
(٣) في س "كيخباد".

(٤) بغير ضبط في س، واسمه في المراجع الأوربية الحديثة (Sartak)، وهو ابن باطوخان بن جوشى خان (دوشى هنا في القرن) بن جنكخان. (Lane-Poole: Muh. Dyns. p. 230). لكن تخيب طرطق هذا بمك التتر، من غير تعيين الفرع التترى الذى حكمه فلا، خطأ مثل يتطلب توضيحه الرجوع إلى معرفة تقسيم الإمبراطورية التترية بين أولاد مؤسسها جنكخان. ذلك أنه لما قسم جنكخان إمبراطوريته وأملاكه بين أولاده الأربعة، (انظر ص ٢٢٨، حاشية ٢)، كان نصيب جوشى وهو أكبر أبنائه، البلاد الواقعة بين نهر إرثس والسواحل الجنوبية لبحر قزوين. وكان اسم تلك البلاد عامة القيثاق، ويطلق عليها اسم القبيلة الذهبية (Golden Horde)، نسبة إلى خيم مسكناتها ذوات العود الذهبي (Sir Orda, i. e. Golden Camp) وكان غالب أهلها ترك وتركمان. =

فقام من بعده بركة خان بن جوشي خان بن جنكز خان، وأسلم وأظهر شعار الإسلام في مملكته، واتخذ المدارس وأكرم الفقهاء. وأسلمت زوجته ^(٢٣) جيجك، واتخذت لها مسجدا من الخيم، وذلك على يد الشيخ نجم الدين ^(٢٤) كبرا.

و[فيها] توفي مجد الدين أبو البركات عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد بن

== مات جوشي قبل وفاة أبيه جنكز خان بسنة شهر، سنة ٦٢٤ هـ (١٢٢٧ م)، وأقسمت بلاده أنصبه بين أولاده الأربعة عشر. وكان أكبر أولئك الأبناء. أوردا (Orda)، وهو الذي خلف أباه على سائر المملكة في أول الأمر، وثانيهم بالو (Bāta) الذي فضله قبائل القسم الغربي من المملكة وأعلنه ملكا عليها، واعترف بذلك جنكز خان نفسه قبل عامه. لهذا انكش سلطان أوردا إلى القسم الشرق فقط، وعرف باسم القبشاق الشرق أو القبيلة البيضاء. (Āk Orda, i.e. White Horde)، كما عرفت بلاد بالو باسم القبشاق الغربي أو القبيلة الزرقاء. (Kok Orda, i.e. Blue Horde).

وكان مركز مملكة بالو—وهو الشخصية التي تم هذه الحاشية—الجهات الواقعة على الشاطئ الأيسر لنهر الفولغا، وقد اتخذها عاصمة سماها (Barāi). وهو الذي غزا أوربا: فنزل في روسيا وبولندا والمجر وولشيا (٦٣٥ — ٦٤٠ هـ ١٢٣٧ — ١٢٤٠ م)، وطلعت شهرته حتى اعتبره سائر قبائل التتر جميع بلاد القبشاق أحق أبناء جوشي خان بالملك، برغم وجود أوردا على قيد الحياة. وصار بالو بعد ذلك يلقب بخان القبيلة الذهبية، وهو لقب شامل لجميع بلاد القبشاق شرقيا وغربيا، فأصبح يعدل في السلطان والنظرة الخان الأعظم من كوخان، الذي خلف كيوك سنة ٦٤٧ هـ (١٢٤٠ م).

مات باطوخان سنة ٦٥٤ هـ (١٢٥٦ م)، وتولى بعده مباشر قوله طرطق المذكور هنا، ولكنه توفي في نفس السنة المذكورة، وظلت سلالة بالو من بعده حافظة لقب خان القبيلة الذهبية، حتى سنة ٧٨٠ هـ (١٣٧٨ م). راجع (Howorth: Op. cit. II. 1. pp. 36-132; Lane-Poole: Muh. Dyns. pp. 222-231; Enc. Isl. Art. Bāta Khān).

(١) في س "بركة خان بن باطوخان بن جوشي خان بن جنكز خان"، وهذا انطباع متواتر في مؤلفات كثير من المؤرخين، والصواب أن بركة خان ثالث أبناء جوشي خان (Enc. Isl. Art. Bereke).

(٢) تختلف الروايات في إسلام بركة، وأرجحها ما يقول إنه اعتنق الإسلام وتسلم القرآن في حياته، حين كان بيده خوند (Khotjand)، على يد أحد فقهاءها، وذلك قبيل أن يصير ملكا على القبيلة الذهبية. ويظهر أن بركة كان مهتما بنشر الإسلام في بلاده، بدليل أنه أمر بأن يكون في حاشية كل واحدة من زوجاته، وكل أمير من أمرائه أيضا، إمام ومؤذن لإقامة شعار الدين. على أنه لم يكن متصبا بتصبا أعمى، فشهد بذلك إن عاصمه حراى كانت، منذ سنة ٦٦٠ (١٢٦١ م)، كرسيا لأسقفية مسيحية. (Enc. Isl. Art. Bereke).

(٣) ضبط كل من هذين المقتطفين على متعلوقه في (Quatremère: Op. cit. I. 1. pp. 56, 57).

تَيْمِيَّةُ الْحُرَانِي الْحَنْبَلِي، عَنْ اثْنَيْنِ وَسْتَيْنَ سَنَةً . وَتَوَفَّى كَيْلَ الدِّينِ أَبُو سَالِمٍ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ هِبَلَةَ
ابن طلعة النصيبيني الشافعي خطيب دمشق بحلب، وقد قدم القاهرة .

وفيهما أخذ مكة الشريف راجح [بن قتادة^(٢١)] من الشريف جواز بن حسن، بغير قتال، ثم
أخذها ابنه غانم بن راجح في ربيع الأول بغير قتال، فقام عليه الشريف أبو نجي [بن أبي سعيد
ابن علي بن قتادة] في شوال ومعه الشريف إدريس^(٢٢)، وحارباه وملكا مكة . فقدم في خامس
عشر ذي القعدة مبارز الدين الحسين بن علي بن بطاس من اليمن، وقاتلها وظلها، وحج
بالناس .

♦ ♦ ♦

سنة ثلاث وخمسين وستمائة . فيها سار الأمير عز الدين أيك الأفرم الصالحى إلى بلاد
الصعيد، وأظهر الخروج عن طاعة الملك المعز، وجمع العربان . فسير إليه الملك المعز الوزير
الصاحب الأسعد شرف الدين الفاضل، ومعه طائفة من المسكر، حتى سكنى الأمور . وأخرج
الملك الناصر عسكريا إلى جهة ديار مصر، ومعهم البحرية : وهم الأمير سيف الدين بلبان
الرشيدى، وعز الدين أزدمر، وشمس الدين سنقر الرومى، وشمس الدين سنقر الأشقر،
وبدر الدين بيسرى، وسيف الدين قلاؤن، وسيف الدين بلبان المسعودى، وركن الدين
يبرس البندقدارى، وعدة من ممالك الفارس أقطاى .

(١) بغير ضبط فى س ، وهو جة تقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ... بن تيمية ، الفقيه
الحنبلى الشهير ، صاحب الآراء الجريئة فى أصول الدين . (Enc. Isl. Art. Ibn Taimiya) .
(٢) انظر الحاشية التالية .

(٣) العبارة التالية ، الى آخر الوارد هنا تحت هذه السنة ، موجودة فى ب (١٢٣ ب) فقط ، وليس منها فى س
سوى بقايا كتابة خافية تماما ، لورودها بطرف هامش الصفحة ، حيث اضراها ما يحاها تقريبا . هذا وقد فورت
العبارة كلها على ما يقابلها فى انزرجى (المقود القزوة ، ج ١ ، ص ١١٥) ، وأضيف ما بين الأقواس بناءً
هذه الفترة، وضبطت بعض الأسماء أيضا ، بعد مراجعة الترجمة الإنجليزية لنفس المراجع . انظر (Ibid : Op. Cit. 533-537) .

(٤) فى ب "البارز بن علي بن بطاس" . انظر ص ٣٠٢ ، وكذلك الترجمة الإنجليزية لكتاب المقود
القزوة لـ انزرجى . (Ibid : Op. Cit. L p. 146) .

وفيهما قَتَلَ الملكُ المعزُ الأميرَ علاء الدينَ لِيدغدغى العزِيزى ، بعد ما قبض عليه ؛ و [كان قد قبض أيضاً] على الفارس أقطاي العزِيزى ، والفارس أقطاي الأتابك ؛ وهرب [منه] أقش الزكى . وأمر الملك المعزُ ألا يخرج امرأةً من بيتها ، ولا يمضى رجل بلا سراويل . فقال أبو الحسين الجزارفى ذلك :

- حَنَّ الملكُ المعزُ على الرعايا * والزهم قوانينُ المُرُوءة
وصان حريمهم من كل عار * وألهم سرَاويلَ القنُوءة

- وفيهما توجه الناصر داود بن المعظم عيسى إلى بغداد ، يطلب ما أودعه عند الخليفة من الجوهر ، وقيمته مائة ألف دينار . فبُطِلَ مدة ، فتوجه إلى الحجاز ، واستشفع إلى الخليفة فرُدَّ وداعته ، وعاد إلى العراق . فموض عن جوهره بما لا يذكر ، وُرِدَّ إلى الشام . وفيها قدم مكة أبو نُجَيْمٍ وإدريس ، ومعهما جاز بن شبة أمير المدينة ، فقاتلوا المبارز بن رطاس ، وأخذوا مكة .
ومات في هذه السنة من الأعيان الأمير شرف الدين يوسف بن أبي القوارس بن موسى القيمرى بنابلس ، ودفن بدمشق . وتوفى قتيب الأشراف بحلب ، [وهو] الشريف عز الدين أبو الفتوح مرتضى بن أبي طالب أحمد بن أحمد بن أبي الحسن محمد بن جعفر بن زيد بن جعفر بن أبي إبراهيم محمد بن ممدوح أبي العلا ، عن أربع وسبعين سنة بحلب . وتوفى نظام الدين أبو عبد الله محمد بن محمد بن عثمان البلخي الحنفي البغدادي ، بحلب عن تسع وسبعين سنة . وتوفى ضياء الدين أبو محمد جعفر بن يحيى بن سالم بن يحيى بن عيسى بن صقر المحلى الشافعى ، عن نيف وتسعين سنة بحلب ، قَدِمَ مصر وحدث بها .

+ + +

سنة أربع وخمسين وستائة . فيها ورد الشيخ نجم الدين عبد الله بن محمد بن الحسن البادرانى ، من قبل الخليفة المستعصم بالله ، ليجدد الصلح الأول بين الملك الناصر والملك المعز .

(١) في س "سج" .

(٢) هنا تهيأ أخبار هذه السنة في س ، على أن الروايات التالية واردة في ب (١١٢٤) ، وقد وردت في س خطأ على ورقة منفصلة بين الصفحتين ٩٤ ب ، ٩٥ (انظر ص ٣٦٣ حاشية ٢) . ولا شك في صحة وضعها هنا ، ففى (Quatremère : Op. cit. I. 1, p. 60. Ns. 85-88) دلائل مادية كافية لإبرهان على ذلك .

فبعث السلطان إلى القائد برهان الدين خضر السنجاري ، فسار إلى قَطْلِيَا^(١) ، ومعه جماعة من أعيان الفقهاء ، حتى قدم به . فقررّ الصلح على أن يكون للملك المعز ما كان للملك الصالح نجم الدين أيوب من الساحل ببلاد الشام ، مع مُلك مصر ، وأن الملك الناصر لا يأوى عنده أحدا من البحرية ، فمضوا إلى الملك المقيث بالكرك . وتولى الصلح قاضي القضاة بدر الدين السنجاري ، فلما تم الصلح عاد البادراني ، ورحل الملك الناصر عن تل العجول إلى دمشق ، وعاد المعز من العباسة — بعد إقامته عليها ثلاث سنين — إلى قلعة الجبل .

وسار الأمير شمس الدين سنقر الأقرع رسولا إلى الخليفة ببغداد ، بحجة الشيخ نجم الدين البادراني ، يلتمس تشريفه بالتقليد والخلع والألوية للملك المعز ، أسوة من تقدمه من ملوك مصر ، فسار إلى بغداد . وبعث [الملك المعز] إلى الملك المنصور بن المظفر صاحب حماة ، وإلى الملك الرحيم بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل ، يخطب ابنتيهما لنفسه . فشق ذلك على زوجته شجر الدر وتغيرت عليه ، فتكرهها وفسد ما بينهما ، فأخذت تدبر في قتله .

وفي خامس جمادى الآخرة ظهرت نار بأرض الجحاز ، واستمرت شهرا في شرق المدينة النبوية ، بناحية وادى شَقَطًا تلقاء جبل أُحُد^(٢) ، حتى امتلأت تلك الأودية (١٠٣ ب) منها . وصار يخرج منها شرر يأكل الحجارة ، وزلزلت المدينة بسببها . وسمع الناس أصواتا مزعجة قبل ظهورها بخمسة أيام ، أولها يوم الاثنين أول الشهر ، فلم تزل الأصوات ليلا ونهارا ، حتى ظهرت [النار] يوم الجمعة . وقد انجبت الأرض عن نار عظيمة عند وادى شَقَطَا ، وامتدت أربعة فراسخ في عرض أربعة أميال وعمق قامة ونصف ، وسال الصخر منها ، ثم صار لها

(١) في س "قطيا" .

(٢) كما في س ، ويمكن قراءة هذا القطع أيضا "اختيما" ، على أن الوارد بالمتن هنا هو الزابح ، ويؤيده أبو الفداء (المختصر في أخبار البشر ، ١٣٥ ، في Rec. Hist. Or. I.) ، وكذلك ما يلي ، ص ٤٠٣ ، سطر ٣ .

(٣) بنير ضبط في س ، وهو جبل بمكة . (ياقوت : معجم البلدان ، ج ٣ ، ص ٢٩٢) .

(٤) بنير ضبط في س ، وهو جبل بشمال المدينة بينه وبينها قرابة ميل ، وعنده كانت القراصة الإسلامية المشهورة .

(ياقوت : معجم البلدان ، ج ١ ، ص ١٤٤) .

أسود . وأضاعت بيوت المدينة منها في الليل ، حتى كأن في كل بيت مصباحاً^(١) ورأى الناس سناها بمكة . فالتجأ أهل المدينة إلى قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ودَعَوْا واستغفروا الله تعالى ، واعتقوا عييدهم وتصدقوا ، وقال بعضهم :

- يا كاشف الضر صمغنا عن جرائمنا • لقد أحاطت بنا يارب بأساء
نشكو إليك خطوباً لا نطيق لها • حملاً ونحماً لها حقاً أحقاء
زلزلاً تشع الصم الصلاب لها • وكيف يقوى على الزلزال شماء
بحراً من النار تجرى فوقه سفن • من المضارب لها في الأرض إرساء
ترى لها شرراً كالقصر طائشة • كأنها دَيْمَةٌ تنصب هطلاء
تُحْدِثُ النسيبَاتِ السَّحَابِ السُّنْبَا • بما تلاقى بها تحت الثرى الماء
منها تكاثف في الجوّ الدخان إلى • أن عادت الشمس منه وهى دهماء
فيالها آية من معجزات رسول الله • يعقلها القوم الألباء
فاسمع وهب وتفضل واغْضُوعُفْ وَجُدْ • واصفح فكل لفسطاط الحلم خُطَاء

- وذكر غير واحد من الأعراب الذين كانوا بمحاضرة بلد بصرى من أرض الشام ، أنهم سم رأوا صفحات أعناق إباهيم في ضوء هذه النار . وفي ليلة الجمعة مستهل شهر رمضان ، احترق مسجد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من مَسْرَجَةِ الْقَيْمِ ، وذهبت سائر سقوفه وبعض عمده ، واحترق سقف الحجر الشريفة .

وفيهما غرقت بغداد وهلك بها عالم عظيم ، وسارت السفن في أزقتها . وفيها قوى أمر هولاكو بن طولوخان بن جنكخان ، وظهر اسمه ، وفتح عدة قلاع بالشرق . وفيها دخل مُقَدِّم

(١) في س "مصباح" .

(٢) في س "تلاقى" .

(٣) ينضح من هذه العبارة ، أن أهل الجواز رأوا في تلك الظاهرة البركانية علامة لانهاء الدنيا واقتراب الآخرة .

(٤) كان هولاكو تلك السنة يقوم بالنظر الأتزل من قسباته (انظر ص ٣٨٣ ، حاشية ٣) ، وهو استعجال الإسماعيلية

الفرس ، وأوشك أن ينتهي منهم في أواخر تلك السنة ، وذلك حينما سلم إليه شيخهم سلم ركن الدين خورشاه ، وروعت =

من التنازل إلى أرض الروم [السلجقة]، ففرمته السلطان غياث الدين كيخسرو ومات في فزاره،
فقام من بعده أولاده الثلاثة . وأخذ التناز قيسارية وما حولها ، فصار لهم من بلاد الروم
مسافة شهر. وفيها وصلت جواسيس هولاء إلى الوزير مؤيد الدين محمد بن العلقمي ببغداد،
وتحدثوا معه ووعدوا جماعة من أمراء بغداد بعودة مواعيد، والخليفة في طهه لا يعبا بشيء
من ذلك .^(٢)

وفيها ولي تاج الدين أبو محمد عبد الوهاب بن خلف بن أبي القاسم ابن بنت الأعز قضاء
القضاة ، عوضا عن بدر الدين يوسف السنجاري . وفيها سار إدريس إلى راجح ، وأخذ مكة

= أُلوت نفسها في أيدي التتر . على أيديهم بذلك من حصون الإسماعيلية اثنان ، استولى التتر على أحدهما وهو حصن
لامسار (Lamsar) في ذي الحجة سنة ٦٥٤ هـ ، واستمتع طيهم فانهم مدة سنين واسمه حصن جردى صكه
(Gird-i-Kuh) . راجع (Enc. Isl. Art. Hulagu & Browne, Op. Cit. II, P. 459) .

(١) في س "كيخسروا" . وقد أعطى المقرئ في إيراد ذلك الحادث تحت هذه السنة ، إذ المعروف أن
التتر غزوا بلاد الروم السلجقة قبل ذلك بعدة سنين — ٦٣٩ هـ ، ١٢٤١ م — بقيادة أحد مقدمهم المسمى
(Baidju Noyon) . وقد انهزم أمامهم السلطان غياث الدين كيخسرو المذكور هنا ، عند بلدة (Közüdagh)
في سنة ٦٤١ هـ (١٢٤٣ م) ، وفر إلى قونية . ثم وضع للتتر من بلاد السلجقة الروم مدينة سيواس ، واستنعت
قيسارية وتوقات من التسليح اليهم ، فدخلوها عنوة ونهبوها . ومات غياث الدين كيخسرو سنة ٦٤٣ هـ (١٢٤٥ م) ،
وخلفه في السلطة ابنه الأكبر عز الدين كيكاوس ، فأشركه في الحكم أخوه وكى الدين قلع أرسلان ، وعلاء الدين
كيقباد . هذا ويظهر أن منشأ خطأ المقرئ أن القائد (Baidju Noyon) غزا بلاد الروم السلجقة مرة أخرى ،
سنة ٦٥٤ هـ (١٢٥٦ م) ، في عهد السلطان عز الدين كيكاوس المتقدم ذكره ، فهزم السلطان المذكور عند أقصر ،
وأجاء إلى القسار مدة ، كما يأتى . انظر (D'Ohsson : Op. cit. III, pp. 73 et seq., esp. N. 1)
en p. 82 & Enc. Isl. Arts. Kaikhusru II. & Kaikā'ūs II).

(٢) ينهم من هذه العبارة ، أن هولاء أخذ في التهيؤ للسطر الثاني من تطلعاته ، وهو الاستيلاء على بغداد ،
ولما بقيت تماما من أمر السطر الأول منها ، وهو استيصال الإسماعيلية الفرس . وتوهمنا مسافة موقف ابن العلقمي
من مشروع التتر على بغداد ، وهل كان خائفا لخليفة المستعصم ، غير أن آراء المعاصرين أقنعهم مناضرة في هذه النقطة .
انظر (Browne : Op. cit. II, pp. 464-465) . ومن أمثال تلك الآراء ما جاء في ابن واصل (نفس المربع ،
ص ٣٨٦) ، ونصه : "وكان الوزير مؤيد الدين قد أطمع نفسه بأن الأمور تكون مفوضة في العراق إليه ، وكان
قد عزم على أن يحسن هولاء ملك التتر أن يقيم ببغداد خليفة من الشرقاء الفاطميين ، فلم يتم له ذلك وأطره التتر وبن
معهم على صورة بعض الفلانيان ، فأتى بهد قرب كذا ، وتقدم على ما فعل حيث لم ينفعه التدم" .

أبو نعيم، بجاء راجع مع إندريس وأصلح بينه وبين أبي نعيم . وفيها قدم مكة ركب الحاج من العراق، ولم يحج بعدها ركب من العراق .

- ومات في هذه السنة من الأعيان شمس الدين يوسف بن قزغلي بن عبد الله أبو المظفر، [وهو] سبط الحافظ أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي الفقيه الحنفى الواعظ، وتوفى شرف الدين أبو محمد عبد العزيز بن عبد الرحمن بن هبة الله بن قرناص الخزازي الحموي الفقيه الشافعي الأديب . [وتوفى] زكي الدين أبو محمد عبد العظيم بن عبد الواحد بن ظافر بن أبي الأصم الفقيه الشافعي النحوي الأديب، عن خمس وستين سنة . [وتوفى] الشيخ أبو الروح عيسى بن أحمد ابن إلياس البونيني^(١) ببعلبك . ومات ملك الروم غياث الدين كيخسرو بن علاء الدين كيقباد ابن غياث الدين كيخسرو بن قلج أرسلان بن مسعود بن قلج أرسلان بن سليمان بن قتلش، وقد ملك الططر قيصرية ومسيرة شهر معها، فقام بعده ابنه عز الدين كيقباد بن كيخسرو . ١٠

♦ ♦ ♦

سنة خمس وخمسين وستمائة . فيها تزايدت الوحشة بين الملك المعز أيك وبين شجر الدر، فزم على قتلها . وكان له منجم قد أخبره أن سبب قتله امرأة، فكانت هي شجر الدر . وذلك أنه كان قد تغير عليها، وبعث يخطب ابنة صاحب الموصل .

وانفق أن [المعز] قبض على عدّة من البحرية، وهو على أم البارد^(٢)، وسيرهم ليعتقلوا

(١) في س "مس الدرس يوسف"، وخطأ المقرئ هنا واضح . انظر (Enc. Isl. Art. Ibn al-Jawzi, Silat)، وقد لاحظ بعض من اطّلع على هذه النسخة من السلوك هذا الخطأ، فكتب عليه بالآتي، وهو وارد قبالة وفيات تلك السنة، بخط مخالف طبعاً، وضمه : "وهم المؤرخ في هذا"، إنما هو يوسف ولكن لقبه شمس الدين، ومن هنا أتاه اليوم وأهه أعلم".

(٢) كذا في س، بتبريط .

(٣) في س "علاء الدين". (انظر ص ٤٠٠، حاشية ١). ويلاحظ أن ورود هذه الوفاة الأخيرة هنا خطأ، وقد تقدم التنبيه إلى منتهى بالحاشية المشار إليها، أما بقية الوفيات فليس من سبب يدعو إلى التشكك في وقوعها تلك السنة.

(٤) في س "أهه".

(٥) لها "الباردة"، المذكور في ص ٣٩٤، سطر ٣

بقلة الجبل، وفيهم أيديكين^(١) الصالحى . فلما وصلوا تحت الشباك الذى تجلس فيه شجر الدر، علم [أيديكين] أنها هناك ، تقدم برأسه وقال بالتركي : ” الملوك أيديكين بسمقدار^(٢) . والله ياخوند ما علمنا ذنباً يوجب مسكاً ! إلا أنه لما سير بخطب بنت صاحب الموصل ، ماهان علينا لأجلك ، فإنا تربية نعمتك ونعمة الشهيد المرحوم ، فلما عتبناه تغير علينا وفعل بنا ما ترين^(٣) “ . فاومات [شجر الدر] إليه بمندبل ، يبنى : ” قد سمعت كلامك “ . فلما نزلوا بهم إلى الحب قال أيديكين : ” إن كان حبسنا فقد قتلناه “ .

وكانت شجر الدر قد بعثت نصراً العزيزى بهدية إلى الملك الناصر يوسف ، وأعلمته أنها قد عزمت على قتل المعز ، والتزوج به وتمليك مصر . نفى [الملك الناصر يوسف] أن يكون هذا خديعة ، فلم يجيبها بشئ .

وبعث بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل بمحمد [الملك المعز] من شجر الدر ، وأنها باطنت الملك الناصر [يوسف] ، فباعده ما بينهما ، وعزم على إزالتها من القلعة إلى دار الوزارة . وكانت

(١) مضبوط على مطبوعته في (Zettersteen : Op. cit. pp. 188, 189) .

(٢) معنى هذا أن أيديكين خير رأسه بحجة إجلالاً ، انظر (Quatremère : Op. cit. t. I. p. 64. N. 95) .

(٣) البسمقدار — أو البجمقدار — هو الذى يحمل نعل السلطان أو الأمير ، وترك هذا الاسم من لفظين ، أحدهما من اللغة التركية وهو بشتق ومعناه النعل ، والثانى من القصة الفارسية وهو دار ومعناه مسك ، ويكون المعنى مسك النعل . (القفشندى : صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ٤٥٩) . انظر أيضاً محمد بد معنى لفظ بشتق في (Dozy : Suppl. Dict. Ar.) .

(٤) المقصود هنا الملك الصالح نجم الدين أيوب .

(٥) في من ” ما ترى “ .

(٦) في من ” قاومت “ .

(٧) وصف القرزى (المواظ والاعتبار ، ج ٢ ، ص ٢١٣) جب القلعة بالآق : ” كان بالقلعة جب محبس فيه الأمراء ، وكان مهولاً مظلماً كثير العواريط كرهه الزائفة ، يقاضى المسجون فيه ما هو كالموت أو أشد . عمره الملك المنصور فلان في سنة إحدى وخمسين وسبعمائة ، فلم يزل إلى أن قام الأمير بكتر الساقى في أمره مع الملك الناصر محمد بن فلان ، حتى أخرج من كان فيه من الهاجيس وقلمهم إلى الأبراج ، وردمه وعمر فوق الردم طليفاً ، في سنة تسع وعشرين وسبعمائة “ .

(٨) في من ” نصر “ .

(٩) في من ” التزوج “ .

(١٠) في من ” يخلده “ .

[شجر الدر] قد استبدت بأمور المملكة ولا تطلعه عليها ، وتمنعه من الاجتماع بأم ابنه علي وأزيمته بطلاقها ، ولم تطلعه على ذخائر الملك الصالح .

فأقام [الملك المعز] بمنابر اللوق أياما ، حتى بعث [شجر الدر] من حلف عليه . فطلع القلعة وقد أعدت له [شجر الدر] خمسة ليقتلوه : منهم محسن الجوبجري ، وخادم (١٠٤)

- يعرف بنصر العزيزي ، ومملوك يسمى سنجر . فلما كان يوم الثلاثاء رابع عشر شهر ربيع الأول ، ركب [الملك المعز] من الميدان بأرض اللوق ، وصعد إلى قلعة الجبل آخر النهار . ودخل إلى الحمام ليلا ، فأغلق عليه الباب محسن الجوبجري ، وغلام كان عنده شديد القوة ، ومعهما جماعة . وقتلوه بأن أخذ بعضهم بأشيه وبعضهم بخنقه ، فاستغلت [المعز] بشجر الدر فقالت اتركوه ، فأغلق لها محسن الجوبجري في القفل ، وقال لها : " متى تركناه لا يبقى علينا ولا عليك " ، ثم قتلوه .

- وبعث شجر الدر في تلك الليلة أصبح المعز وخاتمه إلى الأمير عز الدين أيسك الحلبي الكبير ، وقالت له : " قم بالأمر " ، فلم يحسر . وأشيع أن [المعز] مات بغاة في الليل ، وأقاموا الصائغ في القلعة ، فلم تصدق ممالكه بذلك : وقام الأمير علم الدين سنجر التتسي — وهو يومئذ شوكة البحرية وشديدهم — ، وبادر هو والمالكة إلى الدور السلطانية ، وقبضوا على الخدم والحريم وعاقبهم ، فأقروا بما جرى . وعند ذلك قبضوا على شجر الدر ، ومحسن الجوبجري ، وناصر الدين حلاوة ، وصدر الباز ، وفر نصر العزيزي إلى الشام .

فأراد مالكة المعز قتل شجر الدر ، فخافها الصالحية ، ونقلت إلى البرج الأحمر [بالقلعة] . ثم

(١) بشرى طي ، والنسبة إلى قرية جوير ، بمركز سمود من مديرية الغربية . وهي واقعة على الشاطئ الغربي لقرع ديباط ، وقابلها على الشاطئ الشرقي منية بدرنجيس . (ياقوت : معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ١٤٣ ، مبارك : الخطط التوفيقية ، ج ١٠ ، ص ٧٠ — ٧١) .

(٢) في ص " وسادما " . (٣) في ص " انه " .

(٤) كان بقلعة الجبل مدة أربعين يوما ، وهذا البرج الذي بناه السلطان الملك الكامل بن العادل أبي بكر بن أيوب . (النفقسي : صبح الأعشى ، ج ٣ ، ص ٣٧٣) .

لما أقيم ابن المعز في السلطنة ، حُلَّت [شجر الدر] إلى أمه في يوم الجمعة سابع عشره ، فضر بها الجوارى بالقباقيب إلى أن ماتت في يوم السبت . وألقوها من سور القلعة إلى الخندق ، وليس عليها سوى سراويل وقيص ، فبقيت في الخندق أياما ، وأخذ بعض أراذل العامة تكنته سراويلها . ثم دفنت بعد أيام — وقد ننتت ، وحملت في قفة — بترتها قريب المشهد النقيبي . وكانت من قوة نفسها ، لما علمت أنها قد أحيط بها ، ألفت شيئا كثيرا من الجواهر والآلات ، كسرتة في الهاون .

وَصَلَبَ محسن الجورجى على باب القلعة ، ووسط تحت القلعة أربعون طواشيا ، وصلبوا من القلعة إلى باب زويلة . وقبض على صاحب بهاء الدين بن حنا ، لكونه وزير شجر الدر ، وأخذ خطه بستين ألف دينار .

- ١٠ فكانت مدة سلطنة الملك المعز سبع سنين تنقص ثلاثة وثلاثين يوما ، وعمره نحو ستين سنة . وكان ملكا حازما شجاعا سفاكا للدماء : قتل خلقا كثيرا ، وشق على الناس بغير ذنب ، لبوقع في القلوب مهابته ؛ وأحدث مظالم ومصادرات عمل بها من بعده . ووزر له صاحب تاج الدين عبد الوهاب ابن بنت الأعز ، ثم صرفه ؛ واستوزر القاضي الأسعد شرف الدين هبة الله بن صاعد الفارسي ، فتمكن منه تمكنا زائدا . وأحدث [القاضي الأسعد] حوادث شنيعة من المظالم ، واستناب في الوزارة القاضي زين الدين يعقوب ابن الزير — كان يعرف اللسان التركي — ، ليحفظ له مجالس أمراء الدولة ويطالعه بما يقال عنه .

(١) معنى وسط هنا "تقع نصفين" ، وفي (Quatremère : Op. cit. I. I. p. 72. N. 103) أمثلة عديدة لدلالة على استعمال هذا الفعل بذلك المعنى ، ومنها : "وسطه بالسيف نصفين" . وكان هذا النوع من القتل شائعا في مصر زمن المماليك وفي غيرها من بلاد الشرق أيضا ، وطريقته أن يمزى المحكوم عليه من الثياب ، ثم يربط إلى خشبتين على شكل صليب وي طرح على ظهره جمل ، وتسمى هذه العملية بالتسمير ، وربما طيف بالمحكوم عليه شوارع القاهرة على هذه الحال . ثم يأتي السيف فيضرب المحكوم عليه ضربة بقوة تحت السرة ، تقسم الجسم نصفين من وسطه فتناثر أسنائه إلى الأرض .

الملك المنصور نور الدين على بن الملك المعز أبيك

- أقامه أمراء الدولة سلطانا بقلعة الجبل ، يوم الخميس سادس عشرى شهر ربيع الأول ، سنة خمس وخمسين وستمائة ، وعمره خمس عشرة سنة تقريبا . وحلفوا له واستحلوا العسكرية ، ما خلا الأمير عز الدين أبيك الحلبي المعروف بأبيك الكبير ، فإنه توقف وأراد الأمر لنفسه ، ثم وافق خوفا على نفسه . فركب الأمير قطز — هو والأمراء — ، وقبض على الأمير سنجر الحلبي ، يوم الجمعة عاشر ربيع الآخر ، واعتقله . فركب الأمير أبيك [الحلبي] الكبير في الأمراء الصالحة فلم يوفق ، وتقتطر عن فرسه خارج باب زويلة ، فأدخل إلى القاهرة ميتا .
- وأقيم الأمير سيف الدين قطز نائب السلطنة على عاقبته ، و[صار] مديرا دولة [الملك المنصور على] . و[أقيم] الأمير فارس الدين أقطاي المستعرب الصالحى أتابك الماسكر ، عوضا عن الأمير علم الدين سنجر الحلبي (١٠٤ ب) . واستمر الوزير شرف الدين الفاضلى على عاقبته ، فقتل عنه الأمير سابق الدين بوزنا الصيرفى ، والأمير ناصر الدين محمد بن الأطروش الكردى أمير جاندنار ، أنه قال : " المملكة ما تمشى بالصبيان ، والرأى أن يكون الملك الناصر " . فتوهمت أم المنصور من أنه يرسل إلى الملك الناصر ، وقبضت عليه وأدخلته إلى الدور ، وأخذ خطه بمائة ألف دينار . واستقر في الوزارة بعده قاضى القضاة بدر الدين يوسف بن الحسن السنجارى ، مضافا إلى القضاء وقد أعيد إليه . وأحيط بأموال الفاضلى ، وقبض على جماعة بسببه . ثم إن السنجارى استعفى من الوزارة وتركها في ربيع الآخر ، فقتل الوزارة قاضى القضاة تاج الدين عبد الوهاب بن خلف العلائى ، المعروف بابن بنت الأعز ، بعد السنجارى . وفي ليلة الخامس عشر من جمادى الآخرة ، خسف القمر بحجرة شديدة ، وأصبحت الشمس حمراء ، فأقامت كذلك أياما وهي ضعيفة اللون متغيرة .

(١) في س "خطر" . (٢) في س "درك" . (٣) في س

"بوزنا" ، والصفة المثيرة هنا من ب (١٢٦) ، وقد ترجم (Quatremère : Op. Cit. I. 1. p. 74)

هذا الاسم إلى (Bourna) .

وفيه بلغ البحرية الذين كانوا ببلاد [السلاجقة] الروم موت الملك المعز، فساروا في البر والبحر، ووصلوا إلى القاهرة . فلم تطل مدتهم حتى كرهوا المنصور بن المعز، لكثرة لعبه بالحمام ومناقرته بالديوك، ومما يلته بالحجارة وركوبه الحير القُرّه في القلعة، ومناطحته بالبكاش . وفيها دخل الصارم أحر عينه الصالحى بجاعة، فقتلوا الوزير الفائزى في جمادى الأولى، وأنسج في نخ . قال ابن واصل : حكى القاضي برهان الدين أخو الصاحب بهاء الدين بن حسنا قال : "دخلتُ على شرف الدين الفائزى وهو معتقل، فسألنى أن أتحدث في إطلاقه، بحكم أنه يعمل في كل يوم ألف دينار عينا . فقلت له : وكيف تقدر على ذلك؟ فقال : أقدر عليه إلى تمام السنة، وإلى أن تمضى سنة يفرج الله تعالى" . فلم يلتفت بمالك الملك المعز إلى ذلك، وعجلوا بهلاكه وختقوه، وحمل إلى القرافة ودفن بها .

وفيها وقعت الوحشة بين الملك الناصر وبين من عنده من البحرية، ففارقوه في شوال، وقصدوا الملك المغيث صاحب الكرك . فأخرج الأمير سيف الدين قطز العسكر إلى الصالحية، فواقعهم في يوم السبت خامس عشر ذى القعدة، وأسروا الأمير سيف الدين قلاون، والأمير سيف الدين بلبان الرشيدى، وقُتل الأمير سيف الدين بلغان الأشرفى . وانهمز عسكر الكرك، وفيهم بيبرس البندقدارى الذى ملك مصر . وعاد العسكر إلى القاهرة، فقصم الأمير شرف الدين قسيران المعزى - [وهو] أستاذار السلطان - الأمير قلاون وأطلقه . فأقام [قلاون] بالقاهرة قليلا، ثم اختفى بالحسينية عند سيف الدين قطيلبا الرومى، فزوده وسار إلى الكرك .

(١) كذا في س .

(٢) كذا في س، وقد ترجم (Quatremère : Op. Cit. I. 1. p. 75) هذا اللفظ إلى (couverture) أى غطاء، ولعل لفظ "النص" هو المقصود، ومعناه "أزرق" أو ما كان للسن خاصة، وجره بخارجي يحيط بها لبن يحض " (محيط المحيط) .

(٣) هذه المرة هي الثانية، التي يشير المترجم فيها إلى ابن واصل . (أخر ص ٣٧٩، حاشية ١) .

(٤) كذا في س، وبه ضبط، وهو مترجم إلى (Bellan)، في (Quatremère : Op. cit. I. 1. p. 76) .

(٥) نصف هذا اللفظ زائل تقريبا في س، وهو وارد كما هنا في ب (١٢٦ ب) .

(٦) في س "فراق"، وقد كسب قطعه من (Quatremère : Op. cit. I. 1. p. 76) .

(٧) في س "طليبا"، وقد أصلح هذا الاسم على منطوقه في (Ibid : Op. cit. I. 1. p. 76) .

وفيما بعث الخليفة إلى الناصر يوسف بدمشق خلة وتقليدا وطوقا . وفيما حسن البحرية
للك المغيث أخذ ملك مصر ، فكتب علة من الأمراء ووعدهم . وفيما قوى هولاكو بن تولى
ابن جنكرخان ، وقصد بفساد وبعث يطلب الضيافة من الخليفة^(١) . ففكر الإرجاف ببغداد ،
ونخرج الناس منها إلى (١١٠٥) الأقطار . ونزل هولاكو تجاه دار الخلافة وملك ظاهر
بغداد ، وقتل من الناس عالما كبيرا^(٢) .

وفيما قدم إلى دمشق الفقراء الخيرية^(٣) ، وعلى رؤسهم طراوير ، ولحام مقصوفة
وشواربهم بغير قص . وذلك أن شيخهم حيدر ، لما أسره الملاحدة قصوا لحيتهم وتركوا
شاربه ، فافتدوا به في ذلك ، وبنوا لهم زاوية خارج دمشق ، ومنها وصلوا إلى مصر .

ومات في هذه السنة من الأعيان نجم الدين أبو محمد عبد الله بن محمد بن الحسن بن
أبي سعد الباذرائي البغدادى الشافعى ، رسول الخلافة وقاضى بغداد ، عن إحدى وستين سنة .
وتوفى الوزير الصاحب الأسعد شرف الدين أبو سعيد هبة الله بن صاعد الفاضلى . وتوفى

(١) يوجد في (D'Oshson : Op. cit. III. p. 215 et seq.) ترجمة فرنسية لهذا الكتاب الذى بعثه
هولاكو إلى الخليفة المستنصر ، وغواه دعوة الخليفة إلى تسليم نفسه وعاصمته بغداد إلى التتر ، أو الويل والخيبر ؟
وكان جواب المستنصر على هذا تحفيرة من هولاكو ومطلبه ، وقد حله إلى هولاكو شرف الدين عبد الله بن الجوزى .
(Browne : Op. cit. II. p. 461) .

(٢) ينتهى هنا القصة الموجود بنسخة مفرج الكرب لابن واصل المذكورة في هذه الحواشى . انظر (قصة
المرجع ، ص ٣٨٥) .

(٣) تحسرك هولاكو من حسدان ، حيث كان معسكرا منذ الانتهاء من حرب الإسماعيلية ، إلى بغداد . اشرة
في ذى القعدة سنة ٦٥٥ هـ (نوفبر ١٢٥٧ م) ؟ وأرسل في نفس الوقت جيشا بقيادة (Baidju Noyon) ،
لتزحف على بغداد أيضا من طريق تكريت والموصل . وكان عدد الجيش الذى يقوده هولاكو ثلاثين ألفا على حسب
تقرير المؤرخين المعاصرين ، وكانت عدة الجيش الذى جهزه الخليفة المستنصر عشرين ألفا . وقد تمت الجيوش الثلاثة ،
فتنارت العبر والغزمية هى وجيوش الخليفة ، حتى حاصرت بغداد قسبا في المحرم سنة ٦٥٦ هـ (يناير ١٢٥٨ م)
(Browne : Op. cit. II. p. 460 et seq.) . انظر أيضا ابن واصل (نفس المرجع ، ص ٣٨٥) .

(٤) ترجم (Quatremère : OP. Cit. T. I. P 76) هذا القبط إلى (Haideri) ، بغير تعليق .

(٥) في ص "الباذرائى" .

عن الدين أبو حامد عبد الحميد بن هبة الله بن محمد بن أبي الحديد المدائني ، مؤلف كتاب الفلك الدائر على المثل السائر . ومات ممتلك الروم علاء الدين كيقباد بن غياث الدين كيخسرو ابن علاء الدين كيقباد بن غياث الدين كيخسرو بن قلج أرسلان . وقام بعده أخوه عز الدين كيكاوس ابن غياث الدين كيخسرو ، فملك الطغر قونية منه ، ففر منها إلى العلايا .

(١) كان علاء الدين كيقباد أصغر الأخوة الثلاثة ، الذين تشاركوا في حكم بلاد السلاجقة الروم (انظر ص ٤٠٠ ، حاشية ١) . ومات علاء الدين كيقباد هذا مقتولا ، وهو في الطريق إلى متكوخان إمبراطور التتر . ولما كان أخوه الثاني ، وهو ركن الدين قلج أرسلان ، مسجوناً بأمر عز الدين كيكاوس وهو الأخ الثالث ، فإن الجوسلارز الدين هذا بسد وفاة علاء الدين كيقباد . وعز الدين كيكاوس هو الذي انتهز على يد القائد التتري (Baidju Noyon) سنة ١٢٥٤م (١٢٥٦م) ، وبلغا بعد هزيمته إلى الأشكري (Theodore II Lascaris) ، إمبراطور الدولة البيزنطية في نيقية . وعده الأبحار هي التي قصد المقرري إيرادها تحت سنة ١٢٥٤م (١٢٥٦م) ، فاختلط عليه الأمر وأخطأ ، على الصورة التي سبق ورودها . (انظر ص ٤٠٠ ، حاشية ١) . وكان التتر قد أخربوا ركن الدين قلج أرسلان من السجن ، وأقاموه مقام أخيه سلطاناً على السلاجقة الروم . ثم حدث مجزء وحيل الجيوش التتري عن البلاد ، أن رجع عز الدين إلى قونية ، وكان أخوه ركن الدين قد استقر بقصرية ، فاتفق الأخوان فيما بينهما على اقتسام البلاد ، وجعل نهر قزل إرمك حداً بين القريتين . ثم ذهب الأخوان إلى حضرة هولاكو وكان وقتئذ يتبرير ، للتصديق على ذلك الاتفاق ، وتم الأمر . بسد ذلك غضب هولاكو على عز الدين ، لتفاوضه سلطان الخاليل بمصر وهو عدو التتر ، فغزاه هولاكو وبلغاه إلى القراة إلى العلايا سنة ١٢٥٩م (١٢٦١م) ، وهي إحدى التتور الجنوبية في آسيا الصغرى . (انظر الحاشية التالية) . وسافر علاء الدين بعد ذلك إلى القسطنطينية ، وكان قد رجع إليها سلطان البيزنطيين ، فأقام بها حتى سنة ١٢٦٢م (١٢٦٤م) . واتهم عز الدين تلك السنة بالاشتراك في مؤامرة على حياة الإمبراطور (Michael Palaeologus) ، غرضها إقامة عز الدين نفسه إمبراطوراً . لذلك أخرج عز الدين منغيا إلى بلدة (Aino) ، وبقى هناك حتى أرسل إليها متكوخورد خان القشاق جيشاً سنة ١٢٦٨م (١٢٦٨م) فاحتلها ، وأطلق سراح عز الدين وأحضره إلى بلاد القرم حيث تزوج من إحدى بنات برمكة خان ، وبقى بها حتى وفاته سنة ١٢٧٨م (١٢٧٩) . (انظر Enc. Isl. Art. Kaika'us II.) . وقد اتفرد ركن الدين قلج أرسلان بالملك من قبلوه أخيه إلى البيزنطيين ، على أن مقابله الحكم كاتت في يد الوزير معين الدين سليمان ، وعلى يد هذا الوزير كان مقتل ركن الدين سنة ١٢٦٤م (١٢٦٦م) . (Enc. Isl. Art. Kiliç Arslan IV.) . (Cam. Med. Hist. IV. pp. 503 et seq., 510)

(٢) بغير ضبط في س ، وهو تفرج بجنوبي آسيا الصغرى على شاطئ البحر الأبيض المتوسط ، واصله الأصل (Galonoros) أي الترابيل بالغة اليونانية ، وكان يحكمه أمير (baron) أرمني مستقل بنفسه . ثم استولى السلطان علاء الدين كيقباد السلجوقي على هذا التتر حوالي سنة ١٢٢٠م ، وبقى به الأسوار والعائز وجهه مشى لإبلاطه ، وسماه العلايا نسبة إليه . فلما انتهت دولة الروم السلاجقة من آسيا الصغرى ، ظل تفر العلايا بيد أبناء تلك الدولة ، وعاشوا به حتى استولى عليه منهم الأتراك الممانيون ، سنة ١٤٧١م . (Enc. Isl. Art. Alaiya)



سنة ست وخمسين وستمائة . فيها وقع الغلاء بسائر البلاد، وارفعت الأسعار بدمشق وحلب وأرض مصر، وأبيع الموكك القمح بحلب بمائة درهم، والشعير بستين درهما،^(١) والبطيخ الخضر بثلاثين درهما، وبقية الأسعار من هذه النسبة .

وفي رابع شهر رمضان سقطت إحدى مسأل فرعون التي بين شمس، فوجد فيها نحو المائتي قطار نحاس، وأخذ من رأسها عشرة آلاف دينار .

وفيهما ملك هولاء بغداد، وقتل الخليفة المستعصم بالله عبد الله في سادس صفر، فكانت خلافته خمس عشرة سنة وسبعة أشهر وستة أيام . واقرضت بمملكته دولة بني العباس [من بغداد] ، وصار الناس بغير خليفة إلى سنة تسع وخمسين وستمائة ، فصيح حديث حبيب ابن أبي ثابت، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة، أن رسول الله قام فقال : "يامعشر قريش !

(١) الموكك هنا -وجهه مكاك - مكيال محبوب يسع ما عاوضنا ، والصاع قدر نصف رية ، والرية ثلاث كيلات . (محيط المحيط) . على أن هذه المكاكيل ليست ذات سمة واحدة في أنحاء البلاد الإسلامية ، كما يتضح من (Enc. Isl. Art. Kaila) .

(٢) على هذا القفل يابض في س ، قدر نصف سطر تحريرا .

(٣) جمع مسلة ، وكان بيده عين شمس ، حسبما جاء في المقرئ (المواعظ والاحتبار ، ج ١ ، ص ٢٢٨ - ٢٣١) مسنان فقط ، سقطت إحداها في رمضان من تلك السنة ، وبقيت الثانية أوجز، منها إلى الآن .

(٤) أمر هولاء بالهجوم العام على بغداد ، في أول يوم من تلك السنة (٣٠ يناير سنة ١٢٥٨ م) ، ودحر جيوش الخليفة المستعصم بعد ذلك بقسمة أيام ، ولم يبق في طريقه إلى أبواب بغداد مقاومة . وفي يوم ٤ صفر (١٠ فبراير سنة ١٢٥٨ م) ، سلم الخليفة نفسه وعاصمته بلا قيد ولا شرط ، بعد أن وعد هولاء بالأمان . وبعد ذلك بشرة أيام قتل الخليفة وولاه أبو العباس أحمد وأبو الفضائل عبد الرحمن ، ومن قتل أيضا عبي الدين بن الجوزي ، وأولاده جمال الدين وتاج الدين وشرف الدين ، وغيرهم كثير . على أن الروايات تختلف في قصة قتل النثر الخليفة المستعصم ، وفي هذا يقول ابن واصل (تس المرجع ، ص ٣٨٥ ب) : "وأما الخليفة رحمه الله فانهم قتلوه ، لكن لم يطلع أحد من قتل كيف كان ، فقبل إنه شتى ، وقيل وضع في حبل ووض حتى مات ، وقيل غرق في الدجلة ، والله أعلم بحقيقة ذلك " . هذا وقد كان من تقاليد النثر ألا يرقوا دما ملكيا ، فالتألب أن المستعصم لن يصفى بإحدى الوسائل المتبعة ، وليس بالسيف . راجع (Browne : Op. cit. II. p. 463) ، وانظر أيضا (Enc. Isl. Art. Baghdad & Hulagu) .

إن هذا الأمر لا يزال فيكم، وأتم ولاه حتى تحدثوا أعمالا تخرجكم منه . فإذا فعلتم ذلك سلط الله عليكم شر خلقه ، فالتحوم كما يلتحي القضيبي .^(١)

وقُتِل الناس ببغداد وتمزقوا في الأقطار ، ونحرب [التتر] الجوامع والمساجد والمشاهد ،^(٢) وسفكوا الدماء حتى جرت في الطرقات ، واستقروا على ذلك أربعين يوما . وأمر هولاكو بعد القتل ، فبلغت نحو الألفي ألف قتيل ، وتلاشت الأحوال بها . وملك التتار إربل ، ودخل بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل في طاعتهم .

وفيهما كثر الوباء ببلاد الشام ، فكان يموت من حلب في كل يوم ألف ومائتا إنسان . ومات من أهل دمشق خلق كثير ، وبلغ الرطل التمر هندي ستين درهما .

وفيهما أغضد الملك الناصر صاحب دمشق ابنه الملك العزيز إلى هولاكو ، ومعه تقادم وعدة من الأمراء . فلما وصل [الملك العزيز] إلى هولاكو قدم إليه ما معه ، وسأله على لسان أبيه

(١) تقدم ذكر هذا الحديث ، على هامش المبارات الانتاحية من هذا الكتاب ١٠ نظرس ٨ ، حاشية ٢ .

(٢) في ص "ترويا" .

(٣) ينهم من (Enc. Isl. Art. Baghdad) ، أن بغداد — مع فداحة الكارثة التي حلت بها — لم تلق على يد الترمش الذي لقيه بلاد أخرى على يدهم . والسبب في ذلك أن هولاكو كان يريد أن يحفظ بغداد لنفسه ، وقد أمر فيها به بإصلاح بعض ما أسدت جيوشه ، مثل إعادة بناء جامع القصر الذي كان من أكبر جوامع بغداد .

(٤) كان هولاكو إبانت شروره في الزحف على بغداد ، قد أرسل جيشا بقيادة (Urocton Noyon) للاستيلاء على إربل . وكان بها منذ سنة ٥٦٣ هـ (١١٦٧ م) قوم من الكرد ، استطاعوا أن يقاوموا جيوش هولاكو مقاومة عنيدة مدة ، وذلك رغم ذهاب قائدهم الشريف ابن صلايا إلى جيوش التتر ، ورجوعه إلى إربل لينصح الناس بالتسليم . ثم حدث أن أنجيد بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل جيوش التتر على إربل ، فانكسرت المقاومة الكردية وسلمت المدينة . وكان القائد التتري قد أرسل الشريف ابن صلايا إلى حضرة هولاكو بمجدان ، بعد ما تبين مجرؤه من إقناع الأكراد بالتسليم ، فأمر هولاكو بقتله عملا بمشورة بدر الدين لؤلؤ . وفي هذا يقول ابن واصل (نص المرجع ، ص ٣٨٦) : "رأما الشريف ابن صلايا قتل ، وقد ذكرناه أمل أن بدر الدين لؤلؤ هو [الذي] كان السبب في قتله ، وأنه قال هولاكو هذا شريف علوي ، وربما يطاول أن يكون خليفة ، وبآبائه على ذلك خلق عظيم ، تقدم بقتله" . انظر أيضا (Enc. Isl. Art. Irbil) ; p. 256-257 ; (D'Ohsson : Op. cit. III. p. 256-257) .

(٥) في ص "ماق" .

في نجدة ليأخذ مصر من الممالك ، فأمر [هولاكو] أن يتوجه إليه بمسكفيه قدر العشرين ألف فارس . فطار هذا الخبر إلى دمشق ، فرحل من كان بها من الممالك البحرية ، وصاروا إلى الملك المنفيث عمر بالكرك وحرّضوه على أخذ مصر ، بجمع الملك المنفيث وسار .

فتجهز الأمير قطز ، وخرج من القلعة بالعساكر في ... (١) . فلما وصل إلى الصالحية

- تسبل إلى الملك المنفيث من كان كاتبه من الأمراء وصاروا إليه ، فلقبهم قطز وقاتلهم .
- فانهزم الملك المنفيث في شزيمة إلى الكرك ، ومضى البحرية نحو الطور وانضموا مع الشهرزورية من الشرق . واستولى المصريون على من بقي من عساكر [المنفيث] وأتباعه ، وأسروا جماعة ، وعادوا إلى قلعة الجبل . وقد تغير قطز على عتبة من الأمراء ، ليلهم إلى الملك المنفيث : قبض على الأمير عز الدين أيسك الرومي الصالحى ، والأمير سيف الدين بليان الكافورى الصالحى الأشرفى ، والأمير بدر الدين بكتوت الأشرفى ، والأمير بدر الدين بلغان الأشرفى ، وجماعة غيرهم ، وضرب أعناقهم في سادس عشر ربيع الأول (١٠٥ ب) ، وأخذ أموالهم كلها .

- وفيهما فر طائفة من [الأكراد من وجه] عسكر هولاكو ، يقال لهم الشهرزورية ، وقدموا دمشق وعقدتهم نحو الثلاثة آلاف ، ومعهم أولادهم ونساءهم . فسر بهم الملك الناصر واستخدمهم ليتقوى بهم ، فزاد عنتهم وكثر طلبهم حتى خافهم ، وأخذ يداريهم وما يزيدهم ذلك إلا تمردا عليه ، إلى أن تركوه وساروا إلى الملك المنفيث بالكرك ، فسر بهم وتاقت

(١) جيش في ص .

(٢) الأرجح أن الطور المقصود هنا هو طور سيناء ، وليس الطور المذكور بقسم الأول ، ص ٩٥ ، حاشية ١ .

(٣) في ص "البرز" فقط ، وبقية القفظ زائل ، على أنه في ب (١٢٧ ب) . والشهرزورية نسبة إلى

شهرزور ، وهي إحدى جهات كردستان ، حيث توجد مدينة بهذا الاسم أيضا . وكان تلك الجهة جماعة الأكراد الكردية (Kusa Kurda) ، وقد ظنوا بها حتى استولى هولاكو على بغداد ، وتقدمت جيوشه شمالا نحو شهرزور وغيرها ،

فقر الشهرزورية من وجه الترت إلى الشام ومصر ، كما بالثن - (Enc. Isl. Art. Shehrizur) .

(٤) في ص "عساكره" .

نفسه إلى أخذ دمشق . فخاف الناصر وتخيّل من الأمراء القيمرية الذين في دمشق ، فاضطرب وبخبر .

وفيها مات أمير بني مرين أبو يحيى بن عبد الحق بن محيو بن أبي بكر بن حمامة ، في رجب . وقام من بعده ابنه عمر ، ونازعه عمه يعقوب بن عبد الحق . وأبو يحيى هو الذي فتح الأمصار ، وأقام رسوم المملكة ، وقسم بلاد المغرب بين عشائر بني مرين ، وقام بدعوة الأمير أبي زكريا ابن أبي حفص صاحب تونس . وأبو يحيى أول من اتخذ الموكب الملكي منهم ، وملك مدينة قاس . وقد استبد [أبو يحيى] بملك المغرب الأقصى ، وبنو عبد الواحد بملك المغرب الأوسط ، وبنو أبي حفص بإفريقية . هذا وقد أشرفت دولة الموحد بن عبد المؤمن على الزوال .

وفي سنة ست وخمسين [هذه] قدم أولاد حسن مكة ، وقبضوا على إدريس وأقاموا ستة أيام ، بغاء أبو نجي وأخرجهم ولم يقتل بينهم أحد .

• ومات في هذه السنة من الأعيان ... المستعصم بالله أبو أحمد عبد الله بن المستعصم بالله أبي جعفر منصور بن الظاهر بالله أبي نصر محمد بن الناصر لدين الله أبي العباس أحمد ، آخر خلافت بني العباس ، مقتولا في سادس صفر ، بعد ما أئلف عساكر بغداد لثيمته في جمع المال . فدّعي الإسلام وأهله بيته ، وإسناده الأمر إلى وزيره ابن العلقمي ، فإنه قطع أرزاق الأجناد ، واستعجز التناحر حتى كان ما كان . ومات الملك الناصر داود بن المظفر عيسى ابن العادل أبي بكر بن أيوب بن شاذي ، صاحب دمشق والكرك ، بعد ما صرّت به خطوب كثيرة ، عن ثلاث وخمسين سنة خارج دمشق ، وله شعر بديع . وتوفى الحافظ ركن الدين أبو عبد الله عبد العظيم بن عبد القوي بن عبد الله بن سلامة المنذري الشافعي الإمام الحجة ، عن خمس وسبعين سنة . ومات يحيى الدين أبو المظفر يوسف بن الحافظ جمال الدين أبي الفرج

(١) في س " الملوك " .

(٢) النصف الثاني من كلمة الأعيان محبوب بورقة ملصقة فوقه في س ، وكذلك بقية السطر أيضا . ولعل تلك البقية ، وهي المشار إليها هنا بنقط ، عبارة عن لفظة " الخليفة العباسي " ، أرغى مثل ذلك .

(٣) انظر ص ٤٠٠ ، حاشية ٢ .

- عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي بن محمد بن جعفر بن الجوزي البكري البغدادي الحننلي ،
محتسب بغداد ورسول الخلافة ، عن ست وسبعين سنة . وتوفي صاحب محي الدين
أبو عبد الله محمد بن نجم الدين أبي الحسن أحمد بن هبة الله بن محمد بن هبة الله بن أحمد بن
يحيى بن زيد بن هارون بن موسى بن عيسى بن عبد الله بن محمد بن عامر أبي جرادة العقيلي بن
العديم الحننلي ، عن ست وستين سنة بحلب . وتوفي نظام الدين أبو عبد الله محمد بن محمد بن
محمد بن عبد المجيد بن المولى الأنصاري الحلبي ، صاحب الإنشاء بحلب . وتوفي ناظر الجيش
بحلب ، [واسمه] عون الدين أبو المظفر سليمان بن البهاء أبي القاسم عبد المجيد بن الحسن بن
عبد الله بن الحسن بن العجمي الحلبي ، عن خمسين سنة . وتوفي صاحب عز الدين
أبو حامد محمد بن محمد بن خالد بن محمد بن نصر بن القيسراني الحلبي ، ناظر الدواوين بدمشق .
١٠ وتوفي صاحب بهاء الدين زهير بن محمد بن علي بن يحيى الأزدى المكي ، الكاتب الشاعر الماهر ،
صاحب الإنشاء بديار مصر ، عن خمس وسبعين سنة . وتوفي الأمير سيف الدين علي بن
سابق الدين عمر بن قزل — المعروف بالمشد ، عن أربع وخمسين سنة وشعره الغاية في الجودة .
وتوفي شاعر بغداد جمال الدين أبو زكريا يحيى بن يوسف بن يحيى بن منصور الصرصري
الحننلي شهيدا ، عن ثمان وستين سنة . وتوفي الأديب شرف الدين أبو الطيب أحمد بن محمد
ابن أبي الوفاء بن الحلّاي الموصل ، عن ثلاث وخمسين سنة بالموصل . و[توفي] الأديب
١٥ سعد الدين أبو سعد محمد بن محي الدين محمد بن علي بن عربي ، بدمشق . و[توفي] الأديب

(١) توفي في تلك السنة أيضا ، حسبما جاء في ابن واصل (قس المرجع) ص ٣٨٧ ب) ، الشيخ شمس الدين يوسف سبط ابن الجوزي ، مؤلف كتاب مرآة الزمان .

(٢) كان هذا الأمير قريب جمال الدين بن منصور ، وابن أخ الأمير نجر الدين عثان أستاذ دار الملك الكامل .
(ابن واصل : قس المرجع ، ص ٣٨٩) .

(٣) بنير ضبط في م ، والنسبة إلى صرصر ، وهو اسم يطلق على قريتين من سواد بغداد ، وهما صرصر العليا وصرصر السفلى ، وكلتاهما على خفة نهر عيسى الذي يسمى أحيانا نهر صرصر . (ياقوت : معجم البلدان ، ج ٣ ، ص ٣٨١) .

(٤) بنير ضبط في م ، والنسبة إلى بلدة حلابة . انظر ياقوت (معجم البلدان) ج ٢ ، ص ٢٠٣ .

نور الدين أبو بكر محمد عبد العزيز بن عبد الرحيم بن رسم الإمعدى ، بدمشق . و [توفى]
 الشيخ أبو الحسن علي بن عبد الله بن عبد الحق بن يوسف الشاذلي الزاهد، بصحراء عذاب .
 و [توفى] أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن أحمد بن أبي الفتح، خطيب مرّدا، التركي الحنّبلّي،
 عن سبعين سنة، بمردا من عمل دمشق، [وكان قد] حثّت بالقاهرة .

♦ ♦ ♦

سنة سبع وخمسين وممّائة . فيها نازل التارماردين فلم ينالوا منها شيئا، فرحلوا عنها
 إلى ميفارقين وحاصروا أهلها، حتى أكلوا من عدم الأقوات جلود النعال التي تبس في الرجلين .
 وفيها نرح الملك المغيث من الكرك بمساكره يريد دمشق، ففرج الملك الناصر من دمشق
 إلى محاربته، ولقيه بأريحا وحاربه، فانهزم المغيث إلى الكرك . وثار الناصر إلى القدس
 فأقام به أياما، ثم رحل إلى زيزاء فغيم على بركتها . وأقام [هناك] مدة ستة أشهر، والرسل
 تتردد بينه وبين المغيث إلى أن وقع الاتفاق بينهما، على أن الناصر يتسلم من المغيث الطائفة
 البحرية جميعهم، وأن المغيث يبعد عنه التمهزورية؛ فسارت التمهزورية من بلاد الكرك
 إلى الأعمال الساحلية .

(١) بنير ضبط في س، وهي قرية قرب نابلس، تطلق بألف مقصورة دائما . (ياقوت : معجم البلدان،
 ج ٤، ص ٤٩٣) .

(٢) كان هولاكو قد مزّم إبان تلك السنة على غزو الشام، ووقعت محاولته على ماردن وميفارقين في الطريق
 إليها . وكان من ضمن قوّاده إذ ذاك ولده يشموط (Yeshmont)، وقد ناط به أخذ مدينة ميفارقين : (D'Ohsan
 Op. cit. III, pp. 306-308) . وكان صاحب ميفارقين الملك الكامل محمد بن الملك المنقّر شهاب الدين قازي
 ابن العادل أبي بكر بن أيوب، وقد حاصروا القلعة واستمر على المقاومة مدة سنتين، حتى نفذت عنده الأرزاء،
 وفي أهل ميفارقين بالوباء والقتل، وضف من بين منهم لديه من القتال . عند ذلك استولى التتار عليها، وقتلوا صاحبها
 الملك الكامل المذكور، كما سبل بالحق .

(٣) بنير ضبط في س، وهي بلدة بالقور من أرض الأردن بالشام، بينها وبين بيت المقدس يوم القارس،
 وتسمى أيضا أريحا وأريحا . (ياقوت : معجم البلدان، ج ١، ص ٢٢٧ - ٢٢٨) .

(٤) بنير ضبط في س، وهي قرية كبيرة تابعة للبلقاء، وتطل على بركة واسعة . (ياقوت : معجم البلدان،
 ج ٢، ص ٩٦٦) .

وسير الأمير ركن الدين بيبرس البندقدارى إلى الملك الناصر يلتصق منه الأمان، لحلف له وحضر [ركن الدين بيبرس] إليه على بركة زيزاء : ومعه بدر الدين بيبرى ، وإيتمش المسعودى ، وطيرس الوزيرى ، وبلبان الرومى الدوادار ، وأقوش الرومى ، ولابن البرفيل الدوادار ، وكشغدى المشرف ، وإيدغمش [الشيخى ؟] ، وأليك الشيخى ، وبلبان المهرافى ، وخاص ترك الكبير ، وسنجر المسعودى ، وأياز الناصرى ، وسنجر الهامى ، وأليك العلانى ، وطمان [الشقىرى ؟] ، ولابن الشقىرى ، وسلطان الإلذكرى ، وبلبان الأقسيسى ، وعز الدين بيبرس . فأكرمه [الملك الناصر] ، وأقطعه نصف نابلس وجنين وأعمالها بمائة وعشرين فارساً . وبعث المغيث سائر البحرية إلى الملك الناصر، فرحل عن زيزاء إلى دمشق، وقبض على البحرية واعتقلهم .

- وفىها قدم الملك العزيز بن الملك الناصر من عند هولاءكو، وعلى يده كتابه ونصه : "الذى يعلم به الملك الناصر صاحب حلب، أنا نحن قد فصحا بفناد بسيف الله تعالى، وقتلنا فرسانها وهدمنا بنيانها وأسرنا سكانها، كما قال الله تعالى فى كتابه العزيز : ^(١) قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ . واستحضرتنا خيلفها، ^(٢) وساناه عن كلمات فكذب، فواقعه الندم واستوجب منا العدم . وكان قد جمع ذخائر نفيسة، وكانت نفسه خسيسة، فجمع المال (١٠٦) ولم يبا بالرجال . وكان قد نعى ذكره وعظم قدره ، ونحن نعوذ بالله من التمام والكمال .

إذا تم أمر دنا قصصه * توق زوالا إذا قيل تم

إذا كنت فى نعمة فارعها * فإن المعاصى تزيل النعم

وكم من قى بات فى نعمة * فلم يدرك الموت حتى هم

(١) غرئت جميع هذه الأسماء على ترجمتها فى (Quatremère : Op. cit., I. 1. p. 83) .

(٢) كذا فى س ، ولعلها هيئة تحوير وتصغير على غير قياس ، فإن مصغر خليفة يكون خليفة .

(٣) فى س "ساناه" .

إذا وقعت على كتابي هذا، فسارع برحالك وأموالك وفرسانك إلى طاعة سلطان الأرض
 شاهنشاه روى زمين^(١١)، تأمن شره وتسل خيره، كما قال الله تعالى في كتابه العزيز: وَأَنْ لَّيْسَ
 لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوَّلَى. ولا تتوق رسلنا عندك
 كما عوّقت رسلنا من قبل، فإسالك بمعروف أو تسريح بإحسان. وقد بلغنا أن تجار الشام
 وغيرهم انتهزوا بأموالهم وحریمهم إلى كروان سراي^(١٢)، فإن كانوا في الجبال نسفناها، وإن كانوا
 في الأرض خسفناها.

أين النجاة ولا مناص لهارب • ولئى الهيستان الثرى والماء

ذلت لهيئتنا الأسود وأصبحت • فى قبضتى الأمراء والوزراء

فانزع الناصر وسير حريمه إلى الكرك^(١٣)، وخاف الناس بدمشق خوفا كثيرا لعلمهم أن
 التتر قد قطعوا الفرات، وسار كثير منهم إلى جهة مصر، وكان الوقت شتاء فأت خلاقي^(١٤)
 بالطريق، ونهب أكثرهم. وبعث الناصر، عند ما بلغه توجه هؤلاء نحو الشام، بالصاحب
 كمال الدين عمر بن العديم إلى مصر، يستنجد بمسكها.

فلما قدم [ابن العديم] إلى القاهرة، فى يوم...، عُقد مجلس بالقلعة عند الملك المنصور،
 وحضر قاضى القضاة بدر الدين حسن السنجارى، والشيخ عز الدين بن عبد السلام، وسُئل
 فى أخذ أموال العامة وتفقيتها فى المساكر، فقال ابن عبد السلام: "إذا لم يبق فى بيت المال

(١) فى "س دروازين"، معنى شاهنشاه روى زمين، ملك الملوك على وجه الأرض. (Quatremère :
 Op.cit. I. 1. p. 84. N. 119 & Richardson : A Dict. Pers. Ar. Eng.)

(٢) فى "س تال".

(٣) ترجم (Quatremère : Op. cit. I. 1. p. 48) هذا اللفظ ترجمة حرفية الى (Karavanserai)،
 أى محط الرجال أو فندق المسافرين. فیر أنه توجد فرق هذا اللفظ فى ص إشارة الى عبارة يهاش الصفحة،
 ونصها: "بني مصر"، وهى بخط المتن. ويخبر من هذا أن مصر كانت تعرف فى بلاد التتر باسم كروان سراي،
 وربما نشأت تلك التسمية من انتهاء سظم الطرق التجارية لها من سائر جهات الشرق والغرب، فى القرون الوسطى.
 (٤) كان هذا الخبر مضى بالمبالغة، فال معروف أن هؤلاء لم يبر الفرات إلا بسد الاستيلاء على آمد وغيرها،
 وسأى ذكر ذلك كله فى بابى. (انظر ص ٤١٩، سطر ١).

(٥) الضمير هنا قائم على أهل دمشق. (٦) يياض فى ص.

- شيء، وأنفقتم الحوائص الذهب ونحوها من الزينة، وساويتم العامة في الملابس سوى آلات الحرب، ولم يبق للمجندي إلا فرسه التي يركبها، ما عدا أخذ شيء من أموال الناس في دفع الأعداء. إلا أنه إذا دهم العدو، وجب على الناس كافة دفعه بأموالهم وأنفسهم^(١)؛ وانفضوا. فوجد الأمير سيف الدين قطز سيلا إلى القول، وأخذ ينكر على الملك المنصور، وقال: "لا بد من سلطان قاهر يقاتل هذا العدو، والملك المنصور صبي صغير لا يعرف تدبير المملكة". وكانت قد كثرت مفاسد الملك المنصور على بن المعز أيك، واستهتر في اللعب، وتحكمت أمه فاضطربت الأمور. وطمع الأمير سيف الدين قطز في أخذ السلطنة لنفسه، وانتظر خروج الأمراء للصيد؛ فلما خرج الأمير علم الدين سنجر التقي، والأمير سيف الدين بهادر، وغيره من المعزية لرى البندق - وكان يوم السبت رابع عشر ذي القعدة - قبض [قطز] على المنصور وعلى أخيه قاتان وعلى أمهما، واعتقلهم في برج بقلة الجبل. فكانت مدة المنصور ستين وثمانية أشهر وثلاثة أيام.

الملك المظفر سيف الدين قطز^(٢)

- جلس على سرير الملك بقلة الجبل يوم السبت، الرابع والعشرين من ذي القعدة، سنة سبع وخمسين وستمائة. وهو ثالث ملوك الترك بمصر. وفي خامسة ولى الوزارة زين الدين يعقوب بن عبد الرقيق بن يزيد بن الزبير، وصرف تاج الدين عبد الوهاب ابن بنت الأعز. فبلغ ذلك الأمراء فقدموا إلى قلة الجبل، وأنكروا ما كان من قبض [قطز] على الملك المنصور، وتوهموا على الملك، فخافهم واعتذر إليهم بحركة التار إلى جهة الشام ومصر، والتخوف مع هذا من الملك الناصر صاحب دمشق، [وقال]: "وإني ما قصدت إلا أن نجتمع على قتال

(١) كان من بين الحاضرين هذا المجلس ابن واصل. انظر (تقس المرجع، ص ٣٩١ ب).

(٢) ضبط اسم هذا السلطان على مطهر في (Enc. Isl. Art. Kutuz)، وفي هذا المرجع أن اسم قطز الأصل

محمود بن ممدود، وأنه كان قريب (nephew) الملك جلال الدين خوارزمشاه، وقد أسر في حروب الست، وبيع

بدمشق للسلطان الملك المعز أيك.

(٣) في س "قبضه".

التر، ولا يتأق ذلك بغير ملك. فإذا خرجنا وكسرنا هذا العدر فالأمر لكم، أقيموا في السلطنة من شقم". ففروا عنه، وأخذ يرضيهم حتى (١٠٦ ب) تمكّن. فبعث بالمنصور وأخيه وأمه الى دمياط، واعتقلهم في برج عمره وسماه برج السلسلة، ثم سيرهم الى بلاد الأشكري^(١). وقبض على الأمير علم الدين سنجر التتمى المعظمى، والأمير عز الدين أيدمر التجيى الصغير، والأمير شرف الدين قيران المعزى، والأمير سيف الدين بهادر، والأمير شمس الدين قرا مستقر، والأمير عز الدين أيبك التجيى الصغير، والأمير سيف الدين الدود خال الملك المنصور على بن المعز، والطواشى شبل الدولة كافور لا^(٢) الملك المنصور، والطواشى حسام الدين بلال المغنى الجمدار. واعتقلهم، وحلّف الأمراء والعسكر لنفسه، واستوزر الصاحب زين الدين يعقوب بن عبد الرزيع بن الزير في خامس ذى القعدة، واستمر بالأمير فارس الدين أقطاي الصغير الصالحى المعروف بالمستعرب أتابكا. وفوض إليه والى الصاحب [زين الدين؟] تدير العساكر واستخدام الأجناد وسائر أمور الدولة، واحتفل باستخدام الجنود والاستعداد للجهاد.

وورد الخبر بقدوم نجدة من عند هولاء كو إلى الملك الناصر بدمشق، فكتب إليه الملك المظفر قطز وقد خافه كآبا يترقق فيه، ويقم بالآيمان أنه لا ينازعه في الملك ولا يقاومه، وأنه نائب عنه بديار مصر، ومتى حلّ بها أقمده على الكرسي، [وقال فيه أيضا]: "وإن اخترتني خدّمتك، وإن اخترت قدمتُ ومن معي من العسكر نجدة لك على القادم إليك، فإن كنت لا تأمن حضورى سيرت إليك العساكر محبة من تحتاره". فلما قدم على الملك الناصر آاب قطز اطمأن.

(١) المقصود ببلاد الأشكري هي الإمبراطورية البيزنطية بيقية، وصاحبها تلك السنة (Theodore

Lascaris II.). انظر (Camb. Med. Hist. III. pp. 501-506).

(٢) كذا في س، وقد ترجم (Quatremère: Op. Cit. I. I. p. 86) هذا الاسم الى (Addond).

(٣) الاطلاق فارسي، معناه الشخص المكلف بالمناية بالأطفال. (Steingass: A Pers. Eng. Dict.).

(٤) في س "المابل".

وفيا سار هولوكو من بغداد بنفسه إلى ديار بكر، ونزل على آمد يريد حلب، وتازل حران ونصب عليها المجانيق — وكانت في مملكة الناصر يوسف — حتى أخذها . وقطع بعض جيشه القرات وعاثوا في البلاد ، فأجمع أهل حلب على الرحلة منها ، وخرجوا جافلين . فاحترز نائبها المعظم تورانشاه بن الناصر يوسف، وجمع أهل الأطراف . وتقدم التارحتى دنوا من حلب ، فقتلوا كثيرا من عسكرها الذين خرجوا إليهم ، ثم حلوا عنها عاجلا .

فاضطرب الناصر وعزم على لقاء هولوكو، وخيم على برزة . وكتب إلى الملك المغني صاحب الكرك، وإلى الملك المظفر قطز، يطلب منهما مجدة . ومع هذا فكانت نفس الناصر قد ضعفت وخارت، وعظم خوف الأمراء والمساكر من هولوكو : فأخذ الأمير زين الدين الحافظي يعظم شأن هولوكو، ويشير بأن لا يقاتل وأن يدارى بالدخول في طاعته . فصاح به الأمير ركن الدين بيبرس البندقداري ، وضربه وسبه وقال : " أنتم سبب هلاك المسلمين " ، وفارقه إلى خيمته . فضى الزين الحافظي إلى الملك الناصر، وشكا إليه ما كان من الأمير بيبرس . فلما كان الليل (١١٠٧) هجم طائفة من المماليك على الملك الناصر، ليقتلوه ويملكوا غيره ، وكانت في بستان، ففر هو وأخوه الملك الظاهر إلى قلعة دمشق . فبادر الأمراء القيمرية والأمير جمال الدين بن يضور والأكابر إلى القلعة ، وأشاروا على الناصر بأن يخرج إلى الخيم ، وعند ما خرج ركب بيبرس وسار إلى غزرة، وبها الأمير نور الدين

(١) سار هولوكو بعد حصار ماردين ومباشرين إلى آمد ، وترك على حصارها الصالح إسماعيل بن بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل . (انظر ص ٤٢١ ، سطر ٧) . ثم زحف هو على نصيبين واستول عليها ، وتقدم حتى صكر قرب حران فأمرع أهلها إلى التسليم ، وحذا حذوم أهل الرها ، وشد أهل سروج فلم يرسلوا في طلب الأمان ، فكفاهم هولوكو بسيفه عكره مؤونة التسليم . (D'Oshson : Op. cit. III. pp. 308-313) . لم يبق بعد ذلك بين جيوش التردنهر القرات سوى مسافة قصيرة ، فأخذ هولوكو جزءا من الجيش بقيادة ولده بشوط ، فسبق الجيش الرئيسي إلى عبوره والقتل ثم حوّل من طريق ناحية تل باشر وهدة نهر الجوز . وهذه المحاولة على حلب هي التي أسماها ابن واصل (قس المرجع ، ص ١٢٩٣) المنازلة الأولى . (انظر باقوت : معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ١٥١) .

(٢) بنير ضبط في س ، وهي قرية بالنقطة شمال دمشق . (باقوت : معجم البلدان ، ج ١ ، ص ٥٦٣ ، ابن واصل : قس المرجع ، ص ١٢٩٢) .

بدلان كبير الشهروية، تعلقه وأنزله . وسير [بيرس^(١)] إلى الملك المظفر قطز علاء الدين طبرس الوزرى ليعلقه ؛ [فكتب إليه الملك المظفر أن يقدم عليه . ووعده الوعود الجميلة . ففارق بيرس الناصرية، ووصل في جماعة إلى مصر، فأنزله الملك المظفر بدار الوزارة، وأقبل عليه وأقطع له قلوب وأعمالاً^(٢)].

• وبلغ الناصر أن هولاء أخذ قلمة حران وسائر تلك النواحي، وأنه عزم على أخذ حلب، فاشتد جزعه وسير زوجته وولده وأمواله إلى مصر، وخرج معهم نساء الأمراء وجمهور الناس . ففرقت المساك، وبقى [الناصر] في طائفة من الأمراء . ونزل هولاء على البيرة وأخذ قلعها — وأخذ منها الملك السعيد بن العزيز [عثمان بن العادل^(٣)]، وله بها تسع مئين في الاعتقال، وولاه الصبيبة وبانياس — ، ونزل على حلب .

١٠ فقر أهل دمشق وغيرها ، وباعوا أموالهم بأبخس ثمن، وساروا وكان الوقت شتاء، فهلك منهم خلق كثير . وسير الملك المغيث من بقى عنده من البحرية مقيدى على الجمال، وهم نحو الخمسين : منهم الأمير مستقر الأشقر . وسار أربعة من البحرية إلى مصر : وهم قلاون الأكنى، وبكاش الفخرى أمير سلاح، وبكاش النجى، والحاج طبرس الوزرى . وفيها كثرت الزلازل بأرض مصر . وفي ثمانى عشر جمادى الآخرة جئى التصفيح من أملاك القاهرة ومصر . وفي شعبان قبض على رجل يعرف بالكروانى، وضرب ضرباً مبرحاً . بسبب بدع ظهرت منه؛ وجدد إسلامه الشيخ عز الدين بن عبد السلام، وأطلق من الاعتقال فأقام بالجبل الأحمر .

وفيها بقى [هولاء كو] الرصد بمدينة مَرَافَة، بإشارة الخوارج نصير الدين محمد الطومى،

(١) أخيف ما بين القوسين بعد مراجعة ابن واصل (نص المربع، ص ٣٩٤) .

(٢) أخيف ما بين القوسين من ابن واصل (نص المربع والصفة) .

(٣) أخيف ما بين القوسين من أبي القصداء (المختصر في أخبار البشر، ص ١٢٩، ١٤٣، ١٤٤، في (Rec. Hist. Or. I.) .

(٤) بشر خط فى ص، ومن بلاد آذربيجان . (ياقوت : معجم البلدان، ج ٤، ص ٤٧٦) .

(٥) الخوارج هنا أو الخوارج — الملم، ومن سائنه الكتاب والخارج . (Dozy : Suppl. Diet. Ar.) .

وهو دار للفقهاء والفلاسفة والأطباء ، بها من كتب بغداد شيء كثير ، وعليها أوقاف لخدامها .

وفيها استقل يعقوب بن عبد الحق بن محبو بن أبي بكر بن حمامة ، ملك بني مرين ، بملك فاس وعامة المغرب الأقصى . وفيها سار عز الدين كيكاوس وركن الدين قلع أرسلان ابن كيخسرو بن كيقباد من قونية إلى هولاكو ، فأقاما عنده مدة ثم عادا إلى بلادهما .

ومات في هذه السنة من الأحيان الملك الرحيم بدر الدين لؤلؤ الأتابكي صاحب الموصل ، في ثالث عشر شعبان عن ثمانين سنة ، دبر فيها الموصل نحو خمسين سنة . وقام من بعده ابنه الصالح إسماعيل ، وسار ابنه علاء الدين على مفارقة لأخيه إسماعيل إلى الشام . وتوفي الشريف منيف بن شحنة الحسيني أمير المدينة النبوية . وتوفي صدر الدين أبو الفتح أسعد ابن المنجا التنوخي الدمشقي الحنثلي ، ناظر الجامع الأموي ، من ستين سنة بها . وتوفي نجم الدين أبو الفتح مظفر بن محمد بن إلياس بن السريجي الأنصاري الدمشقي الشافعي ، محاسب دمشق ووكل بيت المال بها . وتوفي الأديب بهاء الدين أبو عبد الله محمد بن مكي بن محمد بن الحسين بن الدجاجة القرشي الدمشقي بها ، عن ست وستين سنة .

— أما نصير الدين الطوسي ، المولود بطوس سنة ٥٩٧ هـ (١٢٠٠م) ، فكان من البارزين في شتى العلوم في عصره ، واشتهر خاصة بالاشتغال بالعلم . وقد أقام نصير الدين عند الإسماعيلية بيعة الموت مدة ، وهو الذي أغرى ركن الدين خورشاه رئيس الإسماعيلية بالتسلل إلى هولاكو . ودخل نصير الدين بعد ذلك في خدمة هولاكو ، وكان مسوع الكلمة عنده ، وهو الذي أفتنه حيناً كان يفكر في مصر الخليفة المستعصم ، أن إعدام الخليفة لن يستجيب غضب أحد في السماء أرا الأرض . (Browne : Op. Cit. II. pp. 456-457, 460, 465, 484-486) .

(١) انظر الحاشية التالية .

(٢) العبارة البتة من رقم الحاشية السابقة والمنقبة هنا ، مكتوبة بقلم مخالف قسّم القرن المتأخر ، على أنها بخط المقرئ ، والراجع أن مكانها كان يباحثه المقرئ فيأيد ، بعد أن أقر خطه شيء من الحرة . هذا وقد تقدم ذكر أخبار هذين الملكين السليبيين في ص ٤٠٠ هـ حاشية ١ .

(٣) يوجد في ابن واصل (قس المرجع ، ص ٣٨٦ أ — ب)قرة طويلة في تاريخ أعمال بدر الدين لؤلؤ . انظر أيضا (قس المرجع ، ص ٣٩١ أ — ب) ، حيث توجد له ترجمة قصيرة .



سنة ثمان ومعين وسبعمائة . في المحرم نزل هولاكو على مدينة حلب^(١) ، وراسل متولياها الملك المعظم تورانشاه بن الملك الناصر يوسف ، على أن يسلمه البلد ويؤمنه ورجعته ، فلم يجبه [إلى طلبه] وأبى إلا محاربتة . فحصرها التار سبعة أيام وأخذوها بالسيف ، وقتلوا خلقا كثيرا وأسروا النساء والذرية ونهبوا الأموال مدة خمسة أيام ، استباحوا فيها دماء الخلق حتى امتلأت الطرقات من القتل . وصارت عساكر التتر تمتشي على جيف من قُتل ، فيقال (١٠٧ ب) إنه أسر منها زيادة على مائة ألف من النساء والصبيان . وامتنت قلعة حلب ، فنازلها [هولاكو] حتى أخذها في عاشر صفر ، وخربها وخرّب جميع سور البلد وجوامعها ومساجدها وبساتينها ، حتى عادت موحشة . وخرج اليه الملك المعظم توارن شاه ابن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب ، فلم يعترضه بسوء لكبر سنه ، فمات بعد أيام^(٢) . ووجد [هولاكو] من البحرية قسمة أنفس في حبس الملك الناصر ، فأطلقهم وأكرهم : ١٠

(١) يوجد فوق هذا القلعة عبارة " في ثالث صفر " ، ولما كان من المعروف ، حسبما جاء في ابن واصل (نفس المربع ، ص ٣٩٥ أ - ب) ، أن هولاكو نزل على نواحي حلب مثل جبرين والملاح في المحرم ، وأنه لم يزحف على مدينة حلب قسما حتى ثاني صفر ، وذلك بعد رجوع رسوله من عند صاحبها الملك المعظم ، (انظر الحاشية التالية) ، فيظهر أن المقرئ كتب العبارة المشار إليها لجهل الاختصار .

(٢) أضيف ما بين القوسين بعد مراعاة ابن واصل (نفس المربع ، ص ٣٩٤ ب) . وكان مضمون الرسالة إلى الملك المعظم نائب حلب : " إن هولاكو يقول لكم إنكم تضحفون عن لقاء المنسل ، وما لكم قدرة بهم ، ونحن نقصد الملك الناصر ومن معه من الساكر . فتجلبون لنا عدكم شحنة بالقلعة وشحنة بالديسة ، ونتوجه نحن إلى الملك الناصر . فان كانت الكسرة علينا فالأمر اليكم ، إن شئتم أجبتكم على الشحتين وطردتموهما عنكم ، وإن شئتم قتلوهما . وإن كانت النصر لنا ، فحلب وبغدادا وتكونون آمنين على أنفسكم . فلما أدى الرسول الرسالة على (كذا) الملك المعظم ، قال الملك المعظم نحن لا ننجيب (في الأصل نجيب) إلى هذا أبدا ، وما يتنازع به إلا السيف . فانصرف الرسول متعجبا من هذا الجواب وتأسا ، لما يعلم أن من هذا الجواب يكون وبال له (كذا) على أهل حلب والمسلمين . ولما بلغ هولاكو ما أجاب به الملك المعظم ، ركب في جفائله وعساكره الكبيرة ورجل إلى حلب ، وأحاط بها ثاني صفر من هذه السنة " .

(٣) لا يوجد في نسخة ابن واصل المتداولة هنا (نفس المربع ، ص ٣٩٤ ب - ٣٩٥ أ) ، سوى أول أخبار هذا الحصار ، وذلك لبقاء الصفحات التي بها بقية أخبار تلك السنة ، وجزء من أخبار السنة التالية أيضا .

منهم سنقر الأشقر، وسيف الدين سكر، وسيف الدين براق، وبدر الدين بكش المسعودي، ولاجين الجمدار الصالحى، وكندغلى الصغير^(١).

فلما وصل الخبر إلى دمشق بأخذ قلعة حلب اضطربت أهلها، وكان الملك الناصر قد صادر الناس، واستخدم لقتال التتر، فاجتمع معه ما يناهز مائة ألف ما بين عرب وعجم. فتمزق حينئذ الناس، وزهدوا في أمتعتهم وباعوها بأجنس الأثمان، ونرجوا على وجوههم. ورحل الملك الناصر عن برزة، يوم الجمعة متصفاً صقراً، بمن بقي معه يريد غزة، وترك دمشق خالية، وبها عاتتها قد أحاطت بالأسوار، وبلغت أجرة الجبل سبعمائة درهم فضة، وكان الوقت شتاء. فلم يثبت الناس عند خروج الناصر، ووقعت فيهم الجفلات حتى كان القيامة قامت، وكانت مدة مملكة الناصر بحلب ودمشق ثلاثاً وعشرين سنة وسبعة أشهر، منها مدة مملكة لدمشق عشرين تنقص خمسين يوماً.

ولحق الملك الأشرف موسى بن المنصور صاحب حصن هولوكو، وسار الملك المنصور ابن المنظر صاحب حماة إلى مصر بجرعه وأولاده، وجعل أهل حصن حماة.

وسار هولوكو إلى دمشق، بعد أخذ حلب بستة عشر يوماً، فقام الأمير زين الدين سليمان بن المؤيد على بن عامر العُقْرَاقَى المعروف بالزين الحافظي، وأغلق أبواب دمشق،

(١) كذا في س، وقد ترجم (Quatremère: Op. Cit. I. I. p. 90.) هذا الاسم إلى (Kidgadi).

(٢) في س "بلغ".

(٣) فهم على ما، ومن (Enc. Isl. Art. Hulagu; D'Ohsson: Op. Cit. III. p. 323)، أن

هولوكو لم يزحف بنحسه على دمشق.

(٤) غير ضبط في س، ويرجع بين صفحتي ١٠٧ ب - ١٠٨ | حاش على ورقة مفصلة، فيه تعريف بهذا الأمير وتوضيح لنسبه إلى عقرباء، التي هي إحدى قرى دمشق. انظر (ياقوت: معجم البلدان، ج ٣، ص ٦٩٥). وهذا نص الحاشي مصححاً: "سليمان بن علي بن عامر الأمير زين الدين بن المؤيد المعروف بالزين الحافظي، وكان أبوه خطيب قهريا (كذا) من قرى دمشق، واشتغل هو بالطلب حتى مهر فيه، وخدم به الملك الحافظ نور الدين أرسلان شاه ابن [العاذل] أبي بكر بن أيوب صاحب جبيل، فخلقه في دولته (في الأصل خلوه في دولته) وداخل أولاده. ثم انتقل إلى خدمة الملك الناصر يوسف بحلب، فصارت له عنده يد ورضة، وكثرت أمواله وسار مكينا في دولته، ويرسله إلى هولوكو. فانزعج (في الأصل فازعج) التتار وأطمعهم في البلاد، وعاد فتهول بهم على الناصر حتى هرب. فقام بأمر دمشق للتتار، ودعوه بالملك زين الدين وسار معهم خوفاً من الملك المنظر فخر، فقتله وقتل أولاده".

و جمع من بقي بها وقرر معهم تسليم المدينة الى هولاء كو . قسلسها منه نغر الدين المردغاني،^(١)
وابن صاحب أرزن، والشريف على - وكان هؤلاء قد بحث بهم هولاء كو الى الملك الناصر
وهو على برزة . فكتبوا بذلك الى هولاء كو ، فسير طائفة من التترواوصاهم بأهل دمشق ،
ونهاهم أن يأخذوا لأحد دهما فما فوقه .

فلما كان ليلة الاثنين تاسع عشر صفر، وصل رسل هولاء كو محبة القاضي محي الدين
ابن الزكي، - وكان قد توجه من دمشق الى هولاء كو بحلب، فخلع عليه وولاه قضاء الشام،
وسيره الى دمشق ومعه الوالي . فسكن الناس، وجمعوا من الفد بالجامع، فليس ابن الزكي
خلعة هولاء كو ، وجمع الفقهاء وغيرهم وقرا عليهم تقليد هولاء كو . وقُرئت فرمانات هولاء كو
بأمان أهل دمشق، فكثرت (١١٠٨) اضطراب الناس واشتد خوفهم .

وفي سادس عشر شهر ربيع الأول وصل نواب هولاء كو ، في جمع من التترو محبة كتبنا^(٢)
نوين،^(٣) فقرأ فرمان بالأمان . وورد فرمان على القاضي كمال الدين عمر التفليسي، نائب
الحكم عن قاضي القضاة صدر الدين أحمد بن سني الدولة، بأن يكون قاضي القضاة بمدائن
الشام والموصل وماردين وميافارقين ، وفيه تفويض نظر الأوقاف اليه من جامع وغيره،
فقرأ بالميدان الأخضر .

(١) في س " المردغاني " ، وقد ترجم (Quatremère ; Op. cit. I. I. p. 97) بهذا الاسم الى
(Merdegai) .

(٢) في س " كتبنا " بنبر ضبط . انظر (Zetterstéen : Op. Cit. P. 83.) ، ويرد اسم هذا القائد ،
وهو صبر هولاء كو ، على صبح مخففة مثل كتيرغا وكتيرغا وكينروفا وكينروفا . انظر (Quatremère : Op. Cit. I. I. p. 97. N. 129)

(٣) بنبر ضبط في س ، وهو فقط فارسي ، كثير الورد في (D'Ohason : Op. cit.) مقرونا باسماء افراد
الفرز، وسماه مقدم ألف ، وهو حسبنا جاء بالفتقشني (صبح الأضيء ج ٦ ص ٢٣) "من ألقاب كفال الحساك
بالساك الثانية، كتاب السلطة وأمراء الألووس والوزير ونحوهم" ، ... والتوحي نسبة اليه بالانفة ... وهو
بمناة الكافلي في ألقاب التراب ... " راجع أيضا (Richardson : Dict. Ar. Pers. Eng.)

وغارت جمائع التتر على بلاد الشام، حتى وصلت إلى أطراف بلاد غزنة وبيت جبريل والتليل وبركة زيزاء والصلت، فقتلوا وسبوا وأخذوا ما قدروا عليه، وعادوا إلى دمشق فباعوا بها المواشي وغيرها.

- واستطال النصارى بدمشق على المسلمين، وأحضروا فرمانا من هولاء كوا للاعتناء بأمرهم وإقامة دينهم: فظاهروا بالخرق في نهار رمضان، ورشوه على ثياب المسلمين في الطرقات، وصبوه على أبواب المساجد. وألزموا أرباب الحوانيت بالقيام إذا مروا بالصلب عليهم، وأهانوا من امتنع من القيام للصلب، وصاروا يرون به في الشوارع إلى كنيسة مريم^(٢٢)، ويقفون به ويمشطون في الثناء على دينهم، وقالوا جهرا "ظهر الدين الصحيح دين المسيح". ففلق المسلمون من ذلك، وشكوا أمرهم لثائب هولاء كو [وهو كتبنا]^(٢٣)، فأهانهم وضرب بعضهم، وعظم قدر قسوس النصارى، ونزل إلى كائنهم وأقام شعارهم. وجمع الزين الحافظي من الناس أموالا جزيلة، واشترى بها ثيابا وقطعا لكتبنا ثائب هولاء كو، وليدرا وسائر الأمراء والمقدمين من التتر، وواصل حمل الضيقات اليهم في كل يوم. ثم خرج كتبنا وبيدرا إلى صرح برغوث.

- ووصل الملك الأشرف صاحب حمص من عند هولاء كو، ويده مرسوم أن يكون نائب السلطنة بدمشق والشام. فامتثل ذلك كتبنا، وصارت الدواوين وغيرها تخضر إلى

(١) في س "يمروا".
(٢) كانت تلك الكنيسة تابعة للطوائف اليونانية المسيحية، ولا يبدلها عنهم سوى كنيسة القباية بيت المقدس.
(Le Strange: Palest. Under Moslems, pp. 254, 264).

(٣) في س "الرب"، وهو في ب (١٣١ ب) كما يلقن هنا.

(٤) انظر ما على، سطر ١١.

(٥) كان كتبنا، قلا من (D'Ohsan: Op. Cit. III. P. 325. N. 1.)، من ناحية تربة اعتقت الدين المسيحي منذ قرون.

(٦) مضبوط على منطوقه في (Quatremère: Op. Cit I. l. p. 99).

(٧) بنير ضبط في س، وهو على ساحة يوم من دمشق. (أبو شامة: كتاب الراضين، ص ٣٨٤، ٤٩٥، (Rec. Hist. Or. IV. في

(٨) في س "إليه".

[الأشرف] . ثم بعد أيام ثار الأمير بدر الدين محمد بن قرقجاه^(١) والى قلعة دمشق ، هو والأمير جمال الدين بن الصيرفي ، وأغلقت أبوابها . فحضر كتبغا بن معه من عساكر التار ، وحاصروا القلعة في ليلة السادس من ربيع الآخر . فبعث الله مطرا وبردا ، مع ريح شديدة ورعود وبروق وزلزلة ، سقط منها عدة أماكن ، وبات الناس بين خوف أرضي وخوف سمائي . فلم يتألموا من القلعة شيئا ، واستمر الحصار عليها (١٠٨ ب) بالمجانيق — وكانت تريد على عشرين متجنيقا — إلى ثاني عشر جمادى الأولى . [عند ذلك] اشتد الزلزال ، ونحرب من القلعة مواضع ، فطلب من فيها الأمان . ودخلها التتر فبهوا سائر ما كان فيها ، وحرقوا مواضع كثيرة ، وهدموا من أبراجها عدة ، وألقوا سائر ما كان فيها من الآلات والعدد . وساروا إلى بلبك لغربوا قلعتها ، وسارت طائفة منهم إلى غزوة ، ونحربوا بانياس وأسعروا البلاد حربا وملاوها قتل ونهباً . ١٠

وفي يوم السبت ثاني عشر شهر ربيع الأول قدم الأمير ركن الدين بيبرس البندقداري إلى القاهرة ، فركب الملك المظفر قطز إلى لقائه ، وأتته في دار الوزارة بالقاهرة ، وأقطعته قصبة قلوب الخاصة .

وفيها ملك هولاءكو ماردن ، وقتل أمراءها ونحرب أسوار قلعتها . وفيها وصل الملك الناصر إلى قطيا ، فخافه قطز وبرز بالسكر إلى الصالحية . ففارق الناصر عدة من أمرائه ومن الشهرزورية ، ولحقوا بقطز وأقاموا ببليس : منهم حسام الدين طرنتاي ، وبدر الدين طيدمر الأخوت ، وبدر الدين أيدمر النوادر ، وإيد غدي الحاجي . فعاد الناصر من قطيا ، وقد تمزق ملكه وتفرق الناس عنه ، فتزل البقاء . ١٥

ورجع قطز إلى قلعة الجبل ، وقبض على الأمير جمال الدين موسى بن يمنور ، واعتقله بقاعة الجبل . وصادر كل من وصل إليه من غلمان الملك الناصر وكتابه وأخذ أموالهم ، وأزم زوجه الملك الناصر بإحضار ما عندها من الجواهر ، فأخذ منها جوهرها كثيرا ، وأخذ من ٢٠

(١) مضبوط على منطوقه في (Quatremère : Op. Cit I. I. p. 99) .

نساء الأمراء القيمرية أموالا جمة، وعاقب بعضهم . وأما الملك الناصر، فإن شخصا من غلمانه — يعرف بحسين الكردي الطبردار^(١) — قبض عليه وعلى ولده الملك العزيز، وعلى أخيه غازي، وإسماعيل بن شادي ومن معه، وبعث بهم إلى هولاءكو .

- وفيهما رحل هولاءكو عن حلب يريد الرجوع إلى الشرق، وجعل كتبنا نوين نائباً عنه بحلب، وبيدرا نائباً بدمشق . وأخذ [هولاءكو] معه من البحرية سبعة : منهم سقتر الأشقر، وسكر، وبرامق، وبكش المسعودي .

- وفيهما وصلت رسل هولاءكو إلى مصر بكتاب نصه : "من ملك الملوك شرقا وغربا، القان الأعظم . باسمك اللهم باسط الأرض ورافع السماء . يعلم الملك المظفر قطز، الذي هو من جنس المساليك الذين هربوا من سيوفنا إلى هذا الإقليم، يتعمون^(٢) بأصامه، ويقتلون^(٣) من كان بسطاطانه بعد ذلك . يعلم الملك المظفر قطز، وسائر أمراء دولته وأهل مملكته، بالديار المصرية وما حولها من الأعمال، أنا نحن جند الله في (١١٠٩) أرضه، خلقنا من مخطئه،

(١) ينبر ضبط في م، والطبردار هو الذي يحمل طبر — أي فأس — السلطان، عند ركوبه في المواكب وغيرها؛ وأمر طبر هو الذي يتحدث على الطبردراية الذين يحملون الأظفار . (الفقشندی : صبح الأمشي، ج ٥، ص ٤٥٨، ٤٦٢) . انظر أيضا (Quatremère: Op. Cit. I. 1. p. 100. N. 131)، حيث توجد معلومات أدنى عن أصحاب تلك الوظيفة .

(٢) سبب رجوع هولاءكو إلى الشرق — والمقصود بذلك بلاد فارس — أن أخبارا وصلت إليه ب وفاة أخيه متوكخان الخاند الأعظم على جميع التتر، سنة ٥٦٥٥هـ . وكان هناك أخ ثالث اسمه غويلاي، وكان واليا على الصين من قبل أخيه، وهو الذي خلف متوكخان على جميع بلاد التتر، بعد أن تغلب على الطاميين في الملك من أبناء بيت جنجركخان، سنة ٥٦٥٩هـ (١٢٦٠م) . وقد حكم غويلاي حتى سنة ٥٦٩٣هـ (١٢٩٤م)، واستولى في أثناء حكمه على البقية الباقية من بلاد الصين، وقتل حاشمة التتر من قراقورم (Karakorum) إلى خان باقي (Khan Balik)، وهي بكين الحالية . وانضمت دولة غويلاي من ذلك الوقت بصيغة صينية من دون سائر دول التتر، وعرفت الأمرة الحاكمة بها باسم (Yuen Dynasty) انظر (Ene-Isl. Art. Kubilai; Lane-Poole: Muh. Dyns. pp. 212-512) .

(٣) هنا إشارة مهمة إلى أصل قطز، وقد تقدم القول (ص ٤١٧، حاشية ٢) بأنه كان من الخوارزمية .

(٤) في م "نعموا" .

(٥) في م "قلوا" .

وسلطنا على من حل به غضبه . فلکم بجميع البلاد معتبر ، وعن عزمتنا مزديجر ، فامتظوا بغيركم ،
 وأسلموا اليها أمركم ، قبل أن يتكشف الغطاء ، فتندموا ويعود عليكم الخطأ . فنحن ما نرحم
 من بكي ، ولا نرق لمن شكى . وقد سمعتم أننا قد فتحنا البلاد ، وطهرنا الأرض من الفساد ،
 وقتلنا معظم العباد . فعليكم بالهرب ، وعلينا الطلب . فأى أرض تأويكم ، وأى طريق نجيكم ،
 وأى بلاد تنجيكم ؟ فإلكم من سيوفنا خلاص ، ولا من مهايقنا مناص . نفيولنا سوابق ،
 وسهامنا خوارق ، وسيوفنا صواعق ، وقلوبنا كالجلجال ، وعدتنا كالزمال . فالحصون لدينا
 لا تمنع ، والساكر لقتالنا لا تنفع ، ودعاؤكم علينا لا يسمع . فإنكم أكتم الحرام ، ولا تفون^(١)
 عند كلام ، وختم اليهود والأيمان ، وفشا فيكم العقوق والعصيان . فابشروا بالملذة والموان ،
 قَالِيمٌ يُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ .
 وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ . فن طلب حربنا ندم ، ومن قصد أماننا سلم . فإن
 أتم شرطنا ولأمرنا أطعم ، فلکم مالنا وعليكم ما علينا ؛ وإن خالفتم هلكتم ، فلا تهلكوا نفوسكم
 بأيديكم . فقد حذر من أنذر ، وقد ثبت عندكم أن نحن الكفرة ، وقد ثبت عندنا أنكم
 الفجرة ، وقد سلطنا عليكم من له الأمور المقسرة والأحكام المدبرة . فكثيركم عندنا قليل ،
 وعزيزكم عندنا ذليل ، وبشر الأهنة بالملوكم عندنا سبيل . فلا تظيلوا الخطاب ، وأسرعوا
 برد الجواب ، قبل أن تضرم الحرب نارها ، وترى نحومكم شرارها ، فلا تجسدون منا جاها
 ولا عزاً ، ولا كافياً ولا حرزاً ، وتلهون منا بأعظم داهية ، وتصيح بلادكم منكم خالية . فقد
 أنصفناكم إذ راسلناكم ، وأيقظناكم إذ حذرناكم ، فإبقى لنا مقصد سواكم . والسلام علينا
 وعليكم ، وعلى من أطاع الهدى ، وخشى عواقب الردى ، وأطاع الملك الأعلى .
 ألا قل لمصرها هلاون قد أتى بحد سيوف تختضى وبواتر

(١) في ص "مفروا" .

(٢) كما في ص بنير ضبط ، وهي صيغة لاسم هولاء ، ترد كثيرا في كتب المؤرخين المعاصرين . انظر
 (Quatremère : Op. Cit. I. I. p. 102. N. 132) ، وقد ضبطت تلك الصيغة على منطوقها في هذا المربع .
 انظر أيضا ابن أبي الفضائل (كتاب النجديد ، ص ٧٢ ، حاشية ٧) .

يصير أمر القوم منها أنفذ ويحقق أطفالا لهم بالأكاب

- لجمع قتل الأمراء، وانفقوا على قتل الرسل والمسير إلى الصالحية: فقبض (١٠٩ ب) على الرسل واعتقلوا، وشرع في تخليف من تخيره من الأمراء، وأمر بالمسير، والأمراء غير راضين بالخروج كراهة في لقاء التتر. فلما كان يوم الاثنين خامس عشر شعبان، خرج الملك المظفر قطز بجميع عسكر مصر، ومن انضم إليه من عساكر الشام ومن العرب والتركمان وغيرهم، من قلعة الجبل يريد الصالحية.

- وفيه أحضر [قطز] رسل التتر، وكانوا أربعة: فوسط واحدا بسوق الخيل تحت قلعة الجبل، ووسط آخر بظاهر باب زويلة، ووسط الثالث ظاهر باب النصر، ووسط الرابع بالريمانية. وعلقت رءوسهم على باب زويلة، وهذه الرءوس أول رءوس علقت على باب زويلة من التتار. وأبقى الملك المظفر على صبي من الرسل، وجعله من جملة مماليكه.
- ونودى في القاهرة ومصر، وسائر إقليم مصر، بالخروج إلى الجهاد في سبيل الله، ونصرة لدين رسول الله صلى الله عليه وسلم. وتقدم [الملك المظفر] لسائر الولاة بإزعاج الأجناد في الخروج للسفر، ومن وجد منهم قد اختفى يضرب بالمقارع. وسار حتى نزل بالصالحية وتكامل عنده العسكر، فطلب الأمراء وتكلم معهم في الرحيل، فأبوا كلهم عليه وامتنعوا من الرحيل. فقال لهم: "يا أمراء المسلمين! لكم زمان تأكلون أموال بيت المال، وأنتم للزناة كارهون، وأنا متوجه فن اختار الجهاد يصحبنى، ومن لم يهتد ذلك يرجع إلى بيته.
- فإن الله مطلع عليه، وخطيئة حريم المسلمين في رقاب التاترين". فحكم الأمراء الذين تخيرهم وحققهم في موافقته على المسير، فلم يسع البقية إلا الموافقة؛ وانفض الجمع.

- فلما كان في الليل ركب السلطان، وحرك كوساته وقال: "أنا ألقى التتار بنفسي"، فلما رأى الأمراء مسير السلطان ساروا على كره. وأمر [الملك قطز] الأمير ركن الدين بيبرس

(١) في س "أكلوا". (٢) في س "عنا".

(٣) في س "هنا".

البندقدارى أن يتقدم في عسكر ليعرف أخبار التتر ، فسار [بيرس] إلى غزنة وبها جموع التتر ، فرجلوا عند نزوله ، وملك [هو] غزنة .

ثم نزل السلطان بالعساكر إلى غزنة وأقام بها يوما ، ثم رحل من طريق الساحل على مدينة عكا وبها يومئذ الفرنج ، فخرجوا إليه بتقدم وأرادوا أن يسيروا معه نجدة . فسكرهم وأخلع عليهم ، واستحلفهم أن يكونوا لاله ولا عليه ، وأقسم لهم أنه متى تبعه منهم فارس أو راجل يريد أذى عسكر المسلمين رجع وقايلهم قبل أن يلقى التتر .

وأمر [الملك قطز] (١١١٠) بالأمراء بجمعوا ، وحضهم على قتال التتر ، وذبحهم بما وقع بأهل الأقاليم من القتل والسبي والحرق ، وخوفهم وقوع مثل ذلك ، وحثهم على استنقاذ الشام من التتر ونصرة الإسلام والمسلمين ، وحذرهم عقوبة الله . فخرجوا بالبكاء ، وتحالفوا على الاجتهاد في قتال التتر ودفعهم عن البلاد . فأمر [السلطان] حينئذ أن يسير الأمير [ركن الدين] بيرس [البندقدارى] بقطعة^(١) من العسكر ، فسار حتى لقي طليعة التتر . فكتب إلى السلطان يبلّغه بذلك ، وأخذ في مناوشتهم ، فتارة يقدم وتارة يرجع ، إلى أن أفا^(٢)ه السلطان على عين جالوت^(٣) .

وكان كتبغا وبيدرا نائباً هولأكو^(٤) ، لما بلغهما سير العساكر [المصرية] ، جمعا من تفرق من التتر في بلاد الشام ، وسارا يريدان محاربة المسلمين ، فالتقت طليعة عسكر المسلمين بطليعة التتر وكسرتا . فلما كان يوم الجمعة خامس عشرى شهر رمضان التقى الجمعان ، وقي قلوب المسلمين وهم عظيم من التتر ، وذلك بعد طلوع الشمس . وقد امتلأ الوادى ، وكثر صياح

(١) ترميم (Quatromère: Op. Cit. I. 1. p. 104) هذا القبط لك (un corps de troupes) ولم يزد (Dozy: Suppl. Dict. Ar.) على هذا كثيرا ، إذ ترجمه إلى (corps d'infanterie, de cavalerie) .
(٢) في "وفاة" .

(٣) بنير ضبط في س ، واسمها في ياقوت (معجم البلدان ، ج ٣ ، ص ٧٦٠) عين الجالوت ، وهى بلدة بين بيسان ونابلس من أعمال فلسطين .

(٤) في س "قواب" . (ه) في س "ساردا يريدون" .

- أهل القرى من الفلاحين، وتناح ضرب كوسات السلطان والأمراء؛ فتحيز التتر إلى الجبل. فعند ما اصطدم المسكران اضطرب جناح عسكر السلطان وانتقض طرف منه، فألقى الملك المظفر عند ذلك خوذته عن رأسه إلى الأرض، وصرخ بأعلى صوته: "وا إسلاماه!"، وحمل بنفسه وبمن معه حملة صادقة، فأيده الله بنصره. وقُتل كتبغا مقدم التتر، وقُتل بعده الملك السعيد حسن بن العزيز - وكان مع التتر - وانهزم باقيهم، ومنح الله ظهورهم المسلمين يقتلون ويأسرون، وأبلى الأمير بيبرس أيضا بلاء حسنا بين يدي السلطان.

- وما انفق في هذه الواقعة، أن الصبي الذي أبغاه السلطان من رسل التتر وأضافه إلى ممالكه، كان راكبا وراءه حال اللقاء. فلما التحم القتال فوق سهمه نحو السلطان، فبصر به بعض من كان حوله فأَمْسَكَ وقُتل مكانه. وقيل بل رمى [الصبي] السلطان بسهمه فلم يخطئ فرسه وصرعه إلى الأرض، وصار السلطان على قدميه، فقتل إليه نفر الدين ماما وأركبه فرسه، حتى حضرت الجناز فركب نفر الدين منها.

- ومر العسكر في أثر التتر إلى قرب بيسان، فرجع التتر وصابوا مصابفا ثانيا أعظم من الأول، فهزمهم الله وقتل أكابرهم وعدة منهم. وكان قد تزلزل المسلمون زلزالا شديدا، فصرخ السلطان صرخة عظيمة، سمعه معظم العسكر وهو يقول: "وا إسلاماه!" ثلاث مرات، "يا الله! انصر عبدك قطعز على التار". فلما انكسر التار الكمرة الثانية، نزل السلطان عن فرسه وصرخ وجهه على الأرض وقبلها، وصلى ركعتين شكرا لله تعالى ثم ركب، فأقبل العسكر وقد امتلأت أيديهم بالمغانم.

(١) في س "واسلاماه".

(٢) في س "محط".

(٣) الجناز جمع جنب، وهي الخيول التي كانت تسير وراء السلطان في الحروب لاحتياج إليها، وقد ترجم (Quatremère: Op. Cit. I. l. p. 106.) هنا القبط إلى (des chevaux de main). انظر أيضا محيط المحيط؛ و (Dozy: Supp. Dict. Ar.)

(٤) في س "واسلاماه".

فورد الخبر بانتهزام التتر إلى دمشق ليلة الأحد سابع عشره ، وحملت رأس كتبنا مقدم التار إلى القاهرة ، فقرأ الزين الحافظي ووزاب التار من دمشق ، وتجمع أصحابهم . فامتدت (١١٠ ب) أيدي أهل الضياع إليهم ونهبوهم ، فكانت مدة استيلاء التتر على دمشق سبعة أشهر وعشرة أيام .

وفي يوم الأحد المذكور نزل السلطان على طبرية ، وكتب إلى دمشق يشتر الناس بفتح الله له وخذلانه التتر ، وهو أول كتاب ورد منه إلى دمشق . فلما ورد الكتاب سر الناس به سرورا كثيرا ، وبادروا إلى دور النصارى فنهبوا وأخربوا ما قدروا على تخريبه ، وهدموا كنيسة اليماقبة وكنيسة مريم وأحرقوها حتى بقيتا كوما ، وقتلوا عدة من النصارى ، واستمر باقهم . وذلك أنهم في مدة استيلاء التتر هموا صرارا بالثورة على المسلمين ، ونحروا مساجد ومآذن^(١) كانت يجوار كأشهم ، وأعلنوا بضرب الناقوس وركبوا بالصليب ، وشربوا الخمر في الطرقات ورشوه على المسلمين .

وفي ثامن عشره نهب المسلمون اليهود بدمشق حتى لم يتركوا لهم شيئا ، وأصبحت حوانيتهم بالأسواق دكا ، فقام طائفة من الأجناد حتى كفوا الناس عن حريق كأشهم ويوتهم . وفيه نار أهل دمشق بجماعة من المسلمين كانوا من أعوان التار وقتلوهم ، ونحروا النور المجاورة للكنائس ، وقتلوا جماعة من المُل ، فكان أمرا مهولا .

وفي تاسع عشره وصل بركة النهار الأمير جمال الدين الحمدي الصالحى بمرسوم الملك المظفر قطز ، فتل بدار السعادة ، وأمن الناس ووطنهم .

وفي يوم الأربعاء آخر شهر رمضان وصل الملك المظفر بمساكره إلى ظاهر دمشق ، فغم هناك وأقام إلى ثاني شوال ، فدخل إلى دمشق ونزل بالقلمة . ووجد الأمير ركن الدين بيبرس إلى حمص ، فقتل من التتر وأسركثيرا ، وعاد إلى دمشق .

(١) في س " لم يبقوا حتى قيب " .

(٢) في س " مآذن " .

- واستولى الملك المظفر على سائر بلاد الشام كلها من الفرات إلى حد مصر ، وأقطع
الأمراء الصالحية والمعزية وأصحابه إقطاعات الشام ، واستتاب الأمير علم الدين سنجر الحلبي
في دمشق ، ومعه الأمير مجير الدين أبو الهيثم بن عيسى بن خشر الأركشي الكردي . وبعث
[إليه] الملك الأشرف موسى - صاحب حصص ، ونائب هولاء بلاد الشام - يطلب
الأماني فأمته . وبعث [السلطان أيضا] بالملك المظفر علاء الدين علي بن بدر الدين ثولث
صاحب سنجار إلى حلب نائبها ، وأقطع أعمالها بمناشير . وأقر الملك المنصور على حاة
وبارين ، وأعاد عليه المعرة - وكانت بيد الحلبيين من سنة خمس وثلاثين وستمائة ؛
وأخذ سلمية منه وأعطاه الأمير شرف الدين عيسى بن مهنا بن مانع أمير العرب . ورب
الأمير شمس الدين أقوش البرلي العزيزي أميرا بالساحل وغزة ، ومعه عدة من العزيزية -
وكان قد فارق الناصر يوسف وسار إلى القاهرة فأكرمه السلطان ، ونرج معه فشهد وقعة عين
جالوت . وأمر بشق حسين الكردي الطبردار ، فشق من أجل أنه دل على الملك الناصر .
(١١١) (١) وثار عدة من الأوثاقية مماليك السلطان بالنصارى ونهبوا دورهم ، [وكان]
معهم عدة من عوام دمشق ، فشق منهم نحو الثلاثين نفسا . وأمر [السلطان] أن يقرر على
نصارى دمشق مائة وخمسون ألف درهم ، بجمعوها وحملت إلى السلطان ، بسفارة الأمير
فارس الدين أقطاي المستعرب أتابك العسكر .

(١) كذا في س ، ويرجى في أبي شامة (كتاب الروميين ، ص ١٧٦ ، في Rec. Hist. Or. V) أمير
اسمه ابن عشرين الأركشي ، وقد توفي بمران سنة ٦١٦ هـ .

(٢) بغير ضبط في س ، ونقظ البرلي بحرف من الكلمة التركية برتول ، ومعناها ذو الألف الكبير . (أبو القدا :
المختصر في أخبار البشر ، ص ١٤٤ ، ١٤٦ ، ١٤٨ ، في Rec. Hist. Or. I.) - انظر أيضا ص ٧٦٩
في نفس المجلد .

(٣) بغير ضبط في س ، والواحد أرشاني - ويقال أوجاني أيضا - وهو الذي يتولى ركوب الخيل لتسير
والرباضة . (الفتشني : صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ٤٥٤) .

(٤) لعل السير هنا مأخوذ عن النصارى ، انظر (Quatremère: Op. Cit. I. I. p. 108) .

(٥) في س "تحيين" .

وأما التت فإنهم لما خلفهم الطلب إلى أرض حمص، ألفوا ما كان معهم من متاع وغيره وأطلقوا الأسرى، وعرجوا نحو طريق الساحل . فتخطف المسلمون منهم وقتلوا خلقا كثيرا، وأسرُوا أكثر . فلما بلغ هولاكو كسرة عسكره وقتل نائبه كتبغا عظم عليه، فإنه لم يكسر له عسكر قبل ذلك، ورحل من يومه .

وكان [هولاكو] لما قدم عليه الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن الملك العزيز صاحب الشام أكرمه وأجرى له راتبا، واختص به وأجلسه على كرسي قريبا منه، وشرب معه . ثم كتب له فرمانا^(١) وقلده مملكتي الشام ومصر، وأخلع عليه وأعطاه خيولا كثيرة^(٢) وأموالا، وميَّره إلى جهة الشام . فأمر [هولاكو] لما ورد عليه خبر الكسرة برده، فأحضر وقتل يمينال^(٣) سلماس في ثامن عشر شوال، وقتل معه أخوه الملك الظاهر غازي، والملك الصالح ابن شريكوه، وعدة من أولاد الملوك . وشغعت طغز خاتون زوجة هولاكو في الملك العزيز ابن الناصر، فلم يسلم من القتل غيره، ورجع هولاكو إلى بلاده .

وتراجع الناس إلى دمشق، وصارت الأسعار بها غالية جدا لقلة الأقوات . وعدمت الفلوس فيها، وتضرر الناس في المعاملة بسبب الدراهم، وعز كل ما كان قد هان .

فلما رتب السلطان أحوال الثواب والولاء والشادين ببلاد الشام، خرج من دمشق يوم الثلاثاء سادس عشر شوال يريد مصر بعد ما كان قد عزم على السير إلى حلب، ففتناه عن ذلك ما بلغه من تنكر الأمير بيبرس وتغيره عليه، وأنه قد عزم على القيام بحاربه : وسبب ذلك أن^(٤) [الأمير بيبرس] سأل السلطان أن يوليّه نيابة حلب، فلم يرض فتنكر عليه،

(١) في س " فرمان " .

(٢) في س " كثيرا " .

(٣) جبر ضبط في س، ولسا س مدينة في آذربيجان، بينها وبين أرمية يومان، وبينها وبين تبريز ثلاثة أيام . (ياقوت : معجم البلدان، ج ٤، ص ١٢٠) .

(٤) مضبوط على منقوطة في (Quatremère: Op. Cit. I. I. P. 109) .

(٥) في س " له " .

(٦) كان قنزلند أعطى قبل ذلك نيابة حلب إلى علاء الدين بن بدر الدين لؤلؤ . انظر ص ٤٣٣، سطر ٥ .

ليقتل الله أمرا كان مفعولا . نخافه [السلطان] وأضمر له السوء، وسار إلى جهة مصر .
 وبلغ ذلك ببيرس، فاحترس كل منها من الآخر، وعمل في القبض عليه . وحلّت بيرس
 جماعة من الأمراء في قتل السلطان : منهم الأمير سيف الدين بلان الرشيدى ، والأمير
 سيف الدين بهادر المعزى ، والأمير بدر الدين بكتوت الجوكندار المعزى ، والأمير بيدغان
 الزكى ، والأمير بلان المارونى ، والأمير (١١١ ب) بدر الدين أنس الأصهبانى .

فلم يزل السلطان سائرا إلى أن خرج من النصارى وقارب الصالحية ، فانحرف^(٢) في مسيره
 عن الدرب للصيد ومعه الأمراء . فلما فرغ من صيده وعاد يريد الدهليز السلطاني، طلب
 منه الأمير بيبرس امرأة من سبي التتر، فأنعم بها عليه . فأخذ [بيبرس] يد السلطان ليقبلها ،
 وكانت إشارة بينه وبين الأمراء : فبدره الأمير بدر الدين بكتوت بالسيف [و] ضرب
 به عاتقه، واختطفه الأمير أنس وألقاه عن فرسه، ورماه الأمير بهادر المعزى بسهم أتى على
 روحه؛ وذلك يوم السبت خامس عشر ذى القعدة، ودفن بالقصر، فكانت مدة ملكه أحد
 عشر شهرا وسبعة عشر يوما .

وحل [قطز بعد ذلك] إلى القاهرة، فدفن بالقرب من زاوية الشيخ تقي الدين قبل
 أن تعمّر؛ ثم نقله الحاج قطز الظاهري إلى القرافة، ودفن قريبا من زاوية ابن عبود . ويقال
 إن اسمه محمود بن محمود، وإن أمه أخت السلطان جلال الدين خوارزم شاه، وإن أباه ابن
 عم السلطان جلال الدين؛ وإنما سبي عند غلبة التتار، فبيع بدمشق ثم انتقل إلى القاهرة .^(٤)

(١) بنير ضبط في س، والجوكندار — والعامة تقول بجكندار — هو الذى يحمل جوكان السلطان أثناء الكزة
 والصوالة التى تعرف الآن باسم (polo)؛ والجوكان المجهن الذى تضرب به الكزة، ويسمى بالصوالة أيضا .
 (الفتشدى، ص ٥٨، ج ٥، ص ٤٥٨) . وكانت الجوكان عصى مدبوبة طرفها نحو من أربعة أذرع،
 ورأسها خشبة مخروطية مغطاة تزيد عن نصف ذراع . انظر (Quatremère : Op. Cit. I. I. p. 122) .
 (٢) في س "انحرف" .

(٣) في س "بالقصر"، بنير ضبط، وهو يد بمصر بطريق الزبل، يته وبين الصالحية مرحلة . (أبو القداء:
 المختصر في أخبار البشر، ص ١٤٤، في (Rec. Hist. Or. I. I.)) .

(٤) على هذا في ب (١٣٥ - ب) وفيات، هي في الواقع تامة لسنة ٦٥٦ هـ، وقد وردت هناك في موضعها

الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقدارى

كان [بيبرس] تركى الجنس ، فاشتره الملك الصالح نجم الدين أيوب ، وترقى في خدمته واستفاد من أخلاقه . فلما مات [الملك الصالح] ، قام [بيبرس] في خدمة [ابنه] الملك المظفر [تورانشاه] إلى أن قُتل ، فلم يزل يترقى إلى أن قُتل الفارس أقطاي ، فخرج من القاهرة وتنقل في بلاد الشام . ثم عاد إلى مصر ، وخرج مع الملك المظفر قطز إلى قتال التتر . فلما قتل قطز ، سار الأمراء الذين قتلوه إلى الدهليز السلطاني [بالصالحية] ^(١٦) ، واتفقوا على سلطنة الأمير بيبرس . فقام الأمير أقطاي المستعرب الأتابك - وكان بالدهليز - وقال للأمراء عند حضورهم : "من قسله منكم ؟" فقال الأمير بيبرس : "أنا قتله" . فقال [الأمير أقطاي] : "يا خوند ! اجلس في مرتبة السلطنة مكانه" . بفلس [بيبرس] ، وبإيعازه [أقطاي] وحلف له ، ثم تلاه الأمير بلان الرشيدي ، والأمير بدر الدين يسرى ، والأمير سيف الدين قلاون ، والأمير بيليك الخازندار ، ثم بقية الأمراء على طبقاتهم .

وتلقب [بيبرس] بالملك القاهرة ، وذلك في يوم السبت سابع عشر ذى القعدة المذكور . فقال له الأمير أقطاي الأتابك : "لأتم السلطنة إلا بدخولك إلى قلعة الجبل" . فركب [بيبرس] لوقت ، ومعه الأمير أقطاي ، والأمير قلاون ، والأمير يسرى ، والأمير بلان ، والأمير بيليك ،

== المناسب ، وذلك حسبما جاء في س ، فضلا عن دلائل مادية (انظر ص ١٣٣ حاشية ١) ، ثبت وقوعها حيث أوردت . (ولا كان Quatremère : Op. Cit. I. 1. PP. 113-115) قد احتند في ترجمته على نسخة ب ، فانه انزق إلى غلطها ، وأثبت تلك الوفيات تحت هذه السنة التي لم تنته بعد .

(١) في س "خرج" .

(٢) أخيف ما بين القوسين بعد مراجعة أبي الفداء (المختصر في أخبار البشر ، ص ١٤٤ ، ١٤٥ ، في (Rec. Hist. Or. I. ١) .

(٣) في س "بيليك" ، بغير ضبط . ويتكرر ورود هذا الاسم ، بالصفحات التالية في س ، على ذلك الرسم الناقص أو ما يشبهه ، ويصلح فيما يلي إلى الصيغة المختصرة هنا بالتم ، من غير تعليق . انظر أيضا الفداء (المختصر في أخبار البشر ، ص ١٥٦ ، ١٥٩ ، في (Rec. Hist. Or. I. ١) .

هذا وقد دأب (Quatremère : Op. Cit. I. 1. p. 116, et seq.) على ترجمة هذا الاسم إلى (Bilbek) .

وعاليكه . وتوجه الى قلعة الجبل، فلقبه الأمير عز الدين أيذر الحلبي نائب السلطنة بديار مصر، و[كان] قد خرج الى لقاء الملك المظفر قطز . فأعلمه [بيبرس] بما جرى لخلف له الحلبي وتقدمه إلى القلعة، ووعد من فيها من الأمراء بمواعيد جيدة عن بيبرس، فلم يخالف منهم أحد . وجلس [الأمير عز الدين أيذر الحلبي] على باب القلعة حتى قدم بيبرس والأمراء في الليل، فسلم القلعة ليلة الاثنين تاسع عشر ذي القعدة سنة ثمان وخمسين وسبعمائة^(١)، وحضر إليه صاحب الوزيرين الدين يعقوب بن الزبير، وأشار عليه أن يغير اللقب بالملك القاهرة، فإنه ما تلقب به أحد فألفح، فاستقر لقبه الملك الظاهر .

وكانت القاهرة قد زُيّنت لتقدم الملك المظفر قطز، والناس في (١١١٢) فرح ومسرات بقتل التتر . فلما طلع النهار نادى المنادى في الناس : ” ترحوا على الملك المظفر، وادعوا لسلطانكم الملك القاهرة ركن الدين بيبرس “، ثم في آخر النهار أمر بالدعاء لملك الظاهر . ففزع^(٢) [الناس] ذلك، وخافوا من عودة دولة المماليك البحرية، وسوء مملكتهم وجورهم^(٣) .

وكان قطز قد أحدث في هذه السنة حوادث كثيرة عند حركته لقتال التتر : منها تصحيح الأملاك وتقويمها، وأخذ زكاتها من أربابها، وأخذ من كل واحد من الناس من جميع أهل إقليم مصر ديناراً، وأخذ من الترك الأهلية^(٤) ثلثها . فأبطل الملك الظاهر جميع ما أحدثه قطز،

(١) في س ” ولما “ .

(٢) في س ” ففزعهم “ .

(٣) يستنتج من هذه الجملة أن السلطان قطز لم يكن من المماليك البحرية ، وهو استنتاج صحيح يدعمه الواقع التاريخي ، إذ ليس قطز من ممالك السلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب حتى تصح له هذه التسمية ، بل كان ملوكاً للسلطان الملك المنزلي التركاني . (انظر ص ٤١٧ ، حاشية ٢ ، وابن واصل : نفس المرجع ، ص ٢٩١ ، ب) . وعلى هذا فليست تسمية دولة سلاطين المماليك ، القرن تداروا الحكم حتى سنة ١٣٨٢ م ، باسم دولة المماليك البحرية متفقة مع الحقائق التاريخية ، بل هي تسمية اصطلاح عليها المؤرخون الحديثون من باب التعميم .

(٤) في س ” مملكتهم “ .

(٥) المقصود بؤلاء ، حسبما جاء في ترجمة (Quatremère : Op. Cit. I. I. p.117) ، عامر الترك القبطية

بمصر من زمن طويل (Turcs domiciliés) .

وكتب به توقيعا قرئ على المنابر، فكان جملة ما أبطله ستمائة ألف دينار. فسر الناس ذلك، وزادوا في الزينة.

وفي يوم الاثنين صبيحة قدوم السلطان، جلس [الملك الظاهر بيبرس] بالإيوان من القلعة، وحلف العساكر، واستأبب الأمير بدر الدين بليك الخازندار، واستقر بالأمير فارس الدين أقطاي المستعرب أتابكا على عادته، والأمير جمال الدين أقوش التجيبي الصالحى أستاذاراً، والأمير عز الدين أليك الأقرم الصالحى أمير جاندار، والأمير صيام الدين لاجين الدريل والأمير سيف الدين بلبان الروعى دوادارية، والأمير بهاء الدين أمير آخور على عادته. ورتب في الوزارة صاحب زين الدين يعقوب ابن الزير، والأمير ركن الدين إياجي والأمير سيف الدين بكجوى حاجيين. وكتب بإحضار البحرية البطالين من البلاد، وكتب إلى الملوك والنواب يخبرهم بسلطته، فأجابوا كلهم بالسمع والطاعة، خلا الأمير مستنجر الحلبي نائب دمشق: فإنه لما استقر في نيابة دمشق [كان قد] عمر سورها وحصنها، فورد عليه أن يغير بقتل قطز وسلطنة بيبرس في أوائل ذى الحجة، فامتعض لذلك وأنف من طاعة بيبرس. ودعا لنفسه وحلف الأمراء وتلقب بالملك المجاهد، وخطب له يوم الجمعة سادس ذى الحجة، فدعا الخطيب للملك الظاهر أولاً ثم للملك المجاهد ثانياً؛ وضربت السكة باسمهما. ثم ارتفع المجاهد عن هذا،

(١) في س "الملك". (٢) في س "اسادار".

(٣) تقدمت الإشارة إلى ماهية الوظائف المذكورة هنا ما عدا وظيفة أمير آخور، وهي التي يتحدث متولها على اصطبل السلطان أو الأمير، ويتولى أمر ما فيه من الخيل والإبل وغيرها مما هو داخل في حكم الإصطبلات. هذا وأمير آخور مركب من قتلين، أحدهما عربي وهو أمير، والثاني فارسي وهو آخور ومناه المظف، فيكون معنى أمير آخور أمير المظف، لأنه التولى لأمر الدواب. وهناك أيضاً وظيفة السراخور — والطاعة تخول سراخورى، ويقال أيضاً سلاخورى —، وهي مركبة من قتلين فارسيتين، أحدهما سرا ومناه الكبير، والثاني خور ومناه المظف، والمراد كبير الجماعة الذين يتولون نظم الدواب. (القولشغنى: صبح الأعشى، ج ٥، ص ٤٦٠ — ٤٦١).

انظر أيضاً (Quatrenière: Op. Cit. I. 1. p. 119. N. 3).

(٤) في س "جهايا".

(٥) يوجد بهامش الصفحة في س، عبارة هذا السطر تخريباً، عبارة مكتوبة هكذا ٣٣ — ولعل المقريزى أراد بهذا أن يشير إلى السنة التي وصل فيها إلى ذلك الحد من مؤلفه، أى سنة ٨٣٣ هـ.

- وركب بشمار السلطنة والغاشية بين يديه ؛ وشرع في عمارة قلعة دمشق ، وجمع لها الصناع وكبراء الدولة والناس ، وعملوا فيها حتى عملت النساء أيضا ، وكان عند الناس بذلك سرور كبير .
- فقدم رسول الملك الظاهر [بيبرس] بكتابه بعد يومين ، فوجد الأمير سنجر قد تسلطن ، فماد إلى مصر . فكتب الملك الظاهر إليه يمنة ويقبح فعله ، فمالطه في الجواب .
- ٥ . فولى دمشق في هذه السنة - من أوفاها إلى نصف صفر - الملك الناصر ؛ ثم ملكها هولاكو إلى أن سار إلى الشرق ، فاستتاب بها كتيبا ويديرا ، حكم فيها التتالي خامس عشرى رمضان ؛ ثم صارت في مملكة قطز إلى (١١٢ ب) أن قتل في خامس عشرى ذى القعدة ، فملكها الملك المجاهد علم الدين سنجر الحلبي بقية السنة . وكان القضاء بها أولا بيد القاضي صدر الدين أحمد بن يحيى بن هبة الله بن سنى الدولة ؛ ثم ولى التتالي القاضي كمال الدين عمر ابن بشار التغلبي ، ثم بعده القاضي عيسى الدين بن الزكي ، ثم القاضي صدر الدين أبو القاسم .
- ١٠ . ثم ولى القاضي صدر الدين بعلبك ، فاستقل ابن الزكي بالقضاء [بدمشق] إلى أن صرفه قطز بنجم الدين أبي بكر محمد بن صدر الدين أحمد بن سنى الدولة .

وفيها تار بجلب العزيزية والناصرية على الملك السعيد علاء الدين بن [بدر الدين] صاحب الموصل ، وقبضوا عليه ونهبوا وطلقوه ، وقدموا عليهم الأمير حسام الدين لاجين العزيزي

(١) في س "الحل" ، وقد صحت إلى الحلبي لسبق ورودها بهذه الصيغة الثانية في س (ص ٤٣٨ ، سطر ١٠) ، وفي ابن أبي الفضايل (كتاب التيج السديد ، ص ٦٨) . انظر أيضا (Quatremère : Op. Cit. I. 1. p. 121) .

(٢) س "القتم" .

(٣) كان الملك السعيد علاء الدين هذا ثانيا على حلب منذ ولاء السلطان قطز عليها ، (انظر ص ٤٣٣ ، سطر ٥) غير أنه أساء السيرة وظلم وصنف ، وجلب من الحلبيين خمسين ألف دينار ، فأغضب بذلك عامة الناس والسكر . ثم حدث بعد ذلك قليل أن أغار القاطن بيدوا التتالي على البيرة ، فغرد الملك السعيد لصدته شرذمة قليلة من عسكر حلب ، ولم يأبه لأرى كبار العزيزية والناصرية التي كانوا قد أشاروا عليه بدم التتالي . فلما انهزمت تلك الشرذمة على يد بيدوا قرب البيرة ، ازداد غيظ الأمراء العزيزية والناصرية على الملك السعيد ، وثاروا به وقبضوا عليه ، ثم حملوه إلى قلعة الشفرو بكاس واعتقلوه بها ، وأقاموا مكانه الأمير حسام الدين لاجين كما بالئن . وفي أثناء ذلك كان التتالي قد قاربوا حلب ، فأخرج التتالي عن الملك السعيد ، وجعلوا جميعا من حلب إلى حماة . (ابن أبي الفضايل : كتاب التيج السديد ، ص ٧٠ ؛ أبو الفداء : المختصر في أخبار البشر ، ص ١٤٥ ، في I. ١. (Rec. Hist. Or. I. ١) . انظر أيضا (D'Osheson: Op. Cit. III. PP. 358-359) .

الحوكندار . وكان الأمير حسام^(١) الدين المذكور قد أخذ إذنا من الملك المظفر قطز ، رحمه الله تعالى ، وتوجه لاستخلاص ما بقى له من الإقطاع والودائع التي كانت له من أيام الملك الناصر . فلما اتفق ما اتفق وهو يتجلب أجمع الحليين على تقديمه ، فكتب إليه الملك المجاهد علم الدين سنجر الحلبي بأن يتخطب له في حلب وأن يكون نائباً له ، وأن يزيده على إقطاعه زيادات كثيرة . فامتنع [لاجين] من إجابة الملك المجاهد سنجر ، [وقال : "أنا نائب لمن ملك مصر"] ، وأقام على طاعة الظاهر بيبرس ، فبعث إليه الظاهر بالتقليد بنبأه حلب .

وفيها ثار جماعة من السودان والرُّكبادرية^(٢) والغلمان^(٣) ، وشقوا القاهرة وهم ينادون "يَا لى على ! " ، وفتحوا دكاكين السيوفيين بين القصرين وأخذوا ما فيها من السلاح ، وافتحموا مصطلبات الأجناد وأخذوا منها النبل . وكان الحامل لم على هذا رجل يصرف بالكوراني ، أظهر الزهد وحمل بيده سبعة وسكن قبة بالجبل ، وتردد إليه الغلمان لخدمته في القيام على أصل النولة ، وأقطعهم الإقطاعات وكتب لهم بها رقاعاً . فلما ثاروا في الليل ركب السكرو وأحاطوا بهم وربطوهم ، فأصبحوا مصليين خارج باب زويلة ، وسكت الثائرة . ونجرت السنة ولم يركب الملك الظاهر [بيبرس] بشعار السلطنة على العادة .

ومأت في هذه السنة من الأعيان الملك المعظم تورانشاه بن الناصر يوسف بن العزيز^(٤)

(١) أضيف ما بين الأقواس ، بناءً على هذه الفقرة ، من ابن أبي الفضايل (كتاب النجديد ، ص ٧٠ - ٧١) .

(٢) الركبادرية — أو الركبادرية — هم الذين يحملون النافذة بين يدي السلطان في الواكب الخفية ، كوكب البيدويح . وهم تابعون للركاب خاناه ، وهو بيت الركاب الذي تكون به السروج والهم والكنايش ، وله موظف موكل بمحاربه بيبرس بمهتار الركاب خاناه . (التفقيشي : ص ٤٥ ، ج ٤ ، ص ١٢) .

(٣) أطلق هذا القطب — ومفرده غلام — على من يقوم بخدمة الخليل ، وفي التفقيشي (صحيح الأضنى ، ج ٥ ، ص ٤٧١) أن قطب غلام "في أصل اللغة مخصوص بالصغير والملوك ، ثم طلب على هذا النوع من أرباب الخدم ، وكانهم سموا بذلك لصغرهم في النفوس ، وربما أطلق على غيره من رجال الطست خاناه (كدا) ويحرم " .

(٤) الوفيات الآتية الواردة على ورقة مضملة في س ، بين الصفحتين ١١٢ ب ، ١١٣ ، وهي غير واردة في ب (١١٣٧) ، أو في (Quatremère : Op. cit. I. I. P. 129) . على أنه لاشك في مناسبة وقوعها هنا ، ويستدل على ذلك بمراجعة تواريخ وفاة الملوك الأيوبيين المذكورين ضمن هذه الوفيات . انظر (Enc. Isl. Suppl. Art. Aiyubids) .

- شادى بن [الظاهر غازى بن صلاح الدين يوسف بن أيوب] كبير البيت الأيوبي، وثائب حلب، عن ثمانين سنة. ومات الملك الكامل محمد بن المظفر غازى بن العادل أبى بكر ابن أيوب بن شادى صاحب ميا فارقين، وكان عالما عادلا محسنا، قتله التار وحملوا رأسه إلى دمشق^(٢). وتوفى الملك السعيد حسن بن العزيز عثمان بن العادل أبى بكر بن أيوب ابن شادى، صاحب قلعة الصبية وبانياس، بعد ما أخذنا منه وسار إلى البيرة، فأعاده التار إلى ولايتهما، وحضر معهم عين جالوت، فأُمر وضرب عنقه. ومات الملك السعيد ليلغازى بن المنصور أرتق بن ليلغازى بن ألبى بن تيمرتاش بن ليلغازى بن أرتق، صاحب ماردين بها، وقام من بعده ابنه المظفر قرا أرسلان. وتوفى قاضى القضاة بدمشق صدر الدين أبو العباس أحمد بن أبى البركات يحيى بن هبة الله بن الحسن بن يحيى بن سنى الدولة التتلي الدمشقى الشافعى بعلبك، عن ثمان وستين سنة. وتوفى شيخ الإسلام تقي الدين أبو عبد الله محمد بن أبى الحسين أحمد بن عبد الله بن عيسى اليونينى الحنبل، عن ست وثمانين سنة بعلبك. وتوفى الصاحب مؤيد الدين أبو إسحاق إبراهيم بن يوسف بن إبراهيم بن التتلى الشيبانى، وزير حلب، بها عن أربع وستين سنة. وتوفى الأديب غلصن الدين أبو عبد الله

(١) موضع ما بين القوسين يضاف فى س، وقد أُضيفت هذه الأسماء بعد مراجعة: (Lane - Poole) (Saladin, Table II; Enc. Isl. Supp. Art. Aiyubids) على أنه ليس فى هذين المرجعين ما يشير إلى أن العزيز ابن الظاهر غازى كان يسمى شادى، بل كان اسمه محمداً.

(٢) حمل التتار رأس الملك الكامل محمد هذا على ربح، ومرروا به على البلاد التى استولوا عليها بالتمام مثل حلب وحماة، وطافوا به دمشق بالحنافى والطويل، وهناك طقوه فى شبكة يسور باب القرادين، حيث ظل الرأس مقفلاً حتى عادت دمشق إلى المسلمين، فدفن بمشهد الحسين. (أبو القداء: المختصر فى أخبار البشر، ص ١٤٢، فى (Rec. Hist. Or. I.)).

(٣) انضم الملك السعيد هذا إلى التتار سنة ٦٥٧ هـ، بعد أن خلعه هولاكو من محبة بالبيرة وولاه على الصبية وبانياس. (انظر ص ٤٢٠، سطر ٨). وقد أغرق هذا الملك بعد ذلك فى التكرار والفساد، فأعلن بالقتل والتفجير وسفك دماء المسلمين، وحارب فى صفوف التتار وقتل عين جالوت، وهناك وقع أسيراً فى يد المظفر قطز فأمر بضرب عنقه، جزاء على ما كان قد أضاعه من السفك والقتل. (أبو القداء: المختصر فى أخبار البشر، ص ١٤٣، فى (Rec. Hist. Or. I.)).

المبارك بن يحيى بن المبارك بن فضيل النساني الحمصي ، بها في الحلفاء . و [توفي] الأديب جلال الدين أبو الحسن علي بن يوسف بن محمد بن عبد الله الصغار الماردني الشاعر ، بها قتيلا عن ثلاث وثمانين سنة . وتوفي الشيخ أبو بكر بن قوام بن علي بن قوام البالسي الصالح الزاهد ، ببلاد حلب عن أربع وسبعين سنة .



سنة تسع ومئتين وسبعمائة . فيها عظم الفارق أرض حوران أيام البيادر حتى أكل معظم الغلال ، فيقال إنه أكل ثلاثمائة ألف غرارة قمح .

وفيهما اجتمع من التارسة آلاف فارس ، وقاموا بمحس . فبرز اليهم الملك الأشرف موسى بن شريكه صاحب حمص ، والملك المنصور صاحب حماة ، واجتمع اليهما قدر ألف وأربعمائة فارس ، وقدم زامل بن علي أمير العرب في عدة من العربان . وواقعوا التريوم الجمعة خامس المحرم على الرستن^(١) ، فافتوهم قتلا وأسرا ، ووردت البشارة الى مصر بذلك . وكانت التار في ستة آلاف ، والمسلمون ألف وأربعمائة ، وحملت رموس القتل الى دمشق . وفيها اشتد الغلاء بدمشق .

(١) بئر ضبط في ص ، وهي كورة واسعة من أعمال دمشق ، وبها قرى كثيرة ومزارع ، وقد صارت حوران في زمن سلاطين المماليك ثابة قائمة بذاتها سميت باسم القليبة ، وكان مقراتها بلدة أذرعات . هذا وسلسلة جبال حوران هي جبل الدرود الحالي . (ياقوت : معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ٣٥٧ - ٣٥٨ ؛ Enc. Isl. Art. Hawran) .

(٢) جمع ييدر ، وهو الموضع الذي تدرس فيه الغلال . (محيط المحيط) .

(٣) كان معظم ذلك الجيش التري مكوّن من طول الكتاب التي بقيت بعد وفاة من جاورت ، وقد جمعها القائد ييدرا من أطراف الشام والعراق ، وذلك بعد ذبوح خبر وفاة السلطان قنز . وزحف ييدرا بهذا الجيش أولا على البيرة ، وهزم الفقه القليلة التي أرسلها لصدده الملك السعيد علاء الدين نائب حلب . وكانت تلك الهزيمة من أسباب ثورة المماليك النورية والناصرية على الملك السعيد . وتقدم التري بعد ذلك الى حلب واحتلها ، بعد أن بادر بالجلاد عنها الى حماة تاتيا الجليلد حسام الدين لاجين النوري (انظر ص ٤٣٩ ، حاشية ٣) . ثم سار التري الى حماة ، فقهقر عنها الى حمص صاحبها الملك المنصور محمد ، والأمير حسام الدين لاجين النوري أيضا ، وقصد التري بعد ذلك حمص ، والتفوا قبل وصولهم اليها بجيوش صاحب حمص وحفائه كما بالقرن . (D' Ohsson : Op. Cit. III, pp. 358 et seq.)

(٤) بئر ضبط في ص ، وهي في نصف الطريق بين حماة وحمص . (ياقوت : معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ٧٧٨) .

وفي يوم الاثنين سابع صفر ركب الملك الظاهر [بيبرس] من قلعة الجبل بشعار السلطنة^(١) إلى خارج القاهرة، ودخل من باب النصر . فترجل الأمراء والعسكر ومشوا بين يديه إلى (١) المقصود بشعار السلطنة أنواع الملابس والأدوات والقرينات، التي كان السلطان يظهر بها في المراكب الخفيفة، مثل موكب السلطنة وموكب الركوب لكسر الخليج عند وفاة النيل وموكب صلاة العيدين ، ونحوها . ومن هذه الملابس والأدوات، زمن الدولتين الأيوبية والمملوكية بمصر، وذلك حسبما جاء في القلقشندي (صبح الأعشى، ج ٤، ص ٧-٨)، "الفاشية وهي غاشية مرج من أديم مخروطة بالذهب ، يحاطها الناظر جميعها مصنوعة من الذهب ، تحمّل بين يديه [أي السلطان] عند الركوب في المراكب الخفيفة، كالبيادين والأعياد ونحوها ، يحملها [أحد] الركاب دأرية وأفاطاً على يديه يلتقي بينا ونحوها، وهي من خواص هذه المملكة . ومنها المظلة ويسير عنها بالجر ، ... وهي راية من حرير أصفر مزركش بالذهب، على أعلاها طائر من فضة (ص ٨) مطلة بالذهب، تحمّل على رأسه في العيدين، وهي من بقايا الدولة الفاطمية ومنها الراية وهي راية من أطلس أصفر مزركشة بالذهب، بحيث لا يرى الأطلس لراكم الذهب عليها " [و] تحمّل على راية القوس في العيدين والبيادين ، من تحت إذن القوس إلى نهاية عرقه ، وهي من خواص هذه المملكة . ومنها الخففة وهما اثنتان من أوشاشة بإصطبله فريان في السن ، طليها قبانان أصفران من حرير طراز من زركش، وعلى رأسهما قبضان من زركش، وتحتهما فرسان أشهبان برفقين وعدة نظير ما للسلطان راكب به، كأنهما ممددان لأن يركبهما ، [و] يركبان أمامه في أوقات منصرفه كالركوب لصب الكرة في الميدان الكبير ونحو ذلك، وهما من خواص هذه المملكة . ومنها الأعلام وهي عدة رايات، منها راية عظيمة من حرير أصفر مطرزة بالذهب عليها ألقاب السلطان واسمه وتسمى العصاية، وراية عظيمة في رأسها خصلة من الشعر تسمى الجاليش ، ورايات صفر صفراء تسمى السناجق .. " .

ويلاحظ مما تقدم أنه كان لكل موكب ترتيب معين، وأن بعض ما كان يستخدم من الأدوات في العيدين غير موجود في بعض المراكب الأخرى. انظر القلقشندي (تقس المربع والجوز، ص ٤٤ - ٤٩). وهذا ويوجد بالقرنزي (المواظع والاعتبار، ج ٢، ص ٢٠٩) وصف لموكب السلطنة، وهو إن كان غير شامل للمراكب السلطنة في سائر الدولتين الأيوبية والمملوكية بمصر، فإنه يعطى فكرة لما كان عليه ترتيب تلك المراكب في زمن معين، ونصه : "وكانت العادة أيضاً أنه إذا رل أحد الملكة من أولاد الملك الناصر محمد بن قلاوون، فإنه عند ولايته يحضر الأمراء إلى داره بالقلعة، وتقاض عليه الخلفة الخليفة السوداء، ومن تحتها فرجة خضراء، وعمامة سوداء مدورة. ويقعد بالسيف العربي الذهب، ويركب فرس الثوبه، ويسير الأمراء بين يديه والفاشية قدامه، والجلاويشية تصيح والشبابه السلطانية يهتف بها والطبردارية حواليه، إلى أن يسير من باب النحاس إلى درج ... الإيوان [المعروف بدار العدل] . فيزل من القوس ويصعد إلى التخت فيجلس عليه ، ويقبل الأمراء الأرض بين يديه، ثم يتقدمون إليه ويقولون بده في قدرتهم ، ثم يتردى ذلك [مقدموا الخلفة] . فإذا فرغوا حضر القضاء والخليفة ، فحاض التتار يف على الخلفة ويجلس مع السلطان على التخت، ويقعد السلطان الملكة بحضور القضاء والأمراء، ويشهد عليه بذلك، ثم ينصرف معه القضاء . فيعبد الباطل لأمراء، فإذا أفضى أكلهم قام السلطان ودخل المقصورة، وانصرف الأمراء " .

(٢) في "مرحل" .

باب زويلة ، (١١١٣) ثم ركبوا إلى القلعة . وقد زينت القاهرة ، وثرت الدنانير والدرهم على السلطان ، وخلع على الأمراء والمقدمين وسائر أرباب الدولة . وكان هذا أول ركوبه ، ومن حينئذ تابع الركوب إلى اللعب بالأكرّة ^(١) . وكتب إلى ملوك الغرب واليمن والشام والتغور بقيامه في سلطنة مصر والشام .

وفيها بعث [السلطان] الملك الظاهر [بيبرس] الأمير جمال الدين المحمدي إلى دمشق ، ومعه مائة ألف درهم وحوادث وخلع بألفي دينار عينا ، ليستميل الناس على المجاهد سنجر . فقدم دمشق ثالث صفر وعمل ما أمر به ، فأجابته الأمراء القيمرية ونرجوا عن دمشق : ومعهام الأمير علاء الدين إيدكين البندقدار الصالحى ، والأمير بهاء الدين بُقْشِي الأشرفى ^(٢) ، والأمير قراستقر الوزيرى ، وعدة من الأمراء . وتنادوا باسم الملك الظاهر بيبرس ، فارتجت دمشق .

وبعث المجاهد [سنجر] إليهم بمسكر فانهزم ، ففرج بنفسه وحمل بأصحابه ، ففروا عنه ثم عادوا عليه ، ففرج وقتل عدة من جماعته ، والتجأ [هو] إلى القلعة فامتنع بها في يوم

(١) الأكرّة لعبة في الكرة (محيط المحيط) ، والمراد بلعب الأكرّة اللعبة المعروفة الآن باسم (polo) ، وقد تقدمت الإشارة إلى ذلك في ص ٤٣٥ ، حاشية ١ . هذا ويوجد في القلشندي (صبح الأعشى ج ٤ ، ص ٤٧) وصف لعبة ركوب السلطان للعبة الكرة بالميدان الأكبر زمن الأيوبيين والمالكيين بمصر ، وضعه : " عادة أن يركب لذلك بعد وفاة النيل ثلاث مرات متوالية في كل سبت ، [و] يزل من قصره أول النهار من باب الإصطبل وهو راكب على الهبة المدكورة في اليد (انظر قسم المرح والجوز ، ص ٤٦) ، ماعدا الجرفاته لا يحمل على رأسه . ويحمل الناشئة أمامه في أول الطريق وأكثر ، ويصير إلى الميدان فيزل في قصوره ، ويزل الأمراء مازلم كل قدر طبقاتهم . ثم يركب للعبة الكرة بعد صلاة الظهر والأمراء معه ، ثم يزل فيستريح ، ويشتر الأمراء في لعبة الكرة إلى أذان العصر ، فيصل العصر ويركب على الهبة التي كان عليها في أول النهار ، ويطلع إلى قصره " . أما الميدان الأكبر فهو الميدان السلطان ، الذي بناه الملك الصالح نجم الدين أيوب بخطاب الوق . (انظر ص ٣٤١ ، سطر ١٧ ؛ القلشندي : قسم المرح ج ٣ ، ص ٣٧٨) .

(٢) في ص "البندقدارى" .

(٣) في ص "عدي" ، وبغير ضبط . انظر (Zetterstéen: Op. Cit. P. 24) . ويرد هذا الاسم كثيرا بالصفات التالية في ص ، على هذا الهم التامع أو مايشيه ، ويصطلح إلى الصيغة المثبتة هنا بغير تعليق .

السبت حادى عشر صفر . فدخل الأمير إيدكين البندقدار — أستاذ الملك الظاهر — إلى المدينة وملكها ، وحلّف الناس للـك الظاهر وقام بأمرها . وخاف المجاهد على نفسه ففر من قلعة دمشق إلى بعلبك ، فأرسل إليه الأمير إيدكين وأحضره محتفظا به . فلما بلغ الملك الظاهر [بيبرس] ذلك قرر الأمير علاء الدين طيرس الحاج الوزرى فى القلعة، وجعل إليه التحدث فى الأموال ، واستدعى الأمير سنجر الحلبى ، وأقام إيدكين مدة شهر فى نيابة دمشق، ثم صرفه عنها بالأمير طيرس الوزرى . وسار الأمير سنجر مع الأمير بدر الدين بن رحال، وأحضر فى سادس عشر صفر وهو مقيّد إلى مصر . فغلب الملك الظاهر إلى لقائه الأمير بيسرى ، وأدخله ليلًا من باب القرافة على خفية واعتقله بالقلعة ، من غير أن يعلم به أحد من الناس .

- ١٠ وفيها جهز الملك الظاهر [بيبرس] الأموال والأصناف صحبة الأمير علم الدين اليفمورى لمارة الحرم النبوى بالمدينة، وبعث الصناع والآلات لمارة قبة الصخرة بالقدس، وكانت قد دعت . وأخرج ما كان فى إقطاعات الأمراء من أوقاف الخليل عليه السلام، ووقف عليه قرية تعرف بأذنا . ورسم للأمير جمال الدين بن يضور بمارة ما تهدم من قلعة الروضة، فرم ما فسد منها ورتب بها الجندارية وأعاد لها حرمها، وفرق أبراجها على الأمراء :
- ١٥ وهم الأمير قلاون، والأمير عز الدين الحسل ، والأمير عز الدين أوغان ، والأمير بيسرى ،

(١) كما فى س ، وقد ورد فى ب (١٣٧ ب) "اسادار" ، وترجمه فى (Quatremère : Op. Cit. I. l. p. 139) إلى (Majordome) .

(٢) كما فى س بغير ضبط ، وهو مترجم فى (Ibid : Op. Cit. I. l. p. 139) إلى (Radjal) ، أعاد على الرسم الوارد فى ب (١٣٧ ب) .

(٣) الخليل اسم لبلدة فلسطين بها قبر سيدتنا الخليل إبراهيم ، واسمها الأصل حبرون ، وهو بقرب بيت المقدس . (بافت : معجم البلدان، ج ٢ ، ص ٤٦٨) .

(٤) فرق هذه الكلمة بالثنى فى س ، إشارة إلى هامش ذهب كل أقاليمه سوى الأخير منها ، وهو لفظ "وقف" .

(٥) فى س "أذنا" بغير ضبط ، وليس فى المراجع المتداولة فى هذه الحواشى ما يدل على قرية فلسطين بهذا الاسم .

وغيرهم — لكل أمير منهم برج . وأمرهم أن تكون إصطبلاتهم وبيوتهم فيها ، وسلمهم مفاتيح القلعة . وأمر بعمارة القناطر بحسب شراستها من الجزيرة ، لكثرة ما كان يشرق من الأراضي في كل سنة (١١٢ ب) ، فانتفعت البلاد بهذه القناطر . وأمر بعمارة أسوار الإسكندرية ، ورتب لتلك حملة من المال في كل شهر . وبني بغير رشيد مرقبا لكشف البحر . وأمر بدم فم بحر دمياط ، فخرج جماعة المجارين وألقوا فيه القراييص ، حتى يضيق وتمنع السفن الكبار من دخوله ، واستقر ذلك إلى اليوم .

وأمر [السلطان] بإخراج الأمير سيف الدين الرشيدى إلى بحر أشموم ، فتوجه إليه وأحضر الولاية وحفر هذا البحر ، وأزال منه ما تبقى به من الأطنان ، وخرق عدة مراكب حتى ردَّ إليه الماء . وأمر بعمارة ما خربه التتر من قلاع الشام : وهى قلعة دمشق ، وقلعة الصلح ، وقلعة عجلون ، وقلعة صرخد ، وقلعة بصرى ، وقلعة بعلبك ، وقلعة شيزر ، وقلعة الصبيبة ، وقلعة ^(٣) تميميش ، وقلعة حمص . فعمرت كلها ونظفت خنادقها ، ووسعت أبراجها وشحنت بالعدد ، وجرى إليها الممالك والأجناد ، ونحزت بها الفلات والأزواد . وحملت غلال كثيرة إلى دمشق ، وفرقت في البلاد لتصير تقاوى الفلاحين . ورتب [السلطان] بدمشق دار العدل ، وبني مشهدا في عين جالوت عرف بمشهد النصر .

ورتب [السلطان] البريد ^(٤) فى سائر الطرقات ، حتى صار الخبر يصل من قلعة الجبل إلى دمشق فى أربعة أيام ويوم فى مثله . فصارت أخبار الممالك ترد إليه فى كل جمعة مرتين ، ويتحكم فى سائر الممالك من العزل والولاية وهو مقم بقلعة الجبل ، وأنفق فى ذلك

(١) فى من "شربت" بغير ضبط . انظر (Quatremère : Op. Cit. I. 1. p. 140. N. 9) . وهى قرية من مديرية الجزيرة ، تعرف أيضا باسم شراستها وبني يوسف ، وتقع فى شمال بومير ، وفى قلبها جسر ممد من النيل إلى الجبل . (بارك : الخطط الترفيقية ، ج ١٢ ، ص ١٣٤ — ١٣٥) .

(٢) القراييص هى الحماة ، ومفردها قرايص ، ويظهر أن أصل القسط يونانى . (Dozy : Suppl. Dict. Ar.)

(٣) بغير ضبط ، وهى إحدى بلاد كورة حمص . (Le Strange : Palest. Under Moslems. p. 42) .

(٤) قبالة هذا القسط فى هامش الصفحة فى من كلمة "البريد" ، بخط يشبه خط المتن .

مالا عظما حتى تم تربيته . ونظر في أمر الشواني الحربية ، وكان قد أهمل أمر الأسطول بمصر وأخذ الأمراء رجاله واستعملوهم في الحرايق وغيرها ، فأعدم إلى ما كانوا عليه في أيام الملك الصالح نجم الدين أيوب . وأنشأ عدة شواني بشري دباط والإسكندرية ، ونزل بنفسه إلى [دار] الصناعة ورتب ما يجب تربيته ، وتكامل عنده ببر مصر ما ينف على أربعين قطعة وحدة كثيرة من الحرايق والطرائد ونحوها .

فلما كان ذات يوم حضر إليه رجل من أجناد الأمير الصيقل^(١) ، وأخبره أن أستاذه فرق مالا على جماعة من المعزية وقرر معهم قتل السلطان : منهم الأمير علم الدين التتشي ، والأمير بهادر المعزي ، والأمير شجاع الدين بكتوت ، فقبض على الجميع في ثامن ربيع الأول .

- [و] فيها قبض على الصاحب زين الدين يعقوب بن الزير ، وعوق في قاعة الوزارة ؛ فشفع فيه الأمير سيف الدين أنس ، فخلع عليه في يومه . ولم يبق سوى أيام وقبض السلطان ١٠ على الأمير أنس ، فقبض على الصاحب زين الدين [بن الزير] في صبيحة مسكه . ثم طلب قاضي القضاة تاج الدين عبد الوهاب ليل الوزارة فأبى ، وأقام الأمير فارس الدين أنابك يراوده زمانا وهو لا يقبل ، ثم نزل إلى داره . فطلب [السلطان] بهاء الدين على بن سديد الدين محمد بن سليم بن حنا ، فولى الوزارة ، (١١١٤) وفوض إليه تدبير المملكة وأمور الدولة بأسرها ، وخلع عليه . فركب معه جميع الأعيان والأكابر ، وعقته من الأمراء منهم ١٥ الأمير سيف الدين بلبان الرومي النواذار .

- وورد أنبلر من عكا أن سبيع جزائر من جزائر القريج في البحر خسف بها وبأهلها ، بعد ما نزل عليهم دم عشرة أيام ، فهلك بها خلق كثير ، وصار أهل عكا في خوف واستغفار ويكاء . وجهز السلطان الأمير بدر الدين بيليك الأيدمرى في جماعة ، ولم يعرف مقصده في ذلك ٢٠ أحدمن جرده ولا غيرهم ، فساروا إلى الشوبك وقسموها من نواب الملك المنفي فتح الدين عمر في سادس عشر ربيع الآخر . واستقر في نيابتها الأمير سيف الدين بلبان المنفصي^(٢)

(١) في س "العقل" ، وقد ترجم (Quatremère : Op. cit. I. p. 144) هذا الاسم إلى (Saikal) .

(٢) كذا في س غير ضبط ، وقد ترجم (Ibid : Op. Cit. I. l. p. 145) هذا القبط إلى (Mokhtassi) .

واستخدم فيها القباء والجنادرة ، وأفرد بخاص القلعة ما كان في الأيام الصالحية . وفيه قبض على الأمير بهاء الدين بندي^(١) ، وحبس بقلعة الجبل حتى مات .

وفي يوم الثلاثاء عاشر جمادى الأولى قُوض قضاء القضاة بديار مصر للقاضي تاج الدين عبد الوهاب ابن القاضي الأعز خلف ، المعروف بابن بنت الأعز ، عوضا عن بدر الدين السنجاري ، بعد عدة شروط اشترطها على السلطان أعظم فيها . وقصد [القاضي تاج الدين] بكثرة الشروط أن يفتى من ولاية القضاء ، فأجاب السلطان الى قبول ما اشترط عليه رغبة فيه وثقة به ، وصلى بالسلطان صلاة الظهر وحكم بعد ذلك . وقبض السلطان على بدر السنجاري وعوقبه عشرة أيام ، ثم أفرج عنه .

وفيها سار الأمير أبو القاسم أحمد ابن الخليفة الظاهر أبي نصر محمد بن الناصر لدين الله أحمد بن المستنصر بالله العباسي — الذي يقال له الزرأتيني لقب لقيه به السامة — مع جماعة من العرب بنى مهتا ، يريد دمشق . وكان قد فز من بغداد لما قتل هولاكو الخليفة المستنصر بالله ، وتزل عند عرب العراق في هذه المدة ، ثم أراد أن يلحق بالملك الظاهر [بيبرس] بمصر . فوردت مكتبة الأمير علاء الدين أيديكين البندقدار ، والأمير علاء الدين طيغوس الوزيري نائب دمشق : " بأنه ورد الى القنطرة رجل ادعى أنه أبو القاسم أحمد الأمير ابن الإمام الظاهر بن الإمام الناصر ، وهو عم المستنصر وأخو المستنصر ، ومعه جماعة من عرب خفاجة في قريب الخمسين فارسا ، وأن الأمير سيف الدين قلع البغدادى عَرَفَ أمراء العرب المذكورين ، وقال بهؤلاء يحصل المقصود " . فكتب [السلطان] الى التواب بالقيام في خدمته وتظيم حرمة ، وأن يسير معه حجاب من دمشق ، (١١٤ ب) فسار من دمشق بأوفر حرمة الى جهة مصر . فخرج السلطان من قلعة الجبل يوم الخميس تاسع شهر رجب

(١) كذا في س ، وقد صحح (Blochet) ، ناشر ابن أبي الفضايل (كتاب النجديد ، ص ٧٩) ، هذا الاسم الى بندي ، وترجمه (Yaghoudal) . انظر ص ٤٤٤ ، حاشية ٣ .

(٢) كذا في س بنسب ضبط ، وقد ترجم (Quatremère : Op. Cit. I. l. p. 146) هذا القبط الى (Zerâtini) . ويوجد أيضا في ابن قسرى بردي (النجوم الزاهرة ، ج ٦ ، ص ٧٧٧) شخص اسمه شمس الدين محمد الزرأتيني ، فكل هذه التسمية راجعة الى به هذا الاسم .

الى لقائه، ومعه الوزير صاحب بهاء الدين بن حنا، وقاضى القضاة تاج الدين بن بنت الأعز، وسائر الأمراء وجميع العسكري، وجمهور أعيان القاهرة ومصر، ومعظم الناس من اليهود والمؤذنين . وترجت اليهود بالتوراة، والنصارى بالإنجيل^(٩). فسار [السلطان] به الى باب النصر، ودخل الى القاهرة وقد لبس الشعار العباسى؛ ونرج الناس الى رؤيته، وكان من أعظم أيام القاهرة . وشق القصبه الى باب زويلة، وصعد قلعة الجبل وهو راکب، فانزل في مكان جليل قد هيأ له بها، وبالغ السلطان في إكرامه وإقامة ناموسه .

فلما كان يوم الاثنين ثالث عشره حضر قاضى القضاة وتواب الحكم، وعلباء البلد وقضاها وأكابر المشايخ وأعيان الصوفية، والأمرء ومقدمو الصاكر، والتجار وجوه الناس، وحضر [أيضاً] الشيخ عز الدين بن عبد السلام^(١١) . فتلوا كلهم بحضرة الأمير أحمد، وجلس السلطان متادبا معه بغير كرسي ولا طراحة ولا مسند . وشهد البربان وخادم من ١٠ البغادة بأن الأمير أحمد هو ابن الإمام الظاهر أمير المؤمنين ابن الإمام الناصر أمير المؤمنين، وشهد بالاستفاضه القاضي جمال الدين يحيى بن عبد المنعم بن حسن المعروف بالجمال يحيى نائب الحكم بمصر، والفقيه علم الدين محمد بن الحسين بن عيسى بن عبد الله بن رشيق، والقاضى صدر الدين موهوب الجزرى، ونجيب الدين الحزائى، وصديده الدين عثمان بن

(١) فوق هذا القبط، بين سطور المتن، ثلاثة أقطاظ بخط دقيق تصورت قراءتها .

(٢) يوجد بالثقشقة (صبح الأمتى، ج ٤، ص ٦-٧) وصف لأرواح المقاعد الذى يجلس عليها السلطان في أوقات مختلفة، زمن الملوكين الأيوبيه والملوكية بمصر، ونصه: "مرير الملك، ويقال له تحت الملك... وهو من رجام صدر ليوآن السلطان الذى يجلس فيه، وهو على هيئة منابر (ص ٧) الجوامع إلا أنه مستند الى الخط، وهذا المنبر يجلس عليه السلطان في يوم مهم كقدوم رسل عليه ونحو ذلك، وفي سائر الأيام يجلس على كرسي من خشب مغطى بالحرير، إذا أرضى رجله كادتا أن تلمن الأرض . وفي داخل قصوره يجلس على كرسي صغير من حديد، يحمل منه الى حيث يجلس" .

(٣) الطراحة - وجهها طرايح - مرتبة يترشها السلطان إذا جلس . انظر (Dozy: Supp. Diet. Ar.) ابن واصل: قص المربع، ص ٣٧١ أ) .

(٤) في ص "محب" . انظر (Quatremère: Op. Cit. I. 1. P. 148)، حيث ترجم هذا الاسم إلى (Mouhibb) .

عبد الكريم بن أحمد بن خليفة، [و] أبو عمرو بن أبي محمد الصنهاجي الترمذي^(١)، أنه أحمد بن الإمام الظاهر بن الإمام الناصر . فقبل قاضى القضاة تاج الدين شهادات القوم، وأجمل على نفسه بالثبوت ، وهو قائم على قدميه في ذلك المحفل العظيم حتى تم الإجماع والحكم .

فلما تم ذلك كان أول من بايعه القاضى تاج الدين ، ثم بعده قام السلطان وبايع أمير المؤمنين المستنصر بالله أبا القاسم أحمد بن الإمام الظاهر ، على العمل بكتاب الله تعالى وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد في سبيل الله ، وأخذ أموال الله بحققها وصرفها في مستحقها . ثم بايعه بعد السلطان الشيخ عز الدين بن عبد السلام، ثم الأمراء وكبار الدولة^(٢) . فلما تمت البيعة قلد الإمام المستنصر بالله السلطان الملك الظاهر البلاد الإسلامية وما يضاف إليها، وما سيفتحه الله على يديه من بلاد الكفار . ثم قام الناس فبايعوا الخليفة المستنصر بالله على اختلاف طبقاتهم . وكتب في الوقت إلى الملوك والنواب بسائر الممالك أن يأخذوا البيعة على من قبلهم خليفة المستنصر بالله أبي القاسم أحمد بن الإمام الظاهر ، وأن يدعى له (١١١٥) على المنابر ثم يدعى للسلطان بعده، [وأن] تنقش السكة باسمهما .

(١) يعبر ضبط في س ، والنسبة إلى قرية تمنت التابعة لمدن اليمن بصعيد مصر ، وتقع على غرب النيل .
(باغوت : معجم البلدان ، ج ٤ ص ٤٨٨) .

(٢) يفهم من عبارة أبي القسدا (المختصر في أخبار البشر ، ص ١٤٧ ، في Rec. Hist. Or. I.) في هذا الصدد ، أنه كان شاكاً في نسبة الخليفة الجديد إلى الباسين ، وهذا نصها : ” وفي هذه السنة في رجب قدم إلى مصر جماعة من العرب ، ومعهم شخص أسود اللون اسمه أحمد ، وزعموا أنه ابن الإمام الظاهر بالله ابن الإمام الناصر ، وأنه خرج من دار الخلافة ينادي لما ملكها التز . فشد الملك الظاهر يبرس مجلساً حضرفه جماعة من الأكابر... فشد أولئك العرب أن الشخص المذكور هو ابن الظاهر محمد بن الإمام الناصر ، فيكون ثم المستنصر وأقام القاضى [ابن بنت الأعر] جماعة من اليهود ... فأثبت ... نسب أحمد المذكور ، ولقب المستنصر بالله أبا القاسم... وبايعة الملك والناس بالخلافة . وأتم الملك الظاهر بأمره ، وعمل له الدعايز والجمداوية وآلات الخلافة ، واستخدم له عسكرياً ، وغرم على تجهيزه جملاً طائلة ، قيل إن مقدار ما غرمه عليه كان ألف ألف دينار... وبرز الملك الظاهر والخليفة الأسود... وتوجهوا إلى دمشق...“ . انظر أيضاً ابن أبي الفضائل (كتاب التيج السديد ، ص ١٠٥) ، حيث سمي هذا الخليفة باسم ”المستنصر بالله الأسود“ .

فلما كان يوم الجمعة سابع عشره خطب الخليفة المستنصر بالله في جامع القلعة ، فاستفتح بقراءة صدر سورة الأنعام ، ثم صلى على النبي صلى الله عليه وسلم ، وترضى عن الصعابة وذكر شرف بنى العباس ، ودعا لئلك الظاهر ، وقضى الخطبة ؛ فاستحسن الناس ذلك منه . واهتم السلطان بأمره ، وترطيه جملا مستكنة من الذهب والفضة . فلما شرع في الخطبة تلكا فيها ، ثم نزل بعد تمامها وصلى بالناس الجمعة ^(١) .

وكان منصب الخلافة شاغرا ثلاث سنين ونصف ^(٢) [سنة] ، منذ قتل الخليفة المستنصر في صفر سنة ست وخمسين ، فكان الخليفة المستنصر بالله هو الثامن والثلاثون من خلفاء بنى العباس ، وبينه وبين العباس أربعة وعشرون أباً . وكان أحمر اللون وسما ، شديد القوى على الهمة ، له شجاعة وإقدام . واتفق له ما لم يتفق لغيره ، وهو أنه لقب بالمستنصر لقب أخيه باني المدرسة [المستنصرية] ببغداد ، ولم يقع لغيره أن خليفة لقب بلقب أخيه سواء .

وفي يوم الأحد تاسع عشره ركب الخليفة والسلطان من قلعة الجبل الى مدينة مصر ، وركبا في الحراريق وسارا في النيل إلى قلعة الجزيرة ، وجلسا فيها . وأحضرت الشواني الحربية ، فلبت في النيل على هيئة محاربتها العدو في البحر . ثم ركبوا إلى البر وسارا إلى قلعة الجبل ، وقد خرج الناس لمشاهدتهما ، فكان من الأيام المشهودة ^(٣) .

وفي قلد السلطان الأمير علم الدين سنجر الحلبي — [الذى تار قبلا] بدمشق — نيابة حلب ، وجهز معه أسراء لكل منهم وظيفة : وهم الأمير شرف الدين قيران الفخرى أستاذ دار ، والأمير

(١) الفقرة التالية واردة بهامش الصفحة في س ، وقد أشار القرطبي الى مكانها المناسب من المتن ، على أنها غير واردة في ب (١٤٠) ، أرى ترجمة (Quatremère : Op. Cit. I. 1. p. 149) .
(٢) في س "وصفا" .

(٣) الفقرة التالية ، حتى نهاية سطر ٤ بالصفحة التالية ، غير واردة في ترجمة (Quatremère: Op. Cit. I. 1. p. 149) ، على أنها موجودة في ب (١٤٠) .

(٤) في س "علم الدين سنجر الحلبي التار بدمشق" ، وكان السلطان بيبرس قد عفا عن هذا الأمير قبيل ذلك بمدة . (ابن أبي الفضايل : كتاب التيج السديد ، ص ٧٨) .

بدر الدين جماق أمير جندار ، والأمير علاء الدين أيدكين الشهابي شاد الدواوين . وسار [الأمير علم الدين] من القاهرة كما تسافر الملوك ، فدخل حلب في ثالث شعبان ، فحضر اليه جماعة من العزيزية والناصرية وسألوا الأمان — وكانت العزيزية والناصرية قد اختلفوا وخرجوا إلى الساحل ، فأقطعهم السلطان إقطاعات ، وأحضر منهم عدة إلى مصر .

وفي يوم الاثنين رابع شعبان ركب السلطان إلى خيمة ضربت له في البستان الكبير خارج القاهرة ، ومعه أهل الدولة . ومُحِلَّتْ الخلع محبة الأمير مظهر الدين وشاح الخفاجي ، وخادم الخليفة المستنصر باقه . فدخل السلطان إلى خيمة أخرى ، وأفيضت عليه الخلع الخليفية وتخرج بها : وهي عمامة سوداء مذهبة مزركشة ، ودُرَاعَةٌ ^(٢) بنفسجية اللون ، وطوق ذهب ، وقيد من ذهب عُسَل في رجليه ، وعدة سيوف تقلد منها واحدا — ومُحِلَّتْ البقية خلفه ، ولواءان منشوران على رأسه ، ومهمان كبيران وترس . فُقُدِّمَ له فرس أشهب ، في عنقه مشددة ^(٣) سوداء وعليه كنبوش أسود . وطلب الأمراء واحدا بعد واحد وخلق عليهم ؛ وخلق على

(١) كذا في س .

(٢) الدراعة جبة مشقوفة المقدم ، ولا تكون إلا من صوف ، والجمع دراريع . (محيط المحيط) . والدراعة أيضا صديرة تلبسها البنات . (Dozy: Supp. Dict. Ar.) .

(٣) في س " وعمل مد من ذهب في رحليه " ، وقد غير ترتيب الجملة للانضمام مع أسلوب بقية العبارة .

(٤) ترجم (Dozy: Supp. Dict. Ar.) هذا القظ ال (écharpe au cou d'un cheval) ، وعلى هذا تكون المشدة مرادفة للقظ " الرقية " المذكورة في القلقشندي (صبح الأعشى : ج ٤ ، ص ٨) ، في باب رسوم الملك وآلاته . (انظر ص ٤٤٣ ، حاشية ١) . وهذا وفي محيط المحيط أن الشدة عند العامة شال من الحرير يسمونه أريظنق ، والمشدة طاق شد المرأة به قسما . أما كون المشدة هنا — أو الرقية — سوداء فراجع إلى رغبة السلطان بغيرس في إحياء شعار الباسيين وهو السواد .

(هـ) في س " كنبوش " ، بغير ضبط ، ولعل هذا خطأ ثان لكلمة كنبوش ، وهي البرذعة تجعل تحت مرج القروس . (محيط المحيط) . وإنما يقابل هذه الكلمة في (Dozy: Supp. Dict. Ar.) القظ الفرنسى (housse) ، الذي من معانيه غاشية القروس ، وقد تقدم شرحها . (انظر ص ٢١٤ ، حاشية هـ) . وهذا والكنبوش — بفتح الكاف — اللام الذي يستعمله أهل بلاد المغرب لتغطية الوجه من القنن إلى الخيشوم ، اتقاء لبرد هواء الصباح ووطوئ به . (Dozy: Supp. Dict. Ar.) .

- قاضى القضاة تاج الدين ، وعلى الصاحب بهاء الدين ، وعلى نحر الدين بن لقمان صاحب ديوان الإنشاء . ونُصب منبر ، فصعد عليه ابن لقمان بعد ما جالس بثوب حرير أطلس أصفر ، وقرأ تقليد الخليفة للسلطان ، وهو من إنشائه ، ونصه بعد البسملة : " الحمد لله الذى (١١٥ ب) اصطفى الإسلام بعباس الشرف ، وأظهر بهجة درره وكانت خافية بما استحكم عليها من الصدف ، وشيد ما وهى من علائه حتى أنسى ذكر ما سلف ، وقبض لنصره ملوكا اتفق على طاعتهم من اخلف . أحمد على نعمه التى رمت الأعين منها فى الروض الأثف ، وأطافه التى وقف الشكر عليها فليس له عنها منصرف . وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له ، شهادة توجب من المخاوف أمنا ، وتسهل من الأمور ما كان حزنا . وأشهد أن محمدا عبده الذى جبر من الدين وهنا ، ورسوله الذى أظهر من المكارم فنونا لا فنا ، صلى الله عليه وعلى آله الذين أصحمت مناقبهم باقية لا تفى ، وأصحابه الذين أحسنوا فى الدنيا فاستحقوا الزيادة من الحسنى " .

- " وبعد فإن أولى الأولياء بتقديم ذكره ، وأحقهم أن يصيح القلم راکما وساجدا فى تسطير مناقبه وبره ، من سعى فاضى بسعيه الحميد متقدما ، ودعا الى طاعته فأجاب من كان متنجدا ومتمتعا ، وما بدت يد من المكرمات إلا كان لها زندا ومعصا ، ولا استباح بسيفه حى وغى إلا أضرمه نارا وأجره دما . ولما كانت هذه المناقب الشريفة مختصة بالمقام العالى المولوى السلطانى الملكى الظاهرى الركنى شرفه الله وأعلاه ، دكره الديوان

(١) تحسنت الإشارة (ص ٣٥٧ ، حاشية ١) الى بعض ما جاء فى الألقاب وأنواعها بالقلعشتى (صبح الأئمنى ، ج ٥ ، ص ٤٩١ ، وما بعدها) ج ٦ ، ص ٥٠ ، وما بعدها) ، ومنه يتضح أن لفظ المقام كان من الألقاب الخاصة بالملك والساطين ، وأنه كان يستعمل فى المكاتبات السلطانية للكتابة عن السلطان تمظيا له عن التفرقة باسمه ، يقال المقام الأشراف أو المقام الشريف العالى أو المقام العالى ؛ وكان لفظ العالى فقط من الألقاب التى يشترك فيها أيضا أرباب السيوف والإفلام . أما لفظ المولوى فتنبه لبالغة من كلمة مولى ، ويظهر أنه كان من الألقاب المتجنبة ، لأن المولى لفظ مشترك يقع فى اللغة على السيد وعلى الملوك والعتيق . أما السلطان فهو السلطان ، وقد أدخلت عليه ياء النسب لبالغة ، وكذلك الحال فى لفظ الملكى أيضا ، عل أن لفظ الملكى كان من الألقاب المشتركة بين الملك نفسه وأتباعه المتوسمين إليه ، من الأمراء والوزراء ومن فى مناهم .

العزيز النبوي الإمامي المستنصرى أعز الله سلطانه، تنويعا بشريف قدره، واعترافا بصنعه الذى تنفذ العبارة المسببة ولا تقوم بشكره . وكيف لا وقد أقام الدولة العباسية ، بعد أن أقعدها زمانة الزمان ، وأذهبت^(٢١) ما كان من محاسن وإحسان ، وأعتب دهرها المسمى لها فأعتب ، وأرضى عنها زمنها وقد كان صال عليها صولة مقضب . فأعاده لها مسلما بعد أن كان طليها حربا ، وصرف إليها اهتمامه فرجع كل متضابق من أمورها واسما ورجاء ؛ ومنح أمير المؤمنين عند القدوم عليه حنوا وعطفا ، وأظهر من الولاء رغبة فى ثواب الله ما لا ينفى ؛ وأبدى من الاهتمام بأمر الشريعة والبيعة أمرا لو رامه غيره لامتنع عليه ، ولو تمسك بمجمله متمسك لا تقطع به قبل الوصول إليه . لكن الله تعالى ادخر هذه الحسنة ليشغل بها ميزان ثوابه ، ويخفف بها يوم القيامة حساب ، والسعيد من خفف من حساب . فهذه متبقة أبى الله إلا أن يخلدها فى صحيفة صنعه ، ومكرمة قضت لهذا البيت الشريف بجمعه بعد أن (١١٦ أ) حصل الإياس من جمعه .

” وأمر المؤمنين يشكرك هذه الصنائع ، ويعترف أنه لولا اهتمامك لا تسع الخرق على الواقع . وقد قللك الديار المصرية والبلاد الشامية والديار بكريه والمجازية واليمينية والفراتية ، وما يتجبد من الفتوحات غورا ونجدا ؛ وفوض أمر جندها ورعاياها إليك حين أصبحت بالمكازم فردا ، ولا جعل منها بلدا من البلاد ولا حصنا من الحصون يستثنى ، ولا جهة من الجهات تمد فى الأهل ولا فى الأدنى ” .

” فلاحظ أمور الأمة فقد أصبحت لها حاملا ، وخلص نفسك من التبعات اليوم ففى غد تكون مسئولاً لا سائلا ، ودع الاعتراض بأمر الدنيا فما نال أحد منها طائلا ،

(١) كان هذا القبط من ألقاب ديوان الخلافة خاصة ، فيقال الديوان العزيز كما بالتمز هنا ، وقد جرى المصطلح على عدم إضافة ياء النسب إلى هذا القبط . (اللققشندى : صبح الأعشى ، ج ٦ ، ص ٢٠) .

(٢) كان قبط الإمام من ألقاب الخلقاء أنفسهم ، على أنه كان يقع أيضا فى ألقاب أكابر العلماء ، وقد تضاف إليه ياء النسبة أحيانا بالالف . (اللققشندى : صبح الأعشى ، ج ٦ ، ص ٩) .

(٣) فى ص ” واذهب ” .

- وما رآها أحد بين الحق إلا رآها خيالاً زائلاً . فالسعيد من قطع منها آماله الموصولة، وقدم نفسه زاد التقوى فتقدمه غير التقوى مردودة لا مقبولة . وإسقط يدك بالإحسان والعدل ، فقد أمر الله بالعدل وحث على الإحسان، وكرر ذكره في مواضع من القرآن، وكفر به عن المرة ذنوباً كتبت عليه وآثاماً ، وجعل يوماً واحداً منها كعبادة العابد ستين عاماً . وما سلك أحد سبيل العدل إلا واجتنت ثماره من أفنان ، ورجع الأمر به بعد بُد تداعي أركانه .
- وهو مشيد الأركان، وتحصن به من حوادث زمانه والسعيد من تحصن من حوادث الزمان، وكانت أيامه في الأيام أبهى من الأعياد، وأحسن في العيون من الفرر في أوجه الجياد، وأحل من العقود إذا حل بها عاقل الأجياد .

- ”وهذه الأقاليم المنوطة بك تحتاج الى نواب وحكام ، وأصحاب رأى من أصحاب السيوف والأقلام . فإذا استعنت بأحد منهم في أمورك فتقرب عليه تنقيا، واجعل عليه
- ١٠ في تصرفاته رقبيا . وسل عن أحواله ففي يوم القيامة تكون عنه مسئولا وبما أجرم مطلوباً ، ولا تول منهم إلا من تكون مساعيه حسنات لك لا ذنوباً . وأمرهم بالأداة في الأمور والرفق، ومخالفة الهوى إذا ظهرت أدلة الحق، وأن يقابلوا الضعفاء في حوائجهم بالفر الباسم والوجه الطلق، وألا يعاملوا أحداً على الإحسان والإساءة إلا بما يستحق، وأن يكونوا لمن تحت أيديهم من الرعايا إخواناً، وأن يوسعهم برا وإحساناً، وألا يستحلوا حرمانهم (١١٦ ب) إذا استحل
- ١٥ الزمان لم حرماناً ، فالسلم أخو المسلم ولو كان أميراً عليه وسلطاناً . والسعيد من نسج ولاته في الخير على منواله ، واستنوا بسننه في تصرفاته وأحواله ، وتحملوا عنه ما تعجز قدرته عن حل أمثاله“ .

- ”وما تؤصرون به أن يُحَى ما أحدث من سبي السن، وجُدد من المظالم التي هي من أعظم المحن، وأن يُسترى بإبطالها المحامد فإن المحامد رخيصة بأغل ثمن . ومهما جبي منها من الأموال فإنما هي باقية في الذم حاصلة، وأجباد الخزان وإن أفضت بها حالية فإنما هي على الحقيقة منها

عاطلة. وهل أشق من احتقب إثما، واكتسب بالمساعي الذميمة ذمًا، وجعل السواد الأعظم له يوم القيامة خصما، ويحمل ظلم الناس فيما صدر عنه من أعماله وقد خاب من حمل ظلما . وحقيق بالمقام الشريف المولوى السلطانى الملكى الظاهرى الركنى أن تكون ظلامات الأنام مردودة ببدله ، وعزائم تخفف تقلا لا طاقة لهم بحمله . فقد أمضى على الإحسان قادرا ، وصنعت له الأيام ما لم تصنعه لغيره ممن تقدم من الملوك وإن جاء آخره . فأحمد الله على أن وصل إلى جانبك إمام هدى أوجب لك منزلة التعظيم ، ونسبه الخلائق على ما خصك الله به من هذا الفضل العظيم . وهذه أمور يجب أن تلاحظ وترعى ، وأن تولى عليها حمد الله فإن الحمد يجب عليها عقلا وشرعا ، وقد تبين أنك صرت فى الأمور أصلا وصار غيرك فرعا .

”وما يجب أيضا تقديم ذكره أمر الجهاد الذى أمضى على الأمة فرضا، وهو العمل الذى يرجع به مسود الصباغ مبيضا، وقد وعد الله المجاهدين بالأجر العظيم، وأعد لهم عنده المقام الكريم، وخصهم بالجنة التى لا لنوفيا ولا تأثم . وقد تقدمت لك فى الجهاد يد بيضاء أسرع فى سواد المسد، وعرفت منك عزيمة هى أمضى مما تجته صمائر الانغماد، وأشهى إلى القلوب من الأعياد. وبك صان الله حى الإسلام من أن يتبدل، وبزمك حفظ على المسلمين نظام هذه الدول ، وسيفك أثر فى قلوب الكافرين قروحا لا تندمل ، وبك يرى أن يرجع مقر الخلاف إلى ما كان عليه فى الأيام الأولى . فأيقظ نصرة الإسلام جفا ما كان غافيا ولا هاجما ، وكن فى مجاهدة أعداء الله إماما متبوعا لا تابعيا ، وأيد كلمة التوحيد فما تجيد فى تأييدها إلا مطيما سامعا“ .

”ولا تخل الثغور من اهتمام بأمرها تبسم له (١١١٧) الثغور، واحتفال بيدل ما دجى من ظلماتها بالنور . واجعل أمرها على الأمور مقدما، وشيّد منها كل ما غادره العدو منهذما ؛ فهذه حصون بها يحصل الانتفاع، وهى على العدو حامية اقتراق لا اجتماع . وأولاه بالاهتمام

(١) كما فى س ، ولها أشرعت أو أشرقت أو أشرقت . وقد ترجم (Quatrenère : Op. Cit. I.1.)

(P. 156) هذه العبارة الى كلها (faits éclatants, qui ont fait pâlir les envieux) .

ما كان البحر له مجاورا، والمدوله ملتفتا ناظرا، لاحيا تنور الديار المصرية، فإن المدو وصل إليها رايحا وراح خاسرا، واستأصلهم الله فيها حتى ما أقال منهم طائرا” .

”وكذلك أمر الأسطول الذي تربي^(٢) خيله كالأهله، وركائبه سابقة بغير سائق^(٣) مستقلة .

وهو أخو الجيش السيلاني : فإن ذلك غدت الرياح له حاملة، وهذا تكفلت بحمله المياه السائلة .

وإذا لحظها جارية في البحر كانت كالأعلام، وإذا شبهها قال هذه ليال تهلج بالأيام” .

”وقد سنى الله لك من السعادة كل مطلب، وأتاك من أصالة الرأي الذي يريك المغيث ؛

وبسط بعد القبض منك الأمل ، ونشط بالسعادة ما كان من كسل ؛ وهناك إلى مناجى الحق

وما زلت مهتديا إليها، وأزيمك المراشد ولا تحتاج الى تنبيه عليها . والله يمدك بأسباب نصره،

ويوزعك شكر نعمه، فإن النعمة ستم بشكره” .

ولما فرغ من قراءته، ركب السلطان بالخلعة والطوق الذهب والقيود الذهب ، وكان

الطالع برج السنبلة . وحمل التقليد الأمير جمال الدين النجيبى أستاذار السلطان، ثم حمله صاحب

بهاء الدين وسار به بين يدي السلطان ، وسائر الأعمراء ومن دونهم مشاة سوى الوزير .

ودخل [السلطان] من باب النصر وشق القاهرة ، وقد زينت وبُسط أكثر الطرق بتياب

فاخرة مشى عليها فرس السلطان . وخرج الخلق بالدعاء بخلود أيامه وإعزاز نصره وأن يُخلعها

خلع الرضى ، إلى أن خرج من باب زويلة وسار إلى القلعة ، فكان يوما مشهودا تقصر

الألسنة عن وصفه .

وشرع السلطان في تجهيز الخليفة للسفر، واستخدم له عساكر ، وكتب للأمير سابق الدين

(١) تقدم ذكر كلمة أسطول أكثر من مرة، ولم يبه إلى أصلها أو أنواع استعمالها في كتب المؤرخين بالعربية .

وأسطول لفظ يوناني الأصل ، يطلق في العربية أحيانا على المراكب البحرية المجتمعة ، وأحيانا على مركب حربي واحد

فقط ؛ والأسطول هو السكوى الذى يسدل فى البحر ، أما الذى يتخلل فى سلك الجيوش البرية فهو الجندى .

(Quatremère : Op. Cit. I. 1. p. 157 N. 33).

(٢) فى من ” تربي ” .

(٣) فى من ” سابقة بغير سائق ” .

يوزيا أتاك العسكر الخليفة^(٢) بآلف فارس، وجعل الطواشي بهاء الدين صندل الشراي^(٣) الصالحى شرايا بجسمائة فارس، والأمير ناصر الدين بن صيرم خازندار^(٤) بمائى فارس، والأمير الشريف نجم الدين جعفر أستاذار^(٥) بجسمائة فارس، وصيف الدين بليان الشمسى دوادار^(٦) (١١٧ ب) بجسمائة فارس، والأمير فارس الدين أحمد بن أزدمر اليفمورى دوادار^(٧) أيضا، والقاضى كمال الدين محمد بن عز الدين السنجارى وزيراً، وشرف الدين أبا حامد كاتباً^(٨)، وأقام عدة من العربان أمراء. وحمل [السلطان] إلى الجميع الخزائن والسلاح وغيره من الصنائج والطلبخانة، وأعطى فيهم أموالا كثيرة. واشترى مائة مملوك كبارا وصغارا، ورثهم سلاح دارية وجامدارية، وأعطى كلا منهم ثلاثة أرؤس من الخيل وجملا لعدته. ورث سائر ما يحتاج إليه الخليفة: من صاحب ديوان وكاتب إنشاء ودواوين وأئمة، وغلبان

(١) كما فى س، وقد تقدم ورود هذا الاسم (ص ٤٠٥، سطر ١١) على أنه "يوزنا"، اعتمادا على رسم وردده فى ب (١١٢٦). انظر ص ٤٠٥، حاشية ٣. هذا فى ابن أبي الفضائل (كتاب التيج السديد، ص ٨٢)، أن اسم هذا الأمير يوزنا، وهو فى ابن واصل (قس المرجع، ص ٣٩٥) "بروما"، بغير قط الباء.

(٢) هذا اللفظ وارد يماشى الصفحة فى س، بدون إشارة كالمعاد إلى موضعه المقصود، وقد وضع هنا لمناجيه المسمى.

(٣) السالب أن الشراي هو الذى يصنع الأشربة والأدوية، وأنه كان أحد رجال الشراب خانا، مثل التبردار. انظر القفقى (صبح الأعشى، ج ٥، ص ٤٦٩). ويقوى هذا القرض أن صانع الأدوية يسمى شراي وشرايى فى (Dozy: Supp. Dict. Ar.)، وأنه يوجد بالمقرىزى (المواظ والاحتبار، ج ٢، ص ١٦) حارة تسمى بحارة الشراية، وقد "عرفت بذلك لأنها كانت موضع سكن الغلمان الشراية"، [وهم] إحدى طوائف العسكر...". هذا وقد ترجم (Blochet)، تأثر ابن أبي الفضائل (كتاب التيج السديد، ص ٨٣) هذا اللفظ إلى (échançon)، ويقابل ذلك فى مصطلح دولة المماليك كلمة الساق (Dozy: Supp. Dict. Ar.).

(٤) فى س "خازندار".

(٥) فى س "استادار".

(٦ و ٧) فى س "دوادار".

(٨) الكاتب فى العرف العام بالديار المصرية، زمن الدولتين الأيوبية والمملوكية، هو كاتب المال ومن فى معناه.

(القفقى: صبح الأعشى، ج ٥، ص ٤٥٢).

وجراحية وحكمة وبيوتات^(١)؛ وكلها كلها مما تحتاج إليه . ورتب الجنائب وخبول الإسطبلات ، واستخدم الأجناد ، وصيّن خلاص الخليفة مائة فرس وعشر قطر^(٢) بقال وعشر قطر جمال ، وطشت خاناه وشراب خاناه وحوائج خاناه^(٣)؛ وكتب لمن وفد معه من العراق تواقع ومناشير بالإقطاعات .

- فلما تبيا ذلك كله برز الدهليز الخلفي والدهليز السلطاني إلى البركة ظاهر القاهرة ، وركب الخليفة والسلطان من قلعة الجبل في السادسة من نهار الأربعاء تاسع عشر شهر رمضان ، وسارا إلى البركة فقتل كل منهما في دهليزه ، واستقرت النفقة في أجناد الخليفة . وفي يوم عيد الفطر ركب السلطان مع الخليفة تحت المظلة ، وصليا صلاة العيد ، وحضر الخليفة إلى خيمة السلطان بالمتلة وألبسه سراويل الفتوة بمحضرة الأكابر . ورتب السلطان الأمير عز الدين أيذر الخلى نائب السلطنة بديار مصر ، وأقام معه صاحب بهاء الدين بن حنا .

(١) الجراحية جمع جراحي ، وهذا الجمع مفردة صيغة عامة للفعل جراحو وجراحي ، والجراحي — ويقال الجراح أيضا — الطبيب الذي يبالغ الجراح . (محيط المحيط) .

(٢) تريم (Quatremère: Op. Cit. I. I. P. 160) هذا القبط الى (des maisons garnies de toutes sortes d'accessoires utiles) ويفهم من ذلك أن السلطان أعطى الخليفة بيوتا مفروشة بكامل الأثاث والمفروشات .

(٣) جمع قطر ، وهو عدد من البغال أو غيرها من الماشية ، تكون على شق واحد . (محيط المحيط) .
(٤) الحوائج خاناه بيت الحوائج ، وهي حيا جاء في التفقيد (صبح الأضيء ج ٤٤ ص ١٢ — ١٣) ، "بجهة تحت يد الوزير ، منها يصرف أهم الراتب للطيح السلطاني والدور السلطانية ، ورواتب الأمراء والمالكة السلطانية وسائر الجند والمتعصبين ، وغيرهم من أرباب الرواتب الذين تملأ (ص ١٣) أسماؤهم الفقار ؛ وكذلك توابع الطعام الطيخ السلطاني والدور السلطانية ، ومن له توابع مرتبة من الأمراء وغيرهم ؛ و [كذلك] الثوب لقوتهم ، والحبوب وغير ذلك من الأصناف المتعددة . ولما يباشرون مفردون بها ، يضبطون أسماء المستحقين ومقادير استحقاقهم ؛ وهي من أوسع جهات الصرف ، حتى أن تمنحهم وحده يبلغ ثلاثين ألف درهم في كل يوم ، خارجا عما عده من الأصناف ، وربما زاد على ذلك" .

(٥) تقدمت الإشارة إلى الفتوة ومراريلها (انظر ص ١٧٢ ، حاشية ٢٤١) ، وقد أورد ابن أبي الفضائل (كتاب النجيب السديد ، ص ٨٤ — ٨٥) نقرة طويلة في هذا الصدد ، ونصها : "ثم يجهز السلطان [بيروس] إلى الشام في تاسع عشر رمضان ، ورفق في لباس الفتوة فألبسه [الخليفة] قبل سفره . ونسبة الفتوة من الإيما على بن أبي طالب =

وفي يوم السبت سادس شوال رحل الخليفة وصحبته الملك الظاهر يجمع الساکر، فساروا إلى الكسوة ظاهر دمشق، وخرج إلى لقائهم عسكر دمشق في يوم الاثنين سابع ذى القعدة . فنزل الخليفة بالترتبة الصالحة في سفح قاسيون^(١)، ونزل السلطان بقلعة دمشق . وفي يوم الجمعة عاشره دخل الخليفة [الجامع الأموي بدمشق] من باب البريد، وجاء السلطان من باب الزيادة، واجتمعا بمقصورة الجامع حتى فرغا من صلاة الجمعة، وخرجا إلى باب الزيادة فلقى الخليفة وعاد السلطان .

وكان قد قدم إلى السلطان وهو بقلعة الجبل الملك الصالح ركن الدين إسماعيل بن الملك الرحيم بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل، وولده [الملك السعيد^(٢)] علاء الملك وأهله، في شعبان إلى القاهرة . فأقبل السلطان عليه وأحسن إليه، وأمر له ولبن معه بالإقامات والأموال من دمشق إلى القاهرة، وتلقاه وأنزله بدار تليق به . ثم وصل أخوه الملك المجاهد سيف الدين ١٠ (١١٨) إسماعيل صاحب الجزيرة، فتلقاه [السلطان] كما تلقى أخاه . وكان أخوهما الملك المنظر

= كرم الله وجهه، لبان القاري، لعل التوتى، لحافظ الكندي، لعوف الفسائي، لأبي (ص ٨٥) العزقي، لأبي مسلم الخراساني، لجلال النبائي، لجوشن الفزارى، للأثير حسبان، لأبي الفضل القرشي، لأبي الحسن التجار، للآك أبي كنجار، لروزيه القارسي، للأثير وهزان، للقائد عيسى، لمها السلوي، لعل الصوفي، لمز بن أنس، لأبي القاسم بن حنا، لغيبس العلوي، لبقا بن الطباخ، لحسن بن الشرايدار، لأبي بكر بن الجيشت، لمدبرين الرصاص، لعبد الله بن البين، لعل بن زعيم، لعبد الجبار، للإمام الناصر، بلده .

(١) بفسر ضبط في س، وهو جبل مطل على الشمال الغربي من دمشق، ويقال إنه (Mons Casius) الروماني. راجع (Le Strange : Palest. Under Moslems, pp. 240. Note *, 482) : ياقوت : معجم البلدان، ج ٤، ص ١٣ .

(٢) باب البريد أحد الأبواب الأربعة التي لجامع دمشق، وهي : باب البريد، وباب سيرون ويسمى أيضا باب الساعات، وباب الزيادة ويعرف هذا الباب الصرمايانية وباب الساعات أيضا، وباب العمرة وكان معروفا قديما باسم باب الفردائس وباسم باب الناطقين أو الناطقانيين، (Le Strange : Palest. Under Moslems, p. 226).

(٣) أضيف ما بين القوسين من ابن واصل (نفس المرجع، ص ٣٩٦) .

(٤) على هذا يباح في ص مع لفظا تخريبيا .

علاء الدين على صاحب منجار قد رتبته الملك المظفر قطز في نيابة حلب^(١)، فقبضه العزيزية واعتقلوه، فسأل إخوته الملك الظاهر فيه فأفرج عنه، وبالع في إكرامهم وعطائهم . و[كان السلطان] لما نزل بالبركة خارج القاهرة، [قد] جهز إليهم خيل التوبة^(٢) والعصائب^(٣) والجمهورية والخلع، وكتب لهم تقاليد بلادهم التي فوضت إليه من الخليفة: فكتب لللك الصالح الموصل ونصبيين وعقر^(٤) [و]شوش ودارا والقلاع الهادية، وكتب الجاهد بالجزيرة، وكتب للظفر بسنجان . فقبلوا الأرض عند لبس الخلع، وسير [السلطان] إليهم الكوسات والسناجق والأموال، وأعطوا من الحضور والخدمة . فساروا إلى دمشق، وحضروا مجلس الشام بقلعة دمشق، ولبسوا الخلع وقبلوا الأرض، وخرجوا والأتابك في خدمتهم بشعار السلطنة؛ وأعطاهم [السلطان] في لعب الكرة شيئا كثيرا .

(١) تقدمت الإشارة إلى هذا الملك، وما حدث له منذ تولي نيابة حلب، ص ٤٣٩، حاشية ٣، واميح هناك الملك السعيد، وكان السلطان يفرق قلبه بذلك القلب . (D'Oshson : Op. Cit. III. p. 359. N. 1) .

(٢) خيل التوبة هي التي تربط قرب قصر السلطان ليركب منها حين يريد الركوب، وتسمى أيضا فرس التوبة . وللقطز التوبة فقط صان اصطلاحية أخرى، أحدها فرق الجند التي تتأوب الوقوف لحراسة شخص السلطان، وهي خمس نوبات ويكون تغييرها في الظهر والعصر والمساء ونصف الليل وعند الصباح . والتوبة عند المغنين اسم آلات الطرب إذا أخذت معا، ويقال لها في الفرنسية (aubade, concert, fanfares, musique symphonie, orchestre)، وربما أطلقت على الحارين بها إذا اجتمعوا، ويقال لهم التوبة عند الأتراك . هذا ويقال ضربت التوبة بمعنى صدو الأمر للمسكر بالفتحقر، والتوبة أيضا الوقفة الحربية . (بحيط المحيط : Dozy : Supp. Dict. Ar.) .

(٣) جمع عصاية، وقد تقدم وصفها في ص ٤٤٣، حاشية ١ .

(٤) بغير ضبط في س، وهي قلعة في الجبال الواقعة شرق الموصل، وتعرف بقر الحيدية نسبة إلى أهلها الأكراد المعروفين بهذا الاسم . (ياقوت : معجم البلدان، ج ٣، ص ٦٩٦) .

(٥) بغير ضبط في س، وهي قلعة عالية جدا قرب عقر الحيدية . (ياقوت : معجم البلدان، ج ٣، ص ٣٣٤) .
و يلاحظ أن الحمريز اعتبر هذه القلعة والتي قبلها كأنهما موضع واحد، غير أنه ليس في المراجع المتداولة في هذه الحواشي ما يثبت هذا التركيب المزجي . (Quatremère : Op. Cit. I. 1. p. 166. N. 49) .

(٦) بغير ضبط في س، وهي قلعة في شمالي الموصل، عمرها عماد الدين زنكي سنة ٥٣٧ هـ (١١٤٢ م) ونسبت إليه، وكانت اسمها قبل ذلك آشب . (ياقوت : معجم البلدان، ج ٣، ص ٧١٧) . ويتضح من (Quatremère : Op. Cit. I. 1. p. 166. N. 49) أن ظلي عقر وشوش كانا يدخلان في عمل القلاع الهادية، وهذا بغير تسمية الحمريز لها جميعا باسم القلاع الهادية .

ووصل إلى دمشق الملك الأشرف مظفر الدين موسى صاحب حمص ، والملك المنصور صاحب حماة . فوصل [السلطان] كلاهما بمائتي ألف درهم وحلن من الثياب وخيول ، وركب كل منهما بدمشق والأمراء مشاة في خدمته بشعار السلطنة . وكتب [السلطان] لهما التقاليد باستقرارهما على ما يديهما وزادهما ، ثم عادا إلى بلادهما .

وكان السلطان قد عزم أن يبعث مع الخليفة عشرة آلاف فارس حتى يستقر ببغداد ، ويكون أولاد صاحب الموصل في خدمته . فخلا أحدهم بالسلطان وأشار عليه ألا يفعل : "فإن الخليفة إذا استقر أمره ببغداد نازك وأخرجك من مصر" . فرجع إليه [الوسواس] ، ولم يبعث مع الخليفة سوى ثمانية فارس . وجرى [السلطان] الأمير سيف الدين بليان الرشيدى ، والأمير شمس الدين سقر الروى إلى حلب ، وأمرهما بالمسير إلى الفرات ، وإذا ورد عليهما كتاب الخليفة بأن يسير أحدهما إليه سار .

وركب السلطان لوداع الخليفة ، وسافر [الخليفة] ^(١) في ثالث عشر ذي القعدة ، ومعه أولاد صاحب الموصل الثلاثة . ففارقه في أثناء الطريق وتوجه كل منهم إلى مملكته . فوصل الخليفة إلى الرجة ، وأتاه الأمير على بن حذيفة من آل فضل بأربعائة فارس من العرب ، وانضاف إليه من محاليك المواصلة نحو السنين مملوكا ، ولحق به الأمير عز الدين بركة من حماة في ثلاثين فارسا . ورحل [الخليفة] من الرجة إلى مشهد على ، فوجد رجلا أعمى ^(٢)

(١) أضيف ما بين القوسين يد مراجعة ابن واصل (نفس المرجع ، ص ٣٩٦) .

(٢) في "نهما" .

(٣) بنسب ضبط في م ، وهي رجلة مالك بن طوق ، وموقعها على شاطئ الفرات جنوبي فريقيسا ، وتبعد عن بغداد مائة فرسخ . (ياقوت : معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ٧٦٤) .

(٤) قصد القرى بهذا الرجل الأمير أبا العباس أحمد ، الذي أتى مصر فبايعه وصار خليفة بها وتلقب بالخاكم بأمر الله . (انظر ص ٤٦٧ ، سطر ٦) . وقد ترجم السيوطي (تاريخ الخلفاء ، ص ٣١٧ ، وما بعدها) لهذا الأمير العباسي ، وفصل ما حدث له منذ نجاته من أيدي التتر بعد وفاة بغداد ، وهذا نص ما جاء به مصححا ، ومضافا إليه ما دلت توضيحية بين الأقواس من نفس المرجع (ص ٣١٦ - ٣١٧) : "الخاكم بأمر الله أبو العباس أحمد بن أبي علي الحسن القتي - بضم القاف وتشديد الباء الموحدة - ابن علي بن أبي بكر بن الخليفة المسترشد بن المستظهر بالله ،

أنه من بنى العباس قد اجتمع اليه سبعة فارس من التركان ، كان الأمير شمس الدين أفوش البرلى قد جهزهم من حلب . فبعث الخليفة الى التركان واستسلم فارقوه وأتوا الخليفة ، فبعث اليه الخليفة يستدعيه (١١٨ ب) وأمنه ورغبه في اجتماع الكلمة على إقامة الدولة العباسية ، ولاطفه حتى أجاب وقدم اليه ، فوق له وأنزله معه . وسار [الخليفة] الى عانة ثم الى الحديثة ، ونزع يريد هيت ، وكتب الى الملك الظاهر [بيبرس] بذلك .

وأما حلب فلزم الأمير سنجر الحلبي فارقها وسار الى دمشق ، فاستولى عليها الأمير شمس الدين أفوش البرلى وبعث بالطاعة الى السلطان ، فأبى إلا حضوره . فلما سار الأمير سيف الدين الرشيدى والأمير سقر الروى من دمشق رحل أفوش عن حلب ، فدخلها وسار منها الى الفرات ، وأغار على بلاد أنطاكية ، وكسب العسكر وغنم ، وحرق غلال القرعج ومر اكبهم وعاد . فولى السلطان الأمير علاء الدين بندقار نيابة حلب ، فأقام بها في شدة من غلاء الأسعار وعدم القوات ، ثم رحل عنها .

وقدمت الإقامات من القرعج الى السلطان ، وسألوا الصلح فتوقف وطلب منهم أمورا

== كان اخفى وقت أخذ بغداد ونجا ، ثم خرج منها وفي صحبه جماعة ، قصد حسين بن فلاح أمير بنى خضاعة فأقام عنده مدة . ثم توصل مع العرب الى دمشق ، وأقام عند الأمير عيسى (ص ٣١٨) بن مهنا مدة ، فطاع [ابن مهنا] به الناصر صاحب دمشق فأرسل يطلبه ، فبعثه بحىء التار . فلما جاء الملك المنقز [نزار] دمشق سير في طلبه الأمير قلع البندادى ، فاجتمع به وبأبيه بالخلافة ، وتوجه في خدمته جماعة من العرب ، فأتى الحاكم [بأمر الله] عانة بهم والحديثة وهيت والأنيار ، وصاف التار وانصر عليهم . ثم كاتبه علاء الدين طبرس نائب دمشق يوشد والملك الظاهر يستدعيه (كذا) ، فقدم دمشق في صفر ، فبقي الى السلطان . وكان المستنصر بالله قد سبقه بثلاثة أيام الى القاهرة ، فسا رأى أن يدخل إليها خوفا من أن يسلك فرج الى حلب . فبقي بها صاحبها [شمس الدين أفوش] ورؤساؤها [و] منهم عبد الحليم بن تيمية ، وجمع خلقا كثيرا وقصد عانة . فلما رجع المستنصر وأقام بمائة ، فأقاردا الحاكم [بأمر الله] له ودخل تحت طاعنه ... " ، كما بالحق . ويضع من هذا أن سلاطين المالك قبل بيبرس فكروا في اجتراب الخلافة العباسية الى القاهرة ، وأن أبناء البيت العباسي كانوا يتنبرون عاصمة الديار المصرية ملجأ أمينا لإبرائهم وحمايتهم .

(١) كذا في ص .

(٢) من أخبار السلطان بيبرس والقرعج تلك السنة ، وهذا خلا عن البنى (عند الجاهل) ص ٢١٦ ، في ==

لم ينجسوا إليها ، فأهانهم . وكان العسكر قد خرج للغارة على بلادهم من جهة بعلبك ، فسألوا رجوعه . واتفق الغلاء ببلاد الشام ، فنقرر الصلح على ما كان الأمر عليه إلى آخر أيام الملك الناصر ، وإطلاق الأسارى من حين انقضت الأيام الناصرية . فسارت رسل الفرنج لأخذ اليهود وتقرير الهدنة لصاحب يافا وممّلك يروت ، فكاسر الفرنج في أمر الأسارى ، فأمر السلطان بنقل أسرى الفرنج من نابلس إلى دمشق واستعملهم في المأثر . فتعلل الفرنج بالمرض عن زرعين ، فأجابوا : " بأنكم أخذتم المرض عنها في الأيام الناصرية مرجح عيون ، وقايضتم صاحب تبينين والمقايضة في أيديكم . فكيف تطلبون المرض مرتين ؟ فإن بقيتم على الهدنة وإلا فإنا شغل إلا الجهاد " . وخرج الأمير جمال الدين المحمدي في عسكر ، وأغار على بلاد الفرنج وماد غانما سالبا .

وسارت عدة من العسكر فأوقعوا بعرب زبيد لكثرة فسادهم ، وقتلوا منهم جماعة وعادوا

(Rec. Hist. Or. II. 1 = أرت السلطان بجواز إلى إمبراطور الدولة القبرية ، وهو ماقرد بن فرد بك الثاني Manfred, son Of Frederic II) هدية من جللتها عدد من أثراف ، وجماعة من أسرى التار الماخوذين في نوبة من جالوت ، بجيولم الترية وعدتهم . انظر (Camb. Med. Hist. VI. p. 177) . على أن الفرنج المقصودين هنا بالمتن هم ملوك وأمرأ الصليبيين بالشام ، ومنهم صاحب يافا وممّلك يروت ، وأمم كل منها (John of Ibelin) . انظر (Stevenson: The Crusaders In The East. p. 336: King: The Holy Land. p. 258) Knights Hospitallers In The Holy Land.

(١) المقصود بالملك الناصر هنا السلطان الناصر يوسف صاحب حلب ودمشق ، وكان يده وين (John of Ibelin) صاحب يافا مساعدا قديمة . راجع (Lane-Poole: A Hist. of. Egypt In The Middle Ages. P. 268. N. I.)

(٢) اسم هذا الأمير فيا على كنديا يافا ، أي (Count of Jaffa) .

(٣) في س ، ب (١٤٤) ميس ، وقد ترجمها (Quatremère: Op. Cit. I. 1. p. 169) على هذا الاعتبار . انظر ابن واصل (قص المربع) ، ص ٣٩٨ ب .

(٤) غير ضبط في س ، وزيد اسم لقبيلة كانت مساكنها حول دمشق ، وقد عرف كل فرع من فروعها باسم نواح دمشق التي سكنها ، وهذه الفروع هي زيد القوطة ، وزيد المرح ، وزيد صرخه ، وزيد حوران ، وزيد الأحلاف الذين كانت مساكنهم قرب الزحبة بجوار منازل آل فضل . (اللقشندى : صبح الأعشى ، ج ٤ ، ص ٢١٣ — ٢١٤) .

فانين . وأحضر السلطان أمراء العربان ، وأعطاهم وأقطعهم الإقطاعات ، وسلمهم درك^(١) البلاد وألزمهم حفظ الدروب إلى حدود العراق ، وكتب منشور الإمرة على جميع العربان للأمير شرف الدين عيسى بن مهنا .

- وفوض [السلطان] إلى الأمير علاء الدين الحاج طيرس الوزيري نيابة دمشق ، وفوض قضاءها للقاضي شمس الدين^(٢) أبي العباس أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر بن خلكان .
- وكان قد خرج معه من مصر — ، عوضا عن نجم الدين أبي بكر محمد بن أحمد بن يحيى بن السني ، ووكّل به وسقّره إلى (١١١٩) القاهرة . وقرئ تقليد ابن خلكان يوم الجمعة تاسع ذي الحجة ، وفُوض إليه الحكم من العريش إلى الفرات ، والنظر في جميع أوقاف الشام من الجامعات والمدارس والأحباس وتدريس سبع مدارس .
- ١٠ وخرج السلطان من دمشق يوم السبت سابع عشره يريد مصر . وصُرف قاضي القضاة تاج الدين ابن بنت الأعز في سلع شوال عن قضاء مصر والقبلي ، واستقر مكانه قاضي القضاة برهان الدين السنجاري ، وبقي قضاء القاهرة والوجه البحري بيد ابن بنت الأعز . وأمر السلطان ببناء مشهد على عين جالوت .

- وفيهما كتب السلطان إلى الملك بركة [خان] يفرّيه بقتال هولاءكو ويرغبه في ذلك ، وسببه تواتر الأخبار بإسلام بركة . وفيها أغار التار الذين تخفّفوا على أعمال حلب وعائوا ، ونزل مقدمهم بيسرا على حلب ، وضايقها حتى غلت أسعارها وتعدّرت وجود القوت ، فلما بلغهم توجه عسكر السلطان إليهم رحلوا . وفيها استولى الأمير شمس الدين أقوش^(٣) البرلي المرزبي على حلب ، وجمع معه التركمان والعرب ، فأقام نحو أربعة أشهر . ثم توجه إلى البيرة

(١) الدرر النيرة ، فيقال درك السلطان أمراء العربان بالبلاد أي جعلها تحت دركهم وتبتمهم وغفارتهم ، وهو فعل مراد . انظر (محيط المحيط : Dozy: Supp. Dict. Ar . هذا وعجالة ابن واصل في هذا الصدد) (قس المرجع ، ص ٣٩٨ ب) توضع هذا المعنى تمامًا ، ونصنا : ” رعمهم السلطان بفضله ، وأطلق رسومهم وكتب تاشيرهم ، وسلم إليهم شغل البلاد وألزمهم حفظها إلى حدود العراق “ .

(٢) في س ” ابو “ .

(٣) هذا اللفظ مضبوط في س يسكون على الراء فقط .

وأخذها، ومضى إلى حران فأقام بها، وصار يقرب من حلب ويبعد عنها خوفاً من السلطان .
وفيما عدى بنو مرين المدوة لقتال الفرنج فظفروا . وفيما حج الملك المظفر يوسف بن عمر بن
رسول ملك اليمن، وكسا الكعبة وتصدق بمال .

ومات في هذه السنة من الأعيان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن العزيز محمد بن
الظاهر غازي بن الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب بن شاذي، صاحب حلب [و] دمشق
— [و] هو [أتم ملوك بني أيوب —، بعد أربعة وعشرين عاماً من ملكه، واثنين وثلاثين سنة
من عمره، مقتولاً بأمر هولاكو^(١). ومات الملك الصالح إسماعيل بن المهاهد شريكه ابن القاهرة
محمد بن المنصور أسد الدين شريكه بن شاذي، صاحب حمص، مقتولاً [بأمر هولاكو^(٢) أيضاً].
وتوفي الأديب غلص الدين أبو العرب إسماعيل بن عمر بن يوسف بن قرناص الجوى .

✦

سنة ستين وستمائة . في ثاني المحرم وصل السلطان من دمشق . واشتد الغلاء بدمشق،
فبلغت الفرارة الفصح أربع مائة وخمسين درهما فضة، وهلك خلق كثير من الجوع .

(١) غير ضبط في س، وقد أطلق المؤرخون هذا الاسم — ويقال بر المدوة أيضاً — على الشاطئ المراكشي
لبوغاز جبل طارق، ويستعمل فقط مدوة في مراكش الحالية بمعنى شاطئ نهر، ويسمى فيها مدينة فاس القديمة باسم
المدونين . انظر (G. - Demombynes : Masalik el Acheir, p. 137. N. 1).

(٢) تقدم ذكر وقوع الملك الناصر هذا وأخيه الملك الظاهر غازي وغيرهما في يد التتر، وإرسالهم جميعاً إلى
هولاكو بجزير . (انظر ص ٤٢٧ ، سطر ١) . ويضرب مما يلي هنا سطر ٢٠ ، أن الناصر رأى وقت ذلك أن
السلامة لا تكون إلا بإظهار الميل إلى التتر، فأعلن أنه لاجئ إلىهم هولاكو ورحته . وقد أقبل عليه هولاكو ودخل
من معه، وبعده برهة إلى ملكه . أما سبب قتله، فقلع عن أبي القداء (المختصر في أخبار البشر، ص ١٤٧ ،
في Rec. Hist. Or. I.)، فهو أنه " لما بلغ هولاكو كسرة صكره بين جالوت ومثل كتبنا، ثم كسرة صكره
على حمص ثانياً، غضب من ذلك وأحضر الملك الناصر يوسف، الذي كان قد التبا إلى ... وأحضر معه أخاه الملك
الظاهر غازي، وقال له : أنت قلت إن عسكر الشام في طاعتك، فندوت في وقتك المنسل . فقال له الملك الناصر :
لو كنت بالشام ما ضرب أحد في وجه عسكرك بالسيف، ومن يكون يتويز كيف يحكم على من بالشام ؟ فاستوفى
(كنا) هولاكو منه الله بأحبا une flèche أي سهم أو نيلة أروغ) وضربه به . فقال له الناصر : يا غنود !
الصنعة ! فبناه أخوه الظاهر وقال : قد حضرت . ثم رماه [هولاكو] بخردة ثانية فقتله ، ثم أمر بضرب رقاب
الباقين ، فقتلوا الظاهر وأخاه الناصر والملك الصالح ابن صاحب حمص، واجلحاه الذين كانوا معهم . "

(٣) انظر الحاشية السابقة .

- و [فيه] سار قارباً مقدماً التار من بندا - وكان قد استخطفه هولاء كوعليها عند عودته إلى بلاد الشرق - يريد لقاء الخليفة المستنصر بالله ومحاربتة ، فهب الأنبار وقتل جميع من فيها ، وتلاحقت به بقية التار من بندا . ولقيهم الخليفة وقد رتب عسكره : بفعل التركان والعرب في جناحى العسكر ، واختص جماعة جعلهم في القلب ، وحمل بنفسه على التار فكسر مقدمتهم ، وخذله العرب والتركان فلم يقاتلوا . ونخرج كين للتار ففر العرب والتركان ، وأحاط التار بمن يقى معه فلم يفلت منهم سوى الأمير أبى العباس أحمد الذى قدم الى مصر وتلقب بالحاكم بالله ، والأمير ناصر الدين بن مهنا ، والأمير ناصر الدين ابن صيرم ، والأمير سابق الدين بوزبا الصيرفى ، والأمير أسد الدين محمود ، في نحو الخمسين من الأجناد . ولم يعرف الخليفة خبر : فيقال قتل بالمركبة في ثالث المحرم ، ويقال بل نجما مجروحاً طائفة من العرب فمات عندهم . وكانت هذه الواقعة في العشر الأول من المحرم ، فكانت خلافته دون السنة . وبلغت نفقة الملك الظاهر على الخليفة والمملوك المواصلة ألف ألف دينار وستين ألف دينار عينا .

- واستقر الملك الصالح عماد الدين اسماعيل [بن بدر الدين لؤلؤ] في مملكته بالموصل ، وسار أخواه إصهاق وعلى إلى الشام خوفاً من التار ، وقدما على السلطان بقلعة الجبل فأبرم مقدمهما ، وسألاه في تجهيز نجدة لأخيهما . فرسم [السلطان] بتجريد الأمير شمس الدين مستقر الرومى

(١) مضبوط على مطبوعه في (Quatreméro : Op. Cit. L. I. p. 171) .

(٢) كان قارباً ، قسلاً عن (D'Ohsson : Op. Cit. III. p. 368) ، قائماً حاماً على الجيوش الترية بسائر العراق العربي ؛ أما القائد الذى استخطفه هولاء كوعلى بندا فاسمه بهادر علي (Bahdir Ali) ، وقد سار القائدان معاً للاقاة الخليفة المستنصر على الأنبار ، كما يلى بالمتن .

(٣) في س " الصيرى " .

(٤) كان رحيل الملك الصالح هذا قبلاً الى حضرة السلطان بيبرس (انظر ص ٤٦٠ ، سطر ٧) قد أغضب أهل الموصل والمدنوب الترى المقيم بها . وكان ممن خرج من الموصل لتوديع الملك الصالح وقت ذلك أحد قواده واسمه علم الدين سنجر ، فلما رجع هذا القائد الى الموصل منه المدنوب الترى من دخول المدينة . ثم استطاع علم الدين أن يدخلها مع رجاله خفية ، واضطر المدنوب الترى الى الهجر الى القلعة ، وتلا ذلك إيقاع علم الدين بالمسيحين وبكناشهم =

في جماعة من البحرية والحلقة ، وساروا من القاهرة في (١١٩ ب) رابع جمادى الأولى .
وكتب إلى دمشق بخروج عسكرها صحبة الأمير علاء الدين الحاج طويس ، فسار العسكران
من دمشق في عاشر جمادى الآخرة .

وفوض السلطان وزارة دمشق لعمز الدين عبد العزيز وداعة . وتسلم ثواب السلطان
قلعة البيرة . ووقع الصلح بين السلطان وبين الملك المنيف صاحب الكرك . وبأمر السلطان
عرض عساكر مصر بنفسه ، وحلفهم لولي عهده الملك السعيد ناصر الدين خاقان
بركه خان .

وفي يوم الأحد ثاني عشرى صفر ، وصل الأمير أبو العباس أحمد الذي تلقب بالحاكم
بأمر الله إلى دمشق ، وخرج منها يريد مصر في يوم الخميس سادس عشرىه ، فوصل إلى
ظاهر القاهرة في سابع عشرى شهر ربيع الأول . فاحتفل السلطان لقائه ، وأزله في البرج
الكبير داخل قلعة الجبل ، ورتب له ما يحتاج إليه . وفي نصف رجب قدم جماعة من
البنادقة بمالك الخليفة [المستعصم ^(١١)] ، الذين تأخروا بالعراق بعد قتل الخليفة ، ومقدمهم
الأمير سيف الدين سلا . فأكرمهم السلطان ، وأعطى الأمير سلا إمرة خمسين في الشام
ونصف مدينة نابلس ، ثم نقله إلى إمرة طبلخاناه بمصر . وفيها أطلق السلطان الأمير

= وأدبرتهم . وبينما الموصل مأتجة بتلك الحركة الانتقامية ، وصلها جيش تولى على رأسه قائد مسيحي اسمه صندغون
(Sandaghoun) ، لحاصرها وأخذ يمد المدد لخدم الثورة بها . ثم جاء إلى ذلك القائد أن الملك الصالح قد عاد من
مصر وأنه على مقربة من الموصل يريد الدخول إليها ، فرفع الحصار عنها وانحس خفي حتى دخلها الملك الصالح ،
وماد يمدد إلى حصارها ونصب عليها خمسة وعشرين منجنيقا . عند ذلك أرسل الملك الصالح يطلب نجدة السلطان
بيبرس ، فأبانت هنا وفي ص ٤٧٥ . راجع (ابن أبي الفاضل : كتاب التيج السديد ، ص ٩٤ ، وما بعدها)
D'Oshson : Op. Cit. pp. 370 et seq.

(١) انظر ص ٤٦٢ ، حاشية ٤ .

(٢) أضيف ما بين القوسين من أبي الفداء (المختصر في أخبار البشر ، ص ١٤٨ ، في Rec. Hist. Or. I.) .
(٣) أصل هذا الأمير عمرك قينباقي من قبيلة دوروت (Dourout) ، وقد اشتراه الخليفة الظاهر العباسي
(٦٢٢ - ٦٢٣ هـ) ، وترقى في خدمته حتى أصبح في عهده واليا على واسط والكوفة والحلة ، وظل كذلك حتى أتم
عهد المستعصم ووقع بغداد في يد هولاكو سنة ٦٥٦ هـ . عند ذلك انضم الأمير سلا بما كان لديه من العسكر إلى =

سيف الدين قلع البغدادى المستنصرى من الاعتقال ، وكان قد اعتقله ، فن طيه وأذن له في لعب الكرة معه ^(١) .

- وفي شعبان قدم الأمير سيف الدين الكرزي ^(٢) ، والقاضى أصيل الدين خواجا إمام ، من عند الأبرور ملك القصرج بكتاب ^(٣) . ثم قدم رسوله بهدية ومعه نفران من البحرية ^(٤) ، فاعتقلا بقلعة الجزيرة تجاه مصر . وقدم الأمير شرف الدين الجاكي ، والشريف عماد الدين الهاشمي ، من عند صاحب الروم — وهو السلطان عز الدين كيكاوس بن كيخسرو ، ومعهما رسل المذكور [وهما الأمير ناصر الدين نصر الله بن كوج رسلان ^(٥) أمير حاجب والمصدر صدر الدين الأخطاى] ، وكتاب المتضمن أنه نزل عن نصف بلاده للسلطان ، ومير

= جيش والى شتر ، وعن أنه يستطع معه محاربة التتر . تغاب عنه ولما إلى بلاد الحجاز ، واستمع من القهاب إلى حضرة هولاء كورم العود التي رسلته منه بإرجاعه إلى ولاياته بال عراق ، ثم جاء المر مصر بناء على طلب السلطان بيرس وإلحاحه . (D'Ohsson : Op. Cit. III, pp. 375-377) .

(١) قبالة هذه العبارة في س أرقام مرسومة هكذا $\frac{2}{33}$ ، ويظهر أن المقرزي قصد بهذه الأرقام أن يشير إلى الشهر والسنة التي وصل فيها إلى هذا الشطر من آب السلوك ، أي ربيع الأول سنة ٨٤٣ هـ .

(٢) كذا في س ، بقطعة تحت الكاف لعلها إشارة إلى وجوب ضبط هذا الحرف بالكسر ، وقد ورد هذا الاسم في ابن واصل (نفس المرجع ، ص ٤٠٠ ب) برسم " الكردي " .

(٣) هذان الرسolan هما اللذان كانا قد ذهبا قبلا إلى الإمبراطور بهدية السلطان بيرس ، التي كان من محتوياتها زراف (انظر ص ٤٦٣ ، حاشية ٢) ، وقد ذكر ابن واصل (نفس المرجع ، ص ٤٠٠ ب) أخبار ما حدث للرسولين في بلاد الإمبراطور ، ونصه مصححا : " أن الأبرور وأهلهما أعطيا وتجل لها تجل عاليا ، وأعرضت (كذا) عليه الهدية فأعجبت الزرافة إعجابا عظيما ، ورأى من التحف ما أذهله وملا عيه . وقرى عليه كتاب السلطان إحدى عشرة مرة وهو يردده ويتفهمه ، وأحسن إلى الرسل غاية الإحسان ، وجهاز رسولا وهدية فيما بيد ، وكانت هدية لأخصى " .

(٤) يفهم عما جاء في ابن واصل في هذا الصدد (نفس المرجع والصفحة) أن هذين البحرين كانا ممن ذهب مع الهدية التي أرسلها بيرس إلى الإمبراطور ، وأنها أساءا الأدب هناك ، فأعادها الإمبراطور مع رسول من عنده إلى مصر ، كما بالتم . " فلما شاهدهما السلطان أمر بتأديبهما ، لأنه لفته سوء اعتيادهما ، فسيرهما إلى قلعة الجزيرة بسلطان فيها مقيدتين " . وقد علق ابن واصل (نفس المرجع والصفحة) على تلك القوبة بالآتي : " وفي ذلك تأديب وحسن سياسة وردع للمتدي ، وحفظ (في الأصل وحفظا) لناموس السلطة وإقامة لحرمة الملكة " .

(٥) أضيف ما بين القوسين من ابن واصل (نفس المرجع ، ص ٤٠٠ ب - ٤٠١ أ) .

مُرُوجاً فيها علامته بما يُقطع من البلاد لمن يختاره السلطان ويؤمره، وسأل أن يكتب له [السلطان] منشوراً^(١٢) [قرين منشورة]^(١٣)، فأكرمهم السلطان، وشرع في تجهيز جيش نجدة لصاحب الروم، و[أمر] بكتابة المناشير^(١٤). وعين [السلطان] الأمير ناصر الدين أعلش السلاح دار الصالحى لتقدمة العسكر ومعه ثلثائة فارس، وأقطعه إقطاعاً ببلاد الروم منه آمد وبلادها.

و[في شهر رجب] قدم الأمير عماد الدين بن مظفر الدين صاحب صهيون، رسولا من جهة أخيه الأمير سيف الدين، ومحبته هدية. (١٢٠) فأكرمه السلطان وكتب له منشورا بإمرة ثلاثين في حلب، ومنشورا آخر بإمرة مائة في بلاد الروم. و[في هذا التاريخ]^(١٥) ورد كتاب ملك الروم، بأن العدو هولاكولاً بلغه اتفاق الروم مع السلطان خاف من هيئته وولى هاربا، وأنه ستر إلى قونية يحاصرها ليأخذها من أخيه. و[في هذا التاريخ]^(١٦)

(١) الدروج جمع دوج، وهو كاهن الفلقشندي (صبح الأعشى، ج ١، ص ١٣٨) "الورق المستطيل المركب من عدة أوصال، وهو حرف الزمان جارة عن عشرين وصلا متلاصقة لاني"، وكان يكتب فيه و يلف (محيط المحيط).

(٢) المناشير جمع علامة، وقد تقدم شرحها في ص ٣٤٤، حاشية ١.

(٣) في ص "منشور". والراجح أن المقصود بلفظ المنشور هنا كل ما يصدر عن سلطان أو ملك من المكاتبات، مما لا يحتاج إلختم، كالكتب بالولاية والكتب بالحمية والكتب بالإقطاع أيضا. انظر الفلقشندي (صبح الأعشى، ج ١٣، ص ١٥٧).

(٤) أضيف ما بين القوسين من ابن واصل (نفس المرجع، ص ٨٠١).

(٥) في ص "كتابه" وقد أضيف حرف الجر، وما بين القوسين بسند مراجعة ابن واصل (نفس المرجع، ص ٨٠١).

(٦) المناشير جمع منشور، ومعنى المنشور هنا ما يكتب في الإطلاعات خاصة، وقد جرى الاصطلاح بهذا التخصيص في عهد دولة المماليك بمصر، وقبلها كان المكتوب بالإطلاع معروفا بالتوقيع في أيام الأيوبيين، وبالسجل في أيام القلاطين، وبالقاطعة في الفترة الإسلامية زمن الباسيين، وبالقطعية فيما سبق ذلك. (الفلقشندي: صبح الأعشى، ج ١٣، ص ١١٨ - ١٥٧).

(٧) كذا في ص، وقد ترجم (Quatremère: Op. cit. I. 1. p. 176) هذا الاسم إلى (Ogulmusch)، وهو في ابن واصل (نفس المرجع، ص ٨٠١) "اطش".

(٨) أضيف ما بين الأقواس من ابن واصل (نفس المرجع، ص ٨٠١ - ب).

(١٠) انظر ص ٨٠٨، سطر ٣.

(١١) أضيف ما بين القوسين من ابن واصل (نفس المرجع، ص ٨٠١ - ب).

قدم كتاب الملك المنصور صاحب حماة، وصحيفة قصاص من التار معهم فرمان^(١) له، فشكره السلطان على ذلك، واعتقل التار. وفي [هذا التاريخ] سار الأمير عن الدين الأفوم أمير جاندنار بسكر إلى بلاد الصعيد، وأوقع بالمران وبد شملهم، وذلك أنهم كثر طمعمهم وهما بتغيير المسالك، ووثبوا على الأمير عن الدين الموحاش وإلى قوص وقتلوه.

- و[في شعبان] كثر قدوم العزيزية والناصرية الذين كانوا محبة الأمير البلى، فأكرمهم السلطان وعفا عنهم^(٢). و[في هذه المدة وصل الأمير فارس الدين أفرش المسعودي، الذي كان قد توجه رسولا إلى الأشكرى. وكان] الأشكرى قد بعث يطلب من السلطان بطركا للنصارى الملكية، فبين الرشد الكمال لذلك، وسيّره إليه مع الأمير فارس الدين أفرش المسعودي في مئة من الأساقفة. فلما وصلوا إليه أكرمهم وأعطاهم، وأوقف الأمير أفرش على جامع بناء بالقسطنطينية ليكون في محبة السلطان ثوابه. وعاد الأمير أفرش وصحبه البطرك المذكور، فقدم البطرك ما ورد على يده من هدية الأشكرى للسلطان، وقدم أيضا ما حصل له من المال، فرد السلطان ذلك عليه. وجهز السلطان برسم جامع قسطنطينية المحضر العبداني^(٣).

(١) الفرمان في اللغة ما يصدره السلطان أو الملك من الكتب لولاية والوكلاء والقصاص، همان فيها تصنيف ومأمور بهم، والجمع فرمانات وفرامين وفرامة. (Dozy : Supp. Dict. Ar. : محيط المحيط). ويظهر أن هؤلاء القصاص كانوا قد حضروا إلى الملك المنصور من قبل التار ليرسلهم إلى السلطان بپرس، وأن فرماته كان لترعيف السلطان بپرس بهم.

(٢) في "وفيا"، وقد أضيف ما بين القوسين من ابن واصل (قس المربع، ص ٢٠٢). (١٤٠٢).

(٣) أضيف ما بين القوسين من ابن واصل (قس المربع والصفحة).

(٤) في "و" وبشت الأشكرى يطلب...، وقد حلت الجملة وأضيف ما بين القوسين من ابن واصل (قس المربع والصفحة). هذا الأشكرى المقصود هنا هو الإمبراطور (Michael VIII Palaeologus)، وهو الذي أعاد الحملة البيزنطية إلى القسطنطينية تلك السنة (Camb. Med. Hist. IV, pp. 507 et seq.)، وقد صافى حصول الأمير فارس الدين إلى حضرته بعد ذلك بقليل. (ابن واصل : قس المربع، ص ٢٠٢). (١٤٠٢).

(٦) يفسر ضبط في س، والنسبة إلى مبادان — فيقال عباداني وعبداني وعبادي أيضا، وهي بلد جنوبي البصرة قرب الخليج الفارسي، وتقع في جزيرة محاطة بمياه مصبات دجلة والفرات، وكانت مشهورة بصنع الحصر. (باقوت : معجم البلدان، ج ٣، ص ٩٧ وما بعدها. Dozy : Supp. Dict. Ar.).

والقناديل المذهبة والستور المرقومة، والمباخر والسجادات [إلى غير ذلك من البسط الرومية^(١)، والعود والعنبر والمسك وماء الورد . وفيها أغار الأمير شمس الدين سقر الرومي على أنطاكية، ونازل صاحبها البرنس وأحرق الميناء بما فيها من المراكب، وكان معه [الملك الأشرف موسى] صاحب حمص، [والملك المنصور] صاحب حماة . ثم حاصر السويداء، واستولى عليها وقتل وأسروعا، فوصل إلى القاهرة يوم الخميس لليلة بقيت من شهر رمضان، وصحبته من الأسرى نحو مائتين وخمسين أسيرا . فأكرمه السلطان، وأحسن إلى الأمراء، وسير النخل إلى الملكين المذكورين .

وفي ثالث شهر رمضان عزل السلطان قاضي القضاة برهان الدين السنجاري عن قضاء مصر والوجه القبلي، وأعاد قاضي القضاة تاج الدين عبد الوهاب بن بنت الأعرز، فصار بيده قضاء القضاة بديار مصر كلها . وكان متشددا في أحكامه، فرسم له في ذي القعدة أن يستيب عنه مديري المدرسة الصالحية من الحنفية والمالكية (١٢٠ ب) والحنابلة، فاستجاب في الحكم عنه، ولم يعرف ذلك بمصر قبل هذا الوقت : فجلس القاضي صدر الدين سليلان الحنفي، والقاضي شرف الدين عمر السبكي المالكي، والقاضي شمس الدين محمد بن إبراهيم الحنبلي، في أول ذي القعدة وحكوا بين الناس بمذاهبهم . وفي رابعه قبض على الأمير علاء الدين الحاج طيرس الوزيري نائب الشام، وحمل إلى مصر فاعتقل بقلمة الجبل، وكانت مدة نيابته سنة وشهرا . وحكم في دمشق بعده الأمير علاء الدين أيدغدي الحاج الزكي إلى أن يحضر نائب .

(١) أنشيف ما بين القوسين من ابن واصل (نفس المربع، ص ٤٠٢ ب) . (٢) هذا تعريب واضح لفظ (prince) أي أمير، وكان أمير أنطاكية تلك السنة يرمونه السادس (Bohemond VI of Antioch) وهو من أولئك الصليبيين الذين رأوا أن مصادقة التتر هي الوسيلة الباقية لحاوة القوى الإسلامية بالشام، ولذلك كان يبرس بغير الفرس لحاربهم . فلما هدأت أمور حلب على يد الأمير شمس الدين سقر الرومي المذكور، أمره السلطان بالإشارة على أنطاكية، وقد رافقه إلى تلك النارة الملك المنصور صاحب حماة والأشرف صاحب حمص، كما بالحق . (ابن واصل : نفس المربع، ص ٤٠٣ أ ١ أرفاءه : المختصر في أخبار البشر، ص ١٤٨ في Rec. Hist. Or. I).

(٣) انظر الحاشية السابقة .

- وفيا كثر الإرجاف في دمشق بحركة التار، فكتب السلطان برجيل أهل الشام بأهلهم إلى مصر . فحضر من تلك البلاد خلق كثير ، بعد ما كتب [السلطان] إلى الولاة بتخفيفهم^(١) ، وألا يؤخذ منهم مكس ولا زكاة ، ولا يُتعرض لما معهم من متجر ولا غيره ، ولا تُفَسَّس تجارة^(٢) ، فاعتمد ذلك . وكتب [السلطان] إلى حلب بتحريق الأعشاب ، فسيرت جماعة إلى بلاد آمد وغيرها وحرق الأعشاب التي كانت بالمروج التي [جرت] عادة هولاء أن يترقا .
- فممت النار مسيرة عشرة أيام حتى صارت كلها رمادا ، وعم الحريق بلاد خلاط ، وقُطِع السبيل وهو أخضر .

- [وفيها] خرجت الكُشافة^(٣) من دمشق وغيرها ، فظفروا بكثير من التار يريدون القدوم إلى مصر مستأمنين . وقد كان الملك بركة بعثهم نجدة إلى هولاء ، فلما وقع بينهما كتب يستدعيهم إليه ، ويأمرهم أن تذر عليهم المالحق به أن يصيروا إلى عساكر مصر . وكان سبب عداوة بركة وهولاء أن وقعة كانت بينهما^(٤) ، قُتل فيها ولد هولاء وكُسر عسكره وتزقوا

(١) في س "لتخفيفهم" .

(٢) في س "ففسس بحاره" .

(٣) في س "فسر" .

(٤) الكشافة جمع كشاف ، ومعناها هنا فئة معينة من العسكر ، وكان عملها الخروج لكشف أخبار العدو .

(Quatremère : Op. Cit. I. I. p. 180, N. 61)

- (٥) توجد أقوال كثيرة في تعليل سبب العداوة بين هولاء وبركة ، ومنها عدا ما ورد بالمتن أن بركة لم يرض عماله هولاء ببلاد المسلمين وأنه غفقه لقتله الخليفة المستعصم ، ومنها أن تأسيس دولة هولاء كوخارس لم يرق في عين بركة ولا سيما بعد إدماج بلاد أرتان وأذربيجان داخل حدودها ، مع أنها كانتا من لوث جوشي أبي بركة حسب وصية جنكخان . (Enc. Isl. Art. Berke) . هذا وفي ابن أبي الفضائل (كتاب التيج السديد ، ص ١٠١ ، وما بعدها) أن العداوة بين هولاء وبركة نشأت من عدم مظاهرة بركة لعمان الأعظم قوبلاي ، وانتصاره لأخ صغير اسمه (Arigha-Buga) . ولهذا القول نصيب من الاعتبار ، لأن المعروف أن بركة اعترف بهذا الأخ الصغير خانا أعظم على جميع بلاد التتر . انظر (Enc. Isl. Art. Berke) (D'Ohsson : Op. Cit. III. pp. 377 et seq.) . وقد ذكر ابن أبي الفضائل (نفس المرجع ، ص ١٠٢ ، وما بعدها) سببا ثانيا لهذا العداوة قد لا يقل من سابقه في القيمة ، وهو أن هولاء كانوا منذ صار بركة ملكا على مغول القشاق قد منع عن ذلك القرع المغول نصيبه المتاد من مقام الحروب ، وهذه نص ما جاء في المرجع المذكور : "ومما قلته الصاحب عز الدين بن شداد في سيرة الملك

في البلاد، وصار هولاء كوك إلى قلعة بوسط بحيرة أندر يميان محصورا بها . فلما بلغ ذلك السلطان سر به، وفرح الناس باشتغال هولاء كوك عن قصد بلاد الشام . وكتب [السلطان] إلى الثواب يا كرام الوافدية من التار، والإقامة لهم بما يحتاجون إليه من العليق والغنم وغيره ؛ وسيرت إليهم الخلع والإقامات والسكر ونحوه . وساروا إلى القاهرة، فخرج السلطان إلى لقائهم في سادس عشرى ذى الحجة ولم يتأخر أحد عن مشاهدتهم، فلقاهم وأزلم في دور بنيت لهم في اللوق^(١) ظاهر القاهرة، وعمل لهم دعوة عظيمة هناك، وبعث إليهم الخلع والخيول والأموال . وأسر [السلطان] أكابرهم، ونزل باقيهم في جملة البحرية، وكانوا مائتي فارس بأهاليهم، غسنت حالم، ودخلوا في الإسلام^(٢).

= الظاهر [بيرس] لما نقل هذه السنة، وسبب الخلف الذي وقع بين التار، قال سكي لي ملاه الدين بن عبد الله البندادي أحد أصحاب الأمير سيف الدين ليان الرضى الدوادارة قال أخذوني (كذا) التار أسيرا من بغداد لما (١٠٣) أخذوها (كذا) التار، وكنت قد عدت منهم مخطئا إليهم ومعتصلا على أخبارهم . فلما كانت ستة سنين وسنة ورد من عند بركة [خان] رسولان، أحدهما يسمى بلانغا والآخر طغر شاه، برسالة ضمها ما جرت به العادة، ومن جعلها حل ما جرت به العادة إلى بيت باتو [خان]، مما كانوا يحملونه من فروع البلاد . وكانت العادة أن يجمع [التار] ما يحصل في البلاد التي يملكونها ويستولون (في الأصل يستولوا) عليها من نهر جيحون متزا فيقسم خمسة أقسام، فبأن لقان الكبير وقبائله لسكر وقسم ليت باتو [خان] . فلما مات باتو وجلس بركة على التفت منع هولاءون (كذا) قسمه، فبعث بركة رسله إلى هولاءون وبعث فيهم سمرة يفسدون (في الأصل يفسدون) سمرة هولاءون . وكان عند هولاءون ساحر يسمى (١٠٤) يكشا، فأعطوه هدية بمنيا بركة إليه، وسألوه أن يوافقهم على غرضهم فاتفق معهم . وكان هولاءون [قد] جعل هؤلاء الرسل من يخدمهم، وجعل في الجملة ساحرة تسمى كشا تنقلهم على أخبارهم . فلما علمت أخبارهم أخبرته بذلك، فأمر باقتبض طبعهم في قلعة تلاء، ثم قتلهم بعد خمسة عشر يوما من قبضهم، وقتل الساحر الذي كان له المسمى يكشا . فلما بلغ بركة قتل رسله وسمرة أظهر الدادارة هولاءون، وبعث رسله إلى الملك الظاهر [بيرس] بحرضه على اجتماع الكفة على بيت هولاءون...^(٣)

(١) كانت أراضي اللوق هذا، حسب جاء في المقرئ (المواظ والاعتبار، ج ٢ ص ١١٧) بسايتين ومن زروعات، ليس فيها من الأبنية سوى ما كان قد عمره بها القاضي الفاضل لنفسه، فكان يجي أركك التار سببا لبنا، دور للسكن بها لأول مرة . وقد تكثر الوافدون من التار بعد ذلك على مصر، نتيجة حسن معاملة السلطان بيبرس لإخوانهم السابقين، فأدى تكثرهم إلى زيادة العبارة بأرض اللوق . (انظر الحاشية التالية) .

(٢) توجد بالمقرئ (المواظ والاعتبار، ج ٢ ص ١١٧ - ١١٨) تفصيلات أدق عما اخفق هؤلاء التار من جاء بهم إلى مصر، ومنها يبين أن أعدادا كثيرة منهم اندمجت في سلك المسلمين وحيت حياتهم الحربية، وهذا نصها: "فأعطى [السلطان] كبراهم إسرابات، فبهم من عمله أمير مائة ومنهم دون ذلك، ونزل بقيتهم من جملة =

وكتب [السلطان] الى الملك بركة كخابا ، وسيره مع الفقيه مجد الدين والأمير سيف الدين كسر^(١)ك .

وفيه (١٢١) سار صندغون^(٢) مقدم التار الى الموصل ، ونصب عليها خمسة وعشرين منجنيقا ، ولم يكن بها سلاح ولا قوت فاشتد الغلاء . وحاصرها [صندغون] حتى خرج اليه الملك الصالح إسماعيل بن الملك الرحيم [بدر الدين] لؤلؤ الأتابكي ، في يوم الجمعة النصف من شعبان ، فقبض عليه وعلى من معه . ووقع التخریب في سور المدينة وقد اطمأن أهلها ، ثم اتجمعوها ووضعوا السيف في الناس تسعة أيام ، ووسطوا علاء الدين بن الملك الصالح ، ونهبوا المدينة وقتلوا الرجال وأسروا النساء والذرية ، وهدموا المباني وتركوها بلاقع ، ورحلوا بالملك الصالح إسماعيل ، ثم قتلوه^(٣) [وهم في طريقهم الى هولاكو] .

١٠ وفيها خرج الأمير شمس الدين أقوش^(٤) البرلي من حلب نجدة للـك الصالح ، فأدركه التار بسنجان وواقفوه ، فانهمز منهم الى البيرة في رابع عشر جمادى الآخرة . ثم استأذن^(٥) [الأمير

= البحرية ، وصار كل منهم من سعة الحال كالأمير في خدمت الأجناد والنساء ، وأفرد لهم عدة جهات يرسم من بينهم ، وكثرت فسيهم وتقاهروا بدين الإسلام . فلما (١١٨) بلغ التار ما فعله السلطان مع هؤلاء وفد عليه منهم جماعة ، وهو يقابلهم بمسزید الإحسان ، فكتاتروا بديار مصر ، وزيادت العمار بالقوق وما حوله . وفي سادس ذى الحجة من سنة إحدى وستين [وسقاة] قدم من المنل والبيادية زيادة على ألف وثلاثمائة فارس ، فأزلقوا في مساكن عمرت لهم بالقوق بأهلهم وأولادهم .

(١) كذا في س . انظر ما على (ص ٤٧٩ ، سطر ١٤) ، حيث سمى المقریزی هذا الأمير باسم سيف الدين كشتك ، وهو مترجم الى (Keschtek) في (Quatremère : Op. Cit. I. 1. p. 181) .

(٢) في س "صندغون" بنقط العين من تحتها ، وبغير ضبط . راجع ابن أبي القضائل (كتاب التيج السديد ، ص ٩٤) . وقد تقدمت الإشارة الى سبب سير هذا القائد التتري الى الموصل تلك السنة . انظر ص ٤٦٧ ، حاشية ٤

(٣) كان عمر علاء الدين هذا تلك السنة ثلاث سنين ، وقد سقاه التتار خمر قبل قتله ، ثم وسطوه بجبل قوس شذوه حول وسطه حتى اقتطع جسمه نصفين . (D'Oshson. Op. Cit. III. p. 374) .

(٤) أخيف ما بين القوسين من ابن أبي القضائل (كتاب التيج السديد ، ص ٩٤) ، وهناك رواية أخرى في مصرع الملك الصالح ، وهي أنه وصل فضلا الى حضرة هولاكو فأمر بوضعه في جلد شاة ، وتركه فيها معرضا لحرارة

الشمس مدة شهر كامل ، حتى مات . (D'Oshson : Op. Cit. III. p. 374) .

(٥) مضبوط هكذا في س . (٦) في س "واستأذن" .

شمس الدين السلطان [في العبور إلى مصر، فأذن له وسار إلى القاهرة فدخلها أول ذي القعدة، فأنعم عليه السلطان وأقطعته إمرة سبعين فارساً . وولى [السلطان] بعده نيابة حلب الأمير عز الدين أيديمر الشهابي، فواقع أهل سيمس وأخذ منهم جماعة، وبشهم إلى مصر فوسطوا .

وفياً وفد على السلطان بعيد كسرة المستنصر شيوخ عبادة وخفاجة، من هيت والأخبار إلى الحلة والكوفة^(١)، وكيرهم خضر بن بدران بن مقلد بن سليمان بن مهارش العبادي، وشهري^(٢) ابن أحمد الخفاجي، ومقبل بن سالم، وعياش بن حديثة، ووشاح، وغيرهم . فأنعم السلطان عليهم وكانوا له عينا على التار .

ومات في هذه السنة من الأعيان الخليفة أمير المؤمنين المستنصر بالله أبو القاسم أحمد بن الظاهر بالله أبي نصر محمد بن الناصر لدين الله أبي العباس أحمد العباسي، قتيلاً في المعركة قريباً من هيت . وتوفي شيخ الإسلام عز الدين أبو محمد عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن المذهب السلمي الشافعي، عن اثنتين وستين سنة، في^(٣) . وتوفي صاحب كمال الدين أبو القاسم عمر بن نجم الدين أبي الحسن أحمد بن هبة الله بن محمد بن هبة الله بن أحمد بن يحيى بن المديم الحنفي بالقاهرة^(٤)، عن نيف وستين سنة . وتوفي الأديب محي الدين أبو العز يوسف بن يوسف بن يوسف بن سلامة بن زبلاق الهاشمي الموصل الأديب الشاعر الكاتب، قتيلاً بالموصل، عن سبع وخمسين سنة .

(١) يلاحظ أن هذه البلاد كانت حتى مقتل الخليفة المستنصر بيد الأمير شمس الدين سلار، وهو الذي جاء إلى السلطان يبرس قبلاً فأكرمه وأحسن إليه . (انظر ص ٤٦٨، حاشية ٣) . وقد كتب الأمير شمس الدين بعد ذلك إلى من تأثر من خشداشيته وإلى أصحابه من خفاجة، وأخبرهم بما ناله من الإحسان على يد السلطان (ابن واصل: قس المربع، ص ١٤٠٠)، فلقوا به كما باتن .

(٢) كما في ص .

(٣) ياض في ص، وقد ورد في ابن واصل (قس المربع، ص ٤٠٨ ب) أنه توفي بمصر .

(٤) جاء في (Enc. Isl. Art. Kamal al Din) أن صاحب كمال الدين ابن السديم، وهو مؤلف كتاب تاريخ حلب المشهور، كان قد هرب مع الناصر صاحب حلب من وجه التت إلى القاهرة . ثم استدعاه هولاكو إلى الشام ليؤديه قضاء القضاء بها، غير أن ظل مقياً بالقاهرة حتى مات .



- سنة إحدى وستين وسمائة . في الخميس ثامن المحرم جلس الملك الظاهر مجلسا عاما جمع فيه الناس ، وحضره التتار الذين وفدوا من العراق والرسل المتوجهون الى الملك بركه . وجاء الأمير أبو العباس أحمد بن أبي بكر على بن أبي بكر بن أحمد بن المستشهد بالله العباسي ، وهو راكب ، الى الإيوان الكبير بقلعة الجبل . وجلس الى جانب السلطان ، وقرئ نسبه على الناس بعد ما ثبت على قاضي القضاة تاج الدين عبد الوهاب بن بنت الأعرس ، ولقب بالإمام الحاكم بأمر الله أمير المؤمنين ^(١) ، وتولى قراءة نسبه القاضي محي الدين بن عبد الظاهر كاتب السر . فلما ثبت ذلك مد السلطان يده وبايحه على العمل بكتاب الله وسنة رسوله ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وجهاد أعداء الله ، وأخذ أموال الله بحقها وصرفها في مستحقها ، والوفاء بالعهود وإقامة الحدود ، وما يجب على الأئمة فضلا في أمور الدين وحراسة المسابدين . فلما تمت البيعة أقبل [الخليفة] على السلطان وقلده أمور البلاد والعباد ، وجعل إليه تدبير الخلق ، وأقامه قيسمه في القيام بالحق ، وفوض اليه سائر الأمور ، وعنى ^(٢) به صلاح الجمهور . ثم أخذ الناس على اختلاف طبقاتهم في مبايسته ، فلم يبق ملك ولا أمير ولا وزير ولا قاض ولا (١٢١ ب) مشير ولا جندي ولا فقيه إلا وبايحه . فلما تمت البيعة تحدث السلطان معه في إنفاذ الرسل الى الملك بركه ، وانقض الناس .

- فلما كان يوم الجمعة ثاني هذا اليوم ، اجتمع الناس وحضر الرسل المذكورون ، وبرز الخليفة الحاكم بأمر الله وعليه سواده ، وصعد المنبر لمخاطبة الجمعة فقال : " الحمد لله الذي أقام لال العباس ركنا وظهيرا ، وجعل لهم من لديه سلطانا نصيرا . أحمد على السراء والضراء ، وأستصره على دفع الأعداء . وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدا

(١) ليس في ما يقابل هذه العبارة في أبي الفداء (المختصر في أخبار البشر ، ص ١٤٨ ، في Rec. Hist. Or. I.) ، تشكيك في صحة نسبة هذا الخليفة كتشكيكه السابق ضد الخليفة المختصر (انظر ص ٤٥٠ ، حاشية ٢) ، على أن عبارته لم تخل من الفخر ، وهذا نصها " وفي أوامر ذي الجبة من هذه السنة جلس الملك الظاهر مجلسا عاما ، وأحضر شخصا ... من نسل بني العباس يسمى أحمد ، بعد أن أثبت نسبه ، وبايحه بالخلافة . ولقب أحمد المذكور الحاكم بأمر الله أمير المؤمنين ... " .

(٢) كما في ص .

عبد ورسوله صلى الله عليه، وعلى آله وصحبه نجوم الاهتداء وأئمة الاقتداء الأربعة الخلفاء، وعلى العباس عمه وكاشف غمه أبى السادة الخلفاء الراشدين والأئمة المهديين، وعلى بقية الصحابة التابعين لهم بإحسان الى يوم الدين . أيها الناس ! اعملوا أنتم الإمامة فرض من فروض الإسلام، والجهاد محتوم على جميع الأنام، ولا يقوم علم الجهاد إلا باجتماع كلمة العباد، ولا سُيِّت الحرم إلا بانهالك المحارم، ولا سفكت الدماء إلا بارتكاب المآثم . فلو شاهدتم أعداء الإسلام حين دخلوا دار السلام، واستباحوا الدماء والأموال، وقتلوا الرجال والأبطال والأطفال، وهتكوا حم الخليفة والحريم، وأذاقوا من استبقوا المذاب الآليم، فارغتم الأصوات بالبكاء والمويل، وعلت الضججات من هول ذلك اليوم الطويل . فكلم من شيخ خضبت شيبته بدمائه، وكلم طفل بكاء فلم يرحم بكائه . فشرّوا عن ساق الاجتهاد في إحياء فرض الجهاد وَأَتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ، وَأَسْمِعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لَأَنْفُسِكُمْ، وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ . فلم تبق معذرة عن القعود عن أعداء الدين، والمحاماة عن المسلمين“ .

”وهذا السلطان الملك الظاهر، السيد الأجل العالم العادل المجاهد المرباط ركن الدنيا والدين، قد قام بنصر الإمامة عند قلة الأنصار، وشرّد جيوش الكفر بعد أن جاسوا خلال الديار . فأصبحت البيعة باهتامة منتظمة العقود، والدولة العباسية به متكاثرة الجنود . فبادروا عباد الله الى شكر هذه النعمة، وأخلصوا نياتكم تُنصروا، وقاتلوا أولياء الشيطان تغفروا . ولا يروّعكم ما جرى، (١٢٢) فالجرب مجال والمأقبة للتقين، والدهر يومان والأخرى للؤمنين . جمع الله على التقوى أصركم، وأمر بالإيمان نصركم، وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم“ .

وجلس [الخليفة] جلسة الاستراحة، ثم قام لخطبة الثانية وقال : ”الحمد لله حمدا يقوم

(١) كذا في س، ، والمقصود بالسادة الخلفاء الراشدين هنا بنو العباس .

(٢) المقصود بهذا بغداد، والإشارة الى سقوطها في يد التار .

(٣) يوجد يماشى هذه الصفحة في س، علامة مكتوبة هكذا ٣٣، ولها إشارة أخرى الى السنة التي وصل القرطبي فيها الى هذا الشطر من السلوك، أي سنة ٨٣٣هـ . (انظر ص ٤٣٨، حاشية ٥، ص ٤٦٩، حاشية ١) .

- بشكر نعمائه، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له حدة للقائه، وأشهد أن محمداً سيد رسله وأنبيائه، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه عدد ما خلق في أرضه ومماته . أوصيكم عباد الله بتقوى الله، إن أحسن ما وعظ به الإنسان كلام الملك الديان : يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اطِّعُوا اللَّهَ وَاطِّعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ ، فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ، ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا . نعمنا الله وإياكم بكتابه، وأجرنا لنا ولكم من ثوابه، وغفر لي ولكم وللمسلمين أجمعين ، والمحمد لله رب العالمين ^(١) . ثم نزل [الخليفة] وصلى بالناس صلاة الجمعة، وانصرف .

- وفي هذا اليوم خطب على منابر القاهرة ومصر بالدعاء للخليفة الحاكم بأمر الله، وكتب إلى الأعمال بذلك، فخطب له بدمشق في يوم الجمعة سادس عشره . وقد قيل في نسبه إنه أبو العباس أحمد بن الأمير محمد بن الحسن بن أبي بكر بن الحسن بن علي القتيبي ^(٢) بن الحسن ابن أمير المؤمنين الراشد بن المسترشد ، وهو الخليفة التاسع والثلاثون من خلفاء بني العباس ، وليس فيهم بعد السفاح والمنصور من ليس أبوه وجده خليفة غيره، وأما من ليس أبوه خليفة فكثير .

- وتجهز الفقيه محمد الدين والأمير سيف الدين كشك ^(٣) ، وكتب على يدهما كتب بأحوال الإسلام ومبايعة الخليفة، واستقالة الملك بركة وحش على الجهاد ، ووصف عساكر المسلمين وكثرتهم وعدة أجناسهم ، وما فيها من خيل وتركان وعشائر وأكراد ، ومن وافقها وهادها

(١) يوجد نص هذين الخطبين في ابن واصل (نفس المرجع، ص ٤١٠ أ - ب) .
 (٢) كذا في س ، بنص القاف فقط . ولعل هذه النسبة مأخوذة من قبة الحارث ، وهي دار إنشاء الخليفة المنصور بالله في بغداد ، وقد سميت بذلك الاسم لأنه كان يصعد إليها على حماره . هذا وقد كانت بقعة الرحبة تعرف باسم قبة الكوفة ، ومن هذه التسمية خرج يافوت (ميم البلدان، ج ٤ ، ص ٣٣) تلك النسبة .
 (٣) كذا في س ، وقد تقدم ذكر هذا الأمير باسم "كسريك" ، (انظر ص ٤٧٥ ، سطر ٢) ، وهو وارد بهذا الرسم المتقدم من غير قط في ابن واصل (نفس المرجع، ص ٤٠٩ أ) ، وأصله حسبما جاء في نفس المرجع والصفحة ، "رجل ترى كأن جدار خوارزم شاه ، له مرقعة بالبلاد وخيرة بالألسنة" .
 (٤) في س "جبل" ، وفي ابن واصل (نفس المرجع والصفحة) "جبل تركان" ، بنبر وار بين القنطين أو قنط البية .

وفي سابع ربيع الآخر سار السلطان من قلعة الجبل إلى بلاد الشام، ونزل خارج القاهرة. ورحل في حادى عشره، ودام الصيد إلى أن دخل غزة، بعد ما ضرب حلقة بثلاثة آلاف

(٢) جمع مفردى، والمفردة نوع من عاكس حلقة السلطان . ويظهر أنهم أمردوا بهذه التسمية ليعيهم مباشرة ليهوان الفرد، وهو ديوان يرجع تأسيسه إلى أيام الفاطميين، وكانت تخرج منه في زمن الدولة الملوكية حقبة المالك السلطانية من جابكات وطيطى وكسرة . (انظر النقشبدى : صبح الأسمى ج ٣، ص ٣٥٧، ابن شاهين : زبدة كشف المالك، ص ١٠٧ - ١٠٨، Quatremère : Op. Cit. I. 1. p. 187. n. 66 ;

(۳) فی س "لبرفہما" .

(هـ) التنازع بين تذكره، وهي كما يدل عليها معناها القنطري كل مكتوب بصدور من السلطان الى نوابه بالأقاليم المصرية ونوابات الشام، أو الى قواده الذين يرسلهم في مهام الدولة، لتفكرهم بتفاصيل مايركل إليهم، ويكون بمثابة ورقة أعاد وجبة عند الجهات التي يقصدونها. (الفتنسى : صبح الأعشى، ج ١٣، ص ٧٩ - ١٠٤).

انظر أيضا (G. - Demombynes : Op. Cit. Introd. P. LXX) ، حيث ترجم لفظ تذكرة ال
(note résumée) ، وقد ترجمه (Quatremère : Op. Cit. I. 1. P. 188. N. 68)
(un acte, un rescrit émané du prince).

فارس فى المرىش؁ فوقع فىها صىء كثرى جءا . و تقطر الأمىر شمس الءىن سقر الرومى [عن فرسه]؁ فسار السلطان الىه و نزل عنءه؁ و جعل رأسه على ركبته و أنسج من خرطفئه مومىا و سقاءه؁ و أخذه معه الى خيمئه . و تقطر الأمىر سىف الءىن قلاون؁ فاعءمء [السلطان] معه مءل ذلك .

- و قءم علىه فى غزءه جماعء منهم أم الملك المفىء عمر بن العاءل أبى بكر بن الكاءل مءمء ابن العاءل أبى بكر بن أبوب صاءب الكرك؁ فأنم عليها إءصاءا كءىرا و أعطى سائر من كان معها؁ [و حصل الءءىث فى حضور و لءها^(١٢) الى السلطان]؁ و عاءء الى ابنها بالكرك . و من جملة ما زءءها به [السلطان] من صىءه خمسة عشر جملا؁ و سار معها الأمىر شرف الءىن الجسكى المهنءمار؁ برسم ءجهىز الإقاماء لللك المفىء إذا حضر . و نظر السلطان فى أمر التركان؁ و خلع على أمراءهم و على أمراء [الربان من] العاءب و جرم و ثعلبة؁ و ضءمهم البلاد و ألزمهم القىام بالءىءاء؁ و شرط عليهم خءمة البرىء و إءصار الخلىل برسمه . و كتب الى ملك شىراز و أهل تلك الءىار؁ و الى عرب خفاعة؁ ىسءءهم على قتال هولاء كو ملك التار؁ و أن الأءبار قء و رءء من البحر بكسر الملك بركه له عىر مرة .

(١) كذا فى س؁ و قءء ءاب الناشر على إءلاح هذا الفعل الى "قءطر" فىاسبق من الصفءاء؁ على أن الصىئة الموىوءة بالءن هنا واردة فى (Dozy : Supp. Diet. Ar.)؁ مقروءة باءءءاء على صءبها فى اللغة العربىة الفصحى .
(٢) المومىا — وهى لفظة يونانىة الأصل — مءءة ءواء ىسءعمل شرابا و مرموخا و ضاءاءا؁ و ىسءءم كءىرا لىلر العظام المكسورة . وهى مءءة ءءصءر من بعض الجبال مع الماء؁ و ءفوخ منها وهى جامءة و رائئة مءل رائئة الزءف . و تطلق المومىا أيضا على ءواء المءروف بفقر الءوء؁ و على جمارة سوءفها مءجوف ءوءء فى صءاءه الءىن؁ و ءكسر هذه الجمارة فىوءء فى مءجىضها ماء سائل أسوء؁ ءقل الجمارة و السائل فى الزءف ءقءف جمىع ما فىها من نك الرطوبة السوداء السائلة . (مءط المءط : Dozy : Supp. Diet. Ar.) .

- (٣) أضىف ما ىىن القوسىن من ابن واصل (قس المربع؁ ص ٤١٢ ب) .
- (٤) أضىف ما ىىن الأقواس من ابن واصل (قس المربع؁ ص ٤١٢ ب) .
- (٥) فى س "الءاء" . رابىع الققشءى (صءب الأعشى؁ ج ٤؁ ص ٢٠٥؁ ٢١١) .
- (٦) الءاء هاء زكاة مقروءة للسلطان سنوياً على قلاءن القباائل العربىة و التركانىة؁ و قى : (Quatremère) Op. Cit. I. 1. p. 189. N. 69) أمءة ءوضىع هذه الزكاة؁ منها أنه كان ىصل من التركان "فى كل سنة عشرات آلاف من الفءم" ءؤءه منهم عن زكاة أءنامهم . ىقال لها الءاء" . (انظر أيضا مءط المءط) .

ثم رحل [السلطان] من غزة [إلى جهة الساحل]، ونزل الطور في ثاني عشر جمادى الأولى، وقدم [إليه هناك] الملك الأشرف صاحب حمص في خامس عشره بإذن [منه] . فتلقاه السلطان وأكرمه، وبعث إليه سبعين غزالا في دفعة واحدة، وقال : "هذا صيد يومنا هذا، جعلته لك" . وخرج [إليه] الملك المغيث من الكرك، بعد ما كاتبه الملك الظاهر يستدعيه وهو يسوق به . فأظهر السلطان من الاحتفال به شيئا كثيرا، وخدعه أعظم خديعة، وكتم أمره عن كل أحد . فلما وصل [المغيث] بيسان ركب السلطان إلى لقائه في سادس عشرى جمادى الأولى، ووافاه في أحسن زى . فعند ما التقيا ساق الملك المغيث إلى جانب السلطان، فصار به إلى (١٢٣) الدهليز السلطاني، ودخلا إلى خركاه، وللوقت قبض عليه . وأحضر [السلطان] الملوك والأمراء، وقاضى القضاة شمس الدين أحمد بن خلكان - وكان قد استدعاه من دمشق، والشهود والأجناد ورسل القرنج . وأخرج [السلطان] إليهم كُتُب الملك المغيث إلى التار وكُتُب التار إليه، وأخرج أيضا فتاوى الفقهاء بقتاله، وأحضر أيضا القضاة الذين كانوا يسفرون بينه وبين هولاءكو . ثم قال الأمير الأتابك لئن حضر : "السلطان (٣) الملك الظاهر يسلم عليكم، ويقول ما أخذتُ الملك المغيث إلا بهذا السب" ، وقرئت الكتب المذكورة عليهم . فكتب بصورة الحال، وأثبت القضاة خطوطهم في المکتوب، وانفض الجمع . وجلس السلطان وأمر فكتب إلى من بالكرك يمددهم ويحذرهم، وسير الأمير بدر الدين ييسرى، والأمير عز الدين الأستاندار، بالكتب والخلع والأسوال إلى الكرك . وأرسل الملك المغيث عيَّاه إلى مصر مع الأمير شمس الدين آفستقر الفارقاني السلاح دار،

(١) أخيف ما بين الأقواس في هذه الفقرة كلها من ابن واصل (نص المرجع، ص ١٢٣ أ) .

(٢) في س "وقال" .

(٣) في س "الملك الظاهر السلطان" .

(٤) كانت هذه الكتب حسبما ورد في ابن واصل (نص المرجع، ص ١٢٣ ب) أجوبة كتب من الملك المغيث "مضونها شكر هلاورن ملك الترمش، واحتداده باعتزايه (كذا) إليه، ويصده بروعود حسنة، ويقول في أمور منها قد أطلعتن من بصري إلى غزة، ويقول قد عرفت ما أشار إليه من طلب عشرين ألف فارس يسيرها إليه بفتح بها مصر، ويصده بأرسالها ويوصيه على أمور جيدة" .

فسار به الى قلعة الجبل وسجنه بها؛ وأطلق [السلطان] حواشيه، وبعت بجريره إلى مصر، وأطلق لهم الرواتب .

- ولما خلا بال السلطان من هم الملك المغيث، توجه بكتيته إلى الفرنج: فإنهم [كانوا قد] شرعوا في التملل وطلبوا زرعين، فأجابهم السلطان ^(١) بأنكم تموضن عنها في الأيام الناصرية ضياعا من مرج عيون ^(٢)، [وهم لا يزدادون إلا شكوى . وأنزال حال طلب الفرنج من وإلى غزة كتابا بتحكين رسلكم إذا حضروا، فكتب لهم الكتاب، وتواصلت بعد ذلك كتبهم]. ووردت كتب النواب بشكواهم، وأنهم قد اعتمدوا أمورا تفسخ الهدنة . فلما صار السلطان في وسط بلادهم وردت عليه كتبهم، وفيها: ^(٣) "ما عرفنا بوصول السلطان". فكتب إليهم: ^(٤) "من يريد [أن] يتولى أمرا ينبغي أن يكون فيه يقظة، ومن خفى عنه خروج هذه العساكر، وجعل ما علمته الوحوش في الفلاة والحيتان في المياه، من كثرتها التي [لعل] بيوتكم ما فيها موضع إلا ويكنس منه التراب الذي أثارته خيل هذه العساكر، ولعل وقع سناكبها قد أعمى أسماع من وراء البحر من الفرنج، ومن في موقان ^(٥) من التار . فإذا كانت هذه العساكر تصل جميعها إلى أبواب بيوتكم ولا تدرون، فأى شيء تعلمون؟ [وماذا تحيطون به علم؟ ولم لا أعطيتم لوالى غزة الكتاب الذى كما سيرناه لكم بتحكين رسولكم إذا حضر؟]" فقال الرسول:

(١) وقت تلك المفاوضات الأولى، حسبما سبق ورودها، سنة ٦٥٩ هـ - (انظر ص ٤٦٤، سطر هـ) .

(٢) عبارة السلوك هنا مختصرة جدا، وتنصبا بعض حقائق لازمة لهم لتسلل الحوادث، وقد أضيف ما بين الأقواس في هذه الفقرة وما يليها من ابن واصل (نفس المرجع، ص ٤١٤ أ - ب) .

(٣) في ص "عليهم" .

(٤) يفسم من ابن واصل (نفس المرجع والصفحة) أنه لما وصلت كتب شكوى النواب من تعدى الفرنج ومن عدم احترامهم للهدنة القائمة، أجاب السلطان الظاهر بأنه سيحقق تلك الأمور جميعا عند مجيئه إلى الشام، وأشار بدعوة الفرنج إلى حضرة من أجل ذلك . فلما جاء إلى الشام ورد إليه رسول من الفرنج وعنه بسلامة الوصول، وقال له بأن الفرنج لم يعرفوا بمجيئه، وكان جواب السلطان للرسول كما يلي بالمتن . ويلاحظ أن المفهوم من عبارة المقرئ هنا أن ذلك كله حدث بالمكاتبة .

(٥) بئر ضبط في ص، وهى إحدى أقسام آذربيجان، ويطلق عليها أهلها موغان أيضا، وبها مروج كثيرة تحتلها الزكائن للرعى . (باقوت: معجم البلدان، ج ٤، ص ٦٨٦) .

”نسيتا ، وما علمنا كيف عُدِم . فكان الجواب : ” إذا نسيتم هذا فأى شيء تذكرون ؟ وإذا ضيَعتموه فأى شيء تحفظون ؟ “ وانفصل الحال على هذا . ووصلت تواب يافا وتواب أرسوف بهدية ، فأخذت منهم [تطعينا لقلوبهم ، وتسكيناً لهم . هذا] و[قد] أمر السلطان ألا يتزل أحد في زرع الفسرج ولا يسب فرساً ، ولا يؤذى لهم ورقة خضراء ، ولا يتعرض لملى شيء من مواشيهم ولا إلى (١٢٣ ب) أحد من فلاحهم .

وكانت كتبهم أولاً ترد بنتمهم على الهدنة وطلبهم فسحها ، فلم يقرب السلطان منهم صارت ترد بأنهم ياقون على العهد متمسكون بأذيال المواثيق .^(١١)

وفي اليوم الذى قبض فيه على الملك المغيث ، أمر السلطان بإحضار بيوت الفرنجية وقال : ” ما تقولون ؟ “ قالوا : ” نتمسك بالهدنة التى بيننا “ . فقال [السلطان] : ” لم لا كان هذا قبل حضورنا الى هذا المكان ، وإتفاق الأموال التى لو جرت لكات بحاراً ؟ ونحن [لما حضرنا الى هاهنا] ما آذينا لكم زرعاً ولا غيره ، ولا نهب لكم مال ولا ماشية ، ولا أمر لكم^(١٢)

(١) انظر ملحق رقم ١ فى آخر هذا الجزء ، وهو نص لضمون كتب وردت الى السلطان بيبرس من عند مقدم هيئة الفرسان الاسبتارية تلك السنة ، وجواب السلطان عليها .

(٢) المقصود بالبيوت هنا الدويلات الصليبية الباقية بالثام ، مثل بيت الاسبتار وبيت الداوية وإمارة يافا وإمارة أنطاكية . وفى ابن واصل (نفس المربع ، ص ٢١٤) مثل على هذا الاستعمال ، ونصه : ” ولما استقل ركاب الملك الظاهر وسار الى وسط بلاد الفرنج ، ورد رسول منهم يذكر أن البيوت يفلون الأرض ويهتجون بالسلامة ... “ . على أن تسمية الدويلات الصليبية باسم ” البيوت “ له مناه ، فإن بقي الاسبتارية والداوية كما قد أمجا — فى تلك الأيام الباقية للصليبيين بالشرق — القوة الحربية التى يمتد بها هناك . ولقد كان من بين الرسل الفرنج الذين جاؤوا لحضرة السلطان تلك السنة ، واحد من قبيل (Hugh Revel) رئيس الاسبتار ، وآخر من عند (Thomas Bernard) رئيس الداوية . انظر (King : The Knights Hospitallers In The Holy Land. pp. 258-259)

(٣) أضيف ما بين القرنين من ابن واصل (نفس المربع ، ص ٢١٥) . وسلاحظ القارئ كثرة الإضافات بالصفحات التالية ، وكلها من نفس المربع (ص ٢١٥ — ٢١٦ ب) ، وسبب كثرة هذه الإضافات أن القرينى اختصر ما أورده هنا من هذه الوثائق اختصاراً غللاً ، مع أن المقام كان يقتضى من القل الحرف . على أنه ليس مفهوماً تماماً سبب اختصار القرينى لهذه الوثائق ، وقد يكون ذلك راجع إلى أن بعض الحقائق المتعلقة بها غير موجودة فى صلب كتاب السلوك ، أو لأن القرينى نقل هنا من مرجع مختصر .

- [أسير] . وأتم منعم الجلب والميرة عن العسكر، [وحزمت من خروج شئ من الغلات والأغنام وغير ذلك، ومن انقرد من غلمان العسكر أسرتموه] . وسيرتم إلينا بدمشق نسخة يمين حلفنا عليها، وسيرنا نسخة يمين [من عندنا] لم تحلفوا عليها، وعلمتم أتم نسخة حلقم عليها، وشرط النمين الأولى تتعلق بالثانية . وسيرنا الأسارى إلى نابلس ومنها إلى دمشق، وما سيرتم أتم أحدا، وكل بيت يحيل على الآخر؛ [وما سيرنا الأسارى إلا وفاء بالعهد وإقامة الحجة عليكم] .
- وسيرنا كمال الدين بن شيث رسولا يعلمكم بوصول الأسرى، فلم تبعثوا أحدا، ولم ترحووا أهل ملككم الأسرى وقد وصلوا إلى أبواب بيوتكم، كل ذلك حتى لا تبطل أشغالكم من أسرى المسلمين عنكم . وأموال التجار شرطتم القيام بما أخذتموه منها، ثم قلتم ما أخذت من بلادنا وإنما أخذت في أنطرسوس، وحمل المال إلى خزنة [بيت] الديوية ولاسرى في بيت الديوية، فإن كانت أنطرسوس ما هي لكم فاقه يحقق ذلك . ثم إنا سيرنا رسلا إلى [بلاد
- الصلاحقة] الروم، وكتبنا إليكم بتسفيرهم في البحر، فأشرتم عليهم بالسفر إلى قبرس [فصافروا بكمابكم وأمانكم]، فأخذوا وقيدوا وضيق عليهم، وأتلف أحدهم [على ما ذكر] . فإن كان هذا برضاكم فقبض أن يمتدوا هذا الاعتقاد . هذا مع إحساننا إلى رسلكم [وتجاركم، والوفاء أحد أركان الملك] . وجرت عادة الرسل أنها لا تؤذى، وإزالا الحرب قائمة والرسل تتردد، [وما القدرة على الرسول بشئ يسكن غيظا] . فإن كان هذا بنير رضاكم فإنه نقص في حرمتكم،
- 10 [وإذا كان صاحب جزيرة قبرس من أهل ملككم، يخرق حرمتكم ولا يفي بمهدكم ولا يحفظ ذمامكم ولا يقبل شفاعتكم، فأى حرمة تبقى لكم وأى ذمام يوثق به منكم، وأى شفاعة تقبل عند المسلمين والقرنجية ؟] . وهل كانت الملوك [الماضية] تقى النفوس [والرجال] والأموال إلا بحفظ الحرمه ؟ و [ما] صاحب [جزيرة] قبرس [ملك عظيم، ولا صاحب حصن منيع،

(١) الجلب ها ما تجلبه البلاد من الأطعمة لجيوش الازالة بفرها، ويضع هذا المعنى من البارة الآتية وهي من ابن أبي الفصائل (كتاب النج السديد، ص ١٠٨) ، ونصها : "مارسل الله سبحانه [من] الأمطار ما منعت الجلب، فلت الأسمار ولحق العسكر مشقة عظيمة" .

(٢) هذه صيغة أخرى لفظ الداوية . انظر ابن واصل (نفس المريج، ص ٤١٥ ب) .

- ولا قائد جيش كثير ، ولا هو خارج عنكم . بل [أكثر تعلقاته في عكا والساحل ، وله عنكم المراكب والتجار والأموال والرسل] ، وليس هو منفرد بنفسه ، وعنده الديوية وجميع البيوت والتواب مقيمون عنده ، وعنده كُنْدُ يافا [وغيره] . فلو كنتم لا تؤثرون ذلك كنتم قتم جميعكم عليه ، وأحطتم كل ما يتعلق به [وأصحابه ، واسترحم من هذه الفضيحة] ، وكنتم إلى ملوك الفرنجية وإلى البابا بما فعله . [وإذا قتم صاحب قبرس لا يسمع منكم ولا يطيعكم ، فإذا لم يسمع منكم صاحب قبرس وهو من أهل ملككم ، فن يسمع منكم ؟ وهل لمنه التقدمة إلا الأمر والنهي ؟ ولا سيما أتم تقولون إن أموركم دينية ، ومن ردها عصي المعبود ، وينضب عليه المسيح . فكيف لا يعصى المعبود وينضب المسيح على صاحب قبرس ، وهو قد رده أمركم وأغرى بكم وقبح قولكم ؟ وكالوا اشتينا أخذنا حقنا منه ، وإنما الحق عندكم نحن نطلب منكم ، وأتم تطلبون منه] . وأتم في أيام [الملك] الصالح إسماعيل أخذتم صفد والشقيف ، على أنكم تعبدونه ^(١) على السلطان الشهيد الملك الصالح نجم الدين [أيوب] . وخرجتم ^(٢) (١٢٤) جميعكم في خدمته ونجده ، وجرى ما جرى من خذلانه ، وقتلكم وأسركم [وأسر ملوككم وأسر مقدبيكم ؛ وكل أحد يتحقق ما جرى عليكم من ذهاب الأرواح والأموال] . و [قد] انتقضت تلك الدولة ، ولم يؤخذكم السلطان الشهيد عند فترحه البلاد ، وأحسن إليكم فقابلتم ذلك بأن رحتم إلى الريدا ^(٣) فرنسا ، وساعدتموه وأتيتم محبته إلى مصر ، حتى جرى ما جرى من القتل والأسر . فأي مرة وفيتم فيها لمملكة مصر ، أم أي حركة أفلحتم [فيها] ؟ وبالجملة فأتتم أخذتم هذه البلاد من [الملك] الصالح إسماعيل لإعانة مملكة الشام ، وطاعة ملكها ونصرتها [والخروج في خدمته ، وإخفاق الأموال في نجده] . وقد صارت [بحمد الله] لمملكة الشام وفيها لي ، وما أنا محتاج إلى نصرتكم ولا إلى نجسدتكم ، [ولم يبق لي عدو أخافه] . فردوا ما أخذتموه من البلاد ، وفكروا أسرى المسلمين جميعهم ، فإني لا أقبل غير ذلك ” .

(١) في س ” تقيده ” . (٢) يوجد بين الصفحتين ١٢٣ ب ١٢٤ إلى س ورقة لمصورة ،

فيها وفيات تامة لسنة ١٢٦١ هـ ، وسورد في مكانها المناسب في ذيل هذه السنة .

(٣) انظر ص ٣٣٢ ، مطر ١٧ .

[فلما سمع رسل الفرنج هذه المقالة بهتوا]، وقالوا : "نحن لا ننقض الهدنة، وإنما نطلب مراحم السلطان في استدامتها، [ونحن] نزيل شكوى التواب، ونخرج من جميع الدعاوى [ونفك الأسرى]، ونستأنف الخدمة". فقال السلطان : "كان هذا قبل خروجي من مصر، في هذا الشتاء وهذه الأمطار، ووصول العساكر [إلى هنا] . وانفصلوا على هذه الأمور" ، فامر [السلطان] بإخراجهم وألا يبيتوا في الوطاق، ووجه الأمير علاء الدين طيرس إلى كنيسة الناصرة، وكانت أجل مواطن عبادتهم ويزعمون أن دين النصرانية ظهر منها، فسار إليها وهدمها ، فلم يجلس أحد من الفرنج [أن] يتحرك . ثم وجه [السلطان] الأمير بدر الدين الأيدمرى في عسكر إلى عكا، فساروا إليها واقتحموا أبوابها وعادوا . ثم ساروا ثانياً، وأغاروا على مواشي الفرنج، وأحضروا منها شيئاً كثيراً إلى الخيم .

- ١٠ واستمر جلوس السلطان كل يوم على باب الدهليز بصفة عمرها ، من غير احتجاج عن أحد ، [فن وقف له أحضره وأخذ قصته وأنصفه]^(١) ، وهو في أمر ونهى وعطاء وتبدير ، واستجلاب [قلوب] أهل الكرك . وقدمت رسل دار الدعوة بالهدايا ، فأحسن إليهم وعادوا .

(١) في س "سألو" .

(٢) الصفة هنا مطبوعة مرتفعة تستعمل للجلوس عليها (محيط المحيط) ، ومن معانيها في (Dozy: Supp. Dict. Ar.) القنط الإنجليزي (sofa) أي الأريكة أو المقعد ، وفي الشبه بين منطوق القنطين العرب والإنجليزي ما يوجب الالتفات . وفي ابن واصل (قص المرحع ، ص ٤١٦ ب) أن هذه الصفة التي عمرها السلطان بيرس كانت مبنية بالجر المنحوت ، وطبعا اسم المصنوع .

(٣) القصة هي الطلب أو الاعتذار (requête, placet) ، ويرضها صاحب الحاجة أو الشكوى إلى حضرة السلطان عن طريق موظف خاص اسمه قصة دار . وقد تكون القصة خاصة بطلب تحديد إقطاع انتهى عقده ، أو بارتجاع إقطاع انتقل من صاحبه لسبب من الأسباب ، وفي مثل هذه الحالة تعرض القصة أولاً على ناظر الجيش ، ليكشف عنها قبل عرضها على السلطان . انظر (الفقهندي : صبح الأعشى ، ج ١٣ ، ص ١٥٤ ، Dozy : Supp. Dict. Ar.) .

(٤) أضيف ما بين القوسين من ابن واصل (قص المرحع ، ص ٤١٦ ب) .

(٥) المقصود بدار الدعوة هنا مركز الإسماعيلية بالشام (Quatremère : Op. Cit. I. 1. p. 198) ، وهو تفرع مصياف (Le Strange : Palest. Under Moslems. p. 352) ، واسمه مصياف أيضاً ، وموقعه بالساحل قرب طرابلس . (باتوت : معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ٥٠٦) .

وأمر جماعة في الشام والساحل ، وأعطى الأمير علاء الدين أيدكين البندقدار إقطاعا جيدا بمصر . وطلب أهل بلاد الساحل من الفلاحين ، وقرر عليهم أموالا سماها جَنَائَاتٌ^(١) ، وأزهمهم بجملها إلى بيت المال ، عن ديّات من قتل وليس له وارث وعمّا نهبوه من مال جهل مالكة . فحملت من ذلك أموال كثيرة جدا من بلاد نابلس وبلاد الساحل ، وانكسرت شوكة أهل البيت والفساد بذلك بمد ما كان الضرر عظيما بهم ، من تسلطهم على الرعية (١٢٤ ب) وقلّهم الأخبار للفرنج . فرأى [السلطان] عقوبتهم بهذا الفعل أولى من قتلهم ، فأنهم أصحاب ذرع وضرع .

ولما كان ليلة السبت رابع جمادى الآخرة ، ركب السلطان وجرّد من كل عشرة فارسا ، واستناب الأمير شجاع الدين الشبلي المهندار في الدهليز السلطاني ، وساق من منزلة الطور نصف الليل . فصبح عكا وأطاف بها من جهة البر ، وندب جماعة لحصار برج كان قريبا منه فشرعوا في تقيبه ، وأقام [السلطان] على ذلك إلى قريب المغرب وعاد . وكان قصده بذلك كشف مدينة عكا ، فإن الفرنج كانوا يزعمون أن أحدا لا يجسر أن يقرب منها ، فصاروا ينظرون من أبواب المدينة ولا يستطيعون حركة . ولما عاد السلطان إلى الدهليز ركب لما أصبح ، وأركب الناس معه ، وساق إلى عكا . فإذا الفرنج قد حضروا خندقا حول تل الفضول ، وجعلوا تماثيل الطريق ، ووقفوا صفوفا على التل . فلما أشرف [السلطان] عليهم رتب ١٥
العسكر بنفسه ، وشرع الجميع في ذكر الله وتهليله وتكبيره ، والسلطان يحثهم على ذلك حتى ارتفعت أصواتهم . ولوقت رُدمت الخنادق بأيدي غلمان الساكر ومن حضر من الفقراء المجاهدين ، وصعد المسلمون فوق تل الفضول ، وقد انهزم الفرنج إلى المدينة .

(١) الجنائيات جمع جنّاية ، ومعناها في الاصطلاح التاريخي ما يفرضه السلطان من الضرائب والقرضات التأديبية على رعيته . (Quatremère: Op. Cit. I. 1. p. 199. N.79). انظر أيضا (Dozy: Suppl. Dict. Ar.).
(٢) تريم (Quatremère : Op. Cit. I. 1. p. 200) هذا اللفظ الـ (chausse - trape) ، ولعل المعاصر جمع العائور ، وهو ما يمدّ في الأرض من حفرة ونحوها ليقع فيه أحد ، وتأتي أيضا بمعنى المهلكة من الأرض ، وبمعنى البرّ . (محيط المحيط) .

- وامتدت الأيدي إلى ماحول عكا من الأبراج فهدمت، وحرقت الأشجار حتى انقعد الجو من دخانها . وساق المسكر إلى أبواب عكا، وقتلوا وأسروا عتة من الفرنج في ساعة واحدة، والسلطان قائم على رأس التل يعمل الرأي في أخذ المدينة، والأمراء تحمل على الأبواب واحدا بعد واحد . ثم حملوا حملة واحدة ألقوا فيها الفرنج في الخنادق، وهلك منهم جماعة في الأبواب . فلما كان آخر النهار ساق السلطان إلى البرج الذي تُقْب، وقد تَمَلَّق حتى رُمى بين يديه، وأُخِذَ^(١) منه أربعة من الفرسان ونيف وثلاثون راجلا، وبات [السلطان على ذلك] . فلما أصبح عاد على بلاد الفرنج وكشفها مكانا مكانا، وعبر على الناصرة حتى شاهد خراب كنيسها وقد سُوي بها الأرض، وصار إلى الصفة التي بناها قبالة الطور، فوافاها ليلا وجلس عليها . وأحضر الشموع [التي] بالمجنقات ونصب عليها خيمة ، وأحضر الصاحب نغر الدين محمد بن حنا وزير الصعبة ، وجماعة كتاب الدرج وهم^(٢) (١١٢٥) سبعة : الصاحب نغر الدين بن ١٠

(١) هذا القبط مضبوط في س بضم الألف فقط .

(٢) الشموع جمع شمع، وسمى الشموع هنا الأعمدة الخشبية الدقيقة (mince pilier) . انظر (محيط المحيط : Dozy : Supp. Diet. Ar. :)

(٣) كان كتاب الدرج من موظفي ديوان الإنشاء، وكذلك كتاب الدست، وقد شرح القلقشندي (صبح الأعشى، ج ١ ص ١٣٧، وما بعدها) عمل كل من هاتين الطيفتين من الكتاب وعددهما في زمنه وقوله، وبين أصل تسميتهما أيضا، ونصه : "وأما ما استقر عليه الحال في زماننا فكأن كتاب الديوان على طيفتين : الطبقة الأولى كتاب الدست، وهم الذين يجلسون مع كاتب السر بمجلس السلطان يداو العدل في المواعيد، على ترتيب منازلهم بالقدم، ويقرون القصص على السلطان بعد قراءة كاتب السر على ترتيب جلوسهم، ويقرون على القصص كما يوقع عليها كاتب السر . وسما كتاب الدست إضافة إلى دس السلطان، وهو مرتبة جلوسه، لجلوسهم للكتابة بين يديه . وهؤلاء هم أحق كتاب ديوان الإنشاء باسم الموقعين لتوقيعهم على جوانب القصص بخلاف غيرهم كانوا في أرائل الدولة التركية، في الأيام الظاهرية يهرس وما والاها، قبل أن يلقب صاحب ديوان الإنشاء بكاتب السر، ثلاثة كتاب ... ثم زادوا بعد ذلك قليلا إلى أن صاروا في آخر الدولة الأشرفية شعبان بن حسين عشرة أو نحوها، ثم تزايدوا بعد ذلك شيئا فشيئا، خصوصا في سلطة الظاهر برفق وابنه الناصر فرج، حتى جاوزوا العشرين وهم أخفون في الزيادة ... (ص ١٣) الطبقة الثانية كتاب الدرج، وهم الذين يكتبون ما يوقع به كاتب السر أو كتاب الدست، أو إشارة النائب أو الوزير برأر رسالة الهدادار، ونحو ذلك من المكاتبات والتفاليذ والتواقيع والمراسم والمناشير والأمانات والأمانات، ونحو ذلك مما يجري مجراه . وسما كتاب الدرج لكاتبهم هذه المكتوبات ونحوها في ديوج الورق، والمراد بالدرج في العرف =

تقيان، والصدر بدر الدين حسن الموصل، والصدر جمال الدين أحمد بن العجمي، والصدر فتح الدين بن القيسراني، والصدر شهاب الدين أحمد بن عبيد الله، والصدر برهان الدين .
 و [أحضر] كتاب الجيش ، وأمر الأمير مسيف الدين الزينى أمير علم أن يحلس مع كتاب الجيش ، لأجل كتابة المناشير وتجهيز الطلغناه ، وأن يكون الأتابك بين يدى السلطان .
 واستدعى من الجشارات بجماعة فرس لأجل الطلغناه وخيول الأمراء ، وأحضرت خلع كثيرة ، وأمر السلاح دارية أن يستريحوا بالنوبة ويحضروا . فلم تزل المثالات ^(٣) والمناشير ^(٤)

== العام الورق المستعمل المركب من عدة أوصال، وهو عرف الزمان عبارة عن عشرين وصلا متلاصقة لأغراض...
 ويجوز أن يطلق عليهم [أى كتاب الدرج] كتاب الإنشاء، لأنهم يكتبون ما ينشأ من المكاتبات وغيرها مما تقدم ذكره، ولا يجوز أن يطلق عليهم لقب الموصفين، لما تقدم أن المراد من التوقيع الكتابة على جواب القصص ونحوها . وكما زاد عدد كتاب الدست في العدد زاد كتاب الدرج حتى تربيوا من الحد، وبلغوا نحو من مائة وثلاثين كتاباً... على أن كتاب الدست الآن هم المصدرون لكتابة المهم من كتابة الدرج ، كتلفات البريد المختصة بالسلطان من المكاتبات والعهود والتقاليد وكبار التواقيع والمراسم والمناشير . وصار كتاب الدرج مخصوصين بالمكاتبات في خلاص الحقوق وما في معناها ، وكذلك صفراء التواقيع والمراسم والمناشير مما يكتب في القطع الصغير . وربما شارك أعلام كتاب الدست في التقاليد وكبار التواقيع وما في معناها، إذا كان حسن الخط...“ . انظر أيضاً الفلقشتى (فخس المرجع، ج ٥ ص ٤٦٤ — ٤٦٥ : G. - Demombynes : Op. Cit. Index .

(١) كان صاحب هذه الوظيفة هو الذى يتولى أمر الأعلام السلطانية والطلغناه، وسرت العادة في أيام المماليك أن يكون المتحدث علياً من طبقة أمير عشرة . وكان هناك أيضاً وظيفة علم دار، وصاحبها هو الذى يحمل العلم في ركاب السلطان . (الفلقشتى : صبح الأعشى، ج ٤ ص ٤٢٢، ج ٥ ص ٤٥٦، ٤٦٣).

(٢) الجشارات جمع جشار، وهو مكان رمى المشاة من خيل وغيرها . وفي (Dozy : Supp. Dict. Ar.) مثل توضيح هذا المعنى، رضعه : “... وهم على جشارهم، فأخذ منهم من الخيل أربعة وأربعين رأساً ومائة من البقر” .

(٣) المثالات جمع مثال، وهو أول ما كانت يكتب من الأوراق الرسمية إذا ما أعطاه أحد المماليك إقطاعاً من الإقطاعات الخالية . وكان المثال يخرج من ديوان الجيش ، ويقدمه ناظر هذا الديوان إلى السلطان أثناء جلوسه بدار العدل، فإذا شمله السلطان بالمرأفة أرسله ناظر ديوان الجيش إلى ديوان النظر لتسجيله وحفظه، ويكتب بذلك “مرسية” فيها اسم المعلن على الإقطاع ورتبته وغير ذلك من التفصيلات اللازمة . ثم ترسل المرسية إلى ديوان الإنشاء، فيكتب كاتب السر بمقتضاها منشور الإقطاع، والمنشور آنتر أمدوار تلك العملية . (الفلقشتى : صبح الأعشى، ج ١٣ ص ١٥٣، وما بعدها : G. — Demombynes : Op. Cit. Introd. p. XLIII et seq.

(٤) انظر الحاشية السابقة، وكذلك ص ٤٧٠، حاشية ٦ .

تكتب وهو يعلم، فكتب بين يديه تلك الليلة ستة وخمسون منشورا كبارا بخطب لأمرءا كبار . و [ظل] صاحب نغر الدين يعلم، وفتح الدين بن سناء الملك صاحب ديوان الجيش وصاحب ديوان الخزائن يعلم، والأمير بدر الدين الخازندار واقف، والمستوفي يتزل، حتى كملت بين يديه . وأصبح [السلطان] غخلا بنفسه، وجهاز الطبخاناه والسناجق والخليل وانطلق إلى الأمراء، وجعل الأمير ناصر الدين القيمرى نائب السلطنة بالفتوحات الساحلية .
ورحل [السلطان] من الطور يوم الاثنين ثالث عشر جمادى الآخرة، وسار إلى القدس فوافاه يوم الجمعة سابع عشره : وكشف أحوال البلد وما يحتاج إليه المسجد من العارة، ونظر في الأوقاف وكتب بمحايتها، ورتب برسم مصالح المسجد في كل سنة خمسة آلاف درهم، وأمر ببناء خان خارج البلد، ونقل إليه من القاهرة باب القصر المعروف بباب العيد، ونادى بالقدس ألا يتزل أحد في زرع .

١٠

ثم سار [السلطان] إلى الكرك فترله يوم الخميس ثالث عشره بعساكره، وأحضر السلام الخشب من الصلت وغيره، والمجارين والبنائين والنجارين والصناع من مصر ودمشق . وكتب إلى من في الكرك تخافوا، وترددت الرسل بينهم وبينه، حتى استقر الحال على أنه يعطى الملك العزيز عثمان بن الملك المغيث إمرة مائة فارس، وأنهم بذلك . ونزل أولاد المغيث، وقاضى المدينة وخطبها وعدة من أهلها، ومعهم مفاتيح المدينة والقلعة، خلف لهم السلطان وأرضاهم، وسير الأمير عز الدين أيدمر الأستاذار، والصاحب نغر الدين محمد بن صاحب بهاء الدين على بن محمد بن سليم بن حنا، في (١٢٥ ب) ليلة الجمعة رابع عشره، قساما للقلعة . وفي بكرة الجمعة دعى للسلطان على الأسوار، ونصبت سناجقه على الأبراج، وركب في الساعة الثالثة وطلع إلى القلعة ورتب أمر جيش الكرك، وأتفق فيهم ثلاثة أشهر من خرائته .

١٥

(١) كان ذلك الباب أحد أبواب القصر الكبير القاطمى، وقيل له باب العيد لأن الخليفة كان يخرج منه فيرى البدين إلى الصلاة . (المقرئى : المواظ والاختيار، ج ١، ص ٤٣٥ : الفتشنى : صبح الأعشى، ج ٣، ص ٣٥٠) .

(٢) في ص "فق" .

واهتم [السلطان] ببلادها وعين لها خاصا، وزاد جماعة، وأنعم على أولاد الملك المغيث بجميع ما كان في القلعة من مال وقماش وأثاث . وصلى بها صلاة الجمعة ، ونزل قريب المغرب ، ولم يتعرض أحد من السكر لأهلها بسوء . وأصبح [السلطان] فبعث إلى العزيز بن المغيث الخلع والقماش ، وإلى الطوائشي بهاء الدين صندل ، والأمير شهاب الدين صعلوك أتابكته . وكُتب بالشارة إلى مصر والشام بأخذ الكرك ، وأن تُحل إليه الفلات والأصناف . وطلع [السلطان] إليها يوم الاثنين ، وأحضر الدواوين ورتب الإقطاعات للعربان والأجناد ، فكتب بين يديه زيادة على ثلاثمائة منشور، وسلمت لأربابها بعدما حلّفوا بين يدي السلطان، وكُتبت أيضا توافيق لأهل الكرك بمناسب دينية وديوانية . وجرّد [السلطان] بها عدة من البحرية والظاهرية، وحلّف مقدمي الكرك ونصاراها، وقال لأهل الكرك : "اعلموا أنكم قد أسأتم إلى في الأيام الماضية، وقد اغتفرت لكم ذلك لكونكم ما خاسرتم على صاحبكم . وقد ازدادت فيكم حجة، ففتنوا الحقود" . وأحضر الأمير عينية^(١) وغيره من عرب بني مهدى^(٢) ، وأزهمهم أدراك البلاد وخفّروهم إلى أرض الجحاز . وأمر بعمارة ما يحتاج إليه في السور وحصنه، وحفر الخندق وأحاطه بالحصن ، ولم يكن قبل ذلك كذلك . وأتمنح الحصن بالأسلحة والفلال وآلات الحرب والأقوات، ووضع فيه مبلغ سبعين ألف دينار عينا ومائة ونحسين ألف درهم نقرة . واستتاب بالكرك الأمير عز الدين أيذر من مماليكه ، وأضاف إليه الشوبك وأعطاه ثلاثين ألف درهم وكثيرا من القماش .

ورحل [السلطان] إلى مصر ، ومعه أولاد الملك المغيث وحرّمه ، في يوم الأربعاء تاسع عشره . فدخل القاهرة في سابع عشر رجب وقد زينت أحسن زينة ، فشق

(١) كما في س ، وقد ترجم (Quatremère : Op. Cit. I. 1. p. 217) هذا الاسم إلى (Otlun) ، ويميز هذه الصيغة الثانية ابن واصل (نفس المربع ، ص ٤١٩ ب) ، حيث اسم هذا الأمير العربي "عنه من بني عقبه" . (انظر الحاشية التالية) .

(٢) المقصود هنا عرب بني عقبة الذين كانت مساكنهم حول الكرك، وهم أحد فروع بني مهدى . (الفلقشتدي: صبح الأعشى، ج ٤، ص ٢١٢ - ٢١٣ - ٢٤٢ - ٢٤٣) .

(٣) يوجد فرق هذا القنفذ في س إشارة إلى سقطه موجودة بهامش الصفحة ، وهي "وسرف الدين" .

القصة الى قلعة الجبل على شق الحرير الأطلس والتابي، وخلع على الأمراء والمفاردة والمقدمين وجميع حاشيته (١٢٦) وعلمانه ومباشره، وأعطى العزيزين الملك المنقث إمرة مائة فارس وخلع عليه وأعطاه طبلخاناه، وأطلق لأخويه وكرم أبيه سائر ما يحتاجون اليه هم وعلماهم، وأتزعلم بدار القطية بين القصرين من القاهرة .

- وأصبح [السلطان] قبض على الأمير سيف الدين الرشيدى واعتقله . وفى تاسع عشره قبض على الأمير عز الدين أيبك البدياوى والأمير شمس الدين أفوش البرلى واعتقلهما ، فكان آخر العهد بأفوش البرلى . ولما قبض [السلطان] عليهما أحسن الى مماليكهما وحواشيهما ، ولم يفر على أحد منهم ولا تعرض الى بيوت الأمراء . وكان سبب تنكره على هذه الأمراء أنه [كان قد] فوض الى الرشيدى أمر الملكة حتى تصرف يده فى كل شئ ، وأطلق له (١) فى كل جمعة خزانين [من عنده] يُبدآن له حتى ماء الورد ، ورُتب له فى كل شهر كلوتتين

(١) هذا اللفظ معنى كلوة ، وهى غطاء الرأس تلبس وحدها أو بهامة ، وتجمع على كلوات وكلاوات ، وتسمى أيضا كلوة وكلتانة وكلتفة ، ويقابلها فى الفرنسية لقط (calotte) . وقد اختلف الأصوليون فى أصل هذا الاسم ، فيقول بعضهم إنه من اللفظ اللاتينى (calva) أى غطاء أعلى الرأس (superior pars capitis) ، ويقول آخرون إنه من لفظ لا تينى آخر هو (calautica) ، كما يقول فريق ثالث إنه معرب اللفظ الفاريسى "كلوة" . (Dozy : Supp. Diet. Ar.) . وقد استحدثت سلاطين الأيوبيين لبس الكلوة بمصر ، فكانوا يلبسون الكلوات الجوخ الصفراء على رءوسهم بفسير هائم ، وذوائب شعورهم مرصاة تحته ، وكذلك كان يفعل أمراؤهم وجندهم ومماليكهم . ولم يزل السلاطين والجنود يلبسون الكلوات الصفراء بغير عمامة الى أواسط دولة المماليك البحرية ، فلما رلى السلطان المنصور قلاوون السلطة غير هذا الزي ، إذ أضاف لبس الشاش على الكلوة . وفى عهد ابنه الأشرف خليل رسم جميع الأمراء أن يرتكبو بين مماليكهم بالكلوات الزركش ، وتركت الكلوات الجوخ الصفراء دونهم ، على أنها ظلت تلبس فوق ذوايب الشعر المرصاة على ما كان عليه الأمر أولا . فلما ملك السلطان الناصر محمد بن قلاوون استبعد العمامة الناصرية وهى صغار ، وحلق رأسه وحلق الأمراء رءوسهم ، وتركت ذوايب الشعر . ثم حلت الكلوات البيضاء المتسوبة الى الأمير بلغا المصاكى المعرى محل العمامة الناصرية ، وظل الأمر على ذلك حتى عهد السلطان الظاهر برقوق أول سلاطين دولة المماليك الجراكسة ، فأحدث هذا السلطان الكلوات الجراكسية ، وهى أكبر من البيضاء . (القرىزى : المواعظ والاعتبار ، ج ٢ ، ص ٩٨ ؛ التلقتشى : صبح الأعشى ، ج ٤ ، ص ٥٠ - ٩٠) . ومن أخضية الرأس أيضا فى تلك الأزمنة الثربوش والطاوية ، وقد تقدم وصف أولها فى ص ٢٥١ ، حاشية ١ ، ويضاف اليه هنا أن الثربوش كان يلبس عادة مع الخلع السلطانية ، وفى ذلك يقول القرىزى (المواعظ والاعتبار ، ج ٢ ، ص

زركش قيمة كل منهما مبلغ خمسين ديناراً عينا وقيمة كليندها مبلغ أربعين ديناراً ،
[وكتب له برسم مشروبه اثني عشر ألف دينار في كل سنة . هذا] سوى ما له من
الإقطاعات الجليلة والمربيات الكثيرة ، وسوى الإنعامات وجوامك البزارية والقهادة وعليق
الخيول . فأقبل [الرشيدى] على اللهو وشرب الخمر ، وحث حواشيه عدة بلاد ، وحدثت
منه أمور لا تسر ، فأغضى عنه السلطان . فلما كان بالطور بلغه أن الرشيدى قد فسدت
نيتة ، فأقام عليه عيوناً تحفظ كل ما يجرى منه : فبلغه عنه أنه كان يكتب المغيث بالكرك
ويحذره من القدوم على السلطان ويشير عليه ألا يسلم نفسه ، وأنه كتب إلى أهل الكرك
أيضاً بعد القبض على المغيث يأمرهم ألا يسلموا الكرك ؛ فاستمر [السلطان] ذلك في نفسه
إلى أن صار إلى الكرك ، فبلغه عنه أنه يريد المبادرة إلى أخذ الكرك ، فصارع إليه ولاطفه

ص ٩٩ : ” وأما الخلع فإن السلطان كان إذا أمر أحداً من الأتراك ألبسه الثربوش ، وهو شىء يشبه التاج
كأنه شكل مثلث ، يمس على الرأس بنير عمامة ... وقد بطل الثربوش في الدولة العثمانية “ . أما الطاقية فالتقويم من
المصريين (فمن المرحع والجوزء ، ص ١٠٤) أنها كانت أولاً للعبان والبنات ، ثم ” كثر لبس رجال الدولة من
الأمرء والمالكة والأجناد ومن يقبض بهم الطوائف في الدولة العثمانية ، وصاروا يلبسون الطاقية على رؤوسهم بغير
عمامة ، ويؤمنون كذلك في الشوارع والأسواق والمواكب “ لا يرون بذلك بأساً ، بعد ما كان نزع العمامة عن الرأس
عاراً وفضيحة . وتوعوا هذه الطوائف ما بين أخضر وأحمر وأزرق وغيره من الألوان ، وكانت أولاً ترتفع نحو سدس
ذراع ، ويصل أعلاها مدقراً مسطوحاً . فحدثت في أيام الملك الناصر فرج شىء . صرف بالطوائف العثمانية ، يكون
ارتفاع صصابة الطاقية منها نحو ثلثي ذراع ، وأعلاها مدقور مقبب . وبالنسبة في تبطين الطاقية بالورق والكثير (كذا) ،
فما بين البطانة المباشرة للرأس والوجه الظاهر للناس ، وجسلاً من أسفل الصلبة المذكورة زبقاً من فرو القرض الأسود
يقال له القنص ، في عرض نحو ثمن ذراع ، يصير دائراً بحجة الرجل وأعلى عنقه . وهم على استعمال هذا الزي
إلى اليوم (أي زمن المقيريزى) ، وهو من أصح ما عايناه ، ويشبه الرجال في ذلك بالنساء “ .

(١) كذا في س ، وقد ترجم (Quatromère : Op. Cit. L. I. p. 211) هذا اللفظ إلى (turban)
أي عمامة . غير أن التقويم من سياق العبارة أن الكلبية هذا كان جزءاً من غطاء الرأس ، سواء أكان عمامة أو كقوة .
(انظر الحاشية السابقة) .

(٢) أضيف ما بين القوسين من ابن واصل (قص المراجع ، ص ٤٢٠ ب) .

(٣) البزارية جمع بزدار — أو بازدار — ، وقد تقدم شرح هذا اللفظ . (انظر ص ٣٦ ، حاشية ٦) .

(٤) القهادة هم الأشخاص الموكول إليهم حراسة القهود .

- وركب معه إلى الكرك وأخذها . و [بلغ السلطان عنه ^(٢١) أيضا] عدة أمور من هذا النحو .
- وقدمت رسل الملك بركة تطلب النجدة على هولاءكو — وهم الأمير جلال الدين ابن القاضي ، والشيخ نور الدين علي ، في عدة — ، [و] يجيرون بإسلامه وإسلام قومه ، وعلى يدهم كتاب مؤرخ بأول رجب سنة إحدى وستين [وسمائة ^(٢٢)] . وقدم أيضا رسول الأشكري ، [ورسول مقدم الجنوية ، ورسول صاحب الروم السلاجقة] ، فأحسن [السلطان] إلى الرسل وعمل لم دعوة بأراضي اللوق ، وواصل الإنعام عليهم في يومى الثلاثاء والسبت عند اللعب في الميدان .

- وفي يوم الجمعة ثامن عشرى شعبان خطب الخليفة الحاكم بأمر الله بحضور رسل الملك بركة ، ودعا للسلطان وللك بركة في الخطبة ، وصلى بالناس صلاة الجمعة ، واجتمع بالسلطان وبالرسل في مهمات أمور الإسلام .

وفي ليلة الأربعاء ثالث شهر رمضان سأل [السلطان] الملك الظاهر الخليفة الحاكم

(١) في س "وركب به معه" .

(٢) أضيف ما بين القوسين بعد مراجعة ابن واصل (نص المرجع ، ص ٤٢٠ — ٤٢٢) حيث هذه الأخبار الواردة بتفصيل أكثر ، ومن ضمنها شرح سبب غضب السلطان على البرل والديماطى .

(٣) في س "طلب" .

(٤) اسم هذين الأميرين في ابن أبي الفضائل (كتاب التيج الجديد ، ص ١١٠) جلال الدين ابن قاضي توقات ، وعز الدين التركاني .

(٥) أورد ابن واصل (نص المرجع ، ص ٤٢٢ — ب) مضمون هذا الكتاب ، وهذا نص عبارته : "وقرى كتاب الملك بركة ، [و] مضمونه الشكر والحمد وطلب الإيجاد على هلاكون ، وإنى قدمت أنا وإخوتي لحربه من سائر الجهات ، لإقامة سنار الإسلام ، وإعادة مواطن الهدى إلى ما كانت عليه من العبادة وذكر الله والأذان والقرأة والصلاة ، وأخذ ثأر الأئمة والأمة . ويتيسر إغاثة جماعة من المسكر إلى جهة القنات لمسك الطريق على هلاكون (ص ٤٢٢ ب) ، ويومى على صاحب الروم " . هذا وفي ابن أبي الفضائل (كتاب التيج الجديد ، ص ١١٠ ، وما بعدها) مضمون تلك الرسالة أيضا ، وهو لا يخرج في مائة عن ملخص ابن واصل .

(٦) أضيف ما بين القوسين من ابن واصل (نص المرجع ، ص ٤٢٢) ، والجنوية أهل مدينة جنوة . انظر التفهيد (صحيح الأعمى ، ج ٤٥ ص ٤٠٥) .

(١٢٦ ب) بأمر الله : " هل لبس الفتوة من أحد من أهل بيته الطاهرين أو من أوليائهم المتقين ؟ " فقال : " لا " ، واتمس من السلطان أن يصل سببه بهذا المقصود . فلم يمكن السلطان إلا طاعته المفترضة ، وأن يمنحه ما كان ابن عمه رضى الله عنه [قد] اقترضه ، وليس [الخليفة] في الليلة المذكورة بحضور من يُعتبر حضوره في مثل ذلك ، وبأشر اللبس الأتاك بك فارس الدين أقطاي بطريق الوكالة عن السلطان ، بحق لبسه عن الإمام المستنصر بالله أمير المؤمنين ولد الإمام الظاهر - وأبوه جلده الناصر [لدين الله] - والناصر لعبد الجبار ، لعلى ابن دُغيم ، لعبد الله بن الفير ، لعمر بن الرصاص ، لأبي بكر بن الجحيش ، لحسن بن الساربار ، لبقاء بن الطباخ ، لنفيس العلوى ، لأبي هاشم بن أبي حية ، لعمر بن ألبس ، لأبي علي الصوفي ، لمهنا العلوى ، للقائد عيسى ، لأمير وهران ، لرؤبة الفارسي ، لاللاك أبي كاليجار ، لأبي الحسن النجار ، لفضل الفرفاقي ، للقائد شبل بن الحكيم ، لأبي الفضل القرشي ، للأمير حسان ، لجوشن الفزاري ، للامير هلال النباهي ، لأبي مسلم الخراساني ، لأبي العز الثقيب ، لعوف الفسائي ، لحافظ الكندي ، لأبي علي التوبى ، لسلماس الفارسي ، للإمام الطاهر النسق النقي على بن

(١) كذا في س ، ويقابل هذه العبارة في ابن واصل (نفس المرجع ، ص ٤١٢) ما نصه : " واتمس من السلطان أن يصل سببه هذا المقصود " .

(٢) الضمير هنا عائذ على السلطان ، وقد تقدمت الإشارة إلى لبس السلطان بيرس لباس الفتوة على يد الخليفة المستنصر بالله (انظر ص ٤٥٩ ، حاشية ه) ، والقهوم من سياق العبارة هنا أن بيرس أصبح رئيس الفتوة بعد موت الخليفة المذكور عنه ميت . (راجع ص ٤٦٧ ، سطر ٩) .

(٣) كذا في س بضم الـ والـ فقط . انظر ابن أبي الفضائل (كتاب التيج السديد ، ص ٨٥) ، حيث صحح هذا الاسم من مثل الصيغة الواردة هنا بالفتح إلى " زعيم " .

(٤) كذا في س . انظر نفس المؤلف والمرجع والصيغة ، حيث صحح هذا الاسم من " القير " إلى " العين " .

(٥) كذا في س ، وهو وارد بمثل هذا الرسم في ابن واصل (نفس المرجع ، ص ٤١٢) ، بضمير فقط البتة ، وقد أوردته بن أبي الفضائل (كتاب التيج السديد ، ص ٨٥) " الشرايدار " .

(٦) في س " الهادي " ، وقد قطعه كاتب نسخة ب (١٥٢ ب) وصيره " الفاني " ، والصيغة المثبتة هنا من ابن أبي الفضائل (كتاب التيج السديد ، ص ٨٤) ، أما في ابن واصل (نفس المرجع ، ص ٤١٢) فقد ورد هذا القطع بضم " الهادي " .

أب طالب رضى الله عنه^(١) . وحمل السلطان إلى الخليفة من الملابس لأجل ذلك ما يليق بمجلاسه .

وفي الليلة الثانية حضر رسل الملك بركة إلى قلعة الجبل ، وألهمهم الخليفة بتفويض الوكالة للأتابك ، وحمل إليهم من الملابس ما يليق بمثلهم . وجهز السلطان هدية جليلة للملك بركة ، وكتب جواب كتابه في قطع النصف في سبعين ورقة بغدادية بخط محي الدين بن^(٢) .

(١) سلاحظ القارئ تجنب الضبط بصائر هذه الفقرة ، والسبب هو أنه يوجد خلاف واضح بين نسخ معظم الأسماء والأنساب كما هي واردة هنا ، وبين كل مما يقابلها في ابن واصل (نفس المرجع ، ص ٤١٢) ، وابن أبي الفضائل (كتاب التيج السديد ، ص ٨٤-٨٥) .

(٢) في ص : "وحمل إليه السلطان من الملابس" .

(٣) احتوت هذه الهدية ، على حدّ تعبير ابن واصل (نفس المرجع ، ص ٤٢٢ ب) ، "من كل شيء على اختلافه" ، وكان من جعلها "ختمه شرفة يذكر أنها خط عثمان بن عفان رضى الله عنه ، بخلاف أطلس من ركش ، ضمن درج أحرأدم بطن بنياني ، وركسي لما أنبوس وعاج غرم بسقط فضة ، وسما هدية عظيمة مالا توصف (كذا) . ومن جملة الهدية سيوف وملحوربه (كذا) باسقاط ذهب وفضة وهي عدد كثير ، ومن الدبايس والفضى الحق (كذا) المشقة جملة كثيرة ، ومن قسي البندق بأوتارها عدة كثيرة . ومن جملة الهدية فتاديل بكار مذهبة شيء كثير ، ومن الجوارى الطباخت جمعة ، ومن الخيل الجياد السبق عدد كثير ، ومن الدواب الفراء التي لا تلتق عدد كثير ، وأصناف كثيرة ما ذكرناها لطلول شرحها" . والغالبا أن الأصناف التي لم يذكرها ابن واصل "لطلول شرحها" هي المذكورة في ابن أبي الفضائل (كتاب التيج السديد ، ص ١١١ وما بعدها) ، وهذا نص عبارة : "وكان من جملة الهدية ، من الوحوش الفرية في تلك الأرض : فيسل وزرافة وقرود ، وحمر وحشية عتابة وجمن وحمر معربة ، وجملة كثيرة من ملوس ومصاص وشهدات فضة وحصر عيدانية ، وأمنة وأوانى صيني ، وثياب سكندرية (ص ١١٢) ومن عمل دار الطراز ، وسكرينات وسكر ياض شيئا كثيرا" .

(٤) يوجد في ابن واصل (نفس المرجع ، ص ٤٢٢ ب) ملخص لطواب السلطان بيرس ، وهذا نص العبارة كلها : "وكتب الملك الظاهر جواب الملك بركة في سبعين ورقة بغدادية ، من الأحاديث النبوية والآيات من القرآن الكريم ، في الترغيب في الجهاد وفي مصر وما ورد فيها من الأحاديث النبوية والآيات ، وقال المشركين ، وفيه ذكر مواطن العبادات ومواقع الزيارات في سائر الشام . وجمع في هذا الكتاب من الترغيب والاستمالة والإغراء على هلاوت ، وإظهار الميل إليه ، ووصف جنود الديار المصرية وماهى عليه وأهلها من حب الجهاد في سبيل الله تعالى ، وأنها موافقة له في نصرته الإسلام ، إلى غير ذلك من الأمور الملوكية والأحوال الجهادية ، ما لا جمع في كتاب" .

(٥) كان الورق البغدادى أجود أنواع الورق وأكبره سمه ، وكان مخصوصا لكتابة المصاحف ، ولا يستعمل فيها

عدا ذلك من أغراض الكتابة سوى مكتبة بكار الملوك . و يوجد في القلشندي (ص ٤٦٦ ج ٢ ، ص ٤٦٦ =

عبد الظاهر، و[هو الذي] قرأه على السلطان بحضور الأمراء . وسُئِلَتِ الحديفة للأمير فارس الدين أقوش المسعودي، والشريف عماد الدين الهاشمي، فسارا في طريدة بحرية فيها عدة رماة وجرّخية ووزّاقين، واشتخت بالأزودة لمدة سنة، وسارا في سابع عشرة . ونرجحت النجابة إلى مكة والمدينة بأن يدعى للملك بركة ويصمر عنه، وأمر الخطباء أن يدعوا له على المنابر بمكة والمدينة والقدس وبمصر والقاهرة، بعد الدعاء للسلطان الملك الظاهر .

(١٢٧) وفي سادس شوال توجه السلطان إلى جهة الإسكندرية، فأقام بِرُؤُجَةِ أَيْامًا، ودخل البرية وضرب حلقة فوقع فيها كثير من الصيد . واهتم [السلطان] بأمر المياه، وولى أمرها الأمير شجاع الدين الزاهد أحد المنجباب، وأحضر من الإسكندرية الرجال لحفر الآبار

= وما بعدها) فصل في أسماء وأجناس الورق المستعمل للكتابة في الدول الإسلامية، ونصه : " ... وأعل أجناس الورق فيما رأيناه البندادي، وهو ورق تخين مع لينة ورقة حاشية وتناسب أجزاءه، وقطعه وأفر جدا، ولا يكتف فيه في الغالب إلا المصاحف الشريفة، وربما استعمله تخطب الإنشاء في مكاتبات القنات ونحوها ... ودونه في الرتبة الشامي وهو عرل نوعين، نوع يعرف بالحوى وهو دون القطع البندادي، و[نوع] دونه في القند وهو المعروف بالشامي وقطعه دون القطع الحوى . ودونهما في الرتبة الورق المصرى وهو أيضا على قطعين، القطع المنصوري وقطع السادة، والمنصوري أكبر قطعا وقطعا يسقل وجهه جميعا، أما السادة فإن فيه ما يسقل وجهه ويسقى في حرف الزواقين المصلوح ... " . هذا وقد كان هناك نوعان من الورق البندادي : أحدهما " قطع البندادي الكامل، وعرض درجه ... ذراع واحد بذراع القماش المصرى، وطول كل وصل من الدرج المذكور ذراع ونصف بالذراع المذكور . وفيه كان (كذا) تكتب جهود الخلفاء وبيئاتهم، وفيه تكتب الآن جهود أكابر الملوك والمكاتبات إلى الطبقة العليا من الملوك، كأكابر القنات من ملوك الشرق "، فيكون هذا النوع هو البندادي المذكور هنا . أما النوع الثانى فاسمه " قطع البندادي الناقص، وعرض درجه دون عرض البندادي الكامل بأربعة أصابع مطبوعة، وفيه يكتب للطبقة الثانية من الملوك، وربما كتب فيه الطبقة العليا لإعزاز البندادي الكامل " . (نفس المؤلف والمرجع، ج ٦، ص ٤٩٠ وما بعدها) .

(١) الجرّخية جمع جرّخ أى رامي الجرّخ، ويقابل الجرّخ في الفرنسية لفظ (arbalète) أى البندق . انظر (Dozy Supp. Diet. Ar.)

(٢) جمع زقاق، ومعناه هنا رامي القبط من الزرّاعة، ويقابل لفظ الزرّاعة في (Ibid : Op. Cit) البارية التفسيرية الآتية : (le tube avec laquelle on lançait le naphte)، أى الأنبوبة التى يزرّق بها القبط .

(٣) بغير ضبط في س، وهى قرية من كورة البحيرة (يفتقر : سمع البدان، ج ١، ص ٨٤٥)، وهى الآن موضع خرب في الجنوب الغربي من حنبهور . (مبارك : التعلّط الترفيقية، ج ١، ص ٢٢) .

- ونزحها . ثم سار [السلطان] من تروجة إلى الإسكندرية ، وكان صاحب بهاء الدين ابن حنا قد سبق إليها وحصل جملا كثيرة من المال : منها حل بلغ خمسة وتسعين لفة من القماش السكندري ، [ولم يعامل أحدا من أهلها بشيء العدل] ، ولم يضرب بها أحدا [بمقرعة]^(١) .
- فضرب السلطان خيامه ظاهر المدينة ، ونادى ألا يقيم بالثغر جندي ولا يقتل أحد في دار .
- وفي يوم الخميس مستهل ذى القعدة دخل [السلطان] إلى المدينة من باب رشيد ، فنفاه الناس [بالسرور والفرح والدعاء]^(٢) . واستدعى [السلطان] بالخزائن والأمتعة ، وشرع في تمبشة ما يعينه للأمراء على قدر مراتبهم ، ورسم بمكتوب بركة مال السهمين وصلة أرزاق الفقراء ، وساخ بما كان يؤخذ من أهل الإسكندرية وهو ربع دينار عن كل قطار يباع من ...^(٣) . ولعب بالكرة وخلع على الأمراء ، وأعطى الأتابك ثلاثة آلاف دينار ، وأعطى الأمراء على [حسب] مراتبهم ، وركب لزيارة الشيخ المعتمد محمد بن منصور ابن يحيى أبي القاسم القبارى ، فلم يمكنه من الطلوع إليه ولم يكلمه إلا وهو في البستان والشيخ في عليته ، ثم مضى لزيارة الشيخ الشاطبي .

- وحضر إلى السلطان رجلا من أهل الثغر : أحدهما يقال له ابن البورى والآخر يصرف بالمكرم بن الزيات ، ومعهما أوراق تتضمن استخراج أموال ضائعة . فاستدعى السلطان في يوم الثلاثاء سادسه الأتابك والصاحب والقضاة والفقهاء ، وأمر فقرئت الأوراق وصار

(١) أضيف ما بين الأقواس بهذه الفقرة من ابن واصل (نفس المرجع ، ص ٤٢٣ ب) .

(٢) في ص "خامه" .

(٣) أضيف ما بين القوسين من ابن واصل (نفس المرجع ، ص ٤٢٤ أ) ، وقد كان ابن واصل حاضرا ذلك

كلمه ، وعبارته في هذا الصدد أكثر تفصيلا مما هنا - انظر (نفس المرجع ، ص ٤٢٣ ب) .

(٤) كذا في س .

(٥) يابض في ص يسع كلمة واحدة لعلها "المبار" ، فإنه كان أهم منابر أهل الإسكندرية في تلك العصور .

(٦) مضبوط هكذا في س ، ويظهر أن النسبة إلى قبار (fossoyeur) ، وهو الرجل الذى يتولى حفر القبور

ودفن الأموات - انظر (Dozy: Supp. Dict. Ar.) . وهذا وفي محيط المحيط أن القبار هم عمال الصيد الذين

يجمعون "لجوما في الشباك من الصيد" .

كلما ذكر له باب مظلمة سده ويعود على المذكورين بالإنكار، حتى انتهت القراءة . فقال :
 "اعلموا أني تركت لله تعالى ستمائة ألف دينار، من التصقيع^(١) والتقويم والراجل والعبد والجارية
 وتقويم النخل ، فعوضني الله من الحلال أكثر من ذلك ؛ وطلبت جرائد الحساب فزادت
 بعد حط المظالم جملة ، ومن ترك شيئاً لله عوضه الله خيراً" ؛ وأمر بإشهار ابن البورى .

• وفى سابعه قدم البريد من البيرة وحلب بأن جماعة مستأنسة وردت الى الباب العزيز ،
 [عنتها] فوق الألف وثمائة فارس (١٢٧ ب) من المغل والبهادرية ، فكتب بالإحسان اليهم .
 وفى يوم الخميس ثامنه جلس السلطان بدار العدل ، وأمر بتطهير الثغر من الخواطي القرنجيات .
 وفى ثامن عشره سار [السلطان] من الإسكندرية يريد القاهرة ، فقتل تروجة وأمر
 عربانها بالسباق بين يديه ، فاجتمع ألف فارس من عرب تروجة ، وانضم اليها جملة من
 ١٠ خيل السكر . وعين [السلطان] لهم المدى ، ووقف على تل ، وأوقف الزماح وعليها الثياب
 الأطلس والتابي وفيها المال . فأقبلت الخيل فى الحلبة ، وأخذ كل راكب سبق ما فوض
 له . ثم سار [السلطان] الى قلعة الجبل ، فلما وصل فوض قضاء الثغر للقيقه برهان الدين
 إبراهيم بن محمد بن على البوشى المالكى ، وكان زاهداً طاباً يأوى الى مسجد بمصر ؛ وفوض
 الخطابة للقاضى زين الدين أبى الفرج محمد بن القاضى الموفق بن أبى الفرج الإسكندرانى ،
 الذى كان حاكماً بالثغر . ١٥

وفى آخر ذى القعدة زل السلطان الى القاهرة ، وعاد الأمير سيف الدين قلاوون الأتقى ،
 والأمير علاء الدين الحاج أيدغدى الركنى ، والأمير حسام الدين بن بركه خان . وفى ليلة الأربعاء
 خامس ذى الحجة توفى الأمير حسام الدين بن بركه خان ، فحضر السلطان جنازته ومشى فيها
 مع الناس .

(١) فى "التقجيع" ، ثلاث قطع تحت السين .

(٢) فى "النخل" .

(٣) الخواطي جمع خاطبة ، وهى المرأة الدامرة ، وتسمى أيضاً مخطبة ، والجمع مخطبات .
 (Dozy: Supp. Dict.Ar.)

(٤) يتقدم ذكر ما حدث لبعض هؤلاء الأمراء فى الصيد عند الريش . (انظر ص ٤٨١ ، سطر ١) .

وفي سادسه وصلت النار المستأتمه، وأعيانهم كرمون^(١) وامطفيه ونوكيه وببرك وقيان
وناصبيه وطيثور ونيتو ونهبي وجوجلان^(٢) واجقرقا وارقرق وكزاي وصلاغيه ومتقدم
وصراغان . فركب السلطان الى تلقيهم ، فزلوا عند مشاهدته عن خيولهم وقبلوا الأرض
وهو راكب، فأكرمهم وعاد الى القلعة .

- وفي ثامنه خلق عليهم [السلطان] ، ونزل الى تربة ابن برکه خان . ثم وردت الكتب
بقدوم طائفة أخرى ، فاحتفل بهم وركب لتلقيهم . ثم وردت طائفة ثالثة ، فاعتمد معهم
مثل ذلك وأمر أكارهم ، وعرض عليهم الإسلام فأسلموا وختنوا بأجمعهم .
- وافتح أن الأمير بهاء الدين أمير آخور ضرب بعض دلالى سوق الخيل ، فمات بعد
ما حمل الى داره ، فغضب السلطان غضبا شديدا خاف منه ، فهرب الى بيت الأمير قلاون
واستتر عنده . فدخل [قلاون] على الأتابك فى أمره ، وأخرج لأولاد الميت من ماله خمسة آلاف
درهم ومائة أردب غلة وكسوة ، فأبروه وأقروا أن أباهم مات بقضاء الله وقدره . ودخل
الأتابك الى السلطان وحادثه فى ذلك ، فاشتد غضبه ، فقال له الأتابك : " تنضب والشرع
معنا ؟ فإن كان قد قتله عمدا أو خطأ فقد أبرأ الأولياء " . وتحدث الأمراء فى القوقعة
فصغى ، وأمر (١١٢٨) بعمل جامع من الثياب المفصلة يضرب على يمنة الخيمة السلطانية ،
فعمل ونصبت محاريبه وأبوابه وعملت فيه مقصورة يرسم السلطان .

- وفي هذه السنة جددت دار العدل تحت قلعة الجبل ، وجلس بها السلطان فى يومى الخميس
والاثنين لمرضى المساكين . وفيها وردت هدية من بلاد اليمن . وفيها أمر بتنصيب أربعة
قضاة نوابا لقاضى القضاة تاج الدين ابن بنت الأعز ، فاستأب حنيا ومالكا [وشافعيا] ،
ولم يجد من يستنييه من الحنابلة فولى عاقدا حنبليا^(٣) . وفيها جهز السلطان عرب خفاجة

(١) مضبوط هكذا فى س ، وقد روجت الأسماء التالية على مطوقها فى (Quatremère: Op.

Cit. I. I. P. 222.) واكتفى بإثبات ضبط ما هو مضبوط منها فى س .

(٢) فى س "صمى" ، وهذا الاسم مترجم فى (Ibid : Op. Cit. I. I. p. 222) الى (Sobhi) .

(٣) البلد هو الذى ينزل تحرير القود وكتابها ، كقود البع والزجاج ، وهو دون القاضى فى الرتبة . انظر =

بالخلع إلى أكابر أهل العراق، وكتب إلى صاحب شيراز وغيره يفرهم بهولاكو، وألبس عدة من أسراء خفاجة الفتوة، وجهاز معهم الأمير عز الدين إلى شيراز. وفيها جهز السلطان في البحر جماعة من البنائين والتجارين والنصارين والعتالين، وعدة أخشاب وغيرها من الآلات، برسم عمارة الحرم النبوي. وُحُمِلَت كسوة الكعبة على العادة، وحملت على البغال وطيف بها في القاهرة ومصر، وركب معها الخواص وأرباب الدولة والقضاة، والفقهاء والقراء والصوفية والخطباء والائمة. وسُفِرَت إلى مكة في العشر الأوسط من شوال، وقُوِّضَت عمارة الحرم لزين الدين بن البوري.

وفيما جمع الفرنسييس ملك الفرنج عساكره يريد أخذ دمياط، فأشار عليه أصحابه بقصد تونس أولاً، ليسهل أخذ دمياط بعدها. فسار إلى تونس ونازلها حتى أشرف على أخذها، فبعث الله في عسكره وباءً هلك فيه هو وعدة من أكابر أصحابه، وعاد من بقي منهم.

ومات في هذه السنة الأمير الكبير مجير الدين أبو الميجاه عيسى بن خشرين الأركسي الكردي بدمشق. وتوفي عز الدين أبو محمد عبد الرزاق بن رزق الله بن أبي بكر بن خلف الرسفي الحنبل، شيخ البلاد الجزيرية، باستجار عن اثنتين وسبعين سنة. وتوفي علم الدين

(Dozy: Supp. Dict. Ar.) = ملأه لا يوجد بالقشدي (صبح الأعشى، ج ٥، ص ٤٦٣، وما بعدها)، في باب ألقاب أرباب الأعلام، موظف بهذا القتب. راجع أيضاً نفس المؤلف والمربع (ج ٤، ص ٤٣٤، وما بعدها). (١) تعرف هذه الحلقة باسم الحلقة الصليبية الثامنة، وقد تقدمت إشارة لقرينى لها عرضاً في ص ٣٦٤، وهي آخر الحملات الكبرى التي أرسلتها أوروبا لتنفيذ أغراض الحروب الصليبية. وقد أدركت الوفاة قائدها (Ionis IX) ملك فرنسا بعيد نزول جنودها قرب تونس، وذلك قبل أن تقوم الحلقة بشئ مذكور. فقام على قيادتها أخوه (Charles of Anjou) ملك صقلية، غير أن القائد الجديد انصرف عن غرض الحلقة إلى ما تطلبه مصالح مملكته الصقلية، فاستدفع ملك تونس وهو المستنصر محمد بن يحيى بن عبد الوهاب ملثماً من المال كغرامة حرية، واستأداة جزية سنوية تدفع إلى خزنة مملكته. (Barker: The Crusades, pp. 87-89) ابن أبي القضايل: كتاب التيج السديد، ص ١٢١.

(٢) كما في س، وقد تقدم ورود هذا الاسم هنا برسم مخالف (انظر ص ٤٣٣، سطر ٣)، وهو في ب (١٥٤) "عيسى بن جشق بن الأركسي..."، وترجمه (Quatremère: Op. cit. II, p. 224). إلى (Isâ ben-khaschken le curde).

(٣) الرقيات التالية مكتوبة في قاعدة الصفحة في س، بدون أي إشارة إلى الموضع المناسب لإبانتها بالمتن، على أنها واردة كما هنا في ب (١٥٤)، وأيضاً في (Quatremère: Op. cit. I, 1: p. 224)، وليس تمت شك في وقوعها هذه السنة. انظر (ابن الهاد: شذرات الذهب، ج ٥، ص ٣٠٥ - ٣٠٧).

أبو محمد القاسم بن أحمد بن موفق بن جعفر المرمي اللوري بدمشق، وقد انتهت إليه مشيخة الإقراء، عن ستين سنة^(١).

سنة اثنتين وستين وستمائة : استفتح السلطان هذه السنة بالجلوس في دار العدل ، فأحضرت إليه ورقة غنومة مع خادم أسود تتضمن مرافعة في شمس الدين شيخ الحنابلة ، أنه ينفذ السلطان ويقتي زوال دولته ، لأنه ما جعل للحنابلة نصيبا في المدرسة التي أنشأها .
بجوارقة الملك الصالح ، ولا ولي حنبليا قاضيا ، وذكر أشياء قاذحة فيه . فبعث [السلطان] بها الى الشيخ ، فأقسم أنه ما جرى منه شيء ، " وإنما هذا الخادم طرده من خدمتي " . فقال السلطان : " ولو شئتني (١٢٨ ب) أنت في حل " ، وأمر ففرض الخادم مائة عصا .

وفي المحرم نودي بالقاهرة ومصر أن امرأة لا تتعم بهامة ولا تحرياً بزى الرجال ، ومن فعلت ذلك بعد ثلاثة أيام سلبت ما عليها من الكسوة . وطلب الطواشي شجاع الدين ١٠ مرشد الحموي الى قلعة الجبل ، وأنكر عليه السلطان اشتغال بخدمه صاحب حماة باللهو ، وقدر معه إلزام الأجناد بأقامة اليك وتكيل العدد ، وكتب له تهليلا وسافر الى حماة . وقدم

(١) يظهر من العبارة التالية ، وهي من مخطوطة ابن واصل المتداولة في هذه المراسم (نفس المرجع ، ص ١٤٢) أن مؤلف مفرج الكرب وقف عن الكتابة أثناء سنة ٦٦١ هـ (١٢٦٢ م) ، وأن بقية هذه المخطوطة التي تنهى سنة ٦٨٠ هـ (١٢٨١ م) من تلخيص الكتاب الذي استلذه ، وذلك من كتاب آخر لابن واصل أو غيره اسمه التاريخ . أما سبب انقطاع ابن واصل عن الإملاء ، فالأرجح أنه راجع الى الذهاب الى صقلية حوالي ذلك الوقت رسولا من عند السلطان يبرس الى صاحبه الملك ما خرد (Manfred) ، وإقامته هناك عدة سنين . (انظر Ene. Isl. Art. Ibn Wāsil) . وهذا نص العبارة : " قال الفقير الى رحمة الله تعالى وعفوه نور الدين علي بن عبد الرحيم بن أحمد الكاتب المظفر ، انتهى الى هاهنا إملاء القاضي الإمام العالم العلامة جمال الدين محمد بن سالم بن واصل رحمه الله تعالى ، ولم نستوعب حوادث سنة إحدى (في الأصل أحد) وستين وستمائة . وجرت أمور كثيرة ، ونحن نذكر بكون الله تعالى مختصرا من تمام التاريخ على حسب الطاقة ، ولسنا الله تعالى المعونة في ذلك ، إنه على كل شيء قدير وإليه المصير " .

(٢) في " قل " ، هذا وليس من المفهوم سبب تقليد النساء للرجال في الملابس ، في هذا العصر الأول من تاريخ الممالك ، إلا إذا كان ما أشار اليه المقرئ (المراعظ والاعتبار ، ج ٢ ، ص ١٠٤) بخصوص عصر المماليك الجراكسة ، موجودا أيضا في مصر ببيرو .

(٣) في " تهليد " .

الأمير جمال الدين يشكرين الدوادار المجاهد دوادار الخليفة بيفساد - وكان قد تأخر حضوره - ، فأحسن إليه السلطان وأعطاه إمرة طبلخاناه .

وفي يوم الأحد الخامس من صفر اجتمع أهل العلم بالمدرسة الظاهرية بين القصرين عند تمام عمارتها^(١) ، وحضر القراء وجلس أهل كل مذهب في إيوانهم . وقُوض تدريس الحنفية للصدر محمد الدين عبد الرحمن بن صاحب كمال الدين بن العديم ، وتدریس الشافعية للشيخ تقي الدين محمد بن الحسن بن رزين ، والتصدير لإقراء القرآن للفقير كمال الدين المحلى ، والتصدير لإفادة الحديث النبوي للشيخ شرف الدين عبد المؤمن بن خلف الدماطي . وذكروا الدروس ومدت الأنظمة ، وأُشيد جمال الدين أبو الحسين الجزار يومئذ : -

ألا هكذا بيني المدارس من بنى ومن يتغالى في الثواب وفي الثنا
لقد ظهرت للظاهر الملك^(٢) همة بها اليوم في الدارين قد بلغ المنى
تجمع فيها كل حسن مفقود فراقوا قلوبا للأنام وأعيننا
ومذجا ورت قبرا الشهيد ففضله غيبة منها في سرور وفي هنا
وما هي إلا جنة الخلد أزلقت له في غد فاختر تسجيلا هنا

وأُشيد مئة من الشعراء أيضا [ومنهم السراج الزواق ، والشيخ جمال الدين يوسف بن الخشاب] ، فخلع عليهم وكان يوما مشهودا . وجعل [السلطان] بهذه المدرسة نزعانة كتب جليلة ، وبني بجانبها مكتبا للسبيل ، وقرر لمن فيه من أيتام المسلمين الخبز في كل يوم والكسوة في فصل الشتاء والصيف .

وفيه ورد الخبر مع الحاج بأنه خطب للسلطان بمكة ، وأن الصدر جمال الدين حسين بن

(١) بدأ السلطان بيرس بناء هذه المدرسة في ربيع الآخرة ٦٦٠ هـ (١٢٦١ م) ، على أنقاض قاعة الخليم ، وهي إحدى قاعات القصر الكبير الفاطمي . (المقريزي : المواقف والاعتبار ، ج ٢ ، ص ٣٧٨ - ٣٧٩) .
(٢) في ص "السلطان" . انظر (المقريزي : المواقف والاعتبار ، ج ٢ ، ص ٣٧٩) .
(٣) أضيف ما بين القوسين من المقريزي (نص المراجع والصيغة) ، حيث يوجد أيضا نص الأشماتاني أشهدت في ذلك الحفل الافتتاحي .

- الموصلى ، كاتب الإنشاء المتوجه إلى مكة ، تسلم مفتاح الكعبة وقَّعه بالقلل المسير محبته ، وأباح الكعبة للناس مدة ثلاثة (١١٢٩) أيام بغير شيء يؤخذ منهم . وفيه قرئ كتاب وقف الخان بمدينة القدس في مجلس السلطان بقلعة الجبل ، وحضر قاضى القضاة تاج الدين ابن بنت الأعرز قراءته ، وكتب به عدة نسخ . ووقف [السلطان] أيضا إصطيلين تحت القلعة ، يعرف أحدهما بجوهر النوبى ، على وجوه البر . وفيه ورد الخبر بأنه رُتب بمدينة الخليل السباط والرواتب للقيمين والواردين ، وكان قد بطل ذلك من مدة أعوام كثيرة .
- وفيهِ سار السلطان إلى وسم^(١) ومضى إلى الفرية ، فصار يسير منفردا في خفية ويسأل عن وإلى الفرية الأميرين المهام وعن سيرة نوابه وغلماظه ومباشريه ، فذكرت له عنه سيرة سيئة ، فقبض عليه وأذبه وأقام فيه ؛ وشكى إليه من ظلم بعض المباشرين النصارى ، فأمر به فشق من أجل أنه تكلم بما يوجب ذلك . ودخل [السلطان] دمياط ، ثم عاد إلى أشتموم ، وسار من المتلة إلى الشرقية . وفيهِ سأل الفريج أن يؤذن لهم في زراعة ما يديهم من بلاد الشام وتقويتها بجملة من الغلال ، فتقررت الهدنة معهم إلى أيام ، وأذن لهم في ذلك فرجعوا .
- وفي يوم الجمعة حادى عشره مات الملك الأشرف مظفر الدين موسى بن الملك المنصور إبراهيم بن الملك المجاهد شيركوه بن الأمير ناصر الدين محمد بن أسد الدين شيركوه بن شادى ابن مروان صاحب حمص ، عن غير ولد ولا أخ ولا ولى عهد . فبعث [السلطان] إلى الأمير بدر الدين يبيك الصلاى أحد الأمراء ، فتسلَّمها في سابع عشره وحلَّف الناس بها للملك الظاهر ؛ وتسلَّم الرحبة أيضا ، وبعث السلطان إليها عشرين ألف دينار عينا ؛ ووفى مدينة (١) في س " النوبى " ، ولعل هذا الإصطيل كان مبنا على جزء من الموضع المسى فى القرى (المواظ والاختيار ج ٢ ، ص ١١٩) باسم " حكر جوهر النوبى " ، وموقعة نجاة حادة الوزيرية فى شرق بيتان الصدة بالقاهرة . وكان ذلك الحكر بيتا إلى نحو ٨٦٦ (١٢٦١ م) ، ثم حكر بيت فيه الحور . أما جوهر النوبى فأمر خص من أمراء الملك الكامل ، وهو أحد الذين تاوروا بالملك العادل الثانى ونظموه ، فلما تسلطن الملك الصالح نجم الدين أيوب بعد أخيه العادل قبض على جوهر المذكور فى سنة ٦٣٨ هـ .
- (٢) بغير ضبط فى س ، وهى بلدة من مديرية الجيزة ، غربى ناحية إيتابه . (مبارك : المخطوط التوفيقية ، ج ١٧ ، ص ٥٧ — ٦٦ : باقوت : معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ٩٢٩) .

حران الأمير جمال الدين الجاكي، وولى مدينة الرقة أميراً آخر . وورد الخبر بأن ممتلك جزيرة دَهْلَك^(١)، وممتلك جزيرة سَوَاكِي^(٢)، يتبرضان إلى أموال من مات من التجار . فسير [السلطان] اليهما أحد رجال الحلقة رسولاً، ينكر عليهما .

وفي هذه السنة بلغ ثمن القُرط^(٣) الذي قضته الخيول السلطانية وجمال المناخات بأرض مصر ، ما يبلغه خمسون ألف دينار . وفي هذه السنة ارتفعت الأسعار بمصر ، فبلغ الأردب القمح نحو المائة درهم قرة ، فأمر السلطان بالتسعير فاشتد الحال وعدم الخبز . وبلغ القمح مائة درهم وخمسة دراهم (١٢٩ ب) الأردب، والشعير إلى سبعين درهما الأردب، والخبز ثلاثة أوتال بدرهم، والحمم كل رطل بدرهم وثلاث، وبلغ بالإسكندرية الأردب القمح ثلاثمائة وعشرين درهما من الورق . ثم اشتد الحال بالناس حتى أكلوا ورق الفت والكرب

(١) غير ضبط في س، وهي أكبر الجزر المحروقة باسم أرخيل دهك بالبحر الأحمر ، وموقعها قالة مصوع . ولقد امتد سلطان الإسلام إلى هذه الجزيرة إبان الفتوح العربية الأولى ، واستخدمها خلفاء الأمويين والعباسيين حتى للبدن ، ثم انسلخت من الخلافة العباسية وصارت تابعة لأمراء زيد باين، وظلت كذلك حتى زالت تلك الدولة . ثم احتلت بشؤونها مدة طويلة حتى كان زمن المماليك بمصر ، فعزل مملوكوها على نحو العلاقات المحسة بينهم وبين سلاطين المماليك ، وذلك ردًا لعادة الدولة الرسولية باين . (Enc. Isl. Art. Dahlak) .

(٢) بغير ضبط في س ، وهي سواكي الحالية وتقع على ساحل البحر الأحمر ، وقد وصفت بأنها جزيرة لقيامها غلا في وسط جزيرة يوصلها بالشاطئ لسان ضيق من الأرض . (بافوت : مصم البدان ، ج ٣ ص ١٨٢ (Enc. Isl. Art. Sawakin) .

(٣) عبارة س كالآتي : " وبلغ ثمن القُرط الذي قضته الخيول السلطانية وجمال المناخات في هذه السنة بأرض مصر ... " .

(٤) القُرط هو البرسيم (محيط المحيط) ، وهو مترجم في (Dozy : Supp. Diet Ar.) إلى الألفاظ الفرنسية (luzerne, foin, fourrage) .

(٥) المناخات جمع مناخ ، وهي هنا الأكنة المخصصة لأنواع الجمال السلطانية ، كالإصطبلات لأصناف الخيل (Dozy : Supp. Diet. Ar.) ومنها مناخ الجمال البناني ومناخ الجمال الفرومناخ المجهن والنياق . وكانت هذه المناخات ، وكذلك إصطبلات الخيل وفيها من أنواع الخيول كالفيلة والسباع والفهود ، تابعة لإدارة الإصطبلات السلطانية . (ابن شاهين : زبدة كشف الممالك ، ص ١٢٥ ؛ المقريزي : المواعظ والاعتبار ، ج ٢ ص ٢٢٤ — ٢٢٥) .

(٦) بغير ضبط في س ، والدرهم الورق بضبط المتن — ويقال أيضا الورق والورق والورق — هي الدراهم المحروقة، وتجمع على أوراق ووراق ؛ ويقال لهذه الدراهم أيضا الرقة . (محيط المحيط) .

ونحوه ، وخرجوا إلى الريف فأكلوا عروق القبول الأخضر . فلما كان يوم الخميس سابع ربيع الآخر نزل السلطان إلى دار العدل وأبطل التسمير ، وكتب إلى الأهرام^(١) ببيع خمسمائة أردب كل يوم لضفء الناس ، ويكون البيع من ويتين إلى ما دون ذلك حتى لا يشتري من يمزق . ونودي للقراء فاجتمعوا تحت القلمة ، ونزل المجداب إليهم فكتبوا أسماهم ، ومضى إلى كل جهة حاجب فكتب ما بقى في القاهرة ومصر من الفقراء ، وأحضروا عدتهم فبلغت ألفا . فقال [السلطان] : " والله لو كانت عندي غلة تكفى هذا العالم لتزقتها " .

ثم أخذ ألفا منهم ، وأعطى لنواب ابنه الملك السعيد مثل ذلك ، وأمر ديوان الجولش فكتب باسم كل أمير جماعة على قدر عدته ، وأعطى الأجناد والمفاردة من الحلقة والمقدمين والبحرية ، وعزل التركان ناحية والأكراد ناحية . وأمر أن يُعطى كل فقير كفايته مدة ثلاثة أشهر ،

(١) الأهرام السلطانية هي الأماكن التي تخزن بها القل والأتان الخاصة بالسلطان ، احتياطا لأشغال الطوارئ الاقتصادية الواردة بالتمن ، وكانت لا تقع إلا عند الضرورة . وكان لخاص السلطان أيضا شون ، وهذه يوضع بها ما يستهلك طول السنة من القل والأطب والأبان وما أشبه ذلك . (ابن شاهين : زبدة كشف الممالك ، ص ١٢٢ — ١٢٣) . ويوجد بالقرنيزي (المواقظ والأخبار ، ج ١ ، ص ٦٤ ، وما بعدها) وصف للأهرام السلطانية في زمن الخلفاء الفاطميين ، ونصه : " وكانت أهرام القل السلطانية في دولة الخلفاء الفاطميين حيث المواقظ التي فيها الآن خزنة شائل ، وما ورادها إلى قرب حارة الوزيرية . قال ابن الطوير ، وأما الأهرام فلها كانت في عدة (ص ٦٥) . أما كن بالقاهرة ، هي اليوم إسبيلات ومناخل . وكانت تخشى على ثلاثمائة ألف أردب من التلات وأكثر من ذلك ، وكان فيها مخازن يسمى أحدهما بحدادي ، وآخر القول ، وكثر القرافة . ولها الحماة من الأهرام والمشارفين من السدول ، والمراكب واصله إليها بأصناف الفسلات إلى ساحل مصر وساحل القدس ، والمالون يحملون ذلك إليها بالرسائل على يد رؤساء المراكب وأناتها من كل ناحية سلطانية ، وأكثر ترك من الوجه القبلي . ومنها إطلاق الأقوات لأرباب الرتب والخدم وأرباب الصدقات وأرباب الجوامع والمجايد ، وجرايات البيد السودان بشرقيات . و [منها] ما يتفق في الطواحين برسم خاص الخليفة ، وهي طواحين مدارها سفلى وطواحينها علوية ، حتى لا تقارب زبل القواب ، ويحصل دقيقها لغاوص وما يخص بالجهات في خراطة من شقق حلية . ومن الأهرام تخرج جرايات رجال الأسطول وجرايات السودا ، ومنها ما يستدعى بدار الضيافة لأعيان الرسل ومن يتهمهم ، وما يحصل من القمح برسم الكمك إزد الأسطول ... " . (وكان في زمن القلقشندي (صبح الأعشى ، ج ٤ ، ص ٣٣) وظيفة تسمى " نظر الأهرام " بمصر بالصناعة ، وهي شقة القل السلطانية التي يتكلم عليها الوزير ، وموضعها التحدث فيها يحصل إليها من التواص من الفسلاد وغيرها ، وما يصرف منها على الإسبيلات للشرقية والمناخل السلطانية ، وغير ذلك " .

وأعطى للتجار طائفة من الفقراء، وأعطى الأغنياء على اختلاف طبقاتهم كل أحد بقدر حاله .
 وأمر أن يُفترق من الشون السلطانية على أرباب الزوايا في كل يوم مائة أردب، بعد ما يعمل
 خبزاً بجامع ابن طولون . ثم قال [السلطان] : ” هؤلاء المساكين قد جمعناهم اليوم واقضى
 نصف النهار، فادفعوا لكل منهم نصف درهم يتقوت به خبزاً ، ومن غدٍ يتقرر الحال“ ،
 ففترق فيهم جملة كبيرة . وأخذ الصباح بهاء الدين طائفة العميان ، وأخذ الأتابك جماعة
 التركيان، فلم يبق أحد من الخواص ولا من الحواشي ولا من المجاب، ولا من الولاة وأرباب
 المناصب وذوى المراتب وأصحاب المال، حتى أخذ جماعة من المساكين . وقال السلطان
 للأمير صادم الدين المسعودى والى القاهرة : ”خذ مائة فقير أطعمهم لله“ . فقال [الأمير]:
 ”قد فعلت ذلك، وأخذتهم دائماً“ . فقال [السلطان] : ”ذلك فعلته ابتداء من نفسك،
 وهذه المائة خذها لأجل“، فأخذ مائة مسكين أخرى . وشرع الناس في فتح المخازن وتفترقة
 الصدقات، فانحطت السرعرشرين درهما الأردب، وقلت الفقراء . واستمر الحال الى شهر
 رمضان، فدخل المغل الجديد وانحل (١٣٠) السعر في يوم واحد أربعين درهما الأردب .
 وفي اليوم الذى جلس فيه السلطان بدار العدل، رُفعت إليه قصة سُحَّان دارالضرب فيها
 بوقف الدرام،^(١) وسألوا إبطال الدرام الناصرية، وأن سُحَّانهم مبلغ مائتي ألف ونحسين
 ألف درهم . فأمر [السلطان] أن يحط من سُحَّانهم مبلغ نحسين ألف درهم، وقال :
 ” لا تؤذى الناس في أموالهم“ .

وفي العشرين من ربيع الآخر كانت زلزلة عظيمة هدمت عدة أماكن . وفي ثالث عشره
 رُسم بمساحة بنات الأمير حسام الدين لاجين الجوكندار العزري بما وجب للديوان

(١) في س ”رُفعت إليه قصة سُحَّان دارالضرب بما بوقف الدرام“ ، وقد ترجم (Quatremère : Op.

Cit. I. 1. p. 233) الى المارة كلها الى

de l'hôtel de la monnaie ; ils représentaient que la fabrication du dirhem était

arrêtée هذا وقد كانت دارالضرب من منشآت الفاطميين، وقد بنيت سنة ٦١٥ بجهة القشتانيين، وصيحت

بالدار الأمرية نسبة الى الخليفة الأمر باقه . وما زالت دارالضرب هذه باقية حتى أيام السلطان صلاح الدين الأيوبي،

فقلت الى الموضع الذى عرف فيما بعد باسم درب الشمس . (المقريزى : المواقظ والاختيار، ج ١١ ص ٤٠٦، ٤٤٥).

في تركة آيين — وكان قد مات بدمشق في ربيع عشر المحرم — وهو مبلغ أربعمائة ألف درهم نفقة، خارجا عن ماله من الأملاك والنفال والخليل. وكتب [السلطان] بذلك إلى الشام، وقصد بذلك أن يفهم أمراؤه أن من مات في خدمته وحفظ ميمته، ينظر في أمر ورثته ويبقى عليهم ما يخلفه. ومات الأمير شهاب الدين القيمري نائب السلطنة بالفتوحات الساعية، فأعطى ابنه إقطاعه وهو مائة طواش. ولما أسر الفرنج الأمير شجاع الدين وإلى سمرين،^(٢٢) أبقى [السلطان] إقطاعه بيد إخوته وغلماؤه، كل ذلك استجلا للقلوب.^(٢٣)

(١) في ص "أبيهم".

(٢) بنير ضبط في ص، وهي بلدة من أعمال حلب. (ياقوت: معجم البلدان، ج ٤، ص ٨٣).

(٣) يفهم من كل هذا أن الإقطاع في العرف الملوكي — وفي عرف الدول الإسلامية جميعا — كان أمرا مخصصا بمتنا، لا أدخل لحقوق الملكية أو لأحكام الوراثة فيه، فكان المقطع يحمل في الإقطاع يحمل السلطان لينتفع بفلاته وإراداته لحسب، ثم يؤزل جميعه إلى السلطان بمجرد انتهاء مدة الإقطاع المتفق عليها، أو بسبب وفاة المقطع إذا كان الإقطاع لمدة الحياة، أو بسبب إخلال المقطع بشروط العقد القائم، وسواء في ذلك ما يسمى باسم إقطاع التملك وهو الإقطاع العادي، أو إقطاع الاستغلال وهو إقطاع شخص خارج جهة معينة. راجع (الفقهاء: صبح الأعشى، ج ١٣، ص ١٠٤ — ١١٧). وقد بين (G. Demombynes: La Syrie, Introd. p. CXIV.) ذلك كله بوضوح في العبارة الآتية: 'La dotation foncière (iqṭā) ne donne ni la propriété, ni la possession, ni la jouissance du fonds: elle fait seulement participer le titulaire au revenus du sol, dont elle lui confère l'impôt: le mouqta' est substitué au souverain pour la perception de celui-ci' وهذا الصفة الشخصية فقط تجعل الإقطاع في البلاد الإسلامية "مشابها للإقطاع الأوروبي في أوائل القرون الوسطى، أي حتى القرن العاشر الميلادي (القرن الرابع الهجري تقريبا)، إذ كان الإقطاع هيئة من الملك لأتباعه، وليس تمت حدود مقررة معين حقوق كل من الطرفين سوى مشيئة الملك (precariae verbo regi). انظر (Camb. Med. Hist. II, p. 646 et seq.). غير أن الإقطاع الأوروبي تطور في بعد القرن العاشر، فصار لقطع ملكية انتفاع أو ارضاق واستغلال معينة (dominium utile)، وصار يه وبين المالك الأصل أو الأول (dominium eminens) عقد شامل لالتزامات كل من الطرفين. ومع أن توريث الخلف الشرعي لقطع لم يكن من شروط العقد الإقطاعي في أوروبا، فإن العادة كانت أن يخلف الوارث سلفه بإذن المالك الأصل، بعد تأدية مبلغ معين من المال (relevium) بمثابة رسم دخول إلى الإقطاع. انظر (Camb. Med. Hist. III, p. 458 et seq.) وفي هذه الظاهرة الأخيرة وحدها أحد الأشياء التي تجعل الإقطاع زمن المالك مختلفا في مصيبه عن الإقطاع الأوروبي المعاصر له، مع ما يفتما من الشبه العام. ويتضح من هذا أن ما أراد به السلطان بيريوس "استجلا للقلوب"، كان محاولة غير مقصودة لتقريب بين النظام الإقطاعي في الدولة الملوكية ونظيره =

وفيه ورد الخبر أن هيتوم ملك الأرمن جمع وسار إلى هرقله، ونزل على قلعة صرغند^(١).
 فخرج البريد من قلعة الجبل إلى حماة وحصص بالمسير إلى حلب، فخرجوا وأغاروا على عسكر
 الأرمن، وقتلوا منهم وأسروا. فانهزم الأرمن واستنجدوا بالتار، فقدم منهم من كان في بلاد
 الروم - وهم سبجالة فارس -، فلما وصلوا إلى حارم رجعوا من كثرة التلج، وقد هلك
 منهم كثير.

وورد الخبر بأن خليج الإسكندرية قد أنسد وامتلات فوهته بالطين، وقيل الماء
 في قعر الإسكندرية بهذا السبب. فسير السلطان الأمير عز الدين أمير جاندان فخفزه، وبعث
 الأمير جمال الدين موسى بن يغمور الأستاذار لحفر بحر جزيرة بنى نصر عند قلعة رها.

وفي جمادى الأولى سافر الأمير سيف الدين بليان الزينى أمير علم إلى الشام برسم تجهيز
 مهمات القلاع، وعرض عساكر حماة وحلب ورجال الثغور، وإلزام الأشراف بتكبير العدة
 والعدة، وإزاحة الأعداء بسبب الجهاد. وكتب على يده عدة تذكرة بما يعتمد، وأن يعمل من
 دمشق خزائن كثيرة إلى البيرة برسم فقائتها. ورحلت جماعة من (١٢٠ ب) عرب خفاجة كانوا
 قد وردوا بكتب من جماعتهم بالعراق، يخبرون فيها بأنهم أغاروا على التار حتى وصلت

== في أوروبا. على أن ذلك التطور في الإقطاع الإسلامي لم يكن الأول من نوعه، فقد كانت العادة زمن السلطان نور الدين
 محمود بن زنكي، حصار ورد في القريزي (المواظ والاعتبار، ج ٢، ص ٢١٦)، أنه "إذا مات الجنسى [من
 أجناده] أعلی [السلطان] إقطاعه لولده، فإن كان صغيراً وب مع من على أمره حتى يكبر. فكان أجناده يقولون
 الإقطاعات أملاكاً يرثها أولاداً للولد عن والده، فمن قاتل عليها، وبه اتقى كثير من ملوك مصر ...". راجع
 أيضاً (القريزي: قس المرجع، ج ١، ص ٩٥-٩٨؛ القلقشندى: صبح الأعشى، ج ٤، ص ٥٠-٥١).
 (١) المقصود بملكه الأرمن هنا بلاد قيقية، وهي أرمينية الصغرى، وكان ملكها هيتوم (Hethum)
 1226-1270، قد انضم إلى هولاكو، رغبة منه في حماية ملكه من السلاجقة الروم بالتمثال ودولة المسايك
 بالجنوب، وصارت تلك المملكة بذلك ولاية تابعة لدولة التترخارس. (Camb. Med. Hist. IV. p. 175.
 & Enc. Isl. Art. Armenia)

(٢) بنير ضبط في س. انظر أبا الفداء (المختصر في أخبار البشر)، ص ٦٩٢ في (Rec. Hist. Or.).

(٣) كذا في س، يضم العين فقط، وقد ضبط فقط البدلة الأول فتح العين.

(٤) في س "إزاحة الاعدار"، وقد حصمت من ب (ص ١٥٧).

غاراتهم باب مدينة بغداد ، ويخبرون بأحوال مدينة شيراز ، فأجيبوا وأحسن إليهم . وفيه توجه قصاداً إلى الملك بركة ، وأسلم عالم كبير على يد السلطان من التار الواصلين ومن الفرنج المستأمنين والأسرى ومن التوبة القادمين من عند ملكها ، ففرق فيهم في يوم واحد الأمير بدر الدين الخازندار مائة وثمانين فرساً .

- وفي جمادى الآخرة قبض على جاموسين من التار . وتجهز البرج الذي بناه السلطان^(١) في قارة ، وشرع في بناء برج أكبر منه لحفظ الطرقات من عادية الفرنج . واهتم ملك الأرمن بالمسير إلى بلاد الشام ، وأعد ألف قباء تترى^(٢) وألف سراقوج ، ألبها الأرمن ليوم أنهم نجدة من التتر . فلما ورد الخبر بذلك خرج البريد إلى دمشق بخروج صكرها إلى حصص ، وخروج عسكر حاة ، والإيخارج عربان الشام في هذه السنة إلى البرية . فخرجت المساكر ، ووالت الغارات من كل جهة ، فانهزم الأرمن . ونزل العسكر على أعطاكية فقتل وأمر وغنم ، وأغار^{١٠} العسكر أيضاً ببلاد الساحل على الفرنج حتى وصل إلى أبواب عكا . وشرع [السلطان] البناء في شقيف تيرون ، وكان قد حرب من سنة ثمان وخمسين وسقائة ، فلما تم بناؤه حمل إليه زردخانه وذخائر ، وبعث إلى عسكر الساحل مائتي ألف درهم فزقت فيهم . وورد البريد بأن جماعة من شيراز ، ومن أمراء العراق وأمراء خفاجة ، وصلوا وافدين إلى الأبواب السلطانية .

- وفي أول رجب رفعت قصة بأن على باب المشهد الحسيني مسجداً ، إلى جانبه موضع^(٤) من حقوق القصر قد بيع بستة آلاف درهم حلت إلى الديوان . فأمر [السلطان] ردها

(١) في من "قارا" بنير ضبط ، وهي قرية جنوبي حصص ، على مسافة ستة وثلاثين ميلاً منها ، وتقع على الطريق بين حصص ودمشق . (ياقوت : معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ١٢ - ١٣ ؛ أبو الفداء : المختصر في أخبار البشر ، ص ١٥١ ، في ١٠٠٠) . (Rec. Hist. Or. I. ، في ١٠٠٠) .

(٢) في من "قاترى" . انظر (Quatremère : Op. Cit. I. 1. P. 235) .

(٣) في من "سراكرج" ، وهي قلعة تترية ، وتجمع على مبرافجات . (Dozy : Supp. Dict. Ar.) .

(٤) في من "مسجد" .

وتَحْمِلُ الجميع مسجداً، وأمر بمارته . ووقف أحد الجند بيتيم معه ذكر أنه وصيه، فقال السلطان لقاضي القضاة : " إن الأجناد إذا مات أحدهم استولى خنثاشيته على موجوده ، ويُحْمِلُ اليتيم من الأوصاية . فإذا مات اليتيم أخذ الوصي موجوده ، أو يكبر اليتيم ^(١) فلا يجد شيئاً ولا تقوم له حجة على موجوده ، أو يموت الوصي فيذهب مال اليتيم في ماله . والرأى أن أحداً من الأوصياء لا ينفرد بوصية ، ولكن نظر الشرع (١١٢١) شاملاً ، وأموال اليتامى مضبوطة ، وأمناء الحكم يحاققون على المصروف " . وطلب [السلطان] ثواب الأمراء ونقباء العساكر وأمرهم بذلك ، فاستقر الحال عليه .

وفي ثالثه قدم الواقفون من شيراز ، ومقدمهم الأمير سيف الدين بكك ^(٢) ، ومعهم سيف الدين اقتيار الخوارزمي جمدار جلال الدين خوارزم شاه ، وغلشان أتابك سعد وهم شمس الدين مستقرجاه ورفقته . ووصل محبتهم مظفر الدين وشاح بن شهرى ، والأمير حسام الدين حسين بن ملاح أمير العراق ، وكثير من أمراء خفاجة . فلقاهم السلطان بنفسه ، وأعطى سيف الدين بكك إمرة طبلخاناه ، وأحسن إلى سائرهم .

وفي شعبان أمر السلطان الأمراء والأجناد والممالك بعمل المدد الكاملة ، فوقع الاهتمام من كل أحد بعمل ذلك ، وكثر الازدحام بسوق السلاح ، وارتفع سعر الحديد وأجر الحدادين وصناع آلات السلاح . ولم يبق لأحد شغل إلا ذلك ، حتى صار السكر لا ينفع متحصله في شئ سوى السلاح ، ولا يشتغل أحد منهم إلا بنوع من أنواع الحرب كالرجم ونحوه ، وتفتنوا في أنواع الفروسية . وورد كتاب أمير المدينة النبوية أنه سار مع كسوة الكعبة حتى علقها على البيت .

وفي شهر رمضان تجزت كسوة قبر النبي صلى الله عليه وسلم ، وتمين سفرها مع الطوائف جمال الدين محسن الصالحى . ووقع الشروع في تجهيز الشمع والبخور والزيوت والطيب .

(١) في س " تكبر " .

(٢) كما في س ، وقد ترجم (Quatremère: Op. cit. I, 1, p. 238) هذا الاسم إلى (Boklemek) .

(٣) هذا القنطان مضبوطان هكذا في س .

- ونخرج البريد إلى الأمير ناصر الدين القيمرى بالقاهرة على قيسارية^(١) وعثليت^(٢)، فساق إلى باب عثليت ونهب وقتل وأسر، ثم ساق إلى قيسارية ففعل مثل ذلك بالفرنج . وكان الفرنج قد قصدوا يافا، فخافوا ورجعوا عنها . وفيه جرى السلطان على عادته في إجراء الصدقات بمطابخ القاهرة ومصر بسم الفقراء، فكان يصرف في كل ليلة من ليالى رمضان جملة كبيرة من الخبز والقمح المطبوخ، وجرى أيضا على عادته في عتق ثلاثين نسمة على عادة الملوك الماضين^(٣) ، سوى من أعتقه من مماليكه . وورد الخبر بأن الفرنج أخذوا أخينة كبيرة للسلمين، فكتب إلى تواب الشام بالاجتهاد في ردها، فورد كتاب الأمير ناصر الدين القيمرى بأن الفرنج ردها، وكانت تستعمل على عالم كبير من الناس وجملة من المواشي . فسمع في ساعة ردها ، من اختلاف الأصوات بدعاء (١٣١ ب) الرجال والنساء وبكاء الأطفال، ماتكاد ترق له الحجارة . وقدم البريد من البيرة بأن صارم الدين بككاش الزاهدى أغار على باب قلعة الروم مرارا . وورد تاب الملك شارل^(٤) أنى الفرنسيين ملك الفرنج، ومعه هدية وكتاب أستاذه : ” بأن محذومه أمره أن يكون أمرُ الملك الظاهر تافدا في بلاده ، وأن أكون نائبُ الملك الظاهر كما أنا نائبه “ .

(١) بنبر ضبط في م ، وقيسارية المقصودة هنا بد على ساحل فلسطين قبالة طبرية . (ياقوت : معجم البلدان ،

ج ٤ ، ص ٢١٤) .

(٢) بنبر ضبط في م ، وهو حصن بساحل الشام بين حيفا وقيسارية ، وكان يعرف بالحصن الأحمر ، واسمه في الحوليات الصليبية (Castellum Peregrinorum) أى حصن الحجاج ، وقد زادت هيئة القربان الداوية في تحصينه في أواخر أيام الحروب الصليبية ، وجعلته المركز الرئيسى لقواتها بالشام ، (Le Strange : Palest. Under Moslems. P. 403 ; Stevenson : Crusaders In The East . P. 303) . انظر أيضا (ياقوت : معجم البلدان ، ج ٣ ، ص ٦١٦) .

(٣) يفهم من هذه العبارة أن عتق هذا البدكان عادة سنوية منتظمة في الدولة المملوكية .

(٤) في م ” شارل “ . والملك شارل المقصود هنا هو (Charles d' Anjou) ملك صقلية ، وقد تقدمت الإشارة إليه وإلى أخيه لويس التاسع (Louis IX) ملك فرنسا المقيم في تونس . (انظر ص ٥٠٢ ، حاشية ١) . أما الكتاب المشار إليه فكان الفرض مع عقد مساعدة تجارية بين دولة المماليك وملكة صقلية . (Lano-Poole : A Hist. Of Egypt. p. 266)

وفي يوم الجمعة خامس عشر به قرئ مكتوب في جامع مصر بإبطال ما قرر على ولاية مصر من الرسوم، وهي مائة ألف درهم وأربعة آلاف درهم قرة. وورد الخبر بأن الأشكري^(١) عوف الرسل إلى الملك بركة بالهدية عن المسير إليه، حتى هلك أكثر ما معهم [من الحيوان]^(٢)، فأحضر السلطان البطاركة والأساقفة، وسألهم عن خالف الإيمان وما كتب به الأشكري، فأجابوا بأنه يستحق أن يحرم من دينه. فأخذ [السلطان] خطوطهم بذلك، وأخرج لهم حيثئذ نسخ إيمان الأشكري، وقال: "إنه قد نكت بإمسالك رسل، ومال إلى جهة هولاءكو". ثم جهز إليه الزاهد الفيلسوف اليوناني، ومعه قميس وأسقف، بحرماته من دينه؛ وكتب له كتابا أعظم فيه. وكتب [السلطان] أيضا إلى الملك بركة [كتابا]، وسيّره إلى الأمير فارس الدين أفوش المسعودي المتوجه بالهدية إلى الملك بركة. فلما وصلوا إلى الأشكري أطلقهم لوقت، فساروا إلى الملك بركة^(٣).

(١) سمي ابن أبي الفضائل (كتاب النجديد، ص ١١٢) هذا الأشكري باسم "الباسلوس كرمبايل"، وهو الإمبراطور (Michael VIII Palaeologus, 1259-1282)، والباسلوس مصرب اللفظ اللاتيني (Basileus) ومعناه الإمبراطور، وقد تلقب به بأطلة الدولة البيزنطية منذ أوائل القرن السابع الميلادي. راجع (Cambr. Med. Hist. IV. pp. 726 et seq., 905).

(٢) أخيف ما بين القوسين من ابن أبي الفضائل (كتاب النجديد، ص ١١٣)، وقد تقدم ذكر ما احتوته تلك الهدية من أنواع الحيوان. (انظر ص ٤٩٧، حاشية ٣). هذا ويوجد في نفس المربع (ص ١١٣ - ١١٤) تفصيلات كثيرة فيما حدث لرسل السلطان في هذا السفر، ومنها أن سبب تمويههم أنه كان عند الإمبراطور وقت وصولهم رسول "من جهة هولاءكو"، فاعتذر إليهم [الإمبراطور] عن تأخير سيرهم، لغرضه لئلا يبلغ هولاءكو على ذلك...

(٣) ليس في المراجع المتعددة في الحواشي، ما يساعد على التصريف بالراهب المذكور، وقد ترجم (Quatremère: Op. cit. I. l.p. 240) العبارة إلى "un moine philosophe grec".

(٤) الضمير عائد على الرسل الذين كانوا قد هربوا قبلا.

(٥) يوجد في ابن أبي الفضائل (كتاب النجديد، ص ١١٦، وما بعدها) وصف لوصول السفارة الملكية إلى حضرة بركة خان، وقد ضمنه كثيرا من عادات التبرع والتواضع، وصورة دقيقة لشخص بركة خان، ونصه مصححا من الحواشي المتعلقة به: "فلما قابروا [عسكر بركة خان] التظام الوزير شرف الدين التزويقي، وهو يتحدث بالعربية والتركية، فأزلم في منزلة حسنة رحل إليهم الضيافة من اللحم والسك والخبز وغير ذلك. وأصبح الملك بركة نزل (كذا) في منزلة قريبة، واستحضر الرسل. وكانوا قد صعدوا من قاطونته عند دخولهم: وهو اللهو من جهة اليسار، وإذا =

وقدم البريد من البلاد الشامية بأن عدة من التار ومن الأتراك والبغاددة قد قصدوا البلاد مستأمنين، فأمر [السلطان] جميع الأمراء وأهلهم بذلك، وقال: "أخشى أن يكون في مجيئهم من كل جهة ما يستراب منه، والرأى أن نخرج إليهم، فإن كانوا طامعين عاملناهم بما ينبغي، وإلا فتكون على أهبة. ومن احتاج من العسكر إلى شيء أعطيته، وما أنا إلا كأحدكم يكفيني فرس واحد، وجميع ما عندي من خيل وجمال ومال كله لكم ولن يجاهد في سبيل الله".

= أخذ (كذا) الكتب منهم يخلون إلى جهة اليمن، ويكون الجلوس على الركبتين، وأن لا يدخل أحد إلى خركته بيت ولا سكن ولا (ص ١١٧) عدة، ولا يدوس رجله عتبة الخركاه، وإذا طلع أحد عتبة يخلها على الجانب الأيسر، ويخرج قوسه من القربان ويك ويتركه، ولا يدع في تركته شئاً، ولا يأكل ثلجاً، ولا يسفل ثوبه في الأرد، وإن اتفق غشله ينشره خفية. ثم إنهم وجدوا الملك بركة في خركاه كبيرة تسع نصيلة فارس، وهي مكسوة بإد أبيض، ومن داخلها مسطرة بصنداب وخطاني، مكلفة بجواهر وقرقوش. وهو جالس على تحت منى الزيلين على كرسى، وعلى الكرسى محدة، فإنه (في الأصل فان) كان به وبع الفرش (كذا)؛ وإلى جانبه الخاتون الكبرى واسمها طلفطاني خاتون، وله امرأتان غيرها وهما بملك خاتون وكها خاتون... (ص ١١٨) وكان عمر الملك بركة إلى ذلك التاريخاً وخمسين سنة، وصفته خفيف الهيئة كبير الوجه في لونه صفرة، يلف شعره عند أذنيه، في أذنه حلقة ذهب فيها جوهرة مثقبة، عليه قباء خطاني، وعلى رأسه سراقوج، وحياصة ذهب بجوهرة يسولو ينفاري أخضر، وفي رجله خف كيمخت أحمر. ولبس في (ص ١١٩) وسطه سيفاً، وفي حياصة قرون سود معوجة مقممة بذهب، وعنده تحسون أميراً على كراسى في خركته. فلما دخلوا عليه وأدوا الرسالة، أعجبه ذلك عجباً عظيماً، وأخذ الكتاب وأمر الوزير بقرائه. ثم قلهم عن يمينه، وأستدهم مع جنب الخركاه خلف الأمراء. بين يديه، وأحضر لهم القنز وبهده العسل المطبوخ، ثم أحضر لهم لحماً وحماً فأكلوا. ثم أمر بإزالمهم عند زوجته بملك خاتون، ولما أصبحوا صبيحتهم الخاتون في خركتها، ثم انصرفوا آخر النهار إلى منازلهم. وصار السلطان بركة يظلمهم في سائر أوقاته، ويسألم عن الفيل والزرافة، ويسأل عن النيل وعن مطر مصر، وقال سمعت أن خطا لابن آدم منذ على النيل، يبروا (كذا) (ص ١٢٠) الناس عليه، فقالوا هذا ما رأينا ولا هو عندنا. وأقاموا عده ستة وعشرين يوماً، وأعطاهم شيئاً من الذهب الذي يتعاملون به في بلاد الأكرى. ثم خلعت عليهم زوجته المذكورة، وأعطاهم بجوابهم. وسيرهم ومعهم الرسل، وهم أر بوقا وأزتيور وديورناش. وكان ضد الملك بركة رجل فقير من أهل الفيوم، اسمه الشيخ أحمد المصري، له عدا حربة كبيرة. وكل أمير عده له مؤذن وإمام، ولكل خاتون مؤذن وإمام، والصغار الذين عندهم لهم مكاتب ويتلون القرآن. وأقاموا (كذا) أرسل مدة غيبتهم إلى ستة خمس وستين وسماًة. - انظر الترجمة الفرنسية لهذا النص في قس المرجع والصفحات، لتفسير ما به من الألفاظ الغريبة أو النامضة.

فأشار الأمراء حينئذ بسلطنة ولده، ليكون مقياً بديار مصر في غيخته . فلما كان يوم الخميس ثالث عشر شوال، أركب السلطان ابنه الملك السعيد بشعار السلطنة، وخرج بنفسه في ركابه وحمل الفاشية راجلا بين يديه، فأخذها منه الأمراء، ورجع إلى مقر ملكه . ولم تزل الأمراء والعساكر في خدمته إلى باب النصر، ودخلوا به من (١١٣٢) القاهرة رجالاً يحملون الفاشية، وقد زينت [المدينة] أحسن زينة، واهتم الأمراء بنصب القباب . فصار [الملك السعيد]، والأمير عز الدين أيدير الحلبي راكباً إلى جانبه وقد تقرر أن يكون أتاكبه، والثياب الأطلس والمناقب تفرش تحت فرسه، حتى عاد إلى قلعة الجبل . ولم يبق أمير حتى فرش من جهته الثياب الحرير، فاجتمع من ذلك أحمال تفرقها الممالك السلطانية . وكتب القاضي محي الدين بن عبد الظاهر تقليد الملك السعيد، بتفويض عهد السلطنة له .

١٠ وفي يوم الاثنين سابع عشره اجتمع الأمراء والقضاة والفقهاء، وقرئ التقليد المذكور، وشرع في ختان الملك السعيد، فأمر [السلطان] الناس بالتأهب للعرض عليه بالأسلحة وآلات الحرب . وقدمت طائفة من جهة التتار المستأنسة، فكتب [السلطان] إلى أمراء خفاجة بخدمتهم . وظهر كوكب الذؤابة بالشرق وذؤابته نحو الغرب، وصار يطلع قبيل الفجر، ويتقدم قليلاً قليلاً حتى صار يطلع مرتفعاً، وأضاء ذنبه كثيراً . ولم يتغير عن منزلة الحقعة،^(١) وبعده منها إلى جهة المشرق نحو ربيع طويل . واستمر من آخر رمضان إلى أول ذي القعدة، وكان يظهر له قبل بروزه شعاع عظيم في الجو . وظهر أيضاً في الغرب مما يلي الشمال، بعد عشاء الآخرة في ليال عديدة من آخريات رمضان وأوائل شوال، خطوط مضية شبه الأصابع مرتفعة في جو السماء . واحترت الشمس في ربيع شوال قبيل الغروب، وذهب ضوءها حتى

(١) في س "قدم" .

(٢) ترجم (Quatremère : Op. Cit. I. 1. p. 241) هذا القبط إلى (comète) أى النجم المذنب،

بغير تعليق .

(٣) ضبط هذا القبط على منطوقه في (Ibid. Op. Cit. I. 1. p. 241) .

(٤) في س "ليالي" .

- صارت كأنها منكسفة إلى أن غرقت؛ فلما كان بعد عشاء الآخرة أصاب القمر مثل ذلك ^(١) . وأحضر من المقس ظاهر القاهرة طفل ميت ، له رأسان وأربع أعين وأربع أرجل وأربع أيدي ، ويُجد بساحل المقس . وفيه قتل الملك المغيث فتح الدين عمر بن الملك العادل صاحب الكرك . وورد الخبر بوصول الرسل إلى الملك بركة ، وإكرامه إياهم وتجهيزه لهم .
- وفي أول ذي القعدة جلس السلطان لمرض السكار عند طلوع الشمس ، وقد ملأوا الدنيا : فساق كل أمير في طلبه وهو لابس لامة حربة ، وجروا الخناثب وطلبوا عدد الحرب ؛ وأمر السلطان ألا يلبس أحد في هذا اليوم إلا شعار الحرب . فما زال السلطان جالسا على الضفة التي بجانب دار العدل ، والسكار تسوق وهي لابسة ، وديوان الجيش (١٣٢ ب) بين يديه ، والسكار تمر بحمة بحمة ، ثم عبرت عشرة عشرة . وكاد الناس يهلكون من الزحام وحمق الحديد ، فعبروا بغير حساب . وهلك عدة من الناس في الزحام ، منهم أليك مملوك الأمير عز الدين أيدمر الحبل ، فدفن ثم نبش ودفن في قبر آخر . فقال في ذلك القاضي محي الدين بن عبد الظاهر : —

ما تقلوا أيسك من قبره لحادث كلاً ولا عن ثبور
لكنه في يوم عرض قضى والعرض لا بد له من نشور

- وأراد السلطان بركوب المسكر في يوم واحد حتى لا يقال إن أحدا استمار شيئا ، فكان من يعرض يدخل من باب القسرافة ، ويخرج من جهة الجبل إلى باب النصر إلى الدهليز المضروب هناك . فلما قرب غروب الشمس ركب السلطان بقاء أبيض لا غير ، وساق في وسط السكار اللابسة — ومعه يسير من سلاح داريته وخواصه — إلى الدهليز ، فقتل به ورتب المنزل ، ثم عاد إلى القلعة وقت المغرب . ثم إن الناس اهتموا باللبس ، ولبسوا

(١) أقرت تلك الفلواهر السارية جميع من شاهدها ، وقالوا إنها من علامات قرب اجتياح التتر لبلاد المسلمين

مرة أخرى . انظر ابن واصل (تقس المربع ، ص ٤٢٧) .

(٢) في س "اربع" ، في العبارة كلها . (٣) انظر ص ٥١٤ ، حاشية .

خيولهم التشاهير^(١) والبراسم البحرية^(٢)، والمراوات والأهلة الذهب والفضة، والأطلس الخطائي^(٤).
ونزل السلطان، وجنائبه تبحر، فكان منظرا يبهير العيون حسنة. وكان الذي دخل في المراوات
من البنود الأطلس الأصفر قيمته عشرة آلاف دينار، وما تجدد بعد ذلك لا يحصى. وساق
السلطان إلى ميدان العيد وقُدَّامه جنائبه^(٥)، وشَرَط لكل أمير يصيب القبيق فرسا من الجنائب^(٦)
بما عليه من التشاهير، وخلمة لكل مفردى أو مملوك أو جندى. وساق هو والأمراء،
ثم المفاردة والبحرية والظاهرية والحلقة والأجناد، ودخل الناس بالرياح بكرة النهار. ونزل
السلطان وقت الصلاة للصلاة وإطعام الطعام، ثم ركب الناس ولبسوا، وركب السلطان لرى
النشاب وأعطى وخلع.

(١) التشاهير هي الأشرطة التي توضع حول صدر الحصان، وقد شرحها (Dozy : Supp. Diet. Ar.)
بالعبارة الفرنسية التالية: "les bandes plus ou moins large, qui serrent la poitrine du cheval."
(٢) كما في س، وقد قرأها (Quatremère : Op. Cit. I. 1. p. 243) "البراسم البحرية"، وترجمها
إلى (de caparaçons de guerre) أي السروج الحربية.

(٣) المراوات قطع من المعدن أو غيره، يزان بهاسرج الحصان، وقد فسرها (Dozy : Supp. Diet. Ar.)
بالعبارة الفرنسية التالية: "des plaques de métal ou autres, qui décoraient le harnais du cheval"
و يظهر ما على (سطر ٣) أن المراوات كانت تخطط بقباش السرج.

(٤) الأطلس الخطائي نوع من الحرير، وأصل صناعته في بلاد الخطا أي شمال الصين، وكان في زمن ياقوت
(معجم البلدان، ج ١، ص ٨١٢) من مصنوعات تبريز أيضا .. راجع (Dozy : Supp. Diet. Ar.)
(٥) انظر الحاشية التالية.

(٦) القبيق — أو القبايق — فقط ترك مئة نبات القرفة السلية (une courgette)، وقد أطلق في العربية على
الهدف الذي كان مستملا في لعب الرماية المعروف باسم القبيق أيضا. وكانت طريقة لعب القبيق أن ينصب صاروخ طويل
من خشب، يكون في رأسه شكل قرفة من ذهب أو فضة بمثابة هدف، ويكون في القرفة طير حمام. ثم يأتي اللاعبون
لبارة فيرى الهدف بالقشاب أو بالسهم وهم على ظهور الخيل، فمن أصاب منهم القرفة وأطار الحمام حاز السباق وأخذ القرفة
المعدنية قسما مكافأة. (Quatremère: Op. cit. I. 1. p. 243. N. 118; Dozy: Supp. Diet. Ar.)
وقد وصف المقرئ (المراوغ والاعتبار، ج ٢، ص ١١١) لعب القبيق وصفا يختلف قليلا عن الوصف المتقدم،
ونصه: "والقبيق عبارة عن خشبة عالية جدا، تنصب في براح من الأرض، ويصل بأعلامها دائرة من خشب،
وتحفظ الرماة قسما وترى بالسهم الجوف الدائرة، لكن تترنن داخلها إلى غرض هناك، تمر بنا لهم على إحكام الرمي،
و يهرع من هذا القبيق إلى لغة الترك". وكان لرى القبيق ميدان خاص خارج القاهرة، وكان موضعه حسبما جاء بالمقرئ =

وفي هذا اليوم حضر رسل الملك بركة ، فشاهدوا من كثرة العساكر وحسن زيهيم
واهتام السلطان وبهجة الخيول وجلالة الفرسان ما بهر عقولهم ، ووقفوا بجانب السلطان
يشاهدون حركات العساكر وإصابة رميها . واستمر ذلك أياما .

- وفي تاسع خلع السلطان على الملوكة والأمراء والبحرية والمجانب والحلقة ، وأرأى باب
الهاشم والوزراء والقضاة وذوى البيوت ، وحضروا بالخلع ، واستمر اللعب بقية النهار .
ف سألت الرسل عن العساكر ، هل هى عساكر مصر والشام ، فقيل لهم : ” هذا عسكر مصر
فقط ، غير من فى التنور مثل إسكندرية ودمياط ورشيد وقوص ، (١١٣٣) والمجربين
والذين سافروا فى إقطاعاتهم “ . فكثرت تعجبهم من ذلك .

- وفي عاشره عمل السباط بقلمة الجبل ، وحضر الملك السعيد وفى خدمته أولاد الملوكة
وأولاد الأمراء . ففتح الملك السعيد ، ثم فتن ابن الأمير عز الدين الحلى الأتابك ، وابن

= (الملاحظ والاختيار ، ج ٢ ص ١١١ ، وما بعدها) ” فباين الفترة التى ينزل من قلعة الجبل إليها وبين قبة النصر
التي تحت الجبل الأحمر ، ويقال له أيضا الميدان الأسود وميدان العيد والميدان الأخضر وميدان السباق ، وهو ميدان
السلطان الملك الظاهر بيبرس البندقدارى الصالحى النجسى . [وقد] بنى به مصطبة فى المحرم من سنة ست وستين وسفارة ،
عندما احتفل برى الثناب وأمور الحرب وسحت الناس على لعب الرمح ورمى الثناب ونحو ذلك ، وصار ينزل كل يوم
الى هذه المصطبة فلا يركب منها الى المشاء الآخرة ، وهو برى ويميز الناس على الرمي والفضال والرهان ، فساين أمير
ولا ملوك إلا وهذا شطه ، وتوفر الناس على الرمح ورمى الثناب . وما يروح من بعده من أولاده ، والملك المنصور
سيف الدين قلاوون الأئنى الصالحى النجسى ، والملك الأشرف خليل بن قلاوون ، يركبون فى الموكب لهذه الميدان ،
وتخطف الأمراء والمالكة السلطانية تسابق بالخيول فيه فقامهم ، وتنزل العساكر فيه لرى التيق ... (ص ١١٣) ...
وما يروح هذا الميدان فضاء من قلعة الجبل الى قبة النصر ليس فيه بيان ، ولقوله فيه من الأعمال ما تقدم ذكره ، الى أن
كانت سلطة الملك الناصر محمد بن قلاوون . فترك النزول اليه ، وبنى مصطبة برسم طيور الصيد بالقرب من بركة الحبش ،
وصار ينزل هناك . ثم ترك [الناصر] تلك المصطبة فى سنة عشرين وسبعمائة ، وعاد الى ميدان التيق هذا وركب اليه على
عادة من تقدمه من الملوك ، الى أن بنيت فيه القرب شيئا بعد شيء حتى انشدت طريقه ، واتصلت الباقي من ميدان التيق
الى تربة الروضة خارج باب البرقية ، وطل السباق به ورمى التيق فيه من أكثر أيام الملك الناصر محمد بن قلاوون ...
وأنا أدركت هناك عواميد من رخام قائمة بهذا القضاء ، تعرف بين الناس بمراميد السباق ، بين كل عמודين مسافة
بعيدة ، وما برحت قائمة هناك الى ما بعد سنة ثمانين وسبعمائة ... “ . وأصبح أيضا التورى (نهاية الأرب ، ج ٢٩ ،

الأمير شمس الدين سقر الأشقر الرومي، وابن الأمير سيف الدين سكر^(١)، وابن حسام الدين ابن بركة خان، وابن الملك المجاهد ابن صاحب الموصل، ثم أولاد الملك المغيث صاحب الكرك الثلاثة، وابن نغر الدين الحمصي، وعتة من أولاد الأمراء . و[كان] ذلك بعدما عمل لعتة من الأيتام وأبناء الفقراء بمصر والقاهرة كسوة، فأحضروا في هذا اليوم وختنوا . ومنع السلطان الأمراء والخواص من التقدمة التي جرت العادة بها للوك في مثل هذا المهم ، فلم يقدم أحد من الخاصة شيئاً البتة .

ولما انقضى هذا المهم خرج السلطان إلى الطرانة^(٢)، وسار إلى وادي هيب^(٣) ونزل الأديرة [التي هناك] ، ومضى إلى تروجة وسار منها إلى الحمامات ، وسلك إلى العقبة وضرب الحلقة برسم الصيد، وأدركه عيد التحريك . ووجد جماعة لأخذ عربان بلغه كثرة فسادهم ، وأحضر هواره وعرب سليم ، وألزمهم بإشهاد كتب عليهم بعمارة البلاد ، وألا يؤا أحداً من أهل الفساد . ثم عاد إلى قصر الإسكندرية ، وعم المفاردة والأمراء والخواص بتفرقة المال والقماش ؛ ولعب الكرة بالميدان ، وزار الشاطي . ثم سار إلى القاهرة ، ففزل تروجة ، ورسم بتقديم مسيف الدين عطا الله بن عزار على عرب بركة ، وألزمه ببجاية زكاة المواشي وأخذ عشر الزروع والثمار بفريضة الله ، فالتزم بذلك . وأنهم عليه بسنجد وتقارات ، وتوجه لحفظ البلاد واستخراج الزكاة والعشور من العريان بركة .

ووصل السلطان إلى قلعة الجبل ، فقدم تحية تكريت بجماعة . وجهاز [السلطان] الأمير أمين الدين موسى بن التركاني ، ومعه عدة من الرماة والمقاتلة ، ونزارة مال وعدة خلع ، وكثير

(١) كما في ص .

(٢) بنير ضبط في ص ، وهي بلدة واحة على الشاطي . الفرقي لقرع رشيد ، بينها وبين القاهرة نحو أربعين ميلاً . (مبارك : الخطط التوقفية ، ج ١٣ ، ص ٣٤ ، وما بعدها) . انظر أيضاً : (P. Omar Toussoun :

La Geographie de L'Egypte A L'Epoque Arabe I. 2. Planche 1).

(٣) بنير ضبط في ص ، وهو وادي الطرون . (مبارك : الخطط التوقفية ، ج ١٧ ، ص ٤٨ ، وما بعدها) .

(٤) التهمة اسم وثيقة ، وقد تقدمت الإشارة إليها . (انظر ص ٤٠ ، حاشية ه) .

من أمراء عربان الكرك ويجريتها ، ومبلغ من الغلال والذخائر . فساروا الى خير واستولوا على قلعتها .

- وكثر في هذه السنة قتل الناس في الخليج ، وقُفِد جماعة ، والتبس الأمر (١٣٣ ب) في ذلك . ثم ظهر بعد شهر أن امرأة جميلة يقال لها غازية كانت تخرج بزيتها ومعهما عجوز ، فإذا تعرض لها أحد قالت له العجوز : ^{٢٢} لا يمكنها المصير الى أحد ، ولكن من أرادها فليأت منزلنا “ ، فإذا وافى الرجل إليها خرج إليه رجال فقتلوه وأخذوا ما معه .
- و [كانت المرأة] في كل قليل تنقل من منزل إلى منزل ، حتى سكنت خارج باب الشعيرة على الخليج . فأتت العجوز إلى ماشطة مشهورة بالقاهرة واستدعتها إلى فرح ، فسارت [الماشطة] معها بالحلى على العادة ومعهما جاريتها ، ودخلت الماشطة وانصرفت جاريتها ، فقتل الجماعة الماشطة وأخذوا ما كان معها . وجاءت جاريتها إلى الدار تطلب مولاتها فأنكروها ، فضت إلى الوالي وعرفته الخبر ، فركب إلى الدار وهجمها فإذا بالصبية والعجوز ، فقبض عليهما وعرضهما على العذاب ، فأقرتا لحبسهما . واتفق أن رجلا جاءهما فنقد أحوالهما ، فقبض عليه وعوقب فذل على رفيقه ، فإذا هو صاحب أئنة طوب فوقب [أيضا] . فوجد أنهم كانوا إذا قتلوا أحدا ألقوه في القمين حتى تحترق عظامه ، وأظهروا من الدار حفائر قد ملئت بالقتلى ، فمُرموا جميعا . ثم أطلقت المرأة بعد يومين ، فأقامت قليلا وماتت . [ثم عملت الدار التي كانوا بها مسجدا ، وهو المعروف بمسجد الخنفاقة] ^(٢٣) .

وفي هذه السنة وقف السلطان علة قرى بأعمال الشام والقدس ، لصرف ريعها في ثمن خبز ونعال لمن يرد إلى القدس من المشاة ، ومبلغ فلوس . وأنشأ خاناً وفرناً وطاحوناً بالقدس ، وجعل النظر في ذلك للأمير جمال الدين محمد بن نهار .

(١) كذا في س .

(٢) أضيف ما بين القوسين بعد مراجعة ابن أبي القضائل (كتاب النج السديد ص ١٢٦) ، والنقطة كلها واردة بذلك المرح (ص ١٢٤ - ١٢٦) ، وهي هناك أكثر تحصيلا .

وفيما قبض الأشكري صاحب قسطنطينية على عز الدين كيكابوس بن كيعسرو بن كيقباد صاحب بلاد الروم : وسبب [وجود عز الدين عند الأشكري هو] اختلافه مع أخيه [ركن الدين قلع أرسلان] ، حتى غلبه أخوه ففر منه ، وملك أخوه ركن الدين قلع أرسلان بلاد الروم . فغضى عز الدين إلى الأشكري ، فأواه وأنتله ومن معه من الأمراء ، وقام بأمرهم مدة ، حتى بلغه أنهم قصدوا قتله وأخذ الملكة منه ، فقبض عليهم واعتقل عز الدين ، وحل أصحابه كلهم فأعاهم .

[وفيها] ^(٢١) ولي محي الدين أبو المكارم محمد بن محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن علوان بن الأستاذ الأسدي الشافعي قضاء حلب ، عوضا عن ابن عمه كمال الدين أبي بكر أحمد ^(٢٢) [المتوفى] .

ومات في هذه السنة من الأعيان الملك المنيف عمر بن العادل أبي بكر بن الكامل محمد ابن العادل أبي بكر بن أيوب بن شاذي صاحب الكرك ، مقتولا بقلعة الجبل ، عن ثلاثين سنة . و مات الملك الأشرف موسى بن المنصور بن إبراهيم بن المجاهد شيركوه بن الفاهر محمد بن المنصور ابن شيركوه بن شاذي صاحب حمص ، عن خمس وثلاثين سنة بها ، وهو آخر من ملك حمص من أولاد شيركوه . و مات الأمير حسام الدين لاجين المزني الجوكندار بدمشق ، عن نحو خمسين سنة . وتوفي قاضي قضاة دمشق عماد الدين أبو الفضائل عبد الكريم بن جمال الدين

(١) في س "وسببه" ، وقد تحققت الإشارة إلى ما حدث لعز الدين المذكور على يد الأشكري (Theodore II Lascaris) إمبراطور الدولة البيزنطية . انظر ص ٤٠٨ ، حاشية ١ ، وهي التي منها أضيف ما بين الأقواس لتوضيح .

(٢) (٣) البارة الواردة هنا بين الرقبن موجودة بهامش صفحة ١٣٣ ب في س .

(٤) انظر الصفحة التالية ، سطر ٣ .

(٥) الوفيات التالية واردة على ورقة مفصلة بين الصفحتين ١٢٣ ب ، ١٢٤ أ في س ، (انظر ص ٤٨٦ ، حاشية ٢) ، ولا شك في ثباتها وضعتها هنا تحت سنة ٥٦٦٢ هـ ، فقد سبق ورود خبر وفاة كل من الملك المنيف عمر ، والملك الأشرف موسى ، بين أخبار تلك السنة . (انظر ص ٥٠٥ ، سطر ٤١٣ ص ٥١٧ ، سطر ٤٣ وكذلك أبا القدا : المختصر في أخبار البشر ، ص ١٥٠ ، في Rec. Hist. Or. I. ، ابن الهادي : شذرات الذهب ، ج ٥ ، ص ٣٠٥-٣٠٧ ، ابن أبياس : بدائع الزهور ، ج ١ ، ص ١٠٣) . هذا وليس لهذه الوفيات وجود في ب (١٥٩ ب) ما عدا واحدة ، وهي وفاة قاضي قضاة دمشق عماد الدين الحرستاني . (انظر سطر ١٤) .

أبي القاسم عبد الصمد بن محمد بن الفضل بن الحرستاني الدمشقي الشافعي ، وهو معزول
 وبه خطابة الجامع وتدرّس الحديث بالأشرفية ، عن خمس وخمسين سنة بدمشق . وتوفى
 قاضي القضاة بحلب كمال الدين أبو بكر أحمد بن زين الدين أبي محمد عبد الله بن عبد الرحمن
 ابن علوان الأسدي الشافعي ، المعروف بابن الأستاذ ، عن إحدى وخمسين سنة . وتوفى شيخ
 الشيوخ بحماة شرف الدين أبو محمد عبد العزيز بن محمد بن عبد المحسن الأنصاري ، عن ست
 وسبعين سنة ، في ثامن رمضان ، ومولده في جمادى الأولى سنة ست وثمانين وخمسمائة .
 وتوفى الرجل الصالح أبو القاسم بن منصور بن يحيى القباري بالإسكندرية ، عن خمس
 وسبعين سنة .



- سنة ثلاث وستين وستائة . في المحرم توجه الملك الظاهر من قلعة الجبل إلى الصيد
 ١٠ فاقام بوسيم ، ثم سار إلى العباسية ورمى البندق ، وأدعى^(١) له جماعة منهم الأمير نغر الدين عثمان
 ابن الملك المغيث صاحب الكرك . فورد الخبر بتزول التتر على البيرة ، فجهز [السلطان] من فوره
 الأمير بدر الدين الخازندار على البريد ، ليخرج أربعة آلاف فارس من بلاد الشام . وركب
 السلطان من موضعه وساق إلى القلعة ، وكانت الخيول على الربيع ، فلم يتم بقعة الجبل بعد
 عوده من الصيد غير ليلة . وعين الأمير عز الدين إيفان المعروف بسم الموت لتقدمة العساكر ،
 ١٥ ومعه من الأمراء الأمير نغر الدين الحمصي ، والأمير بدر الدين بيليك الأيدمرى ، والأمير
 علاء الدين كشتندي الشمسي ، وعدة من الأمراء والحلقة تبلغ أربعة آلاف فارس (١٢٤) ؛

(١) المعنى المقصود هنا بفعل "ادعى له" — ضمير الماه عائد على السلطان بيبرس — أن الأمير نغر الدين
 عثمان المذكور اتسب إليه واعتبره أستاذه في الصيد . ذلك أن العادة في دوائر الصيد كانت في تلك الأزمنة أن
 المبتدئ لا يصير في زمرة هواة هذا الفن إلا بعد الانتساب لأحد رماة الصيد القدماء ، فإذا تم له ذلك قيل إنه ادعى
 لفلان ، أي اتسب إليه . وكانت وسيلة "الادعاء" هذه أن يضح المبتدئ في إصابة رمية من طير أو غيره ، ومنه
 ذلك يختار الانتساب إلى من يشاء من رجال الصيد المعروفين ، سلطاناً كان أو أميراً أو فقيهاً أو عامياً . انظر
 (Quatremère : Op. Cit. II. I. P. 75. N. 83).

(٢) في ص "سم الحوب" ، وقد صحح الاسم كله من أين أتى الفضائل (كتاب التيج السديد ، ص ١٢١) .

نخرجوا من القاهرة جرائد في رابع شهر ربيع الأول . ثم عين الأمير جمال الدين المحمدي ، والأمير جمال الدين أيدندي الحاجبي ، ومعهما أربعة آلاف أخرى ، فبرزوا ثاني يوم خروج الأمير عز الدين إيفان إلى ظاهر القاهرة ، وساروا في عاشره .

[وفي يوم السبت رابع ربيع الآخر^(١) شرع السلطان في السفر ، وخرج بنفسه في خامس شهر ربيع الآخر ومعه عساكر كثيرة . فوقع فناء في الدواب هلك منها عدد كثير ، وصارت الأموال مطروحة ، والسلطان لا يقصر في المسير . فلما شكى إليه قلة الظهر قال : ” ما أنا في قيد الجبال ، أنا في قيد نصرة الإسلام “ . ونزل [السلطان] غزوة في العشرين منه ، فورد الخبر بأن العدو نصب على البيرة سبعة عشر متجنيقا ، فكتم ذلك ولم يعلم به سوى الأمير شمس الدين سنقر الرومي والأمير سيف الدين قلاوون فقط . وكتب [السلطان] للأمير إيفان : ” متى لم تدرؤا قلعة البيرة ؟ وإلا سقت إليها بنفسى جريده “ ، فساق [الأمير إيفان] السكر . ورحل السلطان من غزوة ، ونزل قريبا من صيداء ، فركب الصيد ففقطر عن فرسه وأنشهم وجهه ، فجلد ورحل . وأثناء قسطنطين يافا بتقاد^(٢) .

ونزل السلطان يثبي^(٣) في سادس عشره ، فورد البريد من دمشق وهو في الحمام بالدھليز ، فلم يجهل وقرئ عليه الكتاب وهو عريان : فإذا هو يتضمن بأن بطاقة الملك المنصور صاحب حماة سقطت بأنه وصل إلى البيرة بالمسافر ، محبة الأمير عز الدين إيفان وجماعة الأمراء — يوم الاثنين ، وأن التار عند ما شاهدوهم هربوا ، ورموا بمجانيقهم وغرقوا مرابكهم ؛ وكان من حين كتابتها بالبيرة إلى حين وصولها يثبي أربعة أيام . ثم توالى كتب الأمراء بالباشرة ، فكتب بذلك إلى القاهرة وغيرها . واستشهد على البيرة الأمير صارم الدين

(١) في ص ” فخر “ ، وقد أضيفت البشارة الافتتاحية لهذه الجملة من ابن أبي الفاضل (كتاب التيج السديد ، ص ١٣٢) . (٢) المقصود بها الأموال التي تسجلها الدواب مع جيش السلطان .

(٣) مررب القسطنطيني (Castellanus) ، وسماء مستحفظ القلعة ، (انظر ص ٣٥ ، حاشية ٤ ص ٤٠ ، حاشية ٦) ، ويأباه في الفرنسية (Châtelain) ، راجع (Doxy. Supp. Dict. Ar.) . هذا واصل المقصد بقسطنطين يافا في تلك السنة هو صاحبها وتسلكتها (John II d'Ibelin) ، وقد تقدمت الإشارة إليه في ص ٤٦٤ سطر ٤ . (٤) في ص ” بيتا “ .

- بكتاش الزاهدى، وترك موجودا كبيرا وبنا واحدة؛ فرسم [السلطان] أن يكون جميع الإرث لما لا يشاركها فيه أحد . وكتب [السلطان] بجملة مانح من البيرة، وحمل آلات القتال والأسلحة اليها من مصر والشام، وأن يبا فيها كل ما يحتاج اليه أهلها في الحصار لمدة عشر سنين .
- وكتب للأمراء ولصاحب حماة بالإقامة على البيرة، حتى ينظف الخندق من الحجارة التي ردها العدو فيه؛ فكانت الأمراء تنقل الحجارة على أكتافها مدة . وبعثوا بخبر ذلك إلى السلطان، وهو واقف على سوء قيسارية ليهدمه بنفسه، وفي يده القطاعة ^(١) وقد تجرحت يده . فكتب جوابهم : "إنا بحمد الله ما نخصصنا عنكم براحة ولا دعة، ولا أتم في ضيق ونحن في سعة . ما هنا إلا من هو مباشر الحروب الليل (١٢٤ ب) والنهار، وناقل الأحجار ومُرباط الكفار . وقد تساوتنا في هذه الأمور، وما تم ما تضيق به الصدور" . وكتب [السلطان] إلى القاهرة باستدعاء ماتى ألف درهم وماتى تشريف ، وإلى دمشق تجهيز مائة ألف درهم ومائة تشريف ، وحمل جميع ذلك إلى البيرة . وكتب إلى الأمير إيفان بأن يحضر أهل قلعة البيرة ويخلع على سائر من فيها من أمير وأمور وجندى وعامى، وينفق فيهم المال حتى الخواص وأرباب الضوء ^(٢)؛ فاعتمد ذلك كله. وكتب إلى الديار المصرية بتبديل المزر، وأن تعفى آثاره وتخرب بيوته وتكسر مواضعه، و[أن] يسقط ارتفاعه من الديوان ، "ومن كان له على هذه الجهة شئ، فعوضه من مال الله الحلال" ؛ فاعتمد ذلك، وعوض المقطعون بدل ما كان لهم على جهة المزر .

ثم ركب [السلطان] من العوجاء بعد ركوب الأطلاب للتصيد في غابة أرسوف ، ورسم للأمراء من أراد منهم الصيد فيحضر ، فإن الغابة كثيرة السباع . وساق إلى أرسوف

(١) القطاعة هي المطرقة ، تستعمل لقطع الصخر أو هدم البناء ، وجمعها قنطاطيع . (محيط المحيط ؛ Dozy ; Supp. Dict. Ar.) .

(٢) في س "أرباب الضوء" ، وقد زيدت الهززة على القنطاطيع بعد مراجعة (Quatremère) : (les hommes préposés à l'éclairage) حيث ترجمت البارة إلى الآتى : (Sit. I. 2. P. 4. N. 5) أى الأشخاص المكلفون بأعمال الإنارة، ويقال لهم الضوية والمشاطبة أيضا . (Dozy ; Supp. Dict. Ar.) .

وقيسارية ، فشاهدهما وعاد إلى الدهليز ، فوجد أخشاب المنجنيقات قد أحضرت صحبة زردخاناه ، فأمر بنصب عدة مجانيق وعملها . وجلس [السلطان] مع الصناع يستمعهم ، فعمل في يوم واحد أربع منجنيقات كبار سوى الصغار . وكتب إلى القلاع بطلب المجانيق والصناع والمجاريين ، وزسم للمسكر يعمل سلام . ورحل [السلطان] إلى قريب عيون الأساور^(١) من وادي عارة وعرة^(٢) ، فلما كانت بعد عشاء الآخرة أمر العسكر كله فلبسوا آلة الحرب ، وركب آخر الليل وساق إلى قيسارية ، فوافاها بكرة نهار الخميس تاسع جمادى الأولى على حين غفلة من أهلها ، وضرب عليها بساكره . ولوقت ألقى الناس أنفسهم في خندقها ، وأخذوا السكك الحديد التي يرسم الخيول — مع المقاييد والشجج^(٣) ، وتملقوا فيها من كل جانب حتى صعدوا ، وقد نُصبت المجانيق ورمى بها . فحرقوا أبواب المدينة واقتحموها ، ففر أهلها إلى قلعتها ، وكانت من أحصن القلاع وأحسنها وتعرف بالخضراء . وكان قد حمل عليها القرمح الممد الصوان ، وأقتنوها بتصليب العمود في بنائها ، حتى لا تعمل فيها القنوب ولا تقع إذا علقت . فاستمر الزحف والقتال عليها بالمجانيق والدبابات والزحافات ورمى

(١) بشر ضبط في س ، وهي منزلة قرب قيسون والرملة من أعمال فلسطين . (ابن شداد : النوادر السلطانية ، ص ٤٧ ، حاشية ٢٤١ ، في Rec. Hist. Or. III. ؛ يا قوت : معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ٢١٨) .
(٢) ضبط هذين الاسمين على منطوقهما في (Quatremère : Op. Cit. I. 2. p. 6) ، حيث ترجموا الى (Arah et Ararah) .

(٣) السكك جمع سكة ، وهي الوتد الذي يربط به مقود الحصان . (محيط المحيط . Dozy : Supp. Dict. Ar.)
(٤) هذا القطع مضبوط بضم الشين فقط في س ، وهو جمع شجرة ، وهي السلسلة التي يربط بها قدم الحصان ، في أحد طرفيها عمود تزدود في القدم ، وفي طرفها الآخر رزمة تدق في الأرض . (محيط المحيط . Dozy : Supp. Dict. Ar.)
(٥) في س " الزحافات " ، والصيغة المثبتة هنا من ب (١٥٩ ب) ، والزحافات مشروحة ضمنا في (Dozy : Supp. Dict. Ar.) في العبارة التالية : " ... برج الزحف ou آلة الإسف est une sorte de tour dans laquelle se trouvent des soldats munis d'arbalète et de machines de guerre, et qui est placée sur un chariot que l'on pousse contre les murailles d'une place forte, que l'on assiege. " هذا وليس في القلقشندي (صبح الأعشى ، ج ٢ ، ص ١٣٦ ، وما بعدها) في باب آلات الحصار ذكر الزحافات ، بل أنه أورد المجانيق ومكاحل الجارود وقرادير الغيط والساتر .

النشاب . ونحرجت تجريدة من عسكر السلطان إلى بيسان مع الأمير شهاب الدين القيمرى ، فسفر جماعة من التركمان والعربان (١١٣٥) إلى أبواب عكا ، فأسروا جماعة من الفرنج .

[هذا] والقتال ملّح على قلعة قيسارية ، والسلطان مقم بأهل كنيسة تجاء القلعة لينجى الفرنج من الصعود إلى علو القلعة ، ونارة يركب فى بعض الدبابات ذوات العجل التى تجرى حتى يصل إلى السور ليرى النقوب بنفسه . وأخذ [السلطان] فى يده يوما من الأيام ترسا وقاتل ، فلم يرجع إلا وفى ترسه عدة سهام .

فلما كان فى ليلة الخميس النصف من جمادى الأولى سلم الفرنج القلعة بما فيها ، فسلّق المسلمون من الأسوار ، وحرّقوا الأبواب ودخلوها من أعلاها وأسفلها ، وأخذ بالصبح عليها . وطلع السلطان ومعه الأمراء إليها ، وقسم المدينة على الأمراء والمالّيك والحلقة ، وشرع فى الهدم وتزل وأخذ بيده قطاعة وهدم بنفسه . فلما قارب الفسراغ من هدم قيسارية : بعث [السلطان] الأمير سقر الرومى والأمير سيف الدين المستعرب فى جماعة ، فهدموا قلعة كانت للفرنج عند الملوحة قريب دمشق — وكانت عاتية — حتى دكّوها دكّا .

وفى سادس عشر به سار السلطان جريدة إلى عثليث ، وسير الأمير مستقرا السلاح دار ، والأمير عز الدين الحموى ، والأمير سقرا الأتقى ، إلى حيفا . فوصلوا إليها ، ففر الفرنج إلى المراكب وتركوا قلعتها ، فدخلها الأمراء بعد ما قتلوا عدّة من الفرنج وبعد ما أسروا كثيرا ، ونحربوا المدينة والقلعة وأحرقوا أبوابها فى يوم واحد ، وعادوا بالأسرى والرؤوس والفنائم

(١) توجد بين الصفحين ٦٣٤ ب ، ١٣٥ أ فى ص ، ورقة مفصلة بها وفيات تامة لسنة ٦٦٤ هـ ، ومشتورد فى موضها .

(٢) بغير ضبط فى ص ، وهى حسب ورود فى ياقوت (معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ٣٦٨) قرية كبيرة من قرى حلب ، وتقع فى الجنوب الشرقى ، على مسافة ثمانية عشر ميلا تقريبا . انظر (Rec. Hist. Or. I. Index) .

(٣) فى ص "عاتية" ، وهى فى ب (١١٦١) "عالية" ، وقد غيرها (Quatremère : Op. Cit. I. 2. p. 8. N. 9) إلى "عاصية" ، وترجمها على هذا المعنى . على أنه يحتمل أن تكون الصيغة الواردة فى ص هى المقصودة بألفات ، إذ يوجد فى (Dozy : Supp. Dict. Ar.) فى مادة حب ما يفيد أن التعيب هو التقييف (toiture) ، ولعل المراد بلفظ عاتية هنا ما عرّض من هذا المعنى .

سالمين . ووصل السلطان إلى عثليت فأمر بتشعبها وقطع أشجارها ، فقطعت كلها ونحرت
أبنيتها في يوم واحد . وعاد إلى الدهليز قيسارية ، وكل هدمها حتى لم يدع لها أثرا .
وقدمت منجنيقات من الصبية وزود خاناء من دمشق . وورد عتة من الفرج للخدمة ،
فأكرمهم السلطان وأقطعهم الإقطاعات .

وفي تاسع عشره رحل السلطان من قيسارية ، وسار من غير أن يعرف أحد قصده . فقتل على
أرسوف مستهل جمادى الآخرة ، وتقل إليها من الأحطاب ما صارت حول المدينة كالجبال
الشاهقة وعمل منها سائر^(١) وحفر سربين من خندق المدينة إلى خندق القلعة وسقفه بالأخشاب .
وسلم أحدهما للأمير سقر الرومي ، والأمير بدر الدين يسرى ، والأمير بدر الدين الخازندار ،
والأمير شمس الدين المذكور^(٢) الكركي (١٢٥ ب) ، وجماعة [غيرهم] . وسلم الآخر للأمير سيف الدين
فلان ، والأمير علم الدين الحلبي الكبير ، والأمير سيف الدين كرمون ، وجماعة [غيرهم] . وعمل
[السلطان] طريقا من الخندقين إلى القلعة ، وردمت الأحطاب في الخندق ، فتجلى الفرج
وأحرقوها كلها . فأمر السلطان بالحفر من باب السربين إلى البحر ، وعمل سروبا تحت
الأرض يكون حائط خندق العدو سائرا لها ، وعمل في الحائط أبوابا يرى التراب منها ويتزل
في السروب حتى تساوى أرضها أرض الخندق . وأحضر المهندسين حتى تقرر ذلك ، وولى
أمره للأمير عز الدين أيك الفخري . فاستمر العمل ، والسلطان بنفسه ملازم العمل بيده
في الحفر وفي جز المنجنيقات ورمي التراب وتقل الأحجار ، أسوة غيره من الناس . و[كان]
يمشي بمفرده وفي يده ترس ، تارة في السرب وتارة في الأبواب التي تفتح ، وتارة على حافة

(١) يوجد في محيط المحيط في مادة ذنب ، وصف لنوع من أنواع الأسربة التي تخترق حصار المدن ، واسمه
طريق ذنب الفار ، وهو "مرب كثير التاراج يخترق حصار المدن والحصون ، ليتوصل به إليها من غير أن يصيب
السالكين فيه ما يشقهم به أهلها" .

(٢) في "الذكر" ، انظر . (Zetterstóen : Op. Cit. p. 141) . هذا وقد ترجم : (Quatromère :
Op. Cit. I. 2. p. 8) هذا الاسم إلى (Aldekiz) ، ونجا (Blochet) هذا الحرف إلى أبي الفضائل (كتاب

- اليحري يراى مراكب الفرينج . و [كان] يمز في المجانيق ، و يطلع فوق السائر يرمى من فوقها ، ورمى في يوم واحد ثلاثمائة سهم بيده . وحضر في يوم إلى السرب وقعد في رأسه خلف طاقة يرى منها ، فخرج الفرينج بالرماح وفيها خطاطيف ليحبذوه^(١) ، فقام وقاتلهم بدا بيد — وكان معه الأمير ستقر الروى ، والأمير يمسرى ، والأمير بدر الدين التلازندان ، فكان ستقر يناوله الحجارة — حتى قتل فارسين من الفرينج ، ورجعوا على أسوأ حال . وكان يطوف بين المساكر في الحصار بمفرده ، ولا يحسر أحد ينظر إليه ولا يشير إليه بأصبعه .

- وحضر في هذه الغزاة جمع كبير من العباد والزهاد والفقهاء وأصناف الناس ، ولم يعهد فيها بحرب ولا شيء من الفواحش ، بل كانت النساء الصالحات يسقين الماء في وسط القتال ، ويعملن في جر المجانيق . وأطلق السلطان الرواتب من الأغنام وغيرها لجماعة من الصلحاء ، وأعطى الشيخ^(٢) على البكا حملة مال . ولا يُسمح عن أحد من خواص السلطان أنه اشتغل عن الجهاد في نوبته . ١٠ . يشغل ، ولا سيرا أمير غلمانه في نوبته واستراح . بل كان الناس فيها سواء في العمل ، حتى أثرت المجانيق في هدم الأسوار ، وفرغ من عمل الأسربة التي يجانبى الخندق ، وفتحت فيها أبواب متسعة .

- فلما تبيا ذلك وقع الزحف على أرسوف في يوم الخميس ثامن^(٣) رجب ، ففتحتها الله في ذلك اليوم عند ما وقعت الباشورة . فلم يشعر الفرينج إلا بالمسلمين قد تسلقوا وطمعوا إلى^(٤) (١١٣٦) القلعة ، ورُفعت الأعلام الإسلامية على الباشورة ، وحُفَّت بها المقاتلة وطُرحت النيران في أبوابها . وهذا والفرينج قتال ، فدفع السلطان سنجقه للأمير ستقر الروى وأمره أن يؤمن الفرينج من القتل ، فلما رآه الفرينج تركوا القتال . وُسِّلم السنجق للأمير علم الدين

(١) في س " ليجيده " ، والجيزة في اللغة الجذب ، وضل جيز مرادف لقميل جذب . (محيط المحيط) .

(٢) كذا في س ، وهو مترجم إلى (Bakka) في (9) Op. Cit. I. 2. (Quatremère) .

(٣) في س " أرث " . انظر (10) Op. Cit. I. 2. (Ilid) .

(٤) تقدم شرح هذا القطف في ص ١٥٠ ، حاشية ٢ .

(٥) الحق أن المقاتلة من المسلمين أطافوا بالقلعة وأخذوها . (محيط المحيط) .

سنجر المروزي المعروف بالخياط الحاجب، ودأبت له الخبال من القلعة فربطها في وسطه
والسجق معه، ورفّع إليها فدخلها وأخذ جميع سيوف الفرنج وربطهم بالخيال وساقهم إلى
السلطان، والأمرء صفوف وهم ألوف .

وأباح السلطان القلعة للناس، وكان بها من الغلال والذخائر والمال شيء كثير، وكان
فيها جملة من الخيول والبغال لم يتعرض [السلطان] لشيء منه، إلا ما اشتراه ممن أخذه بالمال .
ووجد فيها عنة من أسرى المسلمين في القيود فاطلقوا، وقيد الفرنج بقيودهم . وعين [السلطان]
جماعة مع الأسرى من الفرنج ليسيروا بهم، وقسم أبراج أرسوف على الأمرء، وأمر أن
يكون أسرى الفرنج يتولون هدم السور؛ فهدمت بأيديهم .

وأمر [السلطان] بكشف بلاد قيسارية وتعميل متحصنها، فعملت بذلك أوراق؛
وطالب قاضي دمشق وعدوله ووكيل بيت المال بها، وتقدم بأن يملك الأمرء المجاهدون
من البلاد التي فتحها الله عليه ما يأتى ذكره . وكتبت توافيع كل منهم من غير أن يطلعوا
على ذلك، فلما قرعت التوافيع قُوتت على أربابها، وكتب بذلك مكتوب جامع بالتمليك،
ونسخته : "أما بعد حمد الله على نصرته المتناسقة المعقود، وتمكينه الذي رفعت به الملة
الإسلامية في أصفى البرود، وفضه الذي إذا شاهدت العيون مواقع نفعه وعظيم وقفه علمت
لأمرى ما يسود من يسود . والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذي جاهد الكفار بالسيف
البار، وأعلمهم لمن عقي الدار، وعلى آله وصحبه صلاة تواصل بالمشى والإبكار . فإن خير
النعمة نعمة وردت بعد اليأس، وأقبلت على فترة من تحاذل الملوك وتهاون الناس؛ فأكرم بها
نعمة وصلت للأمة المحمدية أسبابا، وفتحت للفتوحات الإسلامية أبوابا، وهزمت من التار
والفرنج المدون، ورابطت من الملح الأجاج والمذب الفرات بالبرين والبحرين، وجعلت
عساكر الإسلام تذلل الفرنج بفزومهم في (١٢٦ ب) عقر الدار، ونجموس من حصونهم المانعة
خلال الديار والأمصار، وتقود من قفصل عن شيع السيف الساحب إلى حلقات الإسار .

- فرقة منها تتعلّق للفرنج قلاعا وتهدم حصونا ، وفرقة تبنى ما هدم التار بالشرق وتعليه تحصينا ، وفرقة تسلم بالجهاز قلاعا شاهقة وتنسّم هضابا ساقية . فهي بحمد الله البانية الهادمة ، والقاسمة الراحمة . كل ذلك بن أقامه الله وجرده سيفا قفّرى ، وحملت رياح النصره ركابه تسخيرا فصار إلى مواطن الظفر وسرى ، وكوّنته السعادة ملكا إذا رأيته في دسيتها قالت تعظياله ما هذا بشرًا . وهو السلطان الملك الظاهر ركن الدنيا والدين أبو الفتح بيبرس ، جعل الله سيوفه مفاتيح للبلاد ، وأعلامه أعلاما من الأنسة على رأسها نار بهدياة العباد ، فإنه أخذ البلاد ومعطيها ، وواهبها بما فيها . وإذا عامله الله بلطفه شكّر ، وإذا قدر غنى وأصلح فوافقه القدر ، وإذا أهدت إليه النصره فتوحات قسمها في حاضريها لديه متكررا وقال الهدية لمن حضر ، وإذا خسّله الله تخويلا وفتح على يديه قلاعا جعل الهدم للأسوار ، والدماء للبتار ، والرقاب للإسار ، والبلاد المزروعة للأولياء والأنصار . ولم يجعل لنفسه إلا ما تسطره الملائكة في الصحائف
- ١٠ ليصفاحه من الأجور ، و [ما] تطوى عليه طويات السير التي غدت بما فتحه الله من الثغور باسمه باسمه الثغور .

- فنى جعل البلاد من العطايا . فأعطى المدين واحترق الضياعا
سمعا بالكرام وقد أرانا . عيانا ضعف ما فعلوا سما
- ١٥ إذا فعل الكرام على قياس . جيلًا كان ما فعل ابتداء
- ”ولما كان بهذه المنابة ، وقد فتح الفتوحات التي أبجل الله بها أجره وضاعف ثوابه ، وله أولياء كالجنوم ضياء ، وكالأقدار مضاء ، وكالمقود تناسقا ، وكالوابل تلاحقا إلى الطاعة وما بقا ، رأى ألا ينفرد عنهم بنعمة ، ولا يتخصص ولا يستأثر بمنحة غدت بسببهم تستنفذ ، وبمزاتهم تستخلص ، وأن يؤثرهم على نفسه ، ويقسم عليهم الأشعة من أنوار شمس ، ويبقى للولد منهم وولد الولد ، ما يلوم إلى آخر الدهر ويبقى على الأبد ، ويعيش الأبناء في نعمته
- ٢٠

(١) الصفاح جمع صفح ، وهو عرض السيف ، وربما أريد هنا به السيف كله . هذا ويقال السيف أيضا الصفحة وهي السيف العريض ، وكذلك المصفحة وجمع على مصفحات - (عرجل المحيط) .

- كما عاش الآباء، وخير الإحسان ما شمل وأحسنه ما خلد . نفخج الأمر (١٣٧) العالي
لا زال يشمل الأعقاب والنزاري، وينير إثارة الأنجم الدراري، أن يملك أمراؤه وخواصه
الذين يذكرون، وفي هذا المكتوب يُسْطَرُون، ما يُعَيِّن من البلاد والضباع، على ما يُشْرَح
ويبين من الأوضاع : وهو الأتابك فارس الدين أقطاي الصالحى عَيْل بكالها ، الأمير
جمال الدين إيدغدى العزيزى النصف من زيتا ، الأمير بدر الدين بيسرى الشمسى الصالحى
نصف طُور كرم، [الأمير بدر الدين بيليك الخازندار نصف طور كرم]، الأمير شمس الدين
الَّذِي كَرَّ الكركي ربع زيتا ، الأمير سيف الدين قلع البغدادى ربع زيتا ، الأمير ركن الدين
بيبرس خاص ترك الكبير الصالحى أَفْرَاسِين بكالها ، الأمير علاء الدين أيدكين البندقدار
الصالحى باقة [الشرقية] بكالها ، الأمير عز الدين أيدمر الحلبي الصالحى نصف قلنسوة،
[الأمير شمس الدين سقتر الرومى نصف قلنسوة]، الأمير سيف الدين قلاون الأتقى الصالحى
نصف طَيِّبة الاسم ، الأمير عز الدين إِيضَان سم الموت نصف طيبة الاسم ، الأمير جمال الدين
[أقوش] التجيى نائب سلطنة الشام أم الفُحْم بكالها من قيسارية ، الأمير علم الدين سستجر
الحلبي الصالحى بَتَان بكالها ، الأمير جمال الدين أقوش المحمدي الصالحى نصف بُورين ،
الأمير نغر الدين الطنبا الحمصي نصف بورين ، الأمير جمال الدين إيدغدى الحاجي الناصري
نصف يَزِين ، الأمير بدر الدين بيليك الأيدمرى الصالحى نصف يَزِين ، الأمير فَر الدين عَثَان

(١) ضبط هذا الاسم من ابن أبي الفضايل (كتاب التيج السديد ، ص ١٣٩) . وسئل هنا جملة أسماء البهات التي أطلقها السلطان بيبرس لأمرائه ، وهي قرى وضياح حول قيسارية وأرسوف ، وليس لأحدها تريف في معجم البلدان لياقوت ، وقد قرئت جميعها وضبطت حسبما جاء في ابن أبي الفضايل (قصر المربع ، ص ١٣٩ ، وما بعدها) ، كما صحت منه أيضا أسماء الأشخاص الواردة معها . انظرا أيضا : (Quatremère: Op. Cit. I. 2. p. 13 et seq. ; Smith : The Historical Geography Of The Holy Land. Index).

(٢) في "زيتا" .

(٣) أضيف ما بين الأقواس في سائر هذه الفقرة من ابن أبي الفضايل (قصر المربع ، ص ١٣٩ ، وما بعدها) .

(٤) كذا في س . انظر ص ٥٢٨ ، حاشية ٢ . (٥) في س "بامه" . (٦) في س "سان" .

(٧) في س "بورين" .

- ابن الملك المنيف ثلث حلبة^(١)، [الأمير شمس الدين سلاّر البغدادى ثلث حلبة]، الأمير صارم الدين صرافان ثلث حلبة، الأمير ناصر الدين القيمرى نصف البرج الأحمر، الأمير سيف الدين بلبان الزينى الصالحى نصف البرج الأحمر، الأمير سيف الدين إيتامش السعدى نصف يَمّا، الأمير شمس الدين آقستقر السلاح دار نصف يَمّا، الملك المجاهد سيف الدين إيمحاق صاحب الجزيرة نصف دَنَابَة^(٢)، الملك المظفر صاحب سنجار نصف دَنَابَة^(٣)، الأمير بدر الدين محمد بن ولد الأمير حسام الدين بركة خان دير القُصُون بكالها، الأمير عز الدين أيبك الأفرم أمير جانداز نصف الشُويكَة^(٤)، الأمير سيف الدين كرمون أغا التترى نصف الشُويكَة^(٥)، الأمير بدر الدين الوزيرى نصف طُبرُس^(٦)، الأمير ركن الدين منكورس الدويدارى نصف طبرُس، الأمير سيف الدين قشتمر المعجمى سَلَار بكالها، الأمير علاء الدين أخو الدويدار نصف عَرَعَرَاء^(٧)، الأمير سيف الدين قَفْجَق البغدادى نصف عرعرأ، الأمير سيف الدين دَبْجَل^(٨) البغدادى نصف فَرْعُون^(٩)، الأمير علم الدين (١٢٧ ب) سنجر الأزكشى نصف فرعون، الأمير علم الدين طرطج الأسدى أَقْبَابَة^(١٠) بكالها، الأمير حسام الدين إيتش بن أطلس خان سِيدَا بكالها، الأمير علاء الدين كندغدى الظاهرى أمير مجلس الصُفْرَاء^(١١) بكالها، الأمير عز الدين أيبك المحوى الظاهرى نصف أَرَتَاح^(١٢)، الأمير شمس الدين سقر الأئفى نصف أَرَتَاح^(١٣)، الأمير علم الدين طبرس الظاهرى نصف باقة الغربية، [الأمير علاء الدين التنكرى نصف باقة الغربية]، الأمير عز الدين الأتابك الفخرى القصير بكالها، الأمير علم الدين سنجر الصيرفى الظاهرى أخصاص بكالها، الأمير ركن الدين بيرس المغربى نصف قَقِين^(١٤)، الأمير شجاع الدين طفريل الشبل أمير مهمندار نصف كفر راعى، الأمير علاء الدين كندغدى الحبيشى مقدم الأمراء البحرية
- (٢١) فى س "حلبة". (٢) فى س "يَمّا". (٣) فى س "دَنَابَة". (٤) فى س "شُويكَة". (٥) فى س "شُويكَة". (٦) فى س "طبرُس". (٧) فى س "عَرَعَرَاء". (٨) فى س "دَبْجَل". (٩) فى س "فَرْعُون". (١٠) فى س "أَقْبَابَة". (١١) فى س "صُفْرَاء". (١٢) فى س "أَرَتَاح". (١٣) فى س "سَقَر". (١٤) فى س "قَقِين".
- قطر. (٦) كذا فى س، وقد أغفل (Quatremère: Op. Cit. I, 2, p. 14) هذا القبط فى ترجمته، وأورد ابن أبى الفضايل (كتاب التيج السديد، ١٤١) الاسم كله كالآتى: "الأمير ناصر الدين بن بركتخان". (٧) فى س "المصغور". (٨) فى س "طبرُس". (٩) كذا فى س. (١٠) كذا فى س. (١١) فى س "مغنى". (١٢) فى س "بكل". (١٣) فى س "طروج الأسدى". (١٤) فى س "سباها". (١٥) فى س "العصر القروا".

نصف كفر راعي، الأمير شرف الدين بن أبي القاسم نصف كستا^(١)، الأمير بهاء الدين يعقوب الشهرزوري نصف كستا، الأمير جمال الدين موسى بن يسمور أستاذار العالية نصف برنيكية^(٢)، الأمير علم الدين سنجر الحلبي الفزاري نصف برنيكية^(٣)، الأمير علم الدين سنجر نائب أمير جاندان نصف حاتوتا من أرسوف، الأمير سيف الدين بيدغان الركني فردينيا بكالها من قيسارية، الأمير عز الدين أيدير الظاهري نائب الكرك ثلث حبلّة من أرسوف، الأمير جمال الدين أموش السلاح دار الرومي ثلث حبلّة، الأمير شمس الدين سقر جاه الظاهري ثلث حبلّة، الأمير بدر الدين بكاش الفخري أمير سلاح ثلث جلجوليّة، الأمير علاء الدين كشتندي الشمسي ثلث جلجولية، الأمير بدر الدين بكتوت بجكا الرومي ثلث جلجولية .

وكتب من كتاب التليك الشرعي الجامع نسخ، وقوّت على كل أمير نسخة، وُخلع على قاضي دمشق وعاد إلى بلده. ونقلت المتعنيقات إلى القلاع، وهي الكرك وعجلون ونحوهما .

ورحل السلطان من أرسوف بعد استكمال هدمها في يوم الثلاثاء ثالث عشر شهر رجب إلى غزّة . وسار منها إلى مصر، فخرج الملك السعيد والأتابك عز الدين الحلبي نائب السلطنة إلى لقائه ببركة المجاج، فلقوه [هناك] . ودخل [السلطان] من القاهرة في يوم الخميس حادى عشر شعبان والأمرى بين يديه حتى خرج من باب زويلة، وصعد إلى قلعة الجبل فاستراح . وعرض ما حصّله الأمير عز الدين الحلبي، والصاحب بهاء الدين بن حنا، من الخزانة . ولم يترك أحدا من أمير ولا وزير ولا مقدم ولا مفردى، ولا [أحدا من] خواصه ولا بداريته^(٤)، ولا بداريته^(٥) وسائر حواشيه، (١٣٨) حتى عمّ الجميع بالخلع . وأحسن إلى رسل

(١) في مس "كستا"، في الحلاتين . (٢ و ٣) في مس "برديك" .

(٤) في مس "افراد نسيفا" .

(٥) في مس "برداريه" . انظر ص ٤٩٤، حاشية ٣ .

(٦) جاء في الفلقشتدي (صبح الأعشى، ج ٤ ص ٦٨ وما بعدها)، في باب ألقاب أرباب الوظائف من الأتباع والحراشي والتقدم، أن البرددار "هو الذي يكون في خدمة مباشر الديوان في الجملة، متحدا على أحواله والمتصرفين فيه ... وأصله (٤٦٩) فردادار ... وهو مركب من لفظين فارسيين، أحدهما فردا ومعناه الساترة، والثاني دار ومعناه مسك، والمراد بمسك الساترة؛ وكأنه في أول الوضع كان يشف يباب الساترة، ثم نقل إلى الديوان" .

الملك بركة ، وكتب إلى اليمن وإلى الأندلس بالبشارة ، وأخرج جملة من الدراهم والفضة والكسوى تصدق بها على الفقراء .

- وكان قد كثرت الحريق بالقاهرة ومصر في مدة سفر السلطان ، وأشيع أن ذلك من النصارى . ونزل بالناس من الحريق في كل مكان شدة عظيمة ، ووجد في بعض المواضع التي احترقت نطف وكبريت . فأمر السلطان بجمع النصارى واليهود ، وأمر عليهم هذه الأمور التي تفسخ عهدهم وأمر بإحراقهم . فجمع منهم عالم عظيم في القلعة ، وأحضرت الأحطاب والحلفاء ، وأمر بإلقائهم في النار ، فلاذوا بعقوه وسألوا المني عليهم . وتقدم الأمير فارس الدين أقطاي أتابك الساكر فشفع فيهم ، على أن يلتزموا بالأموال التي احترقت ، وأن يحملوا إلى بيت المال خمسين ألف دينار . فأفرج عنهم [السلطان] ، وتولى البطرك توزيع المال ، والتمروا أن لا يعودوا إلى شيء من المنكرات ، ولا يخرجوا عما هو مرتب على أهل الذمة ، وأطلقوا .

- وكان الأمير زامل بن علي لا تزال الفتنة بينه وبين الأمير عيسى بن مهنا بن مانع بن حديثة بن غضية بن فضل بن ربيعة . فلما طلعت العساكر إلى الشام مع الأمير طيرس قبضوا على زامل بالبلاد الحلبية ، وحملوا إلى قلعة عجلون . ثم نُقل إلى القاهرة واعتقل ، ثم أُفرج عنه . وصار يلعب مع السلطان في الميدان . وحضر الأمير شرف الدين عيسى بن مهنا وأحمد بن حمى والأمير هارون ، وأصلح السلطان بينهم وبين زامل ، وردَّ على زامل إقطاعه وإمرته ، وأذن لهم في السفر . فساروا حتى دخلوا إلى الرمل ، فساق زامل وهجم على بيوت عيسى وأفسد ، وقبض على قصاد السلطان المتوجهين إلى شيراز ، وأخذ منهم الكتب وسار بها إلى هولاكو وأطمعه في البلاد ، فأعطاه [هولاكو] إقطاعا بالعراق . وسافر [زامل]

(١) اسم بطرك الأباط تلك السنة ، حسب ما في (Butcher : The Story Of The Church Of

Egypt. I. p. XIV, II. p. 165 et seq.) اتانيسوس الثالث .

(٢) أخبار هذه الحرائق الواردة بتفصيل أكثر ما هنا في ابن أبي الفضايل (كتاب التيج السديد ، ص ١٣٣ ،

وما بعدها) .

(٣) في ص "ساق" .

إلى الجواز فنهب وقتل، وعاد إلى الشام . وكان السلطان قد أعطى إقطاعه لأخيه أبي بكر، فضاقت عليه الأرض، وكتب يطلب من السلطان العفو . فقرر [السلطان] معه الحضور إلى مدة عينها له، وأنه متى تأخر عنها فلا عهد له ولا إيمان؛ فلما تأخر عن المدة المعينة وحضر بعدها قبض عليه، واعتقل بقلمة الجبل .

وفي خامس عشره جلس السلطان بدار العدل، وطلب تاج الدين بن القرطبي . فلما حضر قال [السلطان له] : "أخبرني مما تقول . عندي مصالح ليت مال الساميين، فتحدث الآن بما عندك" . فتكلم [القرطبي] في حق (١٣٨ ب) قاضي القضاة، وفي حق صاحب سواكن، و[قال] إن الأمراء الذين ماتوا أخذ ورتبهم أكثر من حقوقهم . فأمر السلطان بإحضار زيار، وأراه لمن حضر وقال : "من يصبر على هذا الزيار يُستكثر عليه إقطاع، أو يستكثر على رتبته موجود يخلفه لم ؟" ، وأنكر عليه وأمر به فحبس . وتحدث [السلطان] في أمر الجند، وأنهم إذا كانوا في البيكار وفي مواطن الجهاد لا يصل إليهم شاهد، فيشهد أحدهم أصحابه [عند موته] ، فإذا حضروا لا تقبل شهادتهم ، وتضيع أموال الناس بهذا السبب . وقال : "الرأي أن كل أمير يعين من جماعته من فيه دين وخير لسمع قوله، وكل مقدم وكل جماعة من الجند يعين من فيها ممن هو من أهل الخير والصلاح، لتسمع أقوالهم، حتى تحفظ أموال الناس" . فسرّ الأمراء بذلك، وشرع قاضي القضاة في اختيار الناس الجياد من الجند لذلك .

وجلس [السلطان] في تاسع عشره بدار العدل، فوقف شخص وشكا أن من سكن

(١) كما في س، وهو في ب (١١٤) تاج الدين القرطبي، وقد ترجمه (Quatremère: Op. Cit. I. 2. p. 17) على هذه الصيغة .

(٢) الزيار — أو الزبارة — وجمعه زيارات، آلة حربية كالقوس التي يرمى به البندق، وهو مترجم إلى (arbalète) في (Quatremère: Op. Cit. I. 2. P. 17) . انظر أيضا (Dozy : Supp. Dict. Ar.) .

(٣) تقدم شرح هذا اللفظ في ص ١٠٥ ، حاشية ١ .

(٤) أخيف ما بين التوسين من ترجمة (Quatremère : Op. Cit. I. 2. P. 18.) .

(٥) هذا اللفظ مكرر في س .

في شيء من الأملاك الديوانية لا يمكن من الخلو ، فانكر [السلطان] ذلك وأمر بتكثيف الساكن من الخلو عند انقضاء الإجارة . ووردت رسل الأبرور ، ورسلك الملك الأشكري ، بالهدايا .

- وفي سابع شهر رمضان قدمت العساكر من البيرة ، مع الأمير جمال الدين المحمدي ، والأمير عز الدين إيفان . وقدمت هدية ملك الكرج ^(١) . وورد الخبير باستيلاء عز الدين السكندري نائب الرحبة على قوقسيا ، وقتلوا من كان فيها من التتر والكرج ، وأسروا نيفا وثمانين رجلا في نصف شهر رمضان .

- وفيه رسم بمحصيل المراكب لتفرق في بحر أشموم ، فلما كان ثاني شوال سار السلطان إلى أشموم بنفسه ، وقسم عمل البحر على الأمراء ، وعمل بنفسه وحمل القفة مملوءة بالتراب على كتفه ، والناس تشاهده . فوقع الاجتهاد في الحفر ، واستمر السلطان على العمل بنفسه ١٠ في كل يوم ، و[صار] يركب في المراكب وتنتزع المراكب قدامه . فتنتزع العمل في ثمانية أيام ، وتكمل الحفر في بحر أشموم . وفي الجهة التي من ناحية جوجور . وسار [السلطان] ^(٢) إلى مقبرة ابن حصون ، وعاد إلى قلعة الجبل في حادي عشره . ورسم بإبطال حراسة

(١) كانت مملكة الكرج قد انضوت تحت حكم المغول منذ سنة ٦٣٤ هـ (١٢٣٦ م) ، وكان ملكها صاحب الهدية الواصلة إلى القاهرة هذه السنة داود أولو (David Ulu) ، أي داود الضخم . وقد اشترك داود هذا وجنوده الكرجية في وقعة هولوكو على بغداد ، ووقعة انهزام التتر في عين جالوت على يد السلطان قطز . ثم حدث أن تار داود ضد الحكم التتري سنة ٦٥٩ هـ (١٢٦٠ م) ، فقتل عنه معظم أمرائه وصالحوا التتر ، وحرب هويد هزيمته إلى بلدة (Kutais) ، حيث كان ابن عمه داود نارين (David Narin) ، أي داود المسامر . وحوالي ذلك الوقت نشبت الحرب بين هولوكو وبرك خان ، فرأى هولوكو ترضية داود الضخم وإعادة إلى الملكة وتبنيه لقول ، وقد ظل داود حتى وفاته سنة ١٢٦٩ م راضيا بتلك التبينة في الظاهر ، غير أنه كان في نفس الوقت يكره هولوكو عند كل من الملك برك خان والسلطان بيبرس ، على النحو المشار إليه بالحق . (Allen: A Hist. Of The Georgian People. pp. 109 et seq.)

(٢) في س "قوقسيا" بغير ضبط ، وكثيرا ما ترد هذه الصيغة المقصورة في الشعر ، وتسمى أيضا قوقسيا . وتقع عند ملتقى نهرا الخابور بالفرات . (ياقوت : معجم البلدان ج ٤ ، ص ٦٦) . هذا ويوجد بهامش الصفحة في س العبارة الآتية : "قوقسيا هي حصن ألبا التي أخذت جديده الأبرش" .

(٣) انظر ص ٤٠٣ ، حاشية ١ .

(١) النهار بالقاهرة ومصر وكانت جملة كبيرة، وكتب توقيع بإبطاها، وكتب أيضا بمساحة الأعمال الدقهلية والمرتاحية أربعة وعشرين ألف درهم قفزة عن رسوم الولاية والمسال المستخرج برسم التقيدي. وتوجه شجاع الدين بن (١١٣٩) الداية الحاجب إلى الملك بركة رسولا، ومعه ثلاث عُمَر اعتمر بها عنه بمكة، عُمِلت في أوراق مذهبة، وشيء من ماء زمزم ودهن بلسان وغيره.

وفي آخره نزل بالسلطان وعك، قدداوى بالصدقة وأعطى الفقراء مالا جزيلًا.

وفي ذى القعدة قدم الراهب كزنانوس بكتاب الملك الأشكري. وكان الأمير جمال الدين أيدغدى الميزي يكره قاضى القضاة تاج الدين عبد الوهاب ابن بنت الأعز، ويضع من قدره ويحيط عليه عند السلطان، بسبب تشدده في الأحكام وتوقفه في القضايا التي لا توافق مذهبه. فاتفق جلوس السلطان بدار العدل في يوم الاثنين ثاني عشر ذى الحجة، فرفع إليه بنات الملك الناصر قصة فيها أن ورثة الناصر اشتروا دار قاضى القضاة بدر الدين السنجارى في حياته، فلما مات ذكر ورثته أنها وقف. فعند ما قرئت أخذ الأمير أيدغدى يحيط على الفقهاء وينقصهم، فقال السلطان للقاضى تاج الدين: "يا قاضى! هكذا تكون القضاة؟". فقال [تاج الدين]: "يا مولانا! كل شاة مطلقة بعُرقوبها". قال "فكيف الحال في هذا؟"

(١) أشار القرزى (المواظ والاعتبار، ج ١، ص ١٠٦) إلى "حراسة النهار" بما لا يزيد عما هو وارد هنا، وقد ترجم (Quatremère: Op. Cit. I. 2. P. 19) هذين القطين إلى (La garde du jour).

(٢) في س "المرأ"، وبقية اللفظ طموس تماما في س، لكنه وارد في ب (١٦٤ ب).

(٣) سطر هذه الكلمة ضائع في س، وهي تامة في ب (١٦٤ ب).

(٤) عرّف القرزى (المواظ والاعتبار، ج ١، ص ٨٩) رسوم الولاية المذكورة هنا، بأنها "كانت جهة تتعلق بالولاية والمقدمين، فيجيبها المذكورون من مرعاة الأسواق وبيوت القواش. وهذه الجهة ضامن، وتحت هذه عدة صبيان، وعليها جند مستطعون وأمرأ، وغيرهم، وكانت تشتغل على ظم شنع وفساد قبيح وهتك نوم مستودين وبهم بيوت أكثر الناس".

(٥) كذا في س، وفيهم ما على ص ٥٤٣، سطر ١٤، أن التقيدي اسم موضع قرب فم خليج الإسكندرية.

(٦) في س "كرانوس"، وقد صحح على مطوئه في (Quatremère: Op. Cit. I. 2. P. 19)، حيث

يوجد رسم آخر لهذا الاسم وهو (Germanos)، وقد تقدمت الإشارة إلى هذا الراهب في ص ٥١٤، سطر ٧.

- قال : " إذا ثبت الوقف بإد الثمن من الورثة " . فقال السلطان : " فإذا لم يكن مع الورثة شيء ؟ " قال [القاضي] : " يرجع الوقف إلى أصله ، ولا يستعاد الثمن " . فغضب السلطان من ذلك ، وما تمّ الكلام حتى تقدم رسول أمير المدينة النبوية وقال : " يا مولانا السلطان ! سألتُ هذا القاضي أن يسلم إلى مبلغ ريع الوقف الذي تحت يده ، ليتفق صاحب المدينة في فقراء أهلها ، فلم يفعل " . فسأل السلطان القاضي عما قاله ، فقال : " نعم " . قال السلطان : " أنا أمرته بذلك ، فكيف رددت أمرى ؟ " قال : " يا مولانا ! هذا المال أنا متسلمه ، وهذا الرجل لا أعرفه ، ولا يمكنني أن أسلمه لمن لا أعرفه ، ولا يتسلمه إلا من أعرف أنه موثوق بدينه وأمانته ، فإن كان السلطان يتسلمه مني أحضرته إليه " . فقال السلطان : " تنزعه من عتقك وتجعله في عتقي ؟ " قال : " نعم " . قال [السلطان] : " لا تدفعه إلا لمن نخّارته " .
- ثم تقدم بعض الأمراء وقال : " شهدتُ عند القاضي فلم تسمع شهادتي في ثبوت الملك وصحته " ، فسأل السلطان القاضي عن ذلك فقال : " ما شهد أحد عندي حتى أثبتته " ، فقال الأمير : " إذا لم تسمع قولي فننريد ؟ " قال السلطان : " لم لا سمعت قوله ؟ " فقال : " لا حاجة في ذكر ذلك " . فقال الأمير أيدغدي : " يا قاضي ! مذهب الشافعي لك ، ونوّي من كل مذهب قاضياً " . فصنى السلطان لقول أيدغدي (١٣٩ ب) وانقضى المجلس ، إلى أن كان يوم الاثنين تاسع عشره ، وثى السلطان القاضي صدر الدين سليمان بن أبي العز ابن وهيب الأندلسي الحنفي مدرس المدرسة الصالحية ، والقاضي شرف الدين عمر بن جلاله ابن صالح بن عيسى بن عبد الملك بن موسى بن خالد بن علي بن عمر بن عبد الله بن إدريس بن إدريس بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب السبكي المالكي ، والقاضي شمس الدين محمد بن إبراهيم الحنبلي ، [ليكونوا] قضاة القضاة بديار مصر . وجعل [السلطان] لهم أن يؤثروا في سائر الأعمال المصرية ، مضافاً لقاضي القضاة تاج الدين ابن بنت الأعمش ، وأبقى على

(١) في م "نخارته" .

(٢) بعض ألفاظ العبارات الواردة هنا بين الشوكلات المقابلة زائل أو مطبوس تماماً في م ، ولكنها كلها واضحة

في ب (١٦٥) . (٣) في م "قاضي" . (٤) مضبوط هكذا في م .

ابن بنت الأعرس النظر في مال الأيتام والمحاكمات المختصة ببيت المال ، وكتب لكل منهم تقليداً وخلق طيسم . فصار بديار مصر قضاء القضاة من حيث ذل أربعة ، يحكم كل منهم بمنزله ، وليس كل منهم الطُّرَحَات^(١) في أيام الخدمة السلطانية . ورسم [السلطان] أيضاً لمجد الدين عبد الرحمن بن الصاحب كمال الدين عمر بن المديم بخطابة القاهرة .

وفي رابع عشر ذي الحجة قبض [السلطان] على الأمير شمس الدين سنقر الرومي واعتقل ، وتقدم إلى الخليفة الحاكم بأمر الله ألا يجتمع بأحد ، فاحتجب عن الاجتماع بالناس .

وفيهما تولى الأمير نور الدين علي بن مجلي المسكاري نيابة حلب ، عوضاً عن أيديكين الشهابي .

وفيهما نزل السلطان من قلعة الجبل بالليل متكرراً ، وطاف بالقاهرة ليعرف أحوال الناس ، فرأى بعض المقدمين وقد أمسك امرأة وعمرها ما سروها لها بيده ، ولم يحسر أحد ينكر عليه . فلما أصبح [السلطان] قطع أيدي جماعة من نواب الولاة والمقدمين ، وانخفوا وأصحاب الريع بالقاهرة .

(١) الطرحات جمع طرحة ، وهي من ميزات لباس قضاة القضاة في عصر المماليك بمصر ، وقد وصفها القلقشندي (صبح الأملح) ج ٤ ، ص ١٢) فقال : ” ويُمَيِّز قضاة القضاة الشافعي والخنفي بلبس طرحة ، تستر عمامته وتسدل على ظهره “ . انظر أيضاً (Quatremère : Op. Cit. I. 2. P. 21. N. 23) ، حيث يفهم أن تلك الطرحة التي امتاز بها قضاة القضاة في مصر ، وكذلك الصامة والناس ، كانت كلها من قماش أسود . هذا ويوجد بالقلقشندي (تقس المرجع والجزء ، ص ٤١ — ٤٢) وصف دقيق لأزياء أبواب الوظائف الدينية من القضاة وسائر العلماء في تلك الأزمنة ، ونصه : ” ويختلف ذلك (أي ملابس رجال الدين) باختلاف مراتبهم ، فاقضاة العلماء (ص ٤٢) منهم يلبسون الصائم من الشاشات الكبار الناعية ، ثم منهم من يرسل بين كفتيه ذقابة تلحق قريوس سرجه إذا ركب ، ومن من يحمل حوض القوابة الطيلسان الناعية ، وليس فوق ثيابه دلقاً منسج الأكام طويها ، مفتوحاً فوق كفتيه بغير تخرج ، سايلاً على قدميه . ويُمَيِّز قضاة القضاة الشافعي والخنفي بلبس طرحة ، تستر عمامته وتسدل على ظهره ، وكان قبل ذلك مختصاً بالشافعي . ومن دون هذه منهم تكون عمامة أظلف ، ولبس بدل الدلق قريصة مرفوعة من قدماه ، من أعلاها إلى أسفلها مزودة بالأزدار . وليس فيهم من يلبس الحرير ، ولا ما غلب فيه الحرير ، وإن كان شتاء كان القوفاً من ملبسهم من الصوف الأبيض المخلط ، ولا يلبسون المثلون إلا في بيوتهم ، وربما لبسه بعضهم من الصوف في الطرقات ، ولبسون اتخاف الأديم الطائفي بغير مهاديز “ .

وفياها إلى السلطان إمرة عرب آل فضل لميسى بن مهنا ، فصار وطرد التار عن البيرة وحران . وفيها هلك القائد هولاءكو بن طولوخان بن جنكخان — في تاسع عشر شهر ربيع الأول ، بالقرب من كورة مراغة — بالصرع ، عن نيف وستين سنة ، منها مدة سلطته عشرين . وقام من بعده ابنه أباقا ، وجهز جيشا لحرب الملك بركة خان ، فانهمز هزيمة قبيحة .

ومات في هذه السنة من الأعيان الأمير جمال الدين موسى بن ينمور الياروق ، نائب السلطنة بديار مصر ودمشق ، وهو معزول ، بالتصير من عمل مصر ، عن أربع وستين سنة ، وتوفي قاضي القضاة بدر الدين أبو المحاسن يوسف بن الحسن بن علي السنجاري الشافعي ، وهو مصروف ،

(١) تقدمت الإشارة إلى لفظ القائد (ص ٣٠٧ ، حاشية ٤) ، غير أن الصيغة الصحيحة لهذا القتب ، فيما يخص هولاءكو وخلفاءه على المملكة المغولية بفارس ، أن يكتب إلخان (Ilkhan) أي إلخان الرابع . وكان هولاءكو قد اتخذ هذا القتب تيمنا لمركزه من مقام أخيه قوبلاي خان إلخان الأعظم على جميع الممالك المغولية بآسيا ، ولحق هذا القتب ببلالة هولاءكو ، وأطلق اسم دولة إلخانات على البلاد التي حكموها . (Lane - Poole : Muh. Dyns. P. 217 et seq.)

(٢) يوجد بين المراجع المندرجة هنا خلاف طفيف على تاريخ موت هولاءكو ، ففي ابن أبي الفاضل (كتاب النجيب السديد ، ص ١٤٥) أنه مات في سابع ربيع الآخر ، وفي أبي القداء (المختصر في أخبار البشر ، ص ١٥٠ ، في Rec. Hist. Or. I.) تاسع ربيع الآخر ، وفي (Enc. Isl. Art. Hulagu) يوم الأحد تاسع عشر ربيع الآخر . يوجد بهامش الصفحة في ص وصف لمملكة هولاءكو ، ونصه مصححا : "كان يده هولاءكو إقليم خراسان وكرسيه نيسابور ، وعراق العجم — ويعرف ببلاد الجبل — وكرسيه أصفهان ، وعراق العرب وكرسيه بغداد ، وآذربيجان وكرسيه تبريز ، وخوزستان وكرسيه قسّر — ويسمى العامة شسّر ، وقاقوس وكرسيه شيراز ، وديار بكر وكرسيه الموصل ، والرم وكرسيه قونية " . ويظهر أن القرزي قل هذه العبارة من أبي القداء (المختصر في أخبار البشر ، ص ١٥١ ، في Rec. Hist. Or. I.) ، أو من مرجع آخر مشابه في العبارة .

(٣) الصيغة المتواترة لهذا الاسم في الكتب العربية هي الواردة بالمثل هنا ، غير أنه وارد في المراجع الفرنسية مثل (Enc. Isl. Art. Abaka) بما يقابل القاف بدل اللين ، وهذا وفي ابن أبي الفاضل (كتاب النجيب السديد ، ص ١٤٧) أنه كان هولاءكو عدا أباقا هذا ستة عشر ولدا ذكورا .

(٤) الوثائق التالية إلى آخر السنة واردة بروقة منفصلة بين الصفحتين ١٣٩ ب ، ١٤٠ أ في ص ، غير إشارة إلى موضعها المناسب ، على أنه لا شك في وقوعها هنا . انظر (ابن العماد : شذرات الذهب ، ج ٥ ، ص ٣١٣ التوريز : نهاية الأدب ، ج ٢٨ ، ص ٣٧ — ٣٨) .

بالقاهرة عن نيف وستين سنة . وتوفى نجم الدين أبو المظفر فتح بن موسى بن حماد القصرى
المغربى ، قاضى سيوط بها .

♦ ♦ ♦

سنة أربع وستين وثمانئة . فى المحرم عقد الأمير سيف الدين قلاوون عقده على ابنة
الأمير سيف الدين كرمون التترى الوافد . فقلز السلطان من قلعة الجبل ، وضرب الدهليز
بسوق الخليل ، عند ما دخل الأمير قلاوون عليها . وقام [السلطان] بكل ما يتملق بالأسمطة ،
وجلس على الخوان ، ولم يبق أحد من الأمراء حتى بعث إلى قلاوون الخليل وبقج الثياب .
وأرسل إليه السلطان تمابى قماش وخيلا وعشرة ممالك ، فقبل [قلاوون] التقدمة واستغنى
من الممالك ، وقال : "هؤلاء خوشداشقى فى خدمة السلطان" ، فأغنى .

وفيه كتب إلى دمشق بثلاثة^(٢) تقاليد : أحدها بتقليد شمس الدين عبد الله محمد بن عطا
الحنفى قاضى القضاة ، والآخر بتقليد زين الدين أبى محمد عبد السلام بن على بن عمر الزواوى
المالكى قاضى القضاة المالكية ، والثالث بتقليد شمس الدين عبد الرحمن بن الشيخ أبى عمر
محمد بن أحمد بن محمد بن قدامة الحنبلى قاضى القضاة الحنابلة . فصار بدمشق أربعة قضاة ،
وكان قاضى القضاة الشافعى شمس الدين أحمد بن خلكان ، فصار الحال كما هو بديار مصر ،
واستقر ذلك^(٣) . واتفق أنه لما قدمت عهود القضاة الثلاثة^(٤) لم يقبل المالكى ولا الحنبلى ،
وقبل الحنفى . فورد مرسوم السلطان بإلزامهما بذلك ، وأخذ ما بأيديهما من الوظائف إن
لم يفعلوا ، فأجابا . ثم أصبح المالكى وعزل نفسه عن القضاة والوظائف ، فورد المرسوم
بإلزامه فأجاب ، وامتنع هو والحنبلى من تناول جامكية على القضاة . وقال بعض أدباء دمشق
لما رأى اجتماع قضاة كل واحد منهم لقبه شمس الدين :

(١) التماي جمع تمية ، وقد ترجم (Quatremère : Op. Cit. I. 2. p. 23) تمايى قماش إلى (des robes)
أى ثياب ، وترجمها (Dozy : Supp. Dict. Ar.) إلى (pièces d'étoffe) أى قطع من قماش .
(٢) فى س " بثلاث " . (٣) فى س " تمليد " . (٤) فى س " أربع " .
(٥) العبارة الآتية ، إلى آخر سطر ٦ بالصفاة التالية ، واردة على ورقة متصلة بين صفحتى ١٣٧ ب ، ١٣٨ أ
فى س ، وليس من سبب الذى ذكرهنا سوى أن تلك الورقة موضوعة هناك خطأ . (٦) فى س " ثلاث " .

أهل دمشق استأبوا * من كثرة الحكام

إذ هم جميعا شمس * وحالم في ظلام

وقال آخر :

بمشق آية قد ظهرت * للناس عاما

كلما ولى شمس قاضيا * زادت ظلاما

وكان استقلالهم بالقضاء في سادس جمادى الأولى .

وفيه وردت رسل الأنبرور، ورسـل القنـش^(١)، [ورسل ملوك الفرنج^(٢)]، ورسـل ملك اليمـن^(٣)، ومعهم (١١٤٠) هـ هدايا إلى صاحب قلاع الإسماعيلية . فأخذت منهم الحقوق [الدويانية] عن الهدية، [إنسادا لنواميس الإسماعيلية، وتصغيرا لمن اكتفى شرم بالهدية] .

١. وفي ثامن صفر كانت وقعة بين الأمير علم الدين سنجر الباشقردى نائب حصص ، وبين البرنس [يحيى بن يميند^(٤)] ملك الفرنج بطرابلس ، انهزم فيها الفرنج . وفيه كُتب إلى دمشق بعمل مراكب ، فعملت وحملت إلى البيرة . وفيه توجه السلطان إلى الإسكندرية ، واهتم بحفر خليجها وبأشرف الحفر بنفسه ، فعمل فيه الأمراء وسائر الناس ، حتى زالت الرمال التي كانت على الساحل بين الشيدى وفم الخليج . ثم عدى [السلطان] إلى بر أبيار^(٥)، وغرق هناك

(١) كذا في س ، ولعل المقصود بهذا الاسم هو (Alphonse of Seville) ، الذى عقد مع بيزنس معاهدة تجارية سنة ١١٦٩ هـ ، (١٢٧٠ م) . انظر (Lane - Poole : A Hist. Of Egypt, p. 266) . هذا وفى (Rec. Hist. Or. II. 1. p. 223, N. 1) أن قنط القنش خطأ على ، وأن المقصود هو "البرنس" صاحب طرابلس . انظر حاشية ٤ .

- (٢) أضيف ما بين الأقواس بهذه الفقرة من البيئى (عقد الجمان ، ص ٢٢٣ ، فى 1. Rec. Hist. Or. II. 1) .
- (٣) كان ملك اليمن فى ذلك السنة السلطان الملقب شمس الدين يوسف بن عمر بن علي بن رسول ، وقد امتد حكمه سنين كثيرة ، (٦٤٧ - ١٢٩٩ هـ ، ١٢٥٠ - ١٢٩٥ م) . انظر الخرويسى (النفوس الثائرة ، ج ١ ، ص ٨٨ ، ٢٧٥) .
- (٤) أضيف ما بين القوسين من البيئى (عقد الجمان ، ص ٢٢٣ ، فى 1. Rec. Hist. Or. II. 1) ، حيث توجد فى هذا الصدد معلومات أكثر تفصيلا . أما ملك الفرنج المقصود هنا فهو (Bohemond, Seigneur de Tripoli) .
- (٥) بنى ضبط فى س ، وهى بلدة من مديرية القروية بضم محبة منوف ، وتقع على بحر سيف شرق كفر الزيات . (مبارك : انطوط التوفيقية ، ج ٨ ، ص ٢٨ ، وما بعدها) . وكانت أبيار فى زمن يافىوت (معم البلدان ، ج ١ ، ص ١٠٨) قرية بجزيرة اسمها بنو نصر . (انظر ص ٥١٠ ، سطر ٨) .

عثة مرآكب، وألتي فوقها الحجارة . ثم عاد الى قلعة الجبل، وحفر بحر مصر بنفسه وعسكره، ما بين الروضة والمنشأة ببحار جرف الروضة، وجهاز المحمل وخلق على المتوجه به إلى الحجاز، وهو الأمير جمال الدين ... نائب دار العدل، وسير معه مبلغ عشرة آلاف درهم لعمارة حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وسيرت القلال لجرايات الصناعات .

وفي جمادى الأولى قدم نفر الدين بن جلاب^(٢) من بلاد الفرنج بعدة من الأسرى، قد أفتكهم بمال الوقف المسير من جهة الأمير جمال الدين النجيبى نائب دمشق . فحضر عثة من النساء والأطفال، فسيرت النساء إلى دمشق ليزوجهن القاضى من أكفائهن . وفيه سافر الأمير جمال الدين بن نهار المهندار الصالحى لبناء جسر على [نهر] الشريعة^(٣)، ورسم لثائب دمشق بحمل كل ما يحتاج إليه من الأصناف . وفيه كل بناء الدار الجديدة عند باب السر المطل على سوق الخليل من قلعة الجبل، فعمل بها دعوة للأمرء .

وفي جمادى الآخرة سار الأمير أقوش السفيرى، ومعه أربعون ديوانا لاستخراج زكاة عرب بلاد المغرب، فوصل إليهم وأخذ منهم الزكاة التى فرضها الله، وأخذ منهم الحقوق . وفي ثالث رجب أهتم السلطان بأمر الفزو، وسير إلى أعمال مصر بإحضار الجند من إقطاعاتهم، فأتوا . فأرسل سلاح داريته إلى سائر الأعمال، فعلقوا الولاة بأيديهم ثلاثة أيام تأديبا، لكونهم ما سارعوا إلى إحضار الأجناد، فحضرهم بأجمعهم .

ونخرج السلطان فى مستهل شعبان، ورحل فى ثالثه وسار إلى غزة . وقدم الأمير أيدغى العزى، والأمير قلاون، فى عثة من العسكر إلى العوجاء . ومضى السلطان إلى الخليل ثم إلى القدس، ومنع أهل القدمة من دخول مقام الخليل، وكانوا قبل ذلك يدخلون ويؤخذ منهم مال على ذلك، فأبطله واستمر منهم . وسار [السلطان] إلى عين جالوت .

(١) ياض فى س .

(٢) فى " حيان "، والرسم المثلث هنا من (Quatrenière : Op. Cit. I. 2. p. 25) .

(٣) فى " مير " . (٤) انظر ص ٣٨١ ، حاشية ٤ .

- ووصل المسكر إلى حصص ، وأغاروا على الفرنج ونزلوا على حصن الأكراد ، وأخذوا قلعة عَرَقة^(١) وحلباء^(٢) والقلبيات^(٣) وهدموها . (١٤٠ ب) فلما ورد الخبر بذلك جرد السلطان الأمير علاء الدين البندقدار ، والأمير عز الدين أوغان ، في عَقة من المسكر إلى صور . فأغاروا على الفرنج ، وغنموا وأسروا كثيرا . وتوجه الأمير إيتامش إلى صيدا ، وسار السلطان إلى مدينة عكا ، وبعث الأمير بدر الدين الأيدمرى ، والأمير بدر الدين بيمرى ، إلى جهة القرن^(٤) ؛ و [أرسل] الأمير نغر الدين الحمصى إلى جبل عامل . فأغاروا على الفرنج من كل جهة ، وكثرت المفاتم بأيديهم حتى لم يوجد من يشتري البقر والجاموس . وصارت الغارات من بلاد طرابلس إلى أرسوف . ونزل عسكر السلطان على صور ، وأقام السلطان في جهة عكا ، والأمير ناصر الدين القيمرى في عثيث ؛ فطلب أهل عكا من الأتابك التحدث في الصلح . فاهتم السلطان بأمر صفد ، وأحضر العساكر المجردة ؛ ورحل الأمير بكاش^(٥) الفخرى أمير سلاح بالدهليز السلطاني ونزل على صفد ، وتبعه الأمير البندقدار والأمير عز الدين أوغان في جماعة ، وحاصروها .

- [هذا] والسلطان مقيم على عكا حتى وافته العساكر ، وعمل عَدة مجانيق . ثم رحل والعساكر لابسة ، وساق إلى قرب باب عكا ، ووقف على تل الفضول . ثم سار إلى عين جالوت ، ونزل على صفد^(٦) يوم الاثنين ثامن شهر رمضان وحاصرها . فقدم عليه رسول ممتلك صور ،

(١) في س "عرقا" ، وهي في باغوت (معجم البلدان ، ج ٣ ، ص ٦٥٣) بكسر العين ، وموقعها شرق طرابلس على مسافة أربعة فراسخ ، ونسب في الحوليات المحلية بأسماء غخقة مثل (Arca, Arcados, Archis) . انظر (Le Strange : Palest. Under Moslems, p. 397 et seq.)

(٢) أخيف ماين القوسين من أبي الفداء (المختصر في أخبار البشر ، ص ١٥١ ، في . Rec. Hist. Or. I.)

(٣) بغير ضبط في س ، وهي اسم حصن قرب طرابلس . (Rec. Hist. Or. I. Index)

(٤) كذا في س ، انظر (Quatremère : Op. Cit. I. 2. p. 27) ، حيث ترجم هذا الاسم إلى (Ighan) .

(٥) بغير ضبط في س ، ولها قرن الحاصرة إحدى قرى دمشق . (Le Strange : Palest. Under Moslems, p. 481)

(٦) كانت صفد إحدى معقلات هيئة الفرسان المارونية . (King : The Knights Hospitallers In

The Holy Land . p. 260 et seq)

ورسل القداوية^(١)، ورسول صاحب يروت، ورسل صاحب يافا، ورسل صاحب صهيون . وصار [السلطان] يباشر الحصار بنفسه؛ وقد تمت المجانيق^(٢) من دمشق إلى جسر يعقوب — وهو منزلة من صفد — وقد عجزت الجبال عن حملها، فسار إليها الرجال من الأجناد والأمرأء لملها على الرقاب من جسر يعقوب . وسار السلطان بنفسه وخواصه، وجر الأخشاب مع البقروه وخواصه، فكان غيره من الناس إذا تب استراح ثم يعود إلى الجز^(٣)، وهو لا يسأم من الجز ولا يبطله، إلى أن نصبت [المجانيق] ورى بها في سادس عشره؛ وصار [السلطان] يلزم الوقوف عندها وهي ترى .

وأنت الصاكر من مصر والشام، فتزلوا على منازلهم إلى أن كانت ليلة عيد الفطر . فخرج الأمير بدر الدين الأيدمرى للتهته بالعيد، فوقع حجر على رأسه، فرسم السلطان ألا يجتمع أحد سلام العيد، ولا يروح [أحد] من مكانه خشية اتهاز العدو غيرة العسكر . ونودى يوم عيد الفطر في الناس : "من شرب نحرأ أو جلبها شق" .

وفي ثانيه وقع الزحف على (١٤١) صفد، ودفع الزاقون النفط . ووعد السلطان الجحارين أنه من أخذ أول حجر كان له مائة دينار، وكذلك الثاني والثالث إلى العشرة . وأمر حاشيته ألا يستغلوا بخدمته . فكان بين الفريقين قتال عظيم استشهد فيه جماعة، وكان الواحد من المسلمين إذا قُتل جزه رفيقه ووقف موضعه . وتكاثر القنوب ودخل القبايون إليها، ودخل السلطان معهم . وبذل [السلطان]^(٤) في هذا اليوم من المال والخلع كثيرا، ونصب خيمة فيها حكاء وجراخية وأشرطة ومأكلا، فصار من يخرج من العريان والفقهاء والفقراء وغيرهم يحضر إليها .

(١) كذا في س، ولعل المقصود "الدارية"، على أن (Quatreméro : Op. Cit. I, 2, p. 28)

أحذر أن المقصود بهذه التسمية فرقة الإسماعيلية بالشام .

(٢) في س "المجانيق" .

(٣) الضمير مائد على السلطان .

(٤) في س "تخرج" . (٥) في س "ما اكل" .

وفي ثامنته كانت بين [الفرقيين] ^(١) أيضا مَقَاتِل ^(٢) . وفي ليلة رابع عشره اشتد الزحف من الليل إلى وقت القائلة ، ففتزق الناس من شدة التعب . فغضب السلطان من ذلك ، وأمر خواصه بالسوق إلى الصواوين وإقامة الأمراء والأجناد بالديابيس ، وقال : " المسامون على هذه الصورة ، وأتم تستريحون ؟ " ، فأقيموا . وقبض [السلطان] على نيف وأربعين أميراً ، وقيدهم وبحبهم بالزردخانة ، ثم شفع فيهم فأطلقهم وأمرهم بملازمة مواضعهم . وضربت الطلبة خانه واشتد الأمر إلى أن طلب الفرنج الأمان ، فأتتهم [السلطان] على ألا يخرجوا بسلاح ولا لامة حرب ولا شيء من الفضيات ، ولا يتفقا شيئا من ذخائر القلعة بنار ولا دم ؛ [وأن يفتشوا عند خروجهم ، فإن وُجد مع أحد منهم شيء من ذلك انتقض العهد] .

- ولم تزل الرسل تتدد بينهم إلى يوم الجمعة ثامن عشره ، [ثم] طلعت السناجق الإسلامية ، وكان لطلوعها ساعة مشهودة . [هذا] والسلطان راكب على باب صفد حتى نزل الفرنج كلهم ، ووقفوا بين يديه فرسم بتفتيشهم : فوجد معهم ما يناقض الأمان من السلاح والفضيات ، ووجد معهم عدة من أسرى مسلمين أخرجوهم على أنهم نصارى . فأخذ ما وُجد معهم وأُزيلوا عن خيوسلم ، وجعلوا في خيمة ومعهم من يحفظهم . وتسلم المسامون صفد ، وولى السلطان قلعتها الأمير مجد الدين الطوري ، وجعل الأمير عز الدين الملائي نائب صفد .
- فلما أصبح حضر إليه الناس ، فشكروا اجتهدهم واعتذر إليهم بما كان منه إلى بعضهم ، وأنه ما قصد إلا حثهم على هذا الفتح العظيم ، وقال : " من هذا الوقت تتحال ، وأمرهم فركبوا . وأحضرت خيالة الفرنج وجميع من أُخرج من صفد ، فضربت أعناقهم على تل قرب صفد حتى لم يبق منهم سوى نفرين : أحدهما الرسول ، فإنه اختار أن يقيم عند السلطان ويسلم ،

(١) في ص "وبما" . (٢) في ص "مقاتل" .

(٣) في ص "الفضيات" ، وقد ترجم (Quatremère : Op. Cit. I. 2. p. 30) هذا القول إلى (osten-sile d'argent ، غير أنه يفهم من عبارة ابن أبي الفضائل (كتاب التيج السديد ، ص ١٤٩) في هذا الصدد أن

المال هو المقصود بالفضيات هنا .

(٤) أضيف ما بين القوسين من ابن أبي الفضائل (كتاب التيج السديد ، ص ١٤٩) .

فأسلم وأقطعهم السلطان إقطاعا وقز به؛ والآخر (١٤١ ب) ترك حتى يغير الفرنج بما شاهده .
وصعد السلطان إلى قلعة صفد، وقوز على الأمراء العدد الفرنجية والجواري والممالك، ونقل إليها زردخاناه من عنده . وحل [السلطان] على كتفه من السلاح إلى داخل القلعة، فقتل به الناس ونقلوا الزردخاناه في ساعة واحدة . واستدعى [السلطان] الرجال من دمشق للإقامة بصفد، وقوز نفقة رجال القلعة في الشهر مبلغ ثمانين ألف درهم نقرة . واستخدم على سائر بلاد صفد، وعمل بها جامعا في القلعة وجامعا بالريض؛ ووقف على الشيخ على الحنون نصف وربع الحجاب،^(٢) والرابع الآخر على الشيخ إلياس . ووقف قرية منها على قبر خالد بن الوليد بمحس .

(١) كان الشخص الذي أسلم فارسا من الداوية، وكان الثاني من فرسان الإسبتار . (King : The Knights Hospitallers In The Holy Land. p. 261) وفي نفس الموضع والصفحة أنه لم يكن هناك إخلال بشروط التسليم من جانب جنود حامية صفد، وإنما السلطان يبرس هو الذي نكت بهده، وأنه فعل ذلك طبقا لبدأ الصليبي القاتل بأنه لا أمان لكافر . ويريد في ابن أبي الفضايل (كتاب السجديد، ص ١٤٨) وما بعدها في هذا الصدد روايات، تدل إحداها على أن جنود حامية صفد الصليبيين لم تخضع بالشروط، وأن السلطان لم يكن مرتبطا معهم شخصيا بم عهد آمان، ونصه : "ثم نزل السكركل على صفد في ثامن رمضان ...، وقضها يوم الثلاثاء خاس عشر شوال، بعد أن طلبوا الأمان . وشرط عليهم ألا يستصحبوا (١٤٩) معهم مالا ولا سلاحا، وأن يقتلوا عند خروجهم، وإن وجد مع أحد منهم شيء من ذلك انتقض العهد ...، ووقف السلطان على بابها فأخرج من كان بها من الداوية والإسبتار وغيرهم ... ثم قيل إن جماعة من الفرنج قتلوا، فوجد معهم أشياء من الأموال، فأمر السلطان بضرب رقابهم ... (١٥٠) ... وحكى الأمير ركن الدين بربس السلافي أن السلطان لم يحلف لأهل صفد، وإنما أجلس مكانه كرمون أغا التتري، وأوقف الأمراء في خدمته . خلف لهم كرمون، وعمل عليهم الوزير الذي كان لهم (كدا) وكان نصرانيا، فزولوا عن بين كرمون . فلما نزلوا جعلوا عليهم الحجة أنهم أخذوا معهم ما لم يقع عليه إيمين، فضربت رقابهم عن آخرهم، وكأوا نحو من ألفي فارس . فلما قتلوا سير (في الأصل سيروا) أهل عكا رسولا يقول للسلطان تصدق علينا بنقل أجساد هؤلاء الشهداء إلى عكا لأجل البركة، فزول السلطان الرسول عنده، ثم إنه أخذ (١٥١) جماعة من السكركل وساق من أول الليل، فلما أصبح الصبح إلا وهو على باب عكا . فلما ضحوا باب عكا وخرجوا لقضاء حاجتهم، ساق [السلطان] عليهم قتل منهم خلقا كثيرا، وعاد في قوره . فلما وصل [السلطان] إلى العجلي طلب الرسول وقال [له] ما تريد، فأعاد الرسالة . فقال [له] عد إليهم فقد عملنا عنهم شهداء، ركفتكم كم مؤونة النقل وكلفتكم .

(٢) بشر ضبط في س، أو ياقوت (معجم البلدان، ج ٤، ص ٨١) . وهي إحدى بلاد وادي القري، بين دمشق والمدية، ويترجها حاج الشام . وقد ورد هذا اللفظ في (١٦٧ ب) "الحساب"، وترجمه (Quatremère : Op. Cit. I. 2. p. 31) إلى (revenus) أي الدخل . وهذا . ويريد في س فوق لفظ الحجاب حرفا "وا"، ولعل القرطبي كان يقصد أن يضيف بعض أسماء بلاد أخرى قريبة من الحجاب مثل وادي القري والجبل (ياقوت : نفس الموضع والصفحة)، ثم أفضل ذلك أرنسيه، ويتقوى هذا القرض الجملة التالية .

- وفي سابع عشره رحل [السلطان] من صفد إلى دمشق، فترل الجسورة وأمر ألا يدخل أحد من العسكر إلى دمشق، بل يبقى العسكر على حاله حتى يسير إلى ^(١)سيس. ودخل [السلطان] إلى دمشق جريئة، فبلغه أن جماعة من العسكر قد دخلوا إلى دمشق، فأخرجهم مكثفين بالحبال. وأقام الملك المنصور صاحب حماة مقدما على العساكر وسيرهم معه، وفيهم الأمير عز الدين أوفان، و[الأمير] قلاوون؛ فساروا في خامس ذي القعدة إلى سيس.
- وفي ثالث ذي القعدة مات كرمون أغا. وفي ثامنه أنعم السلطان على أمراء دمشق وقضاها وأرباب مناصبها بالتشاور، ونظر في أمر جامع دمشق، ومنع الفقراء من المبيت فيه، وأخرج ما كان به من الصناديق التي كانت للناس.

- وفي عاشره جلس الأتابك — هو والأمير جمال الدين التنجي نائب دمشق — لكشف غلامات الناس والتوقيع على القصص، بدار السعادة. وخرج السلطان للصيد فضرب عدة حلق، وسار إلى جرد ثم إلى ^(٢)أفامية. وجّه [السلطان] إلى مصر شخصا كان [قد] حضر إلى دمشق [و] ادّعى أنه مبارك بن الإمام المستعصم [ومحبته جماعة من أمراء العربان]، فلم يعترفه جلال الدين بن الدوادار ولا الطوائف مختار، وتبين كذبه [فسير إلى مصر تحت الاحتياط]. وجّه [السلطان] بعده شخصا آخر أسود إلى مصر، ذكر أنه من أولاد الخلفاء، [فسير إلى مصر أيضا، وكان قد وصل إلى دمشق في ذي القعدة].

(١) في س "الجسورة"، وقد صححت إلى الزم الوارد بالفتح من (Lane-Poole: A Hist. Of Egypt. p. 278; Quatremère, Op. Cit. I. 2, p. 13)

(٢) بنير ضبط في س، وصحة هذا الاسم سببية، غير أن عامة أهلها يقولون سيس، وهي عاصمة أربنية الصغرى (قليقية)، ووقعها بين أنطاكية وطرسوس. (ياقوت: معجم البلدان، ج ٤، ص ٢١٧).

(٣) في س "حرد"، بنير ضبط، وهي من إقليم معلول من أعمال غوطة دمشق. (ياقوت: معجم البلدان، ج ٤، ص ٦٥).

(٤) بنير ضبط في س، وهي إحدى بلاد حمص، وتسمى أيضا غابية. (ياقوت: معجم البلدان، ج ١، ص ٢٢٢).

(٥) أضيف ما بين الأقواس بهذه الفقرة كلها من التورى (نهاية الأرب، ج ٢٨، ص ٣٨ — ٣٩)

(٦) في س "جلا الدين". (٧) يتضح من العبارة كلها أن مسألة الخلافة البابسية لم تكن قد انتهت تماما بإقامة الحاكم بأمر الله في الخلافة بالقاهرة سنة ٦٦١ هـ. (انظر ص ٤٧٧، سطر ١، وما يليه).

وفيه استولى السلطان على هوتين^(١) وتينين وعلى مدينة الرملة ، فعمرها وصير لها عملا وولى فيها . وفيه أبطل السلطان ضمان الخيشة الخيشة ، وأمر بتأديب من أكلها . وقدم رسول الاستار ملك الفرنج ، يسأل استقرار الصلح على بلادهم من جهة حص وبلاد الدعوة . فقال السلطان : "لا أجيب إلا بشرط إبطال ما لكم من القطائع على مملكة حماة^(٢) وهي أربعة آلاف دينار ، وما لكم من القطيعة على بلاد أبي قيس^(٣) وهي ثمانمائة دينار ، وقطعتكم على بلاد الدعوة وهي ألف ومائتا دينار ومائة مئة حنطة وشعير نصفين " . فاجابوا إلى إبطال ذلك ، وكنت الهدنة وتُشرط فيها الفسخ للسلطان متى أراد ، ويعلمهم قبل^(٤) بمدة . وورد الخبر بأن فرنج عكا وجدوا أربعة من المسلمين في (١٤٢) طين شيحا فشقوهم ، فرسم السلطان بالإغارة على بلاد الفرنج ، فقتلت المساكن منهم فوق المسائتين ، وساقوا جملة من الأبقار والجواميس وعادوا . وورد كُتَلب وإلى قوص أنه وصل إلى عيذاب ، وبعث عسكريا إلى سواكن ، ففر صاحب سواكن ، وعادوا إلى قوص وقد تهدت البلاد ، وصارت رجال السلطان بسواكن .

وفي يوم الاثنين النصف من ذي الحجة جلس الأمير عز الدين الحلبي نائب السلطنة بديار مصر ، ومعه الصحاح بهاء الدين والقضاة ، بدار العدل على العادة . وإذا بإنسان يحرق

(١) بغير ضبط في س ، وهو بلد في جبال عاملة قرب باناس (ياقوت : معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ٩٩٦ ؛ Le Strange : Palest. Under Moslems. p. 456) ، وهو المسمى (Chateaneuf) في المراجع الفرنسية . (King : The Knights Hospitallers In The Holy Land. p. 361) .

(٢) المقصود بهذا بلاد فرقة الإسماعيلية بالشام . انظر (Quatremère : Op. Cit. I. 2. p. 32) .

(٣) في س "بو قيس" بغير ضبط ، وهذه الصيغة المختصرة كثيرة الوجود في الحواريات العلوية ، وأبو قيس حسن في مقابلة شيزر - (Le Strange : Palest. Under Moslems. p. 352) ؛ ياقوت : معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ١٠٣ .

(٤) لعل المقصود هنا الأرض الزراعية الواقعة قرب جبل شيخان ، وهو جبل مشرف على جميع المرتفعات التي حول بيت المقدس . (ياقوت : معجم البلدان ، ج ٣ ، ص ٣٤٩) . انظر أيضا (Quatremère : Op Cit. I. 2. p. 32. N. 36)

(٥) في س "مادت" .

- الصفوف — ويده قصة — حتى وقف قدام الأمير ، ووثب عليه بسكين أخرجهما من تحت ثيابه ، وطمعته في حلقه . فأمسك الأمير بيده فجرحها ، ورفسه برجله ونام على ظهره . فوقع [المجرم] وقصد أن يضرب الأمير ضربة أخرى ، أو يضرب الصاحب ، فرجعت السكين في فؤاد الأمير صارم الدين المسعودي ، فمات من ساعته . فقام الأمير تغر الدين إلى الخيرة وقبض عليه ورماه ، فوقع على قاضي القضاة ، وأخذته السيوف حتى هلك . وحمل الأمير عز الدين الحلبي إلى داره بالقلمة . وحضر المزيّنون إليه فوجدوا الجرح بين البلوم والمنحر . وكان الذي ضربه جنداً أو به شعبة من جنون ، وتماطى أكل الحشيشة فقوى جثته . وكتب بهذا الحادث إلى السلطان ، فوافاه الخبر وهو راجع من أفامية ، فشق عليه ذلك وقال : " والله يهون على موت ولدي بركة ، ولا يموت الحلبي " . فقال له الأتابك : " ياخوند ! والله طيّبت قلوبنا إذا كنت تشتهي لو فديت غلاماً من غلمانك بولدك وولي عهدك " . ثم ورد الخبر بعافية الحلبي مع مملوكه ، فخلع عليه السلطان وأعطاه ألف دينار ، وأعطى رفيقه ثلاثة آلاف درهم نقرة ، وأحسن إلى ورثة الصارم المسعودي .

وأما الملك المنصور ومن معه ، فإنهم ساروا إلى [حصن] ^(١) دريساك ودخلوا الدربند ، وقد بنى ^(٢) التكتفور هيتوم بن قنسطنطين بن باساك ملك الأرمن على رموس الجبال أبراجاً —

(١) في س "درب باسك" بغير ضبط ، وهو وارد برسم "دريسك" في أبي القداء (المختصر في أخبار البشر ، ص ١٢١ ، في Rec. Hist. Or. I.) ، وموقعه قرب أنطاكية . (باقرت : سيم البلدان ، ج ٢ ، ص ٦٤٦) .
(٢) الدربند — والجمع دربندات — فقط فارسي ، ومن معانيه المضائق والطرفات والمعاير الضيقة ، وقد تقدمت الإشارة إليه في ص ٢٤٨ ، حاشية ٣ ، والمراد هنا الطرفات المؤدية إلى بلدة سيس ، وقد وصفه ابن أبي الفصائل (كتاب التيج السديد ، ص ٢٣١ — ٢٣٢) بالآق : "وباب الدربند الذي ببسيس يعرف بالدربوب ، ويسمى (٢٣٢) بالعواصم ... " .

(٣) التكتفور فقط أرمني معناه الملك المتوج (roi, celui qui porte la couronne) ، وقد أطلقه الأرمن على ملوكهم ، كما أنه يطلق أحياناً على ملوك الدولة العثمانية . (ابن أبي الفصائل : كتاب التيج السديد ، ص ٢٣٠ ، ٢٣١ ، ٢٣٣ ، ٢٣٤ ، ٢٣٥ ، ٢٣٦ ، ٢٣٧ ، ٢٣٨ ، ٢٣٩ ، ٢٤٠ ، ٢٤١ ، ٢٤٢ ، ٢٤٣ ، ٢٤٤ ، ٢٤٥ ، ٢٤٦ ، ٢٤٧ ، ٢٤٨ ، ٢٤٩ ، ٢٥٠ ، ٢٥١ ، ٢٥٢ ، ٢٥٣ ، ٢٥٤ ، ٢٥٥ ، ٢٥٦ ، ٢٥٧ ، ٢٥٨ ، ٢٥٩ ، ٢٦٠ ، ٢٦١ ، ٢٦٢ ، ٢٦٣ ، ٢٦٤ ، ٢٦٥ ، ٢٦٦ ، ٢٦٧ ، ٢٦٨ ، ٢٦٩ ، ٢٧٠ ، ٢٧١ ، ٢٧٢ ، ٢٧٣ ، ٢٧٤ ، ٢٧٥ ، ٢٧٦ ، ٢٧٧ ، ٢٧٨ ، ٢٧٩ ، ٢٨٠ ، ٢٨١ ، ٢٨٢ ، ٢٨٣ ، ٢٨٤ ، ٢٨٥ ، ٢٨٦ ، ٢٨٧ ، ٢٨٨ ، ٢٨٩ ، ٢٩٠ ، ٢٩١ ، ٢٩٢ ، ٢٩٣ ، ٢٩٤ ، ٢٩٥ ، ٢٩٦ ، ٢٩٧ ، ٢٩٨ ، ٢٩٩ ، ٣٠٠ ، ٣٠١ ، ٣٠٢ ، ٣٠٣ ، ٣٠٤ ، ٣٠٥ ، ٣٠٦ ، ٣٠٧ ، ٣٠٨ ، ٣٠٩ ، ٣١٠ ، ٣١١ ، ٣١٢ ، ٣١٣ ، ٣١٤ ، ٣١٥ ، ٣١٦ ، ٣١٧ ، ٣١٨ ، ٣١٩ ، ٣٢٠ ، ٣٢١ ، ٣٢٢ ، ٣٢٣ ، ٣٢٤ ، ٣٢٥ ، ٣٢٦ ، ٣٢٧ ، ٣٢٨ ، ٣٢٩ ، ٣٣٠ ، ٣٣١ ، ٣٣٢ ، ٣٣٣ ، ٣٣٤ ، ٣٣٥ ، ٣٣٦ ، ٣٣٧ ، ٣٣٨ ، ٣٣٩ ، ٣٤٠ ، ٣٤١ ، ٣٤٢ ، ٣٤٣ ، ٣٤٤ ، ٣٤٥ ، ٣٤٦ ، ٣٤٧ ، ٣٤٨ ، ٣٤٩ ، ٣٥٠ ، ٣٥١ ، ٣٥٢ ، ٣٥٣ ، ٣٥٤ ، ٣٥٥ ، ٣٥٦ ، ٣٥٧ ، ٣٥٨ ، ٣٥٩ ، ٣٦٠ ، ٣٦١ ، ٣٦٢ ، ٣٦٣ ، ٣٦٤ ، ٣٦٥ ، ٣٦٦ ، ٣٦٧ ، ٣٦٨ ، ٣٦٩ ، ٣٧٠ ، ٣٧١ ، ٣٧٢ ، ٣٧٣ ، ٣٧٤ ، ٣٧٥ ، ٣٧٦ ، ٣٧٧ ، ٣٧٨ ، ٣٧٩ ، ٣٨٠ ، ٣٨١ ، ٣٨٢ ، ٣٨٣ ، ٣٨٤ ، ٣٨٥ ، ٣٨٦ ، ٣٨٧ ، ٣٨٨ ، ٣٨٩ ، ٣٩٠ ، ٣٩١ ، ٣٩٢ ، ٣٩٣ ، ٣٩٤ ، ٣٩٥ ، ٣٩٦ ، ٣٩٧ ، ٣٩٨ ، ٣٩٩ ، ٤٠٠ ، ٤٠١ ، ٤٠٢ ، ٤٠٣ ، ٤٠٤ ، ٤٠٥ ، ٤٠٦ ، ٤٠٧ ، ٤٠٨ ، ٤٠٩ ، ٤١٠ ، ٤١١ ، ٤١٢ ، ٤١٣ ، ٤١٤ ، ٤١٥ ، ٤١٦ ، ٤١٧ ، ٤١٨ ، ٤١٩ ، ٤٢٠ ، ٤٢١ ، ٤٢٢ ، ٤٢٣ ، ٤٢٤ ، ٤٢٥ ، ٤٢٦ ، ٤٢٧ ، ٤٢٨ ، ٤٢٩ ، ٤٣٠ ، ٤٣١ ، ٤٣٢ ، ٤٣٣ ، ٤٣٤ ، ٤٣٥ ، ٤٣٦ ، ٤٣٧ ، ٤٣٨ ، ٤٣٩ ، ٤٤٠ ، ٤٤١ ، ٤٤٢ ، ٤٤٣ ، ٤٤٤ ، ٤٤٥ ، ٤٤٦ ، ٤٤٧ ، ٤٤٨ ، ٤٤٩ ، ٤٥٠ ، ٤٥١ ، ٤٥٢ ، ٤٥٣ ، ٤٥٤ ، ٤٥٥ ، ٤٥٦ ، ٤٥٧ ، ٤٥٨ ، ٤٥٩ ، ٤٦٠ ، ٤٦١ ، ٤٦٢ ، ٤٦٣ ، ٤٦٤ ، ٤٦٥ ، ٤٦٦ ، ٤٦٧ ، ٤٦٨ ، ٤٦٩ ، ٤٧٠ ، ٤٧١ ، ٤٧٢ ، ٤٧٣ ، ٤٧٤ ، ٤٧٥ ، ٤٧٦ ، ٤٧٧ ، ٤٧٨ ، ٤٧٩ ، ٤٨٠ ، ٤٨١ ، ٤٨٢ ، ٤٨٣ ، ٤٨٤ ، ٤٨٥ ، ٤٨٦ ، ٤٨٧ ، ٤٨٨ ، ٤٨٩ ، ٤٩٠ ، ٤٩١ ، ٤٩٢ ، ٤٩٣ ، ٤٩٤ ، ٤٩٥ ، ٤٩٦ ، ٤٩٧ ، ٤٩٨ ، ٤٩٩ ، ٥٠٠ ، ٥٠١ ، ٥٠٢ ، ٥٠٣ ، ٥٠٤ ، ٥٠٥ ، ٥٠٦ ، ٥٠٧ ، ٥٠٨ ، ٥٠٩ ، ٥١٠ ، ٥١١ ، ٥١٢ ، ٥١٣ ، ٥١٤ ، ٥١٥ ، ٥١٦ ، ٥١٧ ، ٥١٨ ، ٥١٩ ، ٥٢٠ ، ٥٢١ ، ٥٢٢ ، ٥٢٣ ، ٥٢٤ ، ٥٢٥ ، ٥٢٦ ، ٥٢٧ ، ٥٢٨ ، ٥٢٩ ، ٥٣٠ ، ٥٣١ ، ٥٣٢ ، ٥٣٣ ، ٥٣٤ ، ٥٣٥ ، ٥٣٦ ، ٥٣٧ ، ٥٣٨ ، ٥٣٩ ، ٥٤٠ ، ٥٤١ ، ٥٤٢ ، ٥٤٣ ، ٥٤٤ ، ٥٤٥ ، ٥٤٦ ، ٥٤٧ ، ٥٤٨ ، ٥٤٩ ، ٥٥٠ ، ٥٥١ ، ٥٥٢ ، ٥٥٣ ، ٥٥٤ ، ٥٥٥ ، ٥٥٦ ، ٥٥٧ ، ٥٥٨ ، ٥٥٩ ، ٥٦٠ ، ٥٦١ ، ٥٦٢ ، ٥٦٣ ، ٥٦٤ ، ٥٦٥ ، ٥٦٦ ، ٥٦٧ ، ٥٦٨ ، ٥٦٩ ، ٥٧٠ ، ٥٧١ ، ٥٧٢ ، ٥٧٣ ، ٥٧٤ ، ٥٧٥ ، ٥٧٦ ، ٥٧٧ ، ٥٧٨ ، ٥٧٩ ، ٥٨٠ ، ٥٨١ ، ٥٨٢ ، ٥٨٣ ، ٥٨٤ ، ٥٨٥ ، ٥٨٦ ، ٥٨٧ ، ٥٨٨ ، ٥٨٩ ، ٥٩٠ ، ٥٩١ ، ٥٩٢ ، ٥٩٣ ، ٥٩٤ ، ٥٩٥ ، ٥٩٦ ، ٥٩٧ ، ٥٩٨ ، ٥٩٩ ، ٦٠٠ ، ٦٠١ ، ٦٠٢ ، ٦٠٣ ، ٦٠٤ ، ٦٠٥ ، ٦٠٦ ، ٦٠٧ ، ٦٠٨ ، ٦٠٩ ، ٦١٠ ، ٦١١ ، ٦١٢ ، ٦١٣ ، ٦١٤ ، ٦١٥ ، ٦١٦ ، ٦١٧ ، ٦١٨ ، ٦١٩ ، ٦٢٠ ، ٦٢١ ، ٦٢٢ ، ٦٢٣ ، ٦٢٤ ، ٦٢٥ ، ٦٢٦ ، ٦٢٧ ، ٦٢٨ ، ٦٢٩ ، ٦٣٠ ، ٦٣١ ، ٦٣٢ ، ٦٣٣ ، ٦٣٤ ، ٦٣٥ ، ٦٣٦ ، ٦٣٧ ، ٦٣٨ ، ٦٣٩ ، ٦٤٠ ، ٦٤١ ، ٦٤٢ ، ٦٤٣ ، ٦٤٤ ، ٦٤٥ ، ٦٤٦ ، ٦٤٧ ، ٦٤٨ ، ٦٤٩ ، ٦٥٠ ، ٦٥١ ، ٦٥٢ ، ٦٥٣ ، ٦٥٤ ، ٦٥٥ ، ٦٥٦ ، ٦٥٧ ، ٦٥٨ ، ٦٥٩ ، ٦٦٠ ، ٦٦١ ، ٦٦٢ ، ٦٦٣ ، ٦٦٤ ، ٦٦٥ ، ٦٦٦ ، ٦٦٧ ، ٦٦٨ ، ٦٦٩ ، ٦٧٠ ، ٦٧١ ، ٦٧٢ ، ٦٧٣ ، ٦٧٤ ، ٦٧٥ ، ٦٧٦ ، ٦٧٧ ، ٦٧٨ ، ٦٧٩ ، ٦٨٠ ، ٦٨١ ، ٦٨٢ ، ٦٨٣ ، ٦٨٤ ، ٦٨٥ ، ٦٨٦ ، ٦٨٧ ، ٦٨٨ ، ٦٨٩ ، ٦٩٠ ، ٦٩١ ، ٦٩٢ ، ٦٩٣ ، ٦٩٤ ، ٦٩٥ ، ٦٩٦ ، ٦٩٧ ، ٦٩٨ ، ٦٩٩ ، ٧٠٠ ، ٧٠١ ، ٧٠٢ ، ٧٠٣ ، ٧٠٤ ، ٧٠٥ ، ٧٠٦ ، ٧٠٧ ، ٧٠٨ ، ٧٠٩ ، ٧١٠ ، ٧١١ ، ٧١٢ ، ٧١٣ ، ٧١٤ ، ٧١٥ ، ٧١٦ ، ٧١٧ ، ٧١٨ ، ٧١٩ ، ٧٢٠ ، ٧٢١ ، ٧٢٢ ، ٧٢٣ ، ٧٢٤ ، ٧٢٥ ، ٧٢٦ ، ٧٢٧ ، ٧٢٨ ، ٧٢٩ ، ٧٣٠ ، ٧٣١ ، ٧٣٢ ، ٧٣٣ ، ٧٣٤ ، ٧٣٥ ، ٧٣٦ ، ٧٣٧ ، ٧٣٨ ، ٧٣٩ ، ٧٤٠ ، ٧٤١ ، ٧٤٢ ، ٧٤٣ ، ٧٤٤ ، ٧٤٥ ، ٧٤٦ ، ٧٤٧ ، ٧٤٨ ، ٧٤٩ ، ٧٥٠ ، ٧٥١ ، ٧٥٢ ، ٧٥٣ ، ٧٥٤ ، ٧٥٥ ، ٧٥٦ ، ٧٥٧ ، ٧٥٨ ، ٧٥٩ ، ٧٦٠ ، ٧٦١ ، ٧٦٢ ، ٧٦٣ ، ٧٦٤ ، ٧٦٥ ، ٧٦٦ ، ٧٦٧ ، ٧٦٨ ، ٧٦٩ ، ٧٧٠ ، ٧٧١ ، ٧٧٢ ، ٧٧٣ ، ٧٧٤ ، ٧٧٥ ، ٧٧٦ ، ٧٧٧ ، ٧٧٨ ، ٧٧٩ ، ٧٨٠ ، ٧٨١ ، ٧٨٢ ، ٧٨٣ ، ٧٨٤ ، ٧٨٥ ، ٧٨٦ ، ٧٨٧ ، ٧٨٨ ، ٧٨٩ ، ٧٩٠ ، ٧٩١ ، ٧٩٢ ، ٧٩٣ ، ٧٩٤ ، ٧٩٥ ، ٧٩٦ ، ٧٩٧ ، ٧٩٨ ، ٧٩٩ ، ٨٠٠ ، ٨٠١ ، ٨٠٢ ، ٨٠٣ ، ٨٠٤ ، ٨٠٥ ، ٨٠٦ ، ٨٠٧ ، ٨٠٨ ، ٨٠٩ ، ٨١٠ ، ٨١١ ، ٨١٢ ، ٨١٣ ، ٨١٤ ، ٨١٥ ، ٨١٦ ، ٨١٧ ، ٨١٨ ، ٨١٩ ، ٨٢٠ ، ٨٢١ ، ٨٢٢ ، ٨٢٣ ، ٨٢٤ ، ٨٢٥ ، ٨٢٦ ، ٨٢٧ ، ٨٢٨ ، ٨٢٩ ، ٨٣٠ ، ٨٣١ ، ٨٣٢ ، ٨٣٣ ، ٨٣٤ ، ٨٣٥ ، ٨٣٦ ، ٨٣٧ ، ٨٣٨ ، ٨٣٩ ، ٨٤٠ ، ٨٤١ ، ٨٤٢ ، ٨٤٣ ، ٨٤٤ ، ٨٤٥ ، ٨٤٦ ، ٨٤٧ ، ٨٤٨ ، ٨٤٩ ، ٨٥٠ ، ٨٥١ ، ٨٥٢ ، ٨٥٣ ، ٨٥٤ ، ٨٥٥ ، ٨٥٦ ، ٨٥٧ ، ٨٥٨ ، ٨٥٩ ، ٨٦٠ ، ٨٦١ ، ٨٦٢ ، ٨٦٣ ، ٨٦٤ ، ٨٦٥ ، ٨٦٦ ، ٨٦٧ ، ٨٦٨ ، ٨٦٩ ، ٨٧٠ ، ٨٧١ ، ٨٧٢ ، ٨٧٣ ، ٨٧٤ ، ٨٧٥ ، ٨٧٦ ، ٨٧٧ ، ٨٧٨ ، ٨٧٩ ، ٨٨٠ ، ٨٨١ ، ٨٨٢ ، ٨٨٣ ، ٨٨٤ ، ٨٨٥ ، ٨٨٦ ، ٨٨٧ ، ٨٨٨ ، ٨٨٩ ، ٨٩٠ ، ٨٩١ ، ٨٩٢ ، ٨٩٣ ، ٨٩٤ ، ٨٩٥ ، ٨٩٦ ، ٨٩٧ ، ٨٩٨ ، ٨٩٩ ، ٩٠٠ ، ٩٠١ ، ٩٠٢ ، ٩٠٣ ، ٩٠٤ ، ٩٠٥ ، ٩٠٦ ، ٩٠٧ ، ٩٠٨ ، ٩٠٩ ، ٩١٠ ، ٩١١ ، ٩١٢ ، ٩١٣ ، ٩١٤ ، ٩١٥ ، ٩١٦ ، ٩١٧ ، ٩١٨ ، ٩١٩ ، ٩٢٠ ، ٩٢١ ، ٩٢٢ ، ٩٢٣ ، ٩٢٤ ، ٩٢٥ ، ٩٢٦ ، ٩٢٧ ، ٩٢٨ ، ٩٢٩ ، ٩٣٠ ، ٩٣١ ، ٩٣٢ ، ٩٣٣ ، ٩٣٤ ، ٩٣٥ ، ٩٣٦ ، ٩٣٧ ، ٩٣٨ ، ٩٣٩ ، ٩٤٠ ، ٩٤١ ، ٩٤٢ ، ٩٤٣ ، ٩٤٤ ، ٩٤٥ ، ٩٤٦ ، ٩٤٧ ، ٩٤٨ ، ٩٤٩ ، ٩٥٠ ، ٩٥١ ، ٩٥٢ ، ٩٥٣ ، ٩٥٤ ، ٩٥٥ ، ٩٥٦ ، ٩٥٧ ، ٩٥٨ ، ٩٥٩ ، ٩٦٠ ، ٩٦١ ، ٩٦٢ ، ٩٦٣ ، ٩٦٤ ، ٩٦٥ ، ٩٦٦ ، ٩٦٧ ، ٩٦٨ ، ٩٦٩ ، ٩٧٠ ، ٩٧١ ، ٩٧٢ ، ٩٧٣ ، ٩٧٤ ، ٩٧٥ ، ٩٧٦ ، ٩٧٧ ، ٩٧٨ ، ٩٧٩ ، ٩٨٠ ، ٩٨١ ، ٩٨٢ ، ٩٨٣ ، ٩٨٤ ، ٩٨٥ ، ٩٨٦ ، ٩٨٧ ، ٩٨٨ ، ٩٨٩ ، ٩٩٠ ، ٩٩١ ، ٩٩٢ ، ٩٩٣ ، ٩٩٤ ، ٩٩٥ ، ٩٩٦ ، ٩٩٧ ، ٩٩٨ ، ٩٩٩ ، ١٠٠٠ ، ١٠٠١ ، ١٠٠٢ ، ١٠٠٣ ، ١٠٠٤ ، ١٠٠٥ ، ١٠٠٦ ، ١٠٠٧ ، ١٠٠٨ ، ١٠٠٩ ، ١٠١٠ ، ١٠١١ ، ١٠١٢ ، ١٠١٣ ، ١٠١٤ ، ١٠١٥ ، ١٠١٦ ، ١٠١٧ ، ١٠١٨ ، ١٠١٩ ، ١٠٢٠ ، ١٠٢١ ، ١٠٢٢ ، ١٠٢٣ ، ١٠٢٤ ، ١٠٢٥ ، ١٠٢٦ ، ١٠٢٧ ، ١٠٢٨ ، ١٠٢٩ ، ١٠٣٠ ، ١٠٣١ ، ١٠٣٢ ، ١٠٣٣ ، ١٠٣٤ ، ١٠٣٥ ، ١٠٣٦ ، ١٠٣٧ ، ١٠٣٨ ، ١٠٣٩ ، ١٠٤٠ ، ١٠٤١ ، ١٠٤٢ ، ١٠٤٣ ، ١٠٤٤ ، ١٠٤٥ ، ١٠٤٦ ، ١٠٤٧ ، ١٠٤٨ ، ١٠٤٩ ، ١٠٥٠ ، ١٠٥١ ، ١٠٥٢ ، ١٠٥٣ ، ١٠٥٤ ، ١٠٥٥ ، ١٠٥٦ ، ١٠٥٧ ، ١٠٥٨ ، ١٠٥٩ ، ١٠٦٠ ، ١٠٦١ ، ١٠٦٢ ، ١٠٦٣ ، ١٠٦٤ ، ١٠٦٥ ، ١٠٦٦ ، ١٠٦٧ ، ١٠٦٨ ، ١٠٦٩ ، ١٠٧٠ ، ١٠٧١ ، ١٠٧٢ ، ١٠٧٣ ، ١٠٧٤ ، ١٠٧٥ ، ١٠٧٦ ، ١٠٧٧ ، ١٠٧٨ ، ١٠٧٩ ، ١٠٨٠ ، ١٠٨١ ، ١٠٨٢ ، ١٠٨٣ ، ١٠٨٤ ، ١٠٨٥ ، ١٠٨٦ ، ١٠٨٧ ، ١٠٨٨ ، ١٠٨٩ ، ١٠٩٠ ، ١٠٩١ ، ١٠٩٢ ، ١٠٩٣ ، ١٠٩٤ ، ١٠٩٥ ، ١٠٩٦ ، ١٠٩٧ ، ١٠٩٨ ، ١٠٩٩ ، ١١٠٠ ، ١١٠١ ، ١١٠٢ ، ١١٠٣ ، ١١٠٤ ، ١١٠٥ ، ١١٠٦ ، ١١٠٧ ، ١١٠٨ ، ١١٠٩ ، ١١١٠ ، ١١١١ ، ١١١٢ ، ١١١٣ ، ١١١٤ ، ١١١٥ ، ١١١٦ ، ١١١٧ ، ١١١٨ ، ١١١٩ ، ١١٢٠ ، ١١٢١ ، ١١٢٢ ، ١١٢٣ ، ١١٢٤ ، ١١٢٥ ، ١١٢٦ ، ١١٢٧ ، ١١٢٨ ، ١١٢٩ ، ١١٣٠ ، ١١٣١ ، ١١٣٢ ، ١١٣٣ ، ١١٣٤ ، ١١٣٥ ، ١١٣٦ ، ١١٣٧ ، ١١٣٨ ، ١١٣٩ ، ١١٤٠ ، ١١٤١ ، ١١٤٢ ، ١١٤٣ ، ١١٤٤ ، ١١٤٥ ، ١١٤٦ ، ١١٤٧ ، ١١٤٨ ، ١١٤٩ ، ١١٥٠ ، ١١٥١ ، ١١٥٢ ، ١١٥٣ ، ١١٥٤ ، ١١٥٥ ، ١١٥٦ ، ١١٥٧ ، ١١٥٨ ، ١١٥٩ ، ١١٦٠ ، ١١٦١ ، ١١٦٢ ، ١١٦٣ ، ١١٦٤ ، ١١٦٥ ، ١١٦٦ ، ١١٦٧ ، ١١٦٨ ، ١١٦٩ ، ١١٧٠ ، ١١٧١ ، ١١٧٢ ، ١١٧٣ ، ١١٧٤ ، ١١٧٥ ، ١١٧٦ ، ١١٧٧ ، ١١٧٨ ، ١١٧٩ ، ١١٨٠ ، ١١٨١ ، ١١٨٢ ، ١١٨٣ ، ١١٨٤ ، ١١٨٥ ، ١١٨٦ ، ١١٨٧ ، ١١٨٨ ، ١١٨٩ ، ١١٩٠ ، ١١٩١ ، ١١٩٢ ، ١١٩٣ ، ١١٩٤ ، ١١٩٥ ، ١١٩٦ ، ١١٩٧ ، ١١٩٨ ، ١١٩٩ ، ١٢٠٠ ، ١٢٠١ ، ١٢٠٢ ، ١٢٠٣ ، ١٢٠٤ ، ١٢٠٥ ، ١٢٠٦ ، ١٢٠٧ ، ١٢٠٨ ، ١٢٠٩ ، ١٢١٠ ، ١٢١١ ، ١٢١٢ ، ١٢١٣ ، ١٢١٤ ، ١٢١٥ ، ١٢١٦ ، ١٢١٧ ، ١٢١٨ ، ١٢١٩ ، ١٢٢٠ ، ١٢٢١ ، ١٢٢٢ ، ١٢٢٣ ، ١٢٢٤ ، ١٢٢٥ ، ١٢٢٦ ، ١٢٢٧ ، ١٢٢٨ ، ١٢٢٩ ، ١٢٣٠ ، ١٢٣١ ، ١٢٣٢ ، ١٢٣٣ ، ١٢٣٤ ، ١٢٣٥ ، ١٢٣٦ ، ١٢٣٧ ، ١٢٣٨ ، ١٢٣٩ ، ١٢٤٠ ، ١٢٤١ ، ١٢٤٢ ، ١٢٤٣ ، ١٢٤٤ ، ١٢٤٥ ، ١٢٤٦ ، ١٢٤٧ ، ١٢٤٨ ، ١٢٤٩ ، ١٢٥٠ ، ١٢٥١ ، ١٢٥٢ ، ١٢٥٣ ، ١٢٥٤ ، ١٢٥٥ ، ١٢٥٦ ، ١٢٥٧ ، ١٢٥٨ ، ١٢٥٩ ، ١٢٦٠ ، ١٢٦١ ، ١٢٦٢ ، ١٢٦٣ ، ١٢٦٤ ، ١٢٦٥ ، ١٢٦٦ ، ١٢٦٧ ، ١٢٦٨ ، ١٢٦٩ ، ١٢٧٠ ، ١٢٧١ ، ١٢٧٢ ، ١٢٧٣ ، ١٢٧٤ ، ١٢٧٥ ، ١٢٧٦ ، ١٢٧٧ ، ١٢٧٨ ، ١٢٧٩ ، ١٢٨٠ ، ١٢٨١ ، ١٢٨٢ ، ١٢٨٣ ، ١٢٨٤ ، ١٢٨٥ ، ١٢٨٦ ، ١٢٨٧ ، ١٢٨٨ ، ١٢٨٩ ، ١٢٩٠ ، ١٢٩١ ، ١٢٩٢ ، ١٢٩٣ ، ١٢٩٤ ، ١٢٩٥ ، ١٢٩٦ ، ١٢٩٧ ، ١٢٩٨ ، ١٢٩٩ ، ١٣٠٠ ، ١٣٠١ ، ١٣٠٢ ، ١٣٠٣ ، ١٣٠٤ ، ١٣٠٥ ، ١٣٠٦ ، ١٣٠٧ ، ١٣٠٨ ، ١٣٠٩ ، ١٣١٠ ، ١٣١١ ، ١٣١٢ ، ١٣١٣ ، ١٣١٤ ، ١٣١٥ ، ١٣١٦ ، ١٣١٧ ، ١٣١٨ ، ١٣١٩ ، ١٣٢٠ ، ١٣٢١ ، ١٣٢٢ ، ١٣٢٣ ، ١٣٢٤ ، ١٣٢٥ ، ١٣٢٦ ، ١٣٢٧ ، ١٣٢٨ ، ١٣٢٩ ، ١٣٣٠ ، ١٣٣١ ، ١٣٣٢ ، ١٣٣٣ ، ١٣٣٤ ، ١٣٣٥ ، ١٣٣٦ ، ١٣٣٧ ، ١٣٣٨ ، ١٣٣٩ ، ١٣٤٠ ، ١٣٤١ ، ١٣٤٢ ، ١٣٤٣ ، ١٣٤٤ ، ١٣٤٥ ، ١٣٤٦ ، ١٣٤٧ ، ١٣٤٨ ، ١٣٤٩ ، ١٣٥٠ ، ١٣٥١ ، ١٣٥٢ ، ١٣٥٣ ، ١٣٥٤ ، ١٣٥٥ ، ١٣٥٦ ، ١٣٥٧ ، ١٣٥٨ ، ١٣٥٩ ، ١٣٦٠ ، ١٣٦١ ، ١٣٦٢ ، ١٣٦٣ ، ١٣٦٤ ، ١٣٦٥ ، ١٣٦٦ ، ١٣٦٧ ، ١٣٦٨ ، ١٣٦٩ ، ١٣٧٠ ، ١٣٧١ ، ١٣٧٢ ، ١٣٧٣ ، ١٣٧٤ ، ١٣٧٥ ، ١٣٧٦ ، ١٣٧٧ ، ١٣٧٨ ، ١٣٧٩ ، ١٣٨٠ ، ١٣٨١ ، ١٣٨٢ ، ١٣٨٣ ، ١٣٨٤ ، ١٣٨٥ ، ١٣٨٦ ، ١٣٨٧ ، ١٣٨٨ ، ١٣٨٩ ، ١٣٩٠ ، ١٣٩١ ، ١٣٩٢ ، ١٣٩٣ ، ١٣٩٤ ، ١٣٩٥ ، ١٣٩٦ ، ١٣٩٧ ، ١٣٩٨ ، ١٣٩٩ ، ١٤٠٠ ، ١٤٠١ ، ١٤٠٢ ، ١٤٠٣ ، ١٤٠٤ ، ١٤٠٥ ، ١٤٠٦ ، ١٤٠٧ ، ١٤٠٨ ، ١٤٠٩ ، ١٤١٠ ، ١٤١١ ، ١٤١٢ ، ١٤١٣ ، ١٤١٤ ، ١٤١٥ ، ١٤١٦ ، ١٤١٧ ، ١٤١٨ ، ١٤١٩ ، ١٤٢٠ ، ١٤٢١ ، ١٤٢٢ ، ١٤٢٣ ، ١٤٢٤ ، ١٤٢٥ ، ١٤٢٦ ، ١٤٢٧ ، ١٤٢٨ ، ١٤٢٩ ، ١٤٣٠ ، ١٤٣١ ، ١٤٣٢ ، ١٤٣٣ ، ١٤٣٤ ، ١٤٣٥ ، ١٤٣٦ ، ١٤٣٧ ، ١٤٣٨ ، ١٤٣٩ ، ١٤٤٠ ، ١٤٤١ ، ١٤٤٢ ، ١٤٤٣ ، ١٤٤٤ ، ١٤٤٥ ، ١٤٤٦ ، ١٤٤٧ ، ١٤٤٨ ، ١٤٤٩ ، ١٤٥٠ ، ١٤٥١ ، ١٤٥٢ ، ١٤٥٣ ، ١٤٥٤ ، ١٤٥٥ ، ١٤٥٦ ، ١٤٥٧ ، ١٤٥٨ ، ١٤٥٩ ، ١٤٦٠ ، ١٤٦١ ، ١٤٦٢ ، ١٤٦٣ ، ١٤٦٤ ، ١٤٦٥ ، ١٤٦٦ ، ١٤٦٧ ، ١٤٦٨ ، ١٤٦٩ ، ١٤٧٠ ، ١٤٧١ ، ١٤٧٢ ، ١٤٧٣ ، ١٤٧٤ ، ١٤٧٥ ، ١٤٧٦ ، ١٤٧٧ ، ١٤٧٨ ، ١٤٧٩ ، ١٤٨٠ ، ١٤٨١ ، ١٤٨٢ ، ١٤٨٣ ، ١٤٨٤ ، ١٤٨٥ ، ١٤٨٦ ، ١٤٨٧ ، ١٤٨٨ ، ١٤٨٩ ، ١٤٩٠ ، ١٤٩١ ، ١٤٩٢ ، ١٤٩٣ ، ١٤٩٤ ، ١٤٩٥ ، ١٤٩٦ ، ١٤٩٧ ، ١٤٩٨ ، ١٤٩٩ ، ١٥٠٠ ، ١٥٠١ ، ١٥٠٢ ، ١٥٠٣ ، ١٥٠٤ ، ١٥٠٥ ، ١٥٠٦ ، ١٥٠٧ ، ١٥٠٨ ، ١٥٠٩ ، ١٥١٠ ، ١٥١١ ، ١٥١٢ ، ١٥١٣ ، ١٥١٤ ، ١٥١٥ ، ١٥١٦ ، ١٥١٧ ، ١٥١٨ ، ١٥١٩ ، ١٥٢٠ ، ١٥٢١ ، ١٥٢٢ ، ١٥٢٣ ، ١٥٢٤ ، ١٥٢٥ ، ١٥٢٦ ، ١٥٢٧ ، ١٥٢٨ ، ١٥

(١) وهو الذى ترهّد فيما بعد، وترك الملك لولده ليفون — فاستعدّ ووقف في عسكره . فعند ما التقى الفريقان أمير ليفون [ابن] ملك سيس ، وقتل أخوه وعمه ، وانهزم همه الآخر ، وقتل ابنه [الآخر] ، وتمزق الباقي من الملوك — وكانوا اثني عشر ملكا — ، وقتلت أباطلم وجنودهم . وركب العسكر أقفيتهم وهو يقتل ويأسر ويحرق ، وأخذ المسكر قلعة حصينة للديوية ، فقتلت الرجال وسبيت النساء وفتقت على العسكر، وحرقت القلعة بما فيها من الخواصل . ودخلوا سيس (١٤٢ ب) فأخربوها وجعلوا عاليها سافلها ، وأقاموا أياما يحرقون ويقتلون ويأسرون . وسار الأمير أوغان إلى جهة الروم ، والأمير قلاون إلى المصيصة وأذنة وأياس وطرسوس ، فقتلوا وأسروا وهدموا عدة قلاع وحرقوا [هذا] وصاحب حماة مقيم ببس . ثم عادوا إليه و[قد] اجتمع معهم من الفئات ما لا يعد ولا يحصى ، حتى أبغ الراس البقر بدرهين ولم يوجد من يشتريه .

(٦) فورد انظر بذلك والسلطان في الصيد مجرود ، فأعطى المبشر ألف دينار وإمرة مبلغا ناه . ودخل السلطان إلى دمشق ، وتجهّز ونرج للقاء العسكر في ثالث عشر ذي الحجة . فشكى إليه

(١) جارة س كالآق : "وكان قد ترهّد وترك الملك لولده ليفون فاستعدّ ووقف في عسكره ... " ، وبهم من إيراد العبارة بهذا الوضع الزمنى أن هيتوم ملك الأرمن كان قد ترهّد وترك الحكم لولده قبل مجيء جيوش بيبرس إلى بلاده بقعة سنين ، مع أن المعروف أن هيتوم هو الذى وقف لجيوش المالك ، وقد وقع ابنه ليفون المذكور هنا أسيرا في الحوطة التي وقعت ببس . (انظر سطر ٢) . وقد ظل هيتوم ملكا على أرمينية الصغرى حتى سنة ١٢٧٠م (٦٦٩هـ) ، وصالح السلطان بيبرس ١٢٦٨م (٦٦٦هـ) ، على شروط منها أن يسلم إلى السلطان بلاد "هيسا ودرساك ومرزبان وديعان وشيخ الخدي" ، وفي مقابلها يطلق السلطان سراح ليفون . وقد سلم هيتوم الحكم إلى ولده المائد بعد ذلك ، وابتزى في دريحت عاش حتى سنة ١٢٧٥م (٦٧٤هـ) . (انظر أبا القداء : المختصر في أخبار البشر ، ص ١٥١ ، ١٥٢ ، ١٥٣ ، ١٥٤ ، Rec. Hist. Or. I. ، p. 175 ، Camb. Med. Hist. IV.)

(٢) اسم هذا الابن لما ملك ليون الثالث (Leon III) ، وقد امتد حكمه من ١٢٧٠ إلى ١٢٨٩م (٦٦٩ — ٦٨٨هـ) . انظر المراجع المذكورة بالحاشية السابقة .

(٣) أضيف ما بين القوسين من ابن أبي الفضائل (كتاب النجديد ، ص ١٥٢) .

(٤) في س "أسر" ، انظر أبا القداء . (المختصر في أخبار البشر ، ص ١٥١ ، Rec. Hist. Or. I.)

(٥) لها طعة الماعدين المذكورة في أبي القداء . (المختصر في أخبار البشر ، ص ١٥١ ، Rec. Hist. Or. I.) ، وهي حسن بأرمينية الصغرى . (Ibid : Op. Cit. Index) .

(٦) في س "مجرود"

- (١) وهو بقاراً من أهلها [وهم نصارى] : أنهم يتعدون على أهل الفسياع، ويعيون من يقع إليهم إلى الفريج بمحصن عكا، فأمر العسكر بنهبهم فنهبوا، وقتل كبارهم وسبي النساء والأولاد . وقدم عليه العسكر المجهز إلى سيس، وقتلوا له نصيبه من الغنائم ففرق الجميع على عساكره؛ وأحسن إلى ممتلك سيس^(٢) ومن معه من الأسرى . وعاد [السلطان] إلى دمشق في ربيع عشرية — وممتلك سيس بين يديه —، وخلع على الأمراء والملوك والأجناد، فامتلاّت دمشق بالمكاسب، وأبيع من الجواهر والحلى والدقيق والحريز ما لا يحصى كثرة، ولم يتعرض السلطان لشيء من ذلك . وعاد صاحب حماة إلى مملكته، بعدما أتم عليه السلطان بكثير من الخيول والأموال^(٣) .
- و[فيها] قدمت رسل الملك أبنا بن هولاً كوهدايا وطلب الصلح . وفيها أمر [السلطان] بجمع أصحاب الماهات، بجمعوا بخان السبيل ظاهر باب الفتوح من القاهرة، ونقلوا إلى مدينة الفيوم وأُفردت لهم بلدة تنقل عليهم ما يكفيهم، فلم يستقروا بها وتفرقوا ورجع كثير منهم إلى القاهرة . وفيها اشتد إنكار السلطان للنكر، وأراق الخمر وعنى آثار المنكرات، ومنع انكحانات والخطاطي بجميع أقطار مملكته بمصر والشام؛ فظهرت البقاع من ذلك . وقال القاضي ناصر الدين أحمد بن محمد بن منصور بن أبي بكر بن قاسم بن مختار بن المنير قاضي الإسكندرية، لما وردت إليه المراسيم بالإسكندرية وعنى متوليها أثر المحرمات :

(١) تقع هذه البلدة، وهي قارة المذكورة في ياقوت (معجم البلدان، ج ٤، ص ١٢ — ١٣)، على الطريق من دمشق إلى حمص .

(٢) أخيف ما بين القوسين من أبي القداء (المختصر في أخبار البشر، ص ١٥١، في (Rec. Hist. Or. I.)). انظر (النوري : نهاية الأرب، ج ٢٨، ص ٤٩٠، ابن أبي الفضائل : كتاب التيج السديد، ص ١٥٢، وما بعدها) حيث توجد تفاصيل كثيرة في هذا الصدد .

(٣) المقصود بممتلك سيس هنا ليفون (Leon III)، المذكور في ص ٢٥٢، سطر ١

(٤) فرق هذا اللفظ في إشارة إلى عبارة أراد المقرئ أن يستردّها هنا، غير أنّه لا يوجد بين العبارات الواردة بها من الصفحة ما يصح أن يثبت بعد اللفظ المشار إليه، هذا فضلاً عن أن كل العبارات المذكورة قد أدمجت في مواضعها المناسبة .

(٥) الخانات — والمقرء خاتة — أما كن العت والاستتار (Dozy : Suppl. Dict. Ar.)، وقد ترجمها (les cabarets, les lieux de débauche) إلى (Quatremère : Op. Cit. I. 2. p. 36) .

ليس لإيليس عندنا أرب * غير بلاد الأمير مأواه

حرمته أنجر والحشيش معا * حرمته ماء ومرعاه

وقال أبو الحسين الجزار :

قد عطل الكوب من حبابه * وأخلى الثغر من رضابه

وأصبح الشيخ وهو يكي * على الذي فات من شبابه

وفيها قدم على بن الخليفة المستعصم من الأسر عند التار .

ومات في هذه السنة من الأعيان الأمير جمال الدين أيدغدى العزى ، بعد فتح صفد .

وتوفى الصاحب شرف الدين أبو محمد عبد الرحمن بن أمين الدين أبي الغنائم سالم بن الحسن

ابن هبة الله بن محفوظ بن صصرى التتلي دمشق ، ناظر الدواوين بها ، عن سبع وستين سنة .

وتوفى جمال الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الجليل بن عبد الكريم الموقاني المقدسى الشافى ،

أحدث الأديب .

♦ ♦ ♦

سنة خمس وستين وستمائة . في المحرم بعث السلطان الأمير سيف الدين بكتمر الساق ،

والأمير شهاب الدين بوزبا ، في عدة من المسكر ورجال جيلة . ففعلوا أقصا الفرج ،

وعادوا إلى صفد . وفيه قدمت نجدة للفرنج من قبرص ، وعدتها نحو ألف (١٤٣) ومائة

(١) توجد بقالة هذا القبط هامش الصفحة في س البارة الآتية ، نصها مصححا : " وفيها زل السلطان الملك

الظاهر إلى القاهرة في الليل منتكرا ، فرأى بعض الشرط وقد عرى امرأة مرارا يلها ولم يقدر أحد بنهاه ، فلما أصبح

قبض جماعة من المحدثين والولاء وأصحاب الأرباع والخرفاء ، وقطع أيدي الجميع " ، وقد تقدم هذا كله بلفظه وترتيب

بارقة في هامش ص ١٣٩ ب من ص ، وأثبت بالمتن في موضعه (انظر ص ٥٤٠ ، سطر ٤٩ وما يليه) .

(٢) انظر ص ٥٤٩ حاشية ٧ .

(٣) الوفيات التالية وأردت على ورقة منفصلة في ص بين الصفحتين ١٣٤ ب ، ١٣٥ أ وقد وضعت هناك خطأ .

انظر (التويرى : نهاية الأرب ، ج ٢٨ ، ص ٤٣٩ ابن الهادي : شذرات الذهب ، ج ٥ ، ص ٣١٤ وما بعدها) .

(٤) في ص " الغنائم " . (٥) المقصود بهذا الوصف أهل البلاد الجبلية بالشام ، مثل جبل القدس

وجبل الليل وجبل نابلس . (Quatremère : Op. Cit. I. 2. p. 38. n. 43) .

(٦) أرسل هذه النجدة تلك السنة (Hugh of Antioch, Regent of Cyprus) . انظر

(King. The Knights Hospitallers In The Holy Land, p. 261)

فارس ، وأغاروا على بلد طبرية . نخرج العسكر إلى عكا ، وواقع الفرنج فقتلوا منهم كثيرا ،
وانتهزم الباقي إلى عكا وتحمل فيها عزاء من قتل^(١) .

- وفي ثانيه نخرج السلطان من دمشق بساكره إلى القوّار [يريد الديار المصرية] ، وسار^(٢)
منه جريدة إلى [الكرك وزل بركة] زريّاه ، [وركب ليتصيد] فتقطّر عن فرسه في ثامنه ، وتأنر
هناك أياما حتى صلح مزاجه ، وأكثّر من الإنعام على جميع عساكره وأمرائه بجميع كلفهم .
من غلات الكرك ، وعمّ بذلك الخواص والكثاب ، وفرق فيهم جملا كثيرة من المال . واستدعى
[السلطان] أمراء غزّة وأحسن إليهم ، وطلب الأمير عز الدين أيدمر نائب الكرك وأعطاه
ألف دينار وخلع عليه ، وسير الخلع إلى أهل الكرك . ثم سار في محفة على أعناق الأمراء
والخواص إلى غزّة ، وسار منها إلى بليس ، فلقاه ابنه بركة في ثالث صفر ومعه الأمير
عز الدين الحلبي ، وزيّت القاهرة . فلم يزل [السلطان موعوكا] إلى غرة شهر ربيع الأول ،
فركب الفرس وضربت البشائر لمافيته ، وسار إلى باب النصر فأقام هناك إلى خامسه . وصعد
[السلطان إلى] القلعة ، وقدم عليه رسول التكفور هيتوم صاحب سيس يشفع في ولده
للسلطان ، فنكّ قيده في ثاني عشره وكتب له موادة على بلاده إلى سنة ، وركب مع السلطان
لرماية البندق في بركة الحب^(٣) .

(١) بلغت خسارة الإشتارية وحدهم في تلك الوقعة ثلاثة وأربعين . انظر (King : Op. Cit. p. 262) .

(٢) أضيف ما بين الأقواس بهذه الفقرة كلها من ابن أبي الفضايل (كتاب التيج السديد ، ص ١٥٦ ، وما بعدها) .

(٣) اسم رسول هيتوم إلى السلطان بيريوس هذه السنة فاساك (Vassak) ، وهو أخو هيتوم المذكور . (البيئ) :
مقد الجمان ، ص ٢٣٥ — ٢٣٦ ، في ١ . (Ree. Hist. Or. II. 1) .

(٤) المقصود بالموادة المسألة والمصالحة والمهادنة . (محيط المحيط) .

(٥) توجد بقالة هذه البشارة في ورقة ملصقة بين الصفحتين ١٤٢ ب ، ١٤٣ ، وبها فذلكة تفسرية
لأربعين ملكة هيتوم المذكور ، ونصها مصححا : "أترناحور (كذا) وناحور أخو إبراهيم الخليل عليه السلام ،
دخلوا في دين النصرانية قبل ظهور الملة الإسلامية . وكانت سكاهم بأرمينية ، وقاعدتها خلاط كرسي الملكة ، ويقال
لملكهم تكفور . فلما ملك المسلمون أرمينية وضربوا عليهم الجزية ، ثم خربت خلاط ، انتقلوا إلى سيس وأدوا الضريبة .
وأول من أعلاه من ملوكهم ملوح بن أليون في زمن نور الدين الشهيد ، و[قد] ملك أذنة والصبصة وطروس من الروم .
ثم قام بعده جماعة إلى أن ملك هيتوم هذا ، وترهب ونصب ابنه ليفون عوضه ، فكان من أمره ما ذكر ، وأمر
وضربت سيس" . انظر ابن أبي الفضايل (كتاب التيج السديد ، ص ٢٣٠ ، وما بعدها) .

وفي آخر ربيع الأول بعث السلطان الأتابك [فارس الدين أقطاي المستعرب]، والصاحب نغر الدين محمد بن الصاحب بهاء الدين بن حنا، لكشف مكان يعمله جامعا بالحسينية . فسارا وانقفا على مناخ الجبال السلطانية، فلما عادا قال السلطان : ” [لا والله ! لا جعلت الجامع مكان الجمال، و] [أولى ما جعلت ميداني الذي [العب فيه الكرة، - و] هو نزهي - جامعا“ . وركب [السلطان] في ثامن ربيع الآخر ومعه الصاحب بهاء الدين والقضاة إلى ميدان قراقوش، ورتب بناءه جامعا، وأن يكون بقية الميدان وقفا عليه . وعاد إلى المدرسة التي أنشأها بين القصرين، وقد اجتمع بها الفقهاء والقراء، فقال : ” هذا مكان جعلته لله تعالى، فإذا ميت لا تدفنوني هنا، ولا تغيروا معالم هذا المكان“، وصعد إلى القلعة .

وفيه وردت مكتبة المنصور صاحب حماة، يستأذن في الحضور إلى مصر ليشاهد عافية السلطان، فأجيب إلى ذلك وقدم في سابع عشره . فخرج السلطان إلى لقائه بالعباسة، وبعث إليه وإلى من معه التشاريف، وعاد إلى القلعة . فسأل المنصور الإذن بالمسير إلى الإسكندرية فأذن له، وسار معه الأمير سنقرجاء الظاهري، وحملت له الإقامة حتى عاد .

(١٤٣ ب) وفي يوم الجمعة ثامن عشر ربيع الآخر أقيمت الجمعة بالجامع الأزهر من القاهرة، وكانت قد بطلت منه منذ ولي قضاء مصر صدر الدين عبد الملك بن درباس، عن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب^(٣) . [وقد ظل كذلك] إلى أن سكن الأمير عز الدين أيمن الحلبي بحواره، فاترع كثيرا من أوقاف الجامع كانت منصوبة بيد جماعة، وتبرع له بمال جزيل، واستطلق له من السلطان مالا، وعمر الواهي من أركانه وجدرانه وبيضه وبلطه ورتع مسقوفه، وفرشه واستجده به مقصورة وعمل فيه منبرا . فتنازع الناس فيه هل تصح

(١) أخيف ما بين الأقواس هذه الفقرة كلها من المقرري (المراعي والاعتبار، ج ٢، ص ٢٩٩ - ٣٠٠).
 (٢) الجامع المقصود هنا هو الجامع الظاهري، ويوجد بالمقرري (نقش المربع والخز، ص ٢٩٩ - ٣٠٠)، وكذلك ابن أبي الفضايل (كتاب التبع السديد، ص ١٦٠ - ١٦١) تفصيلات بصدده أكثر مما هنا .
 (٣) يربيع ابن أبي الفضايل (كتاب التبع السديد، ص ١٥٦، وما بعدها) بتاريخ إبطال الجمعة من الجامع الأزهر إلى سنة ٤٠٣ هـ (١٠١٢ م)، أي في عهد الخليفة الحاكم بأمر الله الفاطمي .

إقامة الجمعة فيه أم لا ، فأجاز ذلك جماعة من الفقهاء ، ومنع منه قاضي القضاة تاج الدين ابن بنت الأعز وغيره . فنكح الحلئ ذلك إلى السلطان ، فكلم فيه قاضي القضاة فصتم على المنع ، فعمل الحلئ بفتوى من أجاز ذلك وأقام فيه الجمعة . وسأل السلطان أن يحضرفامتنع من الحضور ما لم يحضرقاضي القضاة ، فحضر الأتابك والصاحب بهاء الدين وعدة من الأمراء والفقهاء ، ولم يحضر السلطان ولا قاضي القضاة تاج الدين . وعمل الأمير بدر الدين بيليك الخازندار بالجامع مقصورة ، ورتب فيها مدرسا وجماعة من الفقهاء على مذهب الشافعي ، ورتب محدثا يسمع الحديث النبوي والرفاعي ، ورتب سبعة لقراءة القرآن العظيم ، وعمل على ذلك أوقافا تكفيه .

وفي جمادى الآخرة وصلت رسل الدعوة بجملة من الذهب ، وقالوا : " هذا المال الذي كنا نحمله قطيعة للفرنج قد حملناه ليت مال المسلمين ، لينفق في المجاهدين " . وقد كان أصحاب بيت الدعوة فيما مضى من الزمان يقطعون مصانعات الملوك ، ويمحبون القطيعة من الخلفاء ، ويأخذون من مملكة مصر القطيعة في كل سنة ، فصاروا يحملون القطيعة للآل الظاهر لقيامه بالجهاد في سبيل الله .

وفيه عمرت قلعة قاقون عوضا عن قيسارية وأرسوف ، وعمرت الكنيسة التي كانت للنصارى هناك جامعا ، وسكن هناك جماعة فصاروا بلدة طامرة بالأسواق . وفيه أتم

(١) الرفاعي — والمقرء رقيقة ، ويقال الرفاق أيضا ومفرده رفيق — لفظ اصطلاح يطلق في كتب الحديث الكبرى على باب خاص من أبواب الحديث النبوي ، وسميت أحاديث ذلك الباب بهذا الاسم لأن فيها من الوفاء والرحمة والتنبه ما يجمل القلب رفقا رفيا ، فيقال باب الرفاق ، وباب الرفاق ، والتسمية الثانية أكثر شيوعا . (أحمد أمين) .
(٢) في ص "سما" .

(٣) اراجع أن المقصود بالمصانعات هنا أموال الرثوة والمداراة ، فحى محيط المحيط "صانسه مصانعة وشاه وداراه وداعه" . انظر أيضا (Dozy: Supp. Dict. Ar.) ، حيث توجد عدة أمثلة لاستعمال فعل "صانم" بهذا المعنى ، ومنها : "صانهم أهلها بشرين ألف دينار" .

(٤) بنصر ضبط في ص ، وهى حصن فلسطين قرب الرملة (باقرت : معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ١٨) ، واسمها في الحريات الصليبية (Caco, Chaco, Quaquo) . انظر (Le Strange: Palest. Under Moslems. p. 475) .

السلطان باستخراج الزكاة من سائر الجهات : فاستخرج من بلاد المغرب زكاة مواشيهم وزكاة زروعهم ، واستخرج من جهات سواكن وجزائرها الزكاة . وبعث [السلطان] إلى الجحاز الأمير شكال بن محمد ، فطلب العبدان من الأمير جحاز أمير المدينة النبوية ، فدافعه فغضى إلى بنى خالد يستعين بهم على حرب جحاز ، ثم (١٤٤) خاف وبعث إلى السلطان يطلب إرسال من يستخلفه على استخراج حقوق الله .

وفي سابع عشره توجه السلطان في جماعة من أمرائه إلى الشام ، وترك أكثر المساكين [بالديار المصرية] . و[كان] معه المنصور صاحب حماة ، فقتل [السلطان] غزوة ، ومضى صاحب حماة إلى مملكته بعد زيارة القدس . فقدمت رسل الفرنج على السلطان بغزة ، ومعه الهدايا وعدة من أسرى المسلمين ، فكسا الأسرى وأطلقهم . ورحل [السلطان] إلى صفد ، فورد الخبر [عليه هناك] بتوجه التتار إلى الرجة ، فسار إلى دمشق [مسرعا] فدخلها في رابع عشر رجب . وجاء الخبر بقدم التتار إلى الرجة ، وأن أهلها قتلوا وأسروا منهم كثيرا وهزمهم ، فأقام بدمشق خمسة أيام ، وعاد إلى صفد في رابع عشره . [ورتب السلطان أمر عمارة صفد] ، وقسم خندقها على الأمراء ، وأخذ لنفسه نصيبا وافرا عمل فيه بنفسه ، فتبعه الأمراء والناس في العمل وقتل المجاعة ورعى التراب وصاروا يتسابقون . فوردت عليه رسل الفرنج يطلبون الصلح ، فأروا الاهتمام في المعارة .

ثم إنه [بنفسه في بعض تلك الأيام أن جماعة من الفرنج بكا تخرج منها غدوة وتبقى ظاهرها إلى مخوة ، فسرى ليلة ببعض عسكره ، و[أمر بالركوب خفية فركب وقد اطمأن الفرنج ، فلم يشعروا به إلا وهو على باب عكا] ووضع السيف في الفرنج ، وصارت الرموس

(١) أضيف ما بين الأقواس بهذه الفقرة والتي تليها من النص (مقد الجمان ، ص ٢٢٤ ، في Rec. Hist.)

Or. II. 1.

(٢) كان مما فعله السلطان لإخفاء هذه السرية ، التي كانت مكونة من فرقتين من انبثالة ، أنه ألبس عسكر إحداهما

ملابس الفرسان الاسبتارية والثانية ملابس فرسان الدارية (King : The Knights Hospitallers In The

Holy Land. p. 262).

تعمل إليه من كل جهة . وكان الحز ، فعلت عبادة على رخ ليستظل بها ، وبات تلك الليلة وأصبح على حاله ، ثم عاد إلى صفد . وقدمت رسل سيس بالهدية ، فأرأوا رسل الفرنج وأرأوا رموس القنبل على الرماح . وقدمت الأسرى من هذه الغارة فضربت أعناقهم ، وطلب [السلطان] رسل الفرنج وقال لهم : "هذه النارة في مقابلة غارتكم على بلاد الشقيف" ، ورتهم من غير إجابتهم إلى الصلح .

- ثم ركب [السلطان] في حادى عشرى شعبان وساق من صفد إلى عكا ، فما علم به الفرنج حتى وقف على أبوابها : فقسّم البنائين والمجارين والناس على البساتين والأبنية والآبار لهدمها ، فاقسموا ذلك وشرعوا في الهدم وقطع الأشجار . وعمل [السلطان] البرك بنفسه على باب عكا ، وصار واقفا على فرسه ويده رخ مدّة أربعة أيام ، حتى تكامل الإحراق والهدم وقطع الأشجار . ثم رجع إلى صفد ، فوردت رسل سيس ورسل بيروت^(١) ، فأجيبوا عن مقاصدهم .
- وفي شهر رمضان وردت رسل صور يطلبون استمرار الهدنة ، فأجيبوا إلى الصلح ، وكتب هدية مدّة عشرين لصور وبلادها — وهى مائة قرية إلا قرية — ، بعد ما أحضروا دية السابق شاهين الذى قتلوه لأولاده^(٢) ، وهى خمسة عشر ألف دينار صورية ، قاموا بنصفها وأمهلوا بالباقي — ، وأحضروا [أيضا] عدّة أسرى مغاربة . وقدمت^(٣) (١٤٤ ب) رسل بيت

(١) أتى رسل بيروت تلك السنة من قبل صاحبتها الأميرة (Isabel d'Ibelin) ، وكان سبب مجيئهم حسبما جاء فى العنى (عهد الجمان ، ص ٢٢٥ ، فى Rec. Hist. Or. II. 1. ، أن أخت هذه الأميرة كان "قد غدر بمركب لالمان" ، فبه جماعة من التجار كانوا متوجهين إلى قبرس ، فطالبهم السلطان بحال التجار ، فالتزموا به والتزموا بإطلاق التجار ، وتقرر الصلح" . انظر (King : The Knights Hospitallers In The Holy Land. p. 262) .

(٢) كان صاحب صور تلك السنة (Philip de Montfort) . انظر (King : Op. Cit. p. 262) .

(٣) كان السابق شاهين المذكور غلاما للسلطان يبرس ، وكان قد قتل فى صور ، فاشتراط السلطان لأجل استمرار الهدنة أن تدفع صورية لأولاد القنبل ، كما ورد بالحق . انظر النورى (نهاية الأرب ، ج ٢٨ ، ص ٩١) .

(٤) فى "منارة" ، والصيغة المنيقة هاتمن (Quatremère : Op. Cit. I. 2. p. 42) . انظر النورى (نهاية الأرب ، ج ٢٨ ، ص ٩١) ، حيث ورد هذا القتل بـ "المغازية" .

الإمبار من الفرنج يطلبون الصلح على حصن الأكراد والمرقب ، فأجيبوا وتقررت الهدنة لعشرين وعشرة أشهر [وعشرة أيام] وعشر ساعات ؛ وطلت القطائع عن بلاد الدعوة وعن حماة وشيزر وأفامية وعن أبي قبيس ، وقد تقدم ذلك ؛ وبطل أيضا ما كان على عيذاب ، وهو خمسمائة دينار صورية وعن كل فدان مكوكان غلة وستة دراهم .

وقدم الشريف بدر الدين مالك بن منيف بن شيعة من المدينة النبوية يشكو من الشريف حمزة أمير المدينة ، وأن الإمرة كانت نصفين بين أبيه ووالد حمزة . فكتب لهما أن يسلمه نصف الإمرة ، وكتب له تقليد بذلك وبنصف أوقاف المدينة النبوية التي بالشام ومصر وسلمت إليه ؛ فامتل حمزة ما رُسم به .

وفي ذي الحجة تزحّت بئر السقاية التي بالقدس حتى اشتد عطش الناس بها ، فقتل شخص إلى البئر فإذا قناة مسدودة ، فأعلم الأمير علاء الدين الحاج الركني نائب القدس . فاحضر [الأمير] بنائين وكشف البناء ، فأفضى بهم في قناة إلى تحت الصخرة ، فوجدوا هناك بابا مقنطرا قد سدّ ، ففتحوه فخرج منه ماء كاد يفرقهم . فكتب بذلك إلى السلطان ، وأنه لما نقص ماء السقاية دخل الصناع فوجدوا سداً ذهب فيه الجبارون قدر عشرين يوما ، ووجد سقف مقلط فيجب فيه قدر مائة وعشرين ذراعا بالعمل ، فخرج الماء وملا القناة .

(١) ليس لما بين القوسين وجود في س ، ولكنه في ب (١٧١) ، وفي التورى (نهاية الأرب ، ج ٢٨ ، ص ٩١) .

(٢) في س "يوقيس" .

(٣) كذا في س بهذا الخط والقطع ، وهي في التورى (نهاية الأرب ، ج ٢٨ ، ص ٩١) "عاب" ، ولها صيناب المروية ، وقد ترجمها (Quatremère : Op. Cit. I. 2. p. 42) إلى ذلك .

(٤) هذا القطع اسم مفعول من قطع ، وهو تحريف فعل جلقط ، ومعناه سدّ دروز ألواح السفينة بالخيط أو بآخر والقير ، وتسمى المواد المستعملة لهذا الغرض بأسم الجلفاط أو الجلفاط . (محيط المحيط) . ومن فعل قطع — أربطقط — أخذ القمل الفرنسي (calafet) ، ومعناه سدّ . (Quatremère : Op. Cit. I. 2. p. 43. n. 51) .

(٥) المقصود بذلك التراوح المعاري ، الذي تقاس به أرض البنيان من الدور وغيرها ، وتقاس ثلاثة أشبار بشبر الرجل الممتل . (التقشعي : ص ٤٣ ، ج ٤ ، ص ٤٤٦) .

وفي هذه السنة أنشأ السلطان قنطرة على بحر أبي المنجا بناحية بيسوس^(١) وتولى عملها الأمير عز الدين أيك الأفرم، بغضت من أعظم القناطر . وفيها أنشأ السلطان القصر الألبق بدمشق بالميدان الأخضر^(٢) على نهر بردى ، فتولى عمل ذلك الأمير أقوش التجي نائب دمشق، فعمره بالرخام الأبيض والأسود، و[جعل] جانباً عظيماً [منه] تحف به البساتين والأشجار من كل ناحية، ولم يعمل بدمشق قبله مثله . وما زال عامراً تزله الملوك ، إلى أن هدمه تيمورلنك في سنة ثلاث وثمانمائة، عند حريق دمشق وتخرابها .

وفيها جلس منكومر بن طغان بن باتوقان بن دوشى خان بن جنكخان على كرسي مملكة القفجاق بمدينة صراى، عوضاً عن الملك بركة خان بن دوشى خان بن جنكخان، بعد وفاته [هذه السنة]^(٣) . وكان بركة خان قد مال إلى دين الإسلام، وهو أعظم ملوك الطغتر، وكرسي مملكته مدينة صراى .

وفيها مات قاضى القضاة تاج الدين [أبو محمد] عبد الوهاب بن خلف [بن أبي القاسم] العلماي [الشافعي]، المعروف بابن بنت الأعز، في صايع عشرى شهر رجب، [عن إحدى

(١) كذا في م ، وهي قرية صغيرة بمديرية القلبيوية الحالية ، وموقعها على الشاطئ الشرقى لفسح دياط ، وكانت من مراكز الطبر المرتبة من القاهرة إلى دياط ، واسمها الحال باموس . (مبارك : المخطوط التوفيقية ، ج ١٠ ص ٢٥) .

(٢) في م " والميدان " ، وقد عدل هذا اللفظ بحرف الجر ، وأضيف ما بين الأقواس بعد مراجعة (Enc. Isl. Art. Damascus) : التورى : نهاية الأدب ، ج ٢٨ ص ٤٠) .
(٣) انظر الحاشية التالية .

(٤) في م ، وفي أبي الفداء (المختصر في أخبار البشر ، ص ١٥٢ ، في . Rec. Hist. Or. I.) ، " بركة خان ابن صاين خان بن دوشى خان ... " . انظر (Enc. Isl. Art. Berke) ، حيث جاء أيضاً أن بركة خان توفى ولم يترك ولداً ، غلب ملكه إلى منكوتر (Mongke-Timur) المذكور هنا ، وهو ابن ابن أخيه بطوخان .

(٥) أضيف ما بين القوسين بعد مراجعة (Enc. Isl. Art. Berke) .

(٦) هذه الوفاة مكررة فيما على (انظر الصفحة التالية ، حاشية ٣) ، وقد أضيف ما بين الأقواس ما جاء بالرواية الثانية من الزيادة .

ونحسين سنة^(١١) . فولى قضاء القاهرة والوجه البحرى تقي الدين محمد بن الحسين بن رزين الشافى، وولى قضاء مصر محيى الدين عبد الله بن شرف الدين محمد بن عبد الله بن الحسن بن عبد الله بن على بن صدقة بن حفص، المعروف بابن عين الدولة، فى يوم الخميس تاسع شعبان، بمرسوم ورد عليه عقيب وفاة تاج الدين ابن بنت الأعرز، بأن يتولى قضاء مصر والوجه القبلى . وفيها حج الأمير الحلى، وتصلى بمال بعثه به السلطان الملك الظاهر، وحج صاحب محيى الدين بن صاحب بهاء الدين بن حنا .

ومأت فى هذه السنة الأمير ناصر الدين حسين بن عزيز القيمرى، نائب السلطنة بالساحل . وتوفى شهاب الدين أبو القاسم عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم بن عثمان — المعروف بأبى شامة — المقمسى الشافى، بدمشق عن ست وستين سنة^(١٢) .



(١٤٥) سنة ست وستين وستمائة . فى صفر وردت الزكاة والعشر من المدينة النبوية، وعنتها مائة وثمانون رجلاً ومبلغ عشرة آلاف درهم، فاستقل السلطان ذلك وأمر برده . فورد

(١) توجد بالتورى (نهاية الأرب، ج ٢٨، ص ٦٢، وما بعدها) ترجمة واقفة للقاضى ابن بنت الأعرز، ومنها أن "العلامى" نسبة الى قبيلة بنى علامة وهى بطن من نلم، وأنه اشتهر باسم "ابن بنت الأعرز" نسبة الى جده لأنه، وهو صاحب الأعرز نخر الدين أبو القوارس مقدم بن القاضى كمال الدين أبى السادات أحد بن شكر، أحد وزراء السلطان الملك العادل أبى بكر محمد بن أيوب .

(٢) الوفيات التالية وأردت على ورقة منفصلة من الصفحتين ١٤٤ ب، ١٤٥ أ، وليس تمت شك فى مأسبتها هنا . (انظر التورى : نهاية الأرب، ج ٢٨، ص ٦٢، وما بعدها ؛ ابن العباد : شذرات الذهب، ج ٥، ص ٤١٧ وما بعدها) .

(٣) بل هذا فى ص ذكر وفاة قاضى القضاة ابن بنت الأعرز، التى سبق ذكرها أول وفيات هذه السنة، (انظر ص ٥٦١، سطر ١)، ونص هذه الرواية الثانية مصححاً كالآتى: "وتوفى قاضى القضاة تاج الدين أبو محمد عبد الوهاب ابن خلف بن أبى القاسم ابن بنت الأعرز العلماى الشافى فى ليلة الأحد ثامن عشرى رجب عن إحدى وخمسين سنة" .

(٤) توجد فى آخر (Rec Hist. Or. V, p. 207 et seq.) ترجمة طويلة لشهاب الدين أبى شامة، وهو مؤلف كتاب الروضتين فى أخبار الدولتين التورية والصلاحية المتداول هنا بالخوانى، وقد عرف بأبى شامة لأنه كان فوق حاجبه الأمير شامة كبيرة .

- بنو محضر وبنو لام وبنو عترة من عرب الحجاز ، وألتموا زكاة النعم والإبل ، فبعت السلطان معهم شادين لاستخراج ذلك . وفيه قُسمت عمارة صفد على الأمراء ، وأخذ السلطان لنفسه نصيبا وافرا ، وأقيم في عمارة القلعة وأبراجها الأمير سيف الدين الزينى . ومُحِل لها أبواب سر إلى الخندق ، فلما كُتبت على أسوارها : وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزُّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرْثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ، أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ ، أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ . أَمَرَ بتجديد هذه القلعة وتحسينها ، وتكليف عمارتها وتحسينها ، بعد ما خلصها من أسر الفرنج الملاحين ، وردّها إلى يد المسلمين ، ونقلها من حوزة الديوية إلى حوزة المؤمنين ، وأعادها إلى الإيمان كما بدأ بها أول مرّة ، وجعلها للكفار خسارة وحسرة ، واجتهد وجاهد حتى بذل الكفر بالإيمان والناقوس بالأذان والإنجيل بالقرآن ، ووقف بنفسه حتى حمل تراب خنادقها وجاراتها منه بنفسه وبخواصه على الرموس ، السلطان الملك الظاهر أبو الفتح بيبرس . فمن صارت إليه هذه القلعة من ملوك الإسلام ، ومن سكنها من المجاهدين ، فليجعل له نصيبا من أجره ، ولا يُحْلِلْهُ من التّرحم في سرّه وجهره . فقد صار يقال عمر الله صرحها ، بعد ما كان يقال عجل الله فتحها ، والعاقبة للمتقين إلى يوم الدين .“

- وفيه كتب [السلطان] إلى الملك منكوتمر القائم مقام الملك بركة ، بالتعزية والإغراء بولد هولأكو . وفيه رسم [السلطان] بجارة مسجد الخليل عليه السلام ، فتوجه الأمير جمال الدين ابن نهار لعمل ذلك ، حتى أنهى عمارته . وفيه سار السلطان من صفد إلى القاهرة ، فدخل قلعة الجبل سالما في... (٢) . وقدمت رسل [السلطان المظفر شمس الدين يوسف بن عمر بن رسول ملك] اليمن ، بشرين فرسا عليها لامة الحرب ، وقيلة وحمارة وحش عتابية اللون وعتة تحف وطرف . فجُهِزَتْ له خلعة وستعق ، وهدية فيها قبص من ملابس السلطان كان قد سأل فيه ليكون له أمانا ، وسُرِّ [إليه] أيضا جوشن وغيره من آله الحرب ، وقيل

(١) في س "بنوا" ، في الأحوال الثلاث . (٢) ياض في س . (٣) انظر ص ٥٤٣ ، حاشية ٣ .

(٤) الجرشن ها الدرع (محيط المحيط) ، ويقابله في الفرنسية لقط (cuirasse) . انظر (Quatremère : Op.

له : "قد سرتنا إليك آلة السلم وآلة الحرب بما لاصق جسدنا في مواطن الجهاد"، وكتب له : "المقام العالي المولوى السلطاني"، وكتب له السلطان بخطه "الملوك"^(٢) .

وفيه اجتاز السلطان (١٤٥ ب) على السدير قرب العباسة ، فأعجبه فاختار منه مكانا بجى فيه قرية سماها الظاهرية ، وعمرها جامعا . وبينما هو فى الصيد [هناك] إذ بلغه حركة التناثر على حلب ، فباد إلى القلعة وأمر بخروج الخيل ، فلم يعجبه خيام جماعة فأتهم وجرسهم . ونخرج البريد إلى الشام بجهيز العساكر ، فلما خرجوا وساروا إلى بانياس أخرج البريد كتباً مخومة باسم الأمير علم الدين الحصنى والأمير بدر الدين الأتابكى ، وفيها منازلهم للشقيف ؛ فلم يشعر الفرنج إلا بالعساكر على قلعة الشقيف .

وسار السلطان من نعيمه بباب النصر في ثالث جمادى الآخرة إلى غزنة ، فبلغه عن جماعة من الجمالين أنهم تمضوا إلى زرع فقطع أنوفهم ، وبلغه عن الأمير علم الدين سنجر الحموى أنه ساق في زرع ، فآزله عن قرسه وأعطاه بما عليه من السرج والجام لأصاحب الزرع . ثم رحل [السلطان]^(٣) إلى العوجاء .

فلما كان يوم العشرين منه ساق السلطان من العوجاء إلى باقا ، وحاصرها حتى ملكها من يومه ، وأخذ قلعتها وأخرج من كان فيها ، وهدمها كلها وجمع أخشابها ورخامها

(١) يوجد بالقلعشدى (صح الأضى ، ج ٧ ، ص ٣٤٥ — ٣٧٠) خمس صيغ لاختراع المكاتبات الصادرة من سلاطين المماليك بمصر إلى ملوك بنى رسول بآمين ، ومنها الصيغة الواردة هنا بالنسبة ، وكلها تدل بوجه عام على أن ملوك بنى رسول كانوا غالبا في المرتبة الثالثة من كبار ملوك الدول الإسلامية . ويوضح ذلك ما جاء في القلغشدى (قسم المربع ، ج ٦ ، ص ١٢٦) في باب ألقاب المكتوب اليهم من الملوك من الأبواب السلطانية ، وقصه : "الطبعة الأولى ما يصدر بالمقام ، وأعلها المقام الأشرف ودونه المقام الشريف ودونه المقام العالي حاشية ١ ."

(٢) جرى المصطلح في دولة المماليك أن يثبت السلطان نفسه بهذا القطع في المكاتبات الصادرة منه إلى الملوك الكبار .

انظر (القلعشدى : قسم المربع ، ج ٧ ، ص ٣٥٤ ؛ ٣٥٨ ؛ ٣٥٩ ؛ ٣٦٠ ؛ ٣٦١ ؛ ٣٦٢ ؛ ٣٦٣ ؛ ٣٦٤ ؛ ٣٦٥ ؛ ٣٦٦ ؛ ٣٦٧ ؛ ٣٦٨ ؛ ٣٦٩ ؛ ٣٧٠ ؛ ٣٧١ ؛ ٣٧٢ ؛ ٣٧٣ ؛ ٣٧٤ ؛ ٣٧٥ ؛ ٣٧٦ ؛ ٣٧٧ ؛ ٣٧٨ ؛ ٣٧٩ ؛ ٣٨٠ ؛ ٣٨١ ؛ ٣٨٢ ؛ ٣٨٣ ؛ ٣٨٤ ؛ ٣٨٥ ؛ ٣٨٦ ؛ ٣٨٧ ؛ ٣٨٨ ؛ ٣٨٩ ؛ ٣٩٠ ؛ ٣٩١ ؛ ٣٩٢ ؛ ٣٩٣ ؛ ٣٩٤ ؛ ٣٩٥ ؛ ٣٩٦ ؛ ٣٩٧ ؛ ٣٩٨ ؛ ٣٩٩ ؛ ٤٠٠ ؛ ٤٠١ ؛ ٤٠٢ ؛ ٤٠٣ ؛ ٤٠٤ ؛ ٤٠٥ ؛ ٤٠٦ ؛ ٤٠٧ ؛ ٤٠٨ ؛ ٤٠٩ ؛ ٤١٠ ؛ ٤١١ ؛ ٤١٢ ؛ ٤١٣ ؛ ٤١٤ ؛ ٤١٥ ؛ ٤١٦ ؛ ٤١٧ ؛ ٤١٨ ؛ ٤١٩ ؛ ٤٢٠ ؛ ٤٢١ ؛ ٤٢٢ ؛ ٤٢٣ ؛ ٤٢٤ ؛ ٤٢٥ ؛ ٤٢٦ ؛ ٤٢٧ ؛ ٤٢٨ ؛ ٤٢٩ ؛ ٤٣٠ ؛ ٤٣١ ؛ ٤٣٢ ؛ ٤٣٣ ؛ ٤٣٤ ؛ ٤٣٥ ؛ ٤٣٦ ؛ ٤٣٧ ؛ ٤٣٨ ؛ ٤٣٩ ؛ ٤٤٠ ؛ ٤٤١ ؛ ٤٤٢ ؛ ٤٤٣ ؛ ٤٤٤ ؛ ٤٤٥ ؛ ٤٤٦ ؛ ٤٤٧ ؛ ٤٤٨ ؛ ٤٤٩ ؛ ٤٥٠ ؛ ٤٥١ ؛ ٤٥٢ ؛ ٤٥٣ ؛ ٤٥٤ ؛ ٤٥٥ ؛ ٤٥٦ ؛ ٤٥٧ ؛ ٤٥٨ ؛ ٤٥٩ ؛ ٤٦٠ ؛ ٤٦١ ؛ ٤٦٢ ؛ ٤٦٣ ؛ ٤٦٤ ؛ ٤٦٥ ؛ ٤٦٦ ؛ ٤٦٧ ؛ ٤٦٨ ؛ ٤٦٩ ؛ ٤٧٠ ؛ ٤٧١ ؛ ٤٧٢ ؛ ٤٧٣ ؛ ٤٧٤ ؛ ٤٧٥ ؛ ٤٧٦ ؛ ٤٧٧ ؛ ٤٧٨ ؛ ٤٧٩ ؛ ٤٨٠ ؛ ٤٨١ ؛ ٤٨٢ ؛ ٤٨٣ ؛ ٤٨٤ ؛ ٤٨٥ ؛ ٤٨٦ ؛ ٤٨٧ ؛ ٤٨٨ ؛ ٤٨٩ ؛ ٤٩٠ ؛ ٤٩١ ؛ ٤٩٢ ؛ ٤٩٣ ؛ ٤٩٤ ؛ ٤٩٥ ؛ ٤٩٦ ؛ ٤٩٧ ؛ ٤٩٨ ؛ ٤٩٩ ؛ ٥٠٠ ؛ ٥٠١ ؛ ٥٠٢ ؛ ٥٠٣ ؛ ٥٠٤ ؛ ٥٠٥ ؛ ٥٠٦ ؛ ٥٠٧ ؛ ٥٠٨ ؛ ٥٠٩ ؛ ٥١٠ ؛ ٥١١ ؛ ٥١٢ ؛ ٥١٣ ؛ ٥١٤ ؛ ٥١٥ ؛ ٥١٦ ؛ ٥١٧ ؛ ٥١٨ ؛ ٥١٩ ؛ ٥٢٠ ؛ ٥٢١ ؛ ٥٢٢ ؛ ٥٢٣ ؛ ٥٢٤ ؛ ٥٢٥ ؛ ٥٢٦ ؛ ٥٢٧ ؛ ٥٢٨ ؛ ٥٢٩ ؛ ٥٣٠ ؛ ٥٣١ ؛ ٥٣٢ ؛ ٥٣٣ ؛ ٥٣٤ ؛ ٥٣٥ ؛ ٥٣٦ ؛ ٥٣٧ ؛ ٥٣٨ ؛ ٥٣٩ ؛ ٥٤٠ ؛ ٥٤١ ؛ ٥٤٢ ؛ ٥٤٣ ؛ ٥٤٤ ؛ ٥٤٥ ؛ ٥٤٦ ؛ ٥٤٧ ؛ ٥٤٨ ؛ ٥٤٩ ؛ ٥٥٠ ؛ ٥٥١ ؛ ٥٥٢ ؛ ٥٥٣ ؛ ٥٥٤ ؛ ٥٥٥ ؛ ٥٥٦ ؛ ٥٥٧ ؛ ٥٥٨ ؛ ٥٥٩ ؛ ٥٦٠ ؛ ٥٦١ ؛ ٥٦٢ ؛ ٥٦٣ ؛ ٥٦٤ ؛ ٥٦٥ ؛ ٥٦٦ ؛ ٥٦٧ ؛ ٥٦٨ ؛ ٥٦٩ ؛ ٥٧٠ ؛ ٥٧١ ؛ ٥٧٢ ؛ ٥٧٣ ؛ ٥٧٤ ؛ ٥٧٥ ؛ ٥٧٦ ؛ ٥٧٧ ؛ ٥٧٨ ؛ ٥٧٩ ؛ ٥٨٠ ؛ ٥٨١ ؛ ٥٨٢ ؛ ٥٨٣ ؛ ٥٨٤ ؛ ٥٨٥ ؛ ٥٨٦ ؛ ٥٨٧ ؛ ٥٨٨ ؛ ٥٨٩ ؛ ٥٩٠ ؛ ٥٩١ ؛ ٥٩٢ ؛ ٥٩٣ ؛ ٥٩٤ ؛ ٥٩٥ ؛ ٥٩٦ ؛ ٥٩٧ ؛ ٥٩٨ ؛ ٥٩٩ ؛ ٦٠٠ ؛ ٦٠١ ؛ ٦٠٢ ؛ ٦٠٣ ؛ ٦٠٤ ؛ ٦٠٥ ؛ ٦٠٦ ؛ ٦٠٧ ؛ ٦٠٨ ؛ ٦٠٩ ؛ ٦١٠ ؛ ٦١١ ؛ ٦١٢ ؛ ٦١٣ ؛ ٦١٤ ؛ ٦١٥ ؛ ٦١٦ ؛ ٦١٧ ؛ ٦١٨ ؛ ٦١٩ ؛ ٦٢٠ ؛ ٦٢١ ؛ ٦٢٢ ؛ ٦٢٣ ؛ ٦٢٤ ؛ ٦٢٥ ؛ ٦٢٦ ؛ ٦٢٧ ؛ ٦٢٨ ؛ ٦٢٩ ؛ ٦٣٠ ؛ ٦٣١ ؛ ٦٣٢ ؛ ٦٣٣ ؛ ٦٣٤ ؛ ٦٣٥ ؛ ٦٣٦ ؛ ٦٣٧ ؛ ٦٣٨ ؛ ٦٣٩ ؛ ٦٤٠ ؛ ٦٤١ ؛ ٦٤٢ ؛ ٦٤٣ ؛ ٦٤٤ ؛ ٦٤٥ ؛ ٦٤٦ ؛ ٦٤٧ ؛ ٦٤٨ ؛ ٦٤٩ ؛ ٦٥٠ ؛ ٦٥١ ؛ ٦٥٢ ؛ ٦٥٣ ؛ ٦٥٤ ؛ ٦٥٥ ؛ ٦٥٦ ؛ ٦٥٧ ؛ ٦٥٨ ؛ ٦٥٩ ؛ ٦٦٠ ؛ ٦٦١ ؛ ٦٦٢ ؛ ٦٦٣ ؛ ٦٦٤ ؛ ٦٦٥ ؛ ٦٦٦ ؛ ٦٦٧ ؛ ٦٦٨ ؛ ٦٦٩ ؛ ٦٧٠ ؛ ٦٧١ ؛ ٦٧٢ ؛ ٦٧٣ ؛ ٦٧٤ ؛ ٦٧٥ ؛ ٦٧٦ ؛ ٦٧٧ ؛ ٦٧٨ ؛ ٦٧٩ ؛ ٦٨٠ ؛ ٦٨١ ؛ ٦٨٢ ؛ ٦٨٣ ؛ ٦٨٤ ؛ ٦٨٥ ؛ ٦٨٦ ؛ ٦٨٧ ؛ ٦٨٨ ؛ ٦٨٩ ؛ ٦٩٠ ؛ ٦٩١ ؛ ٦٩٢ ؛ ٦٩٣ ؛ ٦٩٤ ؛ ٦٩٥ ؛ ٦٩٦ ؛ ٦٩٧ ؛ ٦٩٨ ؛ ٦٩٩ ؛ ٧٠٠ ؛ ٧٠١ ؛ ٧٠٢ ؛ ٧٠٣ ؛ ٧٠٤ ؛ ٧٠٥ ؛ ٧٠٦ ؛ ٧٠٧ ؛ ٧٠٨ ؛ ٧٠٩ ؛ ٧١٠ ؛ ٧١١ ؛ ٧١٢ ؛ ٧١٣ ؛ ٧١٤ ؛ ٧١٥ ؛ ٧١٦ ؛ ٧١٧ ؛ ٧١٨ ؛ ٧١٩ ؛ ٧٢٠ ؛ ٧٢١ ؛ ٧٢٢ ؛ ٧٢٣ ؛ ٧٢٤ ؛ ٧٢٥ ؛ ٧٢٦ ؛ ٧٢٧ ؛ ٧٢٨ ؛ ٧٢٩ ؛ ٧٣٠ ؛ ٧٣١ ؛ ٧٣٢ ؛ ٧٣٣ ؛ ٧٣٤ ؛ ٧٣٥ ؛ ٧٣٦ ؛ ٧٣٧ ؛ ٧٣٨ ؛ ٧٣٩ ؛ ٧٤٠ ؛ ٧٤١ ؛ ٧٤٢ ؛ ٧٤٣ ؛ ٧٤٤ ؛ ٧٤٥ ؛ ٧٤٦ ؛ ٧٤٧ ؛ ٧٤٨ ؛ ٧٤٩ ؛ ٧٥٠ ؛ ٧٥١ ؛ ٧٥٢ ؛ ٧٥٣ ؛ ٧٥٤ ؛ ٧٥٥ ؛ ٧٥٦ ؛ ٧٥٧ ؛ ٧٥٨ ؛ ٧٥٩ ؛ ٧٦٠ ؛ ٧٦١ ؛ ٧٦٢ ؛ ٧٦٣ ؛ ٧٦٤ ؛ ٧٦٥ ؛ ٧٦٦ ؛ ٧٦٧ ؛ ٧٦٨ ؛ ٧٦٩ ؛ ٧٧٠ ؛ ٧٧١ ؛ ٧٧٢ ؛ ٧٧٣ ؛ ٧٧٤ ؛ ٧٧٥ ؛ ٧٧٦ ؛ ٧٧٧ ؛ ٧٧٨ ؛ ٧٧٩ ؛ ٧٨٠ ؛ ٧٨١ ؛ ٧٨٢ ؛ ٧٨٣ ؛ ٧٨٤ ؛ ٧٨٥ ؛ ٧٨٦ ؛ ٧٨٧ ؛ ٧٨٨ ؛ ٧٨٩ ؛ ٧٩٠ ؛ ٧٩١ ؛ ٧٩٢ ؛ ٧٩٣ ؛ ٧٩٤ ؛ ٧٩٥ ؛ ٧٩٦ ؛ ٧٩٧ ؛ ٧٩٨ ؛ ٧٩٩ ؛ ٨٠٠ ؛ ٨٠١ ؛ ٨٠٢ ؛ ٨٠٣ ؛ ٨٠٤ ؛ ٨٠٥ ؛ ٨٠٦ ؛ ٨٠٧ ؛ ٨٠٨ ؛ ٨٠٩ ؛ ٨١٠ ؛ ٨١١ ؛ ٨١٢ ؛ ٨١٣ ؛ ٨١٤ ؛ ٨١٥ ؛ ٨١٦ ؛ ٨١٧ ؛ ٨١٨ ؛ ٨١٩ ؛ ٨٢٠ ؛ ٨٢١ ؛ ٨٢٢ ؛ ٨٢٣ ؛ ٨٢٤ ؛ ٨٢٥ ؛ ٨٢٦ ؛ ٨٢٧ ؛ ٨٢٨ ؛ ٨٢٩ ؛ ٨٣٠ ؛ ٨٣١ ؛ ٨٣٢ ؛ ٨٣٣ ؛ ٨٣٤ ؛ ٨٣٥ ؛ ٨٣٦ ؛ ٨٣٧ ؛ ٨٣٨ ؛ ٨٣٩ ؛ ٨٤٠ ؛ ٨٤١ ؛ ٨٤٢ ؛ ٨٤٣ ؛ ٨٤٤ ؛ ٨٤٥ ؛ ٨٤٦ ؛ ٨٤٧ ؛ ٨٤٨ ؛ ٨٤٩ ؛ ٨٥٠ ؛ ٨٥١ ؛ ٨٥٢ ؛ ٨٥٣ ؛ ٨٥٤ ؛ ٨٥٥ ؛ ٨٥٦ ؛ ٨٥٧ ؛ ٨٥٨ ؛ ٨٥٩ ؛ ٨٦٠ ؛ ٨٦١ ؛ ٨٦٢ ؛ ٨٦٣ ؛ ٨٦٤ ؛ ٨٦٥ ؛ ٨٦٦ ؛ ٨٦٧ ؛ ٨٦٨ ؛ ٨٦٩ ؛ ٨٧٠ ؛ ٨٧١ ؛ ٨٧٢ ؛ ٨٧٣ ؛ ٨٧٤ ؛ ٨٧٥ ؛ ٨٧٦ ؛ ٨٧٧ ؛ ٨٧٨ ؛ ٨٧٩ ؛ ٨٨٠ ؛ ٨٨١ ؛ ٨٨٢ ؛ ٨٨٣ ؛ ٨٨٤ ؛ ٨٨٥ ؛ ٨٨٦ ؛ ٨٨٧ ؛ ٨٨٨ ؛ ٨٨٩ ؛ ٨٩٠ ؛ ٨٩١ ؛ ٨٩٢ ؛ ٨٩٣ ؛ ٨٩٤ ؛ ٨٩٥ ؛ ٨٩٦ ؛ ٨٩٧ ؛ ٨٩٨ ؛ ٨٩٩ ؛ ٩٠٠ ؛ ٩٠١ ؛ ٩٠٢ ؛ ٩٠٣ ؛ ٩٠٤ ؛ ٩٠٥ ؛ ٩٠٦ ؛ ٩٠٧ ؛ ٩٠٨ ؛ ٩٠٩ ؛ ٩١٠ ؛ ٩١١ ؛ ٩١٢ ؛ ٩١٣ ؛ ٩١٤ ؛ ٩١٥ ؛ ٩١٦ ؛ ٩١٧ ؛ ٩١٨ ؛ ٩١٩ ؛ ٩٢٠ ؛ ٩٢١ ؛ ٩٢٢ ؛ ٩٢٣ ؛ ٩٢٤ ؛ ٩٢٥ ؛ ٩٢٦ ؛ ٩٢٧ ؛ ٩٢٨ ؛ ٩٢٩ ؛ ٩٣٠ ؛ ٩٣١ ؛ ٩٣٢ ؛ ٩٣٣ ؛ ٩٣٤ ؛ ٩٣٥ ؛ ٩٣٦ ؛ ٩٣٧ ؛ ٩٣٨ ؛ ٩٣٩ ؛ ٩٤٠ ؛ ٩٤١ ؛ ٩٤٢ ؛ ٩٤٣ ؛ ٩٤٤ ؛ ٩٤٥ ؛ ٩٤٦ ؛ ٩٤٧ ؛ ٩٤٨ ؛ ٩٤٩ ؛ ٩٥٠ ؛ ٩٥١ ؛ ٩٥٢ ؛ ٩٥٣ ؛ ٩٥٤ ؛ ٩٥٥ ؛ ٩٥٦ ؛ ٩٥٧ ؛ ٩٥٨ ؛ ٩٥٩ ؛ ٩٦٠ ؛ ٩٦١ ؛ ٩٦٢ ؛ ٩٦٣ ؛ ٩٦٤ ؛ ٩٦٥ ؛ ٩٦٦ ؛ ٩٦٧ ؛ ٩٦٨ ؛ ٩٦٩ ؛ ٩٧٠ ؛ ٩٧١ ؛ ٩٧٢ ؛ ٩٧٣ ؛ ٩٧٤ ؛ ٩٧٥ ؛ ٩٧٦ ؛ ٩٧٧ ؛ ٩٧٨ ؛ ٩٧٩ ؛ ٩٨٠ ؛ ٩٨١ ؛ ٩٨٢ ؛ ٩٨٣ ؛ ٩٨٤ ؛ ٩٨٥ ؛ ٩٨٦ ؛ ٩٨٧ ؛ ٩٨٨ ؛ ٩٨٩ ؛ ٩٩٠ ؛ ٩٩١ ؛ ٩٩٢ ؛ ٩٩٣ ؛ ٩٩٤ ؛ ٩٩٥ ؛ ٩٩٦ ؛ ٩٩٧ ؛ ٩٩٨ ؛ ٩٩٩ ؛ ١٠٠٠ ؛ ١٠٠١ ؛ ١٠٠٢ ؛ ١٠٠٣ ؛ ١٠٠٤ ؛ ١٠٠٥ ؛ ١٠٠٦ ؛ ١٠٠٧ ؛ ١٠٠٨ ؛ ١٠٠٩ ؛ ١٠١٠ ؛ ١٠١١ ؛ ١٠١٢ ؛ ١٠١٣ ؛ ١٠١٤ ؛ ١٠١٥ ؛ ١٠١٦ ؛ ١٠١٧ ؛ ١٠١٨ ؛ ١٠١٩ ؛ ١٠٢٠ ؛ ١٠٢١ ؛ ١٠٢٢ ؛ ١٠٢٣ ؛ ١٠٢٤ ؛ ١٠٢٥ ؛ ١٠٢٦ ؛ ١٠٢٧ ؛ ١٠٢٨ ؛ ١٠٢٩ ؛ ١٠٣٠ ؛ ١٠٣١ ؛ ١٠٣٢ ؛ ١٠٣٣ ؛ ١٠٣٤ ؛ ١٠٣٥ ؛ ١٠٣٦ ؛ ١٠٣٧ ؛ ١٠٣٨ ؛ ١٠٣٩ ؛ ١٠٤٠ ؛ ١٠٤١ ؛ ١٠٤٢ ؛ ١٠٤٣ ؛ ١٠٤٤ ؛ ١٠٤٥ ؛ ١٠٤٦ ؛ ١٠٤٧ ؛ ١٠٤٨ ؛ ١٠٤٩ ؛ ١٠٥٠ ؛ ١٠٥١ ؛ ١٠٥٢ ؛ ١٠٥٣ ؛ ١٠٥٤ ؛ ١٠٥٥ ؛ ١٠٥٦ ؛ ١٠٥٧ ؛ ١٠٥٨ ؛ ١٠٥٩ ؛ ١٠٦٠ ؛ ١٠٦١ ؛ ١٠٦٢ ؛ ١٠٦٣ ؛ ١٠٦٤ ؛ ١٠٦٥ ؛ ١٠٦٦ ؛ ١٠٦٧ ؛ ١٠٦٨ ؛ ١٠٦٩ ؛ ١٠٧٠ ؛ ١٠٧١ ؛ ١٠٧٢ ؛ ١٠٧٣ ؛ ١٠٧٤ ؛ ١٠٧٥ ؛ ١٠٧٦ ؛ ١٠٧٧ ؛ ١٠٧٨ ؛ ١٠٧٩ ؛ ١٠٨٠ ؛ ١٠٨١ ؛ ١٠٨٢ ؛ ١٠٨٣ ؛ ١٠٨٤ ؛ ١٠٨٥ ؛ ١٠٨٦ ؛ ١٠٨٧ ؛ ١٠٨٨ ؛ ١٠٨٩ ؛ ١٠٩٠ ؛ ١٠٩١ ؛ ١٠٩٢ ؛ ١٠٩٣ ؛ ١٠٩٤ ؛ ١٠٩٥ ؛ ١٠٩٦ ؛ ١٠٩٧ ؛ ١٠٩٨ ؛ ١٠٩٩ ؛ ١١٠٠ ؛ ١١٠١ ؛ ١١٠٢ ؛ ١١٠٣ ؛ ١١٠٤ ؛ ١١٠٥ ؛ ١١٠٦ ؛ ١١٠٧ ؛ ١١٠٨ ؛ ١١٠٩ ؛ ١١١٠ ؛ ١١١١ ؛ ١١١٢ ؛ ١١١٣ ؛ ١١١٤ ؛ ١١١٥ ؛ ١١١٦ ؛ ١١١٧ ؛ ١١١٨ ؛ ١١١٩ ؛ ١١٢٠ ؛ ١١٢١ ؛ ١١٢٢ ؛ ١١٢٣ ؛ ١١٢٤ ؛ ١١٢٥ ؛ ١١٢٦ ؛ ١١٢٧ ؛ ١١٢٨ ؛ ١١٢٩ ؛ ١١٣٠ ؛ ١١٣١ ؛ ١١٣٢ ؛ ١١٣٣ ؛ ١١٣٤ ؛ ١١٣٥ ؛ ١١٣٦ ؛ ١١٣٧ ؛ ١١٣٨ ؛ ١١٣٩ ؛ ١١٤٠ ؛ ١١٤١ ؛ ١١٤٢ ؛ ١١٤٣ ؛ ١١٤٤ ؛ ١١٤٥ ؛ ١١٤٦ ؛ ١١٤٧ ؛ ١١٤٨ ؛ ١١٤٩ ؛ ١١٥٠ ؛ ١١٥١ ؛ ١١٥٢ ؛ ١١٥٣ ؛ ١١٥٤ ؛ ١١٥٥ ؛ ١١٥٦ ؛ ١١٥٧ ؛ ١١٥٨ ؛ ١١٥٩ ؛ ١١٦٠ ؛ ١١٦١ ؛ ١١٦٢ ؛ ١١٦٣ ؛ ١١٦٤ ؛ ١١٦٥ ؛ ١١٦٦ ؛ ١١٦٧ ؛ ١١٦٨ ؛ ١١٦٩ ؛ ١١٧٠ ؛ ١١٧١ ؛ ١١٧٢ ؛ ١١٧٣ ؛ ١١٧٤ ؛ ١١٧٥ ؛ ١١٧٦ ؛ ١١٧٧ ؛ ١١٧٨ ؛ ١١٧٩ ؛ ١١٨٠ ؛ ١١٨١ ؛ ١١٨٢ ؛ ١١٨٣ ؛ ١١٨٤ ؛ ١١٨٥ ؛ ١١٨٦ ؛ ١١٨٧ ؛ ١١٨٨ ؛ ١١٨٩ ؛ ١١٩٠ ؛ ١١٩١ ؛ ١١٩٢ ؛ ١١٩٣ ؛ ١١٩٤ ؛ ١١٩٥ ؛ ١١٩٦ ؛ ١١٩٧ ؛ ١١٩٨ ؛ ١١٩٩ ؛ ١٢٠٠ ؛ ١٢٠١ ؛ ١٢٠٢ ؛ ١٢٠٣ ؛ ١٢٠٤ ؛ ١٢٠٥ ؛ ١٢٠٦ ؛ ١٢٠٧ ؛ ١٢٠٨ ؛ ١٢٠٩ ؛ ١٢١٠ ؛ ١٢١١ ؛ ١٢١٢ ؛ ١٢١٣ ؛ ١٢١٤ ؛ ١٢١٥ ؛ ١٢١٦ ؛ ١٢١٧ ؛ ١٢١٨ ؛ ١٢١٩ ؛ ١٢٢٠ ؛ ١٢٢١ ؛ ١٢٢٢ ؛ ١٢٢٣ ؛ ١٢٢٤ ؛ ١٢٢٥ ؛ ١٢٢٦ ؛ ١٢٢٧ ؛ ١٢٢٨ ؛ ١٢٢٩ ؛ ١٢٣٠ ؛ ١٢٣١ ؛ ١٢٣٢ ؛ ١٢٣٣ ؛ ١٢٣٤ ؛ ١٢٣٥ ؛ ١٢٣٦ ؛ ١٢٣٧ ؛ ١٢٣٨ ؛ ١٢٣٩ ؛ ١٢٤٠ ؛ ١٢٤١ ؛ ١٢٤٢ ؛ ١٢٤٣ ؛ ١٢٤٤ ؛ ١٢٤٥ ؛ ١٢٤٦ ؛ ١٢٤٧ ؛ ١٢٤٨ ؛ ١٢٤٩ ؛ ١٢٥٠ ؛ ١٢٥١ ؛ ١٢٥٢ ؛ ١٢٥٣ ؛ ١٢٥٤ ؛ ١٢٥٥ ؛ ١٢٥٦ ؛ ١٢٥٧ ؛ ١٢٥٨ ؛ ١٢٥٩ ؛ ١٢٦٠ ؛ ١٢٦١ ؛ ١٢٦٢ ؛ ١٢٦٣ ؛ ١٢٦٤ ؛ ١٢٦٥ ؛ ١٢٦٦ ؛ ١٢٦٧ ؛ ١٢٦٨ ؛ ١٢٦٩ ؛ ١٢٧٠ ؛ ١٢٧١ ؛ ١٢٧٢ ؛ ١٢٧٣ ؛ ١٢٧٤ ؛ ١٢٧٥ ؛ ١٢٧٦ ؛ ١٢٧٧ ؛ ١٢٧٨ ؛ ١٢٧٩ ؛ ١٢٨٠ ؛ ١٢٨١ ؛ ١٢٨٢ ؛ ١٢٨٣ ؛ ١٢٨٤ ؛ ١٢٨٥ ؛ ١٢٨٦ ؛ ١٢٨٧ ؛ ١٢٨٨ ؛ ١٢٨٩ ؛ ١٢٩٠ ؛ ١٢٩١ ؛ ١٢٩٢ ؛ ١٢٩٣ ؛ ١٢٩٤ ؛ ١٢٩٥ ؛ ١٢٩٦ ؛ ١٢٩٧ ؛ ١٢٩٨ ؛ ١٢٩٩ ؛ ١٣٠٠ ؛ ١٣٠١ ؛ ١٣٠٢ ؛ ١٣٠٣ ؛ ١٣٠٤ ؛ ١٣٠٥ ؛ ١٣٠٦ ؛ ١٣٠٧ ؛ ١٣٠٨ ؛ ١٣٠٩ ؛ ١٣١٠ ؛ ١٣١١ ؛ ١٣١٢ ؛ ١٣١٣ ؛ ١٣١٤ ؛ ١٣١٥ ؛ ١٣١٦ ؛ ١٣١٧ ؛ ١٣١٨ ؛ ١٣١٩ ؛ ١٣٢٠ ؛ ١٣٢١ ؛ ١٣٢٢ ؛ ١٣٢٣ ؛ ١٣٢٤ ؛ ١٣٢٥ ؛ ١٣٢٦ ؛ ١٣٢٧ ؛ ١٣٢٨ ؛ ١٣٢٩ ؛ ١٣٣٠ ؛ ١٣٣١ ؛ ١٣٣٢ ؛ ١٣٣٣ ؛ ١٣٣٤ ؛ ١٣٣٥ ؛ ١٣٣٦ ؛ ١٣٣٧ ؛ ١٣٣٨ ؛ ١٣٣٩ ؛ ١٣٤٠ ؛ ١٣٤١ ؛ ١٣٤٢ ؛ ١٣٤٣ ؛ ١٣٤٤ ؛ ١٣٤٥ ؛ ١٣٤٦ ؛ ١٣٤٧ ؛ ١٣٤٨ ؛ ١٣٤٩ ؛ ١٣٥٠ ؛ ١٣٥١ ؛ ١٣٥٢ ؛ ١٣٥٣ ؛ ١٣٥٤ ؛ ١٣٥٥ ؛ ١٣٥٦ ؛ ١٣٥٧ ؛ ١٣٥٨ ؛ ١٣٥٩ ؛ ١٣٦٠ ؛ ١٣٦١ ؛ ١٣٦٢ ؛ ١٣٦٣ ؛ ١٣٦٤ ؛ ١٣٦٥ ؛ ١٣٦٦ ؛ ١٣٦٧ ؛ ١٣٦٨ ؛ ١٣٦٩ ؛ ١٣٧٠ ؛ ١٣٧١ ؛ ١٣٧٢ ؛ ١٣٧٣ ؛ ١٣٧٤ ؛ ١٣٧٥ ؛ ١٣٧٦ ؛ ١٣٧٧ ؛ ١٣٧٨ ؛ ١٣٧٩ ؛ ١٣٨٠ ؛ ١٣٨١ ؛ ١٣٨٢ ؛ ١٣٨٣ ؛ ١٣٨٤ ؛ ١٣٨٥ ؛ ١٣٨٦ ؛ ١٣٨٧ ؛ ١٣٨٨ ؛ ١٣٨٩ ؛ ١٣٩٠ ؛ ١٣٩١ ؛ ١٣٩٢ ؛ ١٣٩٣ ؛ ١٣٩٤ ؛ ١٣٩٥ ؛ ١٣٩٦ ؛ ١٣٩٧ ؛ ١٣٩٨ ؛ ١٣٩٩ ؛ ١٤٠٠ ؛ ١٤٠١ ؛ ١٤٠٢ ؛ ١٤٠٣ ؛ ١٤٠٤ ؛ ١٤٠٥ ؛ ١٤٠٦ ؛ ١٤٠٧ ؛ ١٤٠٨ ؛ ١٤٠٩ ؛ ١٤١٠ ؛ ١٤١١ ؛ ١٤١٢ ؛ ١٤١٣ ؛ ١٤١٤ ؛ ١٤١٥ ؛ ١٤١٦ ؛ ١٤١٧ ؛ ١٤١٨ ؛ ١٤١٩ ؛ ١٤٢٠ ؛ ١٤٢١ ؛ ١٤٢٢ ؛ ١٤٢٣ ؛ ١٤٢٤ ؛ ١٤٢٥ ؛ ١٤٢٦ ؛ ١٤٢٧ ؛ ١٤٢٨ ؛ ١٤٢٩ ؛ ١٤٣٠ ؛ ١٤٣١ ؛ ١٤٣٢ ؛ ١٤٣٣ ؛ ١٤٣٤ ؛ ١٤٣٥ ؛ ١٤٣٦ ؛ ١٤٣٧ ؛ ١٤٣٨ ؛ ١٤٣٩ ؛ ١٤٤٠ ؛ ١٤٤١ ؛ ١٤٤٢ ؛ ١٤٤٣ ؛ ١٤٤٤ ؛ ١٤٤٥ ؛ ١٤٤٦ ؛ ١٤٤٧ ؛ ١٤٤٨ ؛ ١٤٤٩ ؛ ١٤٥٠ ؛ ١٤٥١ ؛ ١٤٥٢ ؛ ١٤٥٣ ؛ ١٤٥٤ ؛ ١٤٥٥ ؛ ١٤٥٦ ؛ ١٤٥٧ ؛ ١٤٥٨ ؛ ١٤٥٩ ؛ ١٤٦٠ ؛ ١٤٦١ ؛ ١٤٦٢ ؛ ١٤٦٣ ؛ ١٤٦٤ ؛ ١٤٦٥ ؛ ١٤٦٦ ؛ ١٤٦٧ ؛ ١٤٦٨ ؛ ١٤٦٩ ؛ ١٤٧٠ ؛ ١٤٧١ ؛ ١٤٧٢ ؛ ١٤٧٣ ؛ ١٤٧٤ ؛ ١٤٧٥ ؛ ١٤٧٦ ؛ ١٤٧٧ ؛ ١٤٧٨ ؛ ١٤٧٩ ؛ ١٤٨٠ ؛ ١٤٨١ ؛ ١٤٨٢ ؛ ١٤٨٣ ؛ ١٤٨٤ ؛ ١٤٨٥ ؛ ١٤٨٦ ؛ ١٤٨٧ ؛ ١٤٨٨ ؛ ١٤٨٩ ؛ ١٤٩٠ ؛ ١٤٩١ ؛ ١٤٩٢ ؛ ١٤٩٣ ؛ ١٤٩٤ ؛ ١٤٩٥ ؛ ١٤٩٦ ؛ ١٤٩٧ ؛ ١٤٩٨ ؛ ١٤٩٩ ؛ ١٥٠٠ ؛ ١٥٠١ ؛ ١٥٠٢ ؛ ١٥٠٣ ؛ ١٥٠٤ ؛ ١٥٠٥ ؛ ١٥٠٦ ؛ ١٥٠٧ ؛ ١٥٠٨ ؛ ١٥٠٩ ؛ ١٥١٠ ؛ ١٥١١ ؛ ١٥١٢ ؛ ١٥١٣ ؛ ١٥١٤ ؛ ١٥١٥ ؛ ١٥١٦ ؛ ١٥١٧ ؛ ١٥١٨ ؛ ١٥١٩ ؛ ١٥٢٠ ؛ ١٥٢١ ؛ ١٥٢٢ ؛ ١٥٢٣ ؛ ١٥٢٤ ؛ ١٥٢٥ ؛ ١٥٢٦ ؛ ١٥٢٧ ؛ ١٥٢٨ ؛ ١٥٢٩ ؛ ١٥٣٠ ؛ ١٥٣١ ؛ ١٥٣٢ ؛ ١٥٣٣ ؛ ١٥٣٤ ؛ ١٥٣٥ ؛ ١٥٣٦ ؛ ١٥٣٧ ؛ ١٥٣٨ ؛ ١٥٣٩ ؛ ١٥٤٠ ؛ ١٥٤١ ؛ ١٥٤٢ ؛ ١٥٤٣ ؛ ١٥٤٤ ؛ ١٥٤٥ ؛ ١٥٤٦ ؛ ١٥٤٧ ؛ ١٥٤٨ ؛ ١٥٤٩ ؛ ١٥٥٠ ؛ ١٥٥١ ؛ ١٥٥٢ ؛ ١٥٥٣ ؛ ١٥٥٤ ؛ ١٥٥٥ ؛ ١٥٥٦ ؛ ١٥٥٧ ؛ ١٥٥٨ ؛ ١٥٥٩ ؛ ١٥٦٠ ؛ ١٥٦١ ؛ ١٥٦٢ ؛ ١٥٦٣ ؛ ١٥٦٤ ؛ ١٥٦٥ ؛ ١٥٦٦ ؛ ١٥٦٧ ؛ ١٥٦٨ ؛ ١٥٦٩ ؛ ١٥٧٠ ؛ ١٥٧١ ؛ ١٥٧٢ ؛ ١٥٧٣ ؛ ١٥٧٤ ؛ ١٥٧٥ ؛ ١٥٧٦ ؛ ١٥٧٧ ؛ ١٥٧٨ ؛ ١٥٧٩ ؛ ١٥٨٠ ؛ ١٥٨١ ؛ ١٥٨٢ ؛ ١٥٨٣ ؛ ١٥٨٤ ؛ ١٥٨٥ ؛ ١٥٨٦ ؛ ١٥٨٧ ؛ ١٥٨٨ ؛ ١٥٨٩ ؛ ١٥٩٠ ؛ ١٥٩١ ؛ ١٥٩٢ ؛ ١٥٩٣ ؛ ١٥٩٤ ؛ ١٥٩٥ ؛ ١٥٩٦ ؛ ١٥٩٧ ؛ ١٥٩٨ ؛ ١٥٩٩ ؛ ١٦٠٠ ؛ ١٦٠١ ؛ ١٦٠٢ ؛ ١٦٠٣ ؛ ١٦٠٤ ؛ ١٦٠٥ ؛ ١٦٠٦ ؛ ١٦٠٧ ؛ ١٦٠٨ ؛ ١٦٠٩ ؛ ١٦١٠ ؛ ١٦١١ ؛ ١٦١٢ ؛ ١٦١٣ ؛ ١٦١٤ ؛ ١٦١٥ ؛ ١٦١٦ ؛ ١٦١٧ ؛ ١٦١٨ ؛ ١٦١٩ ؛ ١٦٢٠ ؛ ١٦٢١ ؛ ١٦٢٢ ؛ ١٦٢٣ ؛ ١٦٢٤ ؛ ١٦٢٥ ؛ ١٦٢٦ ؛ ١٦٢

وجعله في البحر إلى القاهرة . فعمل من الخشب مقصورة الجامع الظاهري بالحسنية ، ومن الزخام محرابه . وأمر [السلطان] ببناء الجوامع بتلك البلاد ، وأزال منها ومن [قرية]^(١) لد المنكرات ، ورتب الخفراء على السواحل وألزمهم بدركها . ورسم أن المال المتحصل من هذه البلاد لا يخلط بغيره ، وجعله لما كله ومشربه . وأعطى الأمير علاء الدين الحاج طيرس منها قرية ، وأعطى الأمير علم الدين سنجر الحموي قرية ، [و] ملكهما إياهما . وأزل التركمان بالبلاد الساحلية لحمايتها ، وقور عليهم خيلا وعدة ، فتجند له عسكر بغير كلفة . وفيه رسم تجديد عمارة الخليل عليه السلام ، ورسم أن يكون عمل الخوان الذي يمتد ناحية عن مسجد الخليل .

وجهاز [السلطان] عسكرا إلى الشقيف ، ثم سار إليها بنفسه فقتل عليها في يوم الأربعاء تاسع عشر شهر رجب ، وقدم الفقهاء والفقراء للجهاد . ونصب [السلطان] عليها ستة وعشرين متجنبا ، وألح عليها حتى أخذها يوم الأحد سلخ رجب ، وأخرج منها نساء الفرنج وأولادهم

- (١) بنير ضبط في ص ، وهي قرية قرب بيت المقدس . (باغوث : معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ٣٥٤) .
 (٢) في ص "مداحه" ، والمقصود بذلك أن يكون مكان إقامة الخوان بعيدا عن الحرم . انظر التويري (نهاية الأرب ، ج ٢٨ ، ص ٩٢) ، حيث العبارة في هذا الصدد كالآتي : "وعمل مكان الخوان ناحية عن الحرم" .
 (٣) يوجد في ابن أبي الفضايل (كتاب النجديد ، ص ١٦٤ ، وما بعدها) تفصيل لحيلة توسل بها السلطان للاستيلاء على الشقيف ، وضعه : "رحل [السلطان] طالبا للشقيف ، فقتل عليها يوم الثلاثاء ثامن عشر رجب ، فوقع على كتاب من جهة الفرنج الذين يكافون إعلم النواب بالشقيفين [أن] المسلمين لا يقدرون على أخذ الحصن إن احتفظ به ، يقدوا في أمرهم . فلما أطلع السلطان على ذلك أقطع له باب في أخذه ، فاستدعى من يكتب بالفرنجي وأمره أن يكتب كتابا يذكر فيه أمارات بينهم وبين أهل عكا استفادها من الكتاب الذي وقع له ، ويمجدو المكتدور (كذا) والمتواتر لفظ المكتدور ، وهو مررب المظفر الفرنسي commandeur ، أي المقدم المقم بالشقيفين (١٦٥) الوزير [كلايم] المقم عنده ومن حاجة كانت أمامهم في الكتاب ، وكتابا آخر للوزير [كلايم] يحذره من المكتدور ، وأمره إن احتاج إلى مال [أن] يأخذه من ملك كان اسمه في الكتاب ، وأوصل الكتب إليها بحيلة . فلما وقف أهل الشقيف على الكتب وقع الخلف بينهم مع شدة الحصار الذي كانوا فيه ، فألقاهم الخلف بينهم إلى أن سيروا إلى السلطان الملك الظاهر وقوروا معه تسليم الحصن ، على ألا يقتلوا من فيه . قسّم [السلطان] الحصن في تاسع وعشرين [من] رجب ، وكان ذلك بالباشورة بالسيف ، وأصطنع المكتدور . وكان عدة من الحصن أربعمائة ومائتين مقاتلا ، فركبهم الجبال إلى صور ، وبث معهم من يحفظ بهم " . انظر أيضا التويري (نهاية الأرب ، ج ٢٨ ، ص ٩٢-٩٣) .

إلى صور، وقيد الرجال كلهم وسلمهم للعساكر . وهدم [السلطان] قلعة استجدها الفرنج [هناك] ، واستتاب على القلعة الأخرى الأمير صارم الدين قايمز الكافري ، ورب بها الأجناد والرجال ، وقزر فيها قاضيا وخطيبا ، وولى أمر عمارتها الأمير سيف الدين بلبان الزينى وفيه وردت كتب من (١١٦٤) الكرج .

وفي شعبان وصل رسول صاحب يروت بهدية وبجار كانوا قد أخذوه في البحر من سنين ، فما زال السلطان حتى خلصهم وخلص أموالهم .

وفي عاشره رحل السلطان من الشقيف إلى قرب بانياس ، وبث الأتقال إلى دمشق . وجهز الأمير عز الدين أوغان بجاعة بلجة ، وجهز الأمير بدر الدين الأيدمرى في جماعة إلى جهة أخرى ، حفظت العساكر الطرقات .

ثم سار [السلطان] إلى طرابلس وخيم عليها في النصف منه ، وناوش أهلها القتال وأخذ برجا كان هناك ، وضرب أعناق من كان فيه من الفرنج . وأضارت العساكر على من في تلك الجبال ، وغنموا شيئا كثيرا وأخذوا عدة مفاير بالسيف ، وأحضروا المنغان والأسرى إلى السلطان فضرب أعناق الأسرى ، وقطع الأشجار وهدم الكنائس ، وقسم الغنائم في السكرك . ورحل [السلطان عن طرابلس] في رابع عشره ، فلقاه صاحب صافيتا وأنطرسوس

بالخدمة ، وأحضر ثلاثمائة أسير كانوا عنده ، فشكره السلطان ولم يتعرض لبلاده . ونزل [السلطان] على حصن ، وأمر بإبطال الخمر والمنكرات . ثم دخل إلى حماة ولا يعرف أحد

(١) في س "قاضي" . (٢) انظر ص ٥٣٧ ، حاشية ١ . (٣) انظر ص ٥٥٩ ، حاشية ١ .

(٤) انصرفت حركات جيوش السلطان هنا على مهاجمة البلاد المحيطة بطرابلس ، ولم يستطع الأمير جيوند السادس (Bohemond, VI) ، وهو صاحب طرابلس وأطليكية ، أن يوجه أى مقاومة ضد السلطان الظاهر بيبرس . راجع (King: The Knights Hospitallers In The Holy Land, p. 263) . انظر أيضا التورى (نهاية الأرب ، ج ٢٨ ، ص ٩٣ — ٩٤) ، حيث توجد في هذا الصدد تفصيلات كثيرة .

(٥) أضيف ما بين القوسين من التورى (نهاية الأرب ، ج ٢٨ ، ص ٩٤) . ولا يلاحظ أن عبارة السلوك هنا ، وفيها سبق من أخبار إغارات السلطان بيبرس على المدن الصليبية ، مشابه تماما لما يتألفها في نهاية الأرب .

أى جهة بقصد ، فرتب السكر ثلاث فرق : فرقة صحبة الأمير بدر الدين الخازندار ، وفرقة مع الأمير عن الدين إيمان ، وفرقة مع السلطان . فتوجه الخازندار إلى السويدي^(١) ، وتوجه إيمان إلى درب بساك ، فقتلوا وأسروا . ونزل السلطان أقالمة ، ووافاه الجميع على أنطاكية .

وأصبح أول شهر رمضان والسلطان مغير على أنطاكية^(٢) ، وأعطاف العساكر بها من كل

- جانب ، فشكلوا بخيامهم في ثلثه . وبعث [السلطان] إلى الفرنج بدعوم وينذرهم بالزحف عليهم ، [وفاضحهم في ذلك] مدة ثلاثة أيام وهم لا يحييون ، فزحف عليها وقاتل أهلها قتالا شديدا . وتسور المسلمون الأسوار من جهة الجبل بالقرب من القلعة ، ونزلوا المدينة فقتل أهلها إلى القلعة ، ووقع النهب والقتل والأسرى في المدينة ، فلم يرفع السيف عن أحد من الرجال وكان بها فوق المائة ألف . وأحاط الأمراء بأبواب المدينة حتى لا يفر منها أحد ، واجتمع بالقلعة من المقاتلة ثمانية آلاف سوى النساء والأولاد ، فبعثوا يطلبون الأمان فأقتنوا . وصعد السلطان اليهم ومعه الحبال ، فكتفوا ورفقوا على الأمراء ، والكتّاب بين يدي السلطان يتلون الأسماء .
- وكانت أنطاكية للبرنس بيوند بن بيوند ، وله معها طرابلس ، وهو مقم بطرابلس . وكنت البشائر بالفتح إلى الأقطار [الشامية والمصرية والفرنجية ، وفي الجملة كتّاب إلى صاحب أنطاكية - وهو يومئذ مقم بطرابلس - وهو من إنشاء ابن عبد الظاهر رحمه الله تعالى] .

(١) بغير ضبط في س ، وهي حسن ومينا . لأنطاكية ، واسمها في الحوليات الصليبية (Port Simon) Le Soudin . راجع (Le Strange : Palest. Under Moslems, p. 540) . (٢) في س "وأصبح أول رمضان مغيرا عليها" ، وقد عدلت الجملة على النسخ المتأخرات هنا من أجل البدء في فترة جديدة .

(٣) أضيف ما بين القوسين من النورى (نهاية الأدب ، ج ٢٨ ، ص ٩٤) ، حيث وردت تلك الأخبار بتفصيل .

(٤) أضيف ما بين القوسين بدمر أمانة ابن أبي الفضائل : (كتاب التيج الجديد ، ص ١٦٧) . ويوجد بهذا المرجع (ص ١٦٧ ، وما بعدها) ، وكذلك بالعنى (عقد الجمان ، ص ٢٢٩ ، وما بعدها ، في Rec. Hist. Or. II. 1) ، والنورى (نهاية الأدب ، ج ٢٨ ، ص ٩٤ ، وما بعدها) ، نص لكتّاب المرسل إلى صاحب أنطاكية ، ومن هذا المرجع الثالث نقله وترجمه إلى الفرنسية (Quatremère : Op. Cit. I. 2. p. 190 et seq) . ولهذا الكتاب ترجمة باللغة الألمانية في (Weil : Geschichte der chaliphen. IV. pp. 63-67) ، وأثرى بالإنجليزية في (Lane-Poole : A. Hist of Egypt In The Middle Ages راجع Yule : Marco Polo. I. P. 25) (Ages. p. 269. n. I) ، وانظر النص العربي لهذا الكتاب في ملحق رقم ٢ ، في آخر هذا الجزء .

وسلم السلطان القلعة إلى (١٤٦ ب) الأمير بدر الدين بيليك الخازندار والأمير [بدر الدين] بيمرى [الشمسى]، وأمر بإحضار المغنم لتقسم، وركب وأبعد عن الخيام وحمل ما غنمه وما غنمته مماليكه وخواصه، وقال: "والله ما خبات شيئا مما حمل إلى ولا خليت مما ليكى يجنون شيئا، ولقد بلغنى أن غلاما لأحد مماليك خبا شيئا لا قيمة له فأذنته الأدب البالغ، وينبئ لكل أحد منكم أن يخلص ذمته، وأنا أحلف الأمراء والمقدمين، وهم يحقون أجتادهم ومضافهم". فأحضر الناس الأموال والمصاغ الذهب والفضة حتى صارت تلاءمها، وقسمت في الناس، وطال الوزن فقسمت النقود بالطاسات. وقسمت الغلمان على الناس، فلم يبق غلام إلا وله غلام، وتقاسم النساء والبنات والأطفال، وأبيع الصغير بائنى عشر درهما والجارية بخمسة دراهم. وأقام السلطان يومين وهو يباشر القسمة بنفسه، وقصر الناس في إحضار الغنائم فساد [السلطان] مضضا، فلم تزل الأمراء به يلتزمون بالاجتهاد والاحتراز ويمتنعون إليه، حتى وقف على فرسه وماترك شيئا حتى قسمه.

ثم ركب [السلطان] إلى القلعة وأحرقها، وعم بالحريق أنطاكية، فأخذ الناس من حديد أبوابها ورمصاص كأنسها ما لا يوصف كثرة. وأقيمت الأسواق خارج المدينة، فقدم التجار من كل جهة. وكان بالقرب من أنطاكية عدة حصون، فطلب أهلها الأمان، فتوجه إليهم الأمير بيليك الأشرف [و] تسلمها في حادى عشره، وأسر من فيها من الرجال.

وكان التكفور^(٢) [هيتوم] ملك سبب لم يزل يسأل في إطلاق ولده ليفوت، ويعرض في فدائه الأموال والقللاع. وكان الترقد أسروا الأمير شمس الدين سقر الأشقر من حلب، لما ملكوها من الملك الناصر، فاقترح السلطان على ملك سبب إحضار سقر عوضا عن ولده، ورد القلاع التى أخذها من مملكة حلب، [وهى بهسنا ودر براك ومرزبان ورعيان^(٣)]

(١) كل هذا الاسم من التويرى (نهاية الأرب، ج ٢٨، ص ٩٦).

(٢) فى س "تكفور ملك سبب".

(٣) أخيف ما بين القرنين من أجدال. (المختصر فى أخبار البشر، ص ١٥٢، فى (Rec. Hist. Or. I.)،

وضبط من ياقوت (معجم البلدان، ج ١، ص ٤٧٧، ج ٢، ص ٦٤٧، ٦٩١، ج ٣، ص ٩٥).

- وشيخ الحديد^(١)؛ فسأل [هيتوم] المهلة سنة إلى أن يبعث إلى الأردن^(٢). فلما كان في هذه الأيام، بعث [هيتوم] إلى السلطان بأنه وجد ستقر، و[أنه] أوجب إلى إطلاقه، فكتب إليه بإحضاره. فأحضر [هيتوم] كتاب ستقر إلى السلطان بأماير، إلا أنه غير قوله في تسليم القلاع، فكتب إليه: "إذا كنت تقسو على ولدك وولي عهدك، فأنا أقسو على صديق ما بنى وبينه نسب، ويكون الرجوع منك لا مني. ونحن خلف كتابنا، فهما شئت أفضل^(٣)".
- بستقر الأشقر^(٤). فلما وصلت إليه الكتب من أنطاكية خاف، وتقرر الصلح على تسليم قلعة بهسنا^(٥) ودر بساك (١٤٧) وكل ما أخذه من بلاد الإسلام، وأن يرّد الجميع بمواصلها كما تسلمها، ويطلق ستقر الأشقر، ويطلق السلطان ولده وابن أخيه وغلماهما، وأنه يحضر دهينة حتى يسلم السلطان القلاع؛ فكتبت الهدنة بأنطاكية. وتوجه الأمير بلبان الرومي الموادار، والصدر فتح الدين بن القيسراني كاتب الدرج، لاستحلافه. وتوجه الأمير بدر الدين بجكا الرومي لإحضار الملك ليفون من مصر على البريد في ليلة الثالث عشر من رمضان؛ فوصل إلى القاهرة وخرج منها ثاني يوم دخوله بالملك ليفون، فوصل إلى دمشق ليلة الاثنين سادس عشره، فكان بين خروجه من أنطاكية وعوده إلى دمشق ثلاثة عشر يوما. وحلف التكفور هيتوم صاحب سبس في سابع عشره، فانتظم الصلح^(٦).

(١) سمي العتيق (عقد الجمان، ج ٢٣٥، في ١، Rec Hist. Or. II. 1) هذا البد باسم "شيخ الحديد".

(٢) الأردن لفظ مغول معناه المعسكر، وقد استعمل في المراجع العربية والقارسية في هذا العصر للدلالة على معسكر الخيالة الدولة المغولية بفارس، (le campement impérial du souverain des Mongols de l'Iran)، انظر ابن أبي الفضايل (كتاب التيج السديد، ص ١١٦، ١١٧، ٢٤٠، ٢٧٣).

(٣) هذه الجملة ليست واضحة تماما في س، وقد ترجمها (Quentremère: Op. Cit. I. 2 P. 55) إلى الصيغة التالية: (En même temps, Bibars reçut de cette écrite en chiffres).

(٤) في س "خلف".

(٥) في س "سيت".

(٦) بنير ضبط في س، وهي قلعة بين مرعش ومجيبساط. (ياقوت، معجم البلدان، ج ١، ص ٧٧٠).

(٧) انظر ما يلي ص ٥٧٠، سطر ٥.

ورحل السلطان من أنطاكية إلى شيزر، وسار منها على البرية إلى حمص وهو يتصيد ،
 فدخل حماة في ثلاثة نهر : وهم الأمير بيسرى ، والأمير بدر الدين الخازندار ، والأمير
 حسام الدين الدوادار ؛ وتزل العسكرية . ثم سار السلطان من حمص إلى دمشق ، فدخلها
 في سادس عشره ، والأمرى بين يديه و [ليفون ابن ^(١)] صاحب سبب في خدمته ، فأحسن
 إليه . وحلف [ليفون] للسلطان في ثالث شوال على النسخة التي حلف عليها أبوه ، وهو
 قائم مكشوف الرأس ، وسار إلى بلاده في حادى عشره محبة الأمير يحكا على البريد ، حتى
 فوزه في مملكته . ووصلت الزهائن فأحسن السلطان إليهم وأكرمهم ، وما زالوا إلى أن
 تسلم نواب السلطان القلاع من أهل سبب ، فأعادت الزهائن إليهم بما أتم عليهم . وعند
 ما وصل ليفون إلى سبب أطلق سقر الأشقر ، وبعث به إلى السلطان . فلقاه [السلطان]
 وهو في الصيد من غير أن يعرف أحد بقدمه ، وقدم به وهو مخنف وأنزله عنده في الدهليز ،
 وبات معه . فلما أصبح [الصباح] واجتمع الناس في الخدمة ، خرج السلطان ومعه
 سقر الأشقر ، فبغت الناس لرؤيته . وأخرج له السلطان المال والخلع والحوائص ،
 وانخيل والبنال والجمال والماليك ، وسائر ما يحتاج إليه . وحل إليه الأمراء التتادم ،
 وبالغ [السلطان] في الإحسان إليه ، وبني له دارا بقلعة الجبل . ولما حضر [سقر]
 إلى القاهرة أعطاه [السلطان] إمرة ، وعمله من خواصه .

وفي ثالث عشره تسلم الأمير شمس الدين آقسقر الفارقاني أستاذار السلطان حصن
 بفراس من الفرنج [الداوية ^(٢)] ، و [كانوا] قد فزوا عنها [وتركوا الحصن خاليا ^(٣)] حتى لم يبق
 بها سوى عجز واحدة ، فوجدها [الأمير شمس الدين] عامرة بالحواصل والدخائر .

(١) انظر ما على بالطر الثالث ، وطر ٩ أيضا .

(٢) أخيف ما بين القوسين من النسخة (عقد الجمان ، ص ٢٤٣ ، في ١. ١. (Rec. Hist.Or. II. 1.)

(٣) أخيف ما بين القوسين من أبي الفداء (المتنصر في أخبار البشر ، ص ١٥٢ ، في ١. ١. (Rec. Hist. Or. I.)

وفيه وردت رسل [صاحب^(١)] عكا هدية ، فحصل الاتفاق على أن تكون حيفا للفرنج ولها ثلاث ضياع ، وأن تكون (١٤٧ ب) مدينة عكا وبقية بلادها مناصفة هي وبلاد الكرك^(٢) ، وأن بلاد صيدا الوطاة للفرنج والجلبيات للسلطان ، وأن الهدنة لعشر سنين ، وأن الرهائن تطلق . وبعث السلطان لصاحب عكا هدية فيها عشرون نفسا من أسرى أنطاكية ، وتوجه القاضي محي الدين بن عبد الظاهر والأمير كمال الدين بن شيت لاستعلافه ، فدخل عكا في عشرين شوال ، وقد وصاهما السلطان ألا يتواضعا له في جلوس ولا غاطبة . فلما دخلا كان الملك على كرسي ، فلم يجلسا حتى وضع لهما كرسيين جلسا عليهما قبائله ، ومدة الوزير يده ليأخذ الكتاب فلم يرضيا حتى مذ الملك يده وأخذه ، ولم يوافق على أشياء فتركوه ولم يحلف .

- ١٠ وفي ثامن عشر ذي القعدة خرج السلطان من دمشق وسار إلى القاهرة ، فخرج الملك السعيد إلى أم الباردة وهي السعيدية ، وعيّد مع السلطان بها . وسارا إلى قلعة الجبل في حادي عشر ذي الحجة ، وحل [السلطان] عن الناس كلفة الزينة .

وفيه مات السلطان ركن الدين قلج أرسلان بن كيخسرو بن قلج أرسلان بن مسعود ابن قلج أرسلان بن سليمان بن قطلوش بن أرسلان بيغو بن سلجوق ، ملك الروم . وقام من بعده ابنه غياث الدين كيخسرو ، وعمره أربع سنين ، فقام بأمر المملكة معين الدين سليمان

(١) كان صاحب عكا تلك السنة ، حيا جاقو العتي (عقد الجمان ، ص ٢٣٦ ، في ١ ، Rec. Hist. Or. II.) ، "أولك بن مري (كذا) ابن أخت صاحب قبرص" (Hugh III of Cyprus) ، وأبوه (Henry, Son of of Cyprus) Boheimond IV of Antioch ، وأمه (Isabella, daughter of Hugh I of Cyprus) . انظر (Stevenson : Crusaders In The East p. 342. n.9; King : The Knights Hospitallers In The Holy Land, pp.264 - 265).

(٢) بنو ضبط في س ، والكركل حصن بالجليل المشرف على حيفا بسواحل الشام . (ياقوت : معجم البلدان ،

ج ٤ ، ص ٢٦٧) .

(٣) في س "عبرين" . (٤) في س "شف" .

(٥) كذا في س ، انظر ص ٤٠١ ، حاشية ه .

البرّوانه . وكان موت ركن الدين خفيا بالوتر، وذلك أن معين الدين البروانه اخفق مع الطغر
المقيمين معه على قتل ركن الدين، فنفقوه .^(٣)

ومات في هذه السنة من الأعيان كمال الدين أبو العباس أحمد بن عبد العزيز بن محمد بن
الشهيد أبي صالح عبد الرحيم بن عبد الرحمن بن الحسن بن المعجمي الحلبي كاتب الإنشاء،
ظاهر صور من الساحل . وتوفي صاحب عز الدين أبو محمد عبد العزيز بن منصور بن
محمد بن وداعة الحلبي وزير دمشق، بالقاهرة . وتوفي الأديب عفيف الدين أبو الحسن علي
ابن عدلان بن حماد بن علي الموصلی بدمشق، عن ثلاث وثمانين سنة . ومات الأمير عماد الدين
أبو حفص عمر بن هبة الله بن صديق الخلاطى الأديب الفاضل بحماة، عن ثمان وستين سنة .
وتوفي الشيخ الممتد أبو داود مُسَلَّمُ السَّمي شيخ الطائفة المسامية ، في يوم الجمعة ثالث شهر
ربيع الأول، ودفن بالقرافة، وكان في ابتداء أمره قاطع طريق، وأخذ عن الشيخ مروان أحد
أصحاب الشيخ مرزوق، وقدم القاهرة، وعنى به صاحب بهاء الدين محمد بن علي بن حنا .

(١) البروانه لقب تارسي مناه في الأصل الحاجب (chambellan)، وقد أطلق في دولة السلاجقة الروم
بآسيا الصغرى على الوزير الأكبر (le principal ministre) . راجع (Quatremère : Op. Cit. I, p. 57. n. 69) . وكان الوزير معين الدين المذكور هنا منسلطا في الدولة السلجوقية بآسيا الصغرى منذ سنة ٦٤٢ هـ
وعلى هذه كان مقتل السلطان ركن الدين قلع أرسلان كما على هنا بالمتن . انظر أيضا ص ٤٠٨ ، حاشية ١ ، وكذلك
(Enc. Isl. Arts. Kildiz Arslān IV; Mu'in al-Din Sulaimān Parwāna) .

(٢) في ص "ابن" .

(٣) على هذا في ص عبارة طويلة أولها : "وفها تنكر الثمان ... " وقد كتبها المقرئ في هناك خطأ، ثم أحرك
خطه فكتب غوتها "ينقل الى سنة ثمان وسبعمائة" ، وهذا خطأ أيضا والصحيح ثمان وستين وسبعمائة ، وقد
أدجت في موضعها تحت تلك السنة . (انظر ص ٥٨٨ ، حاشية ٢٤١) .

(٤) الرويات التالية الى آخر السلسلة واردة على ورقة لصقت خطأ بين الصفحتين ١٤٩ ب ، ١٥٠ أ في ص ،
وليس تمت شك في مناسبة هذه الرويات لهذه السنة . (انظر ابن الهادي : شذرات الذهب ، ج ٥ ، ص ٤٣٢٣
ابن شاعر : فوات الرويات ، ج ٢ ، ص ٥٩) . وهذا وليس لهذه الرويات وجود البتة في ب (١٧٤ ب) ، أو في
(Quatremère : Op. Cit. I. 2, p. 38) .

(٥) هذان القفطان مضبوطان هكذا في ص .



سنة سبع وستين وستمائة . في أول المحرم ركب السلطان حتى شاهد جامعه بظاهر القاهرة، وسار لفتح بحر أبي المنجا، وعاد إلى القلعة . وفيه احتفل السلطان برى النشاب وأمور الحرب ، وبني مسطبة بميدان العيد خارج باب النصر من القاهرة؛ وصار يتزل كل يوم من الظهر ويرى النشاب، فلا يسود من الميدان إلى عشاء الآخرة . و[أخذ السلطان] يحض الناس على الرمي والرهان ، فما بقي أمير ولا مملوك إلا وهذا شغله ، وتوفر الناس على لعب الرمح ورمي النشاب . وفيه قدمت الرسل من جميع الأقطار تنهى السلطان بما فتحه الله عليه .

وفي يوم الخميس تاسع صفر جلس الملك السعيد بركة في مرتبة الملك، وحضر الأمراء فقَبَلُوا الأرض ، وجلس الأمير عز الدين الحلبي و[الأمير فارس الدين] الأتابك بين يديه ، والصاحب بهاء الدين وكاتب الإنشاء والقضاة والشهود . وحلف له الأمراء وسائر العساكر .
وفي ثالث عشره ركب [الملك السعيد] الموكب كما يركب والده، (١١٤٨) وجلس في الإيوان وقرئت عليه القصص . وفي العشرين منه قرى بالإيوان تقليده بتفويض السلطنة إليه، واستمر جلوسه في الإيوان مكان والده لقضاء الأشغال، و[صار] يوقع ويطلق ويركب في الموكب . وأقام السلطان الأمير بدر الدين بيليك الخازن دار نائباً عنه، عوضاً عن الأمير عز الدين الحلبي .

وفي ثاني عشر جمادى الآخرة خرج السلطان ، ومعه الأمير عز الدين الحلبي وأكابر الأمراء، في عتمة من العسكريريد بلاد الشام ، وترك أكثر العسكر عند الملك السعيد . فلما وصل إلى غزوة أنفق في العسكر، ونزل أرسوف لكثرة مراعيها . فقدم [عليه] كلب متفك سيس بأن رسول أبطا بن هولاء كو قدم ليحضر إلى السلطان، فبعث إليه الأمير ناصر الدين

(١) أخيف ما بين التوسمين من النوري (نهاية الأرب، ج ٢٨، ص ٦٨) .

(٢) أورد النوري (نهاية الأرب، ج ٢٨، ص ٦٨، وما بعدها) نص هذا التقليد ، وذكر أنه كان من

إنشاء المولى نضر الدين بن قمان . (انظر ملحق رقم ٤٣ في آخر هذا الجزء) .

ابن صيرم مشد حلب ليتسلمه من سيس، ويحترز عليه بحيث لا يمكنه أن يتحدث مع أحد. فسار به إلى دمشق، ولم يحتفل به عند وصوله إلى دمشق، وأنزل في قلعتها. فورد الخبير بذلك، فركب السلطان من أرسوف وترك الأتقال بها، وأخذ معه الأمراء ودخل إلى دمشق. وأحضر الرسول [إليه]، فكان من جملة كتابه: "إن الملك أيضا لما خرج من الشرق تملك جميع العالم وما خالفه أحد، ومن خالفه هلك وقتل. فانت لو صعدت إلى السماء أو هبطت إلى الأرض ما تخلفت منا، فالمصلحة أن تجعل بيننا صلحا". وكان في المشاهدة: "أنت مملوك وأنت في سيواس، فكيف تشافق الملوك ملوك الأرض؟" فأجيب وأعيد الرسول.

وفي أول شعبان مات الأمير عز الدين الحلبي بدمشق. وفيه خرج السلطان من دمشق، ووقع الأمراء كلهم وسيرهم إلى مصر؛ ولم يتأخر عنده من الأمراء الكبار سوى الأمير الأتابك، والمحمدي، والأيدمرى، وابن أطلس خان، وأقوش الرومي. فسار بهم إلى قلعة الصبيبة ثم إلى الشقيف وصغد، وكتب بحضور الأتقال إلى خربة اللصوص من أرسوف، فأحضرها الأمير أفسقر الفارقاتي الأستاذار، وقدم السلطان إليها فأقام بها أياما.

وخطر للسلطان أن يتوجه إلى ديار مصر [خفية]^(٢)، فكتب ذلك وكتب إلى النواب بمكتبة الملك السعيد والاعتماد على أجوبته، ورتب أنه كلما جاء يريد يقرأ عليه وتخرج علام على بياض تكتب عليها الأجوبة. فلما كان في رابع عشره أظهر [السلطان] أنه تنوش في بدنه، واستدعى الحكام إلى الخيمة، ووقع احتفال في الظاهر (١٤٨ ب) بتويعه، وأصبح الأمراء فدخلوا عليه وشاهدوه مجتمعاً على هيئة متألم؛ وكتب إلى دمشق باستدعاء الأشرية.

(١) يجب أن تمت هذه العبارة فراغا في ترجمة السلطان الظاهر بيبرس، إذ أن كل المعروف من أصله وحدائنه لا يمدوا له ولد في سنة ٦٢٢ هـ (١٢٢٣ م) بلاد القنشا، وأنه بيع بدمشق للأمير علاء الدين أيدكين البغدادي (انظر ص ٣٥٠، حاشية ٤٢ ص ٤٣٦ Ene. Isl. Art. Bailleurs I).

(٢) أخيف ملين القوسين من أبي الفداء (المختصر في أخبار البشر، ص ١٥٢، في Rec. Hist. Or. I)، هذا وعادة المقرئ هنا مشابهة في ترتيبها ولقطها لما يقابلها في التورمى (نهاية الأرب، ج ٢٨، ص ٤٩، وما بعدها).

- وتقدم [السلطان] إلى الأمير بدر الدين الأيدمرى، والأمير سيف الدين بكتوت جريك الناصرى، بالتوجه إلى حلب على خيل البريد ومعهما بریدی، فتوجهوا ليلة السبت سادس عشره؛ و[كان السلطان قد] أوصاهم أنهم إذا ركبوا يأتوا خلف الدهليز، حتى يتحدث معهم مشافهة. وجهاز [السلطان] الأمير آقسنقر الساقى على البريد إلى مصر، وأعطاه تركاشه وأمره أن يقف خلف خيمة الجندارية من وراء الدهليز، فوقف حيث أمر. ولبس السلطان جوخة مقطعة، وتعمّ بشاش دخانى عتيق، وقصد أن يخرج ولا يعلم به الحراس، فوجد قماش نوم لبعض الممالك، فاستدعى خادما من خواصه وقال له: "أنا خارج بهذا القماش، احمله وامش قدما، فإن سألك أحد فقل هذا البايّة^(١) معه قماش بعض الصبيان، حصل له مرض وما يقدر يحضر الخدمة الليلة، وهذا غلامه خارج إليه بقماشه". ونفج [السلطان] بهذه الحيلة ولم يظن به أحد؛ وكان قد أمر إلى الأمير شمس الدين الفارغانى أنه يغيب مدة أيام عيّناه.
- ولما خرج [السلطان] من الدهليز مشى إلى الجهة التي واعد آقسنقر الساقى إليها، و[كان قبل ذلك] قد أقام هناك أربعة رؤوس من الخيل سيرها مع الأمير بهاء الدين أمير آخور، وأمره أن يقف بها في مكان. فأخذ آقسنقر الخيل، وسير بهاء الدين أمير آخور إلى التل، فوجد الأيدمرى ورفقته. فصار إليهم السلطان، واختلط بهم في السوق وهم لا يعرفونه، فلما طال سؤقهم قال السلطان للأيدمرى: "تعرفني؟" فقال: "أى والله!"

(١) البايّة جمع بايا، وهو حيا ورد في الفقهنى (صح الأعشى، ج ٥، ص ٤٧٠) "لقب عام لجميع رجال الطلست خانا، من يتامل الفسل والمقل وغير ذلك. وهو لفظ روى عنه أمير الآباء... وكانه لقب بذلك لأنه لما يتامل ما فيه ترفه مخدومه، من تنظيف قاشه وتحسين هيئة، أشبه الأب الشفيق، فلقب بذلك". انظر أيضا Quatremère: Op, Cit. I, 2, pp. 191-195.

(٢) عبارة المقرئى هنا مضطربة قليلا، ونصها: "ولما خرج من الدهليز مشى إلى الجهة التي واعد آقسنقر إليها، وقد أقام هناك أربعة رؤوس من الخيل سيرها مع الأمير بهاء الدين أمير آخور وقف بها في مكان فأخذ آقسنقر الخيل ثم سير إليه أمير آخور (كذا) سار به فوجد الأيدمرى ورفقته..." وقد أصلحت الباءة وأضيف ما بين الأقواس من النوى (نهاية الأب، ج ٢٨، ص ٥٠).

(٣) في ص "لا يعرفوه".

وأراد أن يتل عن فرسه ليقبل الأرض، فتمعه . وقال [السلطان] لجرمك : "تعرفني ؟"
فقال : "إش هذا ياخوند ؟" ، فقال له : "لا تتكلم" . وكان معهم الأمير علم الدين
شقيير مقدّم البريدية ، فصارت بجلتهم خمسة أنفس ، ومعهم أربعة جنائب من خيل
السلطان الخاص .

فساقوا الى القصير المعينى ووافوه نصف الليل ، فدخل السلطان الى الوالى ليأخذ فرسه ،
فقام اليه بنحو خمسين راجلا ليهامشه وقال : "الضيعة ملك السلطان ، ما يقدر أحد يأخذ
منها فرسا ، تروحوا وإلا قتلناكم" . فتركوه وساقوا الى بلسان ، وأتوا دار الوالى وقالوا : "زيد
خيلا للبريد" ، فأترهم . وقعد السلطان عند رجل الوالى وهو قائم ، ثم التفت الى الأيدمرى
وقال : "الخلايق على بابى ، وأنا على باب هذا الوالى لا يلتفت (١٤٩) الى ، ولكن الدنيا
نوبات" . وطلب [السلطان] من الوالى كوزا ، فقال : "ما عندنا كوز . إن كنت عطشان^(١)
انخرج واشرب من برآ" ، فاحضر اليه الأيدمرى كُرَازا شرب منه . وركبوا وصبحوا جينين ،
فوجدوا بها خيلا للبريد عرجاء مُعْقَرَة^(٢) ، فركب السلطان منها فرسا لم يكذب عليه من رائحة
عقوره . وساروا فلما نزلوا تل المعجول بقى كل منهم ماسكا فرسه ، فلما وصلوا الى العريش
قام السلطان والأمير جرمك وتقيّا الشعر ، وقال السلطان لجرمك : "أين السلطنة والأستادار
وأمبرجاندار ؟ وأين الخلاق الوقوف فى الخدمة ؟ هكذا تخرج الملوك من ملكهم ، وما يدوم
إلا الله سبحانه" . ولم يسبق معهم من الجنائب الأربعة إلا الذى على يد السلطان يقوده ،
ووصل معه الى الصالحية .

(١) فى س "عطشانا" .

(٢) الكُرَاز — وفكرَاز أيضا — القارورة ، أركوز شيق الرأس ، والجمع كرزات . (محيط المحيط) .
ويسمى الكراز لحفظ الماء صالحا للشرب (fraiche) ، وأصل القفظ من لهجة العراق ، وقد انتقل الى إسبانية
واللغة الإسبانية ، حيث يقال (alcarraza) . انظر (Dozy : Suppl. Diet. Ar.) .

(٣) المراد بوصف خيل البريد بهذا الوصف أنها كانت مجرمة الظاهر ، إذ يقال فقطم ظهر الهذابة أى دبر وتقرح ،
وقد ترجم (Quatremère : Op. Cit. I. 2. p. 64) فقطم مققرة الى (couverts de plaies) .

- وصعدوا الى القلعة ليلة الثلاثاء الثالث الأول من الليل ، فأوقفهم الحراس حتى شاوروا
الوالى . ونزل السلطان في باب الإسطبل وطلب أمير آخور، وكان قد رتب مع زمام الأدر^(١) أن
لا يبيت إلا خلف باب السر، فدق السلطان باب السر وذكّر للزمام العلامة التي بينه وبينه، ففتح
الباب ودخل السلطان ورفقته . وأقاموا يوم الثلاثاء والأربعاء، وليلة الخميس الحادى والعشرين
من شعبان ، ولا يعلم بالسلطان أحد إلا الزمام فقط . وصار [السلطان] يتفرج في الأمراء
بسوق الخيل : فلما قدم الفرس لملك السعيد يوم الخميس على العادة قدم أمير آخور للسلطان
فرسا آخر، وعند ما خرج الملك السعيد ليركب ما أحسن إلا والسلطان قد خرج إليه، فربع
منه وقبل له الأرض . وركب السلطان وخرج على غفلة والوقت بغلس ، فانكر الأمراء
ذلك وأمسكوا قبضات سيوفهم، ونظروا في وجه السلطان حتى تحققوه، فقبلوا له الأرض .
وساق السلطان إلى ميدان العيد ، وعاد الى القلعة وقضى أشغال الناس . وأقام بقية يوم
الخميس ويوم الجمعة، ولعب بالكرة يوم السبت . وتوجه يوم الأحد الى مصر، ورمى الرجال
بالشوائى قدامه، وركب في الخرابيق وعاد الى القلعة . فلما كان ليلة الاثنين خامس عشر
شعبان، ركب [السلطان خيل] البريد من القلعة، وعاد إلى معسكره بجمرة للصوص .

- وأما ما جرى في معسكر (١٤٩ ب) السلطان بالخرربة ، فإن الأمير شمس الدين الفارغانى
لما أصبح ، وقد فارق السلطان الدهليز ، أظهر للأمراء أن السلطان منقطع لضعف
حصيل له ، واستدعى الأطباء وسألهم عما يصلح لتوعلك الذى يشكو صداعا وحَدْرًا وتكسلا^(٢)

(١) حصة هذا الاسم المركب بالإضافة "زمام دار"، ونسطا المقرئ وغيره من الكتاب في رسمه كالآتي راجع الى
الاعتقاد بأن لفظ "دار" عربي، ولقد كان يجمع على "ادر" (انظر ما على بنفس الحاشية) . أما الزمام دار
فخرج من الزمان دار، "وهو لقب على الذى يتحدث على باب سيطرة السلطان أو الأمير من الخدام والخميين"،
وهو مركب من لفظين فارسيين : أحدهما زتان ... ومناه النساء، والثاني دار ومناه معك ... ، فيكون المعنى
معك النساء بمعنى أنه الموكل بحفظ الحرم ، إلا أن السامع والخاصة قد قلبوا التوئين فيه يمين ، فضرر به الزمام
دار ... ظنا أن الدار على معناها العربى ، والزمام بمعنى القائد ... " (الشققشندى : صبح الأعشى ، ج ٥ ،

٤٥٩ — ٤٦٠) . انظر أيضا (Quatremère : Op. Cit. I. 2. p. 65. n. 77) .

(٢) انظر تشنج يترى الضو فلا يطين الحركة . (محيط المحيط) .

وعطشا ، وأوهمهم أن السلطان يشكو ذلك ، فوضعوا له ما يوافق . وأمر [الأمير شمس الدين] الشراب دارية فأحضروا الشراب ، ودخل إلى الدهليز بنفسه ليوم العسكر صحة ذلك ، إلى أن وصل السلطان ليلة الجمعة تاسع عشره إلى قرب الدهليز .

فأمر [السلطان] الأيدمرى وجرك بالتوجه إلى خيامهما ، وأخذ على يده جراب البريد وفي كفه قوطة^(١) ومشى على قدميه إلى جهة الحراس ، فسانه حارس وأمسك طوقه ، فانجذب منه السلطان ودخل باب الدهليز . وبات [السلطان] ، فلما أصبح أحضر الأمراء وأعلمهم أنه كان متغير المزاج ، وركب فضربت البشائر لعافية السلطان . ومشى كل ما وقع على العسكر ، ولم يعلم به سوى الأتابك والأستادار والودادار وخوفاً الجلمدارية .

وكانت في هذه المدة ترد المكاتبات وتكتب أجوبتها كما رتب السلطان ، والأحوال جميعها ماشية كأنه حاضر لم يختل شيء من الأمور ، وقصد بما فعل أن يكشف حال مملكته ، ويعرف أحوال ابنه الملك السعيد في مصر ، فتم له ما أراد .

وكتب [السلطان] بإزالة الخمر وإبطال الفساد وانطواطي من القاهرة ومصر وجميع أعمال مصر فطهرت كلها من المنكر ، ونهبت الخانات التي جرت عادة أهل النساد الإقامة بها ، وصليت جميع أحوال المفسدات وحسن حتى يتروجن ، وفي كثير من المفسدين . وكتب [السلطان] إلى جميع البلاد بمثل ذلك ، وحط المقر على هذه الجهة من المال ، وعوض المقطعين جهات حللاً .

وورد الخبر بمحصول زلزلة في بلاد سبب نرب منها قلعة سرفند وعدة قلاع ، وهلك كثير من الناس حتى سال النهر دما ، وتلفت عدة جهات . وورد الخبر بأن الفرنج شنوا بموت

(١) القوطة هنا مرادف القبة ، وهي قطعة من قاش من الحرير الإسكندري ، تحمل فيها الأوراق الرسمية مرتبة إلى حضرة السلطان . (Quatremère : Op. Cit. I. 1. p. 218. N. 98) .

(٢) في س "الحامات" . انظر (Quatremère : Op. Cit. I. 2. p. 67. n. 79) .

(٣) الأحوال جمع حال ، ومعناها هنا الأموال (argent, richesses) . انظر (Dozy : Supp. Dict. Ar.) .

(٤) في س "جهاا" . (٥) ضم ضبط في س . انظر (Rec. Hist. Or. I. Index) .

السلطان، وحضر رسولهم يطلب المهادنة : وكان قد هرب من الممالك السلطانية أربعة وصاروا إلى عكا، فبعث [السلطان] بإحضارهم فامتنع الفرينج من إحضارهم إلا بموضع ، فانكر السلطان ذلك وأغلظ عليهم ، فسيروا الممالك وقد تصروهم . فعند ذلك قبض [السلطان] على رسل الفرينج وقيدهم ، وكتب إلى التواب بوقوع القسح ، وأغار عليهم (١٥٠) (١) الأمير أقوش الشمسي وقتل وأسر منهم جماعة . وركب السلطان في العشرين من رمضان وساق إلى صور، وقتل وأسر جماعة، وعاد إلى الخيم وأهل مدة، ثم جرد طائفة لأخذ المقل وقطع الميرة عن صور .

وفي سادس عشره تسلّم نواب السلطان بلاطس (٢) [من عز الدين عثمان صاحب صهيون] (٣)، وهي حصن عظيم . وفيه سارت المساكم من البيرة إلى كركر فأحرقوا وغنموا ، وأخذوا قلعة كانت بينها وبين نختا (٤)، وقتلوا رجالها وغنموا كثيرا، وأخرجوا منه الخمس للديوان . ١٠

وفيه كان خلف في مكة بين الشريف نجم الدين أبي نعي وبين عمه الشريف بهاء الدين إدريس أميرى مكة، ثم اتفقا فرتب لها السلطان عشرين ألف درهم قفزة في كل سنة، على ألا يؤخذ بمكة من أحد مكس، ولا يمنع أحد من زيارة البيت ولا يتعرض لتاجر، وأن يخطب باسم السلطان في الحرم والمشاعر، وتضرب السكة باسمه . وكتب لها تقليد بالإمارة، وسُلمت أوقاف الحرم التي بمصر والشام لتوايهما . ١٥

(١) توجد بين الصفحين ١٤٩ ب، ١٥٠ أ في س، ورقة مفصلة بها وثائق تامة لسنة ١٢٦٦ هـ، وقد أدرجت هناك . (انظر ص ٥٧٢، حاشية ٤) .

(٢) بنبرسط في س، وبلاطس حصن بساحل الشام مقابل اللاذقية . (ياقوت : معجم البلدان، ج ١، ص ٧١٠) .

(٣) أخيف ما بين القوسين من أي القداء . (المختصر في أخبار البشر، ص ١٥٣، في . Rec. Hist. Or. I.) .

(٤) بنبرسط في س، و يوجد في ياقوت (معجم البلدان، ج ٤، ص ٢٦٢) عدة مواضع بهذا الاسم، وركز المقصود هنا حصن على القرات بين آمد وعلبة، واسمها في المراجع الفرنجية (Guerguer, Gargar) أي الحصن المنيع . انظر (Rec. Hist. Or. I. Index) .

(٥) بنبرسط في س، وهي قلعة تدعى على نهر كخاسو (Kihkhta—Sn)، وتقع على مسافة أربعين ميلا تقريبا من الجنوب الشرق من ملطية . (Enc. Isl. Art. Kiakhta) .

(٦) على هذا في س فقط "قلا"، وهو مطلوب .

وفيه سلم السلطان للشريف شمس الدين قاضى المدينة النبوية وخطيبها ووزيرها - وقد حضر في رسالة الأمير عز الدين جماز أمير المدينة - الجبال التي بينها أحمد بن حنبل لأشراف المدينة، وهى نحو الثلاثة آلاف جبل، وأمره أن يوصلها لأربابها . وفيها قدم الطواشي جمال الدين محسن الصالحى شيخ خدام الحجرة النبوية ، فأكرمه السلطان وضرب له خيمة ^(١) يشق على باب الدهليز ، وناله زيادة على مائتى ألف درهم نقرة ؛ وسافر محبة القاضى والجبال مع الركب الشامى، وجهاز من الكسوة لمكة والمدينة .

وفيه قدم رسول الفرنج من بيروت بهدية وأسارى مسلمين ، فأطلقوا بباب الدهليز ، وكتبت لهم هدنة . وفيه وصل الأمير شرف الدين عيسى بن مهنا إلى الدهليز ومعه جماعة من أمراء العرب ، فأومعه السلطان أنه يريد الحركة إلى العراق ، وأمره بالتأهب ليركب إذا دعى ، وأمره فانصرف إلى بلاده ؛ وكان السلطان فى الباطن إنما يريد بحركته الحجاز .

وفيه أعطى [السلطان] ناصر الدين محمد ولد الأمير عز الدين أيدمر الحللى إمرأة أربعين فارسا ؛ ورسم للأمير قلاون والأمير أوعان والأمير بيسرى والأمير بكاش الفخرى أمير سلاح أن يباشروا الحوطة على مال الحللى لورثته ، ولم يتعزز السلطان لشيء من موجوده مع كثرتة .

ودخل شوال والسلطان على عزيم الحركة للحجاز ، فأنفق فى المسافر جميعها ، وجرّد عدة مع الأمير (١٥٠ ب) أقوش الرومى السلاح دار ليسيروا مع السلطان . وجرّد البقية مع الأمير آقسنقر الفارقانى الأستاذار إلى دمشق ، فزلزوا بظاهرها وأقاموا بها . ثم توجه السلطان إلى الحج ، ومعه الأمير بدر الدين الخازندار ، وقاضى القضاة صدر الدين سليمان الحنفى ، ونفر الدين ابن لقمان ، وتاج الدين بن الأمير ، ونحو ثلاثمائة مملوك وأجناد من الحلقة . وسار [السلطان] بهم إلى الكرك كأنه يتصيد ، ولم يحصر أحد يتحنت بأنه متوجه إلى الحجاز . وذلك أن الأمير

(١) الشقة هنا قطعة من فاشر الكنان أو شعر الماعز ، توضع واحدة منها أو أكثر حول الخيمة أو على بابها تميزها من سائر الخيم ، وجسمها شقاق وأشقاق . (Dozy : Supp. Dict. Ar.) .

(٢) على هذا لفظ "كان" ، وهو مشتوب .

(٣) فى من "الخزندار" .

جمال الدين ابن البداية الحاجب كتب إلى السلطان : "إني أشتى أتوجه بحجة السلطان إلى الججاز" ، فأمر بقطع لسانه ، فلما تفوه أحد بعدها بذلك .

وسار السلطان من القنار يوم الخميس خامس عشره ، ووصل إلى الكرك مستهل ذى القعدة . وكان قد دبر أمره خفية من غير أن يطلع أحد على ذلك ، حتى أنه جهز البشماط^(١) والدقيق والروايا والقرب والأشربة ، والربان المتوجهين معه والمرتين في المنازل ، ولا يشعر الناس بشيء من ذلك . فلما وصل [الكرك] وجد الأمور كلها مجهزة ، فأعطى المجردين معه الشعر بقدر كفايتهم ، وسار الثقل في رابعه ، وتبعهم [السلطان] في سادسه ومعه المجردون ، فنزل الشوبك ورسم بإخفاء خبره ، وتوجه في حادى عشره . وسار البريد إلى مصر ، فجهزت الكتب إليه مع الربان من جهة الكرك ، فكتبت أجوبتها من هناك .

- ١٠ ووصل [السلطان] إلى المدينة النبوية في خامس عشره ، فلم يقابله جاز ولا مالك أميراً المدينة ، وقوا منه . ورحل منها في سابع عشره ، وأحم فدخل مكة في خامس ذى الحجة ، وأعطى خواصه جملة من المال ليفرقوها سراً ، وقرق كساوى على أهل الحرمين . وصار كواحد من الناس ، لا يحجبه أحد ولا يحرسه إلا الله ، وهو منفرد يصل ويطوف ويسعى . وغسل البيت ، وصار في وسط الخلائق ، وكل من رى إليه إحرامه غسله وناول له إياه . وجلس على باب البيت ، وأخذ بأيدى الناس ليطلمهم إلى البيت ، فتعلق بعض العامة بإحرامه ليطلع
- ١٥ ففطمه ، وكاد يرى السلطان إلى الأرض ، وهو مستبشر بجميع ذلك . وعلق كسوة البيت بيده وخواصه ، وتردد إلى من بالحرمين من الصالحين .

هذا وقاضى القضاة صدر الدين سليمان بن عبد الحق الحنفى مرافقه طول الطريق ، يستفتيه ويتفهم منه أمر دينه . ولم يغفل [السلطان] مع ذلك تدبير الممالك ، وكتاب الإنشاء تكتب عنه في المهمات ، وكتب إلى صاحب اليمن [كاتباً] ينكر عليه أموراً ، ويقول فيه : "سقطها من مكة المشرفة ، وقد أخذت طريقها في سبع عشرة خطوة" — معنى بالخطوة المنزل ، ويقول

(١) البشماط هو البشماط . (محيط المحيط) . (٢) في س "أمرى" .

له : " الملك هو الذي يجاهد في الله حق جهاده ، ويسئل نفسه في الذنب عن حوزة (١٥١) الدين ، فإن كنت ملكا فانزعج التقي التار " .

وأحسن [السلطان] إلى أميرى مكة ، [وهما الأمير نجم الدين أبي نعى والأمير إدريس بن قتادة] ، وإلى أمير بنع وأمير خُليص وأكابر الحجاز . وكتب منشورين للأميرى مكة ، فطلباً منه نائباً تقوى به أنفسهم ، فرتب الأمير شمس الدين مروان نائب أمير جاندار بمكة ، يرجع أمرهما إليه ويكون الحل والعقد على يديه . وزاد أميرى مكة مالا وغللا في كل سنة بسبب تسهيل البيت للناس ، [وزاد أمراء الحجاز إلا حماز ومالك أميراً المدينة ، فإنهما اقترحا من بين يديه] .

وقضى السلطان مناسك الحج وسار من مكة في ثالث عشره ، فوصل إلى المدينة في العشرين منه ، فبات بها وسار من القد ، بخذ في السير ومعه عتة يسيرة حتى وصل إلى الكرك بكرة يوم الخميس سلخه . ولم يعلم أحد بوصوله إلا عند قبر جعفر الطيار بمؤتة ، فالتقوه هناك . ودخل [السلطان] مدينة الكرك وهو لا بس عباءة ، وقد ركب راحلة ، فبات بها ورحل من القد .

ومات في هذه السنة من الأعيان الأمير عز الدين أيذر الحلبي الصالحى نائب السلطنة ، عن نيف وستين سنة ، بدمشق في [أول شعبان] (٣٢) . ومات الأمير أسد الدين سليمان بن داود ابن موسك الهذبانى ، بعد ما ترك الخدمة تنفعا ، وله فضل ونظم جيد . وتوفى مجد الدين أبو محمد عبد المجيد بن أبى الفرج بن محمد الروندراوى بدمشق . وتوفى نور الدين أبو الحسن

(١) أضيف ما بين الأقواس بهذه الفقرة كلها من النورى (نهاية الأرب، ج ٢٨، ص ٥١ - ٥٢) ، ويلاحظ أن عبارة السلوك هنا متشابهة تماما لما يقابلها في نهاية الأرب .

(٢) بغير ضبط في س ، وهو حسن بن مكة والمدينة . (ياقوت : معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ٤٦٧) .

(٣) موضع ما بين القوسين يباخ في س ، وقد أضيف التاريخ من ص ٥٧٤ ، سطر ٩ هنا . انظر أيضا النورى (نهاية الأرب، ج ٢٨ ، ص ٥٤) .

(٤) في س "الروندراوى" . انظر (ابن الهاد : شذرات الذهب، ج ٥ ، ص ٣٢٤ ، ياقوت : معجم البلدان، ج ٢ ، ص ٣٨٢) .

على بن عبد الله بن إبراهيم، الشهير بسبويه المغربي النحوي، عن سبع وستين سنة بالقاهرة، وله شعر جيد. وتوفى شيخ الأطباء بدمشق شرف الدين أبو الحسن علي بن يوسف بن حيدرة الرحي، وله شعر جيد.

* * *

- سنة ثمان وستين وستمائة. فيها صلى الملك الظاهر صلاة الجمعة غرة المحرم بالكرك، وركب في مائة فرس وبيد كل فارس فرس، وساق الى دمشق. [هذا] والناس بمصر والشام لا يعرفون شيئا من خبر السلطان: هل هو في الشام أو الجباز أو غيره، ولا يستطيع من مهاجته والخوف منه أحد يتكلم. فلما قارب السلطان دمشق سيرا^(١) أحد خواصه على البريد يكتب إلى دمشق، وفيها البشارة بسلامته وقضاء الحج. فأحضر الأمير جمال الدين التيجي نائب دمشق الناس لسماع كتب البشارة، فبينما هم في القراءة إذ بلغهم أن السلطان في الميدان، فساروا إليه فإذا هو بمفرده، وقد أعطى فرسه لبعض مناديه سوق الخيل، فقبل النائب له الأرض.
١٠. وحضر الأمير آقستقر الاستادار والأمراء المصريون، فأكل [السلطان] شيئا وقام يستريح، وانصرف الناس. فركب [السلطان] في فريسير وتوجه إلى حلب، وحضر أمراء دمشق للخدمة فلم يجدوا السلطان. ودخل السلطان إلى حلب والأمراء في الموكب، فساق إليهم وبقى ساعة ولا يعرفه أحد، حتى فطن به بعضهم فقتلوا وقبلوا الأرض. ودخل [السلطان] دار نائب السلطنة وكشف القلعة، وخرج من حلب ولم يعرف به أحد. فوصل دمشق
١٥. في ثالث عشره، ولعب فيها بالكرة، وركب في الليل وسار إلى القدس، وزار الخليل ونصبت. وكان العسكر المصري قد سار به الأمير آقستقر الفارغاني من دمشق وزل بتل المعجول، فخرج السلطان من القدس إلى تل المعجول. وكل ذلك في عشرين يوما (١٥١ ب)، ما غير [السلطان] فيها عيادته التي حج فيها.
٢٠. ثم سار [السلطان] من تل المعجول بالمساكر في حادي عشره إلى القاهرة، فخرج الملك السعيد إلى لقائه بالصالحية، وعاد معه إلى قلعة الجبل. فأقام [السلطان] بها إلى ثاني

(١) في س "وسير".

عشر صفر، ثم خرج منها ومعه الأمراء والمقدمون، فركب في الحارقيق إلى الطروانة . ودخل [السلطان] البرية وضرب حلقة، فأحضر إلى الدهليز ثلاثمائة غزال ونحسة عشرة نعاما: أعطى عن كل غزال بغلطان^(١) بستجاب، وعن كل نعامة فرسا ثمينا بسرجه وبلحاه .

ودخل [السلطان] إلى الإسكندرية في حادى عشره، وكان صاحب بهاء الدين بن حنا قد سبق إليها وحصل الأموال والقباش . فخلع السلطان على الأمراء، وحل إليهم التماثيل والثقفه، ولعب الكرة ظاهر الإسكندرية، وتوجه إلى الحمامات ونزل بالليونة وابتاعها من وكيل بيت المال .

فبلغه هناك حركة التار، وأنهم واعدوا فرنج الساحل، فعاد إلى قلعة الجبل . فورد الخبر بغارة التار على الساجور بالقرب من حلب، فغسزد [السلطان] الأمير علاء الدين البندقدار في جماعة من العسكر، وأمره أن يقيم في أوائل البلاد الشامية على أهبة . وسار [السلطان] من قلعة الجبل في ليلة الاثنين حادى عشرى ربيع الأول ومعه نفر يسير، فوصل إلى غزوة، ثم دخل دمشق في سابع ربيع الآخر؛ ولقى الناس في الطريق مشقة عظيمة من البرد، فغيم على ظاهر دمشق . ووردت الأخبار بانتهزام التار عند ما بلغهم حركة السلطان، وكان قد ألقى الله في أنفس الناس أن [السلطان] وحده يقوم مقام العساكر الكثيرة في هزيمة الأعداء، وأن اسمه يرذ الأعداء من كل جانب . فورد الخبر بأن جماعة من الفرنج خرجوا من الغرب،^(٢)

(١) البغلطان — أو البغلطان — لفظ فارسي، وهو قباء بلا أكام — أو بأكام نصرة جدا — بلس تحت الفريسية . وكان يصنع من القطن البليكي الأبيض، أو من السجاب (petit - gris) كالكورنها، أو من الحرير اللامع (satin)؛ وكثيرا ما يزين بجواهر نجيمة . (Dozy: Supp. Dict. Ar.) . انظر أيضا (المقرئى: المواعظ والاعتبار ج ٢، ص ٩٩ و ٦٣ n. 75 I. 2. p. 75 n. 63) . (Quatremère: Op. Cit. I. 2. p. 75 n. 63) .

(٢) بنسیر ضبط في س، وهي بلدة من أعمال مريوط . (ابن دقاق: تنكب الانتصار، ج ٥، ص ١٢٩) .

(٣) بنسیر ضبط في س: وهو: رجميات منج، وتقع عليه عينتاب وتل باهر . (Le Strange: Palest. Under Moslems. pp. 42, 406, 415, 527) .

(٤) في س "انه" . (٥) يذكر التبريزى (نهاية الأرب ج ٢٨، ص ١٠٠) أن الفرنج الذين وصلوا من التسرب تلك السنة كانوا من عتد ملك أربوجة (Aragon) . وهذا نص ماورده مصححا "في هذه السنة بلغ السلطان أن الفرنج وصل إليهم سفائن من جهة الریدكون أحد ملوك الغرب، فها جماعة من أصحابه وأقاربه وكتبه، يقول فيها إنه واحد أبنا من هولاء أنه يوافيه في البلاد الإسلامية، وأنه واصل لمواعده ... " .

و بعثوا إلى أبنائهم هولاء بأنهم واصلون لمواعيده من جهة سيس في سفن كثيرة، فبعث الله على تلك السفن ريحا أنفقت عثة منها، ولم يسمع بعدها لمن بقي في الأخرى خبر. وورد الخبر أنه قد خرج فرنج عكا وخيموا بظاهرها، وركبوا وأعجبهم أنفسهم بمن قدم إليهم من فرنج الغرب، وتوجهت طائفة منهم إلى عسكر جيزين وعسكر صفد.

- فرج السلطان من دمشق على أنه يتصيد في مرج برغوث^(٢)، وبعث من أحضر إليه العدد ومن أخرج المساكر كلها من الشام، فتكاملوا عنده بكرة يوم الثلاثاء حادى عشره بمرج برغوث. وساق بهم إلى جسر يعقوب فوصل آخر النهار، وساق بهم في الليل فأصبح في أول المرح. وكان [السلطان] قد سير^(٣) (١٥٢) إلى عساكر عين جالوت وعساكر صفد بالإغارة في ثاني عشره، فإذا خرج إليهم الفرنج انهزموا منهم، فاعتمدوا ذلك. ودخل السلطان الكمين، ففند ما خرج [جماعة من] الفرنج لقتال، عسكر صفد تقدم إليهم الأمير إيفان، ثم بعده الأمير جمال الدين الحاجي، ومعهما أمراء الشام. ثم ساق الأمير أيتمش السعدى، والأمير كند غدى أمير مجلس، ومعهما مقدمو الحلقة، فقاتل الأمراء الشاميون أحسن قتال. وتبع السلطان مقدمى الحلقة، فاأدركهم إلا والصدوق قد انكسر، وصارت الخيالة ينجليها مطرحة في المرح. وأمر [السلطان] كثيرا من أكابرهم، ولم يعدم من المسلمين سوى الأمير نفر الدين الطولونا الفائزى؛ فسارت البشارى إلى البلاد.

وعاد السلطان إلى صفد والرموس بين يديه، وتوجه منها إلى دمشق فدخلها في سادس عشره، والأميرى ورعوس القتلى قُتامة. وخلع على الأمراء، ثم سار إلى حماة وخرج منها إلى كفر طاب، ولم يعلم أحد قصده. وتفرق المساكر وترك الثقل، وأخذ خيار عسكره وساق

(١) في س "وجه". (٢) في س "حين".

(٣) في س "مرج برغوث" بنسب ضبط، ومرج برغوث جهة على الطريق بين دمشق وجسر يعقوب. (انظر ما على، ص ٧، وأيضاً إيا شامة، كتاب الزوضين، ص ٣٨٤، في Rec. Hist. Or. IV.)

(٤) أخيف ما بين القوسين من التورى (تهية الأرب، ج ٢٨، ص ١٠٠)، وكان مقدم تلك الجماعة من الفرنج، حسباً في نفس المرح والجزء والصفحة، "كندا وفيرالمسى زيتون".

إلى جهة المرقب، فأصابته مشقة زائدة من كثرة الأمطار، فعاد إلى حماة وأقام بظاهرها تسعة عشر يوما . وتوجه على جهة المرقب ، فاتمى إلى قريب بلاد الإسماعيلية ، وعاقته الأمطار والتلوج فساد .

ثم ركب [السلطان] في ثالث جمادى الآخرة بمائتي فارس من غير سلاح، وأغار على حصن الأكراد^(٢) ، وصعد الجبل الذى عليه حصن الأكراد ومعه قدر أربعين فارسا . نخرج عليه عدة من الفرنج مائتين ، فحمل عليهم وقتل منهم جماعة ، وكسر باقيهم وتبعهم حتى وصل إلى خنادقهم ، وقال وهو يستخف بهم : "خلوا الفرنج يفرجوا ، فما نحن أكثر من أربعين فارسا بأقية بيض" ، وعاد إلى مخيمه ، ورعى الخيل مروجها وزروعها .

[وقى أثناء ذلك حضر إلى خدمة السلطان كثير من أصحاب البلاد المجاورة] ، فلم يبق أحد إلا وقدم على السلطان : مثل صاحب حماة ، وصاحب صهيون ، إلا نجم الدين حسن بن الشمراني صاحب قلاع الإسماعيلية ، فإنه لم يحضر بل بعث يطلب تنقيص القطيعة التي حملوها لبيت المال ، بدلا مما كانوا يحملونه إلى الفرنج . وكان صارم الدين مبارك بن الرضى — صاحب العليقة^(٣) — قد تغير السلطان عليه من مدة ، فدخل صاحب صهيون بينه وبين السلطان

(١) بنير ضبط في ص ، وهويد — وحسن أيضا — بساحل الشام ، بين وبين أنطرسوس ثمانية أميال ، واسمه في الحريات العلية (Unstrum Merghatum) . انظر (ياقوت : معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ٥٠٠ ؛ Le Strange : Palest. Under Moslems, p. 504 et seq.)

(٢) يقع هذا الحصن على الجبل الذى يقابل حصن من جهة الغرب ، بين بعلبك وحمص . ويقال له قلعة الحصن أيضا ، وهو القى اتخذته هيئة الفرسان الإسبتارية مركزا رئيسيا لم يد سقط بيت المقدس في يد المسلمين ، ومن هذا سمى (Krak de Chevaliers) . انظر (ياقوت : معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ٢٧٦ ؛ Le Strange : Palest. Under Moslems, p. 414 et seq.)

(٣) أخيف ما بين الأقواس هذه القفزة كلها والتي تليها بعد مراجعة النورى (نهاية الأرب ، ج ٢٨ ، ص ٧٦) .
(٤) في ص "يملوه" . (٥) كان صارم الدين هذا صبورا للشيوخ نجم الدين حسن بن الشمراني .
(النورى : نهاية الأرب ، ج ٢٨ ، ص ٧٦) . (٦) بنير ضبط في ص ، وهو إحدى حصون الإسماعيلية بالشام . انظر (Le Strange : Palest. Under Moslems, pp 352, 507) ، حيث توجد أسماء جميع حصون الإسماعيلية ، وتستضب أسماء هذه الحصون فيما على من قسم المرجع بنير تطبيق .

في الصلح، وأحضره إلى الخدمة . قتلده السلطان بلاد الدعوة استقلالاً، وأعطاه طليخاناه، وعزل نجم الدين [حسن بن الشعراي] وولده (١٥٢ ب) من نيابة الدعوة؛ وتوجه [صارم الدين] إلى مصياف كرمي بلاد الإسماعيلية [في سبع عشرى [جمادى الآخرة]، ومحبته جماعة [لتقرير أمره] .

- ويقال بل الذى قام فى حقه الملك المنصور صاحب حماة، و[إنه] شفع فيه إلى أن غنى عنه السلطان، وحضر بهدية فأكرمه السلطان؛ وكتب له منشورا بالحصون كلها؛ وهى قلعة الكهف وقلعة الخوايى والمينقة والمليقة والقُدُموس والرصافة، ليكون نائباً عن السلطان؛ وكتب له بأمره التى كانت بالشام، على أن تكون مصياف وبلادها خاصاً للسلطان . وبعت [السلطان] معه نائباً بمصياف، [وهو] الأمير من الدين المدينى [أحد مفاردة الشام؛ وجرّد معه جماعة من شيزر وغيرها]، فلما وصلوا إلى مصياف امتنع أهلها من تسليمها لصارم الدين، وقالوا : "لا نسلمها إلا لنائب السلطان"، فقال المدينى : "أنا نائب السلطان" . فلما فتحوا الباب هجم صارم الدين عليهم وقتل منهم جماعة، وقسّم الحصن فى نصف رجب . فلم يجد نجم الدين وولده بداً من الدخول فى الطاعة، فسألا فى الحضور فاجبياً، وحضر نجم الدين حسن وعمره تسعون سنة، فرّق له السلطان وولاه النيابة شريكاً لصارم الدين بن الرضى، وقدر عليه حل مائة وعشرين ألف درهم قرة فى كل سنة؛ وتوجه [نجم الدين] وترك ابنه شمس الدين فى الخدمة . وتقدر على صارم الدين بن مبارك بن الرضى فى كل سنة ألفا دينار، فصارت الإسماعيلية يؤثرون المال بعد ما كانوا ينجون من ملوك الأرض القطائع .

ثم رحل السلطان من حصن الأكراد إلى دمشق، فدخلها فى ثامن عشرية . وقدم الخبّر بأن الفرنسيس وعدة من ملوك القسرينج قد ركبوا البحر ولا يعلم قصدهم، فاهتم [السلطان]

(١) فى س "سابع عشره" . (٢) ضمير الماء . فاهم هنا على صارم الدين بن الرضى .

(٣) فى س "المنية" . (٤) فى س "المنى" .

(٥) المقصود بالفرنسيس ملك فرنسا لويس التاسع (Louis IX)، وكان قد أعدّ تلك السفحة لحدّ أربابها أولاً معاودة الكرة على الدبار المصرية، ثم حوّلت وجهتها إلى تونس حيث انتهت بموته دون أن تحقق أى غرض =

بالنور والشواقي، وسار إلى مصر فدخلها في ثاني شوال . وفيه تمت عمارة الجامع الظاهري بالحسينية خارج القاهرة، فرتب السلطان أوقافه، وجعل خطيبه حنفى المذهب، ووقف عليه حكر ما بقى من الميدان . وفيه بعث [السلطان] عدة رسل يهدايا إلى بلاد الفرنج .

وفي هذه السنة قتل الشريف إدريس بن قتادة بخليص، بعد أن ولي مكة منفردا أربعين يوما؛ فاستبد ابن أخيه أبو نعي بإمرة مكة وحده . وفيها مات الطواشي جمال الدين محسن الصالحى النجمي، شيخ الخدام بالمسجد النبوي .

^(١) وفيها شكر الخان منكوتمر بن طغان، ملك التريبلاذ الشمال، على الأشكرى ملك قسطنطينية . فبعث [الخان] جيشا من التتر حتى أغاروا على بلاده، وحلوا عز الدين كيقباد بن كيخسرو — وكان عبوسا كما تقدم في قلعة — ، وساروا به وبأهله إلى منكوتمر، فأكرمه وزوجه وأقام معه حتى مات في سنة سبع وسبعين . فسار ابنه مسعود بن عز الدين وملك بلاد الروم، كما يأتي ذكره إن شاء الله .

وفيها انقرضت دولة بنى عبد المؤمن بقتل الواثق أبي العلاء إدريسي — المعروف بأبي دهبوس — بن عبد الله بن يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن بن علي، في محرم على يد بنى صرين . وبنو صرين قبيلة من البربر — يقال لهم حمامة — كان مقامهم قبل تازا، فخرجوا عن طاعة الموحد بنى عبد المؤمن، وتابصوا الفارات حتى ملكوا مدينة فاس، سنة ١٥

= صليبي . وقد ذكر المقرئى هذه الحلة استطرادا لتلو أخبار الحلة الصليبية التي انتهت بوقعة المنصورة سنة ٦٤٨ هـ (انظر ص ٣٦٤، سطر ١٠، وما بعده)، ثم أوردتها مرة أخرى تحت سنة ٦٦١ هـ خطأ (انظر ص ٥٠٢، سطر ٨ - ١٠)، ولم يفتن الناشر إلى هذا الخطأ فأوردتها هناك، مجاريا في ذلك ابن أبي الفاضل : كتاب التيج السديد، ص ١٢١-١٢٢ و (Quatreméro : Op. Cit. I. I.p. 224).

(١ و ٢) الفقرة الواردة هنا بين الرقبن موجودة في ص على هامش ص ١٤٧ ب، وقد كتبنا المقرئى هناك خطأ، وأدرك هو ذلك فكتب فوقها "يقول إلى سنة تمان وسبعين [وسماعة]"، وهذا خطأ أيضا والصحيح تمان وسبعين وسماعة كما هنا . راجع (Enc. Isl. Arts. Kaika'us II, Mangū Timur.) ؟ وانظر أيضا (ص ٤٠٨، سطر ٢٠) . (٣) في ص "المومنيب" .

(٤) في ص "تازة" . (انظر ص ٣٠٠، حاشية ١) .

^(١١) بضع ثلاثين وستائة : وأول من اشتهر منهم أبو بكر بن عبد الحق بن محيى بن حمادة، ومات سنة ثلاث وخمسين . فلك بعده يعقوب بن عبد الحق ، وقوى أمره وحصر مراكش وبها أبو دبوس ، وملكها وأزال ملك بنى عبد المؤمن فى أول سنة ثمان وستين هذه ، وملك مراكش .

ومات فى هذه السنة من الأعيان قاضى القضاة بدمشق محيى الدين أبو الفضل محيى بن

- محيى الدين أبى المعالى محمد بن زكى الدين أبى الحسن على بن المجد أبى المعالى محمد بن زكى الدين أبى الفضل [محيى بن] على [بن عبد العزيز النعماني] المعروف بابن الزكى القرشى الأموى الشافعى ، عن اثنين وسبعين سنة بالقاهرة . وتوفى الوزير الصاحب زين الدين أبو يوسف يعقوب بن عبد الرزاق بن بكر بن مالك القرشى الزبيرى ، عن اثنين وثمانين سنة بالقاهرة ، بعد عزله وعخته ، وله شعر جيد . وتوفى زين الدين أبو العباس أحمد بن عبد الدائم بن نعمة المقدسى الحنبلى ، وقد انتهى إليه علو الإسناد ، عن ثلاث وتسعين سنة بدمشق . وتوفى ١٠
- الولى العارف داود الأعزب بناحية تفهنا^(١٢) ، فى ليلة الجمعة سابع عشرى جمادى الآخرة ، وبها دفن ؛ وقبره مشهور يتبرك الناس بزيارته ، ومناقبه كثيرة وكراماته شديدة قد جُمعت فى مجلد . وتوفى الولى العارف تقي الدين أبو المكارم عبد السلام بن سلطان بن ...^(١٣) المساجرى من هواره ، فى يوم الأحد ثامن ذى الحجة ، بناحية قلب^(١٤) ؛ وله كرامات كثيرة ، وأخذ الطريق

(١) كذا فى م ، والمعروف أن بنى مرين ملكوا مدينة فاس لأول مرة سنة ٥٦٤٦ هـ (١٢٤٨ م) . انظر

Enc. Isl. Arts. Fās, Marinids) ، القلقشندى : صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ١٩٦ .

(٢) أنشيف ما بنى الأفواس من التورى (نهاية الأرب ، ج ٢٨ ، ص ٥٢) ، حيث ورد أن وفاة قاضى القضاة هذا كانت بفسطاط مصر فى رابع عشر شهر رجب من هذه السنة ، وأنه دفن بالقراة ، وأن مولده كان بدمشق فى ليلة الجمعة الخامس والعشرين من شعبان سنة ست وتسعين ونحباة .

(٣) بنسرى ضبط فى م ، وهى قرية بمركزنا من مديرية الغربية ، وتقع على طريق السكة الحديدية بين بنها وزقني ، وتسمى أيضا تفهنا العزب . (مبارك : الخطط الترتيبية ، ج ١٠ ، ص ٣٩ ، وما بعدها) .

(٤) بياض فى م .

(٥) فى م "قلب" ، وقد ترجم (Quatremère: Op. Cit. I. 2. p. 82) هذا القبط إل (Kalih)

و (Kalioub) مع التشكك .

عن الشيخ أبي الفتح الواسطي عن الشيخ أحمد بن أبي الحسن الرفاعي، وقبره يُزار بقلب
ويتبرك به .

♦ ♦ ♦

سنة تسع وستين وسمائة . في المحرم ورد كتاب يمسو نوحاي قريب الملك بركة ملك
التتار، وهو أكبر مقدى جيوشه، يخبر فيه أنه دخل في دين الإسلام، فأجيب بالشكر والثناء
عليه . وفيه (١٥٣) ورد الخبر بمسير الفرنسيين وملك الفرنج إلى تونس ومخاربه أهلها ،
فكتب السلطان إلى صاحب تونس بوصول العساكر إليه نجدة له على الفرنج ، وكتب إلى
عربان بركة وبلاد الغرب بالمسير إلى نجدته ، وأمرهم حفر الآبار في الطرقات برسم العساكر ؛
وشرع في تجريد العساكر . فورد الخبر بموت الفرنسيين وابنه وجماعة من عسكره، ووصول
نجدات العربان^(٢) إلى تونس وحفر الآبار، وأن الفرنج رحلوا عن تونس في خامس صفر .

وفي سابعه توجه السلطان إلى عسقلان، ليهدم ما بقى منها خوفا من مجيء الفرنج إليها،
فقتل عليها وهدم بنفسه ما تأثر من قلعها وأسوار المدينة حتى سوى بها الأرض ، وعاد إلى
قلعة الجبل في ثامن ربيع الأول . وفي حادى عشره هلك الملك المجير هيتوم بن قنسطنطين^(٣)
مملك سيس .

وفي عاشر جمادى الآخرة سار السلطان من القاهرة - ومعه ابنه الملك السعيد - إلى
الشام، فدخل دمشق في ثامن رجب ، ونزع إلى طرابلس فقتل وأسر . واتصلت الغارات
إلى صافيتا، وتسلم [السلطان] صافيتا من الفرنج [الديوية] وأتزلهم منها، وعلتهم سبعائة رجل
سوى النساء والأطفال ، وتسلم الحصون والأبراج المجاورة لحصن الأكراد [مثل تل
خليفة وغيره] .

(١) انظر ص ٥٨٧، حاشية .

(٢) في "العرب" . (٣) في "هيتوم" .

(٤) أخيف ما بين الأقواس بهذا الفقرة من النوى (نهاية الأرب) ج ٢٨، ص ١٠٠، حيث توجد
في هذا العدد تفصيلات كثيرة .

وفي تاسع^(١) [رجب] نازل السلطان حصن الأكراد؛ وقدم عليه صاحب حماة، وصاحب صهيون، وصاحب دعوة الإسماعيلية صاحب نجم الدين. وفي آخره نصب [السلطان] عدة مجانيق على الحصن، إلى أن أخذ القلعة عنوة في سادس عشر شعبان^(٢). فطلب أهلها الأمان فأتهمهم [السلطان] على أن يتوجهوا إلى بلادهم، فنزع الفرج منها في رابع عشرية. ورتب [السلطان] الأمير صارم الدين الكافري نائباً بمحسن الأكراد، وأمر بجهازته^(٣).

وبعث صاحب أنطرسوس - [وهو مقدم بيت الداوية^(٤)] - يطلب الصلح [من السلطان]، فصولح على أنطرسوس خاصة، خارجاً عن صافيتا وبلادها. واسترجع [السلطان] منهم^(٥) جميع ما أخفوه في الأيام الناصرية، وعلى أن جميع ما لهم من المناصقات والحقوق على بلاد الإسلام يتركونه، وعلى أن تكون بلاد المرقب ووجوه أمواله مناصفة بين السلطان وبين

(١) في س "باسم"، وقد أضيف ما بين القوسين من التورى (نهاية الأرب، ج ٢٨، ص ١٠١).

(٢) في س "عشره". وقرئها إشارة إلى لفظ "شعبان" بهامش الصفحة، وهو بخط المتر، وواضح من هذا أن المقرئ أضاف الشهر ونسى حذف الهاء. انظر التورى (نهاية الأرب، ج ٢٨، ص ١٠١).

(٣) كتب السلطان بيبرس بعد تسليم الحصن إلى رئيس فرسان الإسبتار، وهو صاحب حصن الأكراد، خطاباً أوردته المي (عند الجمان، ص ٢٣٧ - ٢٣٨، في Rec. Hist. Or. II. 1)، وهذا نصه "إلى إفرير (frère) أول جعله الله من لا يهترس على القدر، ولا يماند من سحر بلجته النصر والظفر، ولا يمتد أنه ينحى من أمر الله بالقدر، ولا ينجى منه (٢٣٨) محجور البنا. ولا مبنى الجبر. فله بما ملى الله من فتح حصن الأكراد الذى حصنه وبنيه وخليفه، وكنت الموقن لو أخليه. وتكلفت في حفظه على إخوتك فا قدومك، وضيمتهم بالإقامة فيه ضميموه وضيموك. وما كانت هذه الساكر تنزل على حسن وبق، أريخيم سعيداً ويشق". هذا وفى الجلة الأخيرة من هذا الكتاب تورية، فإن المقصود بلفظ "سعيداً" هنا ابن السلطان بيبرس وولده، وهو الذى حاصر الحصن فلا (نفس المرجع، ص ٢٣٨). أما رئيس هيئة القرامطة الإسبتارية تلك التى فهو (Hugh Revel)، انظر (King: The Knights Hospitallers In The Holy Land, p. 271).

(٤) أضيف ما بين القوسين بعد مراجعة المي (عند الجمان، ص ٢٣٨، في Rec. Hist. Or. II. 1). وكذلك (Stevenson: Crusaders In The East p. 343).

(٥) الضمير هنا عائذ على الدارية والإسبتارية ما. انظر (Stevenson: Op. Cit. p. 343). وكذلك ما يلى، ص ٥٩٥، حاشية ١. - هذا وجارة المقرئ هنا حشاية فى أفعالها وترتيبها لما يقابلها فى المي (عند

الجمان، ص ٢٣٨، فى 1-10 Rec. Hist. Or. II.)

الإستبار، وعلى ألا تجدد عمارة في المرقب . فتمّ الصلح، وأُخلى الفرنج عدة حصون تسلمها السلطان .

وفي صايح عشر رمضان نازل السلطان حصن عكا^(١) ونصب عليه المجانيق ، [وجدد أهله في المناضلة] (١٥٣ ب) وقاتلهم [السلطان قتالا شديدا] ، فقتل الأمير ركن الدين منكورس الوداداري وهو يصلي في خيمته بحجر متجنق أصابه . ولما كان في تاسع عشره سال الفرنج الأمان ، ورفعت السناجق السلطانية على الأبراج، ونرجوا منه في سلخه . وعيد السلطان بالحصن، ورحل إلى مخيمه بالمرج، وكتب إلى مملك طرابلس يحذره وينذره .

وفي ربيع شوال ركب السلطان بجميع عساكره جريدة من غير ثقل يريد طرابلس، وساق إليها . فبينما هو عازم [على ذلك]، إذ ورد عليه الخبر بأن ملك الإنكشار وصل إلى عكا في أواخر رمضان، بثلاثمائة فارس وثمانى بطس وشوانى ومرابك تكلة ثلاثين مرابكا، غير ما سبقه صحبة أستاذاره، وأنه يقصد الحج إلى القدس . فغير [السلطان] عزيمته ونزل قريبا من

(١) بغير ضبط في س، وهو حصن مبني على جبل يسمى بنفس الاسم، وموقعه شمال طرابلس . انظر (Le Strange: Palest. Under Moslems, pp. 80, 390) . ويسمى هذا الحصن أيضا باسم حصن ابن عكار، وقد أورد النويرى (نهاية الأرب، ج ٢٨، ص ١٠٢ - ١٠٣) أن قيام صاحب طرابلس حديثا بهارته كان السبب في إغارة السلطان ببيروس عليه وأخذه .

(٢) أضيف ما بين الأقواس به مراجعة المصنف (عقد الجمان، ص ٢٣٨، في 1. Rec. Hist. Or. II) .
(٣) أورد النويرى (نهاية الأرب، ج ٢٨، ص ١٠٣) نص كتاب التحذير والإنذار الذى أرسله السلطان ببيروس إلى صاحب طرابلس بعد الاستيلاء على حصن عكار، وهو منقول من هذا المربع في ملحق رقم ٤ بآخر هذا الجزء من كتاب السلوك .

(٤) في س "الانكار"، والصيغة المثبتة هنا بالقرن أقرب إلى الاسم الأصل (Angleterre)، وهى التندارة في مؤلفات المؤرخين المسلمين زمن الحروب الصليبية . (انظر ص ٣٦٤، حاشية ه) . وهذا "ملك الانكار" الذى وصل عكا فى السنة هو الأمير (Edward) الذى صار فيها بعد ملكا على إنجلترا باسم (Edward I)، وكان هذا الأمير قد انضم للحملة الصليبية التى توجهت إلى تونس، وقد وصل إلى شواطئ تونس بعد وفاة (Louis IX) ملك فرنسا، وبعد إغناء الهدنة بين الصليبيين وملك تونس . ولم يسبب الأمير الإنجليزي اختتام الحملة الصليبية على النصارى التى انتهت إليه، فانصرف إلى الشام ووصل عكا كالمعتن . (King: The Knights Hospitallars. In The Holy Land. p. 268) .

(٥) كان برتبة الأمير الإنجليزي أخوه (Prince Edmund) وأيضا (Count of Brittany)، ولعل الثانى هو الذى كان يعلّم فرطيفة المذكورة هنا . انظر (King : Op. Cit. p. 268) .

طرابلس ، وبعث اليهم^(١) الأتابك والأمير الدوادار فاجتمعا بصباحها ، وجرت أمور آخرها أنهم سألوا السلطان الصلح فكتبت الهدنة لمدة عشرين سنة ، وجهز الأمير نغرا الدين ابن جليان ، والقاضي شمس الدين الإخنائي^(٢) شاهد الخزانة ، بثلاثة آلاف دينار مصرية لفكك الأسرى. وعاد السلطان إلى مخيمه ، وسار إلى حصن الأكراد فدبر أمر عمارته ، ورتب أحوال تلك الجهات .

- وفي حادى عشره استولى السلطان على حصن الملقية من حصون الإسماعيلية ، واستخدم به الرجال . ورحل إلى دمشق فدخلها للنصف منه ، ورحل منها في رابع عشره ، فقتل صفد وحمل منها المجانيق إلى القرين^(٣) ، وساق اليه ونازله حتى أخذه في ثانى ذى القعدة . وركب منه فاصبح إلا على أبواب عكا مطلقا ، فاحتزك أحد من الفرنج ، فعاد إلى مخيمه بالقرين ، وهدم القلعة في رابع عشرى ذى القعدة ، ورحل منه إلى قريب عكا ، ونزل الجبلون^(٤) .
- ١٠ وكان [السلطان] قد كتب إلى مصر بتفسير الشوانى لقصد قبرص ، فسارت في شوال حتى قاربت قبرص ، فانكسرت كلها . وشعر بهم أهل قبرص فأسروا جميع من كان فيها من الرجال ، وبعث صاحب قبرص كتابا إلى السلطان يقترعه فيه بأن شوانى مصر — وهى أحد

(١) الضمير هنا عائد لـ أهل طرابلس وصاحبها . انظر التورى (نهاية الأوب ، ج ٢٨ ، ص ١٠٣) .

(٢) فى س "الاخنائي" ، ولعل النسبة الى إسخنا ، وهى حبا جاء فى ياقوت (معجم البلدان ، ج ١ ، ص ١٦٦) مدينة قديمة قرب الإسكندرية .

(٣) بنير ضبط فى س ، وهو حصن فى أرض مطيا قرب صفد ، (Le Strange: Palest. Under Moslems. p. 495 راجع فى الحوليات الملبية (Montfort) أو (Starkenbourg) ، وكان المركز الرئيسى لمبنى الفرسان البيوتون (Teutonic Knights) فى الشرق . انظر (King: The Knights Hospitallers The Holy Land. p. 271) .

(٤) بنير ضبط فى س ، ويوجد بالثام وفلسطين أكثر من هذا الاسم ، (Le Strange: Palest. Under Moslems. Index) والمقصود هنا بلد بالأردن ، بينه وبين طبرية عشرون ميلا ، ويعد عن الرملة أربعين ميلا . (ياقوت : معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ٣٥١) .

(٥) أصل مشروع غزو قبرص ، حبا جاء فى العيني (عقد الجمان ، ص ٢٣٩ ، وما بعدها ، فى (Rec. Hist. Or. II. 1.) ، أنه بلغ السلطان وهو مخيم على حصن الأكراد (انظر ص ٥٩١ ، سطر ١) أن صاحب جزيرة قبرص كان قد ركب بجيشه على عكا لمحجة لأهلها ، فأراد السلطان أن يستنم هذه القرعة ، فبعث جيشا كثيفا فى ستة عشر شيئا لياخذوا جزيرة قبرص فى هبة صاحبها . انظر أيضا ابن أبى القضاة (كتاب النج السديد ، ص ١٩٧ ، وما بعدها) .

عشر شيئا — خرجت إلى قبرس فكسرها الرمح، وأخذتها [وأسرت من فيها] . فلما قرأه السلطان قال : ” الحمد لله ! منذ ملكني الله تعالى الملك ما أخذت لي راية، وكنت أخاف من إصابة عين، فهذا ولا يفهمه “ وكتب إلى القاهرة بإفشاء عشرين شيئا ، وإحضار خمس شواني كانت بقوص، وكتب إلى قبرس جوابا أورد فيه وأبقى^(١) .

(١) أخيف ماين القوسين من التويرى (نهاية الأرب، ج ٢٨، ص ٥٥) .

(٢) في ص ” بقوص “ - انظر التويرى (نهاية الأرب، ج ٢٨، ص ٥٥) .

(٣) يوجد في البني (عقد الجان، ص ٢٤٠، وما بعدها، في ١. 10 Rec. Hist. Or. II) رواية مفصلة لما حدث في هذا الصدد، ونصها : ” فلما وصلت [الشواني] إلى مرسى اللندون (Limassol) تحت قبرس جنبا إلى الليل، وعظم الشيء الأول دخلا على أنه يقصد الميناء، فصادف الشباب في الظلمة، فانكسر، وبعثه الشواني واحدا فواحدا ولم يعلم بما أصابه، فانكسروا في دجى الليل جميعا، وأسرم أهل قبرس . وكان ابن حسون المتقدم قد أشار برأى ظهير (في الأصل ظهير) الناس به، وهوان يمل [الشواني] بالقار، ويعمل عليها الصبيان ليذهب على القرمح بشوانهم، فتركو من موافقتهم (مضبوطة هكذا)، فاقضى تغيير (في الأصل تغيير) شعارها ما أراد الله من انكسارها . وورد كتاب صاحب قبرس إلى السلطان، يخبر بأن شواني مصر وصلت إلى قبرس، وكسرها الرمح وأخذتها (كذا) وهي أحد عشر شيئا . فأمر [السلطان] بأن يكتب إليه جوابه، فكتب إليه هذه المكاتبة :

ال حضرة الملك أوك، ذكر ببال (كذا، انظر حاشية ١ بالأصل) جملة الله من يوفى الحق لأهله، ولا يخنر بنصر إلا إذا أتى قبله أو بعده (٢٤١) بخبره أو مشله . نعلم أن الله إذا أسعد إنسانا دفع عنه الكثير من فضائه باليسير، وأحسن له بالتدبير فيما جرت به المقادير . وقد كنت عرضنا أن الهوى (كذا) كسر طمة من شوانينا، وصار بذلك ضيغ وبه فزع . ونحن الآن نبشركم بنفسه القرنين، وأين البشارة بتملك القرنين من البشارة بما كفى الله ملكا من الدين . وما العجب أن يخبر بالاستيلاء على حديد، ونسب الاستيلاء على الحصون المحصنة هو العجب . وقد قال وقلنا، وعلم الله أن قولنا هو الصحيح، وانكل وانكنا . وليس من انكل على الله وسيفه كن انكل على الرمح . وما النصر بالهواء طليح، إنما النصر بالسيف هو المالح . ونحن نشق في يوم واحد عدة قطاع، ولا ينشئ (كذا) لكم من حصن قلعة، ويجهز مائة قطع، ولا تجهز لكم في مائة عام قلعة . وكل من أعطى مقدافا ذهب (كذا)، وما كل من أعطى سيفاً أحسن الضرب به أو غرّف (كذا) ولعلها عرف) . وإن قدمت من بحيرة المراكب آحادا فعدنا من بحيرة المراكب ألوف، وأين الذين يطمنون بالمقادير في صدر البحر من الذين يطمنون بالرياح في صدر الصقوف، وأتم خيولكم المراكب ونحن مراكبنا الخيول، وفرق بين من يجرها كالبحار ومن يقف به في الوصول، وفرق بين من يصيد على الصغور من الخيل العراب (كذا)، وبين من إذا (٢٤٢) اخترق قال تصيدت بفراب . فلئن كنتم أخذتم لنا قرية مكسورة، فكأن أخذنا لكم من قرية معمورة، وإن استوليتم على سكان، فكأن أخذنا بلادكم من سكان، ولم كتب وكبتنا، فبى أبا أغم، ولو أن في الملك سكوتا كان الواجب عليه أنه سكت وما تكلم . انظر أيضا (ابن الفضال : كتاب التيج السديد، ص ١٩٩ — ٢٠٠ التويرى : نهاية الأرب، ج ٢٨، ص ٥٥ — ٥٦) .

وقد تمت رسل صاحب^(١) صور (١١٥٤) تطلب الصلح ، فوق الاتفاق على أن يكون للفريخ من بلاد صور عشرة بلاد فقط ، ويكون للسلطان خمسة بلاد يختارها ، وبقية البلاد تكون متناصفة ؛ ووقع الحلف على ذلك .

وسار السلطان إلى القاهرة ، ودخل قلعة الجبل في ثاني عشر ذي الحجة ، فبلغه أن

- الشهرزورية قد عزموا على سلطنة الملك العزيز عثمان بن صاحب الكرك الملك المغيث عمر بن المادل أبي بكر بن الكامل محمد بن المادل أبي بكر بن أيوب ، وكان السلطان قد جعله أحد أمراء مصر . فقبض عليه وعلى عدة أمراء منهم الأمير بهاء الدين يعقوب ، وقبض أيضا على عدة أمراء كانوا قد اتفقوا على قتله وهو بالشقيف : منهم الأمير علم الدين سنجر الحلبي ، والأمير أفراس المحمدي ، والأمير أيدغدي الحاجبي ، والأمير إيتان سم الموت ، والأمير سقر المساح ، والأمير بيدغان الركني ، والأمير طرطح الأمدى ؛ وبجنتهم بقلعة الجبل .

١٠

و [فيه] جهز [السلطان] الأمير أفسقر الفارقاني بسكر إلى الشام . وفيه وردت هدية صاحب اليمن ، وفيها تحف ودب أسود وفيل . وفيه أكثر السلطان من الركوب إلى مصر لمباشرة عمل الشواني ، حتى كملت ضعفى ما انكسر . وفي سابع عشره أمر [السلطان] بإهراق الخمر ، وأبطل ضمانها وكان في كل سنة ألف دينار ، وكتب بذلك توقيعا قروئى على المنابر . وفيه خلع السلطان بالميدان ، وقرق على ألف وسبعمائة شخص أثمان خيل ، وقرق ألفا وثمانمائة فرس ، كل ذلك وهو جالس حتى فرغ . وفيه لازم [السلطان] الصناعة بمصر

١٥

(١) كان صاحب صور تلك السنة (John de Montfort) ، ويلاحظ أن السلطان كان قد عقد هدنة في السنة الفائتة مع كل من هيئة الإيجار والفرابة . (King: The Knights Hospitallers In the Holy Land, p. 272)

(٢) انظر ص ٩٣ ، سطر ٢ .

(٣) كذا في ص ، وفي النورى (نهاية الأرب ، ج ٢٨ ص ٥٤) .

(٤) الفخيم هنا مائد على السلطان بيبرس . انظر النورى (نهاية الأرب ، ج ٢٨ ص ٥٣ ، ٥٤ ، ٥٦) ، حيث توجد تفصيلات وافية في مدد كل هذه الحوادث .

عدة أيام لى التشاب . و [فيه] ورد الخبر بأن الفرنج أغاروا على جهة الشاغور، وأخذوا غلة ونربوا وأحرقوا غلالا .

وفيها عزل شمس الدين أحمد بن محمد بن خلكان عن قضاء الشافعية بدمشق ، وأعيد عز الدين أبو المفاجر محمد بن عبد القادر بن عبد الباقي بن خليل بن مقلد بن جابر ، الشهير بابن الصائغ . وفيها وصل سيل عظيم إلى دمشق ، فأخذ كثيرا من الناس والدواب ، وقلع الأشجار وردم الأنهار ، ونرب الدور وأرتفع حتى نزل مرأى السور ، وذلك زمن الصيف . وفيها ولي قضاء المالكية بمصر نفيس الدين أبو البركات محمد بن المخلص ضياء الدين أبي الفخر هبة الله بن كمال الدين أبي السعادات أحمد بن شكر المالكي . ولم يمحج [أحد] في هذا العام من مصر ، لاف البر ولا في البحر . وهم مكة سيل عظيم في شعبان حتى دخل الكعبة .

١٠ [ومات في هذه السنة من الأعيان الأمير علم الدين سنجر الصبري ، في سادس صفر بدمشق . وتوفي قاضي القضاة المالكي شرف الدين عمر بن عبد الله بن صلاح بن عيسى بن عبد الملك بن موسى بن خالد بن علي بن عمر بن عبد الله بن إدريس بن إدريس بن الحسن ابن الحسن بن علي بن أبي طالب السبكي ، في ليلة الخامس والعشرين من ذى القعدة ، عن أربع وعشرين سنة . وولى بسدة قضاء المالكية بالقاهرة نفيس الدين أبو البركات محمد بن القاضي المخلص ضياء الدين هبة الله أبو الفخر بن كمال الدين أبي السعادات أحمد بن شكر .

(١) كان فرنج عكا هم الذين قاموا بهذه الإغارة ، وقد حفرهم إلى تلك الحركة وغيرها غياب السلطان بيبرس في مصر . (Stevenson: Crusaders In The East, p. 344).

(٢) الوفيات التالية واردة على ورقة مفصلة بين الصفحتين ١٥٣ ب ، ١٥٤ أ في ص . والسطر الأول منها — وهو الوارد هنا بين القوسين — محجوب بين ملصق الصفحتين ، لكنه في ب (١٨١) . هذا وليس تمت شك في وقوع هذه الوفيات تلك السنة ، انظر (التویری : نهاية الأرب ، ج ٢٨ ، ص ٥٦ — ٥٧ ؛ ابن العباد : شذرات الذهب ، ج ٥ ، ص ٣٢٨ — ٣٣١) .

(٣) المقطع الثاني من هذا اللفظ محجوب في ص ، وكذلك كلمة سة ، السبب المذكور بالحاشية السابقة ، ولكنهما في ب (نفس الصفحة) . انظر أيضا التویری (نهاية الأرب ، ج ٢٨ ، ص ٥٦ — ٥٧) .

- وتوفى الشريف إدريس بن علي بن قتادة بن إدريس الحسني أمير مكة ، قتيلا بظاهر مكة ؛ فانفرد بعده أبو نعي بن أبي سعد . وتوفى قاضي حاة شمس الدين أبو الظاهر إبراهيم بن المسلم ابن هبة الله بن حسان بن محمد بن منصور البارزي الجهني الحموي الشافعي ، عن تسع وثمانين سنة بمكة . وتوفى الأديب تاج الدين أبو المكارم محمد بن عبد المنعم بن نصر الله بن جعفر ابن شقير المغربي الحنفي بدمشق ، عن ثلاث وستين سنة . وتوفى قطب الدين أبو محمد عبد الحق بن إبراهيم بن محمد بن نصر بن سبعين المرسى الصوفي بمكة ، عن نحو خمسين سنة .



- سنة سبعين وستمائة . أملت والسلطان متشدد في إراقة الخور وإزالة المنكرات ، فكان لذلك يوما مشهودا . وفيه أفرج [السلطان] عن الأمير سيف الدين بيدغان الركني ، وأعطاه إقطاعا بالشام . ثم أحضره بعد قليل ، هو وسيف الدين ملاجا الركني ، واشترأهما وربتهما سلاح دارية . (١٥٤ ب) وورد الخبر باختلاف الحال بين عيسى بن مهنا وبين العربان ،

(١) توجد في ابن العباد (شذرات الذهب ، ج ٥ ، ص ٢٢٩ — ٢٣٠) ترجمة طويلة لابن سبعين هذا ، وهو الفيلسوف المعروف ، وكانت بينه وبين الإمبراطور فردريك الثاني مراسلات فلسفية مشهورة . انظر (Lane-Poole : A Hist. Of Egypt. p. 226) .

(٢) أورد النويري (نهاية الأرب ، ج ٢٨ ، ص ٥٦ — ٥٧) ، ضمن وفيات هذه السنة ، وفاة سليل من أبناء البيت الأيوبي اسمه الملك الأحمدي بن الدين عباس ، ونصه : ” وفيها كانت وفاة الملك الأحمدي بن الدين أبي الفضائل عباس بن السلطان العادل سيف الدين أبي بكر بن أيوب ، وهو آخر من مات من أولاد الملك العادل . وكان محترما عند الملوك الأيوبية ، مطاعا عند السلطان الملك الظاهر ، لا يرتفع عليه أحد في المجلس ولا الموكب . وكان رحمه الله تعالى دمث الأخلاق صامكا بما عافا حازما ، وكانت وفاته بدمشق في يوم الجمعة ثاني عشر جمادى الآخرة (٥٧) ، ودفن بفسح قاسيون ، وليس له عقب “ .

(٣) كما في ص ، وقد ترجم (Quatremère : Op. Cit I. 2. p. 92) هذه العبارة إلى (il les acheta tous deux, et leur donna le rang de Silah-dâr) وهذا لا يخرج عن المدلول الحرفي المقهور . إنما الغريب هنا أن ” يشتري “ السلطان أميرين من أمراء الممالك كأنهما رقيقان ، إذ المعروف في تاريخ الدولة المملوكية أن المالك كانوا يشترون صفارا ، وأنهم كانوا لا يصلون إلى رتبة الإمارة — كأمير خمسة أو عشرة أو خمسين أو مائة أو أكثر — إلا بعد تحريرهم وتنقلهم في الوظائف والولايات والنيايات بمصر والشام .

وأنة يريد التوجه إلى التتار . فغشى السلطان أنه إن استدعاهم لا يحضروا، وإن توجه إلى الشام تسحبوا؛ فكتب أمره .

ونزل [السلطان] إلى الميدان في سابعه، ونفق في خواصه مبلغ أربعمائة ألف درهم نقرة، وأثنى عشر ألف دينار عينا، ونيفا وستين حياصة . وأمر بتجهيز العساكر إلى عكا بعد الربيع، ولازم التزول إلى الصناعة في كل يوم حتى تمجرت الشوانى . ونزل الأمير آقستقر الفارغانى
بن معه من السكر على جبين .

فلما كان ليلة السابع عشر منه توجه السلطان بعد المغرب ، ومعه جماعة يسيرة من خواصه ، وأخفى حركته . ورسم بأن أحدا من المجردين معه لا يشتري علفا ولا مأكولا، وقرر لم يمتاحجون إليه . وسار إلى الزقة^(١)، ثم عرج منها في البرية إلى الكرك، ودخلها من غير أن يعلم به أحد في سادس صفر، ونزل بقلعتها . وقرر [السلطان] في نيابة الكرك
علاء الدين أيديكين الفخرى، ونقل الأمير عز الدين أيديمر نائب الكرك إلى نيابة الشام . ولم يظهر [السلطان] ذلك حتى تسلم أيديكين نيابة الكرك في ثامنه ، واستدعى عز الدين أيديمر
وأفهمه أنه طلبه لنيابة حصن الأكراد .

وسار [السلطان] إلى دمشق، فدخلها في ثالث عشره من غير أن يعلم أحد بحضوره، وكان قبل دخوله إلى دمشق قد كتب القاضي فتح الدين بن عبد الظاهر بين يديه ثمانين كتابا
في يوم وليلة، إلى التواب والأمراء : بتفويض نيابة الشام لعز الدين أيديمر الظاهري، عوضا عن أفوش النجبي . وسير [السلطان] تشريفا للنجبي نائب دمشق، وأمره أن يتوجه
إلى مصر ويسلم الأمر لعز الدين أيديمر، فاعتمد ذلك .

وأبقى السلطان فيدم خرج معه مالا وأفرأ وخيولا، وركب بهم في ليلة السادس عشر منه،

(١) بشر ضبط في س ، وهي بلدة واقعة قرب الحدود بين مصر والشام ، يربها القناص من مصر إلى الكرك

(G. - Demombynes : La Syrie, p. 6, n. 2).

(٢) في س "وزرا"، والصيغة الواردة هنا من ب (١٨٥ ب) .

- ونزل خارج حماة بالجوسق^(١) ونزل صاحب حماة في خيمة . ورتب السلطان أستاذادار^(٢) وأمير جاندار وحاشية السلطنة، فإنه كان [قد] خرج من مصر جريدة^(٣) وقام له صاحب حماة بالأسمطة . وقدم عليه [وهو بمحاجة] جماعة من أكابر العرب فأكرمهم، وكرم عنهم أمره [وما أظهر لهم شيئا]؛ وكتب إلى عيسى بن مهنا يطلب منه خيولا عتيها له ليطمئه، وكتب إليه : "إنك بعثت وأنا بمصر تطلب الحضور، فكنتك إليك لا تحضر حتى أطلبك، وقد حضرت إلى حماة . فإن أردت الحضور فاحضر" . فحضر [عيسى] وسأله السلطان عما قتل عنه، فقال : "نعم ! والصدق أنجي من الكذب"، فأحسن [السلطان] إليه وإلى أكابر (١١٥٥) العرب .
- وفي سادس عشره قدم شمس الدين بن نجم الدين صاحب الدعوة الإسماعيلية ، قبيض عليه وعلى أصحابه وسيروا إلى مصر؛ واستمرت مضايقة حصونهم حتى تسلم نواب السلطان حصن انقواي وحصن القليقة .

- وفي أول شهر ربيع الأول ركب السلطان من ظاهر حماة بعد عشاء الاخرة ، من غير أن يعلم أحد قصده، وسار على طريق حلب . ثم عرج من شيزر وأصبح على حصن، وتوجه إلى حصن الأكراد وحصن عكار وكشف أمورهما . وسار إلى دمشق، وكتب إلى مصر كتابا يقول فيه لأكابر الأمراء : "ولدكم"، ولبقيتهم : "أخوكم ووالدكم يسلم عليكم ويتشوق إليكم، وإيثاره ألا يفارقكم . وإنما قدما راحتكم على راحتنا ، فطلبنا نعبوا واسترحنا . ونعلمهم بالتجديدات ليكونوا لها كالمشاهدين، وكشاركتنا في أكثر المجاهدين : فمنها حديث الإسماعيلية وحديث العربان، وقد ورد الخبر بحركة التتار، ولو عدا بلخلت أهل البلاد . وأما الفرنج

(١) الجوسق سرب المفظ الفارسي كوسك ، وسمناه القصر ، ويجمع على جواسق ، ويعني في الشعر بجوسا على جواسق أيضا . (محيط المحيط) .

(٢) في س "استادار" . (٣) في س "وأقام" .

(٤) أخيف ما بين الأقواس بهذه الفقرة من النويري (نهاية الأدب، ج ٢٨، من ٥٧ — ٥٨)، حيث توجد تفصيلات كثيرة في هذا الصدد .

(٥) الإهارة هنا إلى إهارة التزل على صيناب وعرق الحارم ، وكان السلطان حين ذلك مقيا بدمشق . (أبو الفداء، المختصر في أخبار البشر، ص ١٥٤ في Rec. Hist. Or. I.)

فعملوا سلاط من حديد، وعزموا على مهاجمة صفد ووردوا بيروت^(٢٢)، فلما وصلنا البلاد انعكست آمالمهم . وبما يدل على التحكين تارة بالسيف وتارة بالسكين، أن صاحب مصرية^(٢٣) الذي أخذنا بلاده توجه الى التار مستصرخا، وسيرنا وراءه فداوية، وقد وصل أحدهم وذكر أنهم قد قفزوا عليه وقتلوه . وبلغتنا حركة التار . وأنا والله لا أبيت إلا وخيل مشدودة، وأنا لابس قماشي حتى المهماز^٥ .

وورد الخبر بأن التار أغاروا على عين ناب، وتوجهوا على العمق في نصف ربيع الأول^(٢٤)، فكتب إلى مصر يقريد الأمير يسرى بثلاثة آلاف فارس . وخرج البريد من دمشق في الثالثة من يوم الأحد ثامن عشره، فدخل القاهرة الثالثة من ليلة الأربعاء حادي عشره، ونخرج يسرى والعسكر بكزة يوم الأربعاء المذكور . وقدم التار إلى حارم وقتلوا جماعة، وتأخر العسكر الحلبي إلى حماة، ووصل آتسقر بالعسكر من جينين . بفعل أهل دمشق، وبلغ ثمن الجمل ألف درهم، وأجرته إلى مصر مائتي درهم . ودخل الأمير يسرى بالعسكر المصري إلى دمشق في رابع ربيع الآخر، فخرج السلطان بالساكر إلى حلب، وجرّد الأمير آتسقر ومعه عدة من الرهبان إلى مرعش، وجرّد الحاج طيبرس الوزيري والأمير عيسى بن (١٥٥) مهنا إلى حران والزها . فوصل العسكر إلى حران وقتل من بها من التار، وهزم باقيهم .

فورد الخبر بأن الفرنج قد أغاروا على قاقون بمواعدة التار، وقتل الأمير حسام الدين أستاندار، وجرح الأمير ركن الدين الجاني، ورحل ييكا الملائي وإلى قاقون . فخرج السلطان من حلب، ومنع أحدا أن يتقدم حتى لا يعلم الفرنج خبره، ودخل إلى دمشق وبين يديه عدة من التار الماسورين من حران . وسار الأمير أقوش الشمسي بمسكعين جالوت، فولى

(١) في مس "حرير" والصيغة المنتجة بالمتن منقولة من ب (١٨٠) .

(٢) في مس "وردوا بيروت"، وهي في ب (١٨٠) "وردوا بيروت"، ولم ينطع (Quatremère : Op. Cit. I. 2. p. 100) أن يجد لها معنى أو اسما جغرافيا مقولا، فقلها في ترجمته بحروفها العربية .

(٣) بنير ضبط في س، وهي قلعة بساحل الشام قرب حمص . (ياقوت : معجم البلدان، ج ٤، ص ٥٠١) .

(٤) المقصود هنا عن الحارم . انظر المعنى (نقد الجمان، ص ٢٤٥، في ١. Rec. Hist.Or. II. 1.) .

الفرنج منهزمين من قافون، وتبعهم العسكر فاسترجعوا منهم عدة من التركان، وقتلوا كثيرا حتى أنه عذ ما تلف من خيل الفرنج وبغالهم فكان خمسمائة رأس.

- ونخرج السلطان من دمشق في ثالث جمادى الأولى، ومعه عساكر مصر والشام للقاء على عكا. فتكاثر الأمطار عليه في مرج برغوث، وزاد الأمر عن الوصف، فكاد الناس يهلكون لعدم ما يستظلون به. فود [السلطان] عسكر الشام وسار إلى مصر، فدخل قلعة الجبل في ثالث عشره.

- وقدمت هدية صاحب تونس، وفي مكاتبته تقصير في المخاطبة، ففرقت هديته على الأمراء، وكتب إليه بالإلحاح عليه في التظاهر بالمنكرات واستخدام الفرنج، وكونه لم يخرج إلى الفرنج^(٢) لما نازلوه، وكان مستغفيا؛ وقيل له: "مثلك لا يصلح أن يلى أمور المسلمين"، وخوف وأتذر. وقدمت رسل رجار وهو يشفع في صاحب عكا، والسلطان في الصناعة جالس بين الأخشاب والصناع، والأمراء تحمل بأنفسها آلات الشواني وهي تمد، فراعهم ما شاهدوا.

- وفي رجب خرج السلطان متصيدا بجمهة الصالحية، فورد انخبر بحركة التار فصاد إلى القلعة، وخرج في ثالث شعبان إلى الشام. وأتته رسل الفرنج بعكا — وهو بالسواد^(٤) — تطلب الهدنة، فصار وبعث إليهم الأمير نغر الدين أياز المقرئ، والصدر فتح الدين ابن القيسراني كاتب الدرج، في حادى عشرى رمضان. ونزل السلطان بمروج قيسارية، فعقد الهدنة مع الفرنج لمدة عشر سنين وعشرة أشهر وعشر ساعات من التاريخ المذكور. وخرج أهل عكا لمشاهدة العسكر، فركب السلطان ولعب هو وجميع العسكر بالرج.

(١) في س "يستلوا".

(٢) يشير المؤلف هنا إلى حوادث الحلة المليية التي تقدم ذكرها في ص ٥٩٠، ص ٥٠٥، وما بعده.

(٣) ترجم (Quatremère: Op. Cit. I. 2. p. 102) هذا الاسم إلى (Roger)، ينير تليق.

(٤) في س "السواد"، والسواد المقصود هنا موضع بنواى القلاء. (ياقوت: معجم البلدان، ج ٣،

ص ١٧٤ و 235 (Le Strange: Palest. Under Moslems, p. 235).

ورحل [السلطان] إلى دمشق فدخلها ثاني شوال، وحضرت رسل التار في طلب الصلح،
بجهاز [السلطان] إليهم الأمير مبارز الدين الطورى أمير طبر، والأمير نغراالدين المقرئ الحاجب،
ومعهما الرسل وهدية لأبنا بن هولكو وغيره . فساروا في خامس عشره ، فلما قدما على أبنا
أكرمهما (١٠١٥٦) وأدخل عليهما وأعادهما .

وفيه كثر اشتغال السلطان بعمل النشاب بيده ، فاقتدى به جميع الأمراء وأنخواص،
وكتب إلى الملك السعيد وسائر النواب بذلك، فلم يبق أحد إلا وهو متوقر على العمل . فعمل
السلطان جملة نشاب بيده ، نحتها ورئتها وفصلها .

فلما خشي [السلطان] توجه إلى حصن الأكراد، ووصل إليه في حادى عشرى ذى الحجة،
وشاهد العارة [به]، وأمر جميع من معه من الأمراء بنقل حجارة المنجنيق إلى داخل القلعة،
وقتل معهم بنفسه ، ثم نزل وعمل بيده في مرمة مكان بالهندق، وحفر [بنفسه] . ثم سار
إلى حصن عكار، وعمل في عمارته بيده أيضا، وأمر برى المنجنيقات ليعرف مواضع سقوط
أحجارها . وعاد إلى حصن الأكراد، وخلع على من به من الأمراء وأرباب الوظائف، ونخرج
يتصيد، فكان الذى خلعه نعمة تشريف على من أحضر إليه الصيد .

وفى هذه السنة امتحن قاضى القضاة شمس الدين محمد بن إبراهيم بن عبد الواحد بن على
ابن سرور بن رافع بن حسن بن جعفر المقدسى الحنبلى : وذلك أن القضاة الأربعة^(١) الذين
ولاهم [السلطان] الملك الظاهر بديار مصر، كان كل منهم يستنب قضاة عنه فى النواحي،
وكان لثى الدين شيب الخزانى أخ شوب عن قاضى القضاة شمس الدين الحنبلى بالمحلة^(٢)

(١) فى س "الاربع" .

(٢) بنبر ضبط فى س ، والمقصود بهذا الاسم هنا مدينة المحلة الكبرى التى كانت مقر ولاية الغربية ، وكان قد غلب
عليها اسم المحلة فقط حتى صار لا يفهم عند الإطلاق إلا هى . هذا وفى القلقشندى (صبح الأضنى ، ج ٣ ، ص ٤١٠)
أن هذه المدينة كانت تعرف باسم محلة الدقلا ، وقد ذكر ياقوت (معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ٢٤٨) أنها كانت
تسمى أيضا باسم محلة شرقيون ، وأن هذه التسمية الثانية ناشئة من تكوين المدينة قسمها ، لأنها "ذات جنين" أحدهما
صغلا والآخر شرقيون" .

فنزله . فغضب شبيب لذلك ، وكتب ورقة للسلطان بأن عند قاضي القضاة شمس الدين الحنبلي ودائع التجار من أهل بغداد وحران والشام ، بمجلة كبيرة وقد ماتوا . فاستدعاء السلطان وسأله عن ذلك ، فانكر وحلف وورى في يمينه ، فأمر السلطان بالهجم على داره ، فوجد فيها كثيرا مما ادّعاء شبيب : بعضه قد مات أهله ، وبعضه لقوم أحياء . فأخذ [السلطان] مما وجد الزكاة لمدة سنتين ، وسلم لمن كان حياً وداعته . وغضب السلطان عليه واعتقله ، وأوقع الحوطة على داره في يوم الجمعة ثاني شعبان .

وسار [السلطان^(١)] إلى الشام [وقاضي القضاة شمس الدين الحنبلي في الاعتقال بمصر] ، فسلط شبيب عليه وأدعى أنه حشوي^(٢) ، وأنه يقدر في السلطان ، وكتب بذلك محضرا . فأمر الأمير بدر الدين بيليك نائب السلطنة بعقد مجلس ، فمُقد في يوم الاثنين حادي عشره ؛ وحضر الشهود ، فنكل بعضهم وأقام بعضهم على شهادته . فأتى^(٣) النائب بن شهد وجرئهم^(٤) ، وذلك أنه تبين له تحامل تقي الدين شبيب على القاضي ؛ واعتقل شبيب ووقعت الحوطة على موجوده ، وأعيد القاضي إلى (١٥٦ ب) اعتقاله بقلمة الجبل ، فأقام معتقلا سنتين ، ولم يول السلطان بعده قضاء الحنابلة أحدا .

(١) أخيف ما بين الأقواس بهذه الفقرة من التورى (نهاية الأرب ، ج ٢٨ ، ص ٥٩) ، ويلاحظ أن عبارة المقرئ هنا مشابهة كثيرا لما يقابلها في التورى .

(٢) ترجم (Quatremère: Op. Cit. I. 2. p. 105. n. 123) هذا القبط إلى (parleur inconsideré) أي شخص مدعوم القيبة أو المنفعة ، وقد دُل على هذا المعنى بأشلة عديدة منها "الحشوية من العوام" . هل أنه يوجد في محيط المحيط ، ما يفهم منه أن الحشوية نسبة إلى مذهب معين ، ونصه : "الحشوية نسبة إلى الحشو ... أو الحشوية نسبة إلى الحشا [وهم] طائفة تمسكوا بالظواهر ، وذهبوا إلى التجسيم وغيره" .

(٣) المعنى أن النائب عاقب الشهود بالضرب أو غيره ، وتوجد في (Quatremère: Op. Cit. I. 2. p. 105. n. 125) أشلة عديدة لاستعمال فعل "أثرق" مقرونا بالباء بهذا المعنى ، ومنها : "كان قصد الوزير الإثراق به بالضرب" .

(٤) ترجم (Quatremère: Op. Cit. I. 2. p. 105 et n. 126) هذا الفعل إلى (le naïf fit promener ignominieusement) وهذا مطابق لما جاء في محيط المحيط ، ونصه : "برس بالقوم مع بهم وأشهر عيوبهم وتقصصهم ، والعامية تقول جرئهم بالصاد" . هذا ويظن (Quatremère: Op. Cit.) أن استعمال هذا الفعل بمعنى التشهير راجع إلى أن جرئ كان يذق على طول الطريق أمام المحكوم عليهم .

وفيها قدم الشرفان جاز وغانم بن إدريس مكة، وملكاها أربعين يوما؛ ثم قدم أبو نبي
فلحكما منها . وفيها ولدت زرافة بقلمة الجبل في جمادى الآخرة، فأرضعتها بقرة . و[فيها]
ولدت امرأة بدمشق في بطن واحد سبعة بنين وأربع بنات، وكانت مدة حملها أربعة أشهر
وعشرة أيام؛ فأتوا كلهم وعاشت الأم .

• ومات في هذه السنة من الأعيان تاج الدين أبو القاسم عبد الرحمن بن رضى الدين
أبي عبد الله محمد بن عماد الدين أبي حامد محمد بن يونس الموصل الشافعي، عن اثنين وسبعين
سنة ببغداد. وتوفي كمال الدين أبو الفضل سلا بن الحسن بن عمر بن سعيد الإربلي الشافعي،
بدمشق عن سبعين سنة . وتوفي عماد الدين أبو عبد الله محمد بن سني الدين أبي الغنائم سالم
ابن الحسن بن هبة الله بن محفوظ بن مصري التغلبي^(١) الدمشقي، بها عن سبعين سنة . وتوفي
أمين الدين أبو الحسن علي بن عثمان بن علي بن سليمان الإربلي الأديب الشاعر، وقد ترك
الحنفية وتناك، عن ثمان وستين سنة، بطريق الفيوم . ومات ببلد الخليل عليه السلام
الشيخ علي البكا، الرجل الصالح، في أول شهر رجب، وله كرامات كثيرة .



سنة إحدى وسبعين وستمائة . في خامس المحرم دخل السلطان إلى دمشق،
وقد تواترت الأخبار بحركة التار . فركب خيل البريد من دمشق في ليلة سادسة بعد عشاء
الآخرة، ومعه الأمير يسرى، والأمير أقوش الرومي، وجرمك السلاح دار، وجرمك الناصري،

(١) في س "سج" .

(٢) ليس للوفيات الآتية وجودها في س، بل هي واردة في ورقة مفصلة بين الصفحتين ١٦٠ ب، ١٦١ أ،
حيث وضعت خطأ . هذا وليس تحت شك في مناسبة هذه الوفيات هنا، فبعضها مذكور تحت تلك السنة في ابن العاد
(شذرات الذهب، ج ٥، ص ٣٣١ — ٣٣٣) ، وهي واردة كما هنا في ب (١٨٤) . انظر أيضا
(Quatrenière : Op. Cit. I. 2. p. 108. n. 129)

(٣) في س "عام"، والصيغة المثبتة هنا من ب (١٨٤) .

(٤) في س "الطلي" . انظر ابن العاد (شذرات الذهب، ج ٥، ص ٣٣٢) ، حيث ورد هذا اللفظ
بهم "الطلي" .

وستقر الألفى السلاح دار ، وعلم الدين شقير مقدم البريد . وساق فدخل قلعة الجبل في يوم السبت ثالث عشره على حين غفلة ، [و] لم يشعر الناس إلا وقد دخل باب القلعة راجا . ثم ركب إلى الميدان ولعب بالأكرة ، وأمر بتجهيز العساكر إلى الشام . وكتب [السلطان] إلى الأمراء [المقيمين ^(١)] بدمشق ، [وذكروا في الكتب] أنه سطرها من البيرة بحكم أنه توجه لتدبير أمورها ، وسير علامم بخطه ليكتب عليها من دمشق أجوبة البريد .
• للاطراف ؛ وكان الأمير سيف الدين الدوادار قد أقام بقلعة دمشق ليجهز الكتب والبريدية .

وفي يوم الاثنين خامس عشره ركب السلطان إلى مصر ، وركب في البحر ولعبت الشواني فقامه . وفي ليلة الأربعاء سابع عشره جهز ^(٢) المسكر المحرود إلى الشام . وفي ليلة تاسع عشره توجه السلطان إلى الشام بمن حضر معه على البريد ، فدخل قلعة دمشق ليلا .
• وفي صفر قدمت رسل الملك أبنا ورسل الروم ، فلم يُحتفل بهم ، وأمرُوا أن يضربوا ^(٣) جوكا فقام نائب حلب وقدم صاحب حماة . وكان مجيؤهم بأن يحضر سفير الأشقر حتى يمضى في الصلح ، ثم غيروا كلامهم وقالوا : ” يمضى السلطان أو من يكون بعده في المتلة الى أبنا لأجل الصلح “ ، فقال السلطان للرسول : ” بل أبنا إذا قصد الصلح يمضى هو فيه أو أحد من إخوته “ . وأمر [السلطان] بلبس العساكر غلبسوا عُد الحرب ولعبوا في الميدان .
• خارج دمشق ، والرسل تشاهد ذلك ؛ ثم سُقروا في رابع ربيع الأول . وفيه قسّم السلطان

(١) أضيف ما بين الأقواس بهذه الفقرة بعد مراجعة النوى (نهاية الأرب ، ج ٢٨ ، ص ٤١) . انظر

أيضا (Quatremère : Op. Cit. I. 2. p. 109. n. 131) .

(٢) في ص ” عشره “ ، وكذلك في النوى (نهاية الأرب ، ج ٢٨ ، ص ٤١) . انظر ما يلي بنفس السطر ،

وكذلك (Quatremère : Op. Cit. I. 2. p. 109) .

(٣) في ص ” جرك “ ، بنسب ضبط ، وهو فقط ترى مناء الجلوس على الركبتين كعادة المنول في حضرة ملوكهم ، ومعنى العبارة كلها أنه طالب الى الرسل المذكورين أن يؤدوا لنائب حلب وصاحب حماة مثل ما يؤدون لملوكهم من شتمات الاحترام والخشوع . انظر (Dozy : Supp. Quatremère : Op. Cit. I. 2. p. 103. n. 132) .

(Dict. Ar.) وكذلك ص ٥١٤ ، حاشية هـ .

(٤) في ص ” مجهم “ .

صهون مرث سابق الدين ونغر الدين، ولدى سيف الدين أحمد بن مظفر الدين عثمان بن منكبرس بعد موته ؛ [وكان هذا] بوصيته لها بذلك . فأمرهما [السلطان] وأحسن إليهما ، وقدم أهلها الى دمشق .

[في خامس جمادى الأولى] ورد الخبر بتزول التار على البيرة ونصبهم المجانيق عليها ، وأنهم قد حفظوا غلواض الفرات وتزلوا عليها ، ليعوقوا من يصل إليهم . فجهز السلطان الأمير نغر الدين الحمصي بمئة من عسكر مصر والشام إلى جهة حارم ، وجهز الأمير علاء الدين الحاج طيرس (١١٥٧) الوزير في جماعة ، ورحل [هو] من ظاهر دمشق [في ثامن عشر جمادى الأولى] ، ومعه مراكب مفصلة محمولة . وجد [السلطان] في المسير حتى وصل الى الفرات ، فوجد التار على الشط ، فالتى المراكب التي حملها معه في الفرات وأخذتها بالمقاتلة ، فتراموا هم والتار . واقتحم الأمير قلاون [الأتقي الصالحى] الفرات ، فغاض ومعه عدة وافرة ، وصدم التار صدمة فزقهم بها ومنفهم . فالقت الأطلاب أنفسهم في الفرات ، وساقوا فيها عوما الفارس الى جانب الفارس ، وهم متماسكون بالأعنة ومجاذيفهم رماحهم ، وعليهم وعلى

(١) كذا في س ، وقد توفى منكبرس هذا — واسمه منكورش أيضا — تلك السنة . (أبر الفداء : المختصر في أخبار البشر ، ص ١٥٤ ، في (Rec. Hist. Or. I.) .

(٢) ضمير الماء عائد على منكبرس .

(٣) أنضيف ما بين الأفراس بهذه الفقرة من ابن أبي الفضايل (كتاب التيج السديد ، ص ٢١١ ، وما بعدها) ، حيث توجد تجميعات وافية عما حدث للسلطان يبرس مع التار تلك المرة .

(٤) في س " نصب " .

(٥) في س " غاضى " . انظر محيط المحيط .

(٦) يوجد بين الصفحتين ١٥٦ ب ١٥٧ أ في س ورقة مفصلة ، بها وفيات تاجرة لسنة ٦٧٤ هـ ، وقد أثبتت في موضعها المناسب تحت تلك السنة . (انظر ص ٦٢٤ ، حاشية ٤) .

(٧) كانت تلك المراكب للبياديين بجيرة قدس القرية من حصص ، وقد فصلت وحملت على ظهور الجبال الى نهر الفرات كما يأتى . (ابن أبي الفضايل : كتاب التيج السديد ، ص ٢١٣) .

(٨) كان الأمير قلاون ، حيا جا . في ابن أبي الفضايل (كتاب التيج السديد ، ص ٢١٣) ، " أول من أرى نفسه من الفرات ... ثم تبعه الأمير بدر الدين يسرى الشمسى ، ثم تبعهما السلطان بنفسه مع الساكر ... " .

خيولهم الحديد . وازدحوا في الماء ، فكان لقمقعة السلاح وأمواج الماء هول مفرع .
وطلع السلطان في أولهم ، وصلى في منزلة المدوركتين شكا لله تعالى ، وبث السالكين
وشمالا ، فقتلوا وأسروا عددا كثيرا .

وبات العسكرية الاثنين ، فورد الخبر بهزيمة التار عن البيرة مع مقدمهم درباي^(٣) ،

- وتركهم الأطفال والأزواد ؛ وأن أهل البيرة أخذوا ذلك خفقوا به . وأقام السلطان ينتظر من
يلاقيه من التار فلم يأت أحد ، فعدى بجميع عساكره في القرات كما فعلوا أول مرة ، وتزل بهم
في ذلك ما لا يوصف من كثرة المشقة ، وعظم الهول حتى طلعت السالكين إلى البر . وسار
[السلطان] إلى البيرة ، وخلع على نائبها وأعطاه ألف دينار ، وعي بالتشريف والإعانة أهل
البيرة ، وفوق فيهم مائة ألف درهم فضة ، وجرّد هناك عتّة من العسكر زيادة على من كان
فيها ؛ وسار إلى دمشق فدخلها في ثالث جمادى الآخرة والأسرى بين يديه .

- وخرج [السلطان] إلى مصر ، فوصل قلعة الجبل في خامس عشره ؛ وأفرج عن الأمير
عن الدين الديماطي ، وأنزله بدار الوزارة وأجرى عليه الرواتب . ثم استدعاه وشرب معه
القمز^(١) ، وقد حضر أكابر الأمراء لذلك ، فلما ناوله السلطان الخناب بيده وهو مملوء قال
[عن الدين] : "ياخوند ! قد شربنا وشاب نيدنا" . وعي [السلطان] بالخلع الأمراء والوزراء
والقضاة والمقدمين ؛ وجهز رسل الملك منكوتمر ورسّل الملك الأشكري ورسّل الدعوة ،
فساروا في شعبان .

(١) كذا في م ، بتقطيع تحت الياء ، وهو مترجم في (Quatremère : Op. Cit. I. 2. p. 111) إلى
(Derhai) ، ودارد في (D'Ohsson : Op. Cit. III. p. 464) بصيغة (Deriai) . انظر أيضا ابن أبي
الفضال (كتاب التيج الجديد) ص ٢١٥ ، حاشية ١ .

(٢) القمز نبيذ يصل من لبن الخيل ، واللفظ تترى الأصل ، وقد كان السلطان يبرس شغفا بهذا النوع من الشراب .
انظر (Lane-Poole : A Hist. of Egypt. p. 273) ، وما به من المراجع ؛ (Dozy : Supp. Dict. Ar.)

(٣) في م "الهاب" ، غير ضبط ، والهاب قدح الشراب ، ويقال في الفرنسية (hanap) ، وفي الإيطالية
(anapapo) ، وفي الألمانية (napf) . انظر (Dozy : Supp. Dict. Ar.) ، وما هناك من المراجع .

وفي ثاني عشر شوال قبض على الشيخ خضر بن أبي بكر بن موسى شيخ السلطان ، وكان السلطان قد استدعاه الى القلعة ، وأحضر جماعة لإحراقه على أشياء كثيرة بدت منه كاللواط والزنا وغيره ، فأمر السلطان باعتقاله [، ويحرق بقلعة الجبل .

وفي ثاني عشر ذي الحجة استولى السلطان على بقية حصون الدعوة الإسماعيلية : وهي المنيقة^(٧) والقُدُموس والكهف ؛ وأقيمت هناك الجمعة وتُرُضَى عن الصحابة بها ، وعُقيبت المنكرات منها ، وأظهرت شرائع الإسلام وشعائره .

وفي هذه السنة سار وإلى قوص من أسوان حتى قارب دمقلة من بلاد النوبة ، وقتل وأسر ثم عاد . وفيها استولى (١٥٧ ب) السلطان على عامة مدن برقة وحصونها . وفيها حصل الاحتفال بأمر الشواني ونصب المجانيق على أسوار الإسكندرية ، فكل هناك نصب مائة منجنيق ، وذلك لكثرة الإشاعة بحركة الفرنج لقصد ثغور ديار مصر . وفيها فتحت قلعة تينوك^(٣) من بلاد الأرمن ، على يد الأمير حسام الدين لاجين العتابي . وفيها تيجرت عمارة محضرة بيت المقدس . وفيها نزل السلطان يعوم في النيل وهو لابس زردية مسبلة^(٤) ، وعمل بسطا كبيرة ، وأركب فوقها الأمير حسام الدين الدوادار ، والأمير علاء الدين أيدغدي الأستاذار ، وجرها وجر فرسين — وهو يوم لابس الزردية — من البر^(٥) إلى البر^(٥) .

(١) أخيف ما بين القوسين بعد مراجعة ابن أبي الفضايل (كتاب النج السديد ، ص ٢١٧) . انظر أيضا النويري (نهاية الأرب ، ج ٢٨ ، ص ٤١ — ٤٢) ، حيث توجد تفصيلات كثيرة في هذا العدد .

(٢) في ص "النيقة" .

(٣) بغير ضبط في س ، وفي (Quatremère Op. Cit. I. 2. p. 113. n. 137) ، أن هذه البلدة هي بلدة الحدث ، وعلى هذا يكون موقعها بين طلبة ومسيماط ، ويقال لها الحراء أيضا . انظر (ياقوت) : معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ٢١٨ .

(٤) تريم (Quatremère : Op. Cit. I. 2. p. 113) هذه العبارة الى "Il était revêtu d'une cuirasse flottante" أي أن زردية السلطان كانت واسعة مرخاة وتطفو على الماء .

(٥) قبالة هذه العبارة في هامش الصفحة في س إشارة الى هذه الحادثة ، وهي مكتوبة بخط مخالف ونصها : "يوم السلطان الطاهر (كلا) في البحر" .

ومات^(١) في هذه السنة من الأعيان شهاب الدين أبو صالح عبيد الله بن الكمال أبي القاسم عمر بن الشهيد شهاب الدين أبي صالح عبيد الرحمن بن عبد الرحمن بن الحسن بن العجمي الحلبي، بها عن اثنتين وستين سنة. وتوفي نغر الدين أبو محمد عبد القاهر بن عبد الفتي بن محمد ابن أبي القاسم بن محمد بن تيمية الحراني الحنبل، عن نحو ستين سنة بدمشق. وتوفي الأديب غلص الدين أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن هبة الله بن قرناص الحموي. وتوفي الشريف شرف الدين أبو عبد الله محمد بن رضوان الحسيني، الناصح الكاتب المجرّد المؤرخ، عن تسع وستين سنة^(٢).

♦ ♦ ♦

سنة اثنتين وسبعين ومسمّاة. في الحرم تُقَضُّ باب القصر المعروف بباب البحر تجاه المدرسة الكاملية بين القصرين، [لأجل نقل عمد منه لبعض البهائر السلطانية]، فوجد فيه صندوق في داخله صورة من نحاس أصفر، [مُقَرَّغ] على كرسي شكل هرم ارتفاعه قدر شبر بأرجل نحاس، والصنم جالس عليه ويداه مرتفعتان ^(٣)محملان صفيحة دورها ثلاثة أشبار مكتوبة [بالقبطي]، وإلى جانب الكتابة في الصفيحة شكل له قرنان يشبه شكل السنبلة، وإلى الجانب الآخر شكل ^(٤)ثاني وعلى رأسه صليب، وشكل ثالث في يده عنكاز وعلى رأسه صليب. [مع هذا الصنم] في الصندوق لوح من ألواح الصبيان، قد تكتشط أكثر ما فيه من الكتابة وبقي فيه بيبرس^(٥)، فتعجب من ذلك.

(١) ليس للوفيات الأتية وجود هنا في س، عل أنها واردة في ورقة مفصلة بين الصفحتين ١٥٩ ب، ١٦٠ أ حيث لصقت خطأ. انظر (ابن العباد شذرات الذهب، ج ٥، ص ٣٣٣ — ٣٣٥) وكذلك النويري: نهاية الأوب، ج ٢٨، ص ٤٢ — ٤٣.

(٢) في هذه السنة أيضاً، حسبما ورد في النويري (نهاية الأوب، ج ٢٨، ص ٤٢) كانت وفاة الملك المنبغ فتح الدين عمر بن الملك الفاتح إبراهيم بن الملك السلطان العادل سيف الدين أبي بكر محمد بن أيوب، وقد توفي في معتقله بسبب نزلة البود بالقاهرة، ودفن بالقراة بجوار ضريح الإمام الشافعي.

(٣) في س "مرتفعة محل".

(٤) أضيف ما بين الأقواس بهذه الفقرة بعد مراجعة المقرئ (المواظ والاعتبار، ج ١، ص ٤٣٣ — ٤٣٤) النويري: نهاية الأوب، ج ٢٨، ص ٤٣، حيث توجد تفصيلات وافية بصدده هذه الموجودات. انظر أيضاً (Quatremère: Op. Cit. I, 2, p. 114, n. 141).

(٥) في س "بيرس". انظر المراجع المذكورة بالحاوية السابقة.

وفيه وردت الأخبار بحركة الملك أبغا، فخرج السلطان من قلعة الجبل في ليلة سادس عشره، ومعه الأمير سنقر الأشقر، والأمير يسرى، والأمير أتامش السعدى . فلما وصل [السلطان] عسقلان كتب الى القاهرة بخروج العساكر جميعها والعربان من ديار مصر، محبة الأمير بيليك الخازندار، ورسم بأن كل من في سائر مملكته له فرس فإنه يخرج إلى الفزاة، وأن يخرج كل قرية من قرى الشام رجالة يركبون الخيل على قدر حالهم، ويقومون بالقرية بكافة من يتوجه . ودخل السلطان إلى دمشق في سابع عشر صفر .

فخرج من عساكر مصر في حادى عشره عدة أربعة آلاف فارس، محبة مقدمهم : وهم الأمير علاء الدين طويس الوزرى ، وجمال الدين أقوش الرومى ، وعلاء الدين قطليجا ، وعلم الدين ططح . ثم خرج في ثامن عشره الأمير بيليك الخازندار بطائفة كبيرة، فورد مرسوم السلطان على الأمير بيليك بالنزول قريبا من يافا . وعند ما قارب عسكر مصر دمشق ركب السلطان من دمشق في نحو أربعين نفسا جرائد بنير (١٥٨) ركبدار، وقد طلب العسكر وقارب المتزلة . فاعترض السلطان العسكر، وكان قد تلثم هو وجماعته، فظنهم الجباب من بعض التركان، فأمرهم بالترجل فأبوا . وساق السلطان بمفرده، وجاء خلف السناجق وحمر لثامه عن وجهه، فعرفه السلاح دارية . ودخل [السلطان] وساق في موكب، فنزل الناس وقبلوا الأرض، وسار حتى نزل ورثب العسكر . وأصبح [السلطان] فركب في موكب، وقضى أشغال الناس إلى أن أمسى، [ثم] ركب بمن حضر معه إلى دمشق، وأصبح راكبا في موكب . وفي مدة غيبته كان الأمير سيف الدين الدوادار يربط الأمور بدمشق، ويكتب الأجوبة على علائم فوق أوراق بيض .

(١) كذا في س، واسمه "عز الدين قطليجا" في ابن أبي الفضايل (تخاب التبع السديد، ص ٢١٨)، وأورده التويرى (نهاية الأرب، ج ٢٨، ص ٤٤) على أنه "شمس الدين أقش المعروف بقطليجا".

(٢) كذا في س، وهو وارد "طرطج" في ابن أبي الفضايل (شمس المرجع والمصفحة)، "وطردح" في التويرى (شمس المرجع والجزء والمصفحة).

- وفيه قرأ الأمير شمس الدين بهادر بن الملك فرج^(١) [من التار إلى السلطان بيوس] . وكان [الملك] فرج [في أول أسره] أمير طشت السلطان جلال الدين خوارزم شاه ، وكان له سيمساط ، وبعد وفاة جلال الدين ملك قلعة كيران وعدة فلاح بناحية قمعوان^(٢) . ثم وصل [الملك فرج هذا] إلى [بلاد السلاجقة] الروم ، فأقطع بها ناحية أقصر^(٣) . وكان بهادر قد كاتب السلطان [بيوس وراسله وتقرب إليه بإعلامه بحقيقة أخبار المدق] ، فعلم به التار فأمسكوه وحملوه إلى الأردن ، فهرب وحضر إلى البيرة ، ووصل إلى دمشق وبها الملك الظاهر ، فأكرمه وأعطاه بمصر إمرة عشرين فارسا .
- ونخرج السلطان من دمشق إلى مصر ، فدخل قلعة الجبل في رابع عشر جمادى الآخرة . فنوازت الأخبار بجركة التار ، فرسم للأمير عيسى بن مهنا أمير العرب بالفارة ، فأغار ووصل إلى الأنبار في ثامن عشر شعبان . فظن التار أن السلطان [قد] قدم ، فانهزموا إلى أجا ، فرجع إلى بلاده .
- وفي نصف شعبان أفرج عن قاضي القضاة شمس الدين الحنبل . وفي شهر رمضان رسم للمسكر بالثأب للعب القبق ورمى الشباب ، فركب من كل عشرة فارسان في أحسن زيم وقت الحرب ، وركب السلطان في محالكة ودخلوا في الطعن بالرمح . ثم أخذ [السلطان] الحلقة ورمى الشباب ، وجعل لمن أصاب من الأمراء فرسا من خيله الخاص بشاهيره ،
- (١) في س "فرج" ، وقد صحح هذا الاسم ، وأضيف ما بين الأقواس بهذه الفقرة كلها ، بمراجعة الورى (نهاية الأوب ، ج ٢٨ ، ص ٤٤) ، حيث توجد تفصيلات كثيرة بصدد هذا الملك الشريد . انظر أيضا (Quatremère : Op. Cit. I. 2. p. 116. n. 143) .
- (٢) في س "اميرطست" .
- (٣) بنير ضبط في س ، وهي مدينة آذربيجان بين تبريز وبيلقان . (ياقوت : معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ٢٢٢) .
- (٤) بنير ضبط في س ، وهي بلدة من فواحي أتران وتسمى أيضا نخجوان ، ويذكر ياقوت أيضا (نص المرحع والجزم ، ص ٨٠٢) أن النسبة من قهجران "قشوى" ، وقد سأل في آذربيجان عن سبب ذلك الاشتقاق القريب فلم يستطع أحد أن يخبره به .
- (٥) في س "انصر" . انظر (Quatremère : Op. Cit. I. 2. p. 116) .

والحلقة والبحرية بنطاق . فاستمر ذلك أياما ، تارة يكون اللعب فيها بالرمح وتارة بالنشاب وتارة بالدبابيس ، وقرق [السلطان] فيها من الخيل والبغال طيق جملة . وساق السلطان يوما على عادته في اللعب ، وسل سيفه فسلت ممالكه سيوفها ، وحمل هو وممالكه الخواص حملة رجل واحد واصعدوا ، فكان منظرا مهولا . وأطلق [السلطان] من الشاريف ما عم به سائر من في خدمته : من ملك وأمير ووزير ، ومقدمي الحلقة والبحرية ، ومقدمي الممالك والمفردي ، ومقدمي البيوتات السلطانية ، وكل صاحب شغل ، وجميع الكلاب والقضاة ، وسائر أرباب الوظائف . وفي يوم عيد الفطر خُتِنَ الأمير نجم الدين خضر ابن السلطان وعدة من أولاد الأمراء ، وجرى السلطان على عادته في عدم تكليف الناس ، فلم يقبل من أحد هدية (٥٨ ب) ولا مقدمة ، ولم يسق من لا شمله إحسانه من سائر الطوائف ، إلا المغاني وأرباب الملاهي فإنه لم تتفق لهم في طول أيامه سلعة ، ولا تألم منه رزق البتة . ١٠

وفي ثلثي عشر شهر رمضان سار الملك السعيد من قلعة الجبل في علة من الأمراء جريدة إلى الشام ، من غير أن يعلم به أحد . فدخل دمشق في سادس عشره على حين غفلة من النساب ، بحيث لم يشعر به العسكر إلا وهو بينهم في سوق الخيل ، فقبلوا له الأرض . ودخل [الملك السعيد] إلى القلعة وأراد لعب القبق خارج دمشق ، فتمتته كثرة الأمطار . وفي ليلة عيد الفطر خلع [الملك السعيد] على أمراء الشام والمقدمين والمفاردة والأكابر ، ونخرج يتصيد بالمرج ، وسار إلى الشقيف وصفد ، وتوجه إلى القاهرة فوصل قلعة الجبل في حادي عشرى شوال . ١٥

وفي هذه السنة كان بمصر وأريافها وباء ، هلك فيه خلق كثير أكثرهم النساء والأطفال . وحصل في بلاد الرملة وبلاد القدس مرض وحيات ، فقدم رجل نصراني إلى الأمير غرس الدين بن شاور وإلى الرملة ، وقال [له] : "هذه الآبار قد حاضت ، كما جرى في السنة التي جاء التار فيها إلى الشام . وإن الفرنج بعثوا إلى قرية عابود في الجبل ، [و] أخذوا من مائها وصبوه (١) في س "عابود" بنير ضبط أوقف ، وعابود قرية جبلية بنواحي بيت المقدس . (بافوت : معجم البلدان ، ج ٣ ، ص ٥٨٣ ؛ التويري : نهاية الأرب ، ج ٢٨ ، ص ٤٥) . ٢٠

في الآبار فزال الوحم“، وأشار بعمل ذلك . فبعث وإلى الرملة إلى القرية المذكورة ، وأخذ من مائها وصبه في الآبار التي بيافا ، وكان الماء قد كثف فيها فنقصت إلى حثها المتعارف . وكتب إلى السلطان بذلك ، وقيل [له] : ”إن هذه الآبار إناث تحيض ، وآبار الجبل ذكور ومنها آبار قرية عابود المذكورة“^(١) .

- وفيما ولي تق الدين أبو عبدالله محمد بن..... بن يحيى الرق قضاء الشافعية بحلب ، بعد وفاة محي الدين محمد بن الأستاذ .

- ومات في هذه السنة من الأعيان الأمير فارس الدين أقطاي الصغير المستعرب الصالح النجفي ، أنابك المساكر بديار مصر ، عن سبعين سنة في ناسع جمادى الأولى . ومات الأمير حسام الدين لاجين الأيدمرى المعروف بالدرفيل ، دأودار السلطان . وتوفى قاضي حلب محي الدين أبو المكارم محمد بن محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن علوان بن الأستاذ الشافعي بها ، و[قد] قدم القاهرة ودرس بالمسروية^(٢) . وتوفى قاضي قضاء دمشق كمال الدين أبو الفتح عمر بن شداد بن عمر بن علي التفليسي الشافعي ، عن سبعين سنة بالقاهرة . وتوفى مؤيد الدين أبو المعالي أسعد بن المظفر بن أسعد بن حمزة بن القلانسي النجفي ، خارج دمشق عن ثلاث وسبعين سنة ، بعد ما قدم القاهرة . وتوفى التحوي جمال الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن مالك الطائي الحلياني بدمشق ، عن بضع وسبعين سنة . وتوفى تق الدين أبو محمد إسماعيل بن إبراهيم بن شاكر بن أبي اليسر التنوخي المعزى ، المحدث الأديب كاتب الإنشاء ، عن ثلاث وثلاثين سنة بدمشق . وتوفى المسند نجيب الدين أبو الفرج عبد اللطيف

(١) في س ”عابود“ . (٢) يياض في س .

(٣) المسروية اسم مدرسة كانت في الأصل دارا لشمس الخواص مسرور ، بجلت مدرسة بعد وفاته . وكان مسرور هذا من اخص السلطان صلاح الدين الأيوبي ، فقدمه على حلقته ولم يزل مقدما إلى الأيام الكاطية ، ثم انقطع إلى الله ولم داره حتى مات . (القريري : المرواظ والاضار ، ج ٢ ، ص ٣٧٨) .

(٤) في س ”الحلياني“ ، والحلياني نسبة إلى بلدة حليان التي تبعد سبعة عشر فرسخا عن قرطبة بالأندلس . (ابن العباد : شذرات الذهب ، ج ٥ ، ص ٣٣٩ ؛ باقوت : معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ١٦٩ — ١٧٠) .

بن عبد المنعم بن علي بن نصر الحزاني ، مدرّس دار الحديث الكاملية ، عن خمس وثمانين سنة بالقاهرة . وتوفي جمال الدين أبو عيسى عبد الله بن عبد الواحد بن محمد بن عبد الواحد بن علاق الأنصاري ، عن ست وثمانين سنة . وتوفي أبو عبد الله محمد بن سليمان الشاطبي بالإسكندرية ، عن بضع وثمانين سنة . ومات ببغداد العلامة نصير الدين محمد بن محمد بن الحسن الطوسي الإمام المشهور ، في [ذى الحجة^(١)] . و[قد] خدم أولا صاحب الأموال ، ثم خدم هولاكو وحظي عنده ، وعمل له رسدا بمراغة ، وصنّف كتباً عديدة ، وكان مولده في جمادى الأولى سنة سبع وسبعين وخمسمائة .



سنة ثلاث وسبعين وستمائة . في المحرم قدم الملك المنصور [محمد] صاحب حاة إلى قلعة الجبل ، ومعه [إخوه^(٢)] الملك الأفضل عل ، وولده المظفر تقي الدين محمود . فأزِل بمناظر الكباش ، وعندما حلّ بها وصل إليه الأمير آقسنقر الفارغاني الأستاذار بالسباط ، فذه بين يديه ووقف كما يقف بين يدي السلطان . فلم يدعه الملك المنصور يقف وما زال به حتى جلس ، فلما فرغ السباط قدّمت الخلع والتماهي وغيرها .

وفي ثامن صفر توجه السلطان من قلعة الجبل ، وسار (١١٥٩) إلى الكرك فأقام بها ثلاثة عشر يوما ، وكشف أحوال الشوبك ، وعاد إلى قلعة الجبل في ثاني عشر ربيع الأول .

(١) موضع ما بين القوسين باض في س ، وقد أضيف "ذى الحجة" من ابن الباء (شذرات الذهب ، ج ٥ ، ص ٣٤٠) ، حيث توجد ترجمة أطول مما هنا نصير الدين المذكور .

(٢) أضيف ما بين الأقواس من (Jane-Poole : Saladin. Table II, in pocket) ، والمنصور محمد هذا حليل الملك المظفر تقي الدين عمر ، الذي أسلمه عمه صلاح الدين الأيوبي حاة سنة ٥٧٤ هـ (١١٨٧ م) . وقد ظلت حاة بيد أبناء هذا الفرع الأيوبي ، وكان صاحبها أيام غارات التتر على الشام المنصور محمد المذكور ، فغضب هولاكو والتتر ، ثم انقلب يد هزيمتهم إلى مصادقة سلاطين الممالك والاعتراف بمبادرتهم ، كما هو واضح من المتن . وهذا الأفضل عل هو أبو المزيّد أبي الفداء ، صاحب كتاب المختصر في أخبار البشر المتداول في هذه الحواشي ، وقد ولد أبو الفداء هذا سنة ٦٧٢ هـ (١٢٧٢ م) بدمشق ، وتولى حاة بعد عدة سنين من انتهاء ولاية المظفر تقي الدين محمود بن المنصور محمد عليها . (Enc. Isl. Arts. Ham-Th, & Abu-l-Fida) .

ثم توجه الى العباسة ومعه الملك السعيد ، فصرع الملك السعيد أوزة خيبة^(١) . وقيل له : ” لمن تدعى ؟ “ فقال : ” لمن أدعو بحياته ، ومن أتقرب الى الله بدعواته ، الذى حسبي افتخارا أن أقول والدى ، ومن يمتزّن لصرع أعدائه ساعدى “ ؛ فقبله السلطان ووهبه من كل شيء .

[وفيما تحيّل السلطان على استخلاص رؤساء الشوانى الذين أسروا بقبرس على ميناء نمسون] :

- وكان الفرنج لما كمرت الشوانى على قبرس وأسروا من فيها ، بعث السلطان الأميرنغر الدين المقرئ الحاسب إلى صور لا يتابع الأسرى ، فتنازل الفرنج في الرؤساء وباعوا القواد والزماة لطائفة منهم . ففادوا بهم أسرى أطلقهم السلطان ، وبقى الاحتفاظ على الرؤساء وهم ستة : منهم رئيس الإسكندرية ورئيس دياط ؛ فحبسهم بمكا في قلعتها . فبعث السلطان إلى الأمير سيف الدين خطبا — وهو بصغد — يأمره بالتحيّل في سرقتهم ؛ فأرغب الموكلين بهم بالمال حتى وصل اليهم بمبارد ومناشير ، وسُرقوا من جبّ قلعة عكا ، وساروا في مركب إلى خيل قد أعدت لهم ، فركبوا ووصلوا إلى القاهرة . ولم يشعر بهم الفرنج حتى قدموا على السلطان ، فكانت بمكا لأجلهم قشة بين الفرنج .

وقدم كتاب ممتلك الحبشة وهو الخليفة^(٢) ، يخاطب السلطان فيه [بعبارة] :
” أقفل الممالك يقبل الأرض وينهى “ ؛ وسأل فيه أن يُجهز له مطران^(٣) من عند البطرك ،

(١) كذا في س غير قط على التاء ، وفي النويرى (نهاية الأرب ، ج ٢٨ ، ص ٤٧٤) ، أن الملك السعيد صرع ” أوزة جنية “ . انظر أيضا البني (عقد الجمان ، ص ٢٤٨ ، في Rec. Hist. Or. II. 1.) حيث ورد أن الملك السعيد صرع ” طيرا من الطيور الواجبة “ ، وهذه العبارة الأخيرة مترجمة بالفرنسية في نفس المرجع والصفحة إلى ” un des oiseaux fixés comme lut “ ، أى أحد الطيور المحببة للرماية .

(٢) أخيف ما بين القوسين من البني (نفس المرجع والصفحة) .

(٣) في س ” مبارد “ .

(٤) انظر ص ٦١٦ ، سطر ٢٨ .

(٥) يقابل هذا اللفظ في الفرنسية (métropolitain) ، ومرادف في اللغات الأوروبية الأخرى قريب من هذا ، وفي القلقشندي (صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ٤٧٣) أن المطران كان في عصره هو القاضي الذى يغسل في المناسبات بين أهل طائفته .

فأجيب . وسار السلطان إلى الإسكندرية ، وأمر ببناء ما تهدم من المنار ، وعاد إلى قلعته .
وكتب [السلطان] بأن تخرج عساكر حلب للغاوة ، تغرقت وأغارت على بلاد سييس ، وغنموا
وقلعوا أبواب رَبيّص مرعش .

وفي ثالث شعبان توجّه السلطان من قلعة الجبل إلى الشام ، فدخل دمشق في سلخه ، وخرج
منها في سابع رمضان فدخل حماة ، ثم صار منها بالعساكر والعربان . وجرّد [السلطان] الأمير

(١) يوجد في مفضل بن أبي الفضائل (كتاب التيج السديد ، ص ٢١٩ ، وما بعدها) تفصيلات كثيرة في هذا
الصدء ، وهي تحت سنة ٦٧٢ هـ ، ونصها : " وفي ذكر [عجي الدين] بن عبد الظاهر [في كتابه البيرة الظاهرية]
أن في هذه السنة ورد كتاب ملك الحبشة على السلطان الملك الظاهر ، على كتاب صاحب الإين ، وهو يقول إن سلطان
الحبشة قد قصد الملوك في إيصال كتابه إلى السلطان . وكان ضمن كتاب ملك الحبشة يقول أقل الممالك محرر أملك
(كذا) قبيل الأرض ، وينى بين يدي السلطان الملك الظاهر (٢٢٠) خداه ملكه ، إن رسولا وصل من جهة
وال قوس بسبب الزهاب الذي جاءنا ، فنعن ما جاءنا مطران مولانا السلطان ونحن عبيده . فليرس مولانا السلطان
لليترك أن يعمل لنا مطرانا يكون رجلا جيدا عالما ، لا يحب ذهاب ولا فاقة ، ويسيره إلى مدينة عوان (كذا) ولعلها
سوان أى أسوان ، أو لعلها عذ ، وهذا القرض الثاني ممتد على الجلة التالية هنا) . فأقل الممالك يسير إلى قواب الملك
المظفر صاحب الإين ما يلزمه ، وهو يسره إلى أبواب السلطان ، وما أثرت الرسل إلى الأبواب ، إلا أن كنت في بكار ،
فإن الملك داود قد توفي وقد ملك ولده . وعندي في عسكري مائة ألف فارس من المسلمين ، وإنما (كذا) النصارى فكثير
لا يقدروا ، كلهم غداك وتحت أمرك ، والمطران الكبير يدعوك ، وهذا الخلق كلهم (٢٢١) يقولون آمين . وكل
من يصل من المسلمين إلى بلادنا تحفظهم ونسفرهم كما يحبون ، والرسول الذي حضر إلينا من جهة وإلى قوس
مرعش ، وبلادنا ونحة أى من مرض بها ما يقدر أحد يدخل إليه ، ومن يشم رائحته يمرض ويموت . قال
ابن عبد الظاهر ، فرس [السلطان] يكتب الجواب ، فكنت : ورد كتاب الملك الجليل الهمام العادل في ملكه
حلى ملك الحجرة ، أكبر ملوك الحبشان ، الحاكم على ملحم من البلدان ، نجاشى عصره وفرد ملكه في دهره ،
سيف الملة المسيحية ، عضد دولة دين النصرانية ، صديق الملوك والسلاطين ، سلطان البحيرة ، حرس الله قه ، وبني على
الخبر أمة — ، فوقفت عليه ونهضت ما فيه . فأما طلب (٢٢٢) المطران ، فلم يحضر من جهة الملك أحد حتى كما نرف
الفرس المطلوب ، وإنما كتاب السلطان الملك المظفر ورد مضمونه أنه وصل من جهة كتاب وقاصد ، وأنه أقام عنده
حتى يعود إليه الجواب . وأما ما ذكره من كثرة عساكره ، وأن من جعلها مائة ألف مسلمين ، فاقه تعالى بكثير عسكرا
المسلمين . وأما ونعم بلاده ، فالأحوال مقدرة من الله تعالى ، وما يموت أحد إلا بأجله ، ومن فرغ أجله مات .
قال ابن عبد الظاهر ، لما ذكرنا مكتوبة صاحب الحبشة أردنا أن نذكر شيئا من بلاده : أما أمرا فإنه أعلم من أقاليم
الحبشة ، وهو الإقليم الأكبر وصاحبه يحكم على أكثر الحبشة ، مثل بلاد الداموت والحول . وصاحب بلاد أمحورا
يسمى حلى يبنى الخليفة ، وكل من يملكها يلقب بهذا القب ، ومن ملوك الحبشة (٢٢٣) يوسف بن ارسامية ، وهو
صاحب بلاد حداية وشوا وتقدور وأعمالها ، وقومهم ملوك المسلمين . وأما الزيلع وقبائلها فسا فليها ملك ، إلا أنهم سبع
قبائل ، وهم مسلمون وخطابهم يخطبون بأسماء مقدسيم البية " . انظر أيضا (التورى : نهاية الأرب ، ج ٢٨ ،
ص ٤٠ — ٤٦ . (Quatremère : Op. Cit. T. 2, p. 122, n. 151 et 152 .

ميسى بن مهنا ، والأمير حسام الدين العتاي ، بسكر إلى البيرة ؛ وجهز الأمير قلاون الأتقي ، والأمير يليك الخانزار ، [بسكر إلى بلاد سيس^(١)] ؛ فساروا وهجموا المصيصة على الأرمن ، وقتلوا من بها . وكانت المراكب قد حُلّت معهم على البغال وهي مفصلة ، ليدلوا فيها من [نهر] جهنم والنهر الأسود ، فلم يُحتج إليها .

(١) أخيف ما بين القوسين بسد مراجعة ابن أبي الفاضل (كتاب التيج السديد ، ص ٢٢٥ ، وما بعدها) ، وفي نفس المرجع تفسير لقوله السلطان إتيامه هذه السنة صوب هذه الجبهات ، ونصه : " (٢٢٦) وكان سبب خروج السلطان هذه المرة ما ذكره عن الدين ابن شداد ، في الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر ، وذلك أن معين الدين البروائه كتب إلى السلطان الملك الظاهر يحرضه على الدخول إلى البلاد ويقصد (كذا) الزرم . وذلك أنه لما ضاق ذرعه من (٢٢٧) من أجاي (Atchahi) بن هولارون ، [وهو] أعو أبنا ، وعزم أجاي على قطه ، فلهذه الخوف على مكتبة السلطان في السنة الخالفة . وسير [أيضا] إلى أبنا وذكره أمورا توجب أن يستدعى أجاي إليه ، فسير أبنا وطلب أجاي فخره نحوه ، فوافق خروجه من البلاد دخول السلطان إلى الشام . فأفاق البروائه على نفسه ، فسير يقول السلطان أقصد هذه السنة سيس ، وفي السنة الآتية أملكك البلاد . فقصد السلطان سيس " حسبما في المتن . انظر أيضا (D'Oshson : Op. Cit. III, p. 471 et seq.) ، حيث توجد أسباب أخرى .

(٢) بغير ضبط في س ، وهي مدينة على شاطئ نهر جيجان ، وتسمى في الحوليات الصليبية (Mamistra) (Quatremère : Op. Cit. I, 2, p. 124) ؛ وهي تقارب طرسوس ، وبينها وبين أذنة تسعة أميال . (ياقوت : معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ٥٥٧ ، وما بعدها . Le Strange: Palest. Under Moslems, pp. 505 et seq.) . (٣) بغير ضبط في س ، وهذه التسمية عامة ، والصحيحة نهر جيجان ، واسمه في انغراط الأوروية (Pyramus) . ويخرج هذا النهر من بلاد الزرم عند زبطرة (Zahatrah) ، وتقع عليه الحصينة ويصب في البحر الأبيض المتوسط على مسافة قريبة منها . (ياقوت : معجم البلدان ، ج ١ ، ص ١٧٠ ؛ Le Strange: Palest. Under Moslems, p. 62) . انظر أيضا ابن أبي الفاضل (كتاب التيج السديد ، ص ٢٢٩ ، وما بعدها) ، حيث يوجد الوصف التالي لهذا النهر ، ونصه : "وأما نهر جاجان فهو نهر جيجان ، والأرمن يجمل الحاء هاء . وهذا النهر أجبل الأنهار الثلاثة ، وهم (كذا) شيجان وجيجان وبردان ، وهي أنهار طرسوس والمصيصة وأذنة ؛ [وقد] ذكر ذلك هبة الله ابن الإكيلي في كتاب صفه الأرض ، قال ويخرج من بلاد الزرم ثم يقصد إلى البحر المالح ، وأما نهر بيجون فهو النهر الذي يمشد منبراً إلى غوارزم . وأول نهر جيجان برفا (كذا) يمشد نحو الجنوب حتى يرى بمدينة مسيصة من بلاد الزرم ، ويمر بين جبلين منحرفا عن المغرب (٢٣٠) إلى أن يصير إلى مدجتن كافا الزرم يقال لها ترسا وبظطرة ، فيتر فيها بينهما ، ثم يمر بين جبلين راجعا إلى البحر الشامي . وطول هذا النهر من أوله إلى مصبه سبعة وثلاثون ميلا ، والجبال المحيطة بميس وبلادها هو جبل الككام ، طوله مائة ميل ، والجبل من الأرض منتهى مد البحر ، والفرخ ثلاثة أميال " .

(٤) بغير ضبط في س ، واسم هذا النهر عند الترك ، وفي انغراط الأوروية أيضا "قراحو" (Kara Sou) ، ومنه في بلاد الزرم ، ويجرى غرب بلاد المصيصة وطرسوس ، وهو أحد فروع القرات الأعلى . (ياقوت : معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ٨٣٤ ؛ Le Strange : Palest. Under Moslems, p. 60) .

ووصل السلطان على الأثر، بعد ما قطع بساكره النهر الأسود وقاسوا مشقة، وملكوا الجبال وغنموا منها ما لا يحصى كثرة، ما بين أبقار وجواميس وأغنام. فدخل [السلطان] إلى سيس (١٥٩ ب) وهو مَطلَب في تاسع عشره وعيد بها، واتهبها وهدم قصور التكفور ومناظره وبساتينه. وبعث إلى دربند الروم، فأحضر إليه من سبايا التارعة نساء وأولاد. وسير إلى طرسوس، فأحضر إليه منها ثلاثمائة رأس من الخيل والبغال. وبعث إلى البحر عسكرياً فأخذ مراكب، وقتل من كان فيها. وانبتت الفئارات في الجبال، فقتلوا وأسروا وغنموا. وبعث [السلطان] إلى أياس المسكر، و[كانت] قد أغلقت، فهبوا وحرقوا وقتلوا جماعة؛ وكان قد فر من أهلها نحو الألفين — ما بين فرنج وأرمين — في مراكب، ففرقوا بأجمعهم في البحر. واجتمع من الفئام ما لا يحصره قلم لكثرتهم، ووصلت العربان والعسكر إلى البيرة وساروا إلى عين تاب وغنموا، فانهزم التار منهم وعادوا.

فرحل السلطان من سيس إلى المصيصة^(١) من الدربند، فلما قطعه جعل الفئام بمرج أنطاكية حتى ملأته طولاً وعرضاً. ووقف بنفسه حتى فزقها، ولم يترك صاحب سيف ولا قلم حتى أعطاه، ولم يأخذ لنفسه منها شيئاً. فلما فرغ من القسمة سار إلى دمشق، فدخلها في النصف من ذي الحجة.

وفيها ولي قضاء الحنفية بدمشق مجد الدين أبو محمد عبد الرحمن بن صاحب كمال الدين عمر بن العديم، بعد وفاة شمس الدين عبد الله بن محمد بن عطاء الأذرى.

(١) بنير ضبط في س، واسم هذا الموضع في المراجع الأوربية (Pansus Portellae). انظر أيضاً Quatremère : Op. Cit. I. 2. p. 124, n. 154؛ ابن أبي الفضايل، كتاب التيج السديد، ص ٢٣١. (٢) بنير ضبط في س، وهي نغريارينية الصغرى على شاطئ البحر الأبيض المتوسط (Le Strange, Palest. Under Moslems, p. 405).

(٣) في س "اخنت".

(٤) يرى Quatremère : Op. Cit. I. 2. p. 124, n. 154 أن هنا حفة فليسة، وأن المقرئ أراد أن يكتب "أنطاكية" فكتب المصيصة.

- ومات فيها من الأعيان قاضي القضاة الحنفى بدمشق شمس الدين أبو محمد عبد الله بن محمد ابن عطاء بن الحسن بن عطاء الأذرى، عن ثمان وسبعين سنة . وتوفى أمين الدين أبو بكر محمد بن علي بن موسى بن عبد الرحمن الخزرجي المحلى التحوى الأديب . وتوفى الحافظ جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن أحمد بن محمود بن أحمد الأسدى الدمشقى المعروف بالغمورى ، بالهجرة من أعمال القاهرة، عن نيف وسبعين سنة . وتوفى الحافظ وجيه الدين أبو المظفر منصور بن مسلم بن منصور بن قنوح بن الهادي الهمداني^(٢٢)، الإسكندرى المالكى المؤرخ، عن ست وستين سنة بالإسكندرية .



- سنة أربع وسبعين وستمائة . فى ثامن المحرم وصل الأمير سيف الدين بلات الدوادار إلى طرابلس فى جملة كبير، ومعه كتاب السلطان إلى مملكتها ، فما زال حتى قور عليه فى كل سنة عشرين ألف دينار صورية وعشرين أسيراً^(٢٣) .

وفى رابع عشره خرج الأمير بدر الدين الخازندار من دمشق لإحضار الملك السعيد ، ومعه أولاد الأمراء ، فوصل إلى قلعة الجبل وخرج بالملك السعيد على خيل البريد فى سلخه ، فوصل إلى دمشق فى سادس صفر، وتلقاه السلطان ودخل به إلى قلعة دمشق .

- (١) الوفيات التالية واردة على ورقة منفصلة فى س ، بين الصفحتين ١٥٩ ب ، ١٦٠ أ ، وهى من غير شك منقطة بهذه السنة . (انظر التورى : نهاية الأرب، ج ٢٨ ، ص ٤٧) . هذا ويوجد أيضا بين هاتين الصفحتين فى س ورقة منفصلة أخرى ، بها وفيات تابعة لسنة ٦٧١ هـ ، وقد أوردت هناك . (انظر ص ٦٠٩) .
- (٢) بغير ضبط فى س ، والنسبة إلى همدان إحدى القبائل اليمنية الكبرى . (Enc. Isl. Art. Hamdān) ابن الهادي : شذرات الذهب، ج ٥ ، ص ٣٤١ .

(٣) تقدم ذكر عقد معاهدة صلح بين السلطان بيبرس وصاحب طرابلس (Bohemond VI)، سنة ٦٦٩ هـ (انظر ص ٥٩٢) ، وسبب هذه المعاهدة الجديدة المذكورة هنا أن صاحب طرابلس توفى سنة ٦٧٣ هـ (١٢٧٥ م) ، فالتقى ذلك بتجديد الحلف مع الأمير الجديد (Bohemond VII) . انظر (Stevenson : Crusaders In The East p. 345) ، التورى : نهاية الأرب، ج ٢٨ ، ص ١٠٨ .

- (٤) كان السبب فى استدعاء السلطان لهذه الملك السعيد إلى دمشق هو الشروع فى ترويقه بتأذية خاتون ابنة الأمير سيف الدين تلائن الصالحى ، وقد تمّ الزواج تلك السنة . (أبر القداء : المختصر فى أخبار البشر، ص ١٥٥ ، فى Rec. Hist. Or. I. ، التورى : نهاية الأرب : ج ٢٨ ، ص ٤٧ — ٤٨) . انظر أيضا ما على ، ص ٦٢٢ .

وفي صفر هذا توجه السلطان أبو يوسف بن عبد الحق ملك المغرب لجهاد الفرنج ،
فقتل الطاغية في المعركة في نحو ستة آلاف ، ولم يقتل من المسلمين إلا نحو ثلاثين رجلا .
وبلغت الغنائم من البقر مائة ألف وأربعة وعشرين ألفا ، وبلغ الأسرى سبعة آلاف أسير .
ومجزت القدرة عن إحصاء الغنم ، حتى أبيعت الشاة بدرهم ، وحمل الكراع على أربعة عشر
ألف وستمائة جمل .

وفيها نبش عمال بني مرين قبور خلفاء الموحدين ، وأخرجوا عبد المؤمن بن علي وابنه
يعقوب المنصور من قبريهما . وقطعت رأسهما ، وضربت أعناق من كان يجمل زينيل ،
وصلبوا بمراكش وأخذت أموالهم . وفيها بنيت فاس الجديد ، وصارت دار ملك بني مرين .
وفي ثالث عشر جمادى الأولى أخذ السلطان القصير حصن أنطاكية ، وحمل أهله

(١) ترجم (Quatremère : Op. Cit. I. 2. p. 125) هذا القبط الـ (le prince des chrétiens) بنير طليق ، على أنه يريد بالقطندي (صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ١٩٦) ما يساعد على التريف بهذا "الطاغية" ،
إذ ورد به أن السلطان أبو يوسف حارب "النصارى بالأندلس أربع مرات حتى أذعن له شاذبة بن أدفنش وسأله
في عقد السلم له ، ففقد له على شروط اشترطها عليه" .

(٢) في ص "عشرون" .

(٣) الكراع هنا ذخيرة الحرب من الألحمة والمثوبة . (Quatremère : Op. Cit. I. 2. p. 126. n. 156) .

(٤) في ص "واسمها" .

(٥) هكذا في ص ، وهو بلد بجبال مراكش في الحنوب الغربي من مدينة مراكش قديما ، واسمه
(Timnel, Tinamallal) في (G.-Demombynes : Masalik El Absar, Index) .

(٦) تتكون مدينة فاس المعروفة بمراكش من بلدين ، وهما فاس البالي — أي القديم ، ويسمى المدينة —
وفاس الجديد ، وهو الذي بدأ ببناءه يعقوب بن عبد الحق ، في شوال سنة ٦٧٤ هـ (١٢٧٦ م) ، كما بالن . وقد أطلق
على هذا البلد الجديد اسم المدينة البيضاء ، ثم غير إلى فاس الجديد تيمنا له من فاس البالي . (Enc. Isl. Art. Fās) .

(٧) بنير ضبط في ص ، وهي قلعة جنوبي أنطاكية ، وكانت لمدينة الفرسان الداوية . (Le Strange : Palest. Under Moslems. p. 489) انظر أيضا (Stevenson : Crusaders In The East. Map) . هذا

ويوجد في ابن واصل (قس المرجع ، ص ٤٣٦ ، وما بعدها) تفاصيل كثيرة متعلقة بتلك القلعة ، منها أنها كانت
"لبطرك من داخل البحر ، وعا نائب من جهة البطرك اسمه سير كلثام (Sir William) ، وهو رجل جيد يحب الخير" .
انظر أيضا التويري (نهاية الأرب ، ج ٢٨ ، ص ١٠٧ — ١٠٨) . أما البطرك المذكور فهو بطريرق أنطاكية
(The Latin Patriarch of Antioch) ، وكان قد ترك ميدان الضال بأسا من مقاومة الحطان ، فلق حشفه
في تلك الموقعة . راجع (King : The Knights Hospitallers In The Holy Land. p. 274) .

الى الجهات التي قصدوها . وقدم الخبر بورود التار الى البيرة ، فجمع [السلطان] المساكر وأنفق^(١) ، ونرجع من دمشق إلى حمص ، بغاء الخبر بروجع التار فعاد إلى دمشق .

- وفي هذه الأيام اختلفت أمراء الروم على البرواناه ، ففارقه جماعة من قيسارية ؛ وقدم منهم الى السلطان الأمير ضياء الدين محمود بن الخطير ، والأمير ستان الدين موسى بن طرطاي ، ونظام الدين أخو محمد الدين الأتابك ، بعيالهم يريدون الانتماء (١٦٠) اليه ، فجهزهم [السلطان] الى القاهرة . ثم إن محمود بن الخطير سعى بهم ، فاعتقلوا بقلعة الجبل مدة ثم أطلقوا .

- وفي مستهل رجب توجه السلطان من دمشق إلى مصر ، فدخل قلعة الجبل في ثامن عشره . وقدمت هدية [صاحب] اليمن ، ومن جعلتها كركدن وفيل وحمار وحش عتابي ؛ فسير [السلطان] إليه هدية مع رسله . وجهز [السلطان] هدية للملك منكوتمر مع الأمير عز الدين أبيك الفخري ، وجهز رسل الملك الأشكري ، ورسل القش ، ورسل جنوة^(٢) .

و [فيما] حضر ابن أخت ملك النوبة واسمه مشكد ، متظلمًا من داود ملك النوبة . فخرود السلطان معه الأمير أفسقر الفارقاني ، بعدة من المسكر وأجناد الولاة والعربان ، ومعه الزرافون والزماة ورجال الحراريق والزرذخانا . فخرج في مستهل شعبان حتى عدى أسوان ، وقاتل [الملك داود ومن معه من] السودان ، فقاتلوه على النجب ، وهزمهم وأسر منهم كثيرا . وبعت

(١) في س "نفق" .

(٢) المقصود هنا (Alphonso of Seville) ملك أشبيلية ، وكان به وبين السلطان بيريص معاهدة تجارية منذ ٦٦٩م (١٢٧٠ م) . انظر Lane-Poole : A Hist. of Egypt, p. 266 ؛ التورى : نهاية الأرب ، ج ٢٨ ، ص ٤٨٩ ، حيث توجد تفاصيل كثيرة بشأن هذه السفارة .

(٣) ضبط هذا الاسم من القلقشدي (صبح الأضى ، ج ٥ ، ص ٤٠٥) .

(٤) كما في س ، واسم هذا الأمير "شكندة" في ابن أبي الفضائل (كتاب النجديد ، ص ٢٣٤) . انظر أيضا (التورى : نهاية الأرب ، ج ٢٨ ، ص ١٠٨ ، ١٠٩ ، ١٥٧ ، ١٥٨ ، ١٥٩) . (Quaïremère : Op. Cit. I. 2. p. 127. n. 157) . هذا ويوجد في ابن أبي الفضائل (قس المرجع ، ص ٢١١ ، ٢٣٤ ، وما بعدها) تفصيلات كثيرة بسدد علاقات السلطان بيريص بملك تلك البلاد وأمرائها ، وكل ما هنا بالمتن من الإضافات مأخوذ من هذا المرجع .

(٥) في س "الزرافين" .

[الأمير أقتقر] الأمير عز الدين الأفرم ، فأغار على قلعة الدؤ وقُتل وسبي ، ثم توجه [الأمير سقر] في أثره بقتل ويأسر حتى وصل إلى جزيرة ميكايل - وهي رأس جنادل النوبة - فقتل وأسر . وأقر [الأمير أقتقر] فر الدولة صاحب الجبل - وبه نصف بلاد النوبة - على ما بيده ، ثم واقع الملك داود حتى أفنى معظم رجاله قتلا وأسرا . وفر [داود] بنفسه في البحر وأسر أخوه شنكو ، فاسق العسكر خلفه ثلاثة أيام ، والسيف يعمل فيمن هناك حتى دخلوا كلهم في الطاعة ، وأسرت أم الملك [داود] وأخته .

وأقيم مشكد في المملكة ، وألبس التاج وأجلس في مكان داود ، وقُرت عليه القطعية في كل سنة : وهي فيلة ثلاثة^(١) ، وزرافات ثلاث ، وفهود إناث خمس ، [و] صهب جباد مائة ، [و] إقرار جباد متخية مائة . وقُرت أن تكون البلاد مشاطرة : نصفها للسلطان ونصفها لعايرة البلاد وحفظها ، وأن تكون بلاد الملي وبلاد الجبل للسلطان - وهي قدر ربع بلاد النوبة - لقرها من أسوان ، وأن يحمل القطن والتمر مع الحقوق الجارية بها العادة من القديم . وعرض عليهم الإسلام أو الجزية أو القتل فاختراروا الجزية ، وأن يقوم كل منهم بدينار عينا في كل سنة . وعملت نسخة يمين بهذه الشروط ، وحلف عليها مشكد وأكابر النوبة ، وعملت [أيضا] نسخة للرعية بأنهم يطيعون نائب السلطان ما دام طائما ، ويقومون بدينار عن كل بالغ ، ونحرت كنيسة

(١) ضبط هذا الاسم على منطوقه في (Quatremère : Op. Cit. I. 2. p. 128).

(٢) في س "صاحب الخيل" . انظر (Quatremère : Op. Cit. I. 2. p. 128 n. 158) ، وكذلك مايلي سطر ١٠ . (٣) كذا في س ، واسم هذا الأمير "سكوا" في التورى (نهاية الأرب ، ج ٢٨ ، ص ١٠٨) . (٤) في س "ثلاث" . (هـ) في س "متحبه" . انظر (Quatremère : Op. Cit. I. 2. p. 128) . (٦) ضبط هذا الاسم على منطوقه في (Quatremère : Op. Cit. I. 2. p. 128, et n. 159) . هذا وقد أورد ابن أبي الفضائل (كتاب التيج الجديد ، ص ٢٣٥) في هذا الصدد ما يساعد على التعرف بهذه البلاد ، ونصه : "وقدروا أيضا أن تكون دقوابرم ، وهما قلعتان حصينتان قريتان من أسوان بينهما سبعة أيام ، خاصا للسلطان" . (٧) في س "يطحوا" . (٨) في س "يقوموا" .

(٩) أورد التورى (نهاية الأرب ، ج ٢٨ ، ص ١٠٩) نص هذين اليمينين ، وهما منقولان من هذا المرجع في ملحق رقم ٥ في آخر هذا الجزء ، انظر أيضا (Quatremère : Op. Cit. I. 2. 129. n. 160) . هذا ونص اليمين الأول فقط موجود في ابن أبي الفضائل (كتاب التيج الجديد ، ص ٢٣٦ ، وما بعدها) .

- سوس^(١)، [التي كان يزعم داود أنها تحمته بما يؤذيها]، وأخذ ما فيها من الصلبان الذهب وغيرها، بغامت مبلغ أربعة آلاف وستمائة وأربعين ديناراً ونصف، وبلغت الأواني الفضة ثمانية آلاف وستمائة وستين ديناراً. وكان داود قد عمرها على أكاف المسلمين الذين أسرم من عيذاب وأسوان. وقُور على أقارب (١٦٠ ب) داود حمل ما خلفه من رقيق وقاش إلى السلطان، وأطلقت الأسرى الذين كانوا بالنوبة من أهل عيذاب وأسوان، وردوا إلى أوطانهم. وضم العسكر من الرقيق شيئاً كثيراً، حتى أصبح كل رأس بثلاثة دراهم، وفضل بعد القتل والبيع عشرة آلاف نفس. وأقام العسكر بمدينة دمقلة سبعة عشر يوماً، وعادوا إلى القاهرة في خامس ذى الحجة بالأسرى والغنائم. فرسم [السلطان] للصاحب بهاء الدين بن حنا أن يستخدم عمالاً على ما يستخرج من النوبة من الخراج والجزية بدمقلة وأعمالها، فعمل لذلك ديوان.

- وفي ثاني عشره اجتمع القضاة والأمراء والأعيان بقلمة الجبل، وعقد لذلك السعيد على غازية خاتون ابنة الأمير قلاون الأتقي، بوكالة الأمير بدر الدين بيليك الخازندار نائب السلطنة عن الملك السعيد. فقبل العقد عن الأمير قلاون الأمير آقسنقر الفارقاني، على صداق مبلغه خمسة آلاف دينار، المعجل منها ألفاً دينار. وكتب الصداق بخط القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر وإنشائه، ومن جملة: "هذا كتاب تماسدت رماح الخط وأقلام الخط على تحريره، وتنافس مطالع الأنوار ومشارك الأنوار على تسطيره. وأضاء نوره بالجلالة وأشرق، وهطل نوره بالإحسان وأغدق، وتناست فيه أجناس تجنيس لفظ الفضل فقال الاعتراف هذا ما تصبى، وقال العرف هذا ما أصدق^(٢)".

- وفيه شق السلطان الطواشي شجاع الدين عبر المعروف بصدر الباز — وكان قد تمكن منه تمكناً عظيماً — من أجل أنه شرب الخمر، وعلقه تحت قلمة الجبل.

(١) كذا في س، وقد أخيف ما بين القوسين من النورى (نهاية الأرب، ج ٢٨، ص ١٠٩).

(٢) في س "واحدراً". (٣) في س "غاريه". انظر ص ٦١٩، حاشية ٤.

(٤) أورد النورى (نهاية الأرب، ج ٢٨، ص ٦٩ — ٧٠) هذا النص كاملاً غير مجمل كما هنا.

وعند ما انقضى أمر المقد، ركب السلطان من يومه على المجن في نفر يسير، وسار إلى الكرك فدخلها في ثالث عشره، وهو يريد القبض على الأمير سابق الدين عية^(١). فلما بلغه حضور السلطان قدم عليه، فرعى له ذلك وزاد إقطاعه. ونظر [السلطان] في أمر أهل الكرك، وقطع أبدي ستة منهم اتهموا بأنهم قد عزموا على إثارة فتنة؛ ورتب رجالا بها عوضا عن^(٢) كان فيها.

وفيه أقام حجاج مصر بمكة ثمانية عشر يوما، وبالمدينة النبوية عشرة أيام، وهذا لم يهد مثله.

ومات في [هذه السنة^(٣)] من الأعيان الأمير ركن الدين خاص ترك الكبير، أحد الأمراء الأكابر بدمشق، في ثالث عشر ربيع الأول. ومات الأمير حسام الدين قياز الكافري، نائب حصن الأكراد والسواحل والفتوحات. وتوفي سعد الدين أبو العباس الخضر بن التاج أبي محمد عبد الله بن المهدي أبي الفتح عمر بن علي بن محمد بن حويه الجويني، شيخ الشيوخ بدمشق، بها عن نيف وثمانين سنة. وتوفي تاج الدين أبو التناء محمود بن عابد بن الحسين ابن محمد بن علي التميمي الصرخدي الحنفي، بدمشق عن ست وتسعين سنة. وتوفي زين الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن جبريل، كاتب الإنشاء بقلعة الجبل في ...^(٤) . وتوفي

(١) في س، "عیه" وهو مترجم في (Quatremère: Op., cit. I. 2. p. 134) إلى (Aïhah).

(٢) على هذا اللفظ يباين في س، يسع كلمين تقريبا.

(٣) في س "فيها".

(٤) الروايات التالية واردة هنا كما في ب (١٨٩ ب — ١٩٠ أ)، وهي في س على ورقة منفصلة بين الصفحتين ١٥٦ ب، ١٥٧ أ، وقد أشير إلى ذلك في موضعه. انظر (التويري: نهاية الأرب، ج ٢٨، ص ٧١ — ٧٢) ابن المهدي: شفرات الذهب، ج ٥، ص ٣٤٢ — ٣٤٤.

(٥) في س "البا"، وفي ب (١٩٠ ب) "البا".

(٦) في س "عابد"، وفي هامش الورقة عبارة تصحيحية لهذا الاسم، وهي بخط مخالف، ونصها: إنما هو عابد بإلواء الوحدة والهدال المهمة. انظر ابن المهدي (شفرات الذهب، ج ٥، ص ٣٤٤).

(٧) يباين في س.

كأل الدين أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الرحيم بن علي بن إسحاق بن علي بن شيث الأموي^(١)
وتوفي الأديب أبو الحسن علي بن أحمد بن العقيب العامري ببعلبك .^(٢)

* * *

سنة خمس وسبعين وستائة . في المحرم سار السلطان من الكرك، فدخل إلى دمشق في رابع عشره . وقدم عليه عتة من أمراء الروم مغاضيين للبرواته، وهو معين الدين سليمان بن علي بن محمد بن حسن . [وكان] منهم الأمير حسام الدين ينتجار الرومي ، و بهادر ولده ، وأحمد بن بهادر ، واثنا عشر من أمراء الروم بأولادهم ونسائهم ، من جعلتهم قرمشي وسككائي^(٣) ابنا قراجين بن جيفان نون . فأحسن السلطان إليهم ، وبعث حريمهم إلى القاهرة ، وأجرى عليهم الأرزاق . ثم وصل الأمير سيف الدين جندر بك صاحب الأبلستين^(٤) ، والأمير مبارز الدين [سوار بن الجاشنكير] ، في كثير من أمراء الروم ، فلقاهم السلطان بنفسه وأكرمهم .
ثم كتب [السلطان] إلى الأمراء بمصر يستشيرهم في بعث عسكرا إلى الروم ، وأن يحضر الأمير بلسرى والأمير^(٥) (١٦١ أ) أقش بما يتفق الرأي عليه ، فحضرا على البريد ، ووصل [أيضا]

(١) بياض في س ، يبع ثلاثة ألفاظ تقريبا .

(٢) هذا الاسم مضبوط هكذا في س .

(٣) في س "بصار" . انظر ابن أبي الفضايل (كتاب التيج السديد، ص ٢٣٩) .

(٤) كذا في س ، واسمه "جاورجي" في ابن أبي الفضايل (كتاب التيج السديد، ص ٢٣٩) .

(٥) في س "سكائي" ، واسمه "سككائي" في ابن أبي الفضايل (كتاب التيج السديد، ص ٢٣٩ ، حاشية ٢ ، من الترجمة الفرنسية) .

(٦) في س "حندر" . انظر ابن أبي الفضايل (كتاب التيج السديد، ص ٢٤٣) . هذا وفي (D'Ohsson : 480) Op. Cit. III, p. 480 أن اسم هذا الأمير (Haidar-Bey) .

(٧) بئر ضبط في س ، وهي مدينة يبلاد الروم اسمها الحال البنان ، وهي قرية من أصوص (Ephesus) مدينة أهل الكهف . (باغوت : معجم البلدان، ج ٦ ، ص ٩٤) . انظر أيضا (Le Strange : Palest. Under Moslems, p. 277) .

(٨) أخيف ما بين القوسين من ابن أبي الفضايل (كتاب التيج السديد، ص ٢٤٣) .

(٩) يوجد بين الصفحتين ١٦٠ ب ، ١٦١ أ في س وثقه بها وثقات تابعة لسنة ١٦٧٠ هـ ، وقد أوردت في موضعها المناسب هناك . (انظر ص ٦٠٤ ، حاشية ٢) .

الأمير سنقر الأشقر . وتتابع وصول حريم أمراء الروم ، فأكرمهم السلطان وجّههم الى القاهرة . وسار [السلطان] الى حلب ، وجرّد منها الأمير سيف الدين بلبان الزينى الصالحى فى عسكره، فوصلوا الى عين تاب .

وعاد السلطان من حلب الى مصر، فدخل قلعة الجبل فى رابع عشر ربيع الأول؛ ورسم بتجهيز مهمات العرض : فأخذ الناس فى التجهيز، وغلت الخيول والأسلحة، وعدم صنّاع صقل العدد من القاهرة لاشتغالهم بالعمل عند الأمراء ، وعزّ وجود صنّاع النشاب ومقوّى الرماح .

وفى خامس جمادى الأولى وقع العرض ، فركبت العساكر بكالها فى يوم واحد وقد لبسوا أجمل العدد، وقصد السلطان بركوبهم فى يوم واحد حتى لا يستير أحد من أحد شيئا . وفزق السلطان على مماليكه العدد الجلييلة، وركب الأمراء الروميون ومن حضر من الرسل، وعرض الجميع على السلطان . ونزلوا من القد فى الوطاقات للعب، وقد لبس الممالك السلطانية الجواشن والخذوذ، وعملت الأبرجة الخشب على القبلة، ودخلوا فى الحلقة وساقوا . ثم نُصب القيق بالميدان الأسود [تحت القلعة^(١)] ورموا النشاب ، وأنهم السلطان على كل من أصاب القيق من الأمراء بفارس من الجناثب الخصاص، بسرجه وبلحامه وتشاهيره بالمراتو الفضة وغيرها؛ وأنهم على من أصاب من الممالك والأجناد بالخلع . [كل ذلك] والسلطان يسمّى، وقد تنوّع فى لأمات حربه ، وصار يأخذ بقلوب الناس ويمسّن اليهم . وساق [السلطان] بالرخ أحسن سوق حتى تعجبوا من فروسيته، الى أن اهضى النهار على هذا .

وفى اليوم الثالث ركب السلطان، ولعب الناس ورموا فى القيق، والسلطان يطاعن بالرخ . وفى القد ترتّب العسكر من جهتين، واصطدما وتطاعنت الفرسان؛ [وكان] السلطان بينا يراه الناس آخرًا قد شاهدوه أوّلًا، [وهو] لا يسأم من الكثر والفرّ، وشاهد الناس منه ومن الملك السعيد ما يهر العقول . وتواصل الطعن بغير جراح، والسلطان بين تلك الصفوف لا يخاف .

(١) أخيف ما بين القوسين من ابن أبي القضاة (كتاب التيج السديد، ص ٢٥٧) .

- وفي يوم الثلاثاء أنعم [السلطان] على جميع الأمراء والمقدمين والقضاة والمتعممين بالتشريف، ولبس السلطان ثنبرها كاملاً بشريوش، ثم أنعم به على الأمير سيف الدين قلاوون الأتقي؛ ولعبوا على عادتهم . وحصل الاهتمام (١٦١ ب) بأمر السباط، وقيل له من أستاذ الحواجب ما لا يعد، وسبق من الأغنام ألوف كثيرة . ومُدت الأسمطة، وحضر السلطان والناس في خدمته إلى أن أخذوا حاجتهم من الطعام والحلاوات، ثم نُقل جميع ذلك وأُخذ . وحضرت التقدّم، فقبل السلطان منها السير مثل تفصيلة أو ربح أو شيء لطيف، وما قام من مجلسه حتى أنعم بذلك في وقته . ودخل الملك السعيد على ابنة الأمير قلاوون .
- وشرع السلطان في السفر لأخذ بلاد الروم، وبعث إلى الأمراء الروميين الخيول والخيال وكل ما يصلح من أمور السفر . وتقرّر الأمير آقستغر الفارقاني نائب الغيبة بقاعة الجبل، ومعه الصاحب بهاء الدين بن حنا، ليكونا في خدمة الملك السعيد . وتعيّن الصاحب زين الدين أحمد بن الصاحب نغر الدين محمد بن الصاحب بهاء الدين لوزارة الصحة .
- ونخرج السلطان من قلعة الجبل يوم الخميس العشرين من رمضان، ورحل في يوم السبت ثاني عشره ومعه الأمراء والعساكر الإسلامية يريد البلاد الشامية . فدخل دمشق يوم الأربعاء سابع عشر شوال، ونخرج منها إلى حلب في العشرين منه، فوصل إلى حلب مستهلاً ذى القعدة، ونخرج منها يوم الخميس ثانيه إلى حِلّان . وجرّد [السلطان] الأمير نور الدين
- (١) ترجم (Quatremère : Op. Cit. I. 2, p. 138) هذا القبط إلى (robe) أي ثوب . انظر أيضاً (Dozy : Supp. Dict. Ar.) .
- (٢) يكون صاحب هذا المنصب وزيراً مستقلاً، يرافق السلطان في أسفاره وحروبه ليقوم بوظيفة الوزير ويصرف شؤونها معه، وذلك لينسب الوزير الأصل أن يقيم بالقاهرة حيث مقر عمله . ويتضح هذا الترتيب من عبارة الحق، فإن الصاحب بهاء الدين بن حنا هو الوزير وقد تركه السلطان بغير بالقاهرة، وعين الصاحب زين الدين ليكون وزير الصحة . ولهذا التقسيم أشباه في كثير من الوظائف السلطانية، وقد نشأت من قس السبب الذي اتفق وجود وزيرين، ومن هذه وظيفة ناظر الصحة، ومشتة الصحة، ومستوفى الصحة . (Quatremère : Op. Cit. I. 2, p. 139, n. 171)
- (٣) بنير مضبط في س، وهي من قرى حلب، تخرج منها عين حارة كثيرة الماء، صبح إلى حلب وتدخل إليها من قنّاء، وتنفرد إلى الجامع وإلى جميع مدينة حلب . (بافوت : معجم البلدان، ج ٢، ص ٣٨٢) .

(١١) على بن محلي نائب حلب ليقم على الفرات بمسك حلب، ويحفظ معابر الفرات لئلا يدخل أحد من التار إلى بلاد الشام؛ ووصل [إلى الأمير نور الدين] الأمير شرف الدين عيسى بن مهنا . وكان السلطان منذ خرج من مصر إلى أن وصل إلى حلب ، لم يتز بمملكة إلا أخذ معه عسكريا ونزائنها وأسلحتها . قترك بعض الثقيل بجيلان ، وسار منها يوم الجمعة فالتقه إلى عين تاب، وقطع الدربند وبات في وطاة . وتوجهت العساكر جرائد على الأمر الممهود ، وخففوا كل شيء . وقدم الأمير سنقر الأشقر جاليشا في عدة من المسكر، فوقع على ثلاثة آلاف فارس من التار [ومقدمهم يسمى كراي] ، فانزمو فقامه وأسر منهم جماعة ، [وكان ذلك يوم الخميس تاسع الشهر] . وبلغ ذلك الملك [أبنا] ، فجهر جماعة من عرب خفاجة ليزالوا مسكر حلب على غرة . فبلغ ذلك نائب حلب وهو على الفرات، فركب إليهم وقتلهم وهزمهم، وأخذ منهم ألفا وماتى جل .

وورد الخبر على السلطان بأن عسكر التار [ومقدمهم تياوون] ، وعسكر الروم [ومقدمهم معين الدين البرواناه]، قد اتفقوا جميعا على لقاءه . فرتب عساكره وتأهب للقاء ، وطلع بمساكره على جبال (١١٦٢) . تشرف على صحراء هوتى من بلد أبلستين . وترتب المفل أحد عشر طلبا، كل طلب يزيد على ألف فارس، وعزلوا عسكر الروم عنهم وجعلوه طلبا بمفرده [لئلا يكون محاصرا عليهم] . وأقبلوا فانصبت الخيول الإسلامية عليهم من الجبل انصباب السيل ،

- (١) كذا في س ، وفي النوري (نهاية الأرب، ج ٢٨، ص ١١١) ، وهو ق (١٩١) "مجل" .
- (٢) أنصف ما بين القوسين بعد مراجعة ابن أبي الفضائل (كتاب التيج السديد، ص ٢٥٨) .
- (٣) المقصود بالوطاة هنا الأرض الهبة (une plaine) غير الجبلية ، على أن الصحيح أن يقال "وطاة" .
- (٤) في س "جاليش" ، ومما هنا حسب ترجمة Quatremère : Op. Cit. I. 2. p. 140. n. 172) ؛ محيط المحيط ؛ وكذلك ص ٥٧١ ، سطر ٣) .
- (٥) في س "أبنا" (Quatremère : Op. Cit. I. 2. p. 140) ؛ وما هنا حسب ترجمة (L'avant garde) أى الطليعة .
- (٥) أنصف ما بين الأقواس بهذه الفقرة كلها والتي تليها من ابن أبي الفضائل (كتاب التيج السديد، ص ٢٥٩ ، وما بعدها) .

(٦) في س "صحراء هوتى" ، وفي النوري (نهاية الأرب، ج ٢٨، ص ١١١) "صحراء هوتى" ، وفي ابن أبي الفضائل (كتاب التيج السديد، ص ٢٥٩) "صحراء البستين" .

ووقفوا وقفه رجل واحد . وقدم السلطان عدة من مماليكه وخواصه ، قاتلوا قتالا شديداً ؛ ثم ردفهم بنفسه ، وحمل وحملت العساكر معه حملة شديدة . فترجل التار عن خيولهم ، وقاتلوا قتال من يطلب الموت حتى عظم القتل فيهم ، فولى طائفة منهم وأدركهم العسكر فأحاط بهم . ونجا معين الدين سليمان البرواناه زعيم الروم ، فانهمز أصحابه ، وصار [هو] إلى قيسارية [فوصلها] بكرة يوم الأحد ثاني عشر ذي القعدة ، [وأشار على سلطانها غياث الدين كيكابوس بن كيكسرو وجماعة الأمراء بالخروج منها ، فإن التار المنهزمين متى دخلوا قيسارية قتلوا كل من فيها حقاً على المسلمين] . ثم أخذ [البرواناه] السلطان غياث الدين كيكابوس بن كيكسرو صاحب الروم ، و [جماعة من] أعيان البلد ، وسار [بهم] إلى توقات ، [وبينها وبين قيسارية مسيرة ثلاثة أيام] .

وأما السلطان فإنه نزل بعد هزيمة التار في منزلتهم ، وأحضر اليه من أسرى من أمراء المغل ، فعفى عنهم وأطلقهم . وقتل في المعركة الأمير ضياء الدين بن الخطير ، والأمير سيف الدين قيران الملائى أحد مقدمي الحلقة ، وسيف الدين قفجاق الجاشنكير ، وعدة من العسكر ، وخرج جماعة . وقتل [تتاوون] مقدم التار في المعركة . وأمر السلطان بقتل من أسرى من التار ، وأبقى من أسرى من أمراء الروم وأعيانهم معه : وفيهم أم البرواناه ، وابنه [مهذب الدين علي] وابن ابنته .

وجرد [السلطان] الأمير سقز الأشقر في جماعة ، لإدراك المنهزمين [من التار والتتوجة إلى قيسارية] ، وكتب معه كتاباً إلى أهل قيسارية بالأمان وإخراج الأسواق والتعامل

(٢) في س "راخذ" .

(٣) بنير ضبط في س ، وهي بلدة واقعة بين قونية وسواس . (ياقوت : معجم البلدان ، ج ١ ، ص ٨٩٥) .

(١) في س "قفجاق" ، وهو في ب (١٩١ ب) "قنجاك" ، وفي ابن أبي الفضايل (كتاب النج السديد

ص ٢٦١) "طبيخ" .

(٢) انظر أبا الفداء (المختصر في أخبار البشر ، ص ١٥٥ ، في Rec. Hist. Or. I) ، حيث ورد هذا

الاسم "تتاوون" .

بالدراهم الظاهرية . فتر [الأمير سنقر] بفرقة من التار معهم البيوت ، فأخذ منهم جانباً ، وأدركه الليل فتفرق من بقي منهم .

ورحل السلطان في يوم السبت حادى عشره يريد قيسارية الروم ، فاستولى في طريقه على عدة بلاد . وفي يوم الأربعاء خامس عشره تلقاه أهل قيسارية من العلماء والأكابروالنساء والأطفال ، واحتف به الفقراء الصوفية وتواجدوا ، إلى أن قرب من دهليز السلطان غياث الدين صاحب الروم وخيامه ، وقد نصبت في وطاة بالقرب من المناظر التي كانت للملك الروم . فترسل وجوه العساكر المصرية والشامية على طبقاتهم ، ومشوا بين يديه إلى أن وصلها ، وارتفعت الأصوات بالتكبير والتهليل . وأقبل الروم من كل جهة ، وضربت نوبة آل سلجوق على عادتها ، وحضر أصحاب الملاهي كما هي عادة الروم ، فتهوا عن الضرب بالآلات وعن الفناء [أيضاً] ، وقيل لهم : هذه الهيئة لا تنفق عندنا ، وما هذا موضع (١٦٢) الفناء ، بل موضع الشكر . وشرع السلطان في إنفاق المال ، وعين لكل جهة شخصاً ، وكتب إلى أولاد قرمان أمراء التركان ، وأكد عليهم في الحضور ، واستمال التازحين ، فخرج البرواناء عن المطاولة إلى أن علم السلطان منه أنه لا يحضر .

(١) توجد قبالة هذا القبط يماش الصفحة في س العبارة الآتية ، ونصها مصححاً : "بغيرية ويقال أقصراً" هي وقونية مدينتا بلاد الروم ، يقال إن عدد بلادها وما يليها ستائة ألف وست وأربون ضيعة ، من ذلك تلاح أربمائة [ر] أربع وخمسون قلعة ، ومدن كبيرة بأسوارسة وأربون مدينة ."

(٢) في س "صا الدين" ، وعقوة الخريزي هنا غلبي . انظر (Quatremère: Op. Cit. I. 2. p. 143).

(٣) بل هذا القبط في س عبارة "أهل بلاد الروم" ، وهي مشطوبة .

(٤) في س "بالات" .

(٥) تأسست دولة بنى قرمان (Karaman Oghlu) بجبهات أرمناك وقسطونى بجنوبي آسيا الصغرى ، في أواسط القرن السابع الهجرى . وهي أهم الدول التركية التي نشأت زمن تمكك دولة الروم السلاجقة ، ومؤسسا قرمان بن تورأصول المتوفى سنة ٥٦٦ هـ (١٢٦١ م) ، وقد قولها بعده ابنه محمد بن قرمان ، وهو دعوته وإخوته هم المقصودون هنا بالترك . (Enc. Isl. Art. Karaman Oghlu ; Lane-Poole : Muh. Dyns. pp. 184-185) . انظر أيضاً (الفقشندى : صبح الأعشى ، ج ٥ ، ٣٦٥ ؛ ابن أبي الفضائل : كتاب التيج السديد ، ص ٢٦٦) .

- وركب [السلطان] في يوم الجمعة سابع عشره وعلى رأسه جتر بنى سلجوق، ودخل قيسارية دار السلطنة، وعبر القصور وجلس على تخت آل سلجوق. وأقبل الناس للهنا وقلبوا الأرض، وحضر القضاة والفقهاء والوعاظ والقراء والصوفية وأعيان قيسارية وذوو المراتب، على عادة الملوك السلجوقية في أيام الجمع. ووقف أمير المحفل — وهو عندهم ذو حرمة ومكانة، ويلبس أكبر ثوب وعمامة —، فرتب المحفل على قدر الإقدار، وانتصب قائما بين يدي
- السلطان منتظرا ما يشيره. وقرأ القراء أحسن قراءة، ورفضوا أصواتهم بالتلحين العجيب إلى أن فرغوا، فأنشد أمير المحفل بالعربية والعجمية مدائح في السلطان. وتمد سباط الطعام فأكل من حضر، ثم أحضرت دراهم عليها الصكة الظاهرية. وتبنا السلطان لصلاة الجمعة، وقام السلطان إلى الجامع، وخطب الخطيب بنعوته وصلى، وخطب له الخطباء بمحوامع قيسارية وهي سبعة.

١٠

- فلما قضى السلطان صلاة الجمعة، حُبل إليه ما تركته كُرُجى خاتون امرأة البرواناه من الأموال التي لم تقدر على حملها معها، وما خلفه سواها ممن اقترح معها. وظهر لها ولزوجها معين الدين سليمان البرواناه موجود نفيس، فأخذ السلطان ذلك.
- وبعث البرواناه يئىء السلطان [بيبرس] يحملوسه على تخت الملك، فكتب إليه أن يفد عليه ليقتره مكانه، فبعث يسأل النظرة إلى خمسة عشر يوما. ورجا [البرواناه] بذلك أن يصل
- الملك أبنا — وكان قد أرسل يستحثه على القدوم بنفسه — ليدرك الملك الظاهر وهو ببلاد الروم. فلما بلغ السلطان ذلك خرج من قيسارية في ثاني عشره، بعد ما أعطى الأمراء والخواص الخيول والأموال. و[لما] وصل السلطان إلى خان كيقباد بعث إلى الأرمن [بجبهة الرمانه] الأمير طبرس الوزرى، ففرق وقتل وسبى [من بها من الأرمن] وعاد؛ [وسبب ذلك أنهم كانوا قد أخفوا جماعة من التتر]. فسار السلطان إلى الأبلستين، وصرى على مكان المعركة
- ليرى ردم القتل من التتار، فذكر أهل الأبلستين أنهم عدوا من القتل ستة آلاف وسبعمائة

٢٠

(١) ضبط هذا الاسم على مغلوته في ترجمة (Quatremère : Op. Cit. I. 2. p. 144).

(٢) أخيف ما بين الأفراس بهذه الفقرة من ابن أبي الفضايل (كتاب التيج السديد، ص ٢٦٧، وما بعدها).

وستين، وضاع الحساب بعد ذلك . فأمر السلطان بجمع من قُتل من عساكره ودُفِنوا ،
وَتَرَكَ منهم قليلا بغير دفن ، وقصد بذلك نكاية التارفي بإظهار كثرة من قُتل منهم وقلة من قُتل
من عسكره ، ثم رحل ^(١) .

(١) توجد بين الصفحتين ١٦١ ب ، ١٦٢ أ في ص ورقة مفصلة ، بها ملخص لما وقع السلطان بيرس من يوم
أن ترك حلب إلى أن دخل نيسابور بآسيا الصغرى ، وهو مكتوب على وجهي الورقة بخط صلب القراءة مع مشابهته لخط
القرن ، وقد كتب فوقه على أحد الوجهين بقلم ثلث تحنن البشارة الآتية : " يخبرني عن الرضا يا المجتهد والاشارات " ،
وفيها على نص الملخص المذكور مصححا ، ماعدا ما تميزت فراقته فقد أُشير إلى موضعه :

"رحل الملك الظاهر من حلب يريد بلاد الروم حتى خرج من الهرند ، وبات في وطاة . فقدم سحر الأشقر
في الجلائش ، فوقع في ثلاثة آلاف فارس من التار مقدمهم كراي ، فانهزموا من بين يديه وأسر وقتل منهم جماعة ؛
وبات التار على تبعه . فلما كان يوم الجمعة عاشر ذي القعدة سنة [خمس وسبعين] تابع الصخر (؟) برهم ، ضبا السلطان
عساكره وطلع بهم من جبال مشقة على البدين . وكان التار يقسم تلك البدين على نهر زبان ، وهو أصل نهر جحان
وأصل اسمه جيجان . فترتب الحفل أحد عشر طابعا كل طلب يزيد على ألف فارس ، ومنزلوا عسكر الروم خيفة منهم ،
وجعلوا عسكر الكرج طلبا بغيره . فوفقت الحرب ، فقتل كثير من التار وفر الباقون ، فأخذ أكبرهم (؟) ، وقتلت منهم
عدة غنائم وأسر كثيرا (كذا) . ووصل البردوانه مدينة قيسرية بمر يوم الأحد ثاني عشره ، وأخذ زوجته وأطفالها والسلطان
غياث الدين صاحب الروم إلى أبنا بن هلالون وتوجهوا إلى توقات ، وهو حصن [يعد] عن قيسرية أربعة أيام ، وتبعه
أمراء الروم إلا قليلا منهم . ورحل السلطان الملك الظاهر ، وكتب إلى أصحاب حصن سمند وإلى قلعة درندة وإلى
قلعة دالوا ، فكلهم أطاع . فلما كان يوم الأربعاء تصفروا كيت الساكر ، وقد خرج أهل قيسرية للقاء السلطان فأكرمهم .
وكان شعار السلطان غياث الدين صاحب الروم وزعمه (؟) وشعار سلطته قد بن جيهه في وطاة ، فحمل الناس بأجمعهم
في ركاب السلطان ، ونزل ملك [موضع هذا ألقاظ محووا تماما] سلجوق على باب دهليز ، وحضر أصحاب الملاهي
فلم يمكنوا ومنعوا . وحكم السلطان وقد أشغال سلطته ، ثم ركب يوم الجمعة سابع عشره ، ونصب جتر بني سلجوق على
رأسه ، ودخل قيسرية بكرة النهار وقد فرشت دار السلطنة لدوله (؟) برهي تحت بني سلجوق بجملته (؟) . جلس السلطان
في مرتبة الملك ، وأثناء الناس يهتجون ، وأقبل القضاء والفقهاء والصوفية ، وذرو المراتب من أصحاب العائم على عادة
بني سلجوق في كل جمعة . ووقف أمير الحفل وهو كبير عندهم ، فرتب الحفل على قدر الأقدار ، ووقف يختار ما يرسم
[السلطان] له . وشرع القراءة في قرأة القرآن حتى فرغوا ، فصرح أمير الحفل علو (؟) ثم أثنى بالقارية طويلا .
ثم مد البساط وأكل الناس وقام السلطان إلى موضع راحته ، فأقام قليلا وخرج إلى عجمه ، وتوجه صلاة الجمعة بقرية ،
حتى أفضت الصلاة . فدعى السلطان [موضع ألقاظ تميزت قراءتها] باسمه ، وأحضرت إليه الدرهم في هذا اليوم . واستول
[السلطان] على موجود (؟) مدين الدين سليمان وزوجه كرجي خاتون ، ثم رحل يوم الاثنين عشره ، بعد ما أعطى
الأمراء والخوفاص كلها جهز إليه . واستصحب [السلطان] معه أكابر الروميين حتى نزل البستين ، وعبر على مكان المعركة ،
وأخبره رجل أنه عد من قتل الحفل ستة آلاف وسبعمائة وسبعين وضاع الحساب . ثم رحل [السلطان] بعد يومين " .

ودخل السلطان إلى الدربند في رابع ذي الحجة، وأصاب الناس فيه مشقة (١٦٣) عظيمة، ونزل بحارم في سادسه وعيد هناك. فورد كلب الأمير شمس الدين محمد بن قومان أمير التركان، يتضمن أنه جمع التركان وحضر في عشرين ألف فارس وثلاثين ألف راجل متركة^(١) للمقدمة، فوجد السلطان قد عاد؛ وحضر أيضا أمراء بني كلاب، ووفود التركان. [ثم رحل السلطان^(٢) طالبا دمشق].

- وقدم الملك أبنا بن هولكو بالتار لمحاربة السلطان، فوفاه البرواناه [في الطريق]. و[كان] السلطان قد رحل فجهه [أبنا]، وسار إلى الألبستين حتى عاين القتلى بالمعركة، وليس فيهم من الروم ولا من عساكر السلطان إلا القليل، مع كثرة رم التار التي هناك، فشق عليه ذلك. وكان قد وُثِيَ إليه بالبرواناه أنه هو الذي كاتب الملك الظاهر حتى أقدمه إلى بلاد الروم، فخرق لقلعة عدد قتلى الروم. وعاد [أبنا] إلى قيسارية، فنهبا وقتل من ببلاد الروم من المسلمين. وأغار التار مسيرة سبعة أيام، فيقال إنه قتل من الفقهاء والقضاة والرعايا ما يزيد على مائتي ألف نفس، ولم يقتل أحد من النصاري. وشمل القتلى من أرزن الروم إلى قيسارية، فيقال إن عدة القتلى كانت خمسمائة ألف. ثم سار أبنا ومعه السلطان غياث الدين صاحب الروم، ووكل بالبرواناه من يحفظه. وسار السلطان [بيبرس] من حارم إلى أنطاكية، ونزل بمروجها.
- ومات في [هذه السنة] من الأعيان الأمير عز الدين إيفان المعروف بسم الموت، أحد أمراء مصر، وهو بقلعة الجبل مسجوناً، فدفن خارج باب النصر. وفيهاج الصاحب تاج الدين

(١) الجنود المتركة هي التي تكون حاملة تركاشها، والركاش جمعة النشاب، ويقابل في الفرنسية لفظ (carquois)، ويجمع على تراكيش، وهو عرب من كلمة تركش الفارسية. (Dozy : Sapp. Dict. Ar.) .
(٢) أضيف ما بين القوسين، وما يليه من الإحاطات الفقرة التالية، من ابن أبي الفضايل (كتاب التيج السديد، ص ٢٦٩، وما بعدها). (٣) في س "وقد رحل السلطان فجهه وسار إلى الألبستين ...".
(٤) عبارة س كالآتي: "وسار إلى الألبستين حتى عاين القتلى بالمعركة وليس فيهم من الروم ولا من عساكر السلطان إلا القليل فشق عليه مع كثرة رم التار التي هناك ...".
(٥) فوق هذا اللفظ إشارة إلى سقطة أودا القريري إتيانها بهامش الصفحة في س، ثم أغفل ذلك أوديه.
(٦) في س "فيها".

ابن حنا، وكان بمكة غلاء عظيم . وتوفي شمس الدين أبو عبد الله محمد بن [عبد الوهاب بن] منصور الحزاني الحنفي بدمشق ، بعد ما أقام بالقاهرة حيناً ، و[كان قد] ولى قضاء بعض الأعمال . وتوفي بدر الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن بن محمد ابن القويّة، الحنفي الفقيه الأديب، عن نحو أربعين سنة بدمشق . وتوفي غفر الدين أبو الوليد محمد بن سعيد بن محمد بن هشام بن عبد الحق الكافي الشافعي ، الحنفي النحوي الأديب ، عن ستين سنة بدمشق . وتوفي قطب الدين أبو المعالي أحمد بن عبد السلام بن المطهر بن أبي سعد عبد الله بن محمد بن هبة الله بن علي بن المطهر بن أبي عَصْرُون التيمي الموصل الشافعي ، عن ثلاث وعشرين سنة بجلب . وتوفي الأديب شهاب الدين أبو المكارم محمد بن يوسف بن مسعود بن بركة الشيباني التلّغري، عن اثنين وعشرين سنة بمكة . ومات الشيخ أبو العباس خضري أبي بكر بن موسى المهراني السدوسي الكندي ، في محبسه بقلعة الجبل، في يوم الخميس سادس المحرم عن نيف وخمسين سنة، ودفن بزاوية خارج باب الفتوح . ومات مملك تونس أبو عبد الله محمد المستنصر بن السعيد أبي زكريا يحيى بن عبد الواحد بن

(١) الرقيات التالية واردة في س على ورقة منفصلة بين الصفحتين ١٦٢ ب ، ١٦٣ أ ، وهي واردة في ب (١٩٢ ب) كما هنا ، ولا شك في مناسبتها لهذه السة . (انظر ابن العاد : شذرات الذهب ، ج ٥ ، ص ٣٤٥ - ٣٤٩ ؛ النويري : نهاية الأرب ، ج ٢٨ ، ص ٧٣) .

(٢) موضع ما بين القوسين ألقاظ محوّة في س ، وقد أضيفت من ابن العاد (شذرات الذهب ، ج ٥ ، ص ٣٤٨) .

(٣) مضبوط هكذا في س .

(٤) مضبوط هكذا في س .

(٥) في س "المغري" ، والنسبة الى تل يفر المعروف أيضا باسم تل أعفر ، وهو اسم قلعة وريض بين منجار والموصل . وتل أعفر أيضا بلدة بين حصن مسلمة بن عبد الملك والركة ، من نواحي الجزيرة . (باقوت : معجم البلدان ، ج ١ ، ص ٨٦٣ - ٨٦٤ ، ٨٧٣) .

(٦) مضبوط هكذا في س ، ويوجد في ابن أبي الفضائل (كتاب النجديد ، ص ٢٩١ ، وما بعدها) تحت سنة ٦٧٦ هـ ، ترجمة طويلة لهذا الشيخ . انظر أيضا النويري (نهاية الأرب ، ج ٢٨ ، ص ١١٩ - ١٢١) ، حيث ذكرت هذه الرواة تحت سنة ٦٧٦ هـ أيضا .

أبي حفص، في عاشر ذي الحجة، فكانت مدته ثمانيا وعشرين سنة وخمسة أشهر وعشرة أيام،
وبويع بعده ابنه أبو زكريا يحيى^(١) .

♦ ♦ ♦

سنة ست وسبعين وستمائة . في خامس المحرم دخل السلطان من أنطاكية إلى
دمشق بمساكره، ونزل بالقصر الأباقي . فكثرت الأخبار بقدم أبنا إلى الأبلستين وأنه يريد
بلاد الشام، فغضب الدهليز على القصر ليخرج السلطان إلى لقائه، فورد الخبر برجوع أبنا إلى
بلادهم فرد الدهليز إلى دمشق .

ولما كان في يوم الخميس رابع عشره جلس السلطان لشرب القمّز، وقد عظم سروره
وفرحه وتناهى سعد، فأكثر من الشرب . وانقضى المجلس فتوَعَكَ بدنه، وأصبح يشكو
تقيًا، وركب بعد الصلاة إلى الميدان، ثم عاد إلى القصر الأباقي آخر النهار وبات فيه . فلما
أصبح وهو يشكو حرارة في بطنه، استعمل دواء [لم يكن من رأى طيب]، فلم ينجح وتزايد^(٢)
ألمه . فاستدعى الأطباء، فأنكروا استعماله الدواء، وانفقوا على أخذ مسهل وسقّوه فلم يقد،
فحزّوه بدواء آخر فافرط به الإسهال، وتضاعفت الحمى ورعى دما يقال إنه كبده، فموج
بجواهر ومات .

وقال الشيخ قطب الدين (١٦٣ ب) اليوناني في تاريخه : إن الظاهر كان مولعا بعلم
النجوم، فقيل له إنه يموت بدمشق في سنة ست وسبعين هذه ملك بالسم، فاهتمّ من ذلك .
ويقال إنه كان فيه حسد، فلما دخل معه إلى بلاد الروم الملك الفاهر بهاء الدين عبد الملك
ابن الملك المعظم عيسى بن العادل أبي بكر بن أيوب، أبلّى في المصاف بلاء عظيما أنكى به المدوّ،^(٣)

(١) أورد ابن الباء (شذرات الذهب، ج ٥، ص ٣٤٥ - ٣٤٦) تحت هذه السنة وفاة الشيخ السيد أحمد
البدوي المشهور، صاحب المزار الكبير بمدينة طططا الحالية .

(٢) أضيف ما بين القوسين من ابن أبي القضايل (كتاب التيج السديد، ص ٢٧٧) .

(٣) دال هذا اللفظ مجعولة بوزنة ملصقة فوقتها في س، وهو كامل في ب (١٩٢) .

(٤) في س "أبى" .

وتعجب الناس لعظم شجاعته ؛ فأتر ذلك عند السلطان . واتفق أن السلطان كان منه ذلك اليوم فخور ، وظهر عليه الخوف والتدم على ما فعله من توريط نفسه وعساكره ببلاد الروم ، فانكر عليه الملك القاهر وقبح فعله ، فأسر له [السلطان] ذلك الى أن قدم دمشق . فسمع [السلطان] الناس تلهج بما فعله الملك القاهر في وقت المصاف ، فاشتد حنقه وأخذ يتعيل في سمه ، ليصبح فيه ما دلّت عليه النجوم من موت ملك بالشام ، فإنه يطلق عليه اسم ملك . فعمل دعوة لشرب القمّز حضرها الملك القاهر ، وقد أعدّ السلطان سماً من غير أن يشعر به أحد . وكان له ثلاث هتّابات تختص به مع ثلاثة سقاة لا يشرب فيها غيره ، أو من يكرمه فيناوله أحدها بيده . فلما قام الملك القاهر لقضاء حاجته ، جعل السلطان السمّ الذي أمّده في هتّاب وأمسكه بيده ، فلما عاد الملك القاهر تناوله إياه ، ققبل الأرض وشرب جميع ما فيه . وقام السلطان لقضاء الحاجة ، فأخذ الساق الهتّاب من يد الملك القاهر ، وملاّه على العادة من غير أن يشعر بما عمله السلطان من السمّ فيه ، وأمسكه بيده ووقف مع السقاة . فلما عاد السلطان من اتّلاء تناول ذلك الهتّاب بعينه ، وشرب ما فيه وهو لا يعلم أنه الهتّاب المسموم . فعندما شربه أحسّ بالتغير ، وعلم أنه قد شرب بقايا السمّ الذي كان في الهتّاب ، فقياً فلم يقد ، وما زال به حتى مات .

١٥ وذكر [ركن الدين] بيبس [المنصوري المؤرخ] ^(١) إن القمر خسف جميع جرمه ، ودلّ على موت رجل جليل القدر . فلما بلغ الملك الظاهر هذا خاف ، وقصد صرّف ذلك إلى غيره ، فسمّ الملك القاهر في كأس قمّز . وأحسّ [الملك القاهر] بالشرقاق ، وظلّ الساق فلاّ الكأس وسقاه السلطان ، فأحسّ بالنيران وأقام أياماً يشكو ولا يعلم الأطباء ، حتى تمكّن منه ومات .

٢٠ وكانت وفاته يوم الخميس سابع عشرين المحرم بعد الزوال ، فكانت مدة مرضه ثلاثة عشر يوماً ، وقد تجاوز الخمسين سنة ، ومدة ملكه سبع عشرة سنة وشهران واثنا عشر يوماً .

(١) أخيف ماين الأفراس من (Enc. Isl. Art. Baibars al-Maṣṣūrī) ، وبيرس هذا مؤلف كتاب

زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة ، وكتاب النخبة الملوكة أيضاً . (٢) في س "شهرين واثني" .

وكان قفجاقى الأصل ، طويل القامة أسمر اللون ، فى عينيه زرقه وبإحدى عينيه نقطة صغيرة ، صوته جهور ياء ، وكان شجاعا عسوقا عجولا . [وكان قد] حضر من البلاد مع تاجر إلى حماة ومعه مملوك آخر ، فلما عرضا على الملك المنصور محمد صاحب حماة لم يعجبه . وأبيع بدمشق بثمانمائة درهم ، فردّه مشتره لياض فى إحدى عينيه ، فاشتراه الأمير علاء الدين (١١٦٤) أيدكين البندقدار مملوك الملك الصالح نجم الدين أيوب ، وهو بجاعة معتقل بها ، وأقام فى خدمته مدة . ثم أخذه منه الملك الصالح ، فترقى فى الخدم ، وتقلت به الأحوال إلى ملك مصر والشام .

وكانت الأمراء تخافه مخافة شديدة ، حتى إنه لما مرض لم يدخل أحد منهم طيه إلا بإذن . وكان مقداما خفيف الركاب طول أيامه ، يسير على المهجن وخيول البريد لكشف القلاع والنظر فى الممالك ، فركب للعب الكرة فى الأسبوع يومين بمصر ويوما بدمشق ، وفى ذلك يقول سيف الدولة المهنّندار من أبيات يمدحه بها :

(١) انظر ص ٥٧٤ ، سطر ٧ ، وحاشية ١ .

(٢) أورد ابن راصل (مفرج الكروب ، ص ٤٠٤ ب) فى هذا الصدد قصة ظريفة عن سبب رفض الملك المنصور شراء بيرس ، وقد تلاها بما حدث لبيرس بعد ذلك بتفصيل ، ونصبا مصححا : "وكان السلطان الملك المنصور إذ ذاك فى سن العبا ، وكان [من] عادته أنه متى أود شراء رفيق أحضر وزراء (كذا) الصاحبة والدة ، ومن أشارت بأبقائه أخذ . وكان الملك المنصور لما بلغه وصول الملك الظاهر وهو مع التاجر تقدم بإحضاره ، فأحضره مع خشدائ له . وعرضا على الصاحبة قرأتها من داخل الساترة ، فلما استأذنها السلطان ولدها فى شرائها قالت له خذ المملوك الأبيض ، والأسمر لا يكون بينك وبينه سامة — يعنى الملك الظاهر — فإن عينيه فهما الشر لا يج ، فردّها جميعا على التاجر ، فشرّها ذلك . وبلغ الأمير علاء الدين البندقدار حضور هذين الملوكين اللذين جلبا ، فظليهما إلى عنده ، فلما رأها ملحا له ، فاشترأها وهو فى الاعتقال إلى أن أفرج الملك الصالح نجم الدين أيوب أستاذة عنه ، وتوجه بهما إلى مصر فأخذها الملك الصالح منه ... "

(٣) شرح القفصى (صبح الأمل ، ج ٥ ، ص ٥٩٩) هذه الوظيفة فقال ، إن صاحبها "هو الذى يتصدى لخلق الرسل والريان الواردين على السلطان ، ويزلم دار الضيافة ويحدث فى القيام بأمرهم . وهو مركب من قفطين فارسيين ، أحدهما مهين يفتح الميسين وسنائه الضيف ، والثانى دار وسنائه مملك ... ، ويكون وسنائه مملك الضيف ، والمراد المتصدى لأمره . "

يوما بمصر ويوما بالجهاز وبالشام يوما في قري حلب
 وكانت عدة عسكره اثني عشر ألفا، ثلثها بمصر وثلثها بدمشق وثلثها بحلب . و[كان]
 هؤلاء خاصته، فإذا غزا خرج معه أربعة آلاف يقال لهم جيش الزحف، فإن احتاج استدعى
 أربعة أخرى، فإن اشتد به الأمر استدعى الأربعة آلاف الثالثة . وافتتح من البلاد قيسارية
 وأرسوف وهدسها، وفتح صفد وعمرها، وفتح طبرية ويافا والشقيف وأنطاكية ونحرها .
 و[استولى على] بفراس وأقصير وحصن الأكراد والقرين وحصن عكا وصافيتا ومرقبة
 وحلبا، وتاصف الفرنج على المرقب وانياس وأنطرسوس، وأخذ من مملك سيب دريساك
 ودركوش وتليش وكفردين ورجبان ومرزبان . وملك دمشق وعجلون وبصرى، وصرخد
 والقصلت وحصص، وتدمر والرحبة وتل باشر، وصهيون وبلاطس، وقلعة الكهف
 والقدموس والمنيفة والمليقة والخوابي والرصافة ومصيف، والكرك والشوبك، وبلاد حلب
 وشيزر والبيرة، وبلاد النوبة وبرة، وسائر إقليم مصر والشام . وملك قيسارية من بلاد
 الروم . وقد قال فيه بعض الأدباء :

تدبر الملك من مصر إلى يمين • إلى العراق وأرض الروم والنوبى

وله عدة أوقاف بمصر : منها وقف الطرخاء لتفسيّل فقراء المسلمين وتكفيهم ودفعهم،
 وهو من أكثر الأوقاف نفعا . ومنها تربة الظاهر بالقرافة، والمدرسة الظاهرية بخط بين
 القصرين من القاهرة، والجامع الظاهري خارج باب الفتوح من القاهرة . وعمر [السلطان
 بيبرس] الجسر الذى يسلك عليه إلى دمياط، وأنشأ عليه ست عشرة قنطرة، وعمر قنطرة بحر

(١) هذا البيت وارد في كالاتى، بدون فاصلة : "يوما بمصر ويوما بالجهاز ويوما بالشام ويوما في قري حلب".

(٢) كما في س .

(٣) الجسر على الطريق المسمى على حافة النهر أو القرعة، لحفظ المياه وضبطها لأغراض الري، ولوقاية البلاد
 المجاورة من الفيضان، وفي (Quatremère : Op Cit. T. 2, p. 142, n. 187) أمثلة كثيرة للدلالة على
 هذا المعنى، ومنها : "الجسر الممتدة الى مصر على إذا عملت كما ينبغي ربح الخراج، ليحفظ عند ذلك ماء النيل
 حتى يتسرى كل مكان الى الحصة المحتاج اليه ...". وكانت الجسور في مصر زمن المماليك على نوعين، سلطانية
 وبلدية : فالجسور السلطانية هي الجسور العامة الجامعة للبلاد الكثيرة، وكانت تصمم في كل سنة من الديوان السلطاني =

أبى المنجا، وهى أجل قناطر أرض مصر . وعمل قناطر السباع بين القاهرة ومصر على الخليج الكبير، وحفر خليج الإسكندرية وبحر طناح وبحر الصمام بالقليوبية، وحفر خليج مردوس؛ وأصلح بحر دمياط وردم فيه بالصخور .

- ومن غريب (١٦٤ ب) أمره أنه أول ما فتح من البلاد قيسارية من بلاد الساحل، وأخر ما فتح مدينة قيسارية من بلاد الروم . وأول جلوسه على مرتبة الملك يوم الجمعة سابع عشر ذى القعدة، وأخر جلوسه على تخت الملك بسلطنة آل سلجوق فى قيسارية الروم يوم الجمعة سابع عشر ذى القعدة . وأول من بنى مدينة أنطاكية اسمه بالعربية الملك الظاهر، والذي أئحربها الملك الظاهر . وأول من قام بدولة الترك السلجوقية ركن الدين طغرل بك، والملك الظاهر ركن الدين بيبرس هو القائم فى الحقيقة بدولة الترك من يوم وقعة المنصورة . وركن الدين طغرل بك هو الذى ردّ الخلافة على بنى العباس فى نوبة البساسيرى، وركن الدين بيبرس هو الذى ردّ الخلافة على بنى العباس فى نوبة هولكو . والخطبة بديار مصر كانت بعد الخليفة الحاكم بأمر الله الفاطمى للظاهر لإعزاز دين الله، وكذا وقع [له، فقد] كانت الخطبة بعد الخليفة الحاكم بأمر الله العباسى للوك الظاهر بيبرس .

- وكان راتب غايه وعليقه، خاصة نفسه وماليكه، فى كل سنة مائة ألف وعشرين ألف (٢) أردب . وكان يعطى فى كل ليلة من ليلى شهر رمضان خمسة آلاف نفس، ويكسوفى كل (٣)

بالوجهين القليل والبحرى . وكان للجسور السلطانية فى كل عمل من أعمال مصر كاشف يرسل لها زبنا كل سنة، ويبرع بكاشف الجسور، وفى خدمته خولة ومهندسون لتلك الغرض . أما الجسور البلدية فهى الخاصة ببلد دون بلد، ويتولى عمارتها المقطعون بالبلاد من الأمراء والأجناد وغيرهم، من أموال البلاد الجارية فى إقطاعهم . راجع (التقشقى : صبح الأئشى، ج ٣، ص ٤٤٨ — ٤٥٠ المقرئى : المواقظ والاختيار، ج ٢، ص ١٦٥ — ١٧٢) .

(١) بفر ضبط فى س، وهو أحد فروع النيل، ونجرحه من مردوس بين يأسوس وقلوب، وكان يروى كثيرا من أراضى الشرقية . (P. Omar Toussoun : *Anc. Branches Du Nil*. pp. 72-76, et Pl. III.) .

انظر أيضا (المقرئى : المواقظ والاختيار، ج ١، ص ٧) .

(٢) البارة التالية الى حاشية رقم ٢ بالصفحة التالية وأردتها مشى الصفحة فى س، وهى ليست فى ب (١٩٤) .

أو فى (Quatremère : *Op. Cit.* I. ٢. p. 153) .

(٣) فى س "يسكو" .

سنة ستمائة كسوة خارجا عما يطلقه^(١) من يده من الكساوى ، وكان له من الخبز ألفا قطار
ونعمياته في كل [يوم]^(٢) . إلا أنه كان كثير المصادرات للدواوين ، كثير الجباية للأموال من
الرية . وأحدث وزيره ابن حنا في أيامه حوادث جليلة ، وقاس أملاك الناس بمصر والقاهرة ،
ومصادر أرباب الأموال حتى هلك كثير منهم تحت العقوبة ؛ وأخذ جوالى الذمة مضاعفة ،
وأمر بإحراقهم كلهم ، وجمع لهم الأحطاب وحفر لهم حفرة عظيمة فقدم دار النيابة بقلعة
الجليل ، ثم عفى عنهم وقرر عليهم أموالا أخذت منهم بالمقارع ، ومات أكثرهم في العقوبة .
ولما توجه [السلطان بيبرس] إلى بلاد الروم كلف أهل دمشق جباية مال لإقامة الخليل ،
وفرض عليهم ألف ألف درهم قرة عُجبي من المدينة ومن الضياع .

ولم يل الوزارة له سوى صاحب بهاء الدين على بن محمد بن حنا ؛ وقضاته بمصر قاضى
القضاة تاج الدين عبد الوهاب ابن بنت الأعرى إلى أن أحدث القضاة الأربعة ، واستمر
ذلك من بعده . ورؤى [السلطان بيبرس] بعد موته في النوم ، فقيل له : "ما فعل الله بك؟"
فقال : "ما رأيت شيئا أشد على من ولاية قضاة أربعة ، وقيل لى قَوَّت الكلمة" . و[كان]
كل من ولّاه [بيبرس] في مملكة أو عمل أبقاء ، ولم يغير عليه ولا عزله . وتزوج [بيبرس]
من النساء — وهويلاذ غرة ، قبل أن يل الملك — امرأة من طائفة الشهرزورية ، ثم
طلقها بالقاهرة . وتزوج ابنة حسام الدين بركة خان بن دولة خان التترى ، وابنة الأمير
سيف الدين نوكلى التترى ، وابنة الأمير سيف الدين كراى بن تماجى التترى ، وابنة الأمير

(١) في م "بطله" .

(٢) انظر حاشية ٢ بالصفحة السابقة .

(٣) عبارة التتري (نهاية الأرب ، ج ٢٨ ، ص ١١٦) في هذا الصدد كالآتي : ووزاروه صاحب زين الدين
ابن الزير مدة يسيرة ، ثم استوزر بعده صاحب بهاء الدين على بن محمد المعروف بابن حنا

(٤) في م "اربع" .

(٥) - ميلاد الفارنى أن المقرئى صى هذا الأمير فبا على بالصفحة التالية (مطر ٣) الخوارزمى بدل التترى ،
وهذه التسمية باسم الخوارزمى واردة أيضا في ابن أبي الفصائل (كتاب التيج السديد ، ص ٢٩١ ؛ والتتري :
نهاية الأرب ، ج ٢٨ ، ص ١١٦) .

- سيف الدين ... التتري ، وولد [له] من الأولاد (١٦٥) عشرة : المذكور منهم ثلاثة - وهم الملك السعيد ناصر الدين محمد بركة قان ، وُلِدَ في صفر سنة ثمان وخمسين وستمائة بمِزْلَة العُشِّ ، من بنت حسام الدين بركة خان الخوارزمي ، والملك العادل بدر الدين سلامش ؛ والملك المسعود نجم الدين خضر - ، والإناث سبع .
- ولما مات [السلطان بيبرس] كتم الأمير بدر الدين بيبيك الخازندار نائب السلطنة موته عن العساكر ، وحمله في محفة من القصر الأبقى خارج دمشق إلى القلعة في الليل ، وجعله في تابوت وعلقه في بيت ، وأشاع أنه مريض ورتب الأطباء على العادة . ثم أخذ العساكر وانخزرت ، ومعه محفة محمولة وأوهم أن السلطان فيها مريض ؛ ونخرج من دمشق يريد مصر ، فلم يحصر أحد أن يتفوه بموت السلطان . واستقر الحال على ذلك حتى وصات العساكر إلى القاهرة ، وصمدت انخزرت والمحفة إلى قلعة الجبل ، فأشيع حينئذ موته . وبالجملية فلقد كان من خير ملوك الإسلام .

السلطان الملك السعيد ناصر الدين

محمد بركة قان بن الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقداري الصالحى النجمي . لما مات الملك الظاهر بدمشق ، كتب الأمير بدر الدين بيبيك الخازندار إلى الملك السعيد وهو

(١) يبايخ في ص ، واسم هذا الأمير في التتري (نفس المرجع والجزء والصفحة) "الأمير سيف الدين عاجي (كنا) التتري" .

(٢) بنبر ضبط في ص ، ومِزْلَة العُشِّ من خواص القاهرة . (ابن أبي الفضائل : كتاب التبع السديد ، ص ٢٩١) .

(٣) انظر ص ٦٤٠ ، سطر ٩٥ ، وحاشية ٥ .

(٤) المقصود هنا قلعة دمشق . انظر التتري (نهاية الأرب ، ج ٢٨ ، ص ١١٦) .

(٥) يوجد في ابن واصل (مفرج الكرب ، ص ٤٤٠ أ) بن من وصية أرسلها السلطان بيبرس إلى ابنه الملك السعيد ، ونصها : "ولما أحسن [الملك الظاهر] بالموت رحمه الله كتب تذكرة إلى ولده الملك السعيد وهو بمصر ، ومن جعلها : إنك صبي ، وهؤلاء الأمراء الأكابر يرونك بين الصبي . فن يملك عه ما يشترش عليك ملكك ، وتحقق ذلك عه ، فأغرب عه في وقتيه ولا تنفقه ، ولا تمشتر (في الأصل تمشتر) أحدا في هذا ؛ واصل ما أمرتك به وإلا ضاعت مصليتك .

وسار الأمير بيليك بالحفة والأطلاب ، حتى قدم إلى القاهرة يوم الخميس سادس
عشرى صفر وهو تحت السناجق الظاهرية ، وصعد قلعة الجبل . وجلس الملك السعيد
بالإيوان ، وسلم إليه الأمير بيليك الخزان والعساكر ووقف بين يديه ، فصاح المحباب
حينئذ : "يا أمراء ! ترحموا على السلطان الملك الظاهر" . فارتفع الضجيج والمويل ، ووقع
الأمراء إلى الأرض قبلوها للملك السعيد . فجذدت الإيمان ، وحلف له سائر العسكر والقضاة
والمدرسين والأعيان ، وتولى تخليفهم الأمير [بدر الدين] بيليك [الخازن دار] بحضرة القضاة .
فأقر الملك السعيد الأمير بدر الدين بيليك على نيابة السلطنة^(١) ، وأقر صاحب بهاء الدين بن
حنا على وزارته ، وخلع عليهما وعلى الأمراء والمقدمين والقضاة وأرباب الوظائف .

(١) يوجد في الفقه السني (صبح الأعشى، ج ٤، ص ١٦، وما بعدها) في باب الوظائف السلطانية الكبرى وصف لاختصاص نيابة السلطة، وقمعه: "وغير من صاحبها بالنائب الكافل، وكافل الممالك الإسلامية... وهو يحكم في كل ما يحكم فيه السلطان، ويعلم في الضالقات والتواقيع والمناشير، وغير ذلك مما هو من هذا النوع على كل ما يعلم عليه السلطان..." (١٧) وجميع نواب الممالك تكتبه فيا مكناب فيه السلطان، ويراجعونه فيه كما يرجع السلطان. [والنائب السلطة] أن يستخمد الجند من غير مشاورة السلطان، وبين أرباب الوظائف الجليلة كالوزارة كتابة السر، وقفل الأجباب فيا يمينه. وهو سلطان مختصر بل هو السلطان الثاني، وعادته أن يركب بالسكك في أيام المراكب، وبزل الجميع في خدمته. فإذا مثل في حضرة السلطان وقف في ركن الإبراهيم، فإذا اقتضت الخدمة خرج إلى دار النيابة بالقلعة والأمراء معه ويجلس جلوسا عاما للناس، ويحضره أرباب الوظائف، ويقف غداه الملبأ، وتقرأ عليه القصص، ثم يد الباطل للأمراء كما يد علم السلطان، فيأكلون ويصنفون. وإذا كانت النيابة قائمة على هذه الصورة، لم يكن السلطان يتصدى لقراءة القصص وسماع الشكاوى بنفسه، وبأمر في ذلك ما يرى من كتابة مثال ونحوه، وأكثه لا يمتدح بما يكتب من الأرباب السلطانية بنفسه، بل يكتب بإشارته وبنيه على ذلك، وتشته العلامة الشريفة بعد ذلك. أما ديوان الجيش فإنه لا يكون له خدمة إلا عنده ولا اجتماع إلا به، ولا اجتماع علم السلطان في أمر من الأمور. [و] أما ما كان من الأمور المضلة التي لا بد من إحاطة علم السلطان بها فإنه يبل بها تارة بنفسه وتارة بمن يرسله إليه. غير أن هذا النائب تارة ينصب، وتارة يظل جند الملكة منه... وإذا كان متصبا انخص بإخراج بعض الإقطاعات دون بعض، ويكون صاحب ديوان الجيش هو الملائم له، وتفاخر الجيش ملازم السلطان". انظر أيضا (فرض المربع، ج ٥، ص ٤٥٣ — ٤٥٤ — G. Demombynes: La Syrie. Introd. p. LV et seq.).

وفي يوم الجمعة سابع عشره (١٦٥ ب) دعا الخطباء على منابر الجوامع بمصر والقاهرة للملك السعيد، وصلى بها على الملك الظاهر صلاة الغائب . وخرج البريد إلى دمشق بموت الملك الظاهر، وتحليف الصاكر للملك السعيد خلفوا .

وفي يوم الأربعاء سادس عشر ربيع الأول ركب الملك السعيد بالعصائب على عادة أبيه، ومعه الأمراء والأعيان وعليهم الخلع، وسير إلى تحت الجبل الأحمر، وعاد إلى القلعة من غير أن يشق القاهرة؛ وكان يوما مشهودا .

وفي سادس ربيع الآخر مات الأمير بدر الدين يبيك النائب، وأتمهم أن الملك السعيد سمه — وذلك أنه اختص بجماعة من المماليك الأحداث^(١)، فأوموه من الأمير يبيك، وكانت جنازته حفلة^(٢)؛ ومن بعده اضطربت أمور الملك السعيد . وأقام [الملك السعيد] بعده في نيابة السلطنة الأمير شمس الدين آقستقر الفارقاني، وكان حازما، فضم إليه جماعة : ١٠ منهم شمس الدين أقوش، وقطليجا الرومي، وسيف الدين قلع البغدادى، وسيف الدين يميرو^(٣)

(١) وضع هذا القفظ بمقتل معينين، وكلاهما في (Dozy : Supp. Diet. Ar.) ، أحدهما حديثو العمر أو العهد بالخدمة (jeunes gens) ، والآخر الأراذل والسفلة (la canaille) ، والمعنى الأول هو المقصود هنا . انظر ابن أبي الفضايل (كتاب التبع السديد ، ص ٢٩٩) ، حيث يقول إن الأمور كانت مفسودة في عهد الملك السعيد "بحكم الصبيان الجفلة من الخناسكية (كذا)" .

(٢) يوجد في ابن أبي الفضايل (كتاب التبع السديد ، ص ٢٨٩ — ٢٩٠) تفصيلات كثيرة عن وفاة الأمير بدر الدين، ونصها : "دخل [الأمير بدر الدين] إلى السائرة عند وفاة الملك السعيد ، على أنه يميزها بالسلطان ريشها بالملك السعيد، فسكرت له ضله ودعت له ، وأترحت له هاتبا علوا سكرنا ويوتا وحلفت عليه أن يشرب بعدها ، وأوصت أنها شربت منه . فشر بجرعين لانيه ، وفي الثالثة له كثرة ما جلوا عليه تخيل ودفعه من يده ، وكانت القاضية فيه . فتوجه إلى داره ، فترك وحصل له تقطع الماء (كذا) ، وأدعى أنه قولىج . وكان طيبه عماد الدين ابن النابلي ، فسبروا إليه ثلاثة آلاف دينار ، وقالوا له خذ هذه وساعدنا في هلاكه ، ولا تفرغه أنه مسق . فأخذ الذهب (٢٩٠) وتناقل عنه ، ووصف له ما يقوى سقته فأت . انظر أيضا التورى (نهاية الأرب ، ج ٢٨ ، ص ١١٧ — ١١٨) حيث ذكرت هذه القصة ، يتلوها ترجمة قصيرة لهذا الأمير .

(٣) في ص "سجوا" وهو مترجم إلى (Nadgou) في (Quatremère: Op. Cit. I. 2. p. 158) .

البغدادى ، وعز الدين ميفان^(١) أمير شكار^(٢) ، وسيف الدين بكتمر السلاح دار . فقتل^(٣) [الأمير آقستقر^(٤) على خاصكية السلطان ، وحدثوا السلطان في أمره ، واستعانوا بالأمير سيف الدين كوندك^(٥) السابق - وكان الملك السعيد قد قدمه وعظمه ، لأنه ربي معه في المكتب . فقبض على آقستقر وهو جالس في باب القلعة^(٦) ، ويحين وأهين وتفت لجنته وضرب ، ثم أخرج بعد أيام يسيرة وهو ميت . فاستقر بعده في النيابة الأمير شمس الدين منقر الأتلي المظفرى ، فكرهه الخاصكية وقالوا : " هذا ما هو من الظاهرية " ، وخيلوا الملك السعيد منه أنه يريد أن يثور بنحشداشته بمالك الملك المظفر قطار ، فعزله سريرا . وولى

(١) كذا في س ، وهو مترجم في (Quatrenère : Op. Cit. I. 3. p. 158) إلى (Tgan) .

(٢) يتحدث صاحب هذه الوظيفة على الجوارح السلطانية من الطيور وغيرها ، وعلى سائر أمور الصيد ، وشكار فقط قاضي معناه الصيد ، فيكون المراد أمير الصيد . وهناك وظيفة أخرى متعلقة بالصيد وهي حراسة الطير ، وموضوعها أن يكون صاحبها متعنا على حراسة الطيور في الأماكن والمزارع التي يتزل بها السلطان للصيد . (التفقيشي : صح الأضي ، ج ٤ ، ص ٢٢ ، ج ٥ ، ص ٤٦١) .

(٣) في س " فقتل " .

(٤) الخاصكية قسم من الممالك السلطانية ، يختارهم السلطان من الأجلاب الذين دخلوا خدمته صفارا ، ويعلمهم حرمه الخاص (G.- Demomhynes : La Syrie. Introd. pp. XXXIII, L, XCIX) . هذا وقد أورد (Quatrenère : Op. Cit. I. 2. p. 158. n. 3) تمرينين الخاصكية ، وقد نقل أولهما من (ابن شاهين : زبدة كشف الممالك ، ص ١١٥ ، وما بعدها) ، ونصه : " الخاصكية هم الذين يلزمون السلطان في خلواته ، ويسوقون المحمل الشريف ، ويتبعون بكامل الكفال ، ويجهزون في المهمات الشريفة . و [هم] المتبعون للإمرة (١١٦) والمخزون في الملكة ... ومنهم من هو صاحب وظيفة ، ومنهم من ليس له وظيفة ... " . أما النص الثاني فقد نقله (Quatrenère) من كتاب المقصد الرفيع المنشأ الهادي إلى صناعة الأنشأ الخالدي ، ونصه : " وقد جعل ذلك [الاسم] حلا عليهم ، لأنهم يحضرون على الملك في أوقات خلواته وفرغه ، ويتناولون من ذلك ما لا ياله أكابر الملكة من ، ويحضرون طرف كل نهار في خدمة القصر والإسطل ، ويركبون لركوب الملك ليلا ونهارا ، ولا يتلقون في قرب ولا بعد . ويميزون من غيرهم في الخدمة بمجملهم سيوفهم ، ولباسهم الطرز الزركش . ويدخلون على الملك في خلوة بغير إذن ، ويتوجهون في المهمات الشريفة ، ويتأقنون في مركوبهم وملابسهم " .

(٥) ضبط هذا الاسم من ابن أبي الفاضل (كتاب التبع السديد ، ص ٢٩٩ ، حاشية ٢ ، من الترجمة القرنية) .

(٦) كان هذا الباب أحد أبواب الدور السلطانية بالقلعة ، وعرف بهذا الاسم " من أجل أنه كان هناك قلعة (٩) بناها الملك الظاهر بيبرس " . (القرنيزي : المواقظ والاعتبار ، ج ٢ ، ص ٢١٢) .

الأمير سيف الدين كوندك الساقى نيابة السلطنة — وهو شاب ، فعصده الأمير سيف الدين قلاون الأتلى ومال إليه .

وكان من جملة الممالك السلطانية الخصاصية شخص يعرف بلجين الزينى ، وقد غلب على الملك السعيد فى سائر أحواله ، وضم إليه عدة من الخصاصية . وأخذ [لاجين] لهم الإقطاعات والأموال الجزئية ، وصار كل من أخذ ^(١) خبز أخذ من يختار . وتناظر النائب [والمذكور] ، فتوغرت بينهما الصدور ، ودبت بينهما عقارب الشرور ، وأعمل كل منهما مكروء فى أذية الآخر . وضم النائب إليه جماعة من الأمراء الكبار ، وصار الصكر حزين ، قال الأمر إلى ما آل إليه من الفساد .

وتغير السلطان على الأمراء ، وقبض فى سابع عشره على الأمير جودى القيمرى الكردى ، فنشرت منه قلوب الأمراء لا سيما الصالحية : مثل الأمير سيف الدين قلاون ، والأمير شمس الدين سنقر الأشقر ، والأمير علم الدين سنجر الحلبي ، والأمير بدر الدين بيسرى ، وأقرانهم . فإنهم كانوا يأتون من تملك الملك الظاهر عليهم ، ويرون أنهم أحق منه بالملك ، فصار ابنه الملك (١٦٦) السعيد يضع من أقدارهم ، ويقدم عليهم ممالك الأصاغر ، ويخلو بهم وكانوا صبايح الوجوه ، ويعطيهم مع ذلك الأموال الكثيرة ، ويسمع من رأيهم ويبعد الأمراء الكبار .

[واستمر الحال على هذا] إلى أن كان يوم الجمعة خامس عشره ، [وفيه] قبض [السلطان] على الأمير شمس الدين سنقر الأشقر ، والأمير بدر الدين بيسرى ، ومعهما بالقلة ثلاثة وعشرين يوما . فزادت الوحشة بينه وبين الأمراء ، ودخل خاله الأمير بدر الدين محمد بن بركه خان إلى أخته أم السلطان ، وقال لها : "قد أساء ابنك التدبير بقيضه على مثل هؤلاء الأمراء الأكابر ، والمصلحة أن ترقبه إلى الصواب ، لئلا يفسد نظامه ويحصر أيامه" . فلما بلغ الملك

(١) تقدم شرح المعنى الاصطلاحى لهذا اللفظ فى ص ٦٥ ، حاشية ١ .

(٢) ليس لهذا اللفظ وجود فى ص ، ولكنه فى ب (١٩٥) ب .

(٣) فى ص "عقروا" .

السعيد ذلك قبض عليه واعتقله ، فلم تزل به أمه تمنّعه وتنتظف به ، حتى أطلقهم وخلع عليهم وأعادهم إلى ما كانوا عليه ؛ وقد تمكّنت عداوته من قلوبهم .

وتوهم منه بقية الأمراء ، وخشوا أن يعاملهم كما عامل الأمير بيليك الخازندار ، مع حفظه له الملك وقسليم الخزان والعساكر إليه ، فلم يكافئه إلا بأن قتله بالمسم . فاجتمع الأمراء وهؤوا أن يخرجوا عنه إلى بلاد الشام ، ثم اتفقوا وصعدوا كلهم إلى قلعة الجبل ، ومهمهم مماليتهم وأزماتهم وأجنادهم وأتباعهم ، ومن انضم إليهم من العساكر ؛ فامتلا منهم الإيوان ورجبة القصر . وبشوا إلى الملك السعيد : ” بأنك قد أفسدت الخواطر ، وتعرضت إلى أكابر الأمراء ، فلما أن ترجع عما أنت عليه ، وإلا كان لنا ولك شأن “ . فلاحظهم في الجواب ، وتتصل مما كان منه ، وبعث إليهم التشاريف فلم يلبسوها . وترددت الأجوبة بينهم وبينه إلى أن أتى تقزور الصلح ، وحلف لهم أنه لا يريد بهم سوءا ، وتولى تخليفه الأمير بدر الدين الأيدمرى ، فرضوا وانصرفوا .

وكتب [السلطان الملك السعيد] إلى دمشق أن يدفن الملك الظاهر داخل المدينة ، فاشترى الأمير عز الدين أيدمرى نائب الشام دار العقبي داخل باب الفرج تجاه المدرسة العادلية بستين ألف درهم ، وجعلها مدرسة وبنى بها قبة ، وابتدأ بالعمارة في يوم الأربعاء خامس جمادى الأولى ، وفرغ منها في آخر جمادى الآخرة . ونخرج من القاهرة الأمير علم الدين سنجر المعروف بأبي نرحس ، والطواشي صفى الدين جوهر الهندى ، وسارا إلى دمشق فدخل[ها] في ثالث رجب . فلما كان في ليلة الجمعة خامسة ، حمل الملك الظاهر من قلعة دمشق ليلا على أعناق الرجال ، ووضع في جامع بنى أمية وصلى عليه ، (١٦٦ ب) وحمل حتى دفن بالقبة من المدرسة التي بنيت له ، بحضور نائب الشام . وألحده قاضي القضاة عز الدين محمد بن عبد القادر ابن عبد الخالق بن خليل بن مقلد أبو المفانر المعروف بأبي الصائغ ، وترتب القراء من ثلثي يوم .

(١) كذا في س ، وفي ابن الماد (شذرات الذهب ، ج ٥ ، ص ٣٥٠) ، وهو وارد برسم ” الغبني “

في النويري (نهاية الأرب ، ج ٢٨ ، ص ١١٦) .

ثم وقف عز الدين بن شداد وكيل الملك السعيد هذه المدرسة ، ووقف عليها قرية من شعرا بانياس ، وغير ذلك .

وفي ثامن عشر ذى القعدة صرف قاضى القضاة محيى الدين عبد الله بن عين الدولة عن قضاء مصر والوجه القبلى ، وأضيف الى قاضى القضاة تقى الدين محمد بن الحسين بن رزين ؛ فكل له قضاء القضاة بديار مصر . وأعيد قاضى القضاة شمس الدين أحمد بن خلكان الى قضاء دمشق فى سابع عشرى ذى الحجة ، فكانت مدة عزله سبع سنين .

وفىها ولى شهاب الدين أبو عبد الله محمد بن شمس الدين أبى الماللى أحمد بن الخليل بن سعادة الخوى قضاء القضاة الشافعية بمحلب ، بعد وفاة تقى الدين محمد بن حياة الترقى .

وفى هذه السنة عم ماء النيل أرض مصر كلها ، ورخص سعر الفلة حتى أبيع الأردب القمح بخمسة دراهم ، والأردب الشعير بثلاثة دراهم ، والأردب من بقية الحبوب بدرهمين .
وفىها قتل الملك أبى البروانه فى صفر ، واسمه معين الدين سليمان بن على بن محمد بن حسن ، ومعنى البروانه الحاجب ؛ وكان شجاعا حازما كريما عارفا ، فيه دهاء ومكر .

(١) كذا فى س . (٢) بنير ضبط فى س ، والخوى اسم لعدة أماكن ، ومنها بلد من أعمال آذربيجان ينسب اليه الثياب الخوية . (بافوت : معجم البلدان ، ج ٢ ص ٥٠٠ - ٥٠٣) .

(٣) يوجد بين الصفحتين ١٦٦ ب ، ١٦٧ أ فى س ، ورقة عليها ترجمة البروانه ، وقد جاء فى سياقتها سبب قتل الملك أبىها له ، ونصها : " سليمان بن على بن محمد صاحب معين الدين بروانه بن مهذب الدين . قدم أبوه من بلاد الصين الى الروم ، وعلم أولاد مستوفى الروم القرآن . ثم ناب عنه واستقر مكانه فى أيام السلطان علاء الدين ، فظهرت كفايته فاستوزره . ثم وزر من بعده لابنه غياث الدين حتى سبى سنة اثنين وأربعين [وتمت] ، فوشى من بعده ابنه سليمان هذا فى وزارته ، وعظم شأنه الى أن استولى على مالك الروم ، وصاح التار . فصرمت البلاد على يده ، وكاتب السلطان الملك الظاهر بيبرس البندقدارى ؛ فلما دخل السلطان [بيبرس] بلاد الروم ، وواقع التاروناد ، قدم الملك أيضا فنسب البروانه الى أنه هو الذى جسر السلطان على ذلك . وبكت خواتين أيضا وشقت ثيابهن بين يديه ، وقلن البروانه هو الذى قتل رجالنا ولا بد من قتله . فقتله أبنا أشع قلة ، فإنه قطع يديه ورجليه وهو حي ، وألقاه فى قدر وصلقه (كذا) ، وأكل الفل له غضا وحفا ؛ وقتلوا معه من الروم عدة خلاى ، وذلك فى سنة ست وسبعين وستمائة . وكان من دهاء العالم وشجاعتهم ، له إقدام على الأحوال وخبرة بجميع الأموال . " انظر (ابن أبى الفضل : كتاب التيج السديد ، ص ٢٧٣ ، وما بعدها ؛ Enc. Isl. Art. Mu'in al-din Sulaiman Parwana) .

وفيها عزل نفسه قاضي القضاة صدر الدين سليمان بن أبي العز الحنفي من القضاء في سلخ الحرم، فشرع متصب قضاء الحنفية بعده .

ومات في هذه السنة من الأعيان الأمير بدر الدين بيليك الخازندار نائب السلطنة ، في سادس شهر ربيع الآخر ، وكان جوادا عارفا بالتاريخ جيد الكتابة . وتوفي قاضي القضاة شمس الدين أبو بكر محمد بن عماد الدين أبي إسحاق إبراهيم بن عبد الواحد بن علي بن سرور المقدسي الحنبلي وهو مصروف ، في يوم السبت ثاني عشرى الحرم ، ودفن بالقرافة ، وله من العمر ثلاث وسبعون سنة . وتوفي قاضي القضاة بجلب تقي الدين أبو عبد الله محمد بن حياة ابن يحيى بن محمد الزقي الشافعي ببولك ، وهو عائد من الحج . وتوفي الشيخ محيى الدين أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري بن الحسن بن الحسين بن جمعة بن حرام النَوَوِي الشافعي ، عن نيف وأربعين سنة ، بقرية نَوَى . وتوفي الواظظ نجم الدين أبو الحسن علي بن علي بن أسفنديار البغدادى بدمشق ، عن ستين سنة . وتوفي الشريف شهاب الدين أحمد بن أبي محمد الحسيني الواسطي العراقى ، بالإسكندرية . وتوفي الشيخ نظام الدين أبو عمرو عثمان بن أبي القاسم عبد الرحمن بن رشيق المالكي . وتوفي أبو الحسن علي بن عدلان بن حداد بن علي الربيع الموصلى النحوى المترجم ، بالقاهرة .



سنة سبع وسبعين وستمائة . في سابع عشرى الحرم عمل عزاء الملك الظاهر ، عند تمام سنة من وفاته ، بالأندلس من قرافة مصر . ومثت هناك الأسمطة في الخيام للقراء والفقهاء ، وفزقت الأطمعة على أهل الزوايا ، وكان من الأوقات العظيمة ، لكثرة من اجتمع فيه من

(١) في س "مرا" . انظر ابن الهاد (شذرات الذهب ، ج ٥ ، ص ٣٥٤) .

(٢) بغير ضبط في س ، والنسبة الى نوى المذكورة بالسطر التالي . ونوى اسم لبنتين ، إحداها من أعمال حوران وبينها وبين دمشق منزلتان ؛ والأخرى قرية من قرى صمرقند على بعد ثلاثة فراسخ منها . (باقوت : معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ٨١٥) .

(٣) كذا في س .

الناس على اختلاف طبقاتهم . ومحل جمع آخر بجامع ابن طولون ، وفي الجامع الظاهري ،
والمدرسة الظاهرية ، والمدرسة الصالحية ، ودار الحديث الكاملية ، والحقاه الصلاحية سعيد
السعداء ، والجامع الحاكي . وعمل للتكايرة والفقراء خوان حضره كثير من أهل الخير .

- وفي عاشر جمادى الأولى وفي قاضي القضاة صدر الدين سليمان بن أبي العز بن وهيب الحنفي
قضاء الحنفية بدمشق ، عوضا عن مجد الدين عبد الرحمن بن عمر بن المديم بحكم وفاته . فلما مات
[صدر الدين] بعد أربعة أشهر ، ولي عوضا عنه في تاسع عشر رمضان حسام الدين حسن
ابن أحمد بن حسن الترازي ، قاضي الروم الواصل من قيسارية .

وفي ... (٢) شوال خرج الملك السعيد من قلعة الجبل يريد التفرج في دمشق ، ومعه
أخوه نجم الدين خضر ، وأمه وأمرأته وعساكره ، فدخل إلى دمشق في خامس ذي الحجة .

- وفي سلخ ذي القعدة مات الصباح بهاء الدين علي بن محمد بن سليم بن حنا ، فكتب
من دمشق بالحوطة على موجوده . وقبض الملك السعيد على الصباح زين الدين أحمد بن
الصباح نقر الدين محمد بن الصباح بهاء الدين ، وأخذ خطه بمائة ألف دينار ، (١٦٧)
وسيره على البريد إلى مصر ، ليستخرج منه ومن أخيه تاج الدين محمد وابن عمه عز الدين
محمد بن أحمد بن علي تكة ثلاثمائة ألف دينار . واستقر في الوزارة — عوضا [عن] الصباح
بهاء الدين بن حنا — قاضي القضاة بهان الدين الخضر بن الحسن السنجاري ، وكان بينه
ووين ابن حنا عداوة ظاهرة وحقوق كامنة ، فبلغ من التمكن في أولاده وأمواله ما كان
يؤقله . وساعده على ذلك عدة من الأمراء : منهم عز الدين الأقرم ، و بدر الدين بيسرى ،
لما في نفوسهم من بهاء الدين بن حنا . وولى وزارة الصحبة نقر الدين بن لقمان ، عوضا عن
تاج الدين محمد بن حنا .

(١) التكايرة أهل بلاد التكرور ، وهي أحد الأقاليم الإفريقية الواقعة في الجهة الجنوبية الغربية من مصر ،
وقاعدتها مدينة تكرور ، وأهلها أشبه الناس بالفرنج . (الفتوشى : ص ٥ ، ج ٥ ، ص ٢٨٦ — ٢٨٧ ؛
بأقوت : معجم البلدان ، ج ١ ، ص ٨٦١) .

(٢) يبايض في ص ، يسع ثلاث كلمات تحريا .

وفي سادس عشرى ذى الحجة جلس الملك السعيد بدار العدل في دمشق ، وأسقط عن أهل الشام ما كان قد قذره الملك الظاهر عند سفره إلى بلاد الروم على البساتين في كل سنة . وفيه أشار خاصكية السلطان عليه بإبعاد الأمراء الأكابر عنه ، فجهز الأمير قلاون الألفى بعسكر ، وجهاز الأمير يمسرى بعسكر ، وأنفق فيهم الأموال . فساروا إلى جهة سيس ، وفي نفوسهم من ذلك إحزن .

وفيها ولي الأمير علاء الدين أيدغدى الكبكى نيابة حلب ، عوضا عن الأمير نور الدين على بن بجلى الحكارى . وفيها كثر الرخاء بمصر حتى أبيع ثلاثمائة أردب فولاً بمبلغ تسعة درهم ، انصرف منها حمولة ومكوس ، بحيث لم يتأخر منها غير خمسة وعشرين درهما . وفيها مات عز الدين كيكلاوس ملك الروم ، بعد ما جرت له خطوب . فلما أبا بن هولاًكو من بعده ابنه مسعود بن كيكلاوس سيواس وأرزن الروم وأرزنكان . وفيها حصلت زخمة عظيمة بباب العمرة من المسجد الحرام بين الحجاج عند خروجهم إلى العمرة بعد صلاة الصبح ، فمات منهم ستة وثلاثون إنسانا ، وذلك في ثالث عشر ذى الحجة .

ومات في هذه السنة من الأعيان الأمير جمال الدين أقوش النجبي الصالحى نائب الشام ، في خامس ربيع الأول بالقاهرة ، عن نحو سبعين سنة . ومات الأمير شمس الدين أفسنقر الفارقانى الصالحى نائب السلطنة ، عن نحو خمسين سنة . ومات الأمير علاء الدين أيدكين الشهابى نائب حلب ، وهو مصروف ، عن نحو خمسين سنة بدمشق . وتوفى قاضى القضاة

(١) كذا فى س ، وهو مترجم الى (Kelbi) فى (Quatremère : Op. Cit. I. 2. p. 161) .

(٢) كذا فى س .

(٣) على هذا فى س عبارة ذهب مسلم كلماتها ، وأوتها لفظ "دولى" وهو مشطوب ، وكان المقرئ يسمد إزالة العبارة كلها .

(٤) بغير ضبط فى س ، واسم هذا البلد أرزنجان بالحيم ، وأهلها يقولون أرزنكان بالكاف كما هنا ، وهى بلدة من أرمينية ، قرية من أرزن الروم . (ياقوت : معجم البلدان ، ج ١ ، ص ٢٠٥) .

(٥) على هذه الكلمة وفاة مشطوبة ، ونصها : "ومات الامير بدر الدين محمد بن بركة خان بن دوله خان الطوى انخراوى ، خاله السلطان الملك السعيد" .

- الحنفية بدمشق مجد الدين أبو محمد عبد الرحمن بن الصاحب كمال الدين عمر بن أحمد بن هبة الله بن محمد بن هبة الله بن أحمد بن يحيى بن العديم، عن أربع وستين سنة . ومات قاضي القضاة الحنفية بدمشق صدر الدين أبو الفضل سليمان بن أبي العز بن وهيب الأذري، بعد ثلاثة أشهر من ولايته ، عن ثلاث وثمانين سنة . ومات الوزير الصاحب بهاء الدين أبو الحسن علي بن محمد بن سليم بن حسنا، سلع ذى القعدة . وتوفي مجد الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عمر بن أبي شاكر بن الظهير الإريلى الحنفى، عن خمس وسبعين سنة بدمشق . وتوفي نجم الدين أبو المعلى محمد بن سوار بن إسرائيل بن الخضر بن إسرائيل الشيبانى الدمشقى الصوفى الأديب، عن أربع وسبعين سنة بدمشق . وتوفى الأديب جمال الدين طه بن إبراهيم ابن أبي بكر الهذبانى الإريلى، بالقاهرة . وتوفى الأديب موفق الدين أبو محمد عبد الله بن عمر ابن نصر الله الأنصارى البعلبكي، بالقاهرة .^(١)

١٠



- سنة ثمان وسبعين وستمائة . فى المحرم قرر الخاصكية مع الملك السعيد القبض على الأمراء عند عودهم من سيس، وعينوا لقطعاتهم لأناس منهم ؛ وكان الأمير كوندك النائب مطلع على ذلك . واستغرق السلطان فى لذاته، وبسط يده بعباء الأموال الكثيرة لخاصكته، ونخرج عن طريقة أبيه . وفى أثناء ذلك حدث بين الأمير كوندك النائب وبين الخاصكية منافرة، بسبب أن السلطان أطلق لبعض مماليكه ألف دينار فتوقف النائب

١٥

(١) فى هذه السنة كان مولد النورى مؤلف كتاب نهاية الأرب المتداول فى هذه الحواشى، وهو شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الله الممنح (كذا) بن علي بن طراد بن خطاب بن نصر بن إسماعيل ابن إبراهيم بن جعفر بن هلال بن الحسين بن ليث بن طلحة بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق، وكان مولده بأخميم من صعيد مصر . انظر النورى (نهاية الأرب، ج ٢٨، ص ١٢٣) .

(٢) تقدمت الإشارة الى مكانة الأمير كوندك هذا عند السلطان الملك السعيد، بسبب صداقته منذ الصغر (انظر ص ٦٤٤ سطر ٣) ، وقد حفظ السلطان الملك السعيد للأمير كوندك هذه الصداقة أيام سلطته، فسمح له " أن يجلس بين يديه ، ولا يوقع لأحد إلا بقلبه وعقله ، ومنكه تمكينا لم يكن لأحد قبله ؛ وكان [كوندك] ذكيا عظيما" . (ابن أبي الفضايل : كتاب التيج السعيد، ص ٣٠٠) .

في إطلاقتها . فاجتمع الخاصكية عند النائب وفاوضوه في أمر المبلغ ، وأسموه ما يكره وقاموا على حرد ، وتكلموا مع السلطان في عزله عن النيابة فاستنع . وأخذ الخاصكية في الإلحاح عليه بمنزل كوندك ، وعجز عن تلاقى أمرهم معه .

وأما الأمراء فلأنهم غزوا سيس وقتلوا وسبوا ، وسار الأمير يسرى إلى قلعة الروم ، وعاد هو والأمراء إلى دمشق ونزلوا بالمرج . فخرج الأمير كوندك إلى لقائهم على العادة ، وأخبرهم بما وقع من الخاصكية في حقهم وحقه ، فحزك قوله ما عندهم من كوامن النضب . وتحالفوا على الاتفاق والتعاون ، وبعثوا من المرج إلى السلطان يعلمونه أنهم مقيمون بالمرج ، وأن الأمير كوندك شكى إليهم من لاجين (١٦٧ ب) الزبى شكواى كثيرة ، "ولابد لنا من الكشف عنها " ، وسألوا [السلطان] أن يحضر إليهم حتى يسمعو كلامه وكلام كوندك .

فلما بلغ ذلك السلطان لم يعأ بقولهم ، وكتب إلى من معهم من الأمراء الظاهرية بأمرهم بمفارقة الصالحية ودخول دمشق . فوقع القاصد الذى معه الكتب في يد أصحاب كوندك ، فاحضر إلى الأمراء ووقفوا على الكتب التى معه ، فرحلوا من فورهم ونزلوا على الجسورة من جهة داريا . وأظهروا الخلاف ، ورموا الملك السعيد بأنه قد أسرف ، وأفرط في سوء الرأى وأفسد التدبير .

نخاف [السلطان] عند ذلك سوء العاقبة ، وبعث إليهم الأمير سقر الأشقر ، والأمير سقر التكريى الأستاذار ، ليطلقا بهم ويعملا الحيلة في إحضارهم ، فلم يوافقوا على ذلك . وعادا إلى السلطان فزاد قلقه ، وتردأت الرسل بينه وبين الأمراء ، فافترحوا عليه بإبعاد الخاصكية ، فلم يوافق . وبعث [السلطان] بوالده مع الأمير سقر الأشقر لتسترضيهم ، فحذتهم وخضعت لهم فما أفاد فيهم ذلك شيئا ، وعادت بالخيبة .

فرحل الأمراء بمن معهم من الصاكر إلى مصر ، وتبعهم الملك السعيد ليحققهم ويتلاقى أمرهم فلم يدركهم ، فعاد إلى دمشق وبات بها . وأصبح [الملك السعيد] بفهمزأه ونزائته

إلى الكرك، وجمع من بقي من عساكر مصر والشام، واستدعى العربان وأتق فيهم، وسار من دمشق بالعساكر يريد مصر، قتل بليس في نصف ربيع الأول . و[كان] قد سبقه الأمير قلاوون بن معه إلى القاهرة، ونزلوا تحت الجبل الأحمر .

- فبلغ ذلك الأمراء الذين بقعة الجبل، وهم الأمير عز الدين أليك الأقرم أمير جاندار، والأمير أقطوان الساق، والأمير بيان الزرقى^(١)، فامتنعوا بها وحصنوها، وتقدموا إلى متولى القاهرة فسد أبوابها . فراسلهم قلاوون والأمراء في فتح أبواب القاهرة، ليدخل العسكر إلى بيوتهم ويصيروا أولادهم، فإن عهدهم بعد بهم . ونزل الأمير لاجين البرنكاي وأليك الأقرم وأقطوان إلى الأمراء لمعرفة الخبر، فقبضوا عليهم وبعثوا إلى القاهرة ففتحت أبوابها، ودخل كل أحد إلى داره . وسجن الثلاثة الأمراء في دار الأمير قلاوون بالقاهرة، وزحفوا إلى القلعة وحاصروها، وقد امتنع بها بيان الزرقى^(٢) .
- ١٠

- وأما السلطان فإنه لما نزل بليس وبلغه خبر الأمراء، خامر عليه من كان معه من عسكر الشام وتركوه في بليس، وعادوا إلى دمشق وبها الأمير عز الدين أيدمر نائب الشام، فحاصروا إليه . ولم يبق مع السلطان إلا مماليكه، ومنهم الأمير لاجين الزرقى، ومغلطاي دمشق، ومغلطاي الجلكي، وسنقر التكري، وأيدغدي الحراني، والبي الساق، وبكتوت الحمصي، وصلاح الدين يوسف بن بركة خان، ومن يجري مجراهم، ولم يبق معه من الأمراء الكبار إلا الأمير سنقر الأشقر فقط . فسار [السلطان] من بليس، ففارقه سنقر الأشقر من المطرية^(٣)، وأقام بموضعه .

(١) في "الزرقى"، ولعل النسبة إلى قبيلة زرقى إحدى قبائل الأتصار . انظر باقوت (معجم البلدان)، ج ٢، ص ٩٢٩ .

(٢) في "البرنكاي"، وقد أثبت الرسم الواو هنا من (Quatremère : Op. Cit. I. 2. p. 169)، حيث هذا الاسم مترجم إلى (Berekekhai) . (٣) في "الزرقى" .

(٤) ينظر ضبط في س، وهي قرية قرب عين شمس القديمة بالشال للشرق من القاهرة، وكانت مشهورة في عالم القرون الوسطى بالشرق والغرب بشجر البسان، الذي يستخرج منه الدهن المعروف بذلك الاسم . انظر باقوت (معجم البلدان)، ج ٤، ص ٥٦٤ - ٥٦٥ .

وبلغ الأمراء أن السلطان جاء من خلف الجبل الأحمر، فركبوا ليحولوا بينه وبين القلعة، وكان الضباب كثيرا فثبأ منهم، واسترعن رؤيتهم وطلع الى القلعة. فلما انكشف الضباب بلغ الأمراء أن السلطان بالقلعة، فنادوا الى حصارها. وعند ما استقر السلطان بالقلعة تساجراجين الزينى مع الزينى^(١)، فقتل [الزينى] الى الأمراء وصار معهم، وتبعه الممالك شيئا بعد شيء. وصار السلطان يشرف من برج الزفر^(٢) المطل على الإسطبل، ويصيح بهم: "يا أمراء! أرجع الى رأيكم، ولا تعمل إلا ما تقولونه"، فلم يجبه أحد منهم. وأظهروا كتباً عنه يطلب فيها جماعة من الفداوية لقتلهم، وأحاطوا بالقلعة وحصروه. وكان الأمير سنجر الحلبي معتقلا بالقلعة، فأخرجه السلطان وصار معه، فاستمر الحصار مدة أسبوع.

وكان الذى قام فى خلع^(٣) [السلطان] جماعة كثيرة من الأمراء، وهم [الأمير يسرى، والأمير قلاون، والأمير أيتش السعدى، والأمير أيدكين البندقدار، والأمير بكاش الفخرى أمير سلاح، والأمير بيليك الأيدمرى، والأمير سنقر البكتوق، والأمير سنجر طردج، والأمير بلبان الحيشى، والأمير بكاش (١١٦٨) النجمى، والأمير كشتغدى الشمسى، والأمير بلبان المارونى، والأمير ييكا العلائى، والأمير بيبرس الرشيدى، والأمير كندغدى الوزير، والأمير يعقوبا الشهرزورى، والأمير أيتش بن أطلس خان، والأمير بيدغان الركنى، والأمير بكتوت بن أتابك، والأمير كندغدى أمير مجلس، والأمير بكتوت برك، والأمير بيبرس طقصو، والأمير كوندك النائب، والأمير أليك الحموى، والأمير سنقر الألفى، والأمير سنقر جام.

(١) فى "الزينى".

(٢) أورد المخرزى (المواظ والاعتبار، ج ٢، ص ٢١٢ - ٢١٣) تاريخاً لهذا البرج من عهد السلطان الملك الأشرف خليل (٦٨٩ - ٨٦٠٣، ١٢٩٠ - ١٢٩٣م)، وفصّه "عمره الملك الأشرف خليل بن قلاون. (٢١٣) وجعله طابا ليشرف على الجزيرة كلها، ويخضع وصوّرفه أمراء الدولة وغوامها، وعقد عليه قبة على عمد وزينها. وكان مجلساً يجلس فيه السلطان، واسترجلوس الملوك به حتى هدمه الملك الناصر محمد بن قلاون فى سنة اتقى عشرة وسبعمائة، وعمل بمجواره برجاً بجوار الإسطبل، [و] نقل اليه الممالك".

(٣) فى "ما تقولونه". (٤) فى "خطه".

(٥) أخيف ماين الأفواس بهذه الفقرة واتى ثلها من التورى (نهاية الأرب، ج ٢٨، ص ١٢٦).

الظاهرى، والأمير قلنجى الظاهرى، والأمير ساطلمس^(١)، والأمير بققار الجموى، ومن انضاف اليهم من الأمراء الصغار ومقدمى الحلقة، وأعيان المفاردة والبحرية^(٢).

- ولما طال الحصار بعث [السلطان] الخليفة الحاكم بأمر الله أحد، يقول: "يا أمراء! ليس غرضكم؟" فقالوا: "يخلع الملك السعيد نفسه من الملك، ونعطيه الكرك".
- فأذن السعيد لذلك، وحلف له الأمراء، وحضر الخليفة والقضاة الأعيان، وأتزل بالملك السعيد، وأشهد عليه أنه لا يصلح لللك. وخلع [السعيد] نفسه، وحلف أنه لا يتطوق الى غير الكرك، ولا يكتب أحدا من النواب، ولا يستميل أحدا من الجند. وسفر من وقته الى الكرك مع الأمير بيدغان الزكى، وذلك فى سابع شهر ربيع الآخر، فكانت مدة ملكه من حين وفاة أبيه الى يوم خلعهم ستين وشهرين وثمانية أيام. فوصل الى الكرك وتسلمها فى خامس عشرى جمادى الآخرة، واحتوى على ما فيها من الأموال وكانت شيئا كثيرا.

١٠

ولم يقتل فى هذه الحركة سوى سيف الدين بكتوت الجمصى، فإنه كان ابنه وبين سقرجاه الظاهرى مشاجرة، فلما طلع الملك السعيد الى قلعة الجبل يوم وصوله من بليس صادفه سقرجاه — وهو من حزب الأمير قلاون ومن معه —، فطعته فى حلقه فحمل إلى قبة القلندرية^(٣)، فمات من يومه ودفن بها. وكانت أيامه رخيّة الأسعار.

(١) كذا فى ص.

(٢) البحرية هنا طائفة من الأجناد السلطانية، وكان عملهم الميث بالقلمة وحول دهايز السلطان فى السفر كالحرس. انظر القلندرى (صبح الأعشى، ج ٤، ص ١٦)، حيث ورد أيضا أن أول من رتب هذه الطائفة وصاحبها بهذا الاسم هو السلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب.

(٣) أورد النورى (تهية الأوب، ج ٢٨، ص ١٢٦) فى هذا الصدد أن السلطان الملك السعيد أرسل الى الأمراء أثناء الحصار، "وسألم أن يكون الشام بكاه لم، فأبوا ذلك إلا أن يخلع نفسه من الملك. فانس من سيف الدين قلاون والأمير بدو الدين يسرى أن يملوه قلعة الكرك فأجابوا الى ذلك، ونزل من القلعة ...".

(٤) يوجد بالقرى (المراغط والاختار، ج ٢، ص ٤٣٢ — ٤٣٣) مكان اسمه زاوية القلندرية، والزاج أنه المقصود بها، وموضع هذه الزاوية خارج باب النصر من الجهة التى فيها القرب والمقابر بالقاهرة، وقد أنشأها الشيخ حسن القلندرى الجوالى، أحد قراء العلم القلندرية. أما لفظ القلندرية فنسبته الى مؤسس هذه الفرقة الصوفية، =

(١١) السلطان الملك العادل بدر الدين سُلاَمَش

[وهو] ابن الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقدارى الصالحى النجمى . لما تم خلع الملك السعيد و سافر إلى الكرك ، عرض الأمراء السلطنة على الأمير سيف الدين قلاون الألفى ، فامتنع وقال : "أنا ما خلعتُ الملك السعيد طمعا فى السلطنة ، والأولى ألا يخرج الأمر عن ذرية الملك الظاهر" . فاستحسن ذلك منه لأن الفتنة سكنت ، فأت الظاهرية كانوا معظم السكر ؛ وكانت التسلع بيد نواب الملك السعيد ، وقصد قلاون بهذا القول أن يتحكم حتى يغير التواب ويتحكم بما يريد . فقال الجميع إلى قوله وصوبوا رأيه ، واستدعوا سلامش ، وأنفقوا أن يكون الأمير قلاون أتابكه ، [وأن يكون] إليه أمر العساكر وتدير الممالك . فحضر سلامش وله من العمر سبع سنين وأشهر ، وحلف العسكر جميعه على إقامته سلطانا ،

== وهو قلندر يوسف العربى الأصل الإنسانى المولود ، (انظر Enc. Isl. Arts. Kalandar, Kalandari) . وقد وصف المقرئى (المواعظ والأعتبار ج ٢ ، ص ٤٢٢ — ٤٢٣) هذه الطائفة وصفا وافيا ، ونصه : "القلندرية طائفة تنسب إلى الصوفية ، ونارة تسمى أنفسا ملائكية . وحقيقة القلندرية أنهم قوم طرحو التقيد بأداب المجالس والمخاطبات ، وفلت أعمالهم من الصوم والصلاة إلا القرائن ، ولم يبالوا بتناول شئ من اللذات (٤٢٣) المباحة ، وانصرفوا على رعاية الرخصة ، ولم يطلبوا حقائق الصرامة ، والزمو ألا يدنروا شيئا ، وزكوا الجمع والاستنكار من الدنيا ، ولم يتشققوا ولا زهدوا ولا تميدوا ، وزعموا أنهم قد فتقوا جليب قلوبهم مع الله تعالى ، وانصرفوا على ذلك . وليس عندهم قطع إلى طلب مزيد ، سوى ما هم عليه من طيب القلوب . والفرق بين الملائكة والقلندرية أن الملائكة يسمل في كم الببادات ، والقلندرية يسمل في تحريب الببادات . والملائكة يتكلم بكل أبواب البر والخير ، ويرى الفضل فيه إلا أنه يخفى أحواله وأعماله ، ويعتقد نفسه موقف المواقف في هيئته ولبوسه تسترأ لهال حتى لا يظن له ، وهو مع ذلك متطلع إلى المزيد من الببادات . والقلندرية لا يتقيد ببيت ، ولا يبال بما يعرف من حاله وما لا يعرف ، ولا ينطق إلا على طيب القلوب ، وهو رأس ماله" .

- (١) ضبط اسم هذا السلطان على مطبوعة في الترجمة الفرنسية لابن أبي الفضايل (كتاب التبع السديد ، ص ٣٠٧) .
- (٢) لم يقصد الأمير قلاون باعتناقه وتخصيه المبدأ الوراثي أنه كان يحترم هذا المبدأ ، وقد وضع عرضه من هذه العبارة الداعية فيما بعد ، (انظر ما يلي ، سطر ٦) . والواقع أن مبدأ الوراثية لم يكن مقبولا أو مستقولا لدى أمراء المماليك ، وقد حشنت عليهم نسايتهم أن تكون المؤهلات للسلطة عندهم الأدبية والمهارة الحربية والفطنة على الدرس من وراء ستار ، وفي ذلك مما ليس له علاقة بالية بالمبدأ الوراثي ، وتطبيق هذه الضوابط تقطع واضح في تاريخ دولي المماليك بمصر كله .

وإقامة الأمير قلاوون (١٦٨ ب) أتابك الماسكر . ولقبوه الملك العادل بدر الدين ، فاستقر
الأمر على ذلك . وأقيم الأمير عز الدين أيبك الأفرم في نيابة السلطنة ، واستقر قاضي القضاة
برهان الدين خضر بن الحسن السجاري في الوزارة .

- وأما عسكر الشام فإنه لما سار من بليس ودخل إلى دمشق ، كان يحلب الأمير عز الدين
إزدمر العلائي ، والأمير قراستقر المعزى ، والأمير أقوش الشمسي ، والأمير برفوا ، في نحو
ألفي فارس . فساروا إلى دمشق ولقوا العسكر القادم من بليس ، فاتفقوا [مع الأمراء الذين
بدمشق] على إقامة الأمير أقوش الشمسي [مقدما على الجيوش] ، والقبض على الأمير عز الدين
أيدمر نائب دمشق ، [لأنه ترك ابن أستاذة وخامر عليه ورجع من بليس] . فآخذ الأمير
أقوش إلى داره ، بغاء الأمير أزدمر العلائي وركن الدين الجالحق إلى دار أقوش ، وأخذ الأمير
أيدمر وصعدا به إلى قلعة دمشق ، وسأماه إلى الأمير علم الدين سنجر الدواداري نائب القلعة .
فلما تقزز الحال على إقامة الملك العادل سلامش والأمير قلاوون كتب إلى الشام بذلك ،
وسار الأمير جمال الدين أقوش الباخل وشمس الدين سسترجاه الكنجي بنسخة الإيمان ،
خلف الناس بدمشق كما وقع الحلف بمصر .

- وفي النصف من جمادى الأولى ، استقر قاضي القضاة صدر الدين عمر ابن قاضي القضاة
تاج الدين عبد الوهاب ابن بنت الأعز ، في قضاء القضاة بديار مصر ، عوضا عن قاضي القضاة
تقي الدين محمد بن رزين بحكم عزله . وصُرف أيضا قاضي القضاة معز الدين النعمان بن الحسن
ابن يوسف الخطيبي الحنفي ، وقاضي القضاة نفيس الدين أبو البركات محمد بن مخلص الدين
هبة الله بن كمال الدين أبي السعادات أحمد بن شكر المسالكي ، ثم أعيدها . وولى عز الدين
عمر بن عبد الله بن عمر بن عوض المقدس الحنبل ، قاضي القضاة الحنابلة . واستقر الأمير
شمس الدين مستقر الأشقر في نيابة السلطنة بدمشق ، فدخلها في ثامن جمادى الآخرة ومعه

(١) كذا في س .

(٢) أضيف ما بين الأقواس بهذه الفقرة من ابن أبي الفضايل (كتاب التيج السديد ، ص ٢٠٧ ، برما يندما) .

جماعة من الأمراء والعسكر، فعامله الناس معاملة الملوك . وأُتزل الأمير مستجر الدواداري من القلعة لمباشرة الشدة، وقرئ تقليد النيابة يوم الجمعة بمقصورة الخطابة، ولم يحضر النائب قراءته . وفي تاسع رجب قبض على فتح الدين عبدالله بن محمد بن القيسراني، وزير دمشق . وفيه استقر الأمير جمال الدين أقوش الشمسي في نيابة السلطنة بحلب، عوضاً عن أيدغدي الكبيكي .

وشرع الأمير قلاون في القبض على الأمراء الظاهرية ، فقبض على أعيانهم وبعثهم إلى الثغور فسجنوا بها ، وأمسك [أيضاً] كثيراً من الظاهرية وملاً الحبوس بهم . وأعطى [قلاون] ومنع وقطع ، ووصل واستخدم وعزل ، فكان صورة أتابك وتصرفه تصرف الملوك . واشتغل الأمير بيسرى باللهو والشرب ، فانفرد الأتابك قلاون بالملكية وأخذ في تدبير أحواله . وقرق [قلاون] الأموال على المسالك واستماله ، وقرب الصالحية وأعطاهم الإقطاعات (١١٦٩) ، وكبر منهم جماعة كانوا قد نُسوا وأُهملوا ، وسير عدة منهم إلى البلاد الشامية واستأنبهم في الفلاح ، وتبع ذرايعهم وأخذ كثيراً منهم كانوا قد تعلقوا بالصنائع والحرف ، فرتب طائفة منهم في البحرية ، وقزر لجماعة منهم جامكية . فعادت لهم السعادة ، وقوى بهم جانبهم وتمكنت أسبابه . ثم جمع [قلاون] الأسراء في العشرين من رجب ، وتمثت معهم في صفر من الملك العادل ، وقال لهم : "قد علمتم أن الملكة لا تقوم إلا برجل كامل" ، إلى أن اتفقوا على خلع سلامش نخلموه ، وبعثوا به إلى الكرك . وكانت مدة ملكه مائة يوم ، ولم يكن حظه من الملك سوى الاسم فقط ، وجميع الأمور إلى الأتابك قلاون .

(١) لعل المقصود بهذه البارة أن السلطان قلاون أدمج أفراد تلك الطائفة ، وهم ذرايع المالك البحرية الصالحية ، ضمن فئة البحرية التي جنددها في أرائل سلطته ، ويوضح ذلك ما جاء في القرزي (المواظ والاختبار) ج ٢ ص ٢١٧ في هذا الصدد ، ونصه : "راستجة السلطان الملك المنصور قلاون طائفة سماها البحرية ، وهي أن البحرية الصالحية لما تشبوا عند قتل القارص أصغى في أيام المنزأيك ، بقيت أولادهم بمصر في حالة رذيلة ، فغضب ما أفضت السلطة إلى قلاون جمعهم وربب لهم الجوامك والبطق والمحم والكسوة ، ورسوم أن يكونوا جالسين على باب القلعة وسماهم البحرية ، وإلى اليوم طائفة من الأجناد تعرف بالبحرية" . غير أنه قد تقدمت الإشارة إلى استعمال لفظ البحرية للدلالة على طائفة الأجناد المكلفين بالحيت بالقلعة وسحل دهايز السلطان (انظر ص ٦٥٥) ، فقل المقصود هنا أن السلطان قلاون ربب ذرايع الصالحية المذكورين في تلك الطائفة .

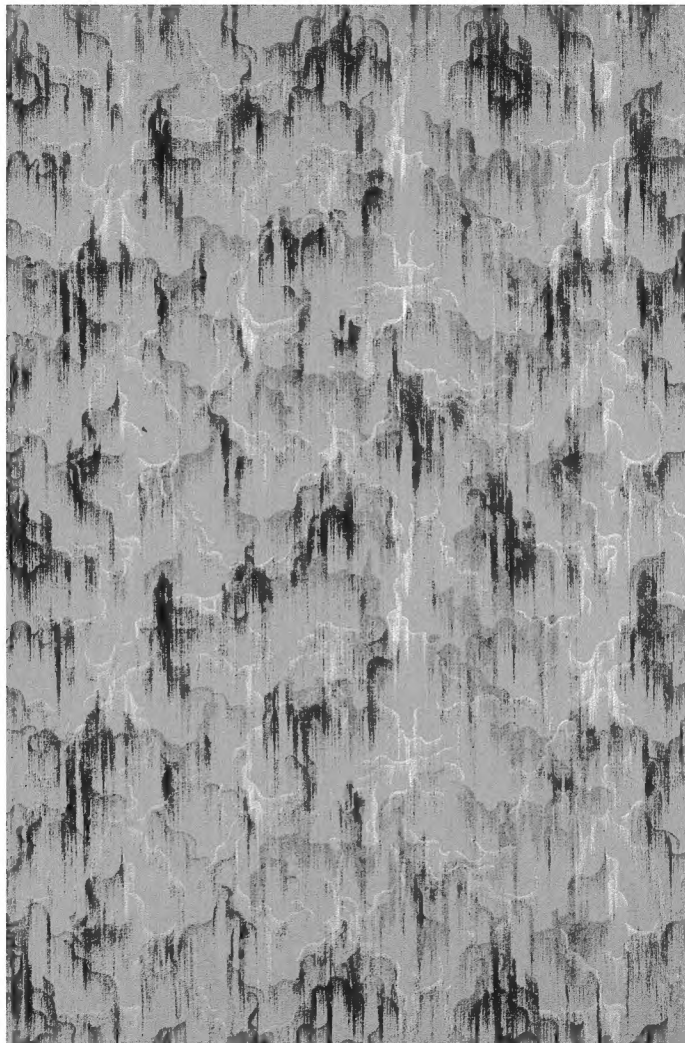


صَكَّلَ طبع القسم الثاني من الجزء الأول من كتاب
"السلوك للقرنيزي" بمطبعة دار الكتب المصرية
في يوم الثلاثاء ١٤ جمادى الثانية سنة ١٣٥٥ (أول سبتمبر
سنة ١٩٣٦) م

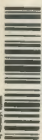
محمد نديم
ملاحظ المطبعة بدار الكتب
المصرية

(مطبعة دار الكتب المصرية ١٩٣٥/٢٠/١٥٠٠)





Bibliotheca Alexandrina



0224731